

التفسير البسيط

أبى الحسن علي بن محمد بن محمد بن أبي حمزة

ت (٤٦٨ هـ)

التفسير البسيط

لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد الوائلي

ت (٤٦٨ هـ)

الجزء الثاني

من أول سورة البقرة إلى الآية (٦٦)

تحقيق

الدكتور محمد بن صالح بن عبد الله الفوزان

دققه ونقحه وضبطه

الأستاذ الدكتور

تركيب بن سميون بن العتيبي

الأستاذ الدكتور

عبد العزيز بن سميون بن عبد العزيز السعدي

العبيكان
Obekan

٢ شركة العبيكان للتعليم، ١٤٣٨هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
الواحدى، أبو الحسن علي أحمد
التفسير البسيط. / أبو الحسن علي أحمد
الواحدى. - الرياض، ١٤٣٨هـ - ٢٥ مج.
٥٦٨ ص: ١٦، ٥ × ٢٤ سم

ردمك: ٠٠٢٣-٠٠٩-٥٠٩-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)
٤-٠٢٥-٠٠٩-٥٠٩-٦٠٣-٩٧٨ (ج ٢)

١. الواحدى، علي بن أحمد، ت ٤٦٨هـ (المؤلف).
٢. آل سعود، عبدالعزيز بن سطاتم.
- العتيبي، تركي بن سهو، (تدقيق وتنقيح وضبط).

ديوي: ٢٢٧، ٣ - ٣٠٥٢ / ١٤٣٨

الطبعة الثانية

١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م

نشر وتوزيع
العبيكان
Obeikan

المملكة العربية السعودية - الرياض -

طريق الملك فهد - مقابل برج المملكة

هاتف: ٤٨٠٨٦٥٤ ١١ ٩٦٦ + فاكس: ٤٨٠٨٠٩٥ ١١ ٩٦٦ +

ص.ب: ٦٧٦٢٢ الرياض ١١٥١٧

www.obeikanpublishing.com

جميع الحقوق محفوظة لصاحب السمو الملكي الأمير عبدالعزيز بن سطاتم بن عبدالعزيز آل سعود. ولا
يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو نقله في أي شكل أو واسطة، سواء أكانت إلكترونية أو ميكانيكية، بما
في ذلك التصوير بالنسخ (فوتوكوبي)، أو التسجيل، أو التخزين والاسترجاع، دون إذن خطي من الأمير.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تفسير (١)



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١. قوله عز وجل : ﴿الْم﴾ : إجماع النحويين أن^(٢) هذه الحروف ما دامت حروف هجاء غير معطوفة ، ولا واقعة موقع الأسماء ، أنها سواكن الأواخر في الإدراج والوقف ، وذلك قولك^(٣) : (ألف^(٤) ، با ، تا ، ثا) إلى آخرها ، وذلك أنها أسماء الحروف الملفوظة بها في صيغ الكلم ، بمنزلة أسماء الأعداد ، نحو : ثلاثة ، أربعة ، خمسة . ولا تجد لها رافعاً ، ولا ناصباً ، ولا جاراً ، وإذا^(٥) جرت مجرى الحروف لم يجز تصريفها ، ولا اشتقاقها^(٦) ، ولا تثنيها ، ولا جمعها ، كما أن الحروف

(١) (تفسير) ساقط من (ب) .

(٢) من هذا الموضع نقل المؤلف هذا الكلام من كتاب سر صناعة الإعراب لأبي الفتح عثمان بن جني ، فصل في تصريف حروف المعجم واشتقاقها وجمعها . قال : «اعلم أن هذه الحروف ما دامت حروف هجاء غير معطوفة ولا . . . إلخ» ، ٧٨١ / ٢ - ٧٨٤ .

(٣) في (ب) : (قوله) .

(٤) في (أ) و(ج) : (أ) ، وما في (ب) موافق لسر صناعة الإعراب ٧٨١ / ٢ .

(٥) في (ب) : فإذا .

(٦) في (ج) : (اشتقاقها) .

كذلك . ويدلُّك^(١) على كونها بمنزلة : (هل ، وبل ، وقد ، وحتى ،
وسوف) أنك^(٢) تجد فيها ما هو على حرفين ، الثاني منهما ألف نحو :
(با ، تا ، طا) ولا تجد^(٣) في الأسماء المعربة ما هو على حرفين ، الثاني
منهما حرف لين ، إنما ذلك في الحروف نحو : (ما ، ولا ، ويا^(٤) ، وأو ،
ولو ، وكى ، وأي) ، فلا تزال^(٥) هذه الحروف هكذا مبنية غير معربة ؛
لأنها أصوات بمنزلة : (صه^(٦) ، ومه^(٧) ، وغاق^(٨) ، وإيه^(٩))
حتى توقعها مواقع الأسماء فتعربها حينئذ كما تفعل بالأسماء ، وذلك
قولك^(١٠) : أول الجيم (جيم) ، وآخر الصاد (دال) ، وأوسط الكاف
(ألف) ، وكتبتُ جيماً حسنة^(١١) .

وكذلك العطف^(١٢) ؛ لأنه نظير التثنية ، فتقول : ما هجاء بكر ؟ فيقول
المجيب : (باء ، وكاف ، وراء) فيعرب ؛ لأنه قد عطف ، فإن لم يعطف بُني ، فقال :

(١) في (ب) : (وبذلك) .

(٢) في (ب) : (أنها) .

(٣) في (ب) : (ولا يجوز) .

(٤) (ويا) ساقط من (ب) .

(٥) في (ب) : (فلا يزال) ، وفي (ج) : (فلا تنال) .

(٦) اسم فعل بمعنى : اسكت . انظر : المقتضب ٣/ ٢٠٢ ، وسر صناعة الإعراب ٢/ ٤٩٤ ، ٦٠٠ .

(٧) اسم فعل بمعنى : اكفف . انظر : المصدرين السابقين .

(٨) في (ب) : (عاقه) . و(غاق) حكاية لصوت الغراب .

انظر : الكتاب ٣/ ٣٠٢ ، والمقتضب ٣/ ١٨٠ ، وسر صناعة الإعراب ٢/ ٤٩٤ .

(٩) اسم فعل ، تقول : إيه يا فتى إذا أردت أن يزيدك من الحديث .

انظر : المقتضب ٣/ ٢٥ ، وسر صناعة الإعراب ٢/ ٤٩٤ .

(١٠) في (ب) : (قول) .

(١١) انظر : سر صناعة الإعراب ٢/ ٧٨٢ ، والمقتضب ١/ ٣٧١ .

(١٢) عند أبي الفتح (العاطف) ٢/ ٧٨٢ .

(باء ، كاف ، را) . ونظير هذه الحروف في أنها موقوفة غير موصولة ، أسماء العدد نحو ثلاثة وأربعة^(١) .

وإذا أخبرت عن حروف الهجاء ، أو أسماء الأعداد فقد أخرجتها بذلك عن حيز الأصوات ، وأدخلتها في جملة الأسماء المتمكنة^(٢) ، فاستحقت أن تعرب للإخبار عنها ، فإنه لا معنى [للحرفية فيها إذا]^(٣) زال إدارة الحكاية بها ، فدخل بذلك في حد [المتمكنات ، وخرج]^(٤) من باب الأصوات .

وكذلك العدد إذا أردت به معدوداً ، ولم ترد به العدد وحده من دون المعدود ، أعربت ، كقولك^(٥) : ثمانية ضعف أربعة ، وسبعة أكثر من أربعة بثلاثة ، فأعربت هذه الأسماء ولم تصرفها لاجتماع التأنيث والتعريف فيها ، ألا ترى أن^(٦) (ثلاثة) عدد معروف القدر ، وأنه أكثر من اثنين بواحد ، وكذلك سائر الأعداد^(٧) .

(١) سر صناعة الإعراب ٢/ ٧٨٢ ، وانظر : معاني القرآن للأخفش ١/ ١٦٨ ، ومعاني القرآن للزجاج ١/ ٢١ ، والأصول في النحو لابن السراج ٢/ ١٣٩ .

(٢) غير واضح في (ب) . (المتمكن) هو الاسم الذي يتغير آخره بتغير العوامل ، ولم يشبه الحرف ، انظر : معجم المصطلحات النحوية ٢١٣ .

(٣) ما بين المعقوفين غير واضح في (ب) .

(٤) ما بين المعقوفين غير واضح في (ب) .

(٥) في (ب) : (كقوله) .

(٦) في (ج) : (أنك) .

(٧) سر صناعة الإعراب ٢/ ٧٨٣ ، وانظر : الكتاب ٣/ ٢٦٤-٢٦٦ ، والأصول في النحو ٢/ ١٣٩ .

وأنشدوا قول أبي النجم^(١) :

أقبلتُ من عند زيادٍ كالخريفِ تخطُّ رجلاي بخطِّ مختلفٍ
تكتبان في الطريقِ لامَ ألفٍ^(٢)

كأنه قال^(٣) : (لام ألف) إلا أنه ألقى حركة (الهمزة) على (الميم) للوزن ولم يعرب^(٤) .

قال أبو إسحاق^(٥) : وهذه الحروف ليست كالحروف^(٦) المتمكنة ، والأفعال المضارعة التي يجب لها الإعراب ، وإنما هي تقطيع الاسم المؤلف الذي لا يجب الإعراب إلا مع كماله^(٧) ، فقولك : (جعفر) لا يعرب منه حرف من دون تكميل الاسم .

(١) هو الفضل بن قدامة بن عجل ، كان ينزل الكوفة ، أحد رجّاز الإسلام المتقدمين من الطبقة التاسعة . انظر : الشعر والشعراء ٤٠٠ ، وطبقات فحول الشعراء ٧٣٧/٢ ، والخزانة ١٠٣/١ .

(٢) معنى الأبيات : كان لأبي النجم صديق يسقيه الخمر ، فينصرف من عنده ثملاً . لا يملك نفسه ، كالخرف وهو الذي فسد عقله من الكبر ، وكان يتهايل فتخط رجلاه في الطريق ما يشبه : لام ألف ، أو أنه تارة يمشي معوجاً فتخط رجلاه ما يشبه : اللام ، وتارة يمشي مستقيماً فتخط رجلاه خطاً مستقيماً يشبه الألف . والأبيات في ديوان أبي النجم ١٤١ ، وهي عند أبي عبيدة في المجاز ٢٨/١ ، والمبرد في المقتضب ٢٣٧/١ ، والزجاج في معاني القرآن ٢٢/١ ، والمخصص ٩٥/١٤ ، ٥٣/١٧ ، وسر صناعة الإعراب ٦٥١/٢ ، والخزانة ٩٩-١٠٢ ، والبيت الثالث عند سيبويه ٢٦٦/٣ .

(٣) (قال) ساقط من (ج) .

(٤) في (ب) : (يعرف) . أي إنها ساكنة ، لم يجر عليها الإعراب ، وعلى هذا استشهد بها سيبويه ، ومكان إيراد هذه الأبيات بعد ذكر وجه البناء ، كما هو عند سيبويه والزجاج وغيرهما . ولابن جني توجيه آخر للأبيات غير ما ذكر ، رده البغدادى في الخزانة ، انظر : سر صناعة الإعراب ٦٥٢/٢ ، والخزانة ٩٩/١ .

(٥) هو الزجاج ، انظر : معاني القرآن ٢٢/١ ، ونقل عنه بتصرف .

(٦) في معاني القرآن : « ... ليست تجرى مجرى الأسماء المتمكنة ، والأفعال المضارعة ... » . ٢٢/١ ، وفقوله هنا : (ليست كالحروف المتمكنة) لعلّه تصحيف .

(٧) في (ب) : (كمالها) ، وفي (ج) : (طاسما) .

فأما قول الشاعر :

كافاً وميمين وسيناً طاسماً^(١)

فإنما أعرب لأنه أجرى الحروف مجرى الأسماء . وقال يزيد بن الحكم^(٢) :

إذا اجتمعوا على ألفٍ وياءٍ^(٣) وواوٍ هاجَ بينهم جدالٌ^(٤)

فأعرب لأنه أدخل حرف العطف ، وجعلها في حكم الأسماء .

- (١) (ب) : (كاسماً) . الرجز استشهد به سيبويه ٣/ ٢٦٠ ، وابن الأنباري في المذكر والمؤث ٤٥٠ ، والزجاج في معاني القرآن ١/ ٢٣ ، والأزهري في التهذيب ١/ ٩١ ، وابن سيده في المخصص ١٧/ ٤٩ ، واللسان ١/ ١٦ . والشاهد عندهم أنه ذكر (طاسماً) وهي صفة (للسين) فذكره ، ولو أنه لجاز ذلك . واستشهد به ابن جني في سر صناعة الإعراب على أنه أعرب الحروف وأجراها مجرى الأسماء ، كما عند المؤلف هنا ٢/ ٧٨٢ . ولم ينسب البيت لأحد . ومعنى البيت : أنه يشبه آثار الديار بحروف الكتاب . والطاسم : الدارس . وقد روي (طامساً) ، انظر : الكتاب ٣/ ٢٦٠ ، مع هامش عبدالسلام هارون .
- (٢) هو يزيد بن الحكم بن أبي العاص الثقفي البصري ، من فصحاء الشعراء ، وفد على سليمان بن عبدالملك فوصله وأكرمه . وكان قد عُيِّنَ لأمرة فارس ، انظر : ترجمته في الجرح والتعديل ٤/ ٢٥٧ ، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٥١٩ ، والخزانة ١/ ١١٣ .
- (٣) في (ب) : (وباء) .
- (٤) أورده المبرد في المقتضب ١/ ٢٣٦ ، وقال : قال رجل من الأعراب يذمُّ النحويين إذ سمع خصومتهم ، فيه :

إذا اجتمعوا على ألفٍ وباءٍ وتاء هاجَ بينهم قتالٌ
وأورده في ٤/ ٤٣ ، وقافيته : (جدالٌ) ، وأورده الزجاج في المعاني ١/ ٢٣ ، ونصه :

إذا اجتمعوا على ألفٍ وواوٍ وياءٍ لاحَ بينهم جدالٌ

ونسبه إلى زيد بن الحكم ، وأورده ابن سيده في المخصص ١٤/ ٩٥ ، وابن جني في سر صناعة الإعراب ٢/ ٧٨٢ ، والبغدادى في الخزانة ١/ ١١٠ ، ١١٣ ، والبيت آخر ما نقله عن الزجاج بتصرف ، انظر : معاني القرآن ١/ ٢٢ ، ٢٣ .

ويجوز^(١) تأنيث هذه الحروف وتذكيرها ، فمن أثث فلمعنى [الكلمة . ومن ذكّر فلمعنى]^(٢) الحرف^(٣) . ولا محل لها من الإعراب لأنها حكايات وضعت على هذه الحروف ، ولم تجرى الأسماء المتمكنة ، ولا الأفعال المضارعة ، وإنما هي كقولهم : (غاق يا فتى) إذا حكوا صوت الغراب ، فهذه الحروف وإن كانت إشارات إلى معانٍ فلا موضع لها من الإعراب^(٤) .

ومن قال : إنها أسماء للسور^(٥) والقرآن ، قال : محلها رفع^(٦) ، كأنه قيل : هذه ألم ، كما تقول : هذا زيد ، أو يكون رفعاً على الابتداء ، وخبره ﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ ﴾ كما تقول^(٧) : زيد ذلك الرجل ، ويحتمل أن يكون رفعاً على أنه خبر مقدم ، كأنه قال : ذلك الكتاب الذي وعدتك^(٨) أن أنزله إليك^(٩) ﴿ آلم ﴾^(١٠) .

(١) في (ب) : (ويجوز) .

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ب) .

(٣) انظر : معاني القرآن للزجاج ٢٢ / ١ ، والمذكر والمؤنث لابن الأنباري ٤٤٩ ، ٤٥٠ ، المخصص ٤٩ / ١٧ .

(٤) انظر : الكتاب ٢٦٦ / ٣ ، والمقتضب ٢٣٦ - ٢٣٨ ، ومعاني القرآن للزجاج ٢٢ / ١ ، وسر صناعة الإعراب ٧٨١ / ٢ ، ٧٨٢ . قال السمين الحلبي : في إعراب الحروف المقطعة في أوائل السور ثلاثة أقوال ، إحداها : أنها أسماء حروف التهجي لا محل لها من الإعراب ، وهو أصحها ، والثاني : أنها معربة بمعنى أنها صالحة للإعراب ، وإنما فات شرط وهو التركيب ، وإليه مال الزمخشري ، والثالث : أنها موقوفة لا معربة ولا مبنية . الدر المصون ٧٩ / ١ .

(٥) في (ب) : (اسماً للسورة) و(ج) : (لسور) .

(٦) انظر : تفسير الطبري ٩٠ / ١ ، وابن عطية ٩٦ / ١ ، والبحر المحيط ١٤١ / ١ ، والبيان في غريب القرآن ٤٣ / ١ ، والقرطبي ١٥٧ / ١ ، والدر المصون ٨١ / ١ .

قال الزمخشري : «ومن لم يجعلها أسماء للسور لم يتصور أن تكون لها محل في مذهبه ، كما لا محل للجمل المتبداة للمفردات المعددة» . الكشف ١٠٧ / ١ ، ١٠٨ ، ونحوه قال الرازي ١٢ / ٢ .

(٧) في (أ) : (يقول) ، وأثبت ما في (ب) و(ج) ؛ لأنه أنسب للسياق .

(٨) في (ب) : (وعد بك) .

(٩) في (ج) : (عليك) .

(١٠) ذكر الواحد في بعض الأوجه في إعراب الحروف المقطعة في أوائل السور ، وهناك أوجه أخرى ، فقيل : =

فأما التفسير : فقد كثر اختلاف الناس في هذه الحروف المقطعة وأشباهاها في القرآن . فذهب قوم إلى أن الله لم يجعل لأحد سبيلاً إلى إدراك معانيها ، وأنها مما استأثر الله بعلمها ، فنحن نؤمن بظاهرها ، ونكل^(١) علمها إلى الله تعالى^(٢) . وعن الشعبي^(٣) أنه قال : لله في كل كتاب سرٌّ ، وسرُّه في القرآن حروف التهجي^(٤) . ومثل هذا روي عن أبي بكر الصديق وعلي^(٥) رضي الله عنهما .

= إنها في محل نصب بتقدير : أقرأ (ألم) ، وقيل : في موضع خفض بالقسم ، لقول ابن عباس : إنها قسم أقسم الله بها . انظر : ابن عطية ١ / ١٤١ ، والبحر المحيط ١ / ٣٥ ، والبيان في غريب القرآن ١ / ٤٣ ، والقرطبي ١ / ١٣٦ ، والدر المصون ١ / ٨١ .

(١) في (ب) : (وبكل) .

(٢) ذكره الثعلبي في الكشف ١ / ٣٧ / أ ، انظر : الطبري ١ / ٨٨ ، وتفسير أبي الليث ١ / ٨٧ . وذكره ابن عطية ، ونسبه إلى الشعبي وسفيان الثوري وجماعة من المحدثين ١ / ١٣٨ . وذكره في البحر المحيط ، ومال إليه ١ / ٣٥ ، والقرطبي ١ / ١٥٤ ، وقال : روي عن أبي بكر ، وعلي ، وابن كثير ١ / ٣٨ .

(٣) هو عامر بن شراحيل بن عبد ، تابعي شهر بالرواية والحفظ ، ولد ونشأ في الكوفة . والشعبي نسبة إلى (شعب) بطن من همدان ، مات سنة خمس ومائة ، وقيل : غير ذلك ، انظر : تاريخ بغداد ١٢ / ٢٢٧ ، وحلية الأولياء ٤ / ٣١٠ .

(٤) قال الواحدي في الوسيط ١ / ٢٥ ، وقال داود بن أبي هند : كنت أسأل الشعبي عن فواتح السور ، فقال : يا داود : إن لكل كتاب سرّاً ، وإن سر القرآن فواتح السور ، فدعها وسل عما سوى ذلك . وهذا اللفظ ذكره السيوطي في الدر وعزاه إلى ابن المنذر ، وأبي الشيخ بن حيان في التفسير ، الدر ١ / ٥٦ ، وذكره الطبري ولم يعزه إلى أحد ١ / ٨٨ ، وذكره أبو الليث عن الشعبي ١ / ٨٧ ، والزجاج في المعاني ١ / ١٩ ، وانظر : القرطبي ١ / ١٣٣ ، ١٣٤ . وقد روي عن الشعبي أنه فسرّها : بأنها من أسماء الله ، وأيضاً في الطبري ١ / ٨٧ ، وابن أبي حاتم في تفسيره ١ / ٣٣ ، وذكره الأزهري في التهذيب ١ / ٩٠ .

(٥) انظر : أقوالهم في تفسير الثعلبي ١ / ٤٠ / أ ، والقرطبي ١ / ١٣٤ ، وابن كثير ١ / ٣٨ . روي عن علي : أنها اسم الله الأعظم . انظر : تفسير أبي الليث ١ / ٨٧ ، وابن عطية ١ / ١٣٨ ، وابن كثير ١ / ٣٩ .

والأكثر من أهل التفسير تكلموا في معاني هذه الحروف ، واستنبطوا لها وجوهاً من التأويل^(١) ، وقالوا : لا يجوز أن يلغى شيء من كتاب الله تعالى ، لأنه قال : ﴿لِسَانِ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ [الشعراء : ١٩٥] .

فيروى عن ابن عباس في ﴿الْمَ﴾ ثلاثة أوجه^(٢) : أحدها : أن الله تعالى أقسم بهذه الحروف ، أن هذا الكتاب الذي أنزل على محمد ، الكتاب الذي عند الله ، لا شك فيه^(٣) .

وهذا الوجه من تفسير ابن عباس اختيار^(٤) الأخفش ، لأنه قال : أقسم الله تعالى بهذه الحروف لشرفها^(٥) وفضلها^(٦) ، لأنها^(٧) مباني كُتبه المنزلة بالألسنة^(٨) المختلفة ، ومباني أسماؤه الحسنی وصفاته العلی ، وأصول كلام الأمم ، بها يتعارفون ويذكرون الله - عز وجل - ويوحدونه ، فكأنه^(٩) أقسم بهذه الحروف أن القرآن كتابه وكلامه لا ريب فيه^(١٠) .

(١) انظر : الطبري ١/ ٨٦-٩٣ ، وابن عطية ١/ ١٤٠ ، والبحر المحيط ١/ ٣٥ ، والقرطبي ١/ ١٥٥ .

(٢) انظر : معاني القرآن للزجاج ١/ ١٩ ، ٢٠ ، تهذيب اللغة ١/ ٨٨ .

(٣) بهذا اللفظ ذكره الزجاج في معاني القرآن ١/ ١٩ ، والأزهري في تهذيب اللغة ١/ ٨٨ ، وأبو الليث ونسبه إلى الكلبي ١/ ٨٧ . وأخرج ابن جرير بسنده عن ابن عباس قال : هو قسم أقسم الله به ، وهو من أسماء الله ، وذكره السيوطي في الدر وعزاه إلى ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في الأسماء والصفات ، الدر ١/ ٥٤ ، وانظر : تفسير ابن عطية ١/ ١٣٨ ، وابن كثير ١/ ٣٩ ، وروي عن عكرمة أنها قسم ، انظر : الطبري ١/ ٢٠٧ ، وابن أبي حاتم ١/ ١٧٠ .

(٤) في (ب) : (اختاره) .

(٥) في (ب) : (وشرفها) .

(٦) في (ب) : (وفضلها) .

(٧) في (ب) : (أنها) .

(٨) في (ب) : (بالألسن) .

(٩) في (ب) : (وكأنه) .

(١٠) كلام الأخفش ذكره الثعلبي ١/ ٤٠ ، ولم أجده في معاني القرآن للأخفش .

الوجه الثاني : أن هذه الحروف وإن كانت متفرقة في النزول ، فإذا أُلِّفت ضرباً من التأليف كانت ^(١) اسماً لله ، وإن كنّا لا نقف على تأويلها ، (فألف ، لام ، را) ، و(حم) ، و(ن) ^(٢) اسمه : الرحمن ^(٣) . إلّا أنّنا لا نقف على كيفية نظمها . قال سعيد بن جبير ^(٤) : لو أحسن الناس تأليفها لعلموا ^(٥) اسم الله الأعظم ^(٦) .

الوجه الثالث عنه ^(٧) : ﴿الْم﴾ : أنا الله أعلم ، و﴿الر﴾ ^(٨) : أنا الله أرى ، و﴿الْمَص﴾ [الأعراف : ١] : أنا الله أعلم وأفصل ^(٩) ، و﴿الْمَر﴾ [الرعد : ١] : أنا الله أعلم وأرى ^(١٠) . وهذا الوجه اختيار الزّجاج . قال : المختار ما روي عن ابن

(١) في (ب) : (كان) .

(٢) في (ب) : (كألف لام حامي نون) .

(٣) في معاني القرآن للزّجاج : (الر) و(حم) و(نون) اسم للرحمن ، مقطع في اللفظ موصول في المعنى ، ٢٠ / ١ ، ونحوه في تهذيب اللغة ٨٨ / ١ ، وقد أخرج ابن جرير بسنده عن ابن عباس في قوله : (ألم) و(حم) و(ن) ، قال : اسم مقطع . وفي سنده (الباهلي) قال شاكر : لم أقف له على ترجمة . انظر : الطبري مع تحقيق شاكر ٢٠٧ / ١ ، وأخرجه ابن أبي حاتم ، وفي سنده الباهلي قال محققه : لم أقف له على ترجمة . تفسير ابن أبي حاتم مع الهامش ١٦٨ / ١ ، ورسالة دكتوراه . وذكره السيوطي في الدر ، وعزاه إلى ابن جرير ، وابن أبي حاتم وابن مردويه . وانظر : ابن عطية ١٣٨ / ١ .

(٤) هو سعيد بن جبير بن هشام الأسدي بالولاء ، كان من سادات التابعين علماً وفضلاً ورعاً وفقهاً ، قتله الحجاج سنة خمس وتسعين ، انظر : ترجمته في تذكرة الحفاظ ٧٦ / ١ ، وطبقات المفسرين للدوادري ١٨٨ / ١ .

(٥) في (ب) : (تعلموا) .

(٦) ذكره الثعلبي من دون سند ، ١ / ٤٠ ، وأبو حيان في البحر المحيط ٣٤ / ١ .

(٧) أي عن ابن عباس .

(٨) في (ب) : (الرا) .

(٩) في (ب) : (وأفضل) .

(١٠) ذكره الزّجاج بنصه ، إذ قال : والثالث عنه ، ثم ذكره ٢٠ / ١ ، وفي التهذيب : القول الثالث : (الم) معناه : أنا الله أعلم وأرى ٦٧٧ / ١٥ ، وأخرج ابن جرير بسنده عن ابن عباس : (الم) قال : أنا الله أعلم . الطبري ٨٨ / ١ ، وأخرجه ابن أبي حاتم بنحور رواية ابن جرير . قال المحقق : في سنده عطاء وشريك ، اختلطاً وساء حفظهما ، تفسير ابن أبي حاتم ٣٢ / ١ ، وأخرجه أبو جعفر النحاس في القطع والانتشاف ، قال : (الم) أنا الله أعلم . و(المر) قال : أنا الله أرى ، و(المص) قال : أنا الله أفصل (١١١) =

عباس وهو أن معنى : (الم) أنا الله أعلم ، وأن كل حرف منها له تفسير^(١) .
قال : والدليل على ذلك أن العرب تنطق بالحرف الواحد تدل به على الكلمة التي
هو^(٢) فيها ، وأنشد :

قُلْتُ لَهَا قَفِي فَقَالَتْ قَاف^(٣)

فنطق^(٤) - بقاف - فقط ، يريد قالت : أقف^(٥) . وقال الفرّاء : معنى هذه
الحروف [المقطعة في أوائل السور : أن هذه الحروف]^(٦) ذلك الكتاب الذي
وعدتك أن أنزله عليك ؛ لأن قوله : ﴿ سَفَرْتُكَ فَلَا تَسَى ﴾ [الأعلى : ٦] وعد من الله
تعالى أن ينزل عليه كتاباً ، فلما أنزل عليه القرآن ، قال : ﴿ أَلَمْ ذَلِكَ أَلَكِتَبْ ﴾
الذي وعدتك أن أقرئك فلا تنس ، فاكتفى من حروف (أ ، ب ، ت ، ث)
بـ ﴿ أَلَمْ ﴾ ، و﴿ أَلَمْ ﴾ ، وأشبه ذلك ؛ لأن هذه الحروف لما كانت موضوعة

وذكره السيوطي في الدر بمثل رواية ابن جرير وعزاه إلى وكيع وعبد بن حميد ، وابن جرير ، وابن
المنذر ، وابن أبي حاتم ، والنحاس ١ / ٥٤ .

(١) في المعاني : تفسيره ١ / ٢٤ .

(٢) (هو) ساقط من (ب) .

(٣) البيت بتمامه في المعاني :

قُلْنَا لَهَا قَفِي قَالَتْ : قَاف لا تحسبي أننا نسينا الإيلاف

معاني القرآن ١ / ٢٤ ، ومثله عند الطبري ١ / ٩٠ ، وكذا في الخصائص ١ / ٣٠ ، ٨٠ ، ٤٢٦ ،
٢ / ٣٦١ ، وهو في تأويل مشكل القرآن : وفيه (. . . قالت لي : قاف . . .) ، ٣٠٨ ، وورد في معاني
القرآن للفرّاء ٣ / ٧٥ ، واللسان (وقف) ٨ / ٤٨٩٨ ، والبحر المحيط ١ / ٣٥ . والرجز للوليد بن
عقبة ، خرج يريد عثمان بن عفان - رضي الله عنه - لما طلبه حين شهد عليه عنده أنه يشرب الخمر ،
فخرج الوليد مع بعض رفقته ، ونزل يسوق الإبل بهم ، ويرتجز بأبيات منها المذكورة هنا .

(٤) في (ج) : (تنطق) .

(٥) انظر : معاني القرآن للزجاج ١ / ٢٤ .

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من (ب) .

للكتاب معروفة ، كان الحرفان^(١) والثلاثة منها يدل على الجمع ، والعرب
تعبّر ببعض الشيء عن كله . كقوله تعالى : ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ﴾
[المرسلات : ٤٨] ، أي صلوا لا يصلون ، وقال : ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْت يَدَاكَ﴾ [الحج : ١٠٠]
وقال الشاعر :

لما رأيتُ أنّها في حُطّي أخذتُ منها بقرونٍ شُمطٍ^(٢)
فعبّر بلفظة (حطّي) عن حروف (أبجد)^(٣) . وهذا القول اختيار الحسن^(٤) بن
محمد بن نصر الجرجاني^(٥) ، فإنه قال : ﴿آلَمَ﴾ مبتدأ مُرصد لخبر^(٦) ، أو لأن يبنى

(١) في (ج) : (الجرفان) بالجيم .

(٢) الأبيات لبعض بني أسد ، وسماه بعضهم بأبي القهاقم الأسدي ، يتحدث عن امرأة لا يرضى خلقها ،
حاول إصلاحها فلم تنقله ، كأنها تستمر في أول تعلمها كالصبي الذي لا يعدو في تعلمه حروف
الهجاء . و(القرون الشمط) هي خصل الشعر المختلط فيه السواد والبياض . والأبيات عند الفراء :
لما رأيتُ أمرها في حُطّي وفنككت في كذب ولط
أخذتُ منها بقرونٍ شُمطٍ ولم يزل ضربي لها ومُعطي
حتى علا الرأس دم يُعطي

معاني القرآن للفراء ١/ ٣٦٩ ، وذكر منها في تأويل مشكل القرآن البيتين اللذين ذكرهما الواحدي ٣٠ ،
وكذا الثعلبي ١/ ٤١ ، وذكر الطبري الأبيات مثل ما عند الفراء مع اختلاف يسير ١/ ٨٩ ، ووردت في
كنز الحفاظ في كتاب تهذيب الألفاظ ٤٤٧ ، وأمالى القالي ٢/ ٢٠٠ ، وتفسير السجاوندي ٢٤ .

(٣) الكلام الذي نسبته إلى الفراء لم أجده بهذا النص في معاني القرآن ، وللفراء كلام بمعناه ١/ ٣٦٨ ،
٢/ ٣ ، وذكر الثعلبي قريباً مما ذكر الواحدي هنا ، قال بعده : هذا قول المبرد وجماعة من أهل المعاني .
الثعلبي ١/ ٤٠ ب ، ٤١ أ ، وذكر الواحدي في الوسيط نحو الكلام الذي نسبته إلى الفراء ، وعزاه
إلى ابن الأنباري . انظر : الوسيط ١/ ٢٦ .

(٤) في (ب) : (الحسين) .

(٥) هو الحسن بن محمد أو ابن يحيى بن نصر الجرجاني ، أبو علي ، صاحب نظم القرآن ، نقل عنه الواحدي
كثيراً ، انظر : ما تقدم في مصادر الواحدي في تفسيره .

(٦) في (ب) : (بخير) .

عليه خبر؛ أي إن هذه الحروف التي منها (الم) الكتاب الذي^(١) وعدتك إنزاله عليك، فتكون هذه الحروف الثلاثة اسماً لجميع الحروف المعجمة، كما يستدل ببعض الشيء على كله، يقول الرجل: قرأت (نون) و(صاد) و(حم)^(٢) وهو لا يريد^(٣) هذه الحروف بعينها، وإنما يريد كل ما اتصل به مما^(٤) بعده.

ومنه قول النبي ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله»^(٥) وقد كان ﷺ يقاتل اليهود والنصارى، وهم يقولون: لا إله إلا الله، [وهو أراد (لا إله إلا الله)]^(٦) وما اتصل بها من أسبابها، فجعل (لا إله إلا الله) اسماً لجميع الإيمان.

(١) في (ب): (التي).

(٢) في (ب): (ص) و(حم) و(نون).

(٣) في (ب): (لا يريد به).

(٤) (مما) ساقط من (ب).

(٥) الحديث بلفظ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله...». الحديث عن أبي هريرة. قال السيوطي: متواتر، فيض القدير ٢/٢٣٨، وكذا قال الألباني، انظر: الأحاديث الصحيحة ١/٦٩١-٤٠٧. والحديث أخرجه البخاري ١٣٩٩، وكتاب الزكاة، باب: وجوب الزكاة، الفتح ٣/٢٦٢، وكتاب استتابة المرتدين، باب (قتل من أبى قبول الفرائض) ١٢/٢٧٥، وكتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ ١٣/٢٥٠، ومسلم، ٢٠، ٢١، كتاب الإيمان، باب: الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، وأبو داود ١٥٥٦، وكتاب الزكاة، والترمذي ٢٦٠٧، وكتاب الإيمان، باب: أمرت أن أقاتل الناس...، والنسائي ١٤/٥، وكتاب الزكاة، باب: مانع الزكاة. وأحمد في المسند ١/١٩، ٣٥، ٤٨، ٢/٤٢٣، ٥٢٨. والأحاديث بنحو لفظه كثيرة عن ابن عمر وأنس وغيرهم.

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

وعلى هذا قوله : ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ مبتدأ ثان ، و﴿ اَلْكِتَابِ ﴾^(١) خبره ، وهما جميعاً خبر للمبتدأ الأول^(٢) ؛ لأنها صاراً قصةً وشأناً ، مثل قولك : (زيد أبوه قائم) ، و(عمرو وجهه حسن) .

وزعم قطرب^(٣) : أن هذه الحروف المقطعة ذكرت في القرآن ؛ لتدل على أن هذا القرآن المؤلف من هذه الحروف المقطعة التي هي مقدورة للمشركين في تخاطبهم ، فلو لا أنه من عند الله نزل وأنه معجز في نفسه ، وإلا وهلا جئتم بمثله لأنكم^(٤) متمكنون من المخاطبة بهذه الحروف .^(٥)

وحكي عنه -أيضاً- قول آخر ، وهو أنه قال^(٦) : يجوز أن يكون لما لغا القوم في القرآن فلم يفهموه^(٧) ، حين قالوا : ﴿ لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ ﴾^(٨) [فصلت ٢٦] أنزل الله سبحانه هذه الحروف المقطعة ، ولم تجر لهم عادة بسماع مثلها حتى إذا سكتوا واستمعوا إلى ذلك ، هجم القرآن أسماعهم وقرع^(٩) المعاني

(١) في (ج) : (بالكتاب) .

(٢) انظر : تفسير الثعلبي ١/ ٤٢ ب ، مشكل إعراب القرآن ١/ ١٦ ، وابن عطية ١/ ١٤٣ ، والبحر ١/ ٣٦ .

(٣) هو محمد بن المستنير المعروف بـ (قطرب) أحد العلماء المشهورين بالنحو واللغة ، أخذ عن سيبويه ، مات سنة ست ومئتان . انظر : ترجمته في طبقات النحويين واللغويين ٩٩ ، وتاريخ بغداد ٣/ ٢٩٨ ، ومعجم الأدباء ١٩/ ٥٢ ، وإنباه الرواة ٣/ ٢١٩ ، والمزهر ٢/ ٤٠٥ .

(٤) في (ب) : (وأنتم) .

(٥) ذكر المؤلف قول قطرب بمعناه ، وتصرفه في اللفظ أخل به ، انظر : نص قوله في معاني القرآن للزجاج ١/ ١٩ ، وتهذيب اللغة ١/ ٨٩ ، واللسان ١/ ١٥ .

(٦) قال ساقط من (ب) .

(٧) في (ب) : (يتفهموا) .

(٨) في (ب) : (القول) تصحيف في الآية .

(٩) في (ب) : (وقرعت) .

آذانهم ، فيكون في إنزال هذه الحروف^(١) المقطعة نوع من المبالغة في الدعوة وتأکید^(٢) للحجة عليهم^(٣) .

ويروى عن الحسن أنه قال : ﴿الْمَ﴾ وسائر حروف التهجي في القرآن أسماء للصور^(٤) .

فعلى هذا إذا قال القائل^(٥) : قرأت (المص) عرف السامع أنه قرأ السورة المخصوصة التي افتتحت بـ (المص) ، كما أنه إذا قال : لقيت عمراً ، علم السامع أنه يريد شخصاً معلوماً عنده .

ويجوز أن يكون ﴿الْمَ﴾ اسماً للسورة المفتحة بها ، ثم لا تعرف تلك السورة بعينها ما لم يقرن بـ ﴿الْمَ﴾ لفظ آخر ، فيقال : سورة ﴿الْمَ﴾^(٦) ذَلِكَ ﴿﴾ ، وسورة (الم الله)^(٦) ؛ لأنه وقع الاشتراك ، ولا يمنع احتياجهم^(٧) إلى ذكر القرينة أن يكون ذلك اسماً له في الأصل . ألا ترى أنه إذا قال : رأيت زيداً ، والسامع عرف^(٨)

(١) هذا آخر وجه (أ) من لوحة ٣٩ في نسخة (ب) . وفي أسفل الصفحة في الهامش كتب بخط مختلف : (هذا آخر الاختلاف وليس في هذه النسخة غيره) .

(٢) في (ب) (وتأکیداً) .

(٣) انظر : نص كلام قطرب في معاني القرآن للزجاج ٢٤ / ١ ، وتهذيب اللغة ٨٩ / ١ ، واللسان ١١ / ١ ، وتفسير أبي الليث ٨٧ / ١ ، وذكره الطبري ولم يعزه ، ٨٩ / ١ ، وذكره الرازي ونسبه إلى ابن روق وقطرب ٦ / ٢ ، ومال إليه ، ١١ / ٢ .

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط ٢٦ / ١ ، وأبو حيان في البحر ٣٤ / ١ ، وأورد الطبري هذا القول ونسبه إلى زيد بن أسلم ٢٠٦ / ١ ، وكذا الثعلبي ٤٠ / ١ ، وابن عطية ١٣٨ / ١ ، وابن الجوزي في زاد المسير ٢١ / ١ ، وأبو حيان في البحر ٣٤ / ١ ، والسيوطي في الدر ٥٥ / ١ .

(٥) نقل عن الطبري بتصرف ، انظر : الطبري ٩٠ / ١ .

(٦) عند الطبري : « . . . قرأت (الم البقرة) . وفي آل عمران : قرأت (الم آل عمران) و(الم ذلك الكتاب) و(الم الله لا إله إلا هو الحي القيوم) » ، الطبري ٩٠ / ١ .

(٧) في (ب) : (احتاجهم) .

(٨) (عرف) ساقط من (ب) .

رجلين اسمهما زيد ، فيقول : أيها^(١) زيد ؟ فيقول : الأزدي أو^(٢) التيمي^(٣) .
فلا يمنع هذا أن يكون (زيد) اسماً^(٤) في الأصل لذلك الشخص ، وإن^(٥) لم يحصل
به التمييز حتى ذكر معه النسبة^(٦) عند وقوع الاشتراك ، ويجوز تسمية الشيء
ببعضه ، أو بما هو من جملة معناه ، كالقصاصد التي تُسمى بما افتتحت به ، كقولهم :
(لخولة أطلال) ، و(قفا نبك) ، و(أما صحا)^(٧) .

وقول الحسن^(٨) هذا مختار عند النحويين ، من قبل أن الأسماء الأعلام
منقولة عن معانيها للفرقة بين المسميات^(٩) ، ونقلت هاهنا حروف المعجم إلى
التسمية . وقد جاء نظير ذلك^(١٠) في أسماء العرب ، قالوا : (أوس بن حارثة بن
لأم الطائي)^(١١) .

(١) في (ب) : (أبا) .

(٢) في (ب) : (و) .

(٣) انظر : الطبري ٩٠ / ١ ، وانظر : تأويل المشكل لابن قتيبة : ص ٣٠٠ .

(٤) في (ب) : (زيدا في الأصل) .

(٥) في (ب) : (فإن) .

(٦) في (ب) : (التشبه) .

(٧) قوله : (لخولة أطلال) مطلع معلقة طرفة بن العبد . انظر : شرح القصائد المشهورات للنحاس :
(٥٣) . و(قفا نبك) مطلع معلقة امرئ القيس . انظر : شرح القصائد ٣ . وقوله : (أما صحا) لم أعثر
عليه في ما قرأت .

(٨) وهو أن الحروف المقطعة أسماء للسور ، وهذا القول نسبته أكثر المفسرين إلى عبد الرحمن بن زيد بن
أسلم عن أبيه . انظر : ما سبق ٣٨٩ .

(٩) انظر : شرح المفصل ٢٩ / ١ .

(١٠) في (ب) : (ذاك) .

(١١) ذكره ابن دريد قال : أوس بن حارثة بن لأم ، رأس طيء ، عاش مئتي سنة . وفسر (لأم) فقال :
(اللأم) السهم المريش إذا استوت قذذه . الاشتقاق ٣٨٢ ، ٣٨٣ . وانظر : مادة (لأم) في اللسان
٣٩٧٦ / ٧ ، والقاموس ١١٥٦ . وقد أورد الواحدي الاسم على أن المراد (لام) الحرف ، نقل فأصبح
علماً على اسم معين ، وعلى ما ذكر ابن دريد لا شاهد فيه للواحد .

ولا خلاف بينهم أن لك أن تسمى بحروف المعجم كما أن لك أن تسمى بالجميل^(١) كقولهم^(٢): (تأبط شراً^(٣))، و(ذرّى حبّاً^(٤))، قال الشاعر:

إن لها لركباً^(٥) إرزباً^(٦) كأنه جبهة ذرّى حبّاً^(٧)

فكل^(٨) كلمة لم تكن على معنى الأصل فهي منقولة إلى التسمية للفرق، فمن ذلك (زيد^(٩)) لما لم يرد به معنى الزيادة، لم يكن إلا منقولاً^(١٠). وكذلك جميع الأسماء الأعلام، ولو سميت رجلاً: (ب ت ث)، [لقلت: (هذا ب ت ث)]^(١١)، ورأيت: (ب ت ث) فحكيت هذا القول كان جائزاً.

(١) تحكى الجملة على حالها فتصبح علماً للمسمى، انظر: الكتاب ٣/٣٢٦، والمقتضب ٩/٤، وشرح المفصل ٢٨/١.

(٢) في (ب): (كقولك).

(٣) في (ب): (سابط).

قيل: سمي بذلك لأنه تأبط حية. انظر: شرح المفصل ٢٨/١.

(٤) في (ب): (وروا حباً). وذرّى حباً: اسم رجل. انظر: الكتاب ٣/٣٢٦، والمقتضب ٩/٤، وشرح المفصل ٢٨/١، واللسان (حب) ٢٩٦/١.

(٥) في (ب): (الركبا).

(٦) في (ج): (اردبا).

(٧) نسبه سيبويه إلى رجل من بني طهية. يروى (مركبا) و(مركنا) وهو منبت المعانة. و(الإرذب): الضخم، شبهه بجبهة ذلك الرجل المسمى (ذرّى حباً). ورد البيت في الكتاب ٣/٣٢٦، والمقتضب ٩/٤، ومعجم مقاييس اللغة ٢/٣٩١، واللسان (حب) ٢/٧٤٦، و(رذب) ٣/١٦٣٤، وشرح المفصل ٢٨/١.

(٨) في (ب): (كل).

(٩) (زيد) ساقط من (ب).

(١٠) انظر: شرح المفصل ١/٣٠.

(١١) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

وقال أبو العالية: «ليس منها حرف إلا وهو مفتاح اسم من أسماء الله عز وجل، وليس منها حرف إلا وهو في آلائه وبلائه، وليس منها حرف إلا وهو في مدة قوم وآجال آخرين»^(١).

فالاختلاف في هذه الحروف كما ترى، وقد ذكرت عيون أقاويل أهل^(٢) التأويل. وليس يبعد أن يقال: إن جميع ما ذكر من هذه التأويلات كلها مرادة بهذه الحروف مودعة فيها، ولا تنافي في هذه الأقوال؛ لأنه ليس كون هذه الحروف مفاتيح أسماء الله تعالى بمانع أن تكون^(٣) مما^(٤) أقسم الله بها، ولا أن يشير بها إلى مدة قوم وآجال أناس عرف الله نبيه - عليه السلام - ذلك على الخصوص^(٥).

(١) بهذا النص ذكره الثعلبي في تفسيره من دون نسبة، ١/ ٤٠ أ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره بسنده عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية: في قوله: (الم) قال: «هذه الأحرف الثلاثة من التسعة والعشرين حرفاً، دارت فيها الألسن كلها. ليس منها حرف... إلخ» الأثر كما عند المؤلف هنا. قال المحقق: رجال هذا الإسناد يحتج بروايتهم، لكن أبا العالية يرسل كثيراً، ورواية أبي جعفر الرازي عن أنس مضطربة، والمتن في بعض ألفاظه نكارة. تفسير ابن أبي حاتم ١/ ١٦٨، و(رسالة دكتوراه). وأخرجه ابن جرير بسنده عن الربيع بن أنس، باللفظ نفسه ١/ ٨٨، وذكره ابن كثير في تفسيره عن أبي العالية، وتكلم فيه من جهة معناه ابن كثير ١/ ٤١، وذكره السيوطي في الدر: ١/ ٥٦، وعزاه إلى ابن جرير وابن أبي حاتم، وذكره أبو حيان في البحر المحيط ١/ ٣٤.

(٢) في (ب): (هذا).

(٣) في (ب): (يكون).

(٤) في (ب): (ما).

(٥) وإلى نحو هذا مال ابن جرير إذ قال: «والصواب من القول عندي في تأويل مفاتيح السور، التي هي حروف المعجم، أن الله - جل ثناؤه - جعلها حروفاً مقطعة، ولم يصل بعضها ببعض - فيجعلها كسائر الكلام المتصل الحروف؛ لأنه - عز ذكره - أراد بلفظه الدلالة بكل حرف منه على معان كثيرة، لا على معنى واحد، كما قال الربيع بن أنس، وإن كان الربيع قد اقتصر به على معان ثلاثة، دون ما زاد عليها. والصواب في تأويل ذلك عندي: أن كل حرف منه يحوي ما قاله الربيع، وما قاله سائر المفسرين غيره فيه... إلخ». واستثنى بعض الأقوال لضعفها. انظر: الطبري ١/ ٩٣، وانظر: تأويل المشكل لابن قتيبة ٢٩٩، ٣٠٠، وقد ذكر ابن كثير كلام الطبري، ولم يرضه، ثم ذكر أقوالاً أخرى، وبين ضعفها ثم قال: وقال آخرون: بل إنها ذكرت هذه الحروف في أوائل السور التي ذكرت فيها بياناً لإعجاز القرآن وأن الخلق عاجزون عن معارضته بمثله، هذا مع أنه مركب من هذه الحروف =

فإن قيل : كيف كتبوا في المصحف هذه الحروف موصولة ، والهجاء منقطع لا يتصل بعضه ببعض ؟ قلنا : لأنه لم يقصد به الهجاء ، إنما هي حروف اجتمعت يراد بكل حرف منها معنى ، فهي وإن كانت في صورة الهجاء فإن تحتها معاني ، فكانت من هذا الوجه في معنى الكلمات الموصولة^(١) .

فإن قيل : فلم قطعت ﴿ حَمَّ ① عَسَقَ ﴾ ولم تقطع ﴿ كَهَيْعَصَ ﴾ . قلنا : لأن (حم) قد ذكرت في أوائل سور أخرى ، فقطعت مما^(٢) بعدها ؛ لأن هذه السور كغيرها^(٣) مما افتتح بـ (حم)^(٤) . هذا هو الكلام في الحروف المقطعة في هذه السورة^(٥) ، فأما في سائر السور فسنأتي على بيانها إن شاء الله .

٢ . وقوله تعالى : ﴿ ذَلِكَ أَنْكِتَبُ ﴾ . قال أبو الهيثم^(٦) : (ذا) اسم كل مشار إليه يراه المتكلم والمخاطب ، مثل قولك : ذا الرجل ، وذا الفرس ،

المقطعة التي يتخاطبون بها ، وقد حكى هذا المذهب الرازي في تفسيره عن المبرّد وجمع من المحققين ، وحكى القرطبي عن الفراء وقطرب نحو هذا ، وقرره الزمخشري في كشافه ونصره أتم نصر ، وإليه ذهب الشيخ الإمام العلامة أبو العباس بن تيمية ، وشيخنا الحافظ المجتهد أبو الحجاج المزي ، وحكاه لي عن ابن تيمية ابن كثير ٤٠ / ١ .

(١) هذا السؤال والإجابة عنه ذكره ابن الأنباري في إيضاح الوقف والابتداء : (٤٧٩) ، وانظر : القطع والائتناف للنحاس ١٠٩ ، والبرهان في علوم القرآن ١ / ٤٣١ .

(٢) في (ب) : (ما) .

(٣) في (ب) : (لغيرها) .

(٤) ذكره ابن الأنباري في إيضاح الوقف والابتداء : (٤٧٩) ، والنحاس في القطع والائتناف ١٠٩ ، والزركشي في البرهان ١ / ٤٣١ .

(٥) أي في سورة (البقرة الم) .

(٦) قول أبي الهيثم ذكره الأزهرى في التهذيب في مواضع متعددة ، أخذ الواحدى منه باختصار وجمعه مع بعضه . قال الأزهرى : «أخبرني المنذري عن أبي الهيثم أنه قال : ذا اسم كل مشار إليه . . .» . التهذيب (ذا) ٢ / ١٢٥٨ .

فإذا^(١) بعد المشار إليه زادوا (كافاً) فقالوا: ذاك^(٢) الرجل، وهذه (الكاف) ليست في موضع نصب ولا خفض^(٣) ولا رفع، إنما أشبهت كاف (أخاك) و(عصاك) فتوهم السامع أنها في موضع خفض^(٤)، فلما دخل فيها هذا اللبس زادوا (لاماً) فقالوا: ذلك أخوك^(٥)، فإن اللام إذا دخلت ذهبت بمعنى الإضافة. و(ذا) مبني^(٦)، نصبه وخفضه ورفعها سواء؛ لأن فيه معنى الإشارة إلى معرفة، فكأنه قد تضمن معنى من الحروف^(٧). وهذا الذي ذكره أبو الهيثم في (ذلك)

(١) قال الأزهري: «قال أبو الهيثم في ما أخبرني عنه المنذري: إذا بُدِ المشار إليه من المخاطب، وكان المخاطب بعيداً من يشار إليه، (زادوا) (كافاً) فقالوا: ذاك أخوك». التهذيب تفسير (ذاك) وذلك ١٢٥٨/٢.

(٢) في (ج): (ذلك).

(٣) في التهذيب: «ليست في موضع خفض ولا نصب، إنما أشبهت»، ١٢٥٨/٢.

(٤) في التهذيب: «فتوهم السامعون أن قول القائل: ذاك أخوك كأنها في موضع خفض لإشباهاها (كاف) (أخاك). وليس ذلك كذلك، إنما تلك (كاف) ضمت إلى (ذا) لبعدها (ذا) من المخاطب، فلما دخل»، التهذيب ١٢٥٨/٢.

(٥) في التهذيب: (وفي الجماعة: أولئك إخوانك). مراتب المشار إليه عند بعضهم اثنتان: الأولى: القريب ويشار لها بذا.

الثانية: البعدى سواء كان البعد قليلاً أم كثيراً، ويشار لها بذاك. وعلى هذا الرأي زيدت اللام لرفع اللبس، كما ذكر الواحدي، أو لتأكيد بعد المشار إليه. أما عند الجمهور فمراتب المشار إليه ثلاث: قريب يشار له بذا، ومتوسط يشار له بذاك، وبعيد يشار له بذلك، وعلى هذا: اللام لبعدها المشار إليه، وليست لرفع اللبس. انظر: حاشية الصبان ١/١٣٩، ١٤٢.

(٦) في (ب): (مبين).

(٧) هذا الكلام عن أبي الهيثم بمعناه، التهذيب ١٢٥٨/٢.

إجماع من النحويين^(١). وقال الزَّجَّاج^(٢): كسرت (اللام) في (ذلك) لالتقاء الساكنين^(٣)، قال: ولم يذكر الكوفيون كسرة هذه (اللام).

قال أبو الفتح الموصلي^(٤):

اللام قد تزداد في الكلمة مبنية^(٥) معها، غير مفارقة لها، كقولهم: ذلك وألالك^(٦)، وهنالك وعبدل^(٧)، وزيدل^(٨)، وفيشلة^(٩). والذي يدل على زيادة اللام في هذه الحروف قولهم: ذاك^(١٠) بمعنى: ذلك، وأولئك بمعنى:

- (١) انظر: التهذيب، إذ نقل الأزهري عن بعض الأئمة ١٢٥٨/٢-١٢٥٩، وانظر: معاني القرآن للزَّجَّاج ٣٠/١.
- (٢) قول الزَّجَّاج في معاني القرآن ٣١/١، وإلا قوله: (قال: ولم يذكر الكوفيون... إلخ)، ونقله الأزهري في التهذيب ٣٤/١٥، ٣٥.
- (٣) المراد بالساكنين: (الألف) من (ذا) واللام التي بعدها. انظر: المعاني للزَّجَّاج ٣١/١.
- (٤) كلام أبي الفتح في سر صناعة الإعراب ٣٢١/١، وقد تصرف المؤلف فيه، ونقله بالمعنى مع الاختصار. قال أبو الفتح: «وإذا كانت اللام زائدة فهي على ضربين: أحدهما: أن تزداد في الكلمة مبنية معها غير مفارقة لها، والآخر أن تزداد فيها لمعنى، ولا تكون من صيغة الكلمة...».
- (٥) في (ب): (مبينة).
- (٦) كذا في (أ) و(ب) و(ج): (إلالك)، وفي سر صناعة الإعراب (أولالك) ٣٢١/١. وهذا هو الصواب، ولعل ما أثبت في النسخ اختلاف في الرسم.
- (٧) في (ب): (عندك).
- (٨) في (ب): (زيدك).
- (٩) في (ج): (فشيله). في اللسان: (الفيشلة) كالفيشة، واللام فيها عند بعضهم زائدة، وقيل اللام أصل. والفيشة: أعلى الهامة، أو الكمرة، أو الذكر المتنفخ. اللسان (فيش) ٣٤٩٩/٦.
- (١٠) في (ب): (ذلك).

ألا لك^(١)، وهناك بمعنى : هنالك، ومعنى عبدل كمعنى عبد^(٢)، ومعنى : زيدل كمعنى : زيد^(٣)، ومعنى : فيشلة كمعنى^(٤) : فيشة^(٥).

وأما^(٦) (الكاف) فهي في (ذاك)، و(ذلك)، و(تلك)، و(تانك)^(٧)، و(ذانك)، و(أولئك) حرف يفيد الخطاب، وليست باسم^(٨). والدليل^(٩) على ذلك ثبوت النون [في (ذانك، وتانك) ولو كانت اسماً لوجب حذف النون]^(١٠) قبلها، وجرها بالإضافة، كما تقول : غلامك وصاحبك.

والعرب قد تزيد (الكاف) للخطاب كقولهم : (النجاءك)؛ أي انج، ولو كانت^(١١) (الكاف) اسماً لما جازت إضافة ما فيه (الألف واللام) إليهما^(١٢)، وكذلك قولهم : أبصرك زيدا. ولا يجوز أن تكون (الكاف) اسماً؛ لأن هذا الفعل

-
- (١) كذا في (أ)، و(ب) و(ج) : من دون تشكيل، وفي سر صناعة الإعراب : (أولاً لك) وهو الصواب، وانظر : التعليق في الصفحة قبلها.
- (٢) في (ب) : (ومعنى عندك كمعنى عند).
- (٣) في (ب) : (ومعنى زيد كمعنى زيدك).
- (٤) في (ب) : (بمعنى).
- (٥) انظر : سر صناعة الإعراب ١/ ٣٢٢، و(معنى الفيشة) مر قريباً.
- (٦) الكلام عن (الكاف) أخذه المؤلف عن أبي الفتح من موضع آخر ١/ ٣٠٩ بتصرف واختصار.
- (٧) في (ب) : (تاتك).
- (٨) انظر : الأصول في النحو ٢/ ١٢٧.
- (٩) سر صناعة الإعراب ١/ ٣١٠.
- (١٠) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).
- (١١) سر صناعة الإعراب ١/ ٣٠٩، ٣١٠.
- (١٢) انظر : الكتاب ١/ ٢٤٥.

لا يتعدى إلى ضمير المأمور^(١)، ألا ترى أنك لا تقول: أضربك، ولا أقتلك، إذا أمرته بضرب نفسه وقتله إياها^(٢).

وزاد غيره بياناً، فقال: (الكاف) في (ذلك) حرف، وفي (غلامك) وأشباهه اسم، الدليل على هذا أنك تؤكد (الكاف) في غلامك، كما تؤكد الاسم، فتقول: جاءني غلامك نفسك، ولا تؤكد (الكاف) في ذلك، فلا يجوز أن تقول: ذلك نفسك، على معنى تأكيد (الكاف) بالنفس^(٣).

قوله تعالى: ﴿الْكُتُبُ﴾ يقال: كتب يكتب كتاباً وكتباً وكتابةً. و(الكتاب) أيضاً اسم لما كتب، وهو من باب تسمية المفعول بالمصدر، وهو كثير^(٤). وأصل (الكتب) في اللغة جمعك بين الشئين، يقال: اكتب بغلتك، وهو أن يضم بين شفرهما بحلقة^(٥)، ومن ذلك سميت (الكتيبة) لأنها تكتب وتكتب واجتمعت^(٦). ويقال: كتبت السقاء أكتبه كتباً إذا خرزته^(٧). وهي الكتبة وجمعها كُتَب للخروز^(٨). ومنه قيل: كتبت الكتاب؛ لأنه يجمع حرفاً إلى حرف^(٩).

(١) عند أبي الفتح: لا يجوز أن تكون (الكاف) اسماً لأن هذا الفعل لا يتعدى إلى ضمير المأمور به... ٣١١/١.

(٢) انظر: كلام أبي الفتح ٣١٠/١، ٣١١.

(٣) ذكره سييويه في الكتاب ٢٤٥/١، انظر: معاني القرآن للزجاج ٣٠/١، وتهذيب اللغة (ذاك) ١٢٥٩/٢.

(٤) انظر: تهذيب اللغة للأزهري (كتب) ٣٠٩٧/٤، ومعجم مقاييس اللغة (كتب) ١٥٨/٥، والكشف للثعلبي ١/٤٢/ب.

(٥) في (ب): (حلقة).

(٦) في (ب): (فاجتمعت). ذكره الأزهري عن شمر، تهذيب اللغة ٣٠٩٧/٤.

(٧) في (ب): (جررته). ذكره الأزهري عن أبي عبيد عن أبي زيد. التهذيب (كتب) ٢٠٧٩/٢.

(٨) في (ب): (للخزور). الأزهري عن الليث، التهذيب ٢٠٧٩/٢.

(٩) الأزهري عن شمر، ٢٠٧٩/٢.

فأما التفسير فقوله ^(١): ﴿ذَلِكَ﴾ يجوز أن يكون بمعنى : (هذا) عند كثير من المفسرين وأهل المعاني ^(٢). قال الفرّاء : وإنما يجوز (ذلك) بمعنى : (هذا) لما مضى ، وقرب وقت تقضيه ، أو تقضي ذكره ، فأما الموجود الحاضر ^(٣) فلا يقال فيه : (ذلك) ^(٤) ، مثاله أنك تقول ^(٥) : قد قدم فلان ، فيقول السامع : قد بلغنا ذلك ، وبلغنا هذا الخبر ، فصلحت فيه (هذا) ؛ لأنه قرب من جوابه ^(٦) ، فصار كالحاضر الذي تشير ^(٧) إليه ، وصلحت (ذلك) لانقضائه ، والمنقضي كالغائب ^(٨) .

وتقول : أنفقت ثلاثة وثلاثة ، فذلك ستة ، وإن شئت قلت : فهذا ستة ، وقد قال الله عز وجل : ﴿فَحَشَرَ فَنَادَى﴾ [النازعات: ٢٣] ، ثم قال : ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَى﴾ [النازعات: ٢٦] ، وقال : ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ﴾ ^(٩) [الأنبياء: ١٠٥] ، ثم قال : ﴿إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا﴾ [الأنبياء: ١٠٦] ^(١٠) .

(١) في (ب) : (وقوله) .

(٢) انظر : الطبري ٩٦ / ١ ، ومعاني القرآن للفرّاء ١٠ / ١ ، ومعاني القرآن للزجاج ٢٩ / ١ ، ونسب القول فيه إلى الأخفش وأبي عبيدة ، ومجاز القرآن ٢٨ / ١ ، وابن عطية ١٤١ / ١ .

(٣) الموجود الحاضر لا يقال فيه : (ذلك) ؛ لأنك تراه بعينه ، بل تشير إليه بهذا ، الدالة على الحاضر في الذهن . انظر : معاني القرآن للفرّاء ١١ / ١ .

(٤) في (ج) : (ذاك) .

(٥) في معاني القرآن للفرّاء : « يصلح (ذلك) من جهتين ، وتصلح فيه (هذا) من جهة ، فأما أحد الوجهين من (ذاك) فعلى معنى : هذه الحروف يا أحمد ، ذلك الكتاب الذي وعدتك أن أوحيه إليك . والآخر أن يكون (ذلك) على معنى يصلح فيه (هذا) ؛ لأن قوله : (هذا) و (ذلك) يصلحان في كل كلام ، إذا ذكر ثم أتبعته بأحدهما بالإخبار عنه . ألا ترى أنك تقول : قد قدم فلان . . . إلخ » ، ١٠ / ١ .

(٦) في (ب) : (حرکه) .

(٧) في (ب) : (يشير) .

(٨) وقال الفرّاء : « . . . ولو كان شيئاً قائماً يُرى لم يميز مكان (ذلك) ، (هذا) ولا مكان (هذا) ، (ذلك) . . . » معاني القرآن ١٠ / ١ ، وقد نقل الواحدي كلامه بتصرف .

(٩) في (ج) تصحيف في الآية (من بعد ما الذكر) .

(١٠) الكلام بنصبه في معاني القرآن للزجاج ٣٠ / ١ . وانظر : معاني القرآن للفرّاء ١١ / ١ .

وقال محمد بن جرير: أشار بقوله: ﴿ذَلِكَ﴾ إلى ما تقدم ومضى من قوله: ﴿آلَمْ﴾؛ لأن كل ما تقضى^(١) وقرب تقضيه من الأخبار فهو في حكم الحاضر، كالرجل يحدث الرجل الحديث، فيقول السامع: (إن ذلك لكما^(٢) قلت)، و(هذا والله كما قلت)، فيخبر مرة عنه بمعنى الغائب^(٣)، إذا كان قد تقضى، ومرة بالحاضر لقرب جوابه من كلامه، كأنه غير متقضى^(٤)، فكذلك لما ذكر الله سبحانه ذكرته ويثبت لك: الكتاب، [فحسن وضع (ذلك) في موضع (هذا)]^(٥). ورؤي عن ابن عباس أنه قال: معنى ذلك الكتاب^(٦) الذي أخبرتك أني أوحيه^(٧)

-
- (١) في (ب): (ما يقضى). في الطبري: (لأن كل ما تقضى بقرب تقضيه . . .)، وفي الحاشية في المطبوعة: (وقرب تقضيه) يريد: أن ذكر ما انقضى، وانقضاؤه قريب من إخبارك عنه. تفسير الطبري ٩٦/١.
- (٢) في (ب): (كما).
- (٣) أي إذا أشار إليه بـ (ذلك)، وبمعنى الحاضر إذا أشار إليه بـ (هذا).
- (٤) في (ب): (مقتضى)، وفي الطبري: (منقضى).
- (٥) تفسير الطبري ٩٦/١، وذكر المؤلف كلام الطبري يتصرف واختصار، واختار الطبري هذا القول وهو: أن (ذلك) بمعنى (هذا) ٩٦/١، ورجحه ابن كثير، وقال: ذكره ابن جريج عن ابن عباس، وهو قول مجاهد، وعكرمة، وسعيد بن جبير، والسدي، ومقاتل بن حيان، وزيد بن أسلم، وابن جريج. ٤٢/١.
- (٦) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).
- (٧) في (ب): (أوجه).

إليك^(١). وقال يمان بن رباب^(٢): ذلك^(٣) الكتاب الذي ذكرته في التوراة^(٤) والإنجيل^(٥).

وهذان القولان^(٦) متقاربان، الأول^(٧) اختيار ابن الانباري، والثاني^(٨) اختيار الزَّجَّاج^(٩). أما ابن الانباري فقال: إنما قال عز^(١٠) ذكره: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ﴾، فأشار إلى غائب؛ لأنه^(١١) أراد هذه الكلمات يا محمد: ذلك الكتاب الذي وعدتك أن أوحيه إليك، لأن الله تعالى لما أنزل على نبيه عليه السلام: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا

(١) ذكره الثعلبي عن أبي الضحى عن ابن عباس ٤٣/١ أ، وذكره أبو الليث في تفسيره، ولم يسنده إلى أحد ٨٩/١، وانظر: البحر المحيط ٣٦/١، والقرطبي ١٣٧/١، وزاد المسير ٢٣/١. وأخرج ابن جرير عن ابن عباس قال: هذا الكتاب. الطبري ٩٦/١.

(٢) (يمان بن رباب) مكانه بياض في (ب)، وفي (أ): (رياب) بالياء، و(رباب) بالباء في (ج)، وهو عند الثعلبي، ٤٣/١ أ، ولم أجد (يمان بن رباب) ولا (رياب) سوى ما ذكره البغدادي في هدية العارفين قال: «اليمان بن رباب البصري من رؤساء الخوارج، له: إثبات إمامة أبي بكر الصديق. وأحكام المؤمنين. ولم يذكر سنة وفاته. هدية العارفين ٧٣٥/١، وفلا أدري هل هو المذكور، أو شخص غيره؟ والله أعلم.

(٣) في (ب): (كل).

(٤) في (ج): (التوريه).

(٥) ذكره الثعلبي في تفسيره بعد قول ابن عباس السابق، تفسير الثعلبي ٤٣/١ أ، وذكر الزَّجَّاج بمعناه ولم ينسبه، ٣٩/١، وابن الجوزي في زاد المسير ٢٣/١، والقرطبي ١٣٧/١، وأبو حيان في البحر، ونسبه إلى ابن رثاب ٣٦/١.

(٦) أي قول ابن عباس وقول يمان بن رباب.

(٧) أي قول ابن عباس: ذلك الكتاب الذي أخبرتك أني أوحيه إليك.

(٨) وهو قول يمان: ذلك الكتاب الذي ذكرته في التوراة والإنجيل.

(٩) انظر: معاني القرآن للزَّجَّاج ٢٩/١.

(١٠) في (ب): (عن).

(١١) في (ب): (كأنه).

فَقِيلَ ﴿[المزمل: ٥] كَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَاثِقًا بَوَعْدِ اللَّهِ إِيَّاهُ ، فَلَمَّا أَنْزَلَ عَلَيْهِ : ﴿الْمَآءَ﴾ ① ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴿[البقرة: ١-٢] . دَلَّهٗ عَلَى ① الْوَعْدِ الْمُتَقَدِّمِ ② .

وقال الزَّجَّاجُ : القرآن ، ذلك الكتاب الذي وعدوا به على لسان موسى وعيسى ③ . فجعل ﴿الْمَآءَ﴾ بمعنى القرآن ؛ لأنه من القرآن فهو قرآن . والمراد بالكتاب هاهنا : القرآن في ④ قول ابن عباس ، والحسن ، وقتادة ، ومجاهد ، والضحاك ، ومقاتل ⑤ . والمراد به المفعول ⑥ ، كقولهم : الخلق ، يريدون : المخلوق ⑦ ، لا الحدث الذي هو اختراع وإبداع .

وهذا ⑧ أرجح عندي من قول من قال : إنه سمي به لما فرض فيه ⑨ ، وأوجب العمل به ⑩ ، ألا ترى أن جميع التنزيل مكتوب ، وليس كله فروضاً ،

(١) في (ب) : (ذله الوعد) .

(٢) ذكر نحوه ابن الجوزي في زاد المسير ٢٣/١ ، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن ١٣٧/١ ، ١٣٨ .

(٣) معاني القرآن للزَّجَّاج ٢٩/١ .

(٤) في (ب) : (فهو في) .

(٥) ذكره الثعلبي في تفسيره ٤٣/١ ب ، وذكر ابن أبي حاتم قول الحسن ، وابن عباس ، ٣٤/١ ، وانظر : تفسير الطبري ٩٦/١ ، وابن كثير ٤٢/١ .

(٦) أي المكتوب . انظر : الثعلبي ٤٢/١ ب .

(٧) في (ج) : (الخلق) ، وهذا المعنى ذكره الثعلبي ٤٢/١ ب .

(٨) في (أ) و(ج) : (قال : وهذا أرجح . . . إلخ) ، واخترت ما في (ب) لأنني لم أجِد لوجود (قال) معنى . فكلام الزَّجَّاج قد انتهى ، وما بعده أخذه عن الثعلبي بمعناه ولم يصرح باسمه ، وليس الكلام بعد (قال) في تفسيره ، ولم يكن من نهج الواحدي أن يفتح قوله هو بـ (قال) لذلك اعتبرتها زيادة في (أ) و(ج) .

(٩) في (ب) : (به) .

(١٠) أي إن المراد بالكتاب : المكتوب ، بمعنى المفعول ، أرجح ممن قال : إنه سمي كتاباً لما فرض فيه ، وأوجب العمل به ، فإن الكتاب يطلق على معان كثيرة منها : الفرض ، والأمر ، والجعل . انظر : مشكل القرآن لابن قتيبة ١١ ، ومعرفة اشتقاق أسماء نطق بها القرآن لأبي بكر محمد بن عزيز السجستاني ٤٦١/١ رسالة ماجستير ، تهذيب اللغة (كتب) ٣٠٩٧/٤ ، وتفسير الرازي ١٤/٢ ، والقرطبي ١٣٨/١ .

وإذا كان كذلك كان العام^(١) الشامل [بجميع المسمى أولى مما كان بخلاف ذلك .
فإن جعلت ﴿الْمَ﴾ متعلقاً بما بعده ، فهو ابتداء ، وخبره] ﴿ذَلِكَ﴾ ، والكتاب
تفسير وبيان^(٣) للمشار إليه^(٤) . ويصح أن يقال : ﴿الْمَ﴾ ابتداء ، و﴿ذَلِكَ﴾ ابتداء
آخر ، و﴿الْكِتَابُ﴾ خبره ، وجملة الكلام خبر الابتداء الأول . وإن^(٥) جعلت
﴿الْمَ﴾ منقطعاً مما بعده ، فـ ﴿ذَلِكَ﴾ ابتداء ، وخبره ﴿هُدًى﴾^(٦) .

وقوله تعالى : ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ . الريب : الشك ، يقال : رابني فلن يربيني ، أي
علمت من الريبة ، وأرابني^(٧) : أوهنيها ولم يحققها^(٨) ، وقال :

أَخَوَكَ الَّذِي إِنَّ رَبَّتَهُ قَالَ إِنَّمَا
أَرَابَ وَإِنْ عَاتَبْتَهُ^(٩) لَأَنْ جَانِبُهُ^(١٠)

(١) أي إن الكتاب بمعنى المكتوب .

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ب) .

(٣) أي عطف بيان ، أو بدل . انظر : معاني القرآن للزجاج ٣٠ / ١ ، وإعراب القرآن للنحاس ١ / ١٢٨ ،
وتفسير ابن عطية ١ / ١٤٣ .

(٤) (إليه) ساقط من (ج) .

(٥) في (ب) : (فإن) .

(٦) تفسير الثعلبي ١ / ٤٢ ، وانظر : إيضاح الوقف والابتداء لابن الأنباري ١ / ٤٨٤ ، ومعاني القرآن
للزجاج ١ / ٣٠-٣٣ ، وإعراب القرآن للنحاس ١ / ١٢٨ ، ومشكل إعراب القرآن ١ / ١٥ ، ١٧ ،
وقد ذكر الواحدي بعض الوجوه في إعراب (الم) . ذلك الكتاب) .

(٧) في (ب) : (فأرابني) .

(٨) ذكره الزجاج في معاني القرآن ١ / ٣١ ، والأزهري إذ قال : وأنشد أبو زيد ثم ذكر البيت . تهذيب اللغة
(راب) ٢ / ١٣٠٦ ، ١٣٠٧ .

(٩) في (ب) : (عابته) .

(١٠) نسب البيت إلى الفرزدق ، ولم أجده في ديوانه ، ونسب إلى المتلمس ، وإلى بشار ، وهو الصحيح ،
فقد ورد في ديوانه من قصيدة يمدح بها عمر بن هيرة قوله : (أراب) كما ورد في جميع النسخ ، وفي
الديوان وغيره من المصادر (أربت) ومعناه : أخوك الذي إن ربه بريية ، قال : أنا الذي أربت ؛ أي أنا
صاحب الريية ، وروي : (أربت) بفتح التاء ؛ أي أوجبت له الريية . وقوله : (عابته) ، كذا وردت
عند الزجاج ، وفي المصادر الأخرى : (لايته) بمعنى : عابته ، انظر : ديوان بشار ٤٤ ، ومعاني القرآن
للزجاج ١ / ٣١ ، وتهذيب اللغة (راب) ٢ / ١٣٠٦-١٣٠٧ ، واللسان (ريب) ٣ / ١٧٨٨ ، ١٧٨٩ .

أراد أنه^(١) مع اليقين بالريبة يتوهمها^(٢) منك ، جرياً على حكم المودة ، هذا قول جمهور أهل اللغة^(٣) . وقال سيبويه : (أراب) الرجل ، أي صار صاحب ريبة . كما قالوا : ألام ؛ أي استحق أن يلام^(٤) . وأما (رابني) فمعناه : جعل في ريبة^(٥) ، كما تقول : قطعت النخل ؛ أي أوصلت إليه القطع ، واستعملته فيه^(٦) .

وقال أبو زيد^(٧) : قد رابني من فلان أمر رأيته منه ريباً ، إذا كنت مستيقناً منه بالريبة ، فإذا أسأت به الظن ولم تستيقن بالريبة منه ، قلت : قد أرابني من فلان أمر هو فيه ، إذا ظننته من غير أن تستيقنه^(٨) . وقوم على أن : (راب) و(أراب) بمعنى واحد^(٩) ،

-
- (١) في (ب) : (به) .
 (٢) في (ب) : (سموهمها) .
 (٣) انظر : التهذيب (راب) ١٣٠٦ / ٢ ، ١٣٠٧ ، ومعجم مقاييس اللغة (ريب) ٤٦٣ / ٢ ، والصحاح (ريب) ١٤١ / ١ ، واللسان (ريب) ١٧٨٨ / ٣ ، ١٧٨٩ .
 (٤) في (ب) : (تلام) .
 (٥) في الكتاب : «وأما رابني فإنه يقول : جعل لي ريبة . . . » ، ٦٠ / ٤ .
 (٦) الكتاب ٦٠ / ٤ ، والنص في الحجة لأبي علي ١٧٩ / ١ .
 (٧) في (ب) : (يزيد) . وأبو زيد هو سعيد بن أوس بن ثابت الأنصاري ، صاحب النحو واللغة ، توفي سنة خمس عشرة ومئتان . انظر : طبقات النحويين واللغويين ١٥٦ ، وتاريخ بغداد ٧٧ / ٩ ، وإنباه الرواة ٣٠ / ٢ .
 (٨) ذكره أبو علي في الحجة ١٧٩ / ١ ، ونحوه عند الأزهري قال : هذا قول أبي زيد (راب) ٢٥٢ / ١٥ ، ولم أجده في نوادر أبي زيد .
 (٩) انظر : تهذيب اللغة (راب) ١٣٠٦ / ٢ - ١٣٠٧ ، والصحاح (ريب) ١٤١ / ١ ، واللسان (ريب) ١٧٨٨ - ١٧٨٩ / ٣ .

وينشدون قول الهذلي^(١) :

كَأَنَّمَا أَرَبُّهُ بِرَيْبٍ^(٢)

والحذاق^(٣) على الفرق بينهما ، كما أخبرتك ، قال الأزهري : والقول في (راب وأراب) قول أبي زيد^(٤) . وموضع (ريب) نصب^(٥) ، قال سيبويه : (لا) تعمل في ما بعدها فتنصبه ، ونصبها لما بعدها كنصب (إن) إلا أنها تنصب بغير تنوين^(٦) . وإنما شبه (لا) بـ (إن) ؛ لأن (إن) للتحقيق في الإثبات ، و(لا) في النفي ، فلما كانت (لا) تقتضي^(٧) تحقيق النفي ، كما تقتضي (إن) تحقيق الإثبات أجري مجراه . وزعم سيبويه أنها مع ما بعدها بمنزلة شيء واحد^(٨) ؛ لأنها جواب لما يكون بمنزلة شيء واحد ، ولذلك لم ينون وبني على الفتحة ، كأنها جواب قول القائل :

(١) في (ج) : (الهزلي) . و(الهذلي) هو خالد بن زهير الهذلي أحد شعراء الهذليين المشهورين ، عشق امرأة كان يأتيها أبو ذؤيب الهذلي خاله ، وجرت بينهما أشعار في ذلك ، منها (بيت الشاهد) ، وقتل خالد بسبب تلك المرأة في قصة طويلة . انظر : شرح أشعار الهذليين للسكري ٢٠٧/١ ، والخزاعة للبغدادى ٨٦-٧٦/٥ .

(٢) البيت من رجز لخالد بن زهير ، يخاطب أبا ذؤيب ، ويروى : (كأنني) ، والأبيات في أشعار الهذليين :
يا قوم ما بال أبي ذؤيب يمس رأسى ويشم ثوبى
كأنني أتوته بريب

انظر : شرح أشعار الهذليين ٢٠٧/١ ، والحجة لأبي علي ١٨٠/١ ، وتهذيب اللغة (أتى) ١١٦-١١٧ ، والمخصص ٣٠٣/١٢ ، ٢٤/١٤ ، ٢٨ ، الصحاح ١٤١/١ ، واللسان (ريب) ١٧٨٨-١٧٨٩ ، والخزاعة ٨٤/٥ .

(٣) في (ب) : (فالخلاف) .

(٤) في التهذيب : (قول أبي زيد أحسن) ، ١٣٠٦/٢ .

(٥) معاني القرآن للزجاج ٣١/١ ، وانظر : مشكل إعراب القرآن ١٦/١ .

(٦) أي مبني على الفتح لأن (لا) نافية للجنس ، الكتاب ٢٧٤/٢ ، ومعاني القرآن للزجاج ٣١/١ ، والعبارة للزجاج ، وانظر : مشكل إعراب القرآن ١٦/١ .

(٧) في (ب) : (يقتضي) .

(٨) معاني القرآن للزجاج ٣١/١ ، والكتاب ٢٧٤/٢ ، ومشكل إعراب القرآن ١٦/١ ، وإعراب القرآن للنحاس ١٢٨/١ .

هل من رجل في الدار؟ ف (من) مع رجل كشيء واحد . فإن قيل : فما^(١) أنكرت أن يكون جواب هل رجل في الدار؟ قيل : معنى (لا رجل في الدار) ، عمهم^(٢) النفي ، لا يجوز أن يكون في الدار رجل ، ولا أكثر منه ، وكذلك (هل من رجل في الدار) استفهام عن الواحد وأكثر منه .

فإن قلت : (هل رجل في الدار) أو (لا رجل في الدار) ، جاز أن يكون في الدار رجلان ، لأنك إنما أخبرت أنه ليس فيها واحد ، فيجوز أن يكون فيها أكثر منه ، فإذا قلت : (لا رجل في الدار) ، فهو نفي عام ، وكذلك ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾^(٣) ، وموضع ﴿لَا رَيْبَ﴾ رفع بالابتداء عند سيبويه ، لأنه بمنزلة خمسة^(٤) عشر^(٥) ، إذا ابتدأت به ، ولهذا جاز العطف عليه بالرفع في قوله :

لَا أُمُّ لِي إِنْ^(٦) كَانَ ذَاكَ وَلَا أَبٌ^(٧)

-
- (١) في (ب) : (عما) .
 (٢) في المعاني للزجاج : (عموم) . ٣٢ / ١ ، ولعله أصوب .
 (٣) الكلام للزجاج ، انظر : المعاني ٣٢ / ١ ، وانظر : الكتاب ٢٧٤ - ٢٧٦ ، وإعراب القرآن للنحاس ١٢٩ / ١ .
 (٤) في (ب) : (خمس) .
 (٥) قال سيبويه : «لا وما عملت فيه في موضع ابتداء» ، الكتاب ٢ / ٢٧٥ ، ٢٨٤ ، وانظر : مشكل إعراب القرآن ١٦ / ١ .
 (٦) في (ب) : (وان) .
 (٧) اختلف في نسبة البيت ، فقليل : إلى ضمرة بن ضمرة ، وقيل : إلى همام بن مرة ، وقيل : إلى بعض مذحج ، وقيل : إلى زرافة الباهلي ، وقيل : إلى هني بن أحر ، وفيه أقوال أخرى . قيل : إن هذا الشاعر كان باراً بأمه ، وكان له أخ تؤثره عليه ، فقال هذه الأبيات ، والشطر الأول :
 هذا وجدكم الصغار بعينه
 والشاهد فيه : رفع الاسم الثاني مع فتح الأول ، إما بإلغاء الثانية ورفع ما بعدها بالعطف على محل الأولى مع اسمها ، فخيرهما واحد ، وعلى هذا استشهد به الواحدي . وهناك تقدير آخر : وهو أن تكون الثانية عاملة عمل ليس ، فيكون لكل واحدة خبر يخصها . انظر : الخزانة ٣٨ / ٢ - ٤١ ، وقد ورد البيت عند سيبويه ٢ / ٢٩٢ ، وفي المقتضب ٤ / ٣٧١ ، وشرح المفصل ٢ / ١١٠ ، وشرح أبيات سيبويه للنحاس ٥٤ ، والحجة لأبي علي ١ / ١٩٠ ، والهمع ٥ / ٢٨٨ ، واللسان (حيس) ٢ / ١٠٦٩ .

ومن نصب المعطوف^(١) فهو عاطف على اللفظ^(٢). وسنستقصي الكلام في هذا عند قوله: ﴿فَلَا رَفَتْ وَلَا فُسُوكَ﴾ [البقرة: ١٩٧] إن شاء الله.

وقوله تعالى: ﴿فِيهِ﴾. يجوز^(٣): أن تجعله خبراً للابتداء الذي هو ﴿لَارِيْبَ﴾ ويجوز: أن تجعله صفة لقوله: ﴿لَارِيْبَ﴾، وإذا جعلته صفة أضمرت الخبر، كأنه قيل: لا ريب فيه واقع أو كائن، فإن جعلته خبراً كان موضعه رفعاً من وجهين: أحدهما: بكونه خبراً^(٤) للمبتدأ^(٥). والثاني: من حيث كان خبر (إن) رفعاً^(٦)، وقد ذكرنا أن (لا) بمنزلة (إن).

وإن جعلت (فيه) صفة، ولم تجعله خبراً، كان موضعه نصباً في قول من وصف على اللفظ^(٧)، [كما عطف^(٨) على اللفظ]^(٩) في قوله:

فَلَا أَبَ وَابْنًا مِثْلُ مَرْوَانَ^(١٠)

(١) في (ب): (العطوف).

(٢) انظر: الكتاب ٢/ ٢٩١، ٢٩٢، معاني القرآن للزجاج ١/ ٣١، ٢٦٠، المشكل لمكي ١/ ١٦، والدر المصون للسمين ١/ ٨٠، وشرح المفصل لابن يعيش ٢/ ١٠٩.

(٣) أخذه عن أبي علي الفارسي، الحجة ١/ ١٨٩.

(٤) في (ب): (خبر).

(٥) في الحجة: «وإن جعلته خبراً كان موضعه رفعاً في قياس قول سيويوه من حيث يرتفع خبر المبتدأ...». ١/ ١٨٩، وفيكون خبراً لـ (لا) مع اسمها، إذ إنها في محل رفع مبتدأ.

(٦) في الحجة: «... وعلى قول أبي الحسن موضعه رفع من حيث كان خبر (إن) رفعاً...». ١/ ١٨٩، وفجعل (لا) بمنزلة (إن) وجعل خبرها مرفوعاً مثل خبر (إن).

(٧) يقول: إن جعلت (فيه) صفة جاز فيها النصب على الوصف للفظ اسم (لا) وهو (ريب)، كما عطف عليه بالنصب في قول الشاعر: (فلا أب وابننا...)، وجاز رفع الصفة على موضع (لا ريب) كما عطف عليه بالرفع كما سبق.

(٨) في (ج): (ثم أعطف).

(٩) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(١٠) في (أ) و(ج): (مثل مر)، والجملة ساقطة من (ب). والبيت من شواهد سيويوه، وهو:

فَلَا أَبَ وَابْنًا مِثْلُ مَرْوَانَ وَابْنِهِ إِذَا هُوَ بِالْمَجْدِ ارْتَسَدَى وَتَأَزَّرَا =

ومن وصفه على الموضع^(١) ، كما عطف على الموضع في قوله :

لا أمّ لي إن كان ذاك ولا أب^(٢)

كان موضعه على هذا رفعاً^(٣) . وفي قوله : ﴿ فِيهِ ﴾ قراءتان ، إشباع (الهاء) حتى تلحق به (ياء) ، وكذلك في (الهاء) المضمومة^(٤) مثل (منهو) و (عنهو) ، وهو مذهب ابن كثير^(٥) . والباقون يقتصرون على الضمة والكسرة^(٦) .

وأصل (الهاء) في ﴿ فِيهِ ﴾ الضم ؛ لأن الأصل (فيهو) كما ذكرنا في (عليهو) ، ثم كسرت (الهاء) للعلة التي ذكرنا في (عليهم)^(٧) ، فمن اقتصر على الضمة والكسرة قال : إن (الهاء) حرف خفي^(٨) ، فإذا اكتنفها^(٩) ساكنان من حروف اللين صار

يقول : لا أب وابنا مثل مروان بن الحكم وابنه عبد الملك ، لشهرتهما صارا كاللابسين لرداء المجد ، والشاهد عطف (ابن) مع تنوينه على لفظ اسم (لا) . انظر : الكتاب ٢ / ٢٨٥ ، والحجة ١ / ١٨٩ ، وشرح المفصل ٢ / ١١٠ ، والمقتضب ٤ / ٣٧٢ ، والهمع ٥ / ٢٨٧ .

(١) في (ج) : (ومن وصف على اللفظ الموضع) .

(٢) مرّ تخريج البيت قريباً . انظر : ٣٦ .

(٣) في (ج) : (رفع) .

(٤) في (أ) و (ج) : (المضموم) .

(٥) انظر : السبعة لابن مجاهد ١٣٢ ، والحجة ١ / ١٧٧ . وابن كثير هو عبدالله أبو معبد العطار الداري الفارسي الأصل ، إمام أهل مكة في القراءة ، من التابعين ، أحد السبعة الذين أثبت ابن مجاهد قراءتهم في كتابه . ٤٥٠ - ١٢٠ ، وانظر : ترجمته في معرفة القراء الكبار ١ / ٨٦ ، وغاية النهاية ١ / ٤٤٣ .

(٦) انظر : السبعة ١٣٠ ، ١٣١ ، الحجة ١ / ١٧٥ - ١٧٧ ، والكشف لمكي ١ / ٤٢ .

(٧) إشارة إلى ما سبق في الفاتحة في القراءات في قوله : (عليهم) ، وانظر : العلة التي ذكرها أبو علي في الحجة ١ / ٢٠٧ .

(٨) نقل المؤلف من الحجة ، قال أبو علي : «ومما يحسن الحذف هاهنا - مع ما ذكرنا من اجتماع المتشابهة - أن (الهاء) حرف خفي . . . إلخ» . الحجة ١ / ٢٠٩ .

(٩) في (ج) : (فإذا كتفها) .

كأن الساكنين قد التقيا^(١) ؛ لخباء (الهاء) ، وأنهم لم يعتدوا بها حاجزاً^(٢) للخباء في مواضع .

ألا ترى أن من قال : (رُدُّ) ، فأتبع الضمة الضمة ، فإذا وصل الفعل بضمير^(٣) المؤنث قال : (رَدَّها) ، فلم يتبع الضم الضم ، كما كان يتبع قبل ؛ لأنه جعله بمنزلة (رُدَّا) ، وفي (رُدَّا) لا يمكن إتياع الضم الضم ، وفي (رَدَّها)^(٤) جعلت الدال^(٥) في حكم الملازمة للألف ، إذ^(٦) لم يعتد بها حاجزاً ، كذلك إذا لم يعتد بها في نحو (فيهي) ، و(عصاهو) ، و(خذوهو) صار كأن الساكنين قد التقيا . ولهذه العلة -أيضاً- حذف حرف اللين بعد (الهاء) من حذف ، وإن كان الساكن الذي قبلها ليس من حروف اللين نحو : (منه) و(عنه)^(٧) .

(١) في (ب) : (التقتا) .

(٢) كلمة (حاجزاً) ليست عند أبي علي ٢٠٩ / ١ .

(٣) في (ب) : (لضمير) .

(٤) عبارة أبي علي : « . . . بمنزلة (رَدَّا) ، فكما لم يعتد بها هاهنا ، وجعلت الدال في حكم الملازمة للألف ، كذلك إذا لم يعتد بها في نحو : فيهي . . . » . الحجة ٢٠٩ / ١ .

(٥) في (ب) : (الدار) .

(٦) في (ب) : (إذا) .

(٧) انظر : بقية كلام أبي علي في الحجة ٢٠٩ / ١ .

ومثل (الهاء)^(١) في أنه^(٢) لما كان حرفاً خفياً لم يعتدوا به حاجزاً (النون)، وذلك في قولهم: (هو^(٣) ابن عمي دنيا)^(٤) و(قنية)^(٥)، لما كانت (النون) خفية صارت (الواو) كأنها وليت الكسرة، فقلبتا كما قلبتها في (غازية)، و(محنة)^(٦)، ولو كان مكان (النون)^(٧) حرف غيره لم يكن في ما بعده القلب، نحو: (جرو) و(عدوة)^(٨). فهذا^(٩) مثل (الهاء) في أنه للخفاء لم يعتد به حاجزاً^(١٠).

- (١) الحجة ١/ ٢١٠، والمعنى: كالهاء النون في كونه حرفاً خفياً لا يعتد به حاجزاً.
- (٢) في (ب): (إيه).
- (٣) في (ب): (هط).
- (٤) يقال: هو ابن عمه دُنْيَا مقصور، ودُنْيَةٌ ودُنْيَا منون وغير منون، إذا كان ابن عمه لَحّاً، أي أقرب من غيره، ويقال ذلك في ابن العمّة وابن الخال والخالّة. انقلبت فيها (الواو) (ياء) لمجاورة الكسرة، ولأن (النون) حاجز ضعيف. انظر: تهذيب اللغة (دنا) ٢/ ١٢٣٣، واللسان (دنا) ٣/ ١٤٣٦.
- (٥) في الحجة: «وفي قولهم: (هو ابن عمي دنيا) وفي (غنية)»، ١/ ٢١٠، والقنية والقنوة بكسر القاف وضمها بالياء وبالواو: الكسبة، وهي كل ما اكتسبه الإنسان لنفسه ولم يعده للتجارة، وإذا كانت واوية الأصل فقد جرى فيها القلب، وعلى هذا سار أبو علي وتبعه الواحدي، ومنهم من قال: أصلها يائية فلا تغيير فيها. انظر: الحجة ١/ ٢١٠، وتهذيب اللغة (قنا) ٣/ ٣٠٥٠، ومقاييس اللغة ٥/ ٢٩، وسر صناعة الإعراب ٢/ ٧٣٦، واللسان (قنا) ٦/ ٢٧٥٩.
- (٦) الحنو: الاعوجاج، و(المحنة): منحنى الوادي. انظر: اللسان (حنا) ٢/ ١٠٣٤، ١٠٣٥. وأصل (غازية): (غازوة) و(محنة): (مخوة) قلبت الواو فيها ياء للكسرة قبلها. انظر: سر صناعة الإعراب ٢/ ٥٨٧، ٥٨٨.
- (٧) (النون) ساقط من (ب).
- (٨) (العدوة): صلابة من شاطئ الوادي. انظر: معجم مقاييس اللغة (عدو) ٤/ ٢٥٢.
- (٩) أي (النون) في مثل (دنيا) و(قنية).
- (١٠) الحجة ١/ ٢١٠.

وأما ابن كثير : فإنه يتبع هذه (الهاء) في الوصل (الواو) و(الياء)^(١) ، ويسوي بين حروف اللين وبين^(٢) غيرها من الحروف ، إذا^(٣) وقعت قبل (الهاء) وحجته : أن (الهاء) وإن كانت خفية^(٤) فليس يخرجها^(٥) ذلك من أن تكون كغيرها من حروف المعجم التي لا خفاء فيها ، نحو : (الدال) و(الصاد) و(الهاء) .

و(النون) عند الجميع في وزن الشعر بمنزلة الدال والصاد^(٦) ، وإذا كان كذلك كان حجزها [بين الساكنين كحجز]^(٧) غيرها^(٨) .

وقوله تعالى : ﴿ هُدًى ﴾ : قال سيبويه : قلماً^(٩) يكون ما ضم أوله من المصدر إلا منقوصاً ؛ لأن (فُعَل) لا تكاد^(١٠) تراه مصدراً من غير بنات^(١١) (الياء) و(الواو)^(١٢)

(١) قال أبو علي في الحجة : «الحجة لابن كثير في إتباعه هذه (الهاء) في الوصل (الواو) أو (الياء) ، وتسويته بين حروف اللين وبين غيرها من الحروف إذا وقعت قبل (الهاء) من حجته أن (الهاء) وإن كانت خفية . . . إلخ» ٢١١ / ١ .

(٢) (بين) ساقط من (ب) .

(٣) في (ب) : (وإذا) .

(٤) في (ب) : (خفيفة) .

(٥) في (ب) : (مخرجها) .

(٦) عبارة أبي علي في الحجة : « . . . من حروف المعجم التي لا خفاء فيها - نحو : الراء والضاد - وإن كان في الراء تكرير وفي الضاد استطالة وإذا كان كذلك كان حجزها بين الساكنين كحجز غيرها من الحروف التي لا خفاء فيها . . . إلخ» . الحجة ٢١١ / ١ .

(٧) ما بين المعقوفين ساقط من (ج) .

(٨) الحجة ٢١١ / ١ ، وانظر : الكشف لمكي ٤٢ / ١ ، ٤٣ .

(٩) (قل) ساقط من (ب) .

(١٠) في (ب) : (لا يكاد) .

(١١) في (ب) : (من غير أن تران) .

(١٢) غير بنات الواو والياء ، أي صحيح اللام ، ف(فُعَل) لا يكون مصدراً في صحيح اللام إلا قليلاً ، والمعتل يجري مجرى الصحيح .

انظر : الحجة ١٨٠ / ١ ، وانظر : كلام سيبويه في الكتاب ٤٦ / ٤ .

كالهُدَى وَالشَّرَى، وَالنُّهَى^(١)، وَالتَّقَى، وَالْقَرَى، وَالْقَلَى^(٢)، وَقَالُوا: كَسَوَة، وَرَشَوَة، وَجَذَوَة، وَصَوَة^(٣)، وَإِذَا^(٤) جَمَعُوا جَمْعُوهَا عَلَى (فَعَلَ) وَ(فُعِلَ)، وَمِنْهُمْ مَنْ يَضُم فِي الْوَاحِدِ وَيَكْسِر فِي الْجَمْعِ^(٥)، وَيَجُوزُ^(٦) الْكَسْرُ فِي وَاحِدِهِ، وَالضَّمُّ فِي الْجَمْعِ^(٧)، وَهَذَا مِمَّا يَدُلُّكَ عَلَى اشْتِرَاكِهِمَا.

وَقَالَ أَنَسٌ مِنَ النُّحَوِيِّينَ^(٨): إِنَّهُ قَدْ تَجَرَّى الْأَسْمَاءُ الَّتِي لَيْسَتْ بِمَصَادِرٍ مَجْرَى الْمَصَادِرِ، فَيَقُولُونَ: جَلَسَ جَلْسَةً، وَرَكَبَ رَكْبَةً، وَيَقُولُونَ: عَجَبْتُ مِنْ دَهْنِكَ لِحَيْتِكَ^(٩)، وَيَنْشُدُونَ:

وَبَعْدَ عَطَائِكَ الْمَائَةِ الرِّتَاعَا^(١٠)

- (١) (النُّهَى) سَاقَطَ مِنْ (ب).
- (٢) فِي الْحِجَةِ: «قَالُوا: هَدَيْتُهُ هُدًى وَلَمْ يَكُنْ هَذَا فِي غَيْرِ (هَدَى)، وَذَلِكَ لِأَنَّ (الْفَعَلَ) لَا يَكُونُ مَصْدَرًا فِي هَدَيْتِهِ، فَصَارَ (هُدًى) عَوْضًا مِنْهُ، قَالُوا: قَرَيْتُهُ قَرًى وَقَلَيْتُهُ قَلًى فَأَشْرَكُوا بَيْنَهُمَا فِي هَذَا...» ١٨١/١، وَأَشْرَكُوا بَيْنَ (فُعِلَ) وَ(فَعَلَ). انظر: الكتاب ٤/٤٦.
- (٣) (الصَّوَة) جَمَاعَةُ السَّبَاعِ، وَالْحَجَرُ يَكُونُ عَلَامَةً فِي الطَّرِيقِ، وَخِطَفُ الرِّيحِ وَصَوْتُ الصَّدَى، وَمَا غَلِظَ وَارْتَفَعَ مِنَ الْأَرْضِ. انظر: اللسان (صوى) ١٤/٤٧١، والقاموس ١٣٠٤.
- (٤) فِي (ب): (فِإِذَا).
- (٥) فَيَقُولُونَ: رَشَوَة وَرَشَاءً. انظر: الكتاب ٤/٤٦.
- (٦) فِي (ب): (وَنَحْوِهِ).
- (٧) فِي (أ): (الْجَمْعِ). مِثَالُ الْمَكْسُورِ فِي الْوَاحِدِ وَالْمُضْمُومِ فِي الْجَمْعِ: (رَشَوَة، وَرَشَاءً). الكتاب ٤/٤٦.
- (٨) فِي الْحِجَةِ: «وَيَقْوِيهِ -أَيْضًا- أَنَّ نَاسًا مِنَ النُّحَوِيِّينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُ قَدْ يَجْرِي الْأَسْمَاءُ الَّتِي لَيْسَتْ بِمَصَادِرٍ... إلخ» ١٨٢/١.
- (٩) قَوْلُهُ: (جَلْسَةً) وَ(رَكْبَةً) لَيْسَتْ بِمَصَادِرٍ، وَأَجْرِيَتْ مَجْرَى الْمَصَادِرِ.
- (١٠) الْبَيْتُ مِنْ قَصِيدَةِ اللَّقْطَامِيِّ، يَمْدَحُ بِهَا زُفَرَ بْنَ الْخَارِثِ الْكَلَابِيِّ، وَصَدَرَ الْبَيْتُ:

أَكْفَرًا بَعْدَ رَدِّ الْمَوْتِ عَنِّي

يَقُولُ: لَا أَكْفَرُ مَعْرُوفَكَ بَعْدَ أَنْ أَطْلَقْتَنِي مِنَ الْأَسْرِ، وَأَعْطَيْتَنِي مَائَةً مِنَ الْإِبِلِ الرِّتَاعِ، أَيْ الرَّاعِيَةِ، وَرَدَ الْبَيْتُ فِي الشَّعْرِ وَالشُّعْرَاءِ ٤٨٣، وَالْحِجَةُ ١/١٨٢، وَالْخَصَائِصُ ٢/٢٢١، وَشَرَحَ الْمَفْصَلُ ١/٢٠، وَشَرَحَ شَذُورَ الذَّهَبِ ٤٩١، وَالْهَمْعُ ٣/١٠٣، وَالْخَزَانَةُ ٨/١٣٦، وَالشَّاهِدُ: إِعْمَالُ الْعَطَاءِ عَلَى أَنَّهُ بِمَعْنَى الْإِعْطَاءِ.

فيجري^(١) مجرى الإعطاء ، وقال لييد^(٢) :

بَادَرْتُ حَاجَتَهَا^(٣) الدَّجَاجَ^(٤)

وفسروه على حاجتي^(٥) إليها^(٦) ، فأضيف إلى المفعول كما يضاف المصدر إليه ، فعند هؤلاء (الهدى والشرى والتقى) أسماء أجريت مجرى المصادر^(٧) ، وليست مصادر^(٨) حقيقة . وزعم الأخفش : أن من العرب^(٩) من يؤنث الهدى^(١٠) .

ومعنى الهدى : البيان ؛ لأنه قد قبل به الضلال في قوله عز وجل : ﴿وَأَذْكُرُوهُ كَمَا هَدَيْتُكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الصَّكَالِينَ﴾ [البقرة: ١٩٨] [أي من قبل هداه]^(١١) .

(١) في (ب) : (فتجرو) وفي الحجة : «فيجرونه مجرى الإعطاء» . ١٨٢ / ١ .

(٢) هو لييد بن ربيعة بن مالك بن كلاب العامري ، كان من شعراء الجاهلية وأدرك الإسلام وأسلم ، وقدم على رسول الله ﷺ في وفد بني كلاب ، مات في الكوفة في خلافة معاوية ، وهو ابن مائة وسبع وخمسين سنة . انظر : الشعر والشعراء ١٦٧ ، وطبقات ابن سعد ٣٣ / ٦ ، والإصابة ٣٢٦ / ٣ ، والخزانة ٢٤٦ / ٢ .

(٣) في (ب) : (باكرت حنامها) .

(٤) البيت من معلقة لييد ، وقامه :

بَادَرْتُ حَاجَتَهَا الدَّجَاجَ بِسَحْرَةٍ
لَأَعْلَ مِنْهَا حِينَ هَبَّ نِيَامُهَا
ويروى : (باكرت) . يذكر الخمر ، يقول : سابقت صياح الدجاج لحاجتي إليها ، لأَعْلَ مِنْهَا ، أي أسقي منها مرة بعد مرة ، حين هب نيامها ، انظر : شرح ديوان لييد ٣١٥ ، والحجة ١٨٢ / ١ ، والمعاني الكبير ٤٥٣ / ١ ، وشرح القصائد المشهورات للنحاس ١٦٣ / ١ ، واللسان (بكر) ٣٣٢ / ١ ، والخزانة ١٠٤ / ٣ .

(٥) حاجتي) ساقط من (ب) .

(٦) في الحجة : «وفسروه على باكرت حاجتي إليها . . .» . وروايته للبيت (باكرت) ١٨٣ / ١ .

(٧) فتضاف للمفعول كما يضاف المصدر إليه . انظر : الحجة ١٨٣ / ١ .

(٨) في (ج) : (مصادر) .

(٩) هم بنو أسد . انظر : المذكر والمؤنث للقرأء ٨٧ .

(١٠) في الحجة : وقال أبو الحسن : زعموا أن من العرب من يؤنث الهدى . الحجة ١٨٣ / ١ ، وانظر : معاني القرآن للأخفش ١٧٩ / ١ .

(١١) ما بين المعقوفين ساقط من (ب) . والكلام أخذه عن أبي علي في الحجة ١٨٦ / ١ ، وانظر : الطبري ٩٨ / ١ ، ومعاني الزجّاج ٣٣ / ١ ، وتفسير أبي الليث ٩٠ / ١ .

وقوله تعالى : ﴿لَتَمْتَثِينَ﴾ . الالتقاء في اللغة : الحجز بين الشيئين ، يقال : اتَّقاء بترسه ، أي جعل الترس حاجزاً بينه وبينه ، واتقاء بحقه ، إذا وفاه^(١) ، فجعل الإعطاء وقاية بينه وبين خصمه عن نيله إياه بيده أو لسانه ، ومنه (التقية في الدين) بجعل ما يظهره حاجزاً بينه وبين ما يخشاه من المكروه^(٢) ، ومنه الحديث : كنا إذا احمرَّ البأس اتقينا برسول الله ﷺ ، وكان أقربنا إلى العدو^(٣) . فالتقي هو الذي يتحرز بطاعته عن العقوبة ، ويجعل اجتنابه عما نهى ، وفعله ما^(٤) أمر ، حاجزاً بينه وبين العقوبة التي توعده^(٥) بها العصاة .

وكان (اتقى)^(٦) في الأصل (أوْتقى)^(٧) لأنه (افتعل)^(٨) من الوقاية ، وأصل هذا الباب بالواو^(٩) ، كالاتزان^(١٠) من الوزن ، والاتضاح من الوضوح ، إلا أن الواو صارت (ياء) لانكسار ما قبلها وهي ساكنة ، ثم اندغمت (الياء) في (تاء)^(١١) الافتعال بعدما صارت (تاء) ، فتولدت التشديدة لذلك^(١٢) .

(١) في (ب) : (وقاه) .

(٢) انظر : تهذيب اللغة (تقي) ، (وقى) ١ / ٤٤ ، والصحاح (وقى) ٦ / ٢٥٢٧ ، واللسان (وقى) ٨ / ٤٩٠٢ ، ولباب التفاسير للكرمانى ١ / ١١١ ، ورسالة دكتوراه .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه في قصة غزوة حنين وفيه : « . . . قال البراء : كنا والله إذا احمرَّ البأس نتقي به ، وإن الشجاع منا للذي يحاذي به ، يعني رسول الله ﷺ » صحيح مسلم ٧٩ / ١٧٧٦ كتاب الجهاد ، غزوة حنين ، وذكره البيهقي في دلائل النبوة ٥ / ١٣٥ .

(٤) في (ب) : (عما أمر) تصحيف .

(٥) في (ب) : (يدعو) .

(٦) في (ب) : (من في) .

(٧) بكسر الهزمة وسكون الواو .

(٨) في (ج) : (لا افتعل) .

(٩) في (ج) : (من الواو) .

(١٠) في (ب) : (كالايزان) .

(١١) في (ب) : (مما) .

(١٢) انظر : تهذيب اللغة (تقى) ١ / ٤٤٤ ، والصحاح (وقى) ٦ / ٢٥٢٦ ، وسر صناعة الإعراب ١ / ١٤٧ .

وقال أبو الفتح الموصلي^(١) : إن (افْتَعَلَ) إذا كانت فاءؤه (واواً) ، فإن (واوه) تقلب^(٢) (تاء) ، وتدغم في (تاء) (افْتَعَلَ) مثل (اتَّعَدَ)^(٣) و(اتَّلَجَ) (اتَّصَفَ) .

والعلة في قلب هذه الواو (تاء) ، أنهم لو لم يقلبوها (تاء) لوجب أن يقلبوها إذا انكسر ما قبلها (ياء) ، فيقولوا^(٤) : (ايتقى)^(٥) وإذا^(٦) انضم ما قبلها ردت إلى (الواو) فقالوا : (مُوتَقٍ)^(٧) ، وإذا انفتح ما قبلها قلبت (ألفاً) ، فقالوا : (ياتقي)^(٨) ، فلما^(٩) كانوا لم يقلبوها (تاء) صائرين من قلبها^(١٠) مرة (ياء) ومرة (ألفاً) ، ومرة (واواً) ، أرادوا أن يقلبوها حرفاً جلدأً تغير أحوال ما قبله ، وهو باق بحاله ، وكانت (التاء)^(١١) قريبة المخرج من (الواو) ؛ لأنها من أصول الثنايا ، والواو من الشفة ، فأبدلوها (تاء) وأدغموها في لفظ ما بعدها وهو (التاء) ، وقالوا : اتقى^(١٢) ، وقد فعلوا هذا أيضاً في (الياء) وأجروها مجرى (الواو) ، فقالوا في (افتعل) من اليسر : اتسر^(١٣) ، ومن اليبس : اتَّبس^(١٤) ، لهذه العلة^(١٥) .

(١) سر صناعة الإعراب ١/ ١٤٧ .

(٢) في (ج) : (تقلب الفاتا) .

(٣) في (ب) : (ما اتعد) .

(٤) في النسخ جميعها : (فيقولون) . وفي سر صناعة الإعراب : (فيقولوا) . وفي الحاشية قال : في ل : (فيقولون) ، ١/ ١٤٧ .

(٥) عند أبي الفتح فيقولوا : (ايتزن ، ايتعد ، ايتلج) ، ١/ ١٤٧ ، وفلم يرد لفظ (ايتقى) .

(٦) في (ج) : (إذا مكررة) .

(٧) عند أبي الفتح : (مُوتَعَد) و(مُوتَرَن) و(مُوتَلَج) ، ١/ ١٤٧ .

(٨) عند أبي الفتح : يَأْتَعِدُ ، وَيَأْتَرُنُ ، وَيَأْتَلِجُ ، ١/ ١٤٨ .

(٩) في (ج) : (فكانوا) .

(١٠) في النسخ جميعها : (قبلها) ، والتصحيح من سر صناعة الإعراب ١/ ١٤٨ .

(١١) في (ب) : (الباء) .

(١٢) في (ب) : (اتقا) ، وعند أبي الفتح (اتَّعد ، واتزن) . ١/ ١٤٨ .

(١٣) في (ب) : (السر) .

(١٤) في (ج) : (التبس) .

(١٥) عند أبي الفتح : «... وذلك لأنهم كرهوا انقلابها (واواً) متى انضم ما قبلها في نحو : (موتبس) =

وإدغام (الياء) في (التاء) على هذه الجهة، إنها يجوز إذا كانت^(١) في كلمة واحدة، فإذا التقتا في كلمتين لم يجز الإدغام، نحو قولك: (في تبيان)، و(في تمثاله)، وذلك أنه^(٢) لو أجرى^(٣) الكلام هاهنا على الإدغام، أشبه الألف واللام. هذا هو الأصل، ثم صارت التاء لازمة حتى صارت كالأصلية^(٤)؛ لأنه لا يجوز إظهار^(٥) هذا الإدغام في حال^(٦). وقد بني على هذا الإدغام أسماء كثيرة، وهي: التُّخْمة والتُّجَاه^(٧)، والترَّاث، والتَّقْوَى، والتُّكْلَان، والتُّكْلَة، والتُّودَة، والتُّهْمَة^(٨). الحراني^(٩) عن ابن السكيت^(١٠) يقال: اتَّقَاهُ بِحَقِّهِ يَتَّقِيهِ، وَتَقَاهُ يَتَّقِيهِ، وأنشد عن الأصمعي^(١١)

وَأَلْفًا فِي (يَاتِبِس)، فَأَجْرُهَا يَجْرَى الْوَاوُ فَقَالُوا: اتَّبَسْ وَأَتَسَّرَ. ومن العرب من لا يبدلها (تاء) ويجري عليها من القلب ما تنكبه الآخرون، فيقول: ايتعد ايتزن ايتبس... واللغة الأولى أكثر وأقيس...». سر صناعة الإعراب ١/١٤٨، وانظر: المنصف ١/٢٢٢، ٢٢٨.

- (١) كذا ورد في النسخ جميعها، ولعل الأولى: (إذا كانتا).
- (٢) (أنه) ساقط من (ج).
- (٣) في (ب): (أجرا).
- (٤) في (ب): (كالا مطيه).
- (٥) في (ب): (إظهارها).
- (٦) انظر: تهذيب اللغة (تقى) ١/٤٤٤.
- (٧) في (ب): (التحافه).
- (٨) انظر: الكتاب ٤/٣٣٢.
- (٩) أبو شعيب عبدالله بن الحسن الحراني اللغوي، لغوي صدوق، أخذ عن ابن السكيت، ونقل عنه الأزهري في التهذيب من طريق المنذري، توفي سنة خمس وتسعين ومئتان. انظر: ترجمته في تاريخ بغداد ١٣/٥٣٦، وإنباه الرواة ٢/١١٥، وسير أعلام النبلاء ١٣/٥٣٦.
- (١٠) أبو يوسف يعقوب بن إسحاق السكيت، النحوي اللغوي، كان موثقاً بروايته، مات سنة أربع وأربعين ومئتان. انظر: ترجمته في تاريخ بغداد ١٤/٢٧٣، ووفيات الأعيان ٦/٣٩٥، وإنباه الرواة ٤/٥٠، ومعجم الأدباء ٢٠/٥٠.
- (١١) في التهذيب: «وأخبرني المنذري، عن الحراني، عن ابن السكيت، قال: يقال: اتقاه... إلخ. وأنشد ثم ذكر بيتين غير ما ذكر المؤلف، ثم قال: وقال الأصمعي: أنشدني عيسى بن عمر. التهذيب (تقى) ١/٤٤٤)، وانظر: كلام ابن السكيت في إصلاح المنطق ٢٤.

قال : أنشدني عيسى بن عمر ^(١) :

جَلَاها الصَّيْقُلُونَ فَأَخْلَصُوهَا خِفَافاً كُلُّهَا يَتَّقِي بِأَثَرِ ^(٢)
أَيُّ كَلْها يَسْتَقْبَلُكَ بِفِرْنَدِهِ ^(٣) .

وقال أوس بن حجر :

تَقَاكَ بِكَعْبٍ وَاحِدٍ وَتَلَذُّهُ يَدَاكَ إِذَا مَا هُزَّ بِالْكَفِّ يَعْسِلُ ^(٤)
أَيُّ اتَّقَاكَ ، ومعناه : جعل بينك وبينه كعباً واحداً ^(٥) ، يصف رجلاً ، يقول ^(٦) :
كأنه كعب واحد ، إذا هزته اهتز ^(٧) كله . وقال أبو سعيد السكري ^(٨) : تقاك :

(١) ورد اسمه في التهذيب : (عيسى بن عمرو) وهو تصحيف ، والصحيح (ابن عمر) ، وهو عيسى بن عمر البصري الثقفي المقرئ النحوي ، كان في طبقة أبي عمرو بن العلاء ، وعنه أخذ الخليل ، توفي سنة تسع وأربعين ومائة . انظر : ترجمته في طبقات النحويين واللغويين ٤٠ ، ونزهة الألباء ٢٨ ، وإنباه الرواة ٢ / ٣٧٤ ، ومعجم الأدباء ٤ / ٥١٩ ، ووفيات الأعيان ٣ / ٤٨٦ .

(٢) البيت لخفاف بن ندبة ، يذكر السيف . والصيقلون : جمع صيقل وهو شحاذ السيوف وجلأوها ، يقول : جلوا تلك السيوف حتى إذا نظر الناظر إليها اتصل شعاعها بعينه فلم يتمكن من النظر إليها ، فكلها يستقبلك بفِرْنَدِهِ ، و(يتقى) مخفف (يتقى) وهذا مكان الشاهد من البيت . ورد البيت في إصلاح المنطق ٢٣ ، وتهذيب اللغة (تقى) ١ / ٤٤٤ ، والصحاح (وقى) ٦ / ٢٥٢٧ ، ومعجم مقاييس اللغة (أثر) ١ / ٥٦ ، والخصائص ٢ / ٢٨٦ ، واللسان (أثر) ١ / ٢٦ ، و(وقى) ٨ / ٤٩٠٢ .

(٣) في (ج) : (بغير نده) . إصلاح المنطق ٤ ، والتهذيب (تقى) ١ / ٤٤٤ .

(٤) يصف رجلاً يقول : اتقاك بمرح تلذه يدك ، أي لا يثقلها ، إذا هز بالكف يعسل ، أي يضطرب ويهتز . ورد البيت في إصلاح المنطق ٢٤ ، والخصائص ٢ / ٢٨٦ ، والصحاح (عسل) ٥ / ١٧٦٥ ، و(وقى) ٥ / ٢٥٢٧ ، والمحكم ١ / ١٧٠ ، واللسان (عسل) ٥ / ٢٩٤٦ ، و(وقى) ١٥ / ٤٠٣ ، وأساس البلاغة (كعب) ٢ / ٣١٢ ، والحجة لأبي علي ٣ / ٢٨ .

(٥) (واحد) ساقط من (ب) .

(٦) في (ب) : (يقال) .

(٧) في (ب) : (يهتز) ، وفي (ج) : (كأنه يقول كأنه كعب) .

(٨) هو الحسن بن الحسين بن عبدالله بن عبد الرحمن بن العلاء بن أبي صفرة بن المهلب بن أبي صفرة السكري النحوي ، كان ثقة ديناً صادقاً ، انتشر عنه من كتب الأدب شيء كثير ، ٢٧٥-٢١٢ هـ . =

وليك منه كعب . قال : ويقال : إيلك^(١) اتقت كبارها بصغارها ، أي جعلت الصغار مما يليك^(٢) ، ووقت أنفسها بها .

وقوله : (تقاك) تقديره^(٣) (تَعَلَّكَ)^(٤) ، والأصل : (اتَّقَاكَ) ، فحذف (فاء) الفعل المدغمة ، فسقطت همزة الوصل المجتلبة لسكونها^(٥) . وقولهم في المضارع (يتقي) تقديره (يَتَعَلِّ)^(٦) .

قال الأزهري : اتَّقَى كان في الأصل (اوْتَقَى) ، فأدغمت الواو في التاء وشدّدت ، فقليل : (اتَّقَى) ثم حذفوا ألف الوصل ، والواو التي انقلبت تاء ، فقليل : تَقَى يَتَقَى ، بمعنى^(٧) : استقبل الشيء بالشيء وتوقاه .

= انظر : ترجمته في تاريخ بغداد ٧/ ٢٩٦ ، ومعجم الأدباء ٢/ ٤٧٨ ، وإنباه الرواة ١/ ٢٩١ ، ونزهة الألباء ١٦٠ .

(١) في (ب) : (ابنك) .

(٢) في (ب) : (للصغار ما يليك) .

(٣) في (ج) : (تقريره) .

(٤) في (ب) : (تعلل) .

(٥) في الحجة لأبي علي : « . . . وأعللتها بالحذف كما أعللتها بالقلب ، وليس ذلك بالمطرود وقولهم في المضارع . . . إلخ » ٣/ ٢٩ .

(٦) انظر : قول السكري في الحجة لأبي علي ٣/ ٢٩ .

(٧) في التهذيب : (بمعنى : توقي) ، التهذيب (تقى) ١/ ٤٤٤ .

قال السكري : وتَقَى يَتَّقِي بفتح (التاء) شاذ جداً ، لأنه لا يقال : تَضَح بمعنى اتَّضَح^(١) ، ولا تَزَن بمعنى ائْتَزَن^(٢) . قال^(٣) الأزهرى : وإذا قالوا : تَقَى يَتَّقَى^(٤) فالمعنى : أنه صار تقياً^(٥) .

والمراد بالمتقين في هذه الآية : المؤمنون ، كذلك قال أهل التفسير في قوله : ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ ، أي للمؤمنين^(٦) ، كأنه قال : القرآن بيان وهدى لمن اتَّقَى الشرك ، فخص المؤمنين بأن الكتاب بيان لهم من دون الكفار الذين لم يهتدوا بهذا الكتاب ، فأما من آمن ولم يجتنب الكبائر ، فهو داخل في جملة المتقين^(٧) أيضاً ؛ لأنه آمن بموجب الكتاب ، واتقى الشرك .

وقيل : إن الكتاب بيان بنفسه ودلالة على الحق ، ولكنه أضافه إلى المؤمنين خصوصاً لانتفاعهم به ، والكافر لو تأمل القرآن لوجده بياناً ، فهو في كونه بياناً في نفسه لا يتخصص بقوم من دون قوم ، ولكنه أضيف إلى المؤمنين على الخصوص لانتفاعهم به من دون الكفار^(٨) ، كقوله تعالى : ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مَّن يَخْشَاهَا﴾ [النازعات : ٤٥] وكان ﷺ من ذرراً لمن يخشى ولمن لم يخش .

(١) في (ب) : (بفتح معنى الفتح) .

(٢) انظر : اللسان (وقى) ٨ / ٤٩٠٢ .

(٣) قال ساقط من (أ) و(ج) .

(٤) في (ب) : (تقى ، يقى) .

(٥) تهذيب اللغة (تقى) ١ / ٤٤٤ .

(٦) ذكر ابن جرير بسنده عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي ﷺ (للمتقين) : هم المؤمنون ، ١ / ١٠٠ ، وذكره الثعلبي في تفسيره ١ / ٤٢ / أ .

(٧) رجَّح ابن جرير : أن المراد عموم التقوى ، ولا تخص معنى من دون معنى ، ثم قال : فقد تبين إذا فساد قول من زعم أن تأويل ذلك إنما هو الذين اتقوا الشرك وبرئوا من النفاق ، لأنه قد يكون كذلك ، وهو فاسق غير مستحق أن يكون من المتقين . إلخ . تفسير الطبري ١ / ١٠١ ، وانظر : تفسير أبي الليث ١ / ٩٠ ، وابن عطية ١ / ١٤٤ .

(٨) ذكره أبو الليث في تفسيره ١ / ٩٠ ، ونحوه في القرطبي ١ / ١٤٠ ، ١٤١ ، وزاد المسير ١ / ٢٤ .

وقال ابن الأنباري : معناه : هدى للمتقين والكافرين ، فاكتمى بأحد^(١) الفريقين من^(٢) الآخر ، كقوله : ﴿ سَرَّيْلَ تَقِيكُمْ الْحَرَّ ﴾ [النحل : ٨١] ، وقوله : ﴿ لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ ﴾ [آل عمران : ١١٣] أراد وأخرى غير قائمة^(٣) .
وقال أبو ذؤيب^(٤) :

فَمَا أَدْرِي أَرُشِدُ طَلَابَهَا^(٥)

(وأراد : أم غي^(٦)) .

والدليل على هذا : أنه قال في موضع آخر : ﴿ هُدًى لِلنَّاسِ ﴾ [آل عمران : ٤] ،^(٦) فجعله هدى للناس عاماً ، على أنه ليس في الإخبار أنه ﴿ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ ﴾ ما يدل على أنه ليس هدى لغيرهم . فأما إعراب ﴿ هُدًى ﴾ ، فقال أبو إسحاق^(٧) : موضعه نصب من وجهين :

- (١) في (ب) : (بإحدى) .
- (٢) في (ب) : (عن) .
- (٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ، ولم ينسبه إلى ابن الأنباري ، ٢٤ / ١ .
- (٤) هو خويلد بن خالد الهذلي ، شاعر مجيد مخضرم ، أدرك الإسلام وقدم المدينة عند وفاة النبي ﷺ ، وأسلم ، توفي في غزوة إفريقية مع ابن الزبير ، انظر : ترجمته في الشعر والشعراء ٤٣٥ ، والاستيعاب ٤ / ٦٥ ، ومعجم الأدباء ٣ / ٣٠٦ ، والخزانة ١ / ٤٢٢ .
- (٥) جزء من بيت لأبي ذؤيب الهذلي من الطويل ، وتماهه :
عصاني إليها القلبُ إني لأمره سميعٌ فما أدري أرشد طلابها
يقول : إن قلبه عصاه فلا يقبل منه ، فيذهب إليها قلبه سفهاً ، فأنا أتبع ما يأمرني به ، فما أدري أرشد أم غي ؟ . ويروى البيت : (عصيت إليها القلب . . .) . ورد البيت عند الفراء في معاني القرآن ١ / ٢٣٠ ، وابن قتيبة في المشكل : ص ٢١٥ ، والسكري في شرح أشعار الهذليين ١ / ٤٣ ، وابن هشام في مغني اللبيب ١ / ٤٣١٤ ، ٢ / ٦٢٨ ، والبغداد في خزانة الأدب ١١ / ٢٥١ .
- (٦) كما ورد هذا في ذكر الكتاب الذي أنزل على موسى : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَن أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ ﴾ [الأنعام : ٩١] .
- (٧) معاني القرآن ١ / ٣٣ .

أحدهما : أن يكون منصوباً على الحال من قولك : القرآن ذلك الكتاب هدى ، فيكون حالاً من الكتاب ، كأنك قلت : هادياً ؛ لأن (هدى) جاء بعد تمام الكلام ، والعامل فيه يكون معنى الإشارة في ذلك ^(١) .

والثاني : أن يكون منصوباً على الحال من (الهاء) في قوله : ﴿لَارِيبَ فِيهِ﴾ ، كأنك قلت : لا شك فيه هادياً ، والعامل فيه معنى ريب ^(٢) .

والفراء يسمي الحال هاهنا : قطعاً ^(٣) ، لأنه قال ^(٤) : تجعل ﴿الْكِتَابِ﴾ خبراً لـ ﴿ذَلِكَ﴾ وتنصب ﴿هُدًى﴾ ^(٥) على القطع ، لأن ﴿هُدًى﴾ نكرة اتصلت بمعرفة ، والنكرة لا تكون دليلاً على معرفة . قال : وإن شئت قطعت ^(٦) من الهاء التي ^(٧) في ﴿فِيهِ﴾ ، كأنك قلت : لا شك فيه هادياً . قال أبو إسحاق ^(٨) : ويجوز أن يكون موضعه رفعاً من جهات :

إحداها : أن يكون ^(٩) خبراً بعد خبر ، كأنه قال : (ذلك الكتاب هدى) ، أي قد جمع أنه الكتاب الموعود ، وأنه هدى ، كما تقول : هذا حلو حامض ، أي قد

(١) من قوله : فيكون حالاً من الكتاب . . . إلى (في ذلك) ليس في المعاني ٣٣ / ١ .

(٢) ذكر قول الزجاج بمعناه ٣٣ / ١ ، وانظر : إعراب القرآن للنحاس ١ / ١٨٠ ، وإملاء ما من به الرحمن للعكبري ١ / ١٦ ، ومشكل إعراب القرآن لمكي ١ / ١٧ .

(٣) وبهذا أخذ الكوفيون . انظر : إعراب القرآن للنحاس ١ / ١٣٠ .

(٤) معاني القرآن للفراء ١ / ٤٥ ، وانظر : تفسير الطبري ١ / ٩٩ ، وقد رد الطبري على الفراء قوله .

(٥) (هدى) ساقط من (أ) و(ج) ، وثابت في (ب) ، معاني القرآن للفراء ١ / ١٢ .

(٦) عبارة الفراء : «وإن شئت نصبت (هدى) على القطع من الهاء التي في (فيه) . . . » ، ١ / ١٢ .

(٧) في (ب) : (إلى) .

(٨) معاني القرآن ١ / ٣٣ .

(٩) في (ب) : (تكون) .

جمع الطعمين^(١) . ويجوز أن يكون رفعاً على إضمار (هو) ، كأنه لما تم الكلام قيل : هو هدى^(٢) .

ويجوز : أن يكون الوقف على قولك^(٣) : ﴿لَا رَيْبَ﴾ ، [أي ذلك الكتاب لا ريب^(٤)] ولا شك^(٥) ، كأنك قلت : ذلك الكتاب حقاً ؛ لأن (لا شك) بمعنى : حق ، ثم قيل^(٦) بعد : (فيه هدى)^(٧) .

فإن قيل : كيف ؟ قال : ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾^(٨) ، وقد ارتاب فيه المرتابون ؟ قيل : معناه أنه حق في نفسه وصدق ، وإن ارتاب المبطلون^(٩) ، كما^(١٠) قال الشاعر :
ليس في الحق يا أميمة^(١١) ريبٌ إنما الريبُ ما يقول الكذوبُ^(١٢)

(١) تعقب أبو علي الفارسي الزَّجَّاج في هذا ، وقال : فالقول في هذا على هذا الوجه مشكل . . . ثم شرح وجه إشكاله . انظر : الحجة ١/ ١٩٨ .

(٢) عبارة الزَّجَّاج : « . . . كأنه لما تم الكلام ف قيل : ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ قيل : هو هدى » . ٣٣/ ١ .

(٣) في (ج) : (قوله) .

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (ب) .

(٥) عبارة الزَّجَّاج كما في المطبوع : « ويجوز أن يكون رفعه على قولك : (ذلك الكتاب لا ريب فيه) كأنك قلت : ذلك الكتاب حقاً . . . إلخ » ، فلعل وجود (فيه) في المطبوع تصحيف . والله أعلم . انظر : المعاني ١/ ٣٣ .

(٦) (قيل) ساقط من (ب) .

(٧) انتهى كلام الزَّجَّاج . انظر : المعاني ١/ ٣٣ ، وانظر : معاني القرآن للفرأء ٤٤ ، وتفسير الطبري ٩٩/ ١ ، وإعراب القرآن للنحاس ١/ ١٢٩ ، ١٣٠ ، والمشكل لمكي ١/ ١٧ ، وإملاء ما من به الرحمن ١١/ ١ .

(٨) (فيه) ساقط من (ب) .

(٩) ذكره بمعناه أبو الليث ١/ ٩٠ ، وابن الجوزي في زاد المسير ، واستشهد بالبيت ، ٢٤/ ١ .

(١٠) (كما) ساقط من (ب) .

(١١) في (ب) : (أمية) .

(١٢) البيت لعبد الله بن الزبيري ، ورد في الماوردي ١/ ٦٧ ، ورسالة دكتوراة ، زاد المسير ١/ ٢٤ ، والقرطبي ١٣٨/ ١ ، والبحر المحيط ١/ ٣٣ ، والدر المصون ١/ ٨٦ .

فنفي الريب عن الحق ، وإن كان المتقاصر في العلم يرتاب^(١) . ويجوز : أن يكون خبراً في معنى النهي^(٢) ، ومعناه : لا ترتابوا^(٣) ، كقوله : ﴿فَلَا رَفْثَ وَلَا فُسُوفَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾^(٤) [البقرة: ١٩٧] .

٣. قوله تعالى : ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ﴾ . قال الزَّجَّاج^(٥) : موضع ﴿الَّذِينَ﴾ جر ، تبعاً ﴿لِلشَّقِيقَيْنِ﴾ ، ويجوز أن يكون موضعه^(٦) رفعاً على المدح ، كأنه لما قيل : ﴿هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾ ، قيل : من هم ؟ ف قيل : هم ﴿الَّذِينَ﴾ ، ويجوز أن يكون موضعه نصباً على المدح ، كأنه قيل : أذكر^(٧) الذين^(٨) .

وقوله تعالى : ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ . قال الأزهري : اتفق العلماء أن (الإيمان) معناه : التصديق ، كقوله^(٩) : ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا﴾ [يوسف: ١٧] ، أي بمصدق .

(١) أي فالاعتبار لمن كان معه من الأدلة ما لو تأمله المنصف المحق لم يرتب فيه ، ولا اعتبار لمن وجد منه الريب ، لأنه لم ينظر حق النظر . الفتوحات الإلهية ١ / ١١ .

(٢) في (ب) : (الأمر) .

(٣) في (ب) : (لا يرتابوا) .

(٤) ذكر هذا الكلام ابن الجوزي في زاد المسير ، ونسبه إلى الخليل ، وابن الأثيري ٢٣ / ١٠ ، وقد أجاب الواحدي عن السؤال بجوابين ، وهناك جواب ثالث : وهو أنه مخصوص ، والمعنى (لا ريب فيه عند المؤمنين) ، والجواب الأول أحسنها . ذكر ذلك الجمل في الفتوحات الإلهية ١ / ١١ .

(٥) معاني القرآن ٣٣ / ١ .

(٦) في معاني القرآن : (موضعهم) . قال المحقق : وهو ناظر فيه إلى معنى الكلمة . ٣٣ / ١ .

(٧) في (ب) : (اذكروا) مكررة .

(٨) انتهى من معاني القرآن للزَّجَّاج ٣٣ / ١ ، ٣٤ ، وانظر : إعراب القرآن للنحاس ١ / ١٣١ ، والإملاء للعكبري ١ / ١١ .

(٩) في تهذيب اللغة : «اتفق العلماء من اللغويين وغيرهم أن الإيمان معناه : التصديق ، وقال تعالى : ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا﴾» . تهذيب اللغة (أمن) ١ / ٢١٠ . وقد اعترض بعض العلماء على دعوى الإجماع على أن الإيمان معناه في اللغة التصديق . قال ابن أبي العز في شرح العقيدة الطحاوية : «وقد اعترض على استدلالهم بأن الإيمان في اللغة عبارة عن التصديق ، بمنع الترادف بين التصديق والإيمان ، وهب أنه يصح في موضع ، فلم قلت إنه يوجب الترادف مطلقاً ؟» . شرح الطحاوية : (٣٢١) . وقال ابن تيمية في معرض رده على من ادعى إجماع أهل اللغة على أن الإيمان معناه التصديق ، قال : «... قوله إجماع =

ومعنى التصديق : هو اعتقاد السامع صدق^(١) المخبر في ما يخبر ، وأصله في اللغة : الطمأنينة إلى الشيء ، من قولهم : آمن يأمن أمناً ، إذا اطمأنَّ وزال^(٢) الخوف عنه . وآمنت فلاناً ، إذا جعلته يطمئن وتسكن نفسه . وآمن بالله ورسوله إذا صدقها واثقاً^(٣) بذلك مطمئناً إليه .

قال الأزهري : وإنما قلت : إن المؤمن معناه : المصدق ، لأن الإيمان مأخوذ من الأمانة ، والله يتولى علم السرائر ونية العقد^(٤) ، وجعل تصديقه أمانة ائتمن كل من أسلم على^(٥) تلك الأمانة ، فمن^(٦) صدق بقلبه فقد أدى الأمانة ، ومن كان قلبه على خلاف ما يظهره بلسانه فقد خان ، والله حسيبه .

وإنما قيل للمصدق : مؤمن ، وقد آمن ؛ لأنه دخل في أداء الأمانة التي ائتمنه الله عليها^(٧) . وأنشد ابن الأنباري على أن (آمن) معناه : صدَّق^(٨) قول الشاعر :

وَمِنْ قَبْلُ أَمَّنَّا وَقَدْ كَانَ قَوْمُنَا يُصَلُّونَ لِلأَوْثَانِ قَبْلَ مُحَمَّدًا^(٩)

أهل اللغة قاطبة على أن الإيمان قبل نزول القرآن هو التصديق ، فيقال له : من نقل هذا الإجماع ومن أين يعلم هذا الإجماع ؟ وفي أي كتاب ذكر هذا الإجماع ؟ . . . ، ثم ذكر وجوها كثيرة في ردِّ هذه الدعوى . انظر : كتاب الإيمان ضمن مجموع الفتاوى ١٢٣ / ٧ - ١٣٠ . وعلى فرض أن معنى الإيمان في اللغة (التصديق) فإن الشارع استعمله في معنى اصطلاحي خاص ، كما استعمل الصلاة والزكاة في معانٍ شرعية خاصة زائدة على المعنى اللغوي . انظر : مجموع الفتاوى ٢٩٨ / ٧ .

(١) في (ب) : (مع صدق) .

(٢) في (ب) : (وزوال) .

(٣) في (ب) : (واقى) .

(٤) في (ب) : (العبد) .

(٥) في (ب) : (عن) .

(٦) في (ب) : (فقد) .

(٧) نقل كلام الأزهري بمعناه ، انظر : التهذيب (أمن) ٢١١ / ١ .

(٨) تهذيب اللغة (أمن) ٢١١ / ١ ، وانظر : الزاهر ٢٠٣ / ١ .

(٩) البيت أنشده ابن الأنباري في الزاهر من دون عزو ٢٠٣ / ١ ، وكذلك الأزهري في التهذيب (أمن)

٢١٢ / ١ ، واللسان (أمن) ١٤٢ / ١ .

معناه : من قبل آمنّا محمداً ، [أي صدقنا محمداً]^(١) فمحمداً منصوب بمعنى التصديق^(٢) .

قال أبو علي الفارسي^(٣) : ويجوز من حيث قياس اللغة ، أن يكون (آمن) [صار ذا آمن]^(٤) ، مثل : أجذب ، وأعاه^(٥) ، أي صار ذا عاهة في ماله ، فكَذلك (آمن) صار ذا (آمن) في نفسه وماله بإظهار الشهادتين ، كقولهم : أسلم ، أي صار ذا سلم ، وخرج عن أن يكون حرباً مستحل المال والدم^(٦) .

والقول في معنى الإيمان : ما قاله الأزهري^(٧) . على أن أبا القاسم الزَّجَّاجي شرح معنى الإيمان بما هو أظهر مما ذكره الأزهري ، وهو أنه قال^(٨) : معنى التصديق في الإيمان لا يعرف من طريق اللغة إلا بالاعتبار والنظر ، لأن حقيقة ليست للتصديق ، ألا ترى أنك إذا صدقت إنساناً في ما يخبرك به ، لا تقول : آمنت

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ب) و(ج) .

(٢) انظر : كلام ابن الأنباري في الزاهر ١/ ٢٠٢ ، ٢٠٣ .

(٣) الحجة ١/ ٢٢٠ .

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (ب) ، وفي (ج) : (ذا أمر) .

(٥) في الحجة : (أجرب ، وأقطف ، وأعاه) . ١/ ٢٢٠ .

(٦) انتهى ما نقله عن الحجة لأبي علي ١/ ٢٢٠ ، وانظر : بقية كلام أبي علي : (٢٢٦) ، إذ أفاد أن الإيمان بمعنى التصديق ليس على إطلاقه في كل موضع .

(٧) أي بمعنى التصديق ، فإن أراد المعنى اللغوي ، فقد سبق ذكر اعتراض بعض العلماء عليه ، وإن أراد المعنى اللغوي والشرعي فهذا مردود ، فإن معنى الإيمان عند السلف : تصديق القلب ونطق (اللسان) ، وعمل الجوارح . ولو قلنا : إن الإيمان في اللغة التصديق ، فإن الشارع استعمله في معنى أوسع من ذلك ، كما استعمل الصلاة والزكاة وغيرهما من المصطلحات الشرعية التي نقلت من معناها اللغوي إلى معنى شرعي خاص ، أو أن الشارع لم ينقلها ولم يغيرها ، ولكن استعملها مقيدة لا مطلقة . انظر : شرح العقيدة الطحاوية ٣١٤-٣٣٢ ، ومجموع الفتاوى ٧/ ١٧٠ ، ٢٨٧ ، ٢٩٨ .

(٨) لم أجده في ما اطلعت عليه من كتب الزَّجَّاجي والله أعلم .

به ، لكنك إذا نظرت في موضوع^(١) هذه الكلمة وصرّفته حق التصريف ، ظهر لك من باطنها معنى يرجع إلى التصديق^(٢) .

وذلك أن (آمن) أفعل ، من (أمن) ، والواحد إذا قال : آمنت بالله . [فإن (آمنت) فعل متعد ، ومعناه : آمنت نفسي ، أي جعلتها في أمان الله بتصديقي^(٣) إياه ؛ لأن الأمن من عذاب الله لا يحصل إلا بتصديقه ، فإذا صدقه فقد آمن نفسه^(٤) ، فصار التصديق إيماناً للعبد ، وجاز أن يعبر عن الإيمان بالتصديق ؛ لأن أحدهما سبب للآخر^(٥) . و(الباء) في قولك : (آمنت بالله)^(٦) ليست (باء) التعدي ، إنما هي (باء) الإلصاق التي يسميها^(٧) النحويون (باء) الاستعانة^(٨) ، كما تقول : قطعت القلم بالسكين .

(١) في (ب) : (موضع) .

(٢) إذا حقيقة الإيمان في أصلها ليست للتصديق فقط ، وإن كان التصديق أحد معانيها ، كما ذكر : أنك إذا صدقت إنساناً في ما يجربك به لا تقول : آمنت ، وهذا استدلال من قال : إن الإيمان والتصديق ليسا مترادفين على الإطلاق .

قال شارح الطحاوية : «ومما يدل على عدم الترادف ، أنه يقال للمُخْبِر إذا صدّق : صدقه ، ولا يقال : آمنه ، ولا آمن به ، بل يقال : آمن له ، كما قال تعالى : ﴿فَأَمَّا لِلْمُؤْمِنِ﴾ [العنكبوت : ٢٦] . ﴿فَعَمَّا آمَنَ لِيُؤْمِنَ إِلَّا دُرَيْدٌ مِّنْ قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ﴾ [يونس : ٨٣] . وقال تعالى : ﴿يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة : ٦١] ، ففرق بين المعدى بالباء والمعدى باللام ، فالأول يقال للمُخْبِر به ، والثاني للمُخْبِر
شرح الطحاوية ٣٢١ ، وانظر : مجموع الفتاوى ٢٩٠ / ٧ .

(٣) في (ب) : (تصديقي) .

(٤) في (ب) : (آمن من نفسه) .

(٥) في (ب) : (الآخر) .

(٦) ما بين المعقوفين مكرر في (ب) .

(٧) في (ب) : (يسموها) .

(٨) سماها شارح الطحاوية باء التعدي ، لكن هناك فرق بين المعدى بالباء والمعدى باللام ، فالمعدى بالباء للمخبر به ، وباللام للمخبر . انظر : شرح الطحاوية ٣٢١ ، ومجموع الفتاوى ٢٨٨ / ٧ .

كذلك وقع إيمان النفس من العذاب بتصديق الله ، وحذف المفعول من قولهم : (آمنت بالله) لدلالة المعنى عليه ، كقولهم : حمل فلان على العدو ، أي سلاحه أو نفسه ، هذا هو الأصل في الإيمان ، ثم جعل الإيمان بمعنى التصديق في قوله : ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا﴾ [يوسف: ١٧] أي بمصدق^(١) ، ولم يقل : (بنا) لأنه أريد هاهنا التصديق الخالص ، لا إيمان بالنفس من العذاب ، كما أريد ذلك في قولهم : (آمنت بالله) .

وأما الفرق بين الإيمان والإسلام فسنذكره عند قوله : ﴿قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾^(٢) [الحجرات: ١٤] إن شاء الله .

وسمي أحدهما^(٣) باسم الآخر^(٤) مجازاً وتوسعاً ، كقوله تعالى : ﴿فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٥) فَأَوَحَّدْنَا ﴿[الذاريات: ٣٥، ٣٦] . وفي بعض القراءات : ﴿أَتَّخَذُوا أَيْمَنَهُمْ جُنَّةً﴾ [المنافقون: ٢] بكسر الألف^(٥) ، بمعنى الشهادة باللسان^(٦) .

(١) قال الفارسي : «وأما قوله : ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾ فليس المعنى على : ما أنت بمصدق لنا ولو كنا صادقين عندك ؛ لأن الأنبياء لا تكذب الصادقين ، ولكن المعنى : ما أنت واثقاً ، ولا غير خائف الكذب في قولنا . . . فمؤمن هنا من آمن ، أي صار ذا أمن أو صار ذا ثقة . . . » .
الحجة ١/ ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ونحو هذا قال ابن تيمية في الآية : «إنها بمعنى : أي بمقر لنا ومصدق لنا ، لأنهم أخبروه عن غائب . . . » . الإيمان الأوسط ٧١ .

(٢) في (ب) : ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ: آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾ .

(٣) أي الإيمان والإسلام .

(٤) ذكره أبو علي الفارسي ، انظر : الحجة ١/ ٢٢٠ . قال ابن كثير - راداً على من قال ذلك - عند تفسير قوله تعالى : ﴿فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٥) فَأَوَحَّدْنَا ﴿[الذاريات: ٣٥، ٣٦] ، قال : «احتج بهذه من ذهب إلى رأي المعتزلة ممن لا يفرق بين مسمى الإيمان والإسلام ، لأنه أطلق عليهم المؤمنين والمسلمين ، وهذا الاستدلال ضعيف ؛ لأن هؤلاء كانوا قوماً مؤمنين ، وعندنا أن كل مؤمن مسلم ، ولا ينعكس ، فاتفق الاسمان هاهنا لخصوصية الحال ، ولا يلزم ذلك في كل حال ، ابن كثير . ٢٤٩٨ / ٤ . ط . دار الفكر .

(٥) قراءة الجمهور بالفتح ، وبالكسر قراءة الحسن . انظر : المحتسب ٢/ ٣١٥ ، ٣٢٢ ، البحر ٨/ ٢٧١ ، والقراءات الشاذة للقاظمي ٧٢ .

(٦) في (ب) : (اللسان) . انظر : الحجة ١/ ٢٢٢ .

وفي قوله ﴿الْمُؤْمِنِينَ﴾ قراءتان، تحقيق الهمزة وتليينها^(١). فمن حَقَّقَ فحجته^(٢): أن الألف في (آمن) لا تخلو إما أن تكون زائدة، أو منقلبة، فلا^(٣) يجوز أن تكون زائدة، لأنها لو كانت كذلك لكان (فَاعِلٌ) [ولو كان (فَاعِلٌ)]،^(٤) كان مضارعه (يُفَاعِلُ) فلما كان مضارعه (يؤمن) دل على أنها غير زائدة، فإذا لم تكن زائدة كانت منقلبة، ولا يخلو انقلابها من أن يكون عن: (الواو) أو عن (الياء) أو عن (الهمزة)، ولا يجوز أن تكون منقلبة عن (الواو)؛ لأنها في موضع سكون، [وإذا كانت في موضع سكون]^(٥) وجب تصحيحها، وبمثل هذه الدلالة لا يجوز انقلابها عن (الياء)، فإذا^(٦) لم يجز انقلابها عن (الواو) ولا عن (الياء) ثبت أنها منقلبة عن (الهمزة)، وإنما انقلبت عنها ألفاً لوقوعها ساكنة بعد حرف مفتوح، كما أنها إذا خُفِّفَتْ في: (بأس) و(رأس)^(٧) و(فأس) انقلبت عنها ألفاً لسكونها وانفتاح ما قبلها^(٨)، كذلك قلبت في نحو: (آمن) و(آتى)^(٩)، وفي الأسماء: نحو (آدر)^(١٠) و(آدم)، و(آخر) إلا أن الانقلاب هاهنا لم يجر لها اجتماع

(١) قرأ ورش عن نافع، وأبو عمرو (يومنون) بغير همز، وبقية السبعة يهزمون. انظر: الحجة لأبي علي ٢١٤ / ١، وحجة القراءات لابن زنجلة ٨٤.

(٢) نقله عن الحجة لأبي علي، قال في الحجة: «الإعراب: لا تخلو الألف في (آمن) من أن تكون زائدة، أو منقلبة، وليس في القسم أن تكون أصلاً. فلا يجوز أن تكون زائدة لأنها...». ٢٣٥ / ١.

(٣) في (ب): (ولا يجوز).

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (ج).

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٦) في (ب): (وإذا).

(٧) في (ج): (وأس).

(٨) بنصه في الحجة ٢٣٥ / ١، وانظر: الكتاب ٥٤٣ / ٣.

(٩) في النسخ جميعها: (آتى)، ورسمتها حسب ما في الحجة ٢٣٥ / ١.

(١٠) الأدر: وهو المنتفخ الخصية. انظر: اللسان (أدر) ٤٤ / ١.

الهمزتين ، والهمزتان إذا اجتمعتا في كلمة لزم الثانية منهما القلب بحسب الحركة التي قبلها إذا كانت ساكنة ، نحو : (آمن) ، و(اوتمن) ، و(ايدن)^(١) ، و(ايتنا)^(٢) .

فمن حقق^(٣) (الهمز) في ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ ، فلأنه إنما ترك (الهمز) من (أومن) لاجتماع الهمزتين ، كما أن تركها في (آمن) كذلك^(٤) ، فلما زال اجتماعها مع سائر الحروف المضارعة سوى^(٥) الهمزة ، رد^(٦) الكلمة إلى الأصل فهمز ؛ لأن الهمز من (الآمن) و(الأمنة) فاء الفعل .

ومما^(٧) يقوي الهمزة^(٨) أن من تركها إنما يقلبها (واواً)^(٩) ساكنة وما قبلها متحرك بالضم ، و(الواو) الساكنة إذا انضم ما قبلها فقد استجازوا قلبها^(١٠) همزة .

(١) (ايدن) مكانها بياض في (ب) .

(٢) انظر : بقية كلام أبي علي في الحجة ١ / ٢٣٦ ، وما بعده نقله من موضع آخر ١ / ٢٣٨ ، وإذ قال أبو علي : «أما حجة من قرأ (يؤمنون) بتحقيق الهمز ، فلأنه إنما ترك الهمز في (أومن) لاجتماع الهمزتين . . . » . ١ / ٢٣٨ ، ٢٣٩ .

(٣) في (ج) : (خفف) .

(٤) في (أ) و(ج) : (لذلك) ، واخترت ما في (ب) ، لأنه أصح وموافق لما في الحجة ١ / ٢٣٨ .

(٥) في (ب) : (سرى) .

(٦) في (ب) : (ورد) .

(٧) في (ب) : (وما) .

(٨) في (ج) : (أن الهمزة أن من تركها) .

(٩) في (ب) : (واو) .

(١٠) في (ب) : (قبلها) .

يدل^(١) على هذا ما ذكره المازني عن الأخفش ، قال^(٢) : كان أبو حية النميري يهمز كل واو ساكنة قبلها ضمة نحو : (مؤسى)^(٣) وأشباهه . وتقدير ذلك : أن الحركة لما كانت تلي الواو من (مؤسى)^(٤) صارت كأنها عليها ، والواو إذا تحركت بالضمة أبدل منها الهمزة .

وإذا جاز إبدال (الهمزة) من (الواو الساكنة) التي قبلها ضمة ، واجتلابها وإن لم تكن من الكلمة ، فالهمزة التي هي أصل في الكلمة أولى بالتحقيق ، وأن لا يبدل منها الواو .

وحجة من لم يهمز^(٥) : أن هذه الهمزة قد لزمها البدل في مثالين من الفعل المضارع والماضي ، نحو^(٦) : (آمن) و(أؤمن) ، والمضارع نحو : (أؤمن) ولم يحز تحقيقها في هذه المواضع ، وهذا القلب الذي يلزمنا^(٧) في المثالين إعلال لها ، والإعلال إذا لزم مثلاً أتبع سائر الأمثلة العارية من موجب الإعلال ، كإعلالهم

(١) في (ب) : (نيل) .

(٢) في الحجة : «قال محمد بن يزيد : أخبرني أبو عثمان ، قال : أخبرني الأخفش قال : كان أبو حية النميري يهمز كل واو ساكنة قبلها ضمة وينشد :

لَحَبَّ الْمُؤَقَّدَانِ إِلَى مُؤَسَى

وتقدير ذلك أن الحركة . . . إلخ . ٢٣٩ / ١ .

(٣) (موسى) غير مهموزة في النسخ جميعها ، وهمزتها كما في الحجة ١ / ١٣٩ .

(٤) انظر : التعليق السابق .

(٥) الحجة ١ / ٢٤٠ .

(٦) في الحجة : (فالماضي نحو : . . .) ١ / ٢٤٠ .

(٧) في الحجة : (يلزمها) ١ / ٢٤٠ .

(يقوم) ، و(لقام) ، و(يُكْرَم) ^(١) من أجل (أُكْرِم) ^(٢) و(أَعْد) (لِيَعِد) ^(٣) ، فوجب على هذا أن يختار ^(٤) ترك الهمزة في ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ ، ليتبع قولهم ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ في الإعلال المثاليين الآخرين ^(٥) ، لا على التخفيف القياسي ^(٦) نحو : (جونة) في (جؤنة) ^(٧) ، و(بوس) في (بؤس) ^(٨) .

وأيضاً ، فإن ^(٩) حرف المضارعة المضموم صادف حرفاً منقلباً ألفاً قبل أن يلحقه حرف المضارعة ، فلما ولي المضموم من حرف المضارعة ، انقلب ذلك الألف واواً ، وأي ^(١٠) موضع للهمزة ^(١١) هاهنا ؟

- (١) في (ب) : (يلزم) .
- (٢) أصل (أُكْرِم) : (أُكْرِمُ) مضارع (أَكْرَمَ) ، ثم حذفت الهمزة في (أُكْرِم) لاجتماع الهمزتين ، ثم حملت الياء في (يُكْرِم) على الهمزة في (أُكْرِم) فحذفت الهمزة معه مثل حذفها مع (أُكْرِم) ليتفق الباب . انظر : سر صناعة الإعراب ١ / ٣٨٥ .
- (٣) لأن السواو في (يَعِد) حذفت لوقوعها بين ياء وكسرة ، وحملت الهمزة في (أَعْد) على ذلك ، وحذفت الواو معها حتى لا يختلف الباب . انظر : سر صناعة الإعراب ١ / ٣٨٥ .
- (٤) في (ج) : (تختاريتك) .
- (٥) أي الإعلال في الماضي نحو (آمن) ، والمضارع (أؤمن) .
- (٦) أي إن حذف الهمزة في (يؤمنون) إعلال ، لا تخفيف قياسي . والتخفيف القياسي ما ذكره سيبويه بقوله : « وإن كان ما قبلها مضموماً - أي الهمزة - فأردت أن تخفف ، أبدلت مكانها واواً ، وذلك قولك في (الجؤنة) و(البؤس) و(المؤمن) : الجونة والبوس والمومن » . الكتاب ٣ / ٥٤٣ .
- (٧) في (ب) : (جونة) . و(الجؤنة) : سلبية مستديرة مغشاة بجلد ، يستعملها العطار ظرفاً للطيب . انظر : تهذيب اللغة (جون) ١ / ٦٨٩٣ .
- (٨) إلى هنا انتهى ما نقله الواحدي عن الحجة ١ / ٢٤٠ .
- (٩) في (ب) سقط وتصحيف ، فالنص فيها : « وأيضاً ، قال في حرف المضارعة : انقلب ذلك الألف صادق حرفاً » .
- (١٠) (الواو) ساقطة من (ب) .
- (١١) في (ب) : (للهمز) .

وقوله تعالى: ﴿يَا غَيْبُ﴾^(١) الغيب: مصدر غاب يغيب غيباً، وكلُّ^(٢) ما غاب عنك فلم تشهده فهو غيب^(٣)، قال الله تعالى: ﴿عَلِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾^(٤)، والعرب تسمي^(٥) المطمئن من الأرض: الغيب^(٦)، لأنه غاب عن الأبصار.

ومنه قول لبید:

وَتَسَمَّعَتْ رِزَّ الْأَنِيسِ فَرَاغَهَا

عَنْ ظَهْرِ غَيْبٍ وَالْأَنِيسُ سَقَامُهَا^(٨)

(١) في (ب): (الغيب) تصحيف.

(٢) في (ب): (وكلما).

(٣) انظر: تفسير الطبري ١/١٠٢، وابن عطية ١/١٤٦، وتفسير القرطبي ١/١٤٢.

(٤) هذا جزء من آية وردت في مواضع، وهي: [٧٣] من الأنعام، [٩٤ و ١٠٥] من التوبة، [٩] من الرعد، [٩٢] من المؤمنون، [٦] من السجدة، [٤٦] من الزمر، [٢٢] من الحشر، [٨] من الجمعة، [١٨] من التغابن.

(٥) (تسمى) ساقط من (ج).

(٦) تهذيب اللغة (غاب) ٣/٢٦١٦.

(٧) في (ج): (صهر).

(٨) البيت في ديوان لبید، وروايته: (وتوجست رز... ويروى: (...ركز الأنيس) وهو يصف بقر الوحش، والرز والركز: الصوت الخفي، عن ظهر غيب: من وراء حجاب، وقوله: والأنيس سقامها: لأنهم يصيدونها فهم داؤها. انظر: شرح ديوان لبید ٣١١، وهو في المخصص لابن سيده ١٣٧/٢، وبمثل رواية الديوان، وبدل (راعها) (راها). وفي البحر المحيط ٦/١٩٨.

قال شمر^(١) : وكل مكان لا يدري ما فيه فهو غيب ، وكذلك الموضع الذي لا يدري ما وراءه وجمعه غيوب^(٢) ، ومنه قوله :

وللفؤادِ وجيبٌ تحتَ أبهره لدم الغلامِ وراءَ الغيبِ بالحجر^(٤)
وقال أبو زيد : يقال : بدا غيبان العود ، إذا بدت عروقه التي تغيبت في الأرض لحفر السيل^(٥) .

والمراد بالغيب المذكور هاهنا : ما غاب علمه^(٦) وعن الحسن والضرورة^(٧) مما يدرك بالدليل^(٨) ، ولذلك^(٩) استوجبوا حسن الثناء بالإيمان بالغيب ، لأنه تصديق بما أخبروا به مما لا يعلم حساً وضرورة ، ويكون العلم به مكتسباً ،

(١) هو شمر بن حمدويه الهروي ، اللغوي الأديب ، لقي أبا عبيدة ، وابن الأعرابي ، والأصمعي ، والفرّاء ، وغيرهم ، ألف كتاباً كبيراً في اللغة على حروف المعجم ، وفقد بعده ، توفي سنة خمس وخمسين ومئتان . انظر : إنباه الرواة ٧٧/٢ ، ومعجم الأدباء ٤١٠/٣ ، وإشارة التعيين ١٤١ .

(٢) ذكره الأزهري في تهذيب اللغة (غاب) ٢٦٢١/٣ .

(٣) في (ب) : (دم) .

(٤) البيت لاين مقبل . (الوجيب) : تحرك القلب تحت الأهر ، و(الدم) : الضرب ، و(الغيب) : ما كان بينك وبينه حجاب ، يقول : إن للقلب صوتاً يسمعه ولا يراه ، كما يسمع صوت الحجر الذي يرمي به الصبي ولا يراه . ورد البيت في تهذيب اللغة (بهر) ٤٠١/١ ، والصحاح (بهر) ٥٩٨/٢ ، ومعجم مقاييس اللغة (لدم) ٢٤٣/٥ ، والزاهر ٣٩٨/١ ، ٥٥٢ ، وأساس البلاغة (لدم) ٣٣٨/٢ ، واللسان (بهر) ٣٧٠/١ ، و(لدم) ٣٢٥٥/٤ .

(٥) لم أجده في نوادر أبي زيد ، وذكر الأزهري نحوه ولم ينسبه إلى أبي زيد . تهذيب اللغة (غاب) ٢٦١٦/٣ .

(٦) في (ب) : (محلة) .

(٧) قال البيضاوي : والمراد به : الخفي الذي لا يدركه الحس ، ولا تقتضيه بديهة العقل . ٧/١ .

(٨) الغيب قسبان : قسم لا دليل عليه وهو المعني بقوله تعالى : ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ ﴾ [الأنعام : ٥٩] ، وقسم نص عليه دليل كوجود الخالق سبحانه ، واليوم الآخر ، وغير ذلك من أمور الغيب ، وهو المراد هنا ، أي يستدلون عليه فيؤمنوا به .

انظر : البيضاوي ٧/١ ، والرازي ٢٣/٢ .

(٩) في (ب) : (وكذلك) .

فيدخل^(١) في جملة هذا ما أخبر عنه الرسول عليه السلام من أمر الجنة والنار والوعد وغير ذلك^(٢).

قال أبو العالية في قوله: ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾، قال: يؤمنون بالله^(٣)، وملائكته وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وجنته، وناره، ولقائه^(٤)، وبالبعث بعد الموت^(٥). وكأن هذا إجمال ما فصل في قوله: ﴿كُلُّ أَمْنٍ بِاللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٨٥]. وقال عطاء^(٧): من آمن بالله آمن بالغيب^(٨).

(١) في (ج): (يدخل).

(٢) انظر: معاني القرآن للزجاج ٣٥/١.

(٣) في (ب): (به).

(٤) (الواو) ساقطة من (ب).

(٥) في (ب): (هذا).

(٦) ذكره الثعلبي بسنده عن الربيع عن أبي العالية، ٤٦/١ أ، وأخرجه ابن جرير عن الربيع بن أنس. قال شاكر: لعل ذكره عن أبي العالية سقط من الإسناد من نسخ الطبري، لثبوته عند الناقلين عنه، الطبري ٢٣٧/١، (ط. شاكر)، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٣٦/١، وذكره ابن كثير ٤٤/١، والدر ٦٠/١.

(٧) هو عطاء بن أبي رباح، المكي، القرشي مولاهم، روى عن عدد من الصحابة، كان ثقة فقيهاً عالماً، توفي سنة أربع عشرة ومائة من الهجرة. انظر: ترجمته في طبقات ابن سعد ٤٦٧/٥، وسير أعلام النبلاء ٧٨/٥، وتهذيب التهذيب ١٠١/٣.

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم عن عطاء بن أبي رباح، قال المحقق: رجال إسناده، ثقات، ابن أبي حاتم ١٧٨/١، ورسالة دكتوراه. وأخرجه الثعلبي بسنده عن عطاء قال: ﴿أَلَيْسَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾، قال: هو الله عز وجل، من آمن بالله فقد آمن بالغيب. الثعلبي ٤٦/١ ب، وذكره ابن كثير ١٨١/١.

وكذلك روى أبو العباس عن ابن الأعرابي^(١) في قوله: ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ قال^(٢): يؤمنون بالله. قال^(٣): والغيب - أيضاً - ما غاب عن العيون وإن كان محصلاً في القلوب^(٤). قال أبو إسحاق: وكل ما غاب عنهم مما أخبرهم به النبي ﷺ فهو غيب^(٥). هذا طريق المفسرين في معنى (الغيب).

ولأهل المعاني فيه طريق آخر^(٦)، وهو أن معنى قوله تعالى: ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾، أي يؤمنون إذا غابوا عنكم، ولم يكونوا كالمنافقين^(٧) الذين يقولون إذا خلوا إلى شياطينهم: ﴿إِنَّمَا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾ [البقرة: ١٤]، ويقوي هذا الوجه قوله: ﴿الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ﴾ [الملك: ١٢]، وقوله تعالى: ﴿مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبِ﴾ [ق: ٣٣]، والجار والمجرور هاهنا في موضع (الحال)، أي يؤمنون غائبين عن مراعاة الناس، لا يريدون بإيمانهم تصنعاً لأحد.

(١) هو محمد بن زياد الأعرابي، مولى العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس، كان راوية للأشعار نحوياً، كثير الحفظ، توفي سنة إحدى وثلاثين ومئتان. انظر: ترجمته في طبقات النحويين واللغويين: ١٩٥، وإنباه الرواة ٣/ ١٢٨، ونزهة الألباء ١١٩.

(٢) في (ب): (ملا).

(٣) (قال) ساقط من (ب).

(٤) تهذيب اللغة (غاب) ٣/ ٢٦١٦.

(٥) معاني القرآن للزجاج ١/ ٣٥.

(٦) ما ذكره قال به عدد من المفسرين، ولم أجد أحداً من أهل المعاني في ما اطلعت عليه قال به، بل كلام الزجاج السابق بخلافه وهو أحد أهل المعاني، فلا وجه لتخصيص أهل المعاني بالذكر.

(٧) ذكره ابن عطية ١/ ١٤٥، والزمخشري في الكشاف ١/ ١٢٨، والرازي ٢/ ٢٧، وابن كثير ١/ ٤٤، والبيضاوي ١/ ٧.

وقوله تعالى : ﴿ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ ﴾ : أي يديمونها^(١) ، ويحافظون عليها ، ويقال : قام الشيء إذا دام وثبت ، وأقامه إذا أدامه^(٢) ، والذي يدل على أن قيام الشيء إنما يعني به دوامه وثباته^(٣) ما أنشده أبو زيد :

إِنِّي إِذَا لَمْ يُنْدِ حَلَقًا رِيقُهُ وَرَكَدَ السَّبُّ فَقَامَتْ سُوقُهُ^(٤)

والراكد : الدائم الثابت^(٥) ، ومن ثم قيل : ماء راكد ، وماء دائم . ومن هذا يقال : أقام القوم سوقهم إذا أداموها وواظبوا^(٦) عليها^(٧) .

قال أبو علي الفارسي : وهذا التفسير أشبه من أن يفسر بـ (يتمونها)^(٨) . وأما (الصلاة) فمعناها في اللغة : الدعاء^(٩) ، ومنه الحديث : «إذا دعى أحدكم إلى

(١) انظر : تفسير أبي الليث قال : يقيمون الصلاة يحافظون على الصلوات ، وقد قيل : معنى يقيمون ، أي يديمون الصلاة ، ٩٨٠ / ١ . وذكره ابن الجوزي وعزاه إلى ابن كيسان ، زاد المسير ٢٥ / ١ .

(٢) في (ب) : (دام) .

(٣) انظر : التهذيب (قام) ٢٨٦٤ / ٣ ، واللسان (قوم) ٣٧٨٢ / ٦ .

(٤) أبيات من الرجز أنشدها أبو زيد في النوادر مع أبيات أخرى ولم يعزها ، النوادر ١٦٩ ، وذكر ابن الأنباري في المذكر والمؤنت البيت الثاني ، (وركد السب . . . إلخ) مع بيت آخر ٣٥٥ ، وكذا ورد البيت الثاني في المخصص ٢١ / ١٧ .

(٥) في غريب الحديث لأبي عبيد : الدائم الراكد الساكن ، ١٣٧ / ١ ، وانظر : تهذيب اللغة (دام) ١١٣٤ / ٢ ، والزاهر ٣٧٢ / ٢ .

(٦) في (ب) : (ووضبوا) .

(٧) انظر : تفسير الطبري ١٠٤ / ١ .

(٨) وبهذا أخذ الزجاج حيث قال : معناه يتمون الصلاة ، كما قال : ﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْقَمَرَةَ لِلَّهِ ﴾ [البقرة : ١٩٦] . المعاني ٣٥ / ١ ، وقال ابن جرير : إقامتها . أداؤها بحدودها وفروضها والواجب فيها ، على ما فرضت عليهم . ١٠٤ / ١ ، وانظر : ابن كثير ٤٥ / ١ .

(٩) انظر : الطبري ١٠٤ / ١ ، وتهذيب اللغة (صلى) ٢٠٤٩ / ٢ .

طعام فليجب ، فإن كان مفطراً فليطعم وإن كان صائماً فليصل»^(١) . قال أبو عبيد :
قوله : «فليصل» أي فليدع له بالبركة والخير ، وكل داع فهو مصل^(٢) .

قال الأعشى :

عَلَيْكَ مِثْلَ الَّذِي صَلَّيْتَ فَاعْتَمَضِي
نَوْمًا^(٣) فَإِنَّ لِحْنَبَ الْمَرْءِ مُضْطَجَعًا^(٤)

(١) الحديث أخرجه مسلم عن أبي هريرة ، ١٤٣١٢ في كتاب النكاح ، باب : الأمر بإجابة الدعوة من دون قوله (إلى طعام) ، وأبو داود بمثل رواية مسلم ، ٢٤٦٠ في كتاب الصوم ، باب : في الصائم يدعى إلى وليمة ، وأخرج (٣٧٣٦) في كتاب الأطعمة ، باب : ما جاء في إجابة الدعوة ، ونحوه عن ابن عمر . وأخرجه الترمذي ، ٧٩٨٠ في كتاب الصيام ، باب : ما جاء في إجابة الدعوة من دون قوله : (فإن كان مفطراً فليطعم) في لفظه (إلى طعام) ، وأحمد في مسنده ٥٠٧ / ٢ ، ٤٨٩ / ٢ من دون قوله : (فإن كان مفطراً فليطعم) .

(٢) في غريب الحديث : «قال : قوله : فليصل . . . قال أبو عبيد : كل داع فهو مصل» ، في الهامش : قالأ : أي ابن عليّة ويزيد . انظر : غريب الحديث لأبي عبيد ١١٠ / ١ .
فالكلام الأول نقله أبو عبيد ، والمؤلف هنا نقل من الأزهري وتابعه في نسبة النص إلى أبي عبيد ، التهذيب (صل) ٢٠٤٩ / ٢ .

(٣) في (ب) : (يوماً) ، وهي رواية للبيت .

(٤) البيت في ديوان الأعشى ١٠٦ ، وهو من قصيدة يمدح بها (هودة بن علي الحنفي) ويروى : (يوماً) بدل (نوما) ، ذكره أبو عبيدة في المجاز ، وقال : فمن رفع (مثل) جعله : عليك كالذي قلت لي ودعوت لي به ، ومن نصبه جعله : أمراً ، يقول : عليك بالترحم والدعاء لي ، وذكره الزّجاج في معاني القرآن ١ / ٢١٤ ، وابن الأباري في الزاهر ١ / ١٣٩ ، وأبو بكر بن عزيز في معرفة اشتقاق أسماء نطق بها القرآن ٢ / ٥٣٩ ، ورسالة ماجستير ، وأبو عبيد في غريب الحديث ١ / ١١١ ، والأزهري في التهذيب (صل) ٢ / ٢٠٤٩ ، والدر المصون ١ / ٩٢ ، والقرطبي ١ / ١٤٦ ، وابن كثير ١ / ٤٦ ، والبحر المحيط ١ / ٣٨ .

وقال أبو العباس في قوله :

وَصَلَّى عَلَى دَنِّهَا وَارْتَسَمَ^(١)

قال : دعا لها أن لا تَحْمَضَ ولا تفسد^(٢) .

هذا معنى الصلاة في اللغة ، ثم ضمت إليها هيئات وأركان سميت بمجموعها صلاة ، هذا مذهب الأكثرين . وقال الزَّجَّاج^(٣) : الأصل في الصلاة اللزوم ، يقال : قد صلى واصطلى^(٤) : إذا لزم ، ومن هذا من يصلى في النار ، أي يلزم ، قال : والقول عندي هذا ؛ لأن الصلاة من أعظم الفرض الذي أمر بلزومه ، وألزم ما أمر به من العبادات^(٥) .

ومن اختار هذه الطريقة^(٦) قال : معنى قولهم للداعي إذا دعا : (صلى) معناه : أنه لزم الدعاء لشدة حاجته إلى الإجابة .

(١) البيت للأعشى من قصيدة يمدح به قيس بن معد يكرب ، وصدره :

قابَلَهَا الرِّيحُ فِي دَنِّهَا

يصف الخمر ، صلى : دعا ، ارتسم : كبر ودعا وتعوذ مخافة أن يجدها فسدت ، فتبور تجارته . انظر : ديوان الأعشى ١٩٦ ، وغريب الحديث لأبي عبيد ١١١/١ ، والطبري ١٠٤/١ ، وتهذيب اللغة (صلى) ٢٠٤٩/٢ ، وابن كثير ٤٦/١ .

(٢) تهذيب اللغة (صلى) ٢٠٤٩/٢ .

(٣) معاني القرآن ٢١٥/١ .

(٤) في (أ) و(ج) : (واصطلا) ، وفي المعاني : (يقال : صلى وأصلى واصطلى ...) ، ٢١٥/١ ، ونص المؤلف في التهذيب ، فلعله نقل منه ، ٢٠٤٩/٢ .

(٥) معاني القرآن للزَّجَّاج ، من دون قوله : (وألزم ما أمرت به من العبادات) ، ٢١٥/١ ، وذكره في تهذيب اللغة ٢٠٤٩/٢ .

(٦) أي أن الصلاة بمعنى اللزوم .

و(الصَّلَوَان) من الفرس : العظمان اللذان في العجز^(١) ، والواحد : (صلا) ، سَمِيًّا للزوم كل واحد منهما الآخر^(٢) ، والمَصْلِي : الذي يأتي في أثر السابق من هذا ، لأنه يأتي ورأسه مع ذلك المكان من السابق^(٣) ، ومنه حديث علي رضي الله عنه : «سبق رسول الله ﷺ وصلى أبو بكر»^(٤) .

وقوله تعالى : ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ . يقال : رَزَقَ الله الخلق رَزْقًا ورَزْقًا ، فالرَزْقُ بالفتح : هو المصدر الحقيقي ، والرَزْقُ : الاسم ، ويجوز أن يوضع موضع المصدر^(٥) ، وكل ما انتفع به العبد هو رزقه ، من مال وولد وغيره .

وقوله تعالى : ﴿يُنْفِقُونَ﴾ معنى الإنفاق في اللغة : إخراج المال من اليد . ومن هذا يقال : نفق المبيع إذا كثر مشترؤه ، فخرج عن يد البائع ، ونفقت الدابة إذا خرجت روحها^(٦) ، والنفق^(٧) سرب له مخلص إلى مكان آخر يخرج منه^(٨) ، والنافقة من جحرة اليربوع : وهو الذي يخرج منه إذا أخذ من جهة أخرى ، ومنه المنافق ، لخروجه عن الإيمان بما ينطوي عليه من الكفر^(٩) .

(١) انظر : معاني القرآن للزجاج ١/ ٢١٥ ، وتهذيب اللغة (صلى) ٢/ ٢٠٤٩ ، ومجمل اللغة (صلى) ٢/ ٥٣٨ .

(٢) في (ب) : (للاخر) .

(٣) المراجع السابقة .

(٤) أخرجه أحمد في المسند : «عن علي - رضي الله عنه - قال : سبق رسول الله ﷺ أبو بكر وثلاث عمر ، ثم خبطتنا فتنة بعدهم يصنع الله فيها ما يشاء» . المسند ١/ ١١٢ ، ١٢٤ ، ١٣٢ ، ١٤٧ . وأخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى ٦/ ١٣٠ ، وذكره أبو عبيد في غريب الحديث ٢/ ١٤٢ ، والأزهري في تهذيب اللغة (صلى) ٢/ ٢٠٥٠ .

(٥) تهذيب اللغة (رزق) ٢/ ١٤٠١ .

(٦) ذكره الثعلبي ١/ ٤٧ ، ب ، وانظر : تهذيب اللغة (نفق) ٤/ ٣٦٣٤ .

(٧) في (ب) : (النعفق) .

(٨) في (ب) : (منه إذا) ، وعند الثعلبي : (يخرج إليه) ، ١/ ٤٧ ب ، وهو في التهذيب من دون قوله : (يخرج منه نفق) . ٤/ ٣٦٣٥ .

(٩) انظر : التهذيب (نفق) ٤/ ٣٦٣٥ .

والمراد بالإنفاق هاهنا : إنفاق في ما يكون طاعة : فرضاً أو نفلاً ؛ لأن الله تعالى مدحهم بهذا الإنفاق^(١) .

٤ . قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ ﴾ . قال مجاهد : الآيات الأربع من أول هذه السورة نزلت في جميع المؤمنين^(٢) سواء كانوا من العرب ، أم من أهل الكتاب .

فعلى هذا القول (الواو) في قوله : ﴿ وَالَّذِينَ ﴾ لتعديد صفاتهم ، فهو عطف صفة على صفة ، والموصوف واحد^(٣) ، كما قال :

إلى الملكِ القَرْمِ وابنِ^(٤) الهُمامِ

وليثِ الكتبيةِ في المَزْدَحَمِ^(٥)

ولم يرد إلا شخصاً واحداً .

(١) ذكر الطبري نحوه ١٠٥ / ١ .

(٢) الأثر عن مجاهد أخرجه الطبري ١٠٣ / ١ ، وذكره الثعلبي ٤٧ / ١ ب ، وابن كثير ، وقال : قاله مجاهد ، وأبو العالية ، والربيع بن أنس ، وقتادة ٤٦ / ١ .

(٣) انظر : الطبري ١٠٧ / ١ ، وابن كثير ٤٦ / ١ ، والكشاف ١٣٣ / ١ ، ١٣٥ .

(٤) في (ج) : (بن) .

(٥) البيت غير منسوب في معاني القرآن إلى الفراء ١٠٥ / ١ ، والثعلبي ١٧٣ / ١ ، والكشاف ١٣٣ / ١ ، والقرطبي ٣٢٨ / ١ ، وابن كثير ٤٦ / ١ ، وخزانة الأدب ٤٥١ / ١ ، ١٠٧ / ٥ ، ٩١ / ٦ ، والبحر ٢٠٢ / ١ ، والدر المصون ٩٧ / ١ .

القرم : الفحل المكرم الذي لا يحمل عليه ، ويسمى السيد من الناس قرماً ، والهمام : من أسماء الملوك ، لعظم همتهم ، أو لأنه إذا هم بأمر فعله ، والكتيبة : الجيش ، المزدحم : المعركة ؛ لأنها موضع المزاحمة والمدافعة .

وقال ابن عباس في رواية أبي صالح ، وابن مسعود في رواية مرة^(١) : «إن آيتين من أول السورة نزلتا في مؤمني العرب ، والآيتان بعدهما نزلتا في مؤمني أهل الكتاب» ؛ لأنه لم يكن للعرب كتاب كانوا مؤمنين به قبل محمد ﷺ^(٢) . فعلى هذا (الواو)^(٣) لعطف مؤمني أهل الكتاب على مؤمني العرب^(٤) .

وقوله تعالى : ﴿إِلَيْكَ﴾ ، الأصل في (إليك) و(عليك) : (إلاك) و(علاك) ، كما تقول : إلى زيد ، وعلى زيد ، إلا أن (الألف) غيرت مع الضمير^(٥) ، وأبدلت (ياء) ليفصل بين (الألف) التي في آخر المتمكنة ، مثل : القفا والعصا ، وبين

(١) ذكره ابن جرير بسنده من طريق السدي عن أبي مالك ، وعن أبي صالح عن ابن عباس ، وعن مرة عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النبي ﷺ ، ١٠٥ / ١ ، ١٠٦ ، وانظر : ابن كثير ٤٦ / ١ . وأبو صالح هو مولى أم هانئ بنت أبي طالب ، اسمه (بازان) تابعي وثقة أكثرهم . انظر : ترجمته في الجرح والتعديل ٤٣١ / ٢ ، وتهذيب التهذيب ٢١١ / ١ . ومرة هو مرة بن شراحيل الهمداني الكوفي ، من كبار التابعين ثقة . انظر : ترجمته في الجرح والتعديل ٣٦٦ / ٨ ، وتهذيب التهذيب ٤٨ / ٤ ، وقد تكلم أحمد شاكر كلاماً جيداً ، وأطال حول هذا الإسناد في حاشية الطبري ١٥٦ / ١ - ١٥٩ ، وط . شاكر . أفاد فيه أن للسدي كتاباً في التفسير جمع فيه مفرق هذه التفاسير عن الصحابة الذين ذكرهم ، ذكر في أوله هذه الأسانيد ، وتفسيره من أوائل الكتب التي ألفت في هذا ، وهو من طبقة عالية من طبقة شيوخ مالك .

(٢) ذكره ابن جرير ، واستدل على هذا بقوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ . وذكر قولاً ثالثاً : أن الآيات الأربع في مؤمني أهل الكتاب خاصة . وقد رجح أن الآيتين من أول السورة في مؤمني العرب ، وأن الآيتين بعدهما في مؤمني أهل الكتاب . انظر : تفسير الطبري ١٠٢ / ١ ، ١٠٦ ، ١٠٧ .

ورجح ابن كثير في تفسيره قول مجاهد ٤٧ / ١ .

(٣) (الواو) ساقطة من (ب) .

(٤) انظر : الكشف ١٣٥ / ١ .

(٥) في (ب) : (المضمر) ، ومثله عند الزجاج في المعاني ٣٧ / ١ .

الألف في أواخر غير المتمكنة [التي]^(١) الإضافة لازمة لها ، ألا ترى أن (إلى) و(على) و(لدى)^(٢) لا تنفرد من الإضافة^(٣) .

وقوله تعالى : ﴿هُوَ يُوقِنُ﴾ . دخلت (هم) توكيداً ، يسميه الكوفيون : عماداً ، والبصريون : فصلاً^(٤) . و﴿يُوقِنُ﴾ أصله (يُيقِنون) ، لأنه (يُفعلون) من اليقين ، فلما سكنت (الياء) وانضم ما قبلها صارت (واواً)^(٥) ، كما صارت (الواو) (ياءً) لكسرة ما قبلها^(٦) في قولك : إيثاق وإيشال^(٧) وميثاق وميعاد .

واليقين : هو العلم الذي يحصل بعد^(٨) استدلال ونظر ، لغموض المنظور^(٩) فيه أو لإشكاله على الناظر^(١٠) ، يقوي ذلك قوله تعالى : ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ

(١) في النسخ جميعها : (إلى) ، وفي معاني القرآن للزجاج : (التي) ، والكلام بنصه منقول منه ، ٣٧ / ١ .

(٢) في (ب) : (لدى) .

(٣) معاني القرآن للزجاج ٣٧ / ١ .

(٤) ذكره الثعلبي في تفسيره ٤٧ / ١ ب ، ويجوز في (هم) أن تكون ابتداءً ثانياً للتوكيد ، و(المفلحون) خبره ، والجملة خبر (أولئك) ، ويجوز : أن يكون (هم) عماداً ، أو فصلاً . انظر : معاني القرآن للزجاج ٣٧ / ١ ، وإعراب القرآن للنحاس ١٣٣ / ١ .

(٥) انظر : الكتاب ٣٣٨ / ٤ ، وسر صناعة الإعراب ٥٨٤ / ٢ ، وقال العكبري : «أصله (يُيقِنون) لأن ماضيه (أيقن) والأصل أن يؤتى في المضارع بحروف الماضي ، إلا أن الهمزة حذفت لما ذكرنا في (يؤمنون) ، وأبدلت الياء واواً لسكونها وانضمام ما قبلها» ، الإملاء ١٣ / ١ .

(٦) مع سكون (الياء) ، انظر : الكتاب ٣٣٥ / ٤ ، وسر صناعة الإعراب ٧٣٢ / ٢ .

(٧) في (ب) : (إسحاق) ، ولم أجدها في ما اطلعت عليه من كتب اللغة .

(٨) في (ب) : (به) .

(٩) في (ب) : (المقصود) .

(١٠) قال ابن عطية ١٤٩ / ١ : «اليقين أعلى درجات العلم وهو الذي لا يمكن أن يدخله شك بوجه» ، وعرفه الراغب ، فقال : «هو سكون الفهم مع ثبات الحكم» . مفردات الراغب ٥٥٢ . وانظر : كتاب معرفة أسماء نطق بها القرآن ٦١٨ / ٢ ، ورسالة ماجستير ، تفسير الرازي ٣٢ / ٢ ، ٣٥ .

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ [الأنعام: ٧٥]، ولذلك^(١) لم يجز أن يوصف القديم سبحانه به ؛ لأن علمه لم يحصل عن نظر واستدلال^(٢) .

ويقال : أَيَقِنَ بالأمر واستَيَقِنَ وتَيَقَّنَ كله واحد . ويقال في الثلاثي : يَقِنَ يَيَقِنُ يَقْنًا فهو يَقِنٌ ، واليَقِنُ : اليَقِينُ^(٣) . وقوله تعالى : ﴿وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ . تخصيص بعد التعميم على قول مجاهد^(٤) ، لأن الإيقان بالآخرة داخل في قوله : ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ على التفسير الأول في^(٥) (الغيب)^(٦) ومثل هذا قوله : ﴿الَّذِي خَلَقَ ① خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ [العلق: ١، ٢] عمَّ بقوله : ﴿خَلَقَ﴾ المخلوقات جميعها ، ثم خصَّ بعده .

٥ . قوله تعالى : ﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى﴾ الآية . (أولاء) كلمة معناها الكناية عن جماعة ، وهي لا تعرب لأنها اسم الإشارة ، وكسرت الهمزة فيها للالتقاء الساكنين^(٧) ، قال الله تعالى : ﴿هُمْ أُولَاءِ عَلَى أَثَرِي﴾ [طه: ٨٤] ، ودخلت الكاف للمخاطبة كما ذكرنا في قوله (ذلك) ، وفيه ثلاث لغات : (أولئك) و(أولاك) و(أولالك)^(٨) .

(١) في (ب) : (وكذلك) .

(٢) انظر : تفسير الرازي ٣٢/٢ . ومذهب السلف : أن الله لا يوصف بذلك لعدم ورود النص به .

(٣) انظر : العين ٢٢٠/٥ ، وتهذيب اللغة (يقن) ٤/٤٩٩٨٣ ، واللسان (يقن) ٩٨/٤٩٦٤ .

(٤) هو ما سبق من قوله : إن الآيات الأربع في المؤمنين جميعهم . انظر : ٤٤٥ .

(٥) التفسير الأول للغيب هو ما ذكره عن أبي العالية : يؤمنون بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وجنته وناره ولقائه وبالبعث بعد الموت .

(٦) في (أ) و(ب) : (للغيب) .

(٧) انظر : معاني القرآن للزجاج ٣٧/١ .

(٨) انظر : الأصول في النحو ١٢٨/٢ ، وسر صناعة الإعراب ٣٢٢/١ ، وتهذيب اللغة ٧٤/١ ، والمنصف ١/١٦٥ ، ١٦٦ ، ٢٦/٣ ، وتفسير القرطبي ١٥٧/١ ، والدر المصون ١٠٢/١ .

قال الشاعر :

أولئك قومي لم يكونوا أشابةً وهل يعِظُ الضِّلِيلَ إِلَّا أولالكا^(١)

وقال آخر :

أولاك بنو^(٢) خيرٍ وشرٌّ كليهما^(٣) جميعاً ومعروفٍ ألمٍّ ومُنكرٍ^(٤)

فمن قال : (أولاك) ، قال : (هؤلا) مقصوراً^(٥) ، قال أوس بن حجر :

لعمرك إنا والأحاليف هؤلا لفي فتنةٍ أظفارها لم تُقَلِّمَ^(٦)

- (١) نسب أبو زيد البيت في النوادر إلى أخي الكلجة ، وروايته له :
ألم تك قَدْ جَرَبْتَ ما الفقر والغنى ولا يَعِظُ الضِّلِيلَ إِلَّا أَلالِكا
نوادر أبي زيد ٤٣٨ ، ومثل ذلك في الخزانة ١/ ٣٩٤ ، وبينما نسبه في شرح المفصل إلى الأعشى ، وروايته له مثل ما ورد عند الواحدي ، شرح المفصل ١٠/ ٦ . ويروى البيت عند أكثر النحاة (أولالك قومي . . .) بدلاً من (أولئك) و(الأشابة) بضم الهَمْزة : الجمع المختلط من هنا وهناك ، والضليل الضال ، يصف قومه بالصفاء والنصح ، ورَدَ البيت كذلك في المنصف ١/ ١٦٦ ، ٢٦/ ٣ ، والجمع ٢١٦/ ١ ، وتفسير القرطبي ١/ ١٥٨ ، والدر المصون ١/ ١٠٢ .
- (٢) في النسخ جميعها : (بني) ، والتصحيح بحسب المصادر التي ورد فيها البيت .
- (٣) في (ب) : (كلاهما) ، وفي (ج) : (كله هما) .
- (٤) في (ج) : (وينكر) .
- البيت لمسافع بن حذيفة العبسي ، شاعر جاهلي ، قوله (أولاك) مبتدأ ، و(بنو) خبر المبتدأ ، أراد أنهم ملازمون لفعل الخير والشر مع الأصدقاء والأعداء ، و(معروف) و(منكر) معطوف على خير ، وهما أخص من الخير والشر ، و(ألم) : نزل .
- انظر : الخزانة ١/ ١٧١ ، وانظر : حاشية يس على التصريح ٢/ ١٢٤ ، ومطبوع في هامش التصريح ، والحماسة بشرح المرزوقي ٢/ ٩٩٠ .
- (٥) انظر : الأصول في النحو ٢/ ١٢٧ .
- (٦) رواية البيت (حقبة) بدل (فتنة) . يقول : نحن في حرب ، والأظفار : كناية عن السلاح . انظر : ديوان أوس ١٢٠ ، والمعاني الكبير ٢/ ٨٩٨ ، والخزانة ٣/ ١٧ ، ١٨/ ٧ .

وكتبت^(١) الواو في ﴿أُولَئِكَ﴾ لثلاث يشتهب في الكتابة بـ (إليك) ، وأشار بقوله : (أولئك) إلى الموصوفين بالصفات المتقدمة^(٢) ، ومحله رفع بالاستئناف^(٣) .

وقوله تعالى : ﴿عَلَىٰ هُدًى﴾ معنى : (على) كمعنى : (فوق)^(٤) . وهي^(٥) تكون : اسماً وحرفاً^(٦) ، يقول : عليه مال^(٧) ، فهذا حرف ، وكأنه شيء اعتلاه .
وقول الشاعر :

غَدَتْ مِنْ عَلَيْهِ تَنْفُضُ الطَّلَّ بَعْدَمَا

رَأَتْ حَاجِبَ الشَّمْسِ اسْتَوَى فَرَفَعًا^(٨)

فهذا اسم لدخول (من) عليها^(٩) ، كأنه قال : غدت تنفض الطلَّ من فوقه .

(١) في (ب) : (يشبه في الكناية إليك) . انظر : البحر المحيط ٤٣ / ١ .

(٢) انظر : تفسير الطبري ١٠٦ / ١ ، وتفسير ابن كثير ٤٧ / ١ .

(٣) في محل ﴿أُولَئِكَ﴾ من الإعراب أقوال ، وهي : أنها مبتدأ وخبره الجار والمجرور بعده ، والجملة إما مستأنفة ، أو خبر عن قوله : ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ﴾ الأولى أو الثانية ، ويجوز أن تكون ﴿أُولَئِكَ﴾ وحدها خبراً عن ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ﴾ الأولى أو الثانية ، ويجوز أن يكون ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ﴾ مبتدأ ، و﴿أُولَئِكَ﴾ بدل أو بيان . انظر : الدر المنصور ١٠٢ / ١ .

(٤) تكون بمعنى (فوق) إذا كانت اسماً ، انظر : الكتاب ٢٦٨ / ١ ، ومغني اللبيب ١٤٥ / ١ .

(٥) في (ب) : (وهي) .

(٦) وإذا كانت حرفاً فلها معان عدة ، انظر : مغني اللبيب ١٤٣ / ١ .

(٧) انظر : تهذيب اللغة (على) ٣ / ٢٥٥٩ .

(٨) نسبه أبو زيد في النوادر إلى بعض القشيريين ، ونُسب في اللسان إلى يزيد ابن الطثرية ، يقول : غدت الظبية من فوقه . والشاهد فيه (من عليه) استعمل (على) اسماً بمعنى : فوق لما دخل عليها حرف الجر (من) . ورد البيت في نوادر أبي زيد ٤٥٣ ، والمقتضب ٢ / ٣٢٠ ، ٣ / ٥٣ ، والأزهية ١٩٤ ، واللسان (علا) ٥ / ٣٠٩٢ ، وشرح المفصل ٣٨ / ٨ .

(٩) انظر : الكتاب ٢٦٨ / ١ ، ومغني اللبيب ١٤٥ / ١ ، وشرح المفصل ٣٨ / ٨ .

وقوله تعالى: ﴿هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(١). (هم) دخلت فصلاً^(٢)، وإن شئت كان تكريراً للاسم، كما تقول: زيد هو العالم، ترفع^(٣) (زيداً)^(٤) بالابتداء، و(هو) ابتداء ثان، و(العالم) خبر له^(٥)، وهما جميعاً خبر لزيد، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾. وإن شئت جعلت (هو) فصلاً، وترفع (زيداً)، و(العالم) على الابتداء والخبر، والفصل هو الذي يسميه^(٥) الكوفيون عماداً.

قال سيبويه^(٦): دخل الفصل في قوله: ﴿يَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ﴾ [المزمل: ٢٠]. وفي قوله: ﴿وَلَا يَحْصِبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرٌ لَّهُمْ﴾^(٧) [آل عمران: ١٨٠]. وفي قوله: ﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ﴾ [سبأ: ٦]، وفي قوله: ﴿إِنْ كَانَتْ هَٰذِهِ حَقًّا مِنْ عِنْدِكَ﴾ [الأنفال: ٣٢]. وذكر أن [هذا]^(٨) بمنزلة (ما)^(٩) اللغو^(١٠) في قوله: ﴿فِيمَا رَحِمَةٍ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

-
- (١) نقله الواحدي عن الزَّجَّاج بتصرف يسير، انظر: معاني القرآن ١/ ٣٧.
 - (٢) مكانها بياض في (ب).
 - (٣) في (ب): (زيد).
 - (٤) أي خبر هو، انظر: معاني القرآن ١/ ٣٧.
 - (٥) في (أ): (تسمية)، وما في (ب) و(ج) أصح في السياق.
 - (٦) في معاني القرآن: «وسيبويه يقول: إن الفصل لا يصلح إلا مع الأفعال التي لا تتم، نحو: كان زيد هو العالم، وظننت زيداً هو العالم. وقال سيبويه: دخل الفصل في قوله عز وجل... إلخ»، وقوله: وسيبويه يقول... إلى: وظننت زيداً هو العالم، ليس موجوداً في بعض مخطوطات المعاني.
 - انظر: حاشية معاني القرآن ١/ ٣٨، وانظر: كلام سيبويه في الكتاب ٢/ ٣٨٩-٣٩٥.
 - (٧) سقط (لهم) من (أ) و(ب)، والآية [١٨٠] من آل عمران.
 - (٨) قوله: ذكر؛ أي سيبويه، وقوله: (هذا) كذا وردت في النسخ جميعها، وفي معاني القرآن للزَّجَّاج: (هو)، وهو الصواب.
 - (٩) في (ج): (وذا) هذا بمنزلة (ها).
 - (١٠) معاني القرآن ١/ ٣٨، وكلام سيبويه في الكتاب ٢/ ٣٩١، ولم يذكر سيبويه الآية.

وقوله ﴿الْمُفْلِحُونَ﴾ قال أبو عبيد^(١): أصل الفلاح : البقاء^(٢) ، وأنشد للأضبط^(٣) بن قريع^(٤) السعدي :

لِكُلِّ هَمٍّ مِنْ الِهمومِ سَعَةٌ والمُسَيِّ والصَبْحُ لافلاح مَعَهُ^(٥)
يقول : ليس مع كل الليل والنهار بقاء . ومنه قول عبيد^(٦) :

أَفْلَحَ بِمَا شئتَ فَقَدْ يُبَلِّغُ بِالـ ضَعْفٍ^(٧) وَقَدْ يُخَدِّعُ الْأَرِيْبُ^(٨)
يقول : عَشَ بِمَا^(٩) شئتَ مِنْ عَقْلٍ أَوْ حَقٍّ ، فَقَدْ يَرْزُقُ الْأَحْمَقَ وَيَحْرِمُ الْعَاقِلَ .

-
- (١) في (ب) : (أبو عبيدة) وهو خطأ . وكلام أبي عبيد في غريب الحديث ٣٨ / ٤ ، وانظر : تهذيب اللغة (فلح) ٢٨٢٦ / ٣ .
- (٢) في (ب) : (التقى) .
- (٣) في (ب) و(ج) : (وأنشد الأضبط) ، وما في (أ) موافق لتهذيب اللغة (فلح) ٢٨٢٦ / ٣ ، وعبارة غريب الحديث : قال الأضبط . . . ، ١٨٣ / ٢ .
- (٤) في (ب) : (فيع) . وهو الأضبط بن قريع بن عوف بن كعب بن سعد ، السعدي شاعر جاهلي قديم . انظر : ترجمته في الشعر والشعراء ٢٤٢ ، والخزانة ١١ / ٤٥٥ .
- (٥) البيت في غريب الحديث لأبي عبيد ١٨٣ / ٢ ، والزاهر ٣١ / ١ ، وتهذيب اللغة (فلح) ٢٨٢٦ / ٣ ، وتفسير الثعلبي ١٦٩ / ١ ، واللسان ٣٤٥٨ / ٦ ، وتفسير ابن عطية ١٥٠ / ١ ، وتفسير القرطبي ١٥٨ / ١ ، والدر المنصون ١٠٤ / ١ ، والخزانة ١١ / ٤٥٢ ، وقد ذكره في الشعر والشعراء ونصه :
يا قوم مَنْ عاذري مِنَ الخُدَعَةِ والمَسَى . . . إلخ ، ٣٩٠ / ١ .
- (٦) هو عبيد بن الأبرص كما في غريب الحديث ١٨٣ / ٤ .
- (٧) في (ب) : (بالضغت) .
- (٨) البيت يروى : (يدرك) بدلاً من (يلغ) و(يخدع) بالتشديد ، وهو في غريب الحديث ١٨٣ / ٢ ، ٢٠٠ ، وديوان عبيد ١٤ ، وتفسير الطبري ١٠٨ / ١ ، ومجاز القرآن ٣٠ / ١ ، ومعاني القرآن للزجاج ٣٩ / ١ ، والزاهر ١٣٢ / ١ ، وفيه (يفلح) بدلاً من (يلغ) ، تهذيب اللغة (فلح) ٢٨٢٦ / ٣ ، واللسان (فلح) ٣٤٥٨ / ٦ ، وفيه (بالنوك) بدل (بالضعف) ، تفسير القرطبي ١٥٨ / ١ ، والدر المنصون ١٠٤ / ١ .
- (٩) في (ب) : (ما) .

قال : وإنما قيل لأهل الجنة : مفلحون ، لفوزهم ببقاء الأبد ، ومن هذا يقال للسحور^(١) : الفلح والفلح ؛ أي إن^(٢) به بقاء الصوم^(٣) . الحراي عن ابن السكيت^(٤) : الفلح والفلح : البقاء ، وأنشد لعدي بن زيد :

ثُمَّ بَعْدَ الْفَلَاحِ وَالرَّشْدِ وَالْإِ
مَّةِ وَارْتَهُمْ هُنَاكَ الْقُبُورُ^(٥)
وقال الأعشى :

وَلَئِنْ كُنَّا كَقَوْمٍ^(٦) هَلَكُوا
مَا لِحَيٍّ يَا لِقَوْمٍ مِنْ فَلَحٍ^(٧)
وقال لبید :

نَحُلُّ بِلَادًا كُلُّهَا^(٨) حُلَّ قَبْلِنَا
وَنَرْجُو الْفَلَاحَ بَعْدَ عَادٍ وَحَمِيرٍ^(٩)

(١) في (ب) : (السحور) .

(٢) في (ب) : (اذ به) .

(٣) انتهى كلام أبي عبيد ، غريب الحديث ١٨٣ / ٢ ، وانظر : تهذيب اللغة (فلح) ٢٨٢٦ / ٣ .

(٤) تهذيب اللغة (فلح) ٢٨٢٦ / ٣ ، وفيه بيت الأعشى مقدم على بيت عدي .

(٥) من قصيدة لعدي بن زيد ، ذكرها ابن قتيبة في الشعر والشعراء ، وتعدُّ من غرر شعره ، ويروى :

(الملك) بدل (الرشد) و(الإمة) بكسر الهمزة : غضارة العيش والنعمة ، انظر : الشعر والشعراء

١٣٠ ، وتهذيب اللغة (فلح) ٢٨٢٦ / ٣ ، واللسان (فلح) ٣٤٥٨ / ٦ .

(٦) في (ب) : (لقوم) .

(٧) البيت في غريب الحديث للخطابي ٥٢٣ / ١ ، وتهذيب اللغة (فلح) ٢٨٢٦ / ٣ ، واللسان (فلح)

٣٤٥٨ / ٦ ، والصحاح (فلح) ٣٩٢ / ١ ، وديوان الأعشى ٣٨ ، وفيه (أو لئن) ، (يا لقومي) وهو من

قصيدة يمدح بها إلياس بن قبيصة الطائي ، ومعنى (فلح) : بقاء .

(٨) في (ب) : (حلها) .

(٩) البيت في ديوان لبید مع شرحه ٥٧ ، ومجاز القرآن ٣٠ / ١ ، ومعاني القرآن للزجاج ٣٩ / ١ ، والطبري

١٠٨ / ١ ، والثعلبي ٤٧ / ب ، القرطبي ١٥٨ / ١ ، وابن عطية ١٥٠ / ١ ، وزاد المسير ٢٧ / ١ ،

والدر المصون ١٠٤ / ١ .

هذا معنى الفلاح في اللغة . ثم يقال لكل من ظفر ببغيته وأصاب خيراً :
أفلح^(١) ، وقال^(٢) لبيد :

اعْقِلِي إِنْ كُنْتَ لَا تَعْقِلِي ولقد أفلح مَنْ كَانَ عَقْلُ^(٣)
يعني : ظفر بحاجته ووصل إلى بغيته^(٤) ، وهو راجع إلى معنى البقاء ؛ لأن
البقاء هو سبب إدراك البغية ونيل المطلوب .

فمعنى قوله : ﴿الْمُفْلِحُونَ﴾ أي هم الذين أدركوا البغية ، ووجدوا البقاء في
الدار الآخرة في النعيم المقيم^(٥) . وحكم لهم بالفلاح ولم يصلوا بعد إلى الجنة ؛ لأن
المعنى أنهم يصلون إلى البغية والبقاء بكونهم على الهدى ، أو كأنهم قد وصلوا للثقة
بالموعود لهم . وقيل : هم على هدى في الحال ، وهم المفلحون في المآل .

٦ . قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الآية ﴿إِنَّ﴾ الثقيلة تكون منصوبة
الآلف وتكون مكسورة الألف . فإذا^(٦) كانت مبتدأة ليس قبلها شيء
تعتمد^(٧) عليه ، أو جاءت بعدها (لام) مؤكدة يعتمد عليه^(٨) أو جاءت

(١) انظر : تفسير الطبري ١/ ١٠٨ ، ومعاني القرآن للزجاج ١/ ٣٩ .

(٢) في (ب) : (وقال) .

(٣) ديوان لبيد مع شرحه ١٧٧ ، ومجاز القرآن ١/ ٣١ ، وتفسير الطبري ١/ ١٨٠ ، وتفسير ابن عطية
١/ ١٠٤ ، والزاهر ١/ ١٣١ ، وقوله : (اعقلي) يخاطب عاذلته ، أو نفسه .

(٤) في (ب) : (ببغيته) .

انظر : تفسير الطبري ١/ ١٠٨ ، ومجاز القرآن ١/ ٣١ .

(٥) انظر : تفسير الطبري ١/ ١٠٨ ، وتفسير أبي الليث ١/ ٩١ ، وتفسير القرطبي ١/ ١٥٩ ، وتفسير ابن
عطية ١/ ١٥٠ .

(٦) في (ب) : (وإذا) .

(٧) في (ب) و(ج) : (يعتمد) ، وهو موافق لتهديب اللغة ١/ ٢٢٢ ، والكلام منقول منه .

(٨) (عليه) في النسخ جميعها . وفي تهذيب اللغة : (عليها) ، ١/ ٢٢٢ .

بعد القول وما تصرف^(١) منه ، وكانت حكاية : كسرت الألف ، وفي ما سوى ذلك تنصب^(٢) . ومعناها في الكلام : التوكيد ، وهي التي تنصب الأسماء وترفع الأخبار ، وإنما نصبت ورفعت ؛ لأنها تشبه بالفعل ، وشبهها أنها لا تلي الأفعال ولا تعمل فيها ، وأنها يذكر بعدها الاسم والخبر ، كما يذكر بعد الفعل الفاعل والمفعول ، إلا أنه قدم المفعول فيها ليفصل بين ما يشبه بالفعل وليس لفظه لفظ الفعل^(٣) ، وبين ما يشبه بالفعل ولفظه لفظ الفعل ، نحو (كان) وبابه^(٤) .

وقوله تعالى : ﴿ كَفَرُوا ﴾ معنى الكفر في اللغة : التغطية . أقرأني أحمد بن محمد بن عبد الله بن يوسف العروزي^(٥) - رحمه الله - قال : أخبرني الأزهري ، عن المنذري ، عن الحراني ، عن ابن السكيت قال : إذا لبس الرجل فوق درعه ثوباً فهو كافر ، وقد كفر فوق درعه ، وكل ما غطى شيئاً فقد كفره . ومنه قيل لليل : كافر ؛ لأنه ستر بظلمته وغطى ، وأنشد لثعلبة بن صُعير المازني^(٦) :

فتذكراً ثَقَلًا رثيداً بعدما أَلَقْتُ ذِكَاءً يَمِينَهَا فِي كَافِرٍ^(٧)

(١) في (ب) : (يصرف) .

(٢) في (ب) : (ينصب) ، وفي تهذيب اللغة : (تنصب الألف) . والكلام بنصبه ذكره الأزهري عن الليث عن الخليل ، سوى قوله : «أو جاءت بعد القول» ، فذكره عن الفراء . تهذيب اللغة (أن) ٢٢٢ / ١ ، وانظر : مواضع فتح همزة (إن) وكسرها في الكتاب ٣ / ١٣٤ وما بعدها ، الأصول في النحو ١ / ٢٦٢ وما بعدها .

(٣) من هنا بدأ سقط لوحة كاملة من (ب) .

(٤) ذكره الرَّجَّاحُ في معاني القرآن ١ / ٤٠ ، وانظر : الأصول في النحو ١ / ٢٣ ، والإيضاح في علل النحو ١٣٥ ، والإنصاف ١٥٣-١٥٥ .

(٥) شيخ الواحدي ، تقدمت ترجمته مع شيوخه .

(٦) هو ثعلبة بن صعير بن خزاعي المازني ، شاعر جاهلي قديم ، قال الأصمعي : لو قال ثعلبة بن صعير مثل قصيدته خساً كان فحلاً ، انظر : فحولة الشعراء للأصمعي ١٢ ، والأعلام للزركلي ٢ / ٩٩ .

(٧) البيت من قصيدة له ، ذكرها المفضل الضبي في الفضليات ١٢٨-١٣١ ، والبيت في إصلاح المنطق ٤٩ ، ٣٣٩ ، وفي تهذيب اللغة (كفر) ٤ / ٣١٦٢ ، والمشوف المعلم في ترتيب الإصحاح ١ / ٣٣٢ ، ٢ / ٦٧٩ ، =

أي الليل . ومنه يسمى الكافر كافراً ؛ لأنه ستر نعم الله . ويقال : رماد مكفور ؛ أي سَفَتَ عليه الريح التراب حتى وارته ، قال الراجز :

قد درَسَتْ^(١) غير رمادٍ مكفورٍ مكتَبِ اللون مَريحٍ ممطورٍ^(٢)
وقال آخر^(٣) :

فوردَتْ قبلَ انبلاجٍ^(٤) الفَجْرِ وابنُ ذُكَاءٍ كامنٌ في كَفَرٍ^(٥)

وأما القالي ١٤٥/٢ ، والصحاح (كفر) ٨٠٨/٢ ، ومقاييس اللغة (كفر) ١٩١/٥ ، والمخصص ٧٨/٦ ، ١٩/٩ ، ٧/١٧ ، واللسان (رثد) ١٥٩٨١/٣ ، و(كفر) ٣٨٩٩/٧ ، و(ذكا) ١٥١٠/٣ ، وتفسير ابن عطية ١٥١/١ ، وتفسير القرطبي ١٥٩/١ ، وتفسير الطبري ١١٠/١ ، والدر المصون ١٠٧/١ .

وفي هذا البيت يذكر الظلم والنعماء ، والثقل : بيضها ، والرثد : المتاع المارثود ، وذكاء الشمس ؛ أي بدأت في الغيب ، والكافر : الليل .

(١) في (ج) : (رزشت) .

(٢) الرجز لمنظور بن مرثد الأسدي ، وقيل : لأبي مهدي . وقبله :

هل تعرفُ الدارَ بأعلى ذي القور ؟

يقول : درست معالم الدار إلا رماداً مكفوراً ؛ أي سفت عليه الريح ، والأبيات في إصلاح المنطق : ٣٤٠ ، وفي التهذيب (كفر) ٣١٦٢/٤ ، والصحاح (كفر) ٨٠٧/٢ ، والمخصص ٧٨/٦ ، والمشوف المعلم في ترتيب الإصحاح ٦٧٩/٢ ، ومقاييس اللغة (كفر) ١٩٨/١٠ ، واللسان (كفر) ٣٩٠٠/٧ . وكلهم رووه (مروح ممطور) سوى المخصص ، فنصه مثل رواية المؤلف هنا .

(٣) هو حميد الأرقط .

(٤) في (ج) : (ابلاج) .

(٥) قال ابن السكيت : ويروى : (في كفر) ، وهما لغتان . وابن ذكاء : يعني الصبح ، إصلاح المنطق ٣٤٠ ، وانظر : تهذيب اللغة (كفر) ٣١٦٢/٤ ، ورد البيت كذلك في الصحاح (كفر) ٣٩٠٠/٧ ، والمخصص ٧٨/٦ ، والمشوف المعلم في ترتيب الإصحاح ٦٧٩/٢ ، واللسان (كفر) ٣٩٠٠/٧ ، وتفسير القرطبي ١٦٠/١ ، والدر المصون ١٠٦/١ .

أي في ما يواريه من سواد الليل ، وقد كفر الرجل متاعه ، [أي :^(١)] أوعاه في وعاء^(٢) . وقال ابن المظفر^(٣) : سمي الكافر كافراً ؛ لأن الكفر غطى قلبه كله .

قال الأزهرى : وهذا يحتاج إلى إيضاح . وهو : أن (الكفر) في اللغة : التغطية ، فالكافر معناه : ذو الكفر ، ذو تغطية لقلبه بكفره ، كما يقال للابس السلاح : كافر ، وهو الذي غطاه السلاح . ومثله : رجل كاسٍ ، أي ذو كسوة ، وناعل : ذو نعل^(٤) .

وقول ابن^(٥) السكيت في معنى الكافر أبين وأصح^(٦) . والنعمة التي أنعم الله على العبد فكفرها^(٧) الكافر ، أي سترها ، هي الهدى والآيات التي أبانت لذوي التمييز أن الله واحد لا شريك له ، فمن لم يصدق بها وردّها فقد كفر النعمة ، أي سترها وغطاها .

ويموز أن يقال : إن الكافر لما دعاه الله إلى توحيده ، فقد دعاه إلى نعمة أوجبها له إذا أجابه إلى ما دعاه إليه ، فإذا لم^(٨) يجب كان كافراً لتلك النعمة ، أي مغطياً لها ، مكذباً بها ، حاجباً لها عنه^(٩) .

(١) في (أ) و(ج) : (إلى) ، وفي إصلاح المنطق ، والتهذيب : (أي) وهو الصحيح . الإصحاح ٣٤٠ ، والتهذيب (كفر) ٣١٦٢/٤ .

(٢) انتهى كلام ابن السكيت ، وهو في الإصحاح ٣٣٩ ، ٣٤٠ ، تهذيب اللغة (كفر) ٣١٦٢/٤ ، ونص الواحدي من التهذيب .

(٣) هو الليث . انظر : التهذيب (كفر) ٣١٦١/٤ ، ومقدمة التهذيب ٤٧/١ .

(٤) في التهذيب بدل (فاعل : ذو نعل) ، وماء دافق : ذو دقق ، ٣١٦١/٤ .

(٥) في (ج) : (بن) .

(٦) قال الأزهرى : قلت : وما قاله ابن السكيت بيّن صحيح ، ٣١٦١/٤ .

(٧) في التهذيب : «والنعم التي سترها الكافر هي الآيات التي أبانت لذوي التمييز ... إلخ» ، ٣١٦٢/٤ .

(٨) في التهذيب : «... فقد دعاه إلى نعمة ينعم بها عليه إذا قبلها ، فلما ردّها دعاه إليه من توحيده كان كافراً نعمة الله ...» ، ٣١٦١/٤ .

(٩) التهذيب (كفر) ٣١٦٠/٤ ، وقد تصرف الواحدي في نقل كلام الأزهرى .

قال شمر : قال بعض أهل العربية^(١) : الكفر على أربعة أنحاء : كفر إنكار ، وكفر جحود ، وكفر معاندة ، وكفر نفاق ، من لقي ربه بشيء من ذلك لم يغفر له .

فأما كفر الإنكار : فهو أن يكفر بقلبه ولسانه ولا يعرف ما يذكر له من التوحيد . وكذلك روي في تفسير قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ﴾ [البقرة : ٦٠] ؛ أي الذين كفروا بتوحيد الله .

وأما كفر الجحود : فأن يعرف بقلبه ولا يقر بلسانه ، فهذا كافر جاحد ككفر إبليس ، وكفر أمية بن أبي الصلت^(٢) ، ومنه قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ ﴾ [البقرة : ٨٩] ، يعني : كفر الجحود . وأما كفر المعاندة : فهو أن يعرف بقلبه ويقر بلسانه ، ويأبى أن يقبل ، ككفر أبي طالب حيث يقول :

ولقد علمتُ بأنَّ دينَ محمدٍ^(٣) من خير أديان البرية دينا^(٤)
لولا الملامةُ أو حذارُ مسبَّةٍ لوجدتني سمحاً^(٥) بذاك متينا^(٦)

وأما كفر النفاق : فأن يقر بلسانه ويكفر بقلبه . قال^(٧) : والكفر - أيضاً - يكون بمعنى : البراءة ، كقول الله - عز وجل - خبراً عن الشيطان : ﴿ إِنِّي كَفَرْتُ

(١) في التهذيب : « قال شمر : قال بعض أهل العلم » ، ٣١٦٠ / ٤ .

(٢) شاعر جاهلي أدرك النبي ﷺ وكفر به حسداً ، كان له شعر جيد ، وكان يخبر أن نبياً قد أظل زمانه ، وكان يؤمل أن يكون ذلك النبي ، فلما بلغه خروج النبي ﷺ كفر به حسداً ، ولما أنشد النبي ﷺ شعره ، قال : « آمن لسانه وكفر قلبه » . وقد سبقت ترجمته ، انظر : الخزانة ٢٤٩ / ١ .

(٣) في (ج) : (أن) .

(٤) إلى هنا ينتهي السقط من (ب) .

(٥) في (ب) : (سمحا)

(٦) كذا جاءت الأبيات في التهذيب ٣١٦٠ / ٤ ، واللسان (كفر) ٣٨٩٨ / ٧ ، وفي تفسير البغوي ٦٤ / ١ ، وتفسير النسفي ٥٠ / ١ ، وضمن مجموعة من التفاسير ، وفيها (سمحا بذلك مينا) . وفي تفسير القرطبي : (بقينا) ، ٤٠٦ / ٦ . وذكرها المؤلف في أسباب النزول بمثل روايته لها هنا ٢١٠ .

(٧) أي شمر . التهذيب ٣١٦٠ / ٤ .

﴿بِمَا أَشْرَكْتُمْ مَعَنَا﴾ [إبراهيم: ٢٢]، أي تبرأت^(١). ويقال: كفر كفراً وكفوراً، كما يقال: شكر شكراً وشكوراً^(٢) قال الله تعالى: ﴿فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ [الإسراء: ٨٩].

وقوله تعالى: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ﴾. السواء^(٣)، والعدل، والوسط، والقصد، والنصف: ألفاظ متقاربة في المعنى. يقال للعدل: السواء، قال زهير^(٤):

أُرُونِي^(٥) خُطَّةً لَا خَسْفَ فِيهَا يُسَوِّي^(٦) بَيْنَنَا فِيهَا السَّوَاءُ^(٧)

(١) كلام شمر جميعه في تهذيب اللغة (كفر) ٤/ ٣١٦٠، واللسان (كفر) ٧/ ٣٨٩٨، وانظر: أنواع الكفر في التصارييف المنسوب إلى يحيى بن سلام ١٠٤، ١٠٥، والنسفي ١/ ٥٠، وضمن مجموعة من التفاسير.

(٢) الحجة لأبي علي ١/ ٢٤٥، وانظر: تهذيب اللغة ٤/ ٣١٦٠.

(٣) الكلام في الحجة بنصه ١/ ٢٤٥. وانظر: التصارييف ١١١، ١١٢، تهذيب اللغة ٢/ ١٧٩٥، والصحاح (سوا) ٦/ ٢٣٨٤.

(٤) هو زهير بن أبي سلمى، أحد فحول شعراء الجاهلية، توفي قبل المبعث بسنة، انظر: ترجمته في الشعر والشعراء ٦٩، والخزانة ٢/ ٣٣٢.

(٥) في الحجة: (أرونا). وفي الهامش في ط: (أرني)، ١/ ٢٤٦.

(٦) في (ب): (يسوا).

(٧) رواية البيت في الديوان: أرونا سنة لا عيب فيها.

يقول: أرونا سنة لا عيب فيها ولا ظلم، تسوي بيننا بالحق، ديوان زهير ٨٤، والحجة ١/ ٢٤٦، وتهذيب اللغة (لفيف السين) ٢/ ١٧٩٥، والبحر ١/ ٣٤٧، والدر المصون ١/ ١٠٨.

وأنشد أبو زيد لعنترة^(١) :

أبيناً فلا نعطي السَّوَاءَ عدوَّنا قياماً بأعضاء السَّراءِ المَعْطَفِ^(٢)

و(السواء) : وسط الشيء ، ومنه قوله : ﴿ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴾^(٣) [الصفات : ٥٥] .
و(سواء) مأخوذ من الاستواء والتساوي ، وهو الاعتدال^(٤) ، قال الشاعر :

وليلٍ يقولُ المرءُ من ظلماتِهِ سواءٌ صحيحَاتُ العيونِ وعُورُهَا^(٥)
أي معتدلة في البصر والإدراك .

وقالوا : سَيِّئٌ بمعنى : سواء ، كما قالوا : قِيَّ وقَوَاء^(٦) ، ولا يثنى (سواء) كما
ثَنِّي (سيان) ، وإن كانوا قد جمعوه جمع التكسير في قولهم : (سواسية)^(٧) .

(١) هو عنترة بن عمرو بن شداد العنسي ، كان شاعراً ، وكان أشجع أهل زمانه وأجودهم . انظر : ترجمته في الشعر والشعراء ١٤٩ ، وطبقات فحول الشعراء ١ / ١٥٢ ، والخزانة ١ / ١٢٨ .

(٢) البيت من قصيدة قالها عنترة يوم (عرار) يخاطب فيها بني حنيفة ، قوله : السواء : الصلح ، أعضاد : جمع عضد ، وهو القوس ، والسراء : شجر يتخذ منه القسي ، المعطف : المعوج ، انظر : ديوان عنترة ٥٢ ، ونوادر أبي زيد ٣٧٧ ، والحجة ١ / ٢٤٦ .

(٣) كلمة (في) في الآية ساقط من (أ) .

(٤) الأضداد لابن الأنباري ٤٣ .

(٥) البيت للأعشى في ديوانه ٦٨ ، وفيه : (يقول القوم) ، (سواء بصيرات) . وهو في الأضداد لابن الأنباري ٤٣ ، وفيه : (يقول القوم) ، الطبري ١ / ١١١ ، والبحر المحيط ١ / ٤٧ ، والقرطبي ١ / ١٦٠ ، والدر المصون ١ / ١٠٧ .

(٦) (القِيَّ) بالكسر والتشديد (فعل) من القوا (وهي الأرض القفر) . اللسان (قوا) ٦ / ٣٧٨٩ ، وانظر : الصحاح ٦ / ٢٤٧٠ ، ومقاييس اللغة (قوي) ٥ / ٣٧ .

(٧) في (ج) : (سواء سيبه) . الكلام في الحجة لأبي علي ١ / ٢٤٦ ، ٢٤٧ .

قال أبو الهيثم^(١): «يقال فلان وفلان سواء^(٢)؛ أي متساويان، وقوم سواء؛ لأنه مصدر، لا يثنى ولا يجمع. قال الله عز وجل: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً﴾ [آل عمران: ١١٣] أي ليسوا مستويين^(٣)، وإذا قلت: سواء علي، احتجت أن تترجم عنه بشيئين، كقولك: سواء حرمتني أو أعطيتني».

وحكى السكري عن أبي حاتم إجازة ثنية (سواء)^(٤). قال أبو علي الفارسي: لم يصب ابن^(٥) السجستاني في ذلك؛ لأن الألفش وأبا عمر الجرمي^(٦) زعما^(٧) أن ذلك لا يثنى، كأنهم استغنوا بثنية (سي)^(٨) عن ثنية (سواء)، كما استغنوا عن (ودع) بـ (ترك)^(٩). وأنشد أبو زيد:

هَلَّا^(١٠) كوصل ابن عمارٍ تُوَاصلني
ليس الرجال وإن سُوُوا بأسواء^(١١)

(١) تهذيب اللغة ١٧٩٣/٢.

(٢) في التهذيب: (فلان وفلان سواعد، أي متساويان)، وهو تصحيف. ١٧٩٥/٢.

(٣) في (ب): (مستويين).

(٤) ذكره أبو علي في الحجة ٢٦٨/١.

(٥) في (ب): (لم يصف ممن).

(٦) هو صالح بن إسحاق، أبو عمر الجرمي، النحوي، بصري قدم إلى بغداد، لقي الفراء، وأخذ عن الألفش وأبي عبيدة والأصمعي، وكان ذا دين وورع، توفي سنة خمس وعشرين ومئتان. انظر: ترجمته في تاريخ بغداد ٣١٣/٩، وطبقات النحويين واللغويين ١٧٤، وإنباه الرواة ٨٠/٢، ووفيات الأعيان ٤٨٥/٢.

(٧) في (ب): (زعموا).

(٨) في (ب): (بثنيتة شي).

(٩) في (ب): (بكرًا). الحجة ٢٦٨/١، وما بعده في الحجة في موضع آخر.

(١٠) في (ب): (مهلا).

(١١) أنشده أبو زيد في النوادر، قال: وقال رافع بن هريم، وقد أدرك الإسلام، ثم ذكر البيت وبيتين قبله، النوادر ٢٨٢، وانظر: الحجة ٢٤٧/١، واللسان (سوا) ٢١٦٠/٤.

فـ (أسواء) : ليس يخلو من^(١) أن يكون جمع (سي) [أو (سواء) فإن كان جمع (سي)]^(٢) فهو كـ (مثل) و (أمثال) و (نقض) و (أنقاض) ، وإن كان جمع (سواء) فهو كقولهم في النعت^(٣) : جواد وأجواد ، وفي الاسم : حياء الناقة وأحياء ، ولا يمتنع جمعه ، وإن كانوا لم يثنوه كما لم يمتنعوا من جمعه على سواسية^(٤) .

وقوله تعالى : ﴿ءَأَنْذَرْتَهُمْ﴾^(٥) . الإنذار : إعلام مع تخويف ، فكل منذر معلم ، وليس كل معلم منذراً^(٦) . وأنذرت يتعدى إلى مفعولين كقوله تعالى : ﴿فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَعِقَةً﴾ [فصلت : ١٣] ، وقوله : ﴿إِنَّا أَنْذَرْتُكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا﴾ [النبا : ٤٠] ويقال : أنذرتُه فنذر ، أي علم بموضع الخوف^(٧) . و (النذر) ما يجعله الإنسان على نفسه إن سلم مما يخافه^(٨) .

وقد جاء النذير والنذر مصدرين كالإنذار^(٩) ، فجاء المصدر على : (فعل) و (فعل) . وفي القرآن : ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾^(١٠) وفيه : ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ﴾ [القمر : ١٦] . وقيل في قوله : ﴿نَذِيرًا لِلْبَشَرِ﴾ [المدثر : ٣٦] : إنه مصدر في موضع

(١) (من) ساقطة من (ب) .

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ب) .

(٣) في الحجة : «وإن كان جمع سواء فهو مثل ما حكاه أبو زيد من قولهم : جواد وأجواد . . .» ، ٢٤٧/١ .

(٤) انتهى من الحجة ٢٤٧/١ ، ٢٤٨ .

(٥) في (أ) رسمت : (أنذرتهم) .

(٦) ذكره أبو علي في الحجة ٢٥٣/١ ، وانظر : تفسير أبي الليث ٩٢/١ ، وتفسير الثعلبي ٤٨/١ .

(٧) الحجة ٢٥٣/١ ، وتفسير الثعلبي ٤٨/١ .

(٨) تعريف النذر اصطلاحاً : التزام قرينة غير لازمة في أصل الشرع ، بلفظ يشعر بذلك ، انظر : الروض المربع مع حاشية ابن قاسم ٤٩٦/٧ ، والتعريفات للجرجاني ٢٤٠ ، وفقه السنة ٢/٢٢ .

(٩) في الحجة : «وقالوا : النذير والنذر ، كما قالوا : النكير والنكر ، فجاء المصدر على فعل وعلى فعل . . .» ، ٢٥٤/١ .

(١٠) جزء من آية في الحج : [٤٤] ، وسبأ : [٤٥] ، وفاطر : [٢٦] ، والملك : [١٨]

الحال من قوله: ﴿إِنَّمَا لِاحْدَى الْكُبَرِ﴾ [المذثر: ٣٥]، كما تقول^(١): جاء^(٢) ركضاً. فتجعل المصدر حالاً^(٣).

وجعل (نذير) أيضاً مصدراً في قوله: ﴿وَحَاءَ كُمْ النَّذِيرُ﴾ [فاطر: ٣٧] إذا فسر بأنه الشيب^(٤). وفي قوله: ﴿ءَأَنْذَرْتَهُمْ﴾ وجهان من القراءة^(٥) تحقيق الهمزتين، وتلين الثانية^(٦)، فمن حققهما^(٧) فحجته^(٨): أن الهمزة حرف من حروف الحلق، فجاز أن يجتمع مع مثله كسائر الحروف الحلقية، نحو: فَهَ^(٩) وَفَهَتْ، وَكَعَّ^(١٠)

(١) تقول ساقط من (ب).

(٢) في (ج): (أجاء).

(٣) في الحجة: «فأما قوله تعالى: ﴿نَذِيرًا لِلْبَشَرِ﴾ فقد قيل فيه قولان: أحدهما: أن يكون حالاً من (قم) المذكورة في أول السورة. والآخر: أن يكون حالاً من قوله: ﴿إِنَّمَا لِاحْدَى الْكُبَرِ﴾. فإذا جعل (نذيراً) حالاً مما في (قم) فإن (النذير) اسم فاعل بمعنى المنذر... وإن جعلته حالاً من قوله: ﴿لِاحْدَى الْكُبَرِ﴾ فليس يخلو الحال أن يكون من المضاف أو من المضاف إليه... وفي كلا الوجهين ينبغي أن يكون (نذيراً) مصدراً، والمصدر يكون حالاً من الجميع كما يكون حالاً من المفرد. تقول: جاؤا ركضاً، كما تقول: جاء ركضاً...». ٢٥٥/١.

(٤) في الحجة: «... فمن قال: إن النذير النبي ﷺ كان اسم فاعل كالمنذر، ومن قال: إنه الشيب كان الأولى أن يكون مصدراً كالإنذار». الحجة ٢٥٥/١.

(٥) (من القراءة) ساقط من (ب).

(٦) بالتحقيق قرأ عاصم، وحمة، والكسائي، وابن عامر. السبعة لابن مجاهد ١٣٧، والكشف عن وجوه القراءات ١/٧٣، وبتلين الثانية قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو. السبعة لابن مجاهد ١٣٧، والكشف عن وجوه القراءات ١/٧٣، وقال في السبعة: من قول أبي عمرو أنه يُدْخِلُ بين الهمزتين ألفاً.

(٧) في (ب): (حققها)، وفي (ج): (حقق).

(٨) الحجة ١/٢٧٤.

(٩) الفه: الكليل اللسان العمي، وفه عن الشيء: نسيه، وقد فهمه كفرح: عبي. انظر: اللسان (فه) ٦/٣٤٨١، والقاموس (فه) ١٢٥١.

(١٠) الكع: الضعيف العاجز، وكع الوجه: رقيقه، وكع، يكع: جبن وضعف. انظر: اللسان (كع) ٨/٣١٢، والقاموس (كع) ٧٥٩.

وَكَعَعْتُ ، كذلك حكم الهمزة . ومما يقوّي ذلك قولهم : (رَأْسٌ)^(١) وسأل ،
(تذأبت الريح)^(٢) ، و(رأيت^(٣) الرجل) . وكما جمع الجميع بينهما إذا كانتا عينين ،
كذلك يجوز الجمع بينهما في غير هذا الموضع^(٤) .

وحجة من خفف^(٥) الثانية : أن العرب قد رفضت جمعها^(٦) في مواضع من
كلامهم ، من ذلك أنها^(٧) لما اجتمعتا في (آدم) و(آدر) و(آخر) ألزموا جميعاً الثانية
البدل^(٨) ولم يحققوها . ولما كسروا وحقروا جعلوا هذه المبدلة بمنزلة ما لا أصل له
في الهمزة فقالوا : أواخر وأواخر^(٩) ، فأبدلوا منها (الواو) ، كما أبدلوها مما هو ألف
لا يناسب^(١٠) الهمزة ، نحو : ضوارب وضويرب ، وفي هذا دلالة بينة على رفضهم
اجتماعها . ألا تراهم لم يرجعوها^(١١) في التحقير والتكسير ، كما رجعوا (الواو)
في : ميقات وميعاد^(١٢) ، و(الياء) في : موسر^(١٣) ، في قولهم : مواقيت ومياسير ،
وفي ذلك دلالة بينة على رفضهم لجمعها^(١٤) . ومن ذلك أيضاً أننا لم نجد كلمة

-
- (١) وهو الذي يبيع الرؤوس . إصلاح المنطق ١٤٨ .
(٢) تذأبت الريح) إذا جاءت مرة من هاهنا ، ومرة من هاهنا . إصلاح المنطق ١٤٤ ، واللسان (ذأب)
١٤٧٩/٣ .
(٣) رأيته : إذا أُرِيته على خلاف ما أنا عليه . انظر : القاموس ١٢٨٥ .
(٤) الحجة ٢٧٥/١ ، وانظر : الكشف لمكي ٧٣/١ .
(٥) في (ب) : (حقق) .
(٦) في (ب) : (جمعها) .
(٧) في الحجة : (أنهم لما اجتمعتا . . .) ، ٢٧٥/١ .
(٨) أبدلوا مكانها الألف ، انظر : الكتاب ٥٥٢/٣ .
(٩) وقالوا في آدم : أوادم في الجمع ، وفي التصغير : أويدم . انظر : الكتاب ٥٥٢/٣ .
(١٠) في (أ) : (تناسب) ، وما في (ب) و(ج) موافق لما في الحجة ٢٧٦/١ .
(١١) في (ب) : (يرجعوها) .
(١٢) (وميعاد) ساقط من (ب) .
(١٣) في (ب) : (مولس) .
(١٤) (لجمعها) كذا في النسخ جميعها ، وفي الحجة : (لجمعها) ، ٢٧٦/١ ، وهذا هو الصحيح أي جمع الهمزتين .

عينها همزة ولا مها كذلك ، كما وجدنا في سائر أخوات الهمزة من الحلقيّة كقولهم :
مهاه^(١) ، فه^(٢) ، و﴿يَدْعُ آلَيْتِمَ﴾ [الماعون: ٢] ، و(مح)^(٣) و(ألح) و(منح)^(٤) .
فإذا لم يجمعوا بين الهمزتين في المواضع^(٥) التي جمع فيها بين أخواتها^(٦) ، دل ذلك
على رفضهم^(٧) لجمعها^(٨) .

ومن ذلك^(٩) أنهم ألزموا باب (رزيئة) و(خطيئة)^(١٠) القلب^(١١) في الجمع ،
لما يؤدي اجتماع الهمزتين ، فقالوا : (خطايا) و(رزايا)^(١٢) ، فلو كان لاجتماعهما
عندهم مساع ما رفضوا ذلك الأصل ، كما أنه لو كان لتحرك العينات في نحو :
(قال) و(باع) مجاز ، ما ألزموها القلب^(١٣) . فإن قيل : فقد حُكي عن بعضهم :

- (١) المهه والمهاه : النضارة والحسن ، وقيل : الشيء الحقيقير اليسير ، والهاء فيها لا تصير تاء ، إلا إذا أردت بالمهاة : البقرة . انظر : اللسان (مهه) ٧ / ٤٢٩٠ .
- (٢) في (أ) : (فه) ، وفي الحجة : (فه) من دون نقط ، وهو الصحيح ١ / ٢٧٦ ، وفه عن الشيء : إذا نسيه ، والفة في اللسان : العبي . اللسان (فهه) ٦ / ٣٤٨١ .
- (٣) (مح) : (مح) : الثوب الخلق ، مح : أخلق . اللسان (محج) ٧ / ٤١٤٣ .
- (٤) في (أ) : (مح) ، وفي (ب) و(ج) من دون نقط أو تشكيل . وفي الحجة (منح) ١ / ٢٧٦ .
- (٥) في الحجة : (الموضع) ١ / ٢٧٦ .
- (٦) في الحجة : (وكررت) ١ / ٢٧٦ ، وأي جمع بين حروف الخلق وكررت .
- (٧) في (ب) : (بعضهم) .
- (٨) في الحجة : (لجمعها) ١ / ٢٧٦ أي الهمزتين .
- (٩) انظر : بقية كلام أبي علي في الحجة ١ / ٢٧٧ .
- (١٠) في (ج) : (ذربه) و(خطئه) .
- (١١) في الحجة : «... عما يؤدي إلى اجتماع همزتين فيه ، فقالوا...» ، ١ / ٢٧٧ .
- (١٢) قال المازني : «اعلم أنك إذا جمعت (خطيئة) و(رزيئة) على (فعائل) قلت : (خطايا) و(رزايا) وما أشبه هذا مما لاه همزة في الأصل ، لأنك همزت ياء (خطيئة) و(رزيئة) في الجمع ، كما همزت ياء (قبيلة) و(سفينة) حين قلت : (قبائل) و(سفائن) ، وموضع اللام من (خطيئة) مهموز فاجتمع همزتان ، فقلبت الثانية ياء ، لاجتماع الهمزتين فصارت (خطائي) ثم أبدلت مكان الياء ألفاء... فصارت (خطاء) ، وتقديرها : (خطاء) والهمزة قريبة المخرج من الألف فكانت جمعت بين ثلاث ألفات ، فلما كان كذلك أبدلوا من الهمزة (ياء) فصار (خطايا)» ، المنصف ٢ / ٥٤ ، ٥٥ .
- (١٣) (القلب) ساقط من (ب) .

(خطائي) بتحقيق الهمزتين^(١)، قيل: هذا يجري مجرى الأصول المرفوضة^(٢) نحو:

...ضننوا^(٣)

...والأظلل^(٤)

ولا يُعتدُّ بذلك^(٥).

ومن ذلك - أيضاً - أنهم إذا بنوا اسم فاعل من^(٦) (ناء) و(شاء) و(جاء)^(٧) قالوا: (شاء)^(٨) و(ناء)^(٩)، فرفضوا الجمع بينهما ورفضوه في هذا الطرف كما رفضوه أولاً في: (آدم) و(آخر)^(١٠).

(١) انظر: المقتضب ١/١٥٩، والمنصف ٢/٥٧، وسر صناعة الإعراب ١/٧١، وقال ابن جني: حكاه أبو زيد.

(٢) قال أبو الفتح بن جني: شاذ لا يقاس عليه. وسر صناعة الإعراب ١/٧٢.

(٣) جزء من بيت كما في الحجة ١/٢٧٧، وتمامه:

مهلاً أعاذل قد جربت من خُلقي
أني أجود لأقوام وإن ضننوا
أراد: ضنوا، فأظهر التضعيف لضرورة الشعر. انظر: الكتاب ١/٢٩، ٣/٥٣٥، والنوادر لأبي زيد ٢٣٠، والمقتضب ١/١٤٢، ٢٥٣، المنصف ١/٣٣٩، واللسان (ضنن) ٥/٢٦١٤، و(ظلل) ٥/٢٧٥٦.

(٤) المراد بالأظلل ما ورد في قول الراجز: تشكو الوجي من أظلل وأظلل، ففك الإدغام في (أظلل) ضرورة، والبيت للعجاج، وبعضهم نسبته إلى أبي النجم. وهو في ديوان العجاج ١٥٥، الكتاب ٣/٥٣٥، والنوادر ٢٣٠، والمقتضب ١/٢٥٢، ٣/٣٥٤، والخصائص ١/١٦١، ٣/٨٧، والمنصف ١/٣٣٩، واللسان (ظلل) ٤/٢٧٥٦، و(ملل) ٧/٤٢٧١، وقوله: (تشكو)، أي الإبل، و(الوجي): الحفي، الأظلل: باطن الخف.

(٥) الحجة ١/٢٧٧، ٢٧٨.

(٦) في (ب): (على من) زيادة (على).

(٧) في الحجة: (ناء وساء وشاء).

(٨) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٩) في (ب): (تا). وترك التمثيل لاسم الفاعل من (جاء) وهو: (جاء)، والأصل فيها (شائي) و(جائي) و(نائى)، فلما التقت همزتان أبدلت الثانية (ياء)، ثم عوملت مثل (قاض). انظر: المنصف ٢/٥٢.

(١٠) انظر: بقية كلام أبي علي في الحجة ١/٢٧٨.

ومن ذلك أيضاً أن من قال : هذا فرجٌ ، وهو يجعلُ ، فضاغف^(١) في الوقف حرصاً على البيان ، في يضاعف نحو : (البناء)^(٢) ، و(الرشاء) ، لكنه رفض^(٣) هذا الضرب^(٤) من الوقف ، وما كان يحرص عليه من البيان لما كان يلزمه الأخذ بما تركوه ، والاستعمال لما رفضوه من اجتماع الهمزتين^(٥) .

وإذا كان الأمر على هذا^(٦) ، فالجمع في : ﴿أَنْذَرْتَهُمْ﴾^(٧) أقبح من الجمع في كلمتين منفصلتين ، نحو : قرأ أبوك ، ورشاء أخيك ؛ لأن الهمزة الأولى من ﴿أَنْذَرْتَهُمْ﴾ تنزل منزلة ما هو من الكلمة نفسها ، لكونها على حرف مفرد^(٨) ، ألا ترى أنهم قالوا^(٩) : لهو ولهي ، فخففوا كما خففوا : عضداً^(١٠) ، فكذلك الهمزة الأولى ، لما لم تنفصل من الكلمة صارت بمنزلة التي في آخر^(١١) ، فأما إذا كانتا^(١٢) من كلمتين ، فاجتماعهما في القياس أحسن من هذا^(١٣) ، ألا ترى أن المثليين إذا كانا في كلمة نحو : يردُّ ويعضُّ ، لا يكون فيها^(١٤) إلا الإدغام .

(١) في (ب) : (تضاعف) .

(٢) في الحجة : (النبأ) .

(٣) في (ب) : (نفض) .

(٤) في (ب) : (الصوت) .

(٥) الحجة ١ / ٢٧٩ .

(٦) أي رفض اجتماع الهمزتين . قال أبو علي بعد سياق تلك الحجج ، «فهذه الأشياء تدل على رفض اجتماع

الهمزتين في كلامهم . فأما جمعها وتحقيقها في (أأنذرتهم) فهو أقبح . . . » ، ١ / ٢٨٠ .

(٧) في (أ) و(ب) : (أنذرتهم) بهمزة واحدة ، وما في (ج) موافق لما في الحجة .

(٨) في (ب) : (منفرد) .

(٩) في (ب) : (إذا قالوا) .

(١٠) أصلها : (عضد) .

(١١) في (ب) : (آخرها) .

(١٢) أي (الهمزتان)

(١٣) قال سيبويه : «واعلم أن الهمزتين إذا التقتا وكانت كل واحدة منهما من كلمة فإن أهل التحقيق يخففون

إحداهما ويستثقلون تحقيقها . . . » ، الكتاب ٣ / ٥٤٨ .

(١٤) في الحجة : (فيهما) ، ١ / ٢٨٠ .

ولو كانا منفصلين نحو : (يد داود) ، لكنت^(١) في الإدغام والبيان بالخيار .
فعلى هذا تحقيق الهمزتين في ﴿ءَأَنْذَرْتَهُمْ﴾^(٢) وما أشبهه أبعد منه في الكلمتين
المنفصلتين .

ومما يقوي ترك الجمع بين الهمزتين : أنهم قالوا في جمع (ذؤابة) : ذوائب ،
فأبدلوا^(٣) من الهمزة التي هي عين^(٤) (واواً) في التكسير كراهة للهمزتين مع
فصل حرف بينهما . فإذا كرهوهما مع فصل حرف بينهما حتى أبدلوا الأولى منهما ،
فأن^(٥) يكرهوهما غير مفصول بينهما بشيء أجدر^(٦) .

وأيضاً فإنهم كرهوا^(٧) الهمزة المفردة حتى قلبوها أو حذفوها ، وذلك
إجماعهم^(٨) في^(٩) (يرى)^(١٠) على حذف الهمزة^(١١) ، فلما كرهوا ذلك في الأفراد
وجب أن لا يجوز في المتكرر^(١٢) إلا التغيير .

(١) في (ب) : (الكنت) .

(٢) في النسخ جميعها : (أنذرتهم) بهمزة واحدة ، والتصحيح من الحجة ٢٨١ / ١ .

(٣) في (ب) : (وأبدلوا) .

(٤) في (ب) : (غير) .

(٥) في (ب) : (وإن) .

(٦) في (ب) : (واحد) . الحجة لأبي علي ٢٨١ / ١ .

(٧) الضمير يعود على من يقول بتخفيف الهمزة . قال في الحجة : «من ذلك أن الهمزة إذا كانت مفردة
غير متكررة ، كرهها أهل التخفيف ، حتى قلبوها أو حذفوها ، لئلا يلزمهم تحقيقها ، وقد وافقهم في
بعض ذلك أهل التحقيق ، كما وافقتهم لهم في : (يرى) . . . » ، ٢٧٩ / ١ .

(٨) أي أهل التخفيف والتحقيق . انظر : كلام أبي علي السابق .

(٩) (في) ساقطة من (ج) .

(١٠) في (ب) : (ترى) .

(١١) (يرى) مضارع (رأى) اتفق أهل تحقيق الهمزة ، وتخفيفها على حذفها على التخفيف . انظر : الكتاب
٥٤٦ / ٣ ، والمسائل الحلييات لأبي علي ٨٣ ، وسر صناعة الإعراب ٧٦ / ١ .

(١٢) أي الهمزة المكررة . الحجة ٢٧٩ / ١ .

وإذا كان الجمع بينهما في [البعد على هذا ، فالجمع بينهما في] ^(١) (أئمة) ^(٢) أبعد ، لأن الهمزتين لا تفارقان الكلمة ^(٣) ، وهمزة الاستفهام قد تسقط في الإخبار وغيره ، فلما كانت أشد لزوماً للكلمة كان التحقيق فيها أبعد ^(٤) .

وأما أبو عمرو فكان يلين الثانية ويجعل بينهما مدة ^(٥) . وحجته : أنه وإن خفف الثانية بأن جعلها بين الألف والهمز ، فذلك لا يخرجها عن أن تكون همزة متحركة ، وإن كان الصوت بها أضعف ؛ ألا ترى أنها إذا كانت مخففة في الوزن مثلها إذا كانت محققة ^(٦) ، فلولا ذلك لم يترن ^(٧) قوله ^(٨) :

... آنت ^(٩) زيد الأراقم ^(١٠)

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ب) .

(٢) في (أ) : (أئمة) ، وفي (ب) و(ج) : (أئمة) ، ومثله في الحجة ٢٨١ / ١ .

(٣) في (ب) : (الضمة) .

(٤) يشير إلى أن التحقيق في (أئمة) أبعد ؛ لأن الهمزتين لا تفارقان الكلمة ، بينما الهمزة الأولى في (أنذرهم) همزة استفهام قد تسقط ، فهي كالمفصلة ، ومع ذلك كرهوا تحقيقها . وبعد هذا الاحتجاج الطويل لمن يرى تخفيف الهمزة الثانية الذي نقله الواحدي عن أبي علي من كتاب الحجة ، والذي هو مذهب أكثر النحويين وعليه أكثر العرب ، كما قال سيبويه : « فليس من كلام العرب أن تلتقي همزتان فتحققا ... » . انظر : الكتاب ٣ / ٥٤٨ ، ٥٤٩ ، وانظر : المقتضب : ١٥٨ / ١ ، ومعاني القرآن للزجاج ١ / ٤١ - ٤٥ ، مع ذلك فقراءة التحقيق قراءة سبعية متواترة من حيث السند ، ولها حجتها من اللغة . انظر : الكشف لمكي ١ / ٧٣ ، ولا يقال فيها ما قال أبو الفتح عثمان بن جني : قراءة أهل الكوفة (أئمة) شاذة عندنا . سر صناعة الإعراب ١ / ٧٢ ، وإن كان يريد من الناحية اللغوية .

(٥) انظر : السبعة ١٣٦ ، والحجة لأبي علي ١ / ٣٨٥ ، والكتاب ٣ / ٥٥١ ، وقال في الكشف : وهو مذهب أبي عمرو ، وقالون عن نافع ، وهشام عن عامر ، ١ / ٧٤ .

(٦) في (ب) و(ج) : (مخففة) .

(٧) في (ب) : (تبرز) .

(٨) أي لو لم تكن الهمزة المخففة بزنة المحققة لانكسر وزن الشعر . انظر : الكتاب ٣ / ٥٥٠ ، والحجة ١ / ٣٨٥ .

(٩) في (ب) : (أنت) .

(١٠) الكلام بنصه في الحجة ، قال : « ... ولولا ذلك لم يترن قوله : أن رأيت رجلاً أعشى » .

الحجة ١ / ٢٨٥ ، ٢٨٦ . فاستشهد أبو علي ببيت الأعشى ، وهو شاهد سيبويه على هذه المسألة ، =

لأنه يجتمع^(١) ثلاث سواكن ، وإذا كان كذلك فتجعل^(٢) بينهما (مدة) ، لثلاث تكون جامعاً بين الهمزتين .

وقوله تعالى : ﴿أَنْذَرْتَهُمْ﴾ : لفظه لفظ الاستفهام^(٣) ، ومعناه الخبر ، ومثل ذلك قولك : ما أبالي^(٤) أشهدت أم غبت ، وما أدري أقبلت^(٥) أم أدبرت ؟ .

وإنما جرى عليه لفظ الاستفهام وإن كان خبراً ؛ لأن فيه التسوية التي في الاستفهام ، ألا ترى أنك إذا استفهمت فقلت : أخرج زيد أم أقم ؟ فقد استوى الأمران عندك في الاستفهام ، وعدم علم أحدهما بعينه ، كما أنك^(٦) إذا أخبرت^(٧) فقلت : سواء عليّ أقعدت أم قمت ، فقد سويت الأمرين عليك ، فلما عمّتها التسوية ، جرى على هذا الخبر لفظ الاستفهام ، لمشاركته له في الإبهام ، فكل استفهام تسوية ، وإن لم يكن كل تسوية استفهاماً^(٨) .

= انظر : الكتاب ٣ / ٥٥٠ ، وأما الواحد فاستشهد ببيت ذي الرمة ، الذي استشهد به الثعلبي في تفسيره ، ونصه :

تطاللت فاستشرفته فعرفته فقلت له : آئت زيد الأراقم
وروايته في ديوان ذي الرمة ، وفي الحجة ، وغيرهما : (زيد الأرانب) . انظر : تفسير الثعلبي ١ / ٤٨ ،
والحجة ١ / ٢٧٩ ، وتهذيب اللغة (اجتماع الهمزتين) ١ / ٧٣ ، واللسان (حرف الهمزة) ١ / ١٨ ،
وديوان ذي الرمة ٣ / ١٨٤٩ .

(١) في (ب) : (لأنه كان تجتمع) . مثله في الحجة : (لأنه كان يجتمع فيه ساكنان) ، ١ / ٢٨٦ ، وقصد الواحد بثلاثة سواكن هي : السكون الذي في مدة الهمزة الأولى ، وسكون الثانية على الاحتمال الممنوع ، وسكون النون .

(٢) في (ب) : (يجعل) ، (ويكون) بالياء في الموضعين .

(٣) من قوله : وقوله تعالى : ﴿أَنْذَرْتَهُمْ﴾ . . . نقله من الحجة بنصه ، ١ / ٢٦٤ .

(٤) في (ب) : (لا أبالي) .

(٥) في (ب) : (أقبلت) .

(٦) في (ب) : (أنت) .

(٧) في (ب) : (اختبرت) .

(٨) انتهى ما نقله عن أبي علي من الحجة ١ / ٢٦٤ ، ٢٦٥ ، ونحوه قال أبو عبيدة في المجاز ١ / ٣١ ، وانظر : الطبري ١ / ١١١ ، وابن عطية ١ / ١٥٤ ، ١٥٥ .

وحرر أبو إسحاق هذا الفصل فقال^(١) : إنما^(٢) دخلت ألف الاستفهام وأم التي هي للاستفهام^(٣) ، والكلام خبر ، لمعنى التسوية ، والتسوية آلتها^(٤) الاستفهام وأم . تقول من ذلك^(٥) : أزيد في الدار أم عمرو ؟ فإنما دخلت الألف وأم ، لأن علمك^(٦) قد استوى في زيد وعمرو ، وقد علمت أن أحدهما في الدار لا محالة ، ولكنك استدعيت^(٧) أن يبين^(٨) لك الذي علمت ويلخص^(٩) لك علمه من غيره ، ولهذا تقول^(١٠) : قد علمت أزيد في الدار أم عمرو ، وإنما تريد أن تسوي عند من تجربه العلم الذي قد خلص عندك^(١١) .

ولا يجوز هاهنا (أو) مكان (أم) ؛ لأن (أم) للتسوية بين الشيئين ، و(أو) إنما هي لأحد شيئين^(١٢) ، يدُلُّك^(١٣) على هذا أن (أم)^(١٤) تكون مع الألف بتأويل (أي) فإذا قلت : أزيد عندك أم عمرو ؟ فكأنك قلت : أيهما^(١٥) عندك ؟ [وإذا

(١) في معاني القرآن ٤١ / ١ .

(٢) في (ب) : (إذا) .

(٣) في (ب) : (الاستفهام) .

(٤) في معاني القرآن : « والكلام خبر فإنما وقع ذلك لمعنى التسوية ، والتسوية آلتها (ألف) الاستفهام و(أم) ، تقول : أزيد في الدار أم عمرو » ، ٤١ / ١ .

(٥) في (ب) : (في ذلك) ، وفي (ج) : (يقول) .

(٦) في (ب) : (عليك) .

(٧) في المعاني : (أردت) ، ٤١ / ١ .

(٨) في (ب) : (تبين) .

(٩) كذا رسمت في (أ) و(ج) ، وفي (ب) : (ويلحظ) . وفي المعاني : (ويلخص) وهو الأصوب .

(١٠) في (ج) : (يقول) .

(١١) انتهى كلام الزَّجَّاج ٤١ / ١ ، وانظر : الطبري ١١١ / ١ .

(١٢) انظر : الحجة ٢٦٥ / ١ ، ٢٦٦ ، مغني اللبيب ٤٣ / ١ .

(١٣) في (ب) : (فذلك) .

(١٤) في (ب) : (لم) .

(١٥) في (ب) : (أنهما) .

قلت : أزيد عندك أو عمرو ؟ لم يكن على معنى : أيها عندك^(١) ، هذا اختلاف الجواب ، لأنك إذا قلت : أزيد عندك أم عمرو ؟ فجوابه : زيد أو عمرو^(٢) ، وكذلك في (أي) جوابه أن يذكر أحد الاسمين بعينه ، فأما إذا قلت : أزيد عندك أو عمرو ؟ فجوابه : نعم أو لا ، فهذا فرق بينهما واضح^(٣) .

ومثل هذه الآية قوله^(٤) : ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ [المنافقون : ٦] ، وقوله : ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزْنَا أَمْ صَبَرْنَا﴾ [إبراهيم : ٢١] . و﴿سَوَاءٌ﴾ في الآية رفع بالابتداء ، ويقوم ﴿ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ﴾ مقام الخبر في المعنى ، كأنه بمنزلة قولك : (سواء عليهم الإنذار وتركه) لا في الإعراب ، لأنك إذا قدرت هذا التقدير في الإعراب صار ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ﴾ خبراً مقدماً^(٥) . والجملة في موضع رفع ، بأنها^(٦) خبر ﴿إِنَّ﴾^(٧) .

ويجوز أن يكون خبر ﴿إِنَّ﴾ قوله : ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ، كأنه قيل : (إن الذين كفروا لا يؤمنون سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم) . فيكون قوله : ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنْذِرْتَهُمْ﴾

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ب) .

(٢) في (ب) : (ونحوه زيداً وعمراً) .

(٣) انظر : الكتاب ٣ / ١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٧١ ، ومغني اللبيب ١ / ٤٢ .

(٤) انظر : الحجة ١ / ٢٧١ .

(٥) قال أبو علي : «... فإن رفعته بأنه خبر لم يجز ، لأنه ليس في الكلام خبر عنه ، فإذا لم يكن خبر عنه بطل أن يكون خبراً... وأيضاً فإنه لا يجوز أن يكون خبراً لأنه قبل الاستفهام ، وما قبل الاستفهام لا يكون داخلياً في حيز الاستفهام ، فلا يجوز إذن أن يكون الخبر عما في الاستفهام متقدماً على الاستفهام... » . الحجة ١ / ٢٦٩ .

(٦) في (ب) : (بأن) .

(٧) الحجة ١ / ٢٦٨ ، ومعاني القرآن للزجاج ١ / ٤١ .

جملة معترضة بين الاسم والخبر، وجاز ذلك؛ لأنه تأكيد لامتناعهم عن الإيمان^(١)، ولو كان كلاماً أجنبياً لم يجز اعتراضه بينهما، وسترى لهذا^(٢) نظائر.

ومعنى ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ﴾ أي معتدل متساو، و﴿سَوَاءٌ﴾ اسم مشتق من التساوي. يقول: هما عندي سواء، ومنه قوله تعالى: ﴿فَأَنذِرْ لَهُمْ عَذَابَ سَوَاءٍ﴾ [الأنفال: ٥٨]، يعني: أعلمهم^(٣) حتى يستوي علمك وعلمهم^(٤). و﴿سَوَاءٌ الْجَحِيمِ﴾ [الصفات: ٥٥] وسطه، لاستواء مقادير نواحيه إليه. وقول القائل: (سواك وسواءك)^(٥) أي^(٦): من هو في مكانك بدلاً منك لاستوائه^(٧) في مكانك.

قال ابن عباس: نزلت هذه الآية في اليهود الذين كانوا بنواحي المدينة^(٨) على عهد رسول الله ﷺ. وهذا القول اختيار ابن جرير، قال: لأن الله تعالى إنما ذكر هؤلاء عقيب مؤمني أهل الكتاب، فذكر بعد مؤمنهم كافرينهم، والكلام بعضه لبعض تبع^(٩).

(١) الحجة ١/ ٢٦٨، ٢٦٩، وانظر: معاني القرآن للزجاج ١/ ٤١، وإعراب القرآن للنحاس ١/ ١٣٤، والمشكل لمكي ١/ ٢٠، والدر المصون للسمين الحلبي ١/ ١٠٥.

(٢) في (ب): (ها).

(٣) في (أ) و(ج): (علمهم)، وأثبت ما في (ب)، لأنه المناسب للسياق.

(٤) ذكره الطبري ١٠/ ٢٧، وانظر: الثعلبي ١/ ٤٨ أ.

(٥) في (أ): (سواك)، وفي (ب): (سواك)، وفي (ج): (سواك)، والتصحيح من الحجة ١/ ٢٥٠، ٢٥١، وانظر: الأضداد لابن الأنباري ٤٠، وقد سبق كلام الواحدي عن (سواء) في أول تفسير الآية.

(٦) (أي) ساقطة من (ب).

(٧) في (ب): (لاستوائك).

(٨) ذكره الطبري ١/ ١٠٨، وابن أبي حاتم ١/ ١٨٦-١٨٧، وذكره الثعلبي عن الكلبي ١/ ٤٧ ب، ومثله أبو الليث ١/ ٩٢، والبغوي ١/ ٦٤، وانظر: ابن كثير ١/ ٤٨.

(٩) تفسير الطبري ١/ ١٠٩.

وقال الضحاك: نزلت في أبي جهل وخمسة^(١) من أهل بيته^(٢). وقال الربيع: نزلت في قادة الأحزاب يوم بدر^(٣)، وكذلك الآية التي بعدها. قال أبو العالية: لم يسلم منهم إلا رجلان، وكانا مغموصاً عليهما في دينهما^(٤)، أحدهما: أبو سفيان^(٥)، والآخر: الحكم بن أبي العاص^(٦). ثم ذكر الله تعالى سبب تركهم الإيوان، فقال:

٧. ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ الآية، (الختم) في اللغة بمعنى: الطبع، والخاتم: الفاعل. وأصله من آخر الشيء^(٧)، ومنه قوله تعالى: ﴿خَتَمَهُ مِسْكٌ﴾ [المطففين: ٢٦]، قال ابن مسعود: عاقبته^(٨) طعم المسك^(٩)، وروي عن

(١) في (ب): (وحمته).

(٢) ذكره الثعلبي ١/٤٧ ب.

(٣) أخرجه الطبري بسنده عن الربيع ١/١٠٩، وأخرجه ابن أبي حاتم بسنده عن الربيع بن أنس عن أبي العالية ١/٤٠، وفي حاشيته قال المحقق: في سنده اضطراب وذكره ابن كثير، قال: قال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية ثم ذكره ١/٤٨، وذكره السيوطي في الدر عن أبي العالية، ونسبه إلى ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم، ١/٦٥، وهو عند ابن جرير عن الربيع بن أنس ولم يوصله إلى أبي العالية كما سبق.

(٤) هذه الزيادة عن أبي العالية، ذكرها النحاس في القطع والانتفاء ١١٦، والسيوطي في الدر ولفظه: «ولم يدخل من القادة أحد في الإسلام إلا رجلان أبو سفيان، والحكم بن أبي العاص»، ولم ترد عند ابن جرير ولا ابن أبي حاتم، وقوله: (وكان مغموصاً عليهما في دينهما) لم يذكره السيوطي، الدر ١/٦٥.

(٥) أبو سفيان هو صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، رأس قريش وقائدهم في يوم الأحزاب، أسلم يوم الفتح، كان من دهاة العرب، توفي في المدينة سنة إحدى وثلاثين. انظر: ترجمته في الإصابة ٢/١٧٨، ١٧٩، وسير أعلام النبلاء ٢/١٠٥-١٠٧.

(٦) الحكم بن أبي العاص بن أمية، ابن عم أبي سفيان، من مسلمة الفتح، وله نصيب من الصحبة، نفاه النبي ﷺ إلى الطائف، وأقدمه إلى المدينة عثمان رضي الله عنه، مات سنة إحدى وثلاثين. انظر: ترجمته في الإصابة ١/٣٤٥، وسير أعلام النبلاء ٢/١٠٧، والجرح والتعديل ٣/١٢٠.

(٧) انظر: تهذيب اللغة (ختم) ١/٩٨٣، ٩٨٤، وفيه: خاتم كل شيء آخره.

(٨) في (ج): (عاقبه).

(٩) ذكره الأزهري في التهذيب (ختم) ١/٩٨٤، وأخرج الطبري عن ابن مسعود في تفسير الآية قال: (خلطه مسك) وعنه: (طعمه ويرجحه) وأخرج عن إبراهيم، والحسن: عاقبته مسك، =

الحسن : مقطعه مسك^(١) . و﴿رَجِيْقٍ مَّخْتُوْمٍ﴾ [المطففين: ٢٥] : له ختام ، أي عاقبة ، قاله أبو عبيد^(٢) ، ومنه : خاتم النبيين ، أي آخرهم^(٣) .

قال الليث : وخاتمة السورة : آخرها ، وخاتم كل شيء : آخره^(٤) . ومنه ختم القرآن ، لأنه حال الفراغ من قراءته ، وختم الكتاب عند طيه والفراغ منه^(٥) . وقيل في قول ابن مقبل^(٦) يصف الخمر :

بِالْفُلْفُلِ الْجَوْنِ وَالرُّمَّانِ مَخْتُوْمٌ^(٧)

الطبري ٣٠/ ١٠٦ ، ١٠٧ ، وفي الدر : أخرج سعيد ابن منصور ، وهناد ، وابن أبي حاتم ، وابن أبي شيبه ، وابن المنذر ، والبيهقي في البعث ، عن ابن مسعود ، وفيه : (يجدون عاقبتها طعم المسك) ، ٥٤٤/ ٦ .

(١) ذكره أبو علي الفارسي في الحجة ١/ ٢٩٢ .

(٢) لعل المراد أبو عبيدة كما في الحجة ، إذ قال : «وأظن أبا عبيدة اعتبر ما روي عن الحسن في تفسير الآية ، لأنه قال في قوله : ﴿يُسْقَوْنَ مِنْ رَجِيْقٍ مَّخْتُوْمٍ﴾ : له ختام ، أي عاقبة ختامه مسك ، أي عاقبته ، وأنشد لابن مقبل . . . فتأول الختام على العاقبة ، ليس على الختم الذي هو الطبع ، وهذا قول الحسن ، مقطعه مسك» . الحجة ١/ ٢٩٢ ، وانظر : مجاز القرآن ٢/ ٢٩٠ .

(٣) معاني القرآن للقرءاء ٢/ ٣٤٤ ، والتهذيب (ختم) ١/ ٩٨٤ .

(٤) ذكره الأزهرى عن الليث ، تهذيب اللغة (ختم) ١/ ٩٨٤ .

(٥) انظر : العين ٤/ ٢٤٢ ، والصحاح (ختم) ٥/ ١٩٠٨ ، ومعجم مقاييس اللغة (ختم) ٢/ ٢٤٥ .

(٦) هو : الشاعر تميم بن أبي بن مقبل العجلاني ، شاعر مخضرم ، أدرك الجاهلية والإسلام ، وبلغ مائة وعشرين سنة . انظر : ترجمته في الشعر والشعراء ٢٩٧ ، والإصابة ١/ ١٨٧ ، والخزانة ١/ ٢٣١ .

(٧) صدره في الحجة :

مما يفتقُ في الحانوتِ ناطفها

وورد صدره في ديوانه :

صرف ترقرقُ في النَّاجودِ ناطلُها

يفتق : يشق ، الحانوت : دكان الخمار ، ناطفها : النطف سيلان الماء ، الجون : يطلق على الأبيض والأسود ، وقوله : (ترقرق) : تترقرق ، أي تتلألأ ، الناجون : راووق الخمر الذي يصفى به ، الناطل : مكيال الخمر . انظر : الحجة ١/ ٢٩٢ ، ٢٩٤ ، ديوان ابن مقبل ٢٦٨ ، والمخصص ٢/ ١٤٩ .

أي لآخرها طعم الفلفل والرمان . قال الأزهري : أصل الختم : التغطية ،
وختم البذر^(١) في الأرض إذا غطاه^(٢) .

وقال أبو إسحاق : معنى ختم وطبع^(٣) في اللغة واحد ، وهو التغطية على
الشيء ، والاستيثاق منه بأن لا يدخله شيء ، كما قال : ﴿ أَمَرَ عَلَى قُلُوبِ أَقْفَالِهَا ﴾
[محمد : ٢٤] ، وكذلك قوله : ﴿ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ ﴾^(٤) هذا كلام أبي إسحاق .

واعلم أن الختم على الوعاء يمنع^(٥) الدخول فيه والخروج منه ، كذلك الختم
على قلوب الكفار يمنع دخول الإيمان فيها وخروج الكفر منها ، وإنما يكون
ذلك بأن يخلق الله الكفر فيها^(٦) ، ويصدّهم عن الهدى ، ولا^(٧) يدخل الإيمان في
قلوبهم كما قال : ﴿ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِمْ وَقَلْبِهِمْ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِمْ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ
اللَّهِ ﴾ [الجاثية : ٢٣] .

(١) في (ب) : (النذر) .

(٢) التهذيب (ختم) ٩٨٥ / ١ ، وفيه : (ختم البذر : تغطيته) .

(٣) في (ب) : (تطبع) .

(٤) جاءت في عدة آيات في التوبة : ﴿ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [التوبة : ٩٣] ، وفي النحل :
﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ ﴾ [النحل : ١٠٨] ، وفي محمد : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى
قُلُوبِهِمْ ﴾ [محمد : ١٦] . والآية وردت في تهذيب اللغة ضمن كلام أبي إسحاق ، التهذيب (ختم)
٩٨٤ / ١ ، ويظهر أن الواحدي نقل كلام الزجاج عنه ، وفي معاني القرآن للزجاج ورد مكانها : (طبع
عليها بكفرهم) ، ووضع المحقق لها رقم [النساء : ١٥٥] ، وسياق آية النساء : ﴿ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا
بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ . انظر : معاني القرآن للزجاج ٤٦ / ١ .

(٥) في (ب) : (يمنع) .

(٦) قال ابن كثير : « . . . ختم على قلوبهم ، وحال بينهم وبين الهدى ، جزاء وفاقا على تماديهم في الباطل ،
وتركهم الحق ، وهذا عدل منه تعالى حسن ، وليس بقبیح . . . » ، ٤٩ / ١ . وأما ما عبر به الواحدي
من قوله : (بأن يخلق الله الكفر فيها . . .) المعنى صحيح ، فإن الله خالق كل شيء من الطاعات والكفر
والمعاصي ، لكن السلف لم يستعملوا هذا اللفظ تأديبا مع الله تعالى كما قال : ﴿ وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرُّ أُرِيدَ يَمِّنْ
فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴾ [الجن : ١٠] فلم ينسب الشر إليه ، مع أنه خالقه ونسب إليه الخير .

(٧) في (ب) : (فلا يدخل) . ولعله أولى .

فأما قول من قال : معنى ﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ ﴾ : حكم الله بكفرهم^(١) ، فغير صحيح ، لأن أحدنا يحكم بكفر الكافر ، ولا يقال^(٢) : ختم على قلبه .

وذهب بعض المتأولين من القدرية إلى أن معنى ﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ ﴾ : وسمها سمة^(٣) تدل^(٤) على أن فيها الكفر ، لتعرفهم الملائكة بتلك السمة ، وتفرق^(٥) بينهم وبين المؤمنين الذين في قلوبهم الشرع^(٦) .

قال : والختم والطبع واحد ، وهما سمة وعلامة في قلب المطبوع على قلبه^(٧) . وهذا باطل ؛ لأن الختم في اللغة ليس هو الإعلام ، ولا يقال : ختمت على الشيء بمعنى : أعلمت عليه ، ومن حمل الختم على الإعلام فقد تشبّه على أهل اللغة ، وجر كلامهم إلى موافقة عقيدته .

وقوله تعالى : ﴿ عَلَى قُلُوبِهِمْ ﴾ . قال الليث : القلب مضغة من الفؤاد ، معلقة بالنياط^(٨) . وكأنه أخص من الفؤاد ، ولذلك^(٩) قالوا : أصبت حبة قلبه ،

(١) ذكره الفارسي في الحجة ٣٠٩ / ١ ، والشعلبي ٤٨ / ١ ب ، وهذا قول المعتزلة ذكره القاضي عبد الجبار بن أحمد الهمداني ، أحد علمائهم في كتابه متشابه القرآن ٥١ / ١ ، ٥٢ ، تحقيق عدنان زر زور . وانظر : الكشف للزنجشيري ١٥٧ - ١٦٢ ، وانظر : رد الإسكندري عليه في الحاشية ، البحر المحيط ٤٨ / ١ .

(٢) في (ب) : (ولان يقال) .

(٣) في (ج) : (وسمة) .

(٤) في (ب) : (يدل) .

(٥) في (ب) : (يفرق) .

(٦) في (ب) : (الشرح) ، وفي (ج) : (الشرح) . وهذا قول ثانٍ للمعتزلة . انظر : متشابه القرآن للهمداني ٥١ / ١ ، ٥٢ ، البحر المحيط ٤٨ / ١ .

(٧) ذكره أبو علي الفارسي في الحجة عن قوم من المتأولين ٣٠١ / ١ .

(٨) تهذيب اللغة (قلب) ٣٠٢٦ / ٣ .

(٩) في (ب) : (وكذلك) .

وسويداء قلبه . وقيل : القلوب والأفتدة : قريبان من السواء^(١) . وقال بعضهم :
سمي القلب قلباً لتقلبه^(٢) ، وأنشد :
ما سَمِّي القلبُ^(٣) إلا من تقلُّبه
والرأي^(٤) يصرفُ بالإنسانِ أطواراً^(٥)

وقوله تعالى : ﴿وَعَلَى سَمْعِهِمْ﴾ . وحّد السمع ، لأنه مصدر ، والمصادر لا
تشئ ولا تجمع ، [لأن المصدر ينبئ عن الفعل ، فهو بمنزلة الفعل ، والفعل لا
يشئ ولا يجمع^(٦)] ^(٧) .

(١) في (ب) : (العوا) .

(٢) تهذيب اللغة (قلب) ٣/ ٣٠٢٦ .

(٣) في (ج) : (ما سمي القلب قلباً إلا من . . .) .

(٤) في (ب) : (الذي) .

(٥) البيت في التهذيب (قلب) ٣/ ٣٠٢٦ ، وكذا اللسان (قلب) ٦/ ٣٧١٤ ، وهذا النص ، وورد في

القرطبي ١/ ١٦٣ ، والدر المصون ١/ ١١٤ ، وروح المعاني ١/ ١٣٥ ، شطره الثاني :

فَاخْذَرْ عَلَى الْقَلْبِ مِنْ قَلْبٍ وَتَحْوِيلٍ

غير منسوب في المصادر جميعها .

(٦) انظر : معاني القرآن للزجاج ١/ ٤٧ ، وتهذيب اللغة (سمع) ٢/ ١٧٥٦ ، والثعلبي ١/ ٤٨/ ب ،

تفسير أبي الليث ١/ ٩٣ ، وزاد المسير ١/ ٢٨ ، والقرطبي ١/ ١٦٥ .

وقيل : وحّد السمع ؛ لأن المسموع واحد وهو الصوت ، وقرئ شاذّاً : ﴿وَعَلَى سَمْعِهِمْ﴾ . انظر :

الفتوحات الإلهية ١/ ١٥ .

(٧) ما بين المعقوفين ساقط من (ب) .

وقال ابن الأنباري : أراد^(١) : وعلى مواضع سمعهم ، فحذف المضاف ، كما تقول العرب : تكلم المجلس ، وهم يريدون أهله ، وحذف المضاف كثير في التنزيل والكلام^(٢) . وقيل : اكتفى من الجمع بالواحد^(٣) ، كما قال الراعي^(٤) :

بها جيفُ الحسرى فأماً عظامُها فيبضُ وأما جلدُها فصليب^(٥)

وقال الله تعالى : ﴿ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ ﴾ [الشورى: ٤٥] ، وهو كثير جداً . وقال سيويوه^(٦) : توحيد السمع يدل على الجمع ؛ لأنه توسط جمعين ، كقوله : ﴿ يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾ [البقرة: ٢٥٧] ، وقوله : ﴿ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ ﴾ [النحل: ٤٨] . وتم الكلام^(٧) هاهنا^(٨) .

-
- (١) في النسخ جميعها : (أرادوا على) زيادة ألف بعد الواو والصحيح حذفها .
 - (٢) لم أجده منسوباً إلى ابن الأنباري . وورد بمعناه في تفسير أبي الليث ٩٣/١ ، والقرطبي ١٦٦/١ ، وتهذيب اللغة (سمع) ١٧٥٧/٢ .
 - (٣) انظر : معاني القرآن للزجاج ٤٧/١ ، والثعلبي ٤٨/١ ب ، وتفسير أبي الليث ٩٣/١ ، وتهذيب اللغة (سمع) ١٧٥٧ .
 - (٤) كذا نسبة الثعلبي ٤٨/١ ب ، والبيت لعلقمة بن عبدة الفحل في الكتاب وغيره .
 - (٥) البيت لعلقمة بن عبدة الفحل ، قاله يصف طريقاً شاقاً ، قطعه لممدوحه .
 - الحسرى : جمع حسير ، والحسير : البعير المعيب يتركه أصحابه فيموت ، وبيضت عظامه لما أكلت السباع والطيور ما عليه من لحم ، صليب : يابس لم يدبغ . الشاهد (جلدها) مفرد أريد به الجمع ، أي جلودها . انظر : الكتاب ٢٠٩/١ ، ومعاني القرآن للزجاج ٤٧/١ ، وتفسير الثعلبي ٤٨/١ ب ، والقرطبي ١٦٥/١ ، والخزانة ٥٥٩/٧ ، وفيها : (به جيف الحسرى . . .) ، الدر المنصون ١١٤/١ ، والرازي ٥٣/٢ ، وفيه : (الحيدى) بدل من (الحسرى) .
 - (٦) انظر : الكتاب ٢٠٩/١ ، والنص من الثعلبي ٤٨/١ ب .
 - (٧) في (ج) : (السلام) .
 - (٨) انظر : معاني القرآن للفرّاء ١٣/١ ، ومجاز القرآن ١٣/١ ، وتفسير الطبري ١١٣-١١٤ ، وتفسير الثعلبي ٤٨/١ ب ، وذكر النحاس عن الأخفش سعيد ، ويعقوب : أن وقف على (قلوبهم) كان أيضاً تاماً ، وتعقبه النحاس ، فقال : «إذا وقف على (قلوبهم) وقدره بمعنى : وختم على سمعهم لم يكن الوقف على قلوبهم تاماً ؛ لأن الثاني معطوف على الأول ، وإن قدر الختم على القلوب خاصة فهو (تام)» القطع والانتفاف ١١٦ .

ثم قال : ﴿وَعَلَىٰ أَنْصَرِيهِمْ غَشَوَةٌ﴾ ، الأبصار جمع البصر ، والبصر العين ، إلا أنه مذكر ، ويقال : تبصرت الشيء بمعنى رمقته^(١) ، ومنه قول زهير :

تبصّر خليلي هل ترى من طعائن . . . البيت^(٢)

والغشاوة الغطاء^(٣) ، ويقال للجلدة التي على الولد : غشاوة ، ومنه غشي على المريض إذا دير به ؛ لأنه لبسة من حال المرض ، ومنه غاشية السرج^(٤) .

وفيه ثلاث لغات : ضم الغين وفتحها وكسرها^(٥) . والأفصح الكسر ؛ لأن كل ما كان مشتملاً على شيء فهو مبني على (فعالة) كالعمامة والقلادة والعصابة . وكذلك أسماء الصناعات ؛ لأن معنى الصناعة الاشتغال على^(٦) كل ما فيها ، نحو : الخياطة والقصارة ، وكذلك كل من استولى ، فاسم ما استولى عليه الفعالة نحو : الخلافة والإمارة^(٧) .

قال أبو علي الفارسي : ولم أسمع منه فعلاً متصرفاً بالواو ولا مه (ياء) ؛ لأنك تقول : غشي يغشى ، والغشيان وغشيته ، أي ألبسته وسترته ، والغشاوة من

(١) تهذيب اللغة (بصر) ١ / ٣٤٠ .

(٢) وتماه كما في الديوان :

تَحْمَلَنَّ بِالْعَلِيَا مِنْ فَوْقِ جَرْتِمِ

ديوان زهير ٩ ، والطعائن : جمع طعينة ، وهي المرأة في الهودج تحمل على الإبل ، بالعلياء : الأرض المرتفعة ، جرتم : ماء معين .

(٣) في (ب) : (والعطاء) .

(٤) انظر : تهذيب اللغة (غشى) ٣ / ٢٦٦٨ ، واللسان (غشى) ٦ / ٣٢٦١ .

(٥) ذكره في الحجة ، قال : روى لنا عن الكسائي وعن غيره ، ١ / ٣١ ، وانظر : اللسان ٦ / ٣٢٦١ .

(٦) (على) ساقطة من (ب) .

(٧) في (ج) : (الامارمه) . والكلام بنصه في معاني القرآن للزجاج ١ / ٤٨ ، وانظر : تهذيب اللغة (غشى) ٣ / ٢٦٦٨ ، واللسان (غشى) ٦ / ٣٢٦١ .

الغشيان كالجباوة من جيبت ، في أن (الواو) كأنها بدل من (الياء) ، إذ^(١) لم يصرف منه فعل بالواو كما لم يصرف من الجباوة^(٢) .

والأشهر في القراءة رفع الغشاوة^(٣) ، لأنها لم تحمل على (ختم) ، ألا ترى أنه قد جاء في الأخرى : ﴿وَحَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً﴾ [الجنائى: ٢٣] . فلما^(٤) لم تحمل في هذه على (ختم) كذلك لا تحمل هاهنا^(٥) ، وبقطعها عن ختم فتكون مرفوعة^(٦) بعل^(٧) .

- (١) في (أ) و(ج) : (إذا) ، وفي (ب) والحجة : (إذ) . وهو الأولى لصحة السياق .
- (٢) في (ب) : (الجباره) . انظر : كلام أبي علي في الحجة ٣٠٠ / ١ ، ونقله الواحدى بتصرف ، قال ابن فارس (غشى) : الغين والشين والحرف المعتل ، أصل صحيح يدل على تغطية شيء بشيء ، معجم مقاييس اللغة ٤٢٥ / ١ .
- قال السمين الحلبي بعد أن ذكر كلام أبي علي : «وظاهر عبارته أن الواو بدل من الياء ، فالياء أصل ؛ بدليل تصرف الفعل منها من دون مادة الواو ، والذي يظهر أن لهذا المعنى مادتين : غ ش و ، غ ش ي ، ثم تصرفوا في إحدى المادتين واستغنوا بذلك عن التصرف في المادة الأخرى ، وهذا أقرب من ادعاء قلب الواو ياء من غير سبب . . . » . الدر المصون ١١٦ / ١ .
- (٣) قرأ السبعة كلهم برفع الغشاوة ، إلا ما روى المفضل الضبي ، عن عاصم أنه قرأ بالنصب . انظر : الحجة لأبي علي ٢٩١ / ١ ، ٣١٢ ، وقال الطبري : إن قراءة الرفع هي الصحيحة ، والنصب شاذة ، ٢٦٢ / ١ ، ونحوه قال أبو الليث في تفسيره ٩٣ / ١ .
- (٤) في الحجة (فكلم) ٣٠٩ / ١ .
- (٥) في الحجة : «كذلك لا تحمل في هذه التي في مسألتنا» ، ٣٠٩ / ١ .
- (٦) في (ب) : (فتكون من موصه بعل) .
- (٧) في الحجة : «حملها على (ختم) قطعها عنه وإذا قطعها عن (ختم) كانت مرفوعة إما بالظرف ، وإما بالابتداء» . الحجة ٣٠٩ / ١ . قال مكى : «غشاوة : رفع بالابتداء ، والخبر : وعلى أبصارهم» . المشكل ٢٠ / ١ ، وقال العكبري : «وعلى قول الأخفش (غشاوة) مرفوع بالجوار كارتفاع الفاعل بالفعل» . الإملاء ١٥ / ١ .

وقرأ المفضل^(١) ﴿غَشَوَةٌ﴾ بالنصب^(٢) . وله وجهان : أحدهما^(٣) : أن تحمل على الفعل ، كأنه قال : وختم على قلبه غشاوة ، أي بغشاوة فلما حذف الحرف وصل الفعل ، ومعنى ختم عليه بغشاوة مثل جعل على بصره غشاوة . ألا ترى أنه إذا ختمها بالغشاوة فقد جعلها فيها ، والدليل على جواز حمل غشاوة على ختم هذا الظاهر قوله : ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعَهُمْ وَأَبْصَرَهُمْ﴾ [النحل: ١٠٨] ، وطبع في المعنى كختم ، وقد حملت الأبصار على (طبع) ، فكذلك^(٤) تحمل^(٥) على (ختم)^(٦) .

والوجه الثاني : ما قاله الفرّاء^(٧) ، وهو أنه نصبها بإضمار (وجعل) ، كقوله في الجاثية : ﴿وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِمْ وَقَلْبِهِمْ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِمْ غَشَوَةٌ﴾ [الجاثية: ٢٣] . والكلام إذا اجتمع ودل أوله على آخره حسن الإضمار ، كقولك : أصاب فلان المال ، فبنى الدور والعبيد والإماء واللباس ، ف (بنى) لا يقع على العبيد^(٨) والإماء واللباس ،

(١) هو المفضل بن محمد الصَّبِيّ الكوفي ، إمام مقرئ ، نحوي ، إخباري ، أخذ القراءة عن عاصم ، ومات سنة ثمان وستين ومائة .

انظر : ترجمته في تاريخ بغداد ١٣ / ١٢١ ، والأنساب ٨ / ٣٨٥ ، وإنباه الرواة ٣ / ٢٩٨ ، وغاية النهاية ٢ / ٣٠٧ .

(٢) قال ابن مجاهد : «قرأوا كلهم (غشاوة) في (البقرة) رفعا وبالألف ، إلا أن المفضل بن محمد الصَّبِيّ روى عن عاصم (وعلى أبصارهم غشاوة) نصبا» ، السبعة ١٤١ ، ومعاني القرآن للفرّاء ١ / ١٣ ، والحجة ١ / ٢٩١ ، وزاد المسير ١ / ٢٨ .

(٣) في (ج) : (أحدها) .

(٤) فكذلك ساقطة من (ب) .

(٥) في (ب) : (حمل) .

(٦) بنصه في الحجة ١ / ٣٠٩ ، ٣١٠ .

(٧) معاني القرآن ١ / ١٣ ، ١٤ ، ونقله بتصريف يسير .

(٨) في (ب) (العبد) .

فبنى لا يقع على العبيد والإماء ولكنه^(١) صفات اليسار، فحسن الإضمار لما عرف، ومثله كثير.

والذي لا يحسن من الإضمار^(٢) ما يشته ولا يعرف المعنى، كقولك: ضربت فلاناً وفلاناً، وأنت تريد بالثاني: قتلت، لأنه ليس هاهنا دليل، وكذلك قولك: قد أعتقت يساراً أمس وآخر اليوم، وأنت تريد: واشتريت آخر اليوم، فهذا لا يجوز، لأنه مختلف^(٣). قال الزَّجَّاج في هذه الآية: إنهم كانوا يسمعون ويبصرون ويعقلون، ولكن لم يستعملوا^(٤) هذه الحواس استعمالاً يجدي عليهم، فصاروا كمن لا يعقل ولا يسمع ولا يبصر^(٥).

وقوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾. (العذاب): كل ما يُعْنِي الإنسان ويشق عليه، وذكرت اشتقاقه عند قوله: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ [البقرة: ١٠]. و(العظيم) فعيل من العظم، ومعنى العظم: هو كثرة المقدار في الجنة^(٦)، ثم استعير ذلك في الصفات، فقليل: كلام عظيم، [وأمر عظيم، أي عظيم^(٧)] القدر، يريدون به المبالغة في وصفه.

(١) في (ب): (لكن).

(٢) في (ب): (لا يشته).

(٣) انتهى ما نقله عن الفراء، انظر: المعاني ١/ ١٤.

(٤) في (ب): (لا يسمعون).

(٥) معاني القرآن للزَّجَّاج ١/ ٤٧.

(٦) في (ب): (الجنة).

(٧) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

ومن هذا الباب (العظام) ؛ لأنها من^(١) أكبر ما ركب منه البدن ، فالعظم في الأصل الزيادة على المقدار^(٢) ، ثم ينقسم إلى عظم الأجسام ، وعظم الشأن^(٣) ، وهو منقول إلى عظم الشأن^(٤) من عظم الجثة ، وكثر استعماله حتى صار حقيقة في الموضوعين^(٥) . ومعنى وصف العذاب بالعظم ، هو المواصلة بين أجزاء الآلام بحيث لا تتخللها^(٦) فرجة ، أو إحداث ألم في كل جزء ، أو^(٧) يخلق ألماً أشد من ألم .

٨. قوله تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ ﴾ الآية . روى ثعلب عن سلمة^(٨) عن الفراء^(٩) قال : يكون^(١٠) (من) ابتداء غاية ، ويكون بعضاً ، ويكون صلة ، قال الله : ﴿ وَمَا يَعْرُجُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ ﴾ [يونس : ٦١] . المعنى : مثقال ذرة^(١١) . قال أبو عبيد^(١٢) : والعرب تضع (من) مواضع (مذ) يقال : ما رأيته من [سنة ، أي :]^(١٣) مذ سنة .

(١) (من) ساقطة من (ب) .

(٢) انظر : تهذيب اللغة (عظم) ٢/٤٨٨ ، ومعجم مقاييس اللغة (عظم) ٤/٣٥٥ ، واللسان (عظم) ٥/٣٠٠٤ .

(٣) في (ب) : اللسان .

(٤) في (ب) : اللسان .

(٥) انظر : تفسير الرازي ٢/٥٤ .

(٦) في (ب) : (لا محللها) .

(٧) في (ب) : (جزو أو يحلو) .

(٨) هو سلمة بن عاصم النحوي ، روى عن الفراء ، كان أديباً فاضلاً ، سمع منه ثعلب كتاب المعاني للفراء ، توفي بعد السبعين ومئتان . انظر : ترجمته في طبقات النحويين واللغويين ١٣٧ ، ومعجم الأدباء ٣/٣٩١ ، وإنباه الرواة ٢/٥٦ ، وغاية النهاية ١/٣١١ .

(٩) في تهذيب اللغة : (سلمه عن الفراء ثم ذكره بنصه) . التهذيب (من) ٤/٣٤٥٣ .

(١٠) في التهذيب : (تكون) في المواضع الثلاثة .

(١١) في التهذيب (أي ما يعزب عن علمه من مثقال ذرة) ٤/٣٤٥٣ .

(١٢) تهذيب اللغة (من) ٤/٣٤٥٤ .

(١٣) ما بين المعقوفين ساقط من (ب) .

قال زهير :

أَقْوَيْنَ مِنْ حُجَجٍ وَمِنْ شَهْرٍ^(١)

أي مذ حجج^(٢) . ويكون^(٣) (من) بمعنى البدل ، كقوله تعالى : ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُمْ مَلَائِكَةً﴾ [الزخرف : ٦٠] . معناه : بدلکم^(٤) ، وسنذكره في موضعه^(٥) .
وأما الأصل [في (الناس)]^(٦) فقد أقرأني العروضي ، قال : أقرأني الأزهري قال^(٧) : أخبرني المنذري عن أبي الهيثم^(٨) أنه سأله^(٩) عن (الناس)^(١٠) ما أصله ؟

(١) مطلع قصيدة لزهير يمدح هرم بن سنان وصدده :

لَمَنِ الدِّيارُ بَقْنَةُ الحِجرِ

القنّة : أعلى الجبل ، الحِجر : بكسر الحاء منازل ثمود ، ويروى بالفتح موضع باليامة ، أقوين : أفقرت ، الحِجج : بكسر الحاء جمع حجة وهي السنة ، ومن شهر : واحد الشهور ، ويروى ومن دهر . ورد البيت في تهذيب اللغة (من) ٤ / ٣٤٥٤ ، والجمل المنسوب للخليل ١٦١ ، والجمل للزجاجي ١٣٩ ، ومغني اللبيب ١ / ٣٣٥ ، والهمع ٣ / ٢٢٦ ، وشرح المفصل ٤ / ٢٩٣ ، ٨ / ١١ ، والإنصاف ٣١٥ ، والخزانة ٩ / ٤٣٩ ، وشرح ديوان زهير ٨٦ .

(٢) أي مذ حجج ومذ شهر .

(٣) في التهذيب : (من) ، ٤ / ٣٤٥٤ .

(٤) في (ب) : (بدله) .

(٥) عند أبي عبيد وتكون (من) بمعنى : السلام الزائدة . انظر : بقية كلامه في التهذيب (من) ٤ / ٣٤٥٤ ،

وذكر ابن هشام في مغني اللبيب : أن (من) تأتي على خمسة عشر وجهاً ، ١ / ٣١٨ .

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من (ب) .

(٧) التهذيب (أنس) ١ / ٢١٦ .

(٨) في (ب) : (أبي القاسم) .

(٩) في (ج) : (سأل) .

(١٠) (عن الناس) ساقط من (ب) .

قال : أصله أناس^(١) ، والألف فيه أصلية ، ثم زيدت عليه اللام التي تزداد مع الألف للتعريف^(٢) ، وأصل تلك اللام سكون أبداً^(٣) ، فصار (الأناس) ثم كثر في الكلام ، وكانت الهمزة واسطة فاستثقلوها^(٤) فتركوها^(٥) ، ثم أدغموا اللام في النون ، فقالوا : الناس ، فلما طرحوا الألف واللام قالوا : (ناس)^(٦) . وقد استعمله الشاعر على الأصل ، فقال :

إن المنايا يَطْلُغُ من على الأناسِ الآمِنيْنَا^(٧)

قال الأزهري : وهذا قول حذاق^(٨) النحويين^(٩) . و(الناس) لفظ وضع للجمع ، ولا واحد له من لفظه^(١٠) ، كالقوم والرهط والجيش ، واختلفوا في تصغيره ، فقليل : (أنيس) و(نويس) .

-
- (١) في التهذيب : «فقال أصله (الأناس) ، لأن أصله (أناس) فالألف فيه أصلية . . . » ، ٢١٧ / ١ .
- (٢) في (ب) : (التعريف) .
- (٣) في التهذيب : «وأصل تلك اللام سكون أبداً إلا في أحرف قليلة ، مثل : الاسم والابن ، وما أشبهها من الألفات الوصلية ، فلما زادوها على أناس صار الاسم : الأناس . . . » ، ٢١٧ / ١ .
- (٤) في (ب) : (فاستثقلوها) .
- (٥) في التهذيب : « . . . فتركوها وصار باقي الاسم (أناس) بتحريك اللام في الضمة ، فلما تحركت اللام والنون أدغموا اللام في النون . . . » ، ٢١٧ / ١ .
- (٦) في التهذيب : «فلما طرحوا الألف واللام ابتداء والاسم فقالوا : قال ناس من الناس» . انتهى كلام أبي الهيثم في التهذيب ، وقول الواحدي : وقد استعمله الشاعر . . . إلخ مع البيت ليس في التهذيب ٢١٧ / ١ .
- (٧) البيت الذي جدد الحميري ، ورد في مجالس العلماء للزجاجي ٧٠ ، والخزانة ٢ / ٢٨٠ ، والخصائص ٣ / ١٥١ ، وتفسير البضاوي ١ / ٩٩ ، والدر المصون ١ / ١١٩ ، واللسان (نوس) ٨ / ٤٥٧٥ .
- (٨) في (ب) : (خلاف) .
- (٩) في التهذيب : «قلت : وهذا الذي قاله أبو الهيثم تعليل النحويين» ، وفي الهامش في (ج) : (قول حذاق النحويين) ، التهذيب ٢١٧ / ١ .
- (١٠) قال الطبري : «في الناس وجهان : أحدهما : أن يكون جمعاً لا واحد له من لفظه ، وإنما واحدهم (إنسان) وواحدتهم (إنسانية) . والوجه الآخر : أن يكون أصله (أناس) أسقطت الهمزة منها لكثرة الكلام بها ، ثم دخلتها الألف واللام المعرفتان . . . » ، ١ / ١١٦ ، وانظر : تفسير ابن عطية ١ / ١٥٨ ، ١٥٩ ، والبحر ١ / ٥٢ ، والدر المصون ١ / ١١٨ .

فمن قال : (أنيس) وهو قول أكثر النحويين^(١) ، دل على^(٢) أن أصله (أناس) لثبوت الهمزة في التصغير . ومن قال : نويس ، جعل اشتقاق الناس من (النوس) وهو الاضطراب والحركة^(٣) ، يقال ناس ينوس إذا تذبذب وتحرك ، وأناس إذا حرك^(٤) . ومنه قول المرأة في حديث أم زرع : «أناس من حلي أذني»^(٥) .

قال^(٦) : وسمي الناس ناساً ؛ لأن من^(٧) شأنهم الحركة على الاختيار العقلي ، والواو في التصغير يدل على هذا الاشتقاق ، وواحد الناس : إنسان ، لا من لفظه . وكان في الأصل (إنسيان) ، وهو فعليان ، والألف فيه (فاء) الفعل ، ومثله في الكلام (حرصيان) وهو الجلد الذي يلي الجلد الأعلى من^(٨) الحيوان ، ورجل حذريان ،

(١) قال سييويه : «ليس من العرب أحد إلا ويقول : نويس» . انظر : الكتاب ٣ / ٤٥٧ ، وانظر : المسائل الحلييات لأبي علي الفارسي ١٧١ ، ١٧٢ .

(٢) (دل على) مطموس في (ب) .

(٣) (الحركة) ساقطة من (ب) .

(٤) في (ب) : (إذ بریدت) .

(٥) في (ب) : (أرلى) . قطعة من حديث طويل ، فقد أخرج البخاري بسنده عن عائشة ، قالت : «جلست إحدى عشرة امرأة ، فتعاهدن وتعاقدن أن لا يكتمن من أخبار أزواجهن شيئاً . . . » ، وفيه : «قالت الحادية عشرة : زوجي أبو زرع فما أبو زرع ، أناس من حلي أذني . . . » . أخرجه البخاري ٥١٨٩ ، وكتاب النكاح ، باب : حسن المعاشرة مع الأهل ، ومسلم ٢٤٤٨ ، وكتاب فضائل الصحابة ، باب : فضائل عائشة ، قال ابن حجر اختلف في رفعه ووقفه ، ثم ذكر الخلاف في ذلك ، وقال : «قلت : المرفوع منه في الصحيحين : «كنت لك كأبي زرع لأم زرع» وباقيه من قول عائشة ، وجاء خارج الصحيحين مرفوعاً كله . . . » . الفتح ٩ / ٢٥٥-٢٥٧ ، وقد ذكر علماء اللغة وغريب الحديث أجزاء من الحديث ، لما فيه من الألفاظ ، فذكره أبو عبيد في غريب الحديث ١ / ٣٦٤-٣٧٦ ، وورد في الفائق ٣ / ٤٨ ، ٤٩ ، وذكر قطعة منه الأزهر في التهذيب ٣ / ٢٤٥١ ، وذكره السيوطي من طرق كثيرة في المزه ٢ / ٤٤٩ .

(٦) المراد الأزهر فيبعد كلامه السابق الذي ذكره الواحدي وهو قوله : «قلت : وهذا الذي قاله أبو الهيثم تعليل النحويين . . . قال : وإنسان في الأصل : إنسيان وهو فعليان من الإنسان . . . الخ» ، وما بينها ليس في التهذيب . انظر : التهذيب ١ / ٢١٦ .

(٧) في (ب) : (معنى) .

(٨) في (ج) : (بين) .

إذا كان حذراً، وإنما قلنا: إن أصله إنسيان، لأن العرب لم تختلف في تصغيره على أنيسيان^(١).

قال الأزهري^(٢): وأصل الإنس، والإنسان، والناس، من أنس يؤنس^(٣) إذا أبصر، لأنهم يؤنسون، أي يبصرون، كما قيل للجن: جن، لأنهم مجتئون، لا يؤنسون، أي لا يبصرون^(٤). وقد روي عن ابن عباس أنه قال: عهد الله سبحانه إلى آدم ففسي فسمي إنساناً^(٥) وإن صح هذا فالهمزة تكون زائدة^(٦).

وذكر أبو علي في المسائل الحلبية^(٧): «أن الكسائي قال: إن الأناس^(٨) لغة، والناس لغة أخرى^(٩)، كأنه يذهب إلى أن (الفاء) محذوف من الناس، كما يذهب إليه سيبويه^(١٠)، والدلالة على أنها من لفظ واحد، وليس من كلمتين مختلفتين أنهم قالوا: (الأناس) في المعنى الذي قالوا فيه (الناس)، وقالوا: الإنس والأنس والإنسي والأناسي^(١١)، وإذا كان كذلك ثبت أن الهمزة (فاء) الفعل، وأن الألف

(١) انظر: تهذيب اللغة (أنس) ٢١٦/١، وانظر: الكتاب ٤٨٦/٣.

(٢) تهذيب اللغة: (أنس).

(٣) في التهذيب: «قلت: وأصل الإنس والأنس والإنسان من الإيناس وهو الإبصار»، وفي الهامش في (ج): «وأصل الإنسان والناس من أنس يؤنس إذا أبصر». ٢١٦، ٢١٧.

(٤) انتهى كلام الأزهري. انظر: التهذيب ٢١٦/١، ٢١٧.

(٥) ذكره الثعلبي في تفسيره ٤٩/١، والقرطبي ١٦٨/١.

(٦) انظر: المسائل الحلبيات ١٧١، والقرطبي ١٦٨/١، والدر المصون ١١٩/١، ١٢٠.

(٧) في (ب): (الجلسه).

المسائل الحلبيات أحد كتب أبي علي المشهورة، طبع بتحقيق د. حسن هنداري، وقد نقل الواحدي

كلام أبي علي بمعناه. انظر: المسائل الحلبيات ١٦٨-١٧٣.

(٨) في (ب): (الإنسان).

(٩) لم أجد هذا القول للكسائي في المسائل الحلبيات. انظر: المسائل الحلبيات ١٦٨-١٧٣، وانظر:

تهذيب اللغة (أنس) ٢١٦/١، ٢١٧.

(١٠) انظر: الكتاب ١٩٦/٢.

(١١) قوله: (وقالوا: الإنس والأنس والأنسي والأناسي) ليس في المسائل الحلبيات، انظر: ١٦٨-١٧٣.

من (أناس) زائدة^(١)، وأن (فاء) الفعل من الناس هي الهمزة المحذوفة، وهذا من مبادئ التصريف وأوائله^(٢).

ولو جاز لقائل أن^(٣) يقول: إن (ناساً) لسقوط الهمزة منه ليس من لفظ أناس، للزمه أن يقول: [قولهم (ويل أمه^(٤)) إذا حذفت الهمزة منه: ليست التي في (أمه) وأن يقول^(٥)]: (عدة) ليس من الوعد، لسقوط الواو منه التي هي (فاء)^(٦).

وقوله تعالى: ﴿مَنْ يَقُولُ﴾. روى سلمة، عن الفرّاء، عن الكسائي^(٧) قال: ﴿مَنْ﴾ يكون اسماً، ويكون شرطاً ويكون معرفة، ويكون نكرة، ويكون للواحد والاثنتين^(٨) وللجميع، ويكون^(٩) للإنس^(١٠) والملائكة والجن^(١١)، وهذه

(١) في (ب): (فائده).

(٢) في (ج): (وأولاه). انظر: المسائل الحلبيات ١٦٨.

(٣) (أن) ساقطة من (ب).

(٤) إذا حذفت الهمزة منه يصير (ويلمه)، الأصل فيها (ويل لأمه)، أدغمت (لام) ويل في الجارة في (لأمه) ثم حذفت (لام) ويل لكثرة الاستعمال ثم حذفت الهمزة. انظر: المسائل الحلبيات ٤٣.

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٦) في (ج): (فاء العمل).

(٧) في التهذيب سلمة عن الفرّاء عن الكسائي قال: (من) تكون اسماً، وتكون جمحاً، وتكون استفهاماً، وتكون شرطاً، وتكون معرفة، وتكون نكرة، وتكون للواحد، وتكون للاثنتين، وتكون خصوصاً، وتكون للأناس، والملائكة والجن وتكون للبهائم إذا خلطت بغيرها. التهذيب (من) ٣٤٥٣/٤، وذكر في مغني اللبيب أن (من) تأتي على خمسة أوجه ٣٢٧/١.

(٨) في (ب): وللاثنين.

(٩) في (ب): (تكون).

(١٠) في (أ) و(ج): (الأنس).

(١١) في (ب): (للملائكة وللجن).

الوجوه كلها موجودة في التنزيل^(١) ، ستمر بك مشروحة إن شاء الله . وإعرابها : الوقف^(٢) ؛ لأنها لا تتم إلا بصلة ، فلا يكون الإعراب في^(٣) بعض الاسم^(٤) .

وقوله تعالى : ﴿وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ . (اليوم) مقداره من لدن طلوع الشمس إلى غروبها ، وجمعه : أيام ، وكان الأصل (أيام) واجتمعت الياء والواو ، وسبقت إحداهما الأخرى بالسكون ، فأدغمت^(٥) . والآخر : نقيض المتقدم^(٦) ، يعني باليوم الآخر : يوم القيامة ، ويسمى^(٧) آخر ، لأنه^(٨) بعد أيام الدنيا ، وقيل : لأنه^(٩) آخر يوم ليس بعده ليلة ، والأيام إنما تتميز بالليالي^(١٠) ، فإذا لم يكن بعده ليل لم يكن بعده يوم على الحقيقة^(١١) .

وقوله تعالى : ﴿وَمَاهُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ . دخلت (الباء) مؤكدة لمعنى النفي ، لأنك إذا قلت : (ما زيد أخوك) فلم يسمع السامع (ما) ظن أنك موجب ، فإذا قلت :

(١) في التهذيب : «قلت : هذه الوجوه التي ذكرها الكسائي موجودة في الكتاب . . . » ، ثم ذكر الأزهرى أمثلة لها من القرآن . التهذيب ٤ / ٣٤٥٣ .

(٢) أي السكون .

(٣) في (ب) : (من) .

(٤) قال الزجاج في المعاني : «لأنها لا تكون اسماً تاماً في الخبر إلا بصلة ، فلا يكون الإعراب في بعض الاسم» . ٤٩ / ١ .

(٥) ذكره الأزهرى في تهذيب اللغة ، وفيه : «وجعلوا الياء هي الغالبة» ، أي غلبوا (الياء) فقلبوا (الواو) (ياء) وأدغموها في (الياء) . انظر : تهذيب اللغة (يوم) ٤ / ٣٩٩٠ .

(٦) ذكره الأزهرى عن الليث . التهذيب (آخر) ١ / ١٣١ .

(٧) في (ب) : (وسمى) .

(٨) في (ب) : (إلا أنه) .

(٩) في (ب) : (أنه) .

(١٠) قال الطبري : «فإن قال قائل : وكيف لا يكون بعده يوم ، ولا انقطاع للآخرة ، ولا فناء ولا زوال ؟ قيل : إن اليوم عند العرب ، إنما سمي يوماً بليته التي قبله ، فإذا لم يتقدم النهار ليل لم يسم ، فيوم القيامة يوم لا ليل بعده . . . » ، ١ / ١١٧ .

(١١) انظر : تفسير ابن عطية ١ / ١٥٩ .

(ما زيد بأخيك)^(١) ، علم السامع أنك تنفي ، وإن لم يسمع (ما)^(٢) . وجمع في قوله : ﴿ وَمَا هُمْ ﴾ بعد التوحيد في ﴿ مَن يَقُولُ ﴾ لأن لفظ^(٣) (من) يصلح للواحد وللجميع^(٤) .

قال المفسرون : نزلت هذه الآيات في المنافقين^(٥) حين أظهروا كلمة الإيمان وأسرُّوا الكفر^(٦) . فأخبر الله سبحانه أنهم يقولون : إنا مؤمنون ، ويظهرون كلمة الإيمان ، ثم نفى عنهم الإيمان فقال : ﴿ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ ، فدل أن حقيقة الإيمان ليس بالإقرار فقط^(٧) .

٩ . قوله تعالى : ﴿ يُخَدِّعُونَ اللَّهَ وَلَئِنَّ آمَنُوا ﴾ . ﴿ يُخَدِّعُونَ ﴾ : يفاعلون من الخدع والخداع . واختلف أهل اللغة في أصل الخداع ، فقال قوم :^(٨) أصله من إخفاء الشيء^(٩) ، قال الليث^(١٠) : أخذعت الشيء ، أي

(١) في (ب) : (أخيك) .

(٢) ذكره الزَّجَّاج بنصه ، من دون قوله : وإن لم يسمع (ما) ، معاني القرآن ٥٠ / ١ .

(٣) (لفظ) ساقط من (ب) .

(٤) (من) لها لفظ ومعنى ، فلفظها مفرد مذكر ، ومعناها يصلح للجمع وغيره ، فيجوز مراعاة اللفظ فيعود الضمير مفرداً ، ويجوز مراعاة المعنى فيعود الضمير جمعاً . انظر : الدر المصون ١٢١ / ١ .

(٥) في (ب) : (للمنافقين) .

(٦) قال الطبري : أجمع أهل التأويل جميعهم على أن الآية نزلت في قوم من أهل النفاق . الطبري ٢٦٨ / ١ ، وانظر : معاني القرآن للزَّجَّاج ٤٩ / ١ ، وتفسير أبي الليث ٩٤ / ١ ، وتفسير ابن عطية ١٥٩ / ١ ، وتفسير ابن كثير ٥٠ / ١ .

(٧) قال الطبري : « وفي هذه الآية دلالة واضحة على بطول ما زعمته الجهمية من أن الإيمان هو التصديق بالقول من دون سائر المعاني غيره . . . » ، ١١٧ / ١ ، وانظر : تفسير أبي الليث ٩٤ / ١ ، وتفسير ابن عطية ١٥٩ / ١ .

(٨) فيه طمس في (ب) .

(٩) انظر : العين ١٣٣ / ١ ، ومعجم مقاييس اللغة ١٦١ / ٢ ، وتهذيب اللغة (خدع) ٩٩٣ / ١ .

(١٠) تفسير الثعلبي ٤٩ / ١ ب ، تهذيب اللغة (خدع) ٩٩٣ / ١ .

أخفيته ، قال :^(١) ومن أمثال العرب (أخدعُ من ضبَّ حرشته)^(٢) ، وهو من قولك : خدع مني^(٣) فلان ، إذا توارى ولم يظهر^(٤) . والضبُّ^(٥) إذا أروحَ ريح الإنسان خدع^(٦) في جحره^(٧) فلم يخرج . وقال أبو العميثل^(٨) : خدع^(٩) الضب إذا^(١٠) دخل في وجاره^(١١) . ومنه قول الأعرابي لعمر - رضي الله عنه - يصف قحوط المطر : خدعت الضباب وجاعت الأعراب^(١٢) .

- (١) قال ومن) فيه طمس في (ب) .
- (٢) في (أ) و(ج) (جرشته) . الخدع : التواري ، وخدعُ الضبُّ إنما يكون من شدة حذره ، وصفة خدعه أنه يعتمد بذنبه باب جحره ليضرب به من يعتدي عليه ، فيجيء المحترش ؛ أي المعتدي فيخرج الضب ذنبه إلى نصف الجحر ، فإن دخل عليه شيء ضربه ، وإلا بقي في جحره . وقد ورد المثل (أخدع من ضب) ، انظر : المستقصى في أمثال العرب ١/ ٩٢ ، ٩٥ ، مجمع الأمثال ١/ ٢٦٠ ، وتهذيب اللغة (خدع) ١/ ٩٩٤ .
- (٣) (منى) غير واضح في (ب) .
- (٤) انتهى كلام الليث . تهذيب اللغة (خدع) ١/ ٩٩٤ .
- (٥) في (ب) : (والضب) .
- (٦) (خدع) غير واضح في (ب) .
- (٧) في (ب) : (حجر) ، وفي (ج) : (جحره) .
- (٨) في (ج) : (العميثك) . وأبو العميثل أعرابي ، اسمه : عبدالله بن خالد ، مولى جعفر بن سليمان ، كان يؤدب ولد عبدالله ابن طاهر بخراسان ، وكان يفخم كلامه ويعبره . توفي سنة أربعين ومئتان . انظر : ترجمته في إنباه الرواة ٤/ ١٤٣ ، ووفيات الأعيان ٣/ ٨٩ .
- (٩) في (ب) : (أجدع) .
- (١٠) (أذا دخل) غير واضح في (ب) .
- (١١) تهذيب اللغة (خدع) ١/ ٩٩٤ ، وفيه : (إذا دخل في وجاره ملتوياً) ، والوجار بكسر الواو وفتحها : جحر الضب وغيره .
- (١٢) ذكره الأزهري . تهذيب اللغة (خدع) ١/ ٩٩٤ ، وهو في الفائق ١/ ٢٥٦ ، وفي النهاية في غريب الحديث ٢/ ١٤ .

ويقال : خدع خير^(١) الرجل ، أي قل وخفي . وخدعت الضبع في وجارها ، وخدع الثعلب إذا أخذ في الروغان^(٢) . قال^(٣) الليث : والأخدعان : عرقان في صفحتي العنق قد خفيا وبطنا^(٤) . وطريق خدوع وخادع ، إذا كان يبين^(٥) مرة ويخفى أخرى^(٦) ، ومنه قول الطرماح^(٧) :

خَادِعَةُ الْمَسْلَكِ أَرْضَادُهَا تُمَسِّي^(٨) وَكُونَا فَوْقَ آرَامِهَا^(٩)

قال أبو عبيد : قال أبو زيد : خدعته خدعاً بكسر الخاء وخدعة ، وأنشد

- (١) في (أ) و(ج) : (خبر) ، وفي (ب) من دون نقط ، وفي التهذيب : (خدع خير الرجل ، أي قل) ، ١٥٨/١ .
- (٢) تهذيب اللغة (خدع) ١/ ٩٩٤ .
- (٣) (قال) ساقط من (أ) و(ج) .
- (٤) تهذيب اللغة (خدع) ١/ ٩٩٤ ، وانظر : العين ١/ ١٣٣ .
- (٥) في (أ) و(ج) : (يتبين) ، وما في (ب) موافق لما في تهذيب اللغة .
- (٦) ذكره الأزهري في التهذيب ، وأنشد بعده بيتاً غير بيت الطرماح الذي ذكره المؤلف هنا . انظر : تهذيب اللغة (خدع) ١/ ٩٩٤ ، والعين (خدع) ١/ ١٣٢ .
- (٧) الطرماح بن حكيم الطائسي ، والطرماح بكسر الطاء والراء المهملتين ، شاعر إسلامي في الدولة المروانية ، ولد ونشأ في الشام ، ثم انتقل إلى الكوفة ، واعتنق مذهب الشراة من الخوارج . انظر : ترجمته في الشعر والشعراء ٣٨٨ ، والخزاعة ٧٤/ ٨ .
- (٨) في (ب) : (بمسي) .
- (٩) البيت من قصيدة للطرماح ، يمدح المهلب بن أبي صفرة الأزدي ، وقوله : (خادعة المسلك) : تخدع سالكها فلا يتهدي ، و(الأرصاد) : القوم يرصدون الطرق من المرتفعات ، و(كون) : جالسون ، من الوكن وهو موقع الطائر ، (الآرام) : (الأعلام) ، ورد البيت في العين (خدع) ١/ ١٣٢ ، واللسان (خدع) ١١٣/ ٢ ، وديوان الطرماح ٤٥٣ .

قول رؤبة^(١) :

فَقَدْ أَدَاهِي ^(٢) خَدَعَ مِنْ تَخَدَّعَا ^(٣)

وأجاز غيره (خَدَعَا) بالفتح ^(٤) .

وعلى هذا الأصل ^(٥) معنى قوله : ﴿يُخَدِّعُونَ اللَّهَ﴾ ، أي يظهرون غير ما في نفوسهم ؛ ليدروا عنهم أحكام الكفار في ظاهر الشريعة من القتل والجزية وغيرهما .

ولما كان القوم عملوا ^(٦) عمل المخادع [قال الله تعالى : ﴿يُخَدِّعُونَ اللَّهَ﴾ ، أي يعملون عمل المخادع ، ليس أن خداعهم يخفى على الله ^(٧) . وقال آخرون : أصل الخداع والخدع من الفساد ^(٨) ، روى ثعلب عن ابن الأعرابي ^(٩) قال : الخادع ^(١٠) :

(١) هو الراجز المشهور ابن الراجز ، رؤبة بن العجاج من بني مالك بن سعد بن مناة بن تميم ، كان أكثر شعراً من أبيه وأفصح ، كان مقيماً في البصرة ، ولحق الدولة العباسية كبيراً ، ومات في البادية سنة خمس وأربعين ومائة . انظر : الشعر والشعراء ٣٩٢ ، وتهذيب التهذيب ١ / ٩٩٣ ، والخزانة ١ / ٨٩ .

(٢) في (ب) : (أوداهي) .

(٣) ورد الرجز في ديوان رؤبة ٨٨ ، وتهذيب اللغة (خدع) ١ / ٩٩٣ ، واللسان (خدع) ٢ / ١١١٢ .

(٤) التهذيب (خدع) ١ / ٩٩٣ ، واللسان (خدع) ٢ / ١١٢ .

(٥) وهو أن الخداع من إخفاء الشيء .

(٦) (عملوا) ساقطة من (ب) .

(٧) انظر : تفسير الطبري ١ / ١١٩ ، وتفسير ابن كثير ١ / ٥١ .

(٨) تفسير الثعلبي ١ / ٤٩٤ ، وانظر : تهذيب اللغة (خدع) ١ / ٩٩٤ ، والحجة ١ / ٣١٣ ، وتفسير القرطبي ١ / ١٧٠ .

(٩) الحجة ١ / ٣١٣ ، وفي التهذيب ، روى ابن الأنباري عن ثعلب عن ابن الأعرابي ثم ذكره ١ / ٩٩٤ .

(١٠) ما بين المعقوفين ساقط من (ب) .

الفاسد من الطعام وغيره ، وأنشد قوله :

... إذا الرِّيقُ خَدَعُ^(١) .

قال ابن الأعرابي : خدع الريق ، أي فسد^(٢)

ومنه الحديث : «يكون قبل خروج الدجال سنون خداعة»^(٣) . قال شمر : هي الفواسد ، قال : ويقال السوق خادعة ، إذ لم يقدر على الشيء إلا بغلاء فهي فاسدة^(٤) . وعلى هذا الأصل^(٥) ، قال [ابن]^(٦) الأنباري : معنى قوله : ﴿يُخَدِّعُونَ اللَّهَ﴾

-
- (١) البيت لسويد بن أبي كاهل البشكري ، يصف ثغر امرأة ، وتماحه :
أَبْيَضُ اللَّوْنِ لَذِيذُ طَعْمُهُ طَيِّبُ الرِّيقِ إِذَا الرِّيقُ خَدَعُ
البيت ورد في الحجة ١/ ٣١٣ ، والتهذيب (خدع) ١/ ٩٩٤ ، وتفسير الثعلبي ١/ ٤٩٩ أ ، معجم مقاييس اللغة (خدع) ٢/ ١٦١ ، والصحاح (خدع) ٣/ ١٢٠٢ ، واللسان (خدع) ٢/ ١١١٣ ، وزاد المسير ١/ ٣٠ ، وتفسير القرطبي ١/ ١٧٠ ، والدر المصون ١/ ١٢٥ .
- (٢) قال في الصحاح : خدع الريق ، أي ييس ، ثم ذكر البيت وقال : لأنه يغلف وقت السحر فيبس ويتن . الصحاح (خدع) ٣/ ١٢٠٢ .
- (٣) بهذا اللفظ ذكره الخطابي في غريب الحديث ١/ ٥٣٠ ، والأزهري في تهذيب اللغة (خدع) ١/ ٩٩٤ ، وابن الجوزي في غريب الحديث ١/ ٢٦٧ ، وابن الأثير في النهاية ٢/ ١٤ . وأخرج ابن ماجه عن أبي هريرة : «سيأتي على الناس سنوات خداعات . . . » ، ابن ماجه ٤٠٣٦ ، وكتاب الفتن ، باب : شدة الزمان ، وأخرجه أحمد في المسند ، ولفظه : «ستأتي على الناس سنون خداعة . . . » . الحديث ٢/ ٢٩١ ، ٣٣٨ ، وأخرجه عن أنس بلفظ «إن أمام الدجال سنين خداعة . . . » . الحديث ٣/ ٢٢٠ ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد عن عوف بن مالك : «يكون أمام الدجال سنون خوادع . . . » ، قال : رواه الطبراني بأسانيد ، وفي أحسنها ابن إسحاق وهو مدلس ، وبقية رجاله ثقات . مجمع الزوائد ٧/ ٣٣٠ ، وانظر : المطالب العالية ١٨/ ٤٢٦ .
- (٤) تهذيب اللغة (خدع) ١/ ٩٩٤ .
- (٥) أي إن أصل الخداع من الفساد .
- (٦) في (أ) و(ب) : قال لي الأنباري ، وفي (ج) : (قال لي ابن الأنباري) ، وصححت العبارة على ما في التهذيب ، إذ قال : (قال أبو بكر) ، ١/ ٩٩٤ .

وتأويله^(١) : يفسدون^(٢) ما يظهرون من الإيمان بما يضمرون من الكفر . فإن قيل :
 المفاعلة تكون بين اثنين ، والله تعالى مجل عن أن يشاركهم في الخدع ، فما وجه
 قوله : ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ﴾ ؟ والجواب عن هذا من وجوه : قال محمد بن القاسم^(٣) :
 إن الخداع منهم يقع بالاختيال^(٤) والمكر ومن الله تعالى بأن يظهر ويعجل لهم من
 الأموال والأولاد ما يدخر^(٥) ، ويؤخر^(٦) خلافه ، فأشبهه هذا فعلهم^(٧) ، إذ^(٨)
 كانوا يظهرون الإيمان بالله^(٩) ورسوله ، ويضمرون خلاف^(١٠) ما يظهرون ، والله
 - عز وجل - يظهر لهم من الإحسان في الدنيا خلاف ما يغيب عنهم ويستتر من
 عذاب الآخرة ، فجمع الفعلان لتشابههما من هذه الجهة^(١١) .

- (١) في (أ) : (معنى تأويله) ، وفي (ج) : (معنى قوله) ، وأثبت ما في (ب) لأنه الأنسب .
 (٢) في (أ) و(ج) : (تفسدون) ، وما في (ب) موافق لما في تهذيب اللغة ، وفيه : «قال أبو بكر : فتأويل قوله
 (يخادعون الله) يفسدون . . . إلخ» . تهذيب اللغة (خدع) ١ / ٩٩٤ .
 (٣) هو أبو بكر بن الأنباري .
 (٤) في (ب) : (بالاختيال) ، ولعلها أولى .
 (٥) في (أ) و(ج) : (ما يدخر) .
 (٦) (ويؤخر) ساقط من (ب) .
 (٧) في (ب) : (فعله) .
 (٨) في (ب) : (إذا) .
 (٩) (بالله) مكرر في (ج) .
 (١٠) في (ج) : (خلافه) .
 (١١) وإلى هذا المعنى مال الطبري ، إذ قال راداً على أبي عبيدة في دعواه : أن (يخادع) بمعنى يخدع ، قال :
 «قد قال بعض المنسويين إلى العلم بلغات العرب : إن ذلك الحرف جاء بهذه الصورة : أعني (يخادع)
 بصورة (يفاعل) ، وهو بمعنى (يفعل) في حروف أمثالها شاذة من منطوق العرب نظير قولهم : قاتلك
 الله ، بمعنى قتلك الله» ، ثم ذكر رأيه : وليس القول في ذلك عندي كالذي قال ، بل ذلك من (التفاعل)
 الذي لا يكون إلا من اثنين ، كسائر ما يعرف من معنى (يفاعل ومفاعل) في كل كلام العرب . وذلك أن
 المنافق يخادع الله - جل ثناؤه - بكذبه بلسانه - على ما تقدم وصفه - والله تبارك اسمه خادعه بخذلانه عن
 حسن البصيرة بما فيه نجاة نفسه في أجل معاده ، كالذي أخبر في قوله : ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ مِثْلَ
 لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمَلِّ لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا﴾ [آل عمران ١٧٨] ، تفسير الطبري ١ / ١١٩ ، وانظر :
 تفسير البغوي ١ / ٦٥ .

وهذا الذي قاله محمد بن القاسم مطرد^(١) على الأصلين^(٢)، أما الإخفاء فقد ذكره^(٣)، وأما الفساد، فكما أنهم يفسدون ما يظهرون من الإيمان بما يضمرون، كذلك الله تعالى أفسد عليهم نعيمهم في الدنيا بما أصرهم إليه من عذاب الآخرة^(٤). وقيل: يخادعون الله؛ أي (يخدعون)، قال اللحياني^(٥) وأبو عبيدة: خادعت الرجل بمعنى خدعته، والمفاعلة كثيراً ما تقع من الواحد، كالمعاقة والمعاقبة وطارقت النعل، ومعناه على هذا: يقدرّون في أنفسهم أنهم يخدعون الله^(٦).

وقال الحسن: ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ﴾ أي نبيه؛ لأن الله بعث نبيه^(٧) بدينه، فمن أطاعه فقد أطاع الله، كما قال: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠]. وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾ [الفتح: ١٠]. فعلى هذا من خادعه فقد

(١) في (ب): (مطرداً).

(٢) المراد بالأصلين في الخداع، هل هو من الفساد أو من الإخفاء؟

(٣) حيث قال: ويضمرون خلاف ما يظهرون، والله - عز وجل - يظهر لهم من الإحسان في الدنيا خلاف ما يغيّب عنهم ويستتر من عذاب الآخرة.

(٤) هذا من قول أبي بكر محمد بن القاسم بن الأنباري كذلك، وقد سبق أن نقل المؤلف جزءاً منه، وانظر: بقيته في التهذيب (خدع) ١١١٢/٢.

(٥) هو علي بن حازم اللحياني، لغوي معروف، عاصر الفراء وتصدر في أيامه. انظر: ترجمته في طبقات النحويين واللغويين ١٩٥، وإنباه الرواة ٢/٢٥٥، ومعجم الأدباء ١٠٦/١٤.

(٦) انظر: كلام اللحياني في التهذيب (خدع) ١/٩٩٤، وكلام أبي عبيدة في مجاز القرآن ٣١، ونحو هذا المعنى ذكر الزّجاج في المعاني ١/٥٠، وسبق ذكر رد الطبري على أبي عبيدة، انظر: تفسير الطبري ١١٩/١، وتفسير البغوي ٦٥/١.

(٧) (نبيه) ساقط من (ب).

خادع الله ، كقوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ ﴾ [الأحزاب: ٥٧] أي أوليائه ، وعلى ^(١) هذا التأويل (المخادعة) أيضاً من الواحد ^(٢) .

وقيل : إن ذكر الله هاهنا تحسين وتزيين لافتتاح الكلام ، والقصد ^(٣) بالمخادعة الذين آمنوا ^(٤) ، فصار كقوله تعالى : ﴿ وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ ﴾ [الأنفال: ٤١] .

وقوله تعالى : ﴿ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ ﴾ . قرئ بوجهين ^(٥) . فمن قرأ بالألف قال : هو من المفاعلة التي تقع ^(٦) من الواحد كقوله : ﴿ يَخْدَعُونَ اللَّهَ ﴾ ،

(١) (الواو) ساقطة من (ب) .

(٢) ذكره أبو علي في الحجة ، إذ قال : قال بعض المتأولين أظنه الحسن ، ثم ذكره ، ووجه هذا القول ، كما نقل المؤلف هنا ، ١/ ٣١٤ ، ٣١٥ ، ونسب القول إلى الحسن بن عطية ١/ ١٦٣ ، والبغوي ١/ ٦٥ ، والقرطبي ١/ ١٧٠ ، وذكره ابن الجوزي ونسبه إلى الزجاج . زاد المسير ١/ ٢٩ .

(٣) في (ب) : (الفصل) .

(٤) ذكره الثعلبي ١/ ٤٩ ب ، وفي الأقوال الثلاثة الأخيرة محاولة تأويل الآية ، لنفي الخداع عن الله ، وقد انتصر لبعضها أبو علي الفارسي في الحجة ١/ ٣١٤-٣١٦ ، وكما انتصر لها الزمخشري في الكشف ، وذكر في تفسير الآية وجوهاً أخرى قريبة منها في المعنى ، وقد ردّ عليه صاحب الإنصاف في ما تضمنه الكشف من الاعتزال . ومما قاله في رده : « . . . ومع ذلك يمنع أن ينسب الخداع إلى الله تعالى ؛ لما يوهم ظاهره من أنه يكون عن عجز عن المكافحة وإظهار المكتوم ، هذا هو الموهم منه في الاطلاق ، ولكن حيث أطلقه تعالى مقابلاً لما ذكره من خداع المنافقين كمقابلة المكر بمكرهم ، علمنا أن المراد منه أنه فعل معهم فعلاً ساء خداعاً مقابلة ومشاكلة . . . هذا معتقد أهل السنة في هذه الآية وأمثالها ، لا كالزمخشري وشيعته الذين يزعمون أنهم يوحّدون فيجحدون وينزهون فيشركون والله الموفق للحق » . الكشف ١/ ١٧١ ، والإنصاف بهامشه .

وقد ذكرت في ما سبق قريباً رد الطبري على أبي عبيدة ، وذكرت القول الذي ارتضاه في معنى الآية .

(٥) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو : (يخادعون) ، (وما يخادعون) بالألف والياء المضمومة . وقرأ عاصم وابن عامر وحزمة والكسائي : (يخادعون) ، (وما يخدعون) بفتح الياء من غير ألف . انظر : السبعة ١٤١ ، والحجة لأبي علي ١/ ٣١٢ ، ٣١٣ ، الكشف ١/ ٢٢٤ .

(٦) في (ب) : (تضع) .

فلما وقع الاتفاق على الألف في قوله : ﴿يُخَذِّعُونَ اللَّهَ﴾ أجري الثاني على ^(١) الأول طلباً للتشاكل ، وقد أجري على التشاكل ما لا يصح ^(٢) في المعنى كقوله :

فَنَجْهَلَ فَوْقَ جَهْلِ الْجَاهِلِينَ ^(٣)

وقوله تعالى : ﴿فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾ ^(٤) [البقرة: ١٩٤] ، فلأن يجري للتشاكل ما يصح في المعنى أولى ^(٥) . وأيضاً فإنهم كانوا يخادعون أنفسهم بالتسويق والتشكيك إذ ^(٦) نازعتهم دواعي الإيثار ، ودعتهم خواطر الحق ، كانوا يقابلون ^(٧) ذلك بالجحد والتكذيب وترك النظر ، والخطار في قلب واحد

(١) في (ب) : (أجزي الثاني عن الأول) .

(٢) عبارة أبي علي في الحجة : «وإذا كانوا قد استجازوا التشاكل الألفاظ وتشابهها أن يجروا على الثاني طلباً للتشاكل ما لا يصح في المعنى على الحقيقة ، فإن يلزم ذلك ويحافظ عليه في ما يصح في المعنى أجدر وأولى ، وذلك نحو : ألا لا يجهلن . . . » ، ٣١٥ / ١ ، ٣١٦ .

(٣) عجز بيت من معلقة عمرو بن كلثوم ، وصدره :

ألا لا يجهلن أحد علينا

والشاهد فيه : أنه جعل انتصاره جهلاً طلباً للمشكلة ، وتسمية للفعل الثاني بالفعل الأول المسبب له .

انظر : الحجة ٣١٦ / ١ ، وشرح القصائد المشهورات للنحاس ١٢٥ / ٢ ، والبحر المحيط ٥٧ / ١ .

(٤) والشاهد فيها : أنه سمى القصاص عدواناً ، من باب التشاكل اللفظي .

(٥) في (ب) : (أولاً) ذكره أبو علي في الحجة ٣١٥ / ١ ، ٣١٦ ، وانظر : الكشف عن وجوه القراءات ٢٢٥ / ١ ، والبحر المحيط ٥٧ / ١ .

(٦) في (ب) : (إذا) ، ولعله أصوب .

(٧) في (أ) و(ج) : (يقاتلون) .

إذا كانا يتعارضان جُعلا بمنزلة نفسين^(١)، ألا ترى الكمية^(٢) قال^(٣) في ذكر حمار أراد الورود^(٤):

تذكرُ من أني ومن أين شربه يؤامر نفسه كذي الهجمة الأبل^(٥)

فجعل ما يكون من ورود الماء^(٦) أو ترك الورود والتميل^(٧) بينهما بمنزلة نفسين، وعلى هذا يتوجه قراءة من قرأ: ﴿قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٥٩] بالجزم^(٨)، فنزل نفسه عند الخاطر الذي يخطر له عند نظره منزلة مناظر له^(٩).

(١) في (ب): (تفسير). انظر: الحجة ٣١٧/١، والبحر المحيط ٥٧/١.

(٢) في الحجة: (ألا ترى الكمية أو غيره...)، ٣١٧/١، وفي اللسان نسبة إلى الكمية (أبل) ١٠/١. والكمية: هو الكمية بن زيد بن الأخنس من بني أسد، كوفي شاعر، مقدم، عالم بلغات العرب، كان متشيعاً، ٦٠، ١٢٦ هـ. انظر: ترجمته في الشعر والشعراء ٣٨٥، وطبقات فحول الشعراء ٣١٨/٢، والخزانة ١٤٤/١.

(٣) في (ب): (ألا ترى الكمية في ذلك ذكر حمار).

(٤) في (أ) و(ج): (في ذكر حمار أباد الورود).

(٥) يؤامر: يشاور، الهجمة: القطعة من الإبل، والأبل: على وزن (فعل) بفتح الفاء وكسر العين من صيغ المبالغة، وهو من حلق مصلحة الإبل، ورد البيت في الحجة ٣١٧/١، وتفسير ابن عطية ١٦١/١، واللسان (أبل) ١٠/١، والبحر المحيط ٥٧/١، وفيه (البهجة)، والبيت نسبة بعضهم إلى الكمية كما فعل الواحدي، أما أبو علي في الحجة فقال: للكمية أو غيره، وهو في شعر الكمية، جمع داود سلوم، ٣٩٦.

(٦) في (ب): (للماء).

(٧) في (ب): (التمثيل) ومثله في الحجة ٣١٨/١.

(٨) وهي قراءة حمزة والكسائي: (اعلم) ألف وصل وسكون الميم (فعل أمر)، وقراءة ابن كثير ونافع وعاصم وأبي عمرو وابن عامر: (أعلم) بقطع الألف وضم الميم، (فعل مضارع). انظر: السبعة لابن مجاهد ١٨٩، والكشف ٣١٢/١.

(٩) الكلام في الحجة ٣١٨/١، وانظر: الكشف لمكي ٣١٢/١.

ومن قرأ ﴿يَخْدَعُونَ﴾ قال : إن فَعَلَ [أولى بفعل] ^(١) الواحد من (فاعِل) من حيث كان أخص به ، وكان أليق من (فاعِل) الذي هو لأكثر الأمر ^(٢) أن يكون لفاعلين ^(٣) .

وقوله تعالى : ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ﴾ ^(٤) . معناه أنهم راموا الخداع فلم يخدعوا الله ولا المؤمنين ، وما خدعوا إلا أنفسهم ؛ لأن وبال خداعهم عاد عليهم ، وهذا كقولك : قاتل فلان فلاناً فما قتل إلا نفسه ؛ أي رام قتل صاحبه فلم يتمكن وعاد وبال فعله إليه ، كذلك المنافقون في الحقيقة إنما يخدعون أنفسهم ^(٥) ؛ لأن الله سبحانه يُطْلِعُ نبيه - عليه السلام - على أسرارهم ونفاقهم ^(٦) ، فيفتضحون في الدنيا ، ويستوجبون العقاب ^(٧) في العقبى ^(٨) .

(١) في النسخ جميعها جاءت الجملة : (أن فعل ، أو لن يفعل الواحد . . .) ، فصحتها على عبارة الحجة ؛ لأن المؤلف نقل الكلام منه . انظر : الحجة ٣١٧ / ١ .

(٢) في (أ) و(ج) : (لأكثر إلا من أن يكون . . .) ، وعبارة الحجة : (الذي في أكثر الأمر أن يكون لفاعلين) ، وهي أوضح ، ٣١٧ / ١ . وانظر : الكشف لمكي ٢٢٤ / ١ .

(٣) رجح ابن جرير قراءة ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ﴾ من دون ألف ، وقال : هي أولى بالصحة من قراءة من قرأ ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ﴾ ، ١٢٠ / ١ ، وكذا مكي إذ قال : وقراءة من قرأ بغير ألف أقوى في نفسي ، ثم ذكر حجيجه على ذلك ، وقال : والقراءة الأخرى حسنة ، وقال : وحمل القراءتين على معنى واحد أحسن ، وهو أن (خادع) و(خدع) بمعنى واحد في اللغة . الكشف ٢٢٥ / ١ ، ٢٢٧ .

(٤) على قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو .

(٥) تفسير الطبري ١١٩ / ١ ، وانظر : تفسير القرطبي ١٧١ / ١ ، وزاد المسير ٣٠ / ١ ، وتفسير ابن كثير ٥١ / ١ .

(٦) انظر : تفسير أبي الليث ٩٥ / ١ .

(٧) في (ب) : (العذاب) .

(٨) انظر : زاد المسير ٣٠ / ١ ، وتفسير البغوي ٦٦ / ١ .

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا أَنْفُسُهُمْ﴾. النفس تستعمل^(١) في اللغة على معان: النفس: عين الشيء وذاته^(٢). والنفس: بمعنى الروح، يقولون: خرجت نفسه، إذا فارقه الروح^(٣). والنفس: بمعنى الدم، يقال: هذا ليس له نفس سائلة، وذلك أنه لما كان قوام البدن بالدم سمي الدم باسم الروح الذي هو النفس^(٤)، ومنه يقال: نفست المرأة^(٥): إذا حاضت^(٦).

وقال ابن الأنباري: سميت النفس نفساً لتولد النفس منها، كما سموا الروح روحاً؛ لأن الروح موجود به^(٧). وسنذكر^(٨) معاني النفس بأبلغ من هذا عند قوله: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾^(٩) [الزمر: ٤٢]. إن شاء الله.

وفي قوله: ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ﴾^(١٠) تحقيق أن المخادعة وقعت بهم لا بغيرهم، كما تقول: رأيت نفس الشيء، أخبرت أن الرؤية وقعت عليه لا على مثاله^(١١).

وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾، أي ما يعلمون أنهم يخدعون أنفسهم، وأن وبال خداعهم يعود إليهم، وفي هذا دليل على أنهم كانوا جهالاً بالله سبحانه

(١) في (ج): (مستعمل).

(٢) انظر: تهذيب اللغة (نفس) ٤ / ٣٦٣٠، والصحاح (نفس) ٣ / ٩٨٤.

(٣) انظر: المراجع السابقة.

(٤) في (ب): (اليقين).

(٥) في (أ): (للمرأة)، وما في (ب، ج) موافق لما في تهذيب اللغة.

(٦) انظر: تهذيب اللغة (نفس) ٤ / ٣٦٣١، والصحاح (نفس) ٣ / ٩٨٤، وللنفس معان أخرى منها:

الجسد، والعين وغير ذلك. انظر: الصحاح (نفس) ٣ / ٩٨٤، ومقاييس اللغة (نفس) ٥ / ٤٦٠.

(٧) الزاهر لابن الأنباري ٢ / ٣٨٦، وانظر: تهذيب اللغة (نفس) ٤ / ٣٦٢٩.

(٨) في (ب): (وسنذكره).

(٩) لفظ الجلالة، ليس في (ج).

(١٠) على قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو.

(١١) انظر: تفسير الطبري ١ / ١١٩-١٢٠، والبحر المحيط ١ / ٥٨، والدر المصون ١ / ١٢٧، ١٢٨.

وبدينه . و(الشَّعْرُ) : العلم ، وهو في الأصل (شِعْرَة)^(١) كالْفُطْنَة والدَّرِيَّة^(٢) ، وقالوا : ليت شعري ، فحذفوا (التاء) مع الإضافة للكثرة ، وقد قالوا : ذهب بعذرتها ، [وهو أبو عذرها]^(٣) [٤] وكأن شعرت من الشعار ، وهو ما يلي الجسد ، وكأن شعرت به ، علمت علم حس^(٥) .

قال الفرزدق^(٦) :

لَبَسْنَ^(٧) الْفَرْنَدَ الْخُسْرَوَانِيَّ فَوْقَهُ

مَشَاعِرَ مَنْ خَزَّ الْعِرَاقَ الْمُفَوِّفُ^(٨)

- (١) وقوله : (وهو في الأصل شعرة . . . إلخ) من كلام أبي علي الفارسي أورده ابن سيده في المخصص ، قال : «قال أبو علي : . . . فأما شعرت فمصدره : شعرة ، بكسر الأول كالْفُطْنَة والدَّرِيَّة . وقالوا : ليت شعري . . . إلخ» . المخصص ٣/ ٣٢ ، وانظر : الصحاح (شعر) ٢/ ٦٩٩ ، ومقاييس اللغة ٣/ ١٩٤ ، واللسان ٤/ ٢٢٧٣ ، والقاموس ٤١٦ .
- (٢) في (ب) : (الدربة) بالباء الموحدة ، وكذا ورد عند ابن فارس في المقاييس ٣/ ١٩٤ ، وعند سيبويه ٤/ ٤٤ ، وابن سيده في المخصص ٣/ ٣٢ : (الدربة) كما هنا .
- (٣) قال سيبويه : «هذا باب ما تحيء فيه الفعلة تريد بها ضرباً من الفعل» ، ثم قال : « . . . وقد تحيء الفعلة لا يراد بها هذا المعنى وذلك نحو : الشدة ، والشعرة ، والدربة . . . وقالوا : ليت شعري في هذا الموضوع ، استخفافاً ، لأنه كثر في كلامهم ، كما قالوا : ذهب بعذرتها ، وقالوا : هو أبو عذرها لأن هذا أكثر . . . » ، الكتاب ٤/ ٤٤ ، وانظر : الصحاح (شعره) ٢/ ٦٩٩ ، واللسان ٤/ ٤٠٩ .
- (٤) ما بين المعقوفين ساقط من (ب) .
- (٥) في (ب) : (حسن) .
- (٦) هو الشاعر المشهور همام بن غالب بن صعصعة بن تميم البصري ، مات سنة عشر ومائة . انظر : ترجمته في الشعر والشعراء ٣١٠ ، وطبقات فحول الشعراء ٢/ ٢٩٨ ، والخزانة ١/ ٢١٧ .
- (٧) في (ب) : (ليس) .
- (٨) البيت في ديوان الفرزدق ، وفيه (دونه) بدل (فوقه) ٢/ ٢٤ ، والمخصص ٣/ ٣٢ ، وشرح الأبيات المشكلة الإعراب للفارسي ٢٩٩ ، وجهرة أشعار العرب ٣١٤ ، وفيه (الفريد) بدل (الفراند) و(خزي) بدل (من خز) و(الفراند) : يطلق على وشى السيف ، وعلى السيف نفسه ، وعلى الورد الأحمر ، وقال في اللسان (فرند) : دخيل معرب اسم ثوب ، اللسان (فرند) ٦/ ٣٤٠٥ ، و(الفريد) : قلائد اللؤلؤ ، و(الخسرواني) : الذي يشتري بالمال الكثير ، ولا تحسب فيه خسارة ، و(المشاعر) : الثياب التي يلي البدن ، و(المفوف) : الموشى .

أراد : لبسن الفرند الخسرواني مشاعر فوقه المفوف من خز العراق ، أي جعلناها الشعار . فالشعر ضرب من العلم مخصوص ، وكل مشعور به معلوم ، وليس كل معلوم مشعوراً^(١) به ، ولهذا لم يميز في وصف الله تعالى^(٢) .

وقوله في وصف الكافرين : ﴿لَا يَشْعُرُونَ﴾ أبلغ في الذم من وصفهم بأنهم لا يعلمون ؛ لأن البهيمة قد تشعر من حيث تحس^(٣) ، فكأنهم وصفوا بنهاية الذهاب عن الفهم ، وعلى هذا قال : ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتَ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنَّ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ١٥٤] ولم يقل : (ولكن لا تعلمون) ؛ لأن المؤمنين إذا أخبرهم الله تعالى بأنهم أحياء علموا أنهم أحياء ، فلا يجوز أن ينفي الله العلم عنهم بحياتهم ، إذ^(٤) كانوا [قد علموا ذلك بإخباره إياهم . ولكن يجوز أن يقال : (ولكن لا)]^(٥) تشعرون^(٦) ؛ لأنه ليس كل ما علموه يشعرونه ، كما أنه ليس كل ما علموه يحسونه بحواسهم ، فلما كانوا لا يعلمون بحواسهم حياته^(٧) ، وإن كانوا قد علموه بإخبار الله إياهم وجب أن يقال : ﴿لَا يَشْعُرُونَ﴾^(٨) .

(١) فبينهما عموم وخصوص مطلق .

(٢) في المخصص : «... ولهذا لم يميز في وصف الله تعالى كما لم يميز في وصفه (درى) ، وكان قوله تعالى في وصف الكافرين ...» ، ٣/ ٣٢ .

(٣) في (ب) : (لا تحس) . وفي المخصص : (... من حيث كانت تحس ...) ، ٣/ ٣٢ .

(٤) في (ب) : (إذا) .

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من (ب) .

(٦) في (أ) و(ب) : يشعرون (بالياء) ، وما في (ج) موافق للمخصص ٣/ ٣٢ ، وهو الوارد في الآية ، وهو ما أثبتته .

(٧) في المخصص : (حياتهم) ، ٣/ ٣٢ ، والمراد الشهداء .

(٨) في المخصص : (لا تشعرون) . انتهى ما نقله الواحدي من كلام أبي علي . انظر : المخصص ٣/ ٣٢ .

١٠. قوله تعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ ، قال أبو بكر بن الأنباري^(١) : أصل المرض في اللغة : الفساد ، ومرض فلان : فسد جسمه ، وتغيرت حالته ، وكذلك مرضت الأرض ، معناه^(٢) تغيرت وفسدت^(٣) .

قالت ليلي الأخيلية^(٤) :

إذا هبط الحجاج أرضاً مريضةً تتبّع أقصى^(٥) دائها فشفاهها^(٦)
أرادت : أرضاً فاسدة . وقال آخر :

ألم تر أنّ الأرض أضحت مريضةً لفقد الحسين والبلاد اقشعرت^(٧)

(١) انظر : الزاهر ١/ ٥٨٥ ، وانظر : تفسير القرطبي ١/ ١٧١ ، وتفسير النسفي ١/ ١٨ ، والبحر المحيط ١/ ٥٣ . قال ابن فارس : «(الميم والراء والضاد) أصل صحيح يدل على ما يخرج به الإنسان عن حد الصحة في أي شيء كان ، » . مقاييس اللغة (مرض) ٥/ ٣١١ ، وتهذيب اللغة (مرض) ٤/ ٣٣٧٨ .

(٢) (معناه) مكرر في (ب) .

(٣) في التهذيب : «أرض مريضة ، إذا ضاقت بأهلها ، وأرض مريضة : إذا كثرت بها المهرج والفتن والقتل» . تهذيب اللغة (مرض) ١٢/ ٣٥ .

(٤) هي ليلي بنت الأخيل من عقيل بن كعب ، أشعر النساء ، لا يقدم عليها غير الخنساء ، رثت عثمان رضي الله عنه ، ودخلت على عبد الملك بن مروان وقد أسنّت . انظر : ترجمتها في الشعر والشعراء ٢٩١ ، والأعلام ٥/ ٢٤٩ .

(٥) في (ب) : (دهاء) .

(٦) ورد البيت في الزاهر ١/ ٥٦٠ ، ٥٨٦ ، أساس البلاغة (مرض) ٢/ ٣٧٩ ، وجواهر البلاغة للهاشمي ٣١٥ .

(٧) البيت من قصيدة لسليمان بن قُتّة ، يرثي الحسين بن علي رضي الله عنه ، وردت في الاستيعاب ١/ ٤٤٤ ، وسير أعلام النبلاء ٣/ ٣١٩ ، والبداية والنهاية ٨/ ٢١١ ، والقصيدة في حماسة أبي تمام بشرح المرزوقي ، دوّن البيت المستشهد به هنا ، ٢/ ٩٦١ .

وقال غيره: أصل المرض الضعف، يقال^(١): مَرَّضَ الرجل في الأمر إذا ضعف فيه، ولم يبالغ، و[عين]^(٢) مريضة النظر أي^(٣): فاترة ضعيفة، وريح مريضة إذا ضعف هبوبها، وعلى هذا تفسير^(٤) قول المحدث:

رَاحَتْ لِأَرْبَعِ الرِّيحِ مَرِيضَةٌ^(٥)

أي لينة ضعيفة حتى لا تعفوها.

ثعلب عن ابن الأعرابي^(٦): أصل المرض: النقصان. بدن مريض: ناقص القوة. و^(٧) قلب مريض: ناقص الدين، ومَرَّضَ^(٨) في حاجتي إذا نقصت حركته فيها.

وقال الأزهري: أخبرني المنذري عن بعض أصحابه قال: المرض إظلام الطبيعة واضطرابها بعد صفائها، قال: والمرض: الظلمة، وأنشد^(٩):

وَلَيْلَةٌ مَرَضَتْ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ فَمَا يُضِيءُ لَهَا شَمْسٌ وَلَا قَمَرٌ^(١٠)

(١) في (ب): (فقال يقال).

(٢) في (أ) و(ج): (غير)، وفي (ب): (عن)، والصواب: (عين)، قال الثعلبي: (المرض في العين: فتور النظر). تفسير الثعلبي ١/ ٥٠، وانظر: الصحاح (مرض) ٣/ ١١٠٦، والبحر المحيط ١/ ٥٣.

(٣) (أي) ساقطة من (ب).

(٤) في (ب): (يفسر).

(٥) لم أعثر عليه، ولم أعرف قائله في ما اطلعت عليه. والله أعلم.

(٦) في التهذيب: ثعلب عن ابن الأعرابي... ثم ذكره، تهذيب اللغة (مرض) ٤/ ٣٣٧٨.

(٧) (الواو) ساقطة من (ب).

(٨) في التهذيب: (مرض فلان في حاجتي). ٤/ ٣٣٧٨.

(٩) في التهذيب: (وأنشد أبو العباس)، ٤/ ٣٣٧٨، وذكره ابن الأنباري في الزاهر، قال: أنشدنا أبو العباس ١/ ٥٨٥.

(١٠) البيت لأبي حية النميري، ولفظه في التهذيب (فلا يضيء) ٤/ ٣٧٧٨، وذكره ابن الأنباري في الزاهر ١/ ٥٨٥، والكرمانى في لباب التفسير ١/ ١٢٦، و(رسالة دكتوراه)، وورد في اللسان (مرض) ٧/ ٤١٨٠، والبحر المحيط ١/ ٣٥، والدر المصون ١/ ١٢٩.

هذا^(١) هو الكلام في أصل المرض ومعناه في اللغة ، ثم الشك والجهل^(٢) والحيرة في القلب كلها تعود إلى هذه الأصول . قال ابن عباس في قلوبهم مرض : أي شك ونفاق^(٣) ، وهو قول ابن مسعود والحسن وقتادة^(٤) وجميع أهل التأويل . وقال ابن جرير^(٥) : معناه في اعتقاداتهم مرض ؛ أي شك وشبهه ، فاستغنى بذكر القلوب عن ذكر الاعتقادات ؛ لأن محلها القلوب كقولهم : (يا خيل الله اركبي)^(٦) .

وليس الأمر على ما قال ؛ لأن الشك في القلب على الحقيقة ، فأى فائدة لتقدير الاعتقاد هاهنا ؛ ولأن الشك ينافي الاعتقاد ، وهم ليسوا معتقدين^(٧) إذا كانوا شاكّين^(٨) .

-
- (١) (هذا) ساقط من (ب) .
- (٢) في (ب) : (والجهل هذا والحيرة) ، وفي (ج) : (والحيرة والجهل) .
- (٣) أخرج ابن جرير بسنده عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس (في قلوبهم مرض) ؛ أي شك ، وأخرج بسنده عن الضحاك عن ابن عباس قال : المرض : النفاق ، تفسير الطبري ١ / ٢٨٠ ، وأخرجها ابن أبي حاتم في تفسيره ١ / ٤٣ ، وانظر : تفسير ابن كثير ١ / ٥٢ ، والدر ١ / ٦٧ ، ٦٨ .
- (٤) انظر : أقوالهم والآثار عنهم في تفسير الطبري ١ / ١٢٢ ، وتفسير ابن أبي حاتم ١ / ٤٣ ، ٤٤ ، وتفسير ابن كثير ١ / ٥٢ ، والدر ١ / ٦٧ ، ٦٨ .
- (٥) تفسير الطبري ١ / ١٢٢ ، ونقل الواحدي كلامه بتصرف .
- (٦) قوله : (كقولهم : يا خيل الله اركبي) ، ذكره ابن الأثير في الزاهر ، قال : ومعناه فرسان خيل الله اركبوا وأبشروا بالجنة . الزاهر ٢ / ١٠٠ ، ومنه الحديث : (يا خيل الله اركبي) ، ذكره ابن الأثير في النهاية ٢ / ٩٤ ، وذكره السيوطي في الدر المنشرة ، وعزاه إلى العسكري في الأمثال ، الدر المنشرة ١٤٤ ، ٤٦٣ ، وذكره العجلوني في كشف الخفاء ، وعزاه إلى أبي الشيخ في الناسخ والمنسوخ ، وإلى العسكري وإلى ابن عائذ في المغازي وغيرهم . انظر : كشف الخفاء ٢ / ٣٧٩ ، ٣٨٠ ، وقد رجعت إلى جهرة الأمثال للعسكري ولم أجده ، وترجم أبو داود في سننه ، باب في النداء عند النفي : يا خيل الله اركبي ، كتاب (الجهاد) ، وساق حديث سمرة بن جندب : «أما بعد : فإن النبي ﷺ سمي خيلنا خيل الله» . ٢٥٦٠ ، وسنن أبي داود ٣ / ٥٥ ، ومعه معالم السنن .
- (٧) في (ب) : (بمعتقدين) .
- (٨) وفي ما قاله الواحدي وجاهة وقوة .

وقوله تعالى: ﴿فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾ . يقال : زاد يزيد زيادة وزيداً^(١) ، أنشد أبو زيد :

كذلك زيدُ المرءِ بعد انتقاصه^(٢)

وقال ذو الإصبع^(٣) :

وأنتمُ معشرُ زيدٍ على مائة فأجمعوا أمركم طراً فكيدوني^(٤)

كأنه^(٥) قال : معشر زيادة على مائة^(٦) . وهو^(٧) فعل يتعدى إلى مفعولين كما قال : ﴿وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾^(٨) [الكهف : ١٣] ، وقال : ﴿زِدْنَاهُمْ عَذَابًا﴾^(٩) [النحل : ٨٨] .

(١) الحجة لأبي علي ٣٢٢ / ١ .

(٢) أنشده أبو زيد مع ثلاثة أبيات قبله ونسبها إلى حسان السعدي . ورواية أبي زيد له مع عجزه : كذلك زيد الأمر ثم انتقاصه وتكراره في إثـره بعد ما مضى النوادر ٣٥٨ ، وأنشد الأبيات المرتضى في أماليه ، ونسبها إلى بعض شعراء طيء ، والشرط الأخير عنده : (يعود إلى كالذي كان قد بدا) ٤١٦ / ١ ، وهو في الحجة ، وفيه : (ثم) بدل (بعد) ، وفي الحاشية في ط : (بعد) مكان (ثم) ٣٢٢ / ١ ، ويظهر أن نسخة (ط) هي التي اعتمد المؤلف عليها .

(٣) هو حرثان بن محرث ذو الإصبع العدواني شاعر جاهلي معمر عاش ثلاثمائة سنة . انظر : ترجمته في الشعر والشعراء ٤٧٣ ، والخزانة ٢٨٤ / ٥ .

(٤) البيت ضمن قصيدة لذي الإصبع العدواني في المفضليات ١٦١ ، وفيه بدل (طرا) ، (كلا) ، ووردت في ١٦٣ ، وفيه (شتى) ، وهي في الأمالي لأبي علي القالي ٢٥٦ / ١ ، وفي شرح المفصل لابن يعيش ٣٠ / ١ .

(٥) في (ب) : (كان) .

(٦) في (ب) : (على مائة فأجمعوا) .

(٧) أي (زاد) .

(٨) في (ب) : (تعدى) تصحيف . والآية من سورة الكهف ١٣ .

(٩) الكلام نقله عن الحجة لأبي علي ٣٢٢ / ١ .

وكان حمزة يميل (زاد) في جميع القرآن^(١)، كأنه أراد أن يدل بالإمالة على أن العين^(٢) (ياء) [ليحافظ]^(٣) على الحرف الذي هو أصل، كما أنهم قالوا في جمع أبيض وأعين: يبيض وعين، فأبدلوا^(٤) من الضمة كسرة؛ لأن جمع (أفعل)^(٥) (فعل) لتصح^(٦) (الياء) ولا تنقلب إلى (الواو)^(٧)، فكما حوِّظ على تصحيح^(٨) (الياء) في هذه الحروف، كذلك حوِّظ على (الياء) في (زاد) بإمالة الألف نحوها^(٩)، يدل ذلك على ذلك: أن الذين أمالوا نحو: (زاد)^(١٠) و(زاغ) و(خاب) و(طاب)^(١١) لم يميلوا نحو (عاذ، وعاد) ولا (بابا) ولا (مالا) ولا ما أشبه ذلك مما العين منه (واو) حيث لم تكن في الكلمة^(١٢) (ياء) ولا (كسرة) فتتحرى الألف بالإمالة نحوهما.

(١) قال ابن مجاهد: قرأ حمزة ﴿فَرَادَهُمُ اللَّهُ﴾ بكسر الزاي [المعاد الإمالة، وكذلك (شاء) و(جاء) و(خاب) و(طاب) و(ضاق) و(خاف) و(حاق)] ثم قال: وكان ابن عامر يكسر من ذلك كله ثلاثة أحرف: (فزادهم) و(شاء) و(جاء)، السبعة لابن مجاهد ١٤١، ١٤٢، وذكر نحوه مكّي، وقال: ووافقه ابن ذكوان في (جاء) و(شاء) حيث وقعا، وعلى إمالة (زاد) في أول سورة البقرة خاصة. الكشف ١/ ١٧٤، وانظر: الحجة لأبي علي ١/ ٣٢٠.

(٢) في (ب): (المعين).

(٣) في النسخ جميعها: (لتحافظ) بالتاء، وكتبها بالياء حسب ما ورد في الحجة، والكلام منقول منه وهو الصحيح، انظر: الحجة ١/ ٣٢٦، ٣٢٧.

(٤) في (أ) و(ج): (فأبدوا)، وأثبت ما في (ب).

(٥) في (ب): (أفضل).

(٦) في (ب): (النصح).

(٧) جمع (أبيض) على القياس (بوض)، فأبدلوا ضمة (الباء) كسرة حتى لا تنقلب الياء واواً.

(٨) في (ب): (الصحيح).

(٩) نحو (الياء).

(١٠) أي ما كان أصل العين فيه ياء.

(١١) في الحجة: (زاد وباع وناب وعاب) ١/ ٣٢٧.

(١٢) في الكلمة) ساقط من (ب).

ومما يقوي الإمالة في (زاد) ونحوه : أنه اجتمع فيه أمران كل واحد يوجب الإمالة : أحدهما : ما ذكرنا^(١) والثاني : لحاق الكسرة أول فَعَلْتَ^(٢) ، وكل واحدة من هاتين الحالتين توجب الإمالة بانفرادها^(٣) .

ومعنى قوله : ﴿ فَرَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا ﴾ أي شكاً على شكٍّ وفساداً على فساد^(٤) . وهذا يدل على أن كفرهم كان مخلوقاً لله تعالى^(٥) ؛ لأنه لو لم يخلق مرض^(٦) قلوبهم ما زادهم المرض ثانياً ، وهو كقوله : ﴿ وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ ﴾ [هود: ٥٢] .

قال أبو إسحاق^(٧) : المرض^(٨) في القلب يصلح لكل ما خرج به الإنسان عن الصحة في الدين^(٩) . وقوله تعالى : ﴿ فَرَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا ﴾^(١٠) أي بما أنزل من القرآن ، فشكوا فيه كما شكوا في الذي قبله ، كقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا مَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ ﴾ [التوبة: ١٢٤] .

-
- (١) وهو أن غال الألف ليعلم أنها من الياء ، الحجة ١/ ٣٢٨ .
- (٢) كذا ورد في الحجة ١/ ٣٢٨ ، والمراد أن الحرف الأول من فعل زاد يكون مكسوراً إذ أسند هذا الفعل إلى تاء المتكلم أو المخاطب أو المخاطبة ، فتقول : زِدْتُ ، زِدْتِ ، زِدْتِ . انظر : الكشف ١/ ١٧٤ .
- (٣) الكلام بتصرف يسير من الحجة ١/ ٣٢٧ ، ٣٢٨ .
- (٤) انظر : تفسير الطبري ١/ ١٢٢ ، ١٢٣ ، تفسير البغوي ١/ ٦٦ ، وتفسير ابن كثير ١/ ٥٢ .
- (٥) المعنى صحيح . فإن الله خالق كل شيء من الطاعات والكفر ، لكن السلف لم يستعملوا هذا اللفظ تأدباً مع الله تعالى . انظر : التعليق السابق عند تفسير قوله تعالى : ﴿ حَتَّمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ ﴾ [البقرة: ٧] .
- (٦) في (ب) : (سمرص) .
- (٧) هو الزَّجَّاج .
- (٨) المرض ساقط من (ب) .
- (٩) في (ب) : (على) .
- (١٠) كلام الزَّجَّاج : «وقوله : ﴿ فَرَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا ﴾ فيه جوابان ، قال بعضهم : زادهم الله بكفرهم كما قال عز وجل : ﴿ بَلْ طَعَّ اللَّهُ عَلَىٰ بِكْفَرِهِمْ ﴾ [النساء: ١٥٥] ، وقال بعض أهل اللغة : فزادهم الله بما أنزل عليهم من القرآن . . . » . معاني القرآن للزَّجَّاج ١/ ٥١ .

وقوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ﴾. أصل العذاب في كلام العرب: من العذب، وهو المنع؛ يقال: عَذَبْتَهُ عَذَبًا، أي منَعْتَهُ مَنَعًا، فَعَذَبَ عُدُوبًا، أي امتنع^(١)، ومنه يقال للفرس إذا قام في المَعْلَف ولم يتناول العلف وامتنع عنه: عَذُوبٌ وَعَذَبٌ، ومنه الماء العَذْب؛ لأنه يَمْنَع العطش^(٢). فسمي العذاب عذابًا؛ لأنه يَعْذُبُ المعاقب عن معاودة ما عوقب عليه، ويعذب غيره^(٣) من ارتكاب مثله^(٤).

وقوله تعالى: ﴿الْعَمَى﴾. الأليم بمعنى المؤلم^(٥) كالسميع: بمعنى المسمع^(٦)، وقال ذو الرمة^(٧):

وترفع^(٨) من صدورِ شَمَرَدَلاتٍ يَصُكُّ وجوهَهَا وَهَجٌ^(٩) أَلِيمٌ^(١٠)

- (١) انظر: تهذيب اللغة (عذب) ٣/ ٢٣٦٥، وتفسير الدر المنثور ١/ ١٧٨، وتفسير البيضاوي ١٠/ ١.
- (٢) انظر: تهذيب اللغة (عذب) ٣/ ٢٣٦٤، والصحاح (عذب) ١/ ١٧٨، وتفسير الثعلبي ١/ ٤٨ب، والكشاف ١/ ١٦٤.
- (٣) في (ب): (في).
- (٤) انظر: مقاييس اللغة (عذب) ٤/ ٢٦٠، وتفسير الثعلبي ١/ ٤٨ب، والكشاف ١/ ١٦٥، وتفسير البيضاوي ١/ ١٠، وتفسير القرطبي ١/ ١٧٢.
- (٥) انظر: تفسير الطبري ١/ ١٢٣، ومعاني القرآن للزجاج ١/ ٥١، وتفسير أبي الليث ١/ ٩٥.
- (٦) في (أ) و(ج): (السمع)، وأثبت ما في (ب).
- (٧) هو غيلان بن عقبة من بني صعب بن مالك بن عدي بن عبدمناة، و(الرَّئِمَة) بضم الراء وتشديد الميم: قطعة من الحبل الخلق، قيل إن مَيَّةَ لقبته بذلك، شاعر إسلامي عاصر جرير والفرزدق. انظر: ترجمته في الشعر والشعراء ٣٥٠، ووفيات الأعيان ٤/ ١١، والخزانة ١/ ١٠٦.
- (٨) كذا في (أ) و(ج)، وفي (ب) محتملة ونحوه في تفسير الطبري، وما عداه من المصادر فيها: (ترفع).
- (٩) في (ب): (هجم).
- (١٠) قوله: الشمر دلات: الإبل الحسان الجميلة الخلق، يصك: يضرب، وهج أليم: شدة الحرارة. البيت في ديوانه ٢/ ٦٧٧، ومجاز القرآن ١/ ٣٢، وتفسير الطبري ١/ ١٢٣، وفيه (يصد) بدل (يصك)، تفسير القرطبي ١/ ١٩٨، والدر المنثور ١/ ١٣٠.

وقال عمرو^(١) :

أَمِنْ رِيحَانَةِ الدَّاعِي السَّمِيعِ^(٢)

أي المسمع . ومعنى العذاب الأليم^(٣) : الذي يخلص وجعه إلى قلوبهم .

وقوله تعالى : ﴿بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ . (ما) في تأويل المصدر^(٤) ، كأنه قيل :
بكونهم مكذبين وبتكذيبهم . وسنذكر القول في ذلك عند قوله : ﴿وَكُنْتُمْ
أَمْوَاتًا﴾ [البقرة: ٢٨] إن شاء الله .

(١) هو عمرو بن معد يكرب ، وفد على النبي ﷺ سنة تسع أو عشر ، فأسلم ، فارس مشهور ، له وقائع في
الجاهلية والإسلام ، انظر : ترجمته في الشعر والشعراء ٢٣٥ ، والإصابة ١٨ / ٣ ، والخزانة ٤٤٤ / ٢ .

(٢) تمامه :

يُؤْرِقُنِي وَأَصْحَابِي هَجُوع

وريحانة : أخت عمرو ، وكان الصمة أبو دريد قد غزا بني زبيد وسبهاها ، وغزاهم عمرو مراراً ولم
يقدر عليها ، وقيل : ريحانة امرأة أراد أن يتزوجها فهو يشيب بها . البيت في الشعر والشعراء ٢٣٥ ،
وتفسير الطبري ١٢٣ / ١ ، ومعاني القرآن للزجاج ٥١ / ١ ، وتفسير الثعلبي ١ / ٥٥٠ ، وتفسير ابن
عطية ١ / ١٦٥ ، والأصمعيات ١٧٢ ، والبحر المحيط ١ / ٥٩ .

(٣) في (ب) : (هو العذاب الذي . . .) .

(٤) هذا على قول من يجعل له (كان) مصدراً ، ومن لا يميز ذلك يجعل ما بمعنى الذي ، وسيأتي للمسألة
مزيد إيضاح عند قوله : ﴿وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا﴾ [البقرة: ٢٨] ، وقد ذكر المذهبين الطبري في تفسيره
١ / ١٢٣ ، وأبو حيان في البحر ١ / ٦٠ ، والسمين الحلبي في الدر المصون ١ / ١٣٠ .

وحقيقة الكذب : الإخبار عن الشيء بخلاف ما هو به ، وقد يستعار لفظ الكذب في ما ليس بكذب في الحقيقة^(١) ، كقول الأخطل^(٢) :

كَذَبْتَكَ عَيْنُكَ أَمْ رَأَيْتَ بَوَاسِطَ^(٣)

كأنها لما أوهمته خلاف الحقيقة كانت بمنزلة ما كذبت^(٤) .

وقرأ أهل الكوفة^(٥) ﴿يَكْذِبُونَ﴾ بالتخفيف من الكذب ، وهو أشبه بما قبله وبما بعده ؛ لأن قبله : ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ﴾ [البقرة : ٨] ، وهذا كذب منهم ، وبعده قوله : ﴿وَإِذَا لَفَؤُا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ﴾ [البقرة : ١٤] ، وهذا يدل على كذبهم في دعوى الإيمان .

وأيضاً فإن قوله تعالى : ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ لا يخلو إما أن يراد به المنافقون ، أو المشركون ، أو الفريقان جميعاً ، فإن أراد المنافقين فقد^(٦) قال فيهم : ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ [المنافقون : ١] .

(١) قال أبو حيان : والكذب له محامل في لسان العرب ، أحدها : الإخبار بالشيء على خلاف ما هو عليه . والثاني : الإخبار بالذي يشبه الكذب ولا يقصد به إلا الحق . والثالث : الخطأ . والرابع : البطول . والخامس : الإغراء بلزوم المخاطب الشيء المذكور . البحر المحيط ٦٠ / ١ ، وانظر : الكشف ١٧٨ / ١ ، والدر المصون ١٣٢ / ١ .

(٢) هو غياث بن غوث بن الصلت بن طارقة التغلبي ، الشاعر المشهور كان نصرانياً ، ومات على ذلك ، مدح بني أمية وكان مقدماً عندهم . انظر : ترجمته في الشعر والشعراء ٣١٩ ، والخزانة ٤٥٩ / ١ .

(٣) البيت مطلع قصيدة للأخطل يهجو بها جريراً ، وقوله : (كذبتك عينك) ، أي خيل إليك ، وواسط : مكان بين البصرة والكوفة . البيت من شواهد سيبويه ١٧٤ / ٣ ، وورد في المقتضب ٢٩٥ / ٣ ، وتهذيب اللغة (الكذب) ٣١١٤ / ٤ ، ومغني اللبيب ٤٥ / ١ .

(٤) انظر : تهذيب اللغة (كذب) ٣١١٤ / ٤ .

(٥) عاصم وحمزة والكسائي . انظر : السبعة لابن مجاهد ١٤٣ ، والحجة لأبي علي ٣٢٩ / ١ ، والكشف لمكي ٢٢٧ / ١ ، وتفسير الطبري ١٢١ / ١ - ١٢٣ .

(٦) في (أ) و(ج) : (وقد) ، وأثبت ما في (ب) ، ومثله في الحجة ٣٣٨ / ١ .

وإن كانوا المشركين فقد قال : ﴿وَأَنَّهُمْ لَكَذِبُونَ﴾ ٥٠ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ ﴿[المؤمنون: ٩٠-٩١]. وإن كانوا الفريقين ، فقد أخبر عنهم جميعاً بالكذب الذي يلزم^(١) أن يكون فعله (يكذبون) بالتخفيف .

ومن شدد^(٢) فلكثرة ما في القرآن مما يدل على التثقيل^(٣) كقوله : ﴿وَلَقَدْ كَذَّبْتَ رَسُولٌ﴾ [الأنعام: ٣٤] وقوله : ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِطُوا بِعِلْمِهِ﴾ [يونس: ٣٩] ، ﴿وَلَقَدْ كَذَّبُوا فَكُنَّا لِي عَمَلٍ﴾ [يونس: ٤١] ونحوها من الآيات^(٤) .

١١ . قوله تعالى : ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ الآية . موضع (إذا) من الإعراب نصب لأنه اسم للوقت ، كأنك قلت : (و حين قيل لهم) أو (ويوم قيل لهم) إلا أنها تشبه حرف الجزاء^(٥) ، وسيأتي الكلام في (إذ) و (إذا) بعد هذا إن شاء الله .

وكان الكسائي يُشَمُّ ﴿قِيلَ﴾^(٦) وأخواتها^(٧) (الضم) ، ليدل بذلك على أنه كان في الأصل (فُعِلَ)^(٨) ، كما أنهم قالوا : أنت تغزّين ، فالزمو الزاي إشمام

(١) في (ب) : (يلتزم) .

(٢) وهي قراءة ابن كثير ونافع وأبي عمرو وابن عامر السبعة لابن مجاهد ٤٣ .

(٣) في (أ) و (ج) : (الثقيل) ، وأثبت ما في (ب) ، ومثله في الحجة ١/ ٣٣٨ .

(٤) أخذه عن الحجة لأبي علي بتصرف ١/ ٣٣٧ . وانظر : الكشف لمكي ١/ ٢٢٨ ، وقد رجح مكي قراءة (التشديد) ، ورجّح الطبري قراءة (التخفيف) ١/ ١٢٣ .

(٥) انظر : إعراب القرآن للنحاس ١/ ١٣٧ ، والبيان ١/ ٥٥ ، الدر المصون ١/ ١٣٢ .

(٦) وروي عن هشام كالكسائي ، وعن نافع وابن عامر الإشمام في بعض أخوات (قيل) دونها . انظر : السبعة لابن مجاهد ١٤٣ ، والحجة ١/ ٣٤٠ ، والكشف لمكي ١/ ٢٢٩ .

(٧) في (أ) و (ج) : وأخواته ، وأثبت ما في (ب) .

والمراد بأخواتها : سبي وسبق وحيل وجيء وغيض والسادس قيل ، فهي ستة أفعال معتلة العين .

انظر : الكشف لمكي ١/ ٢٢٩ ، والإشمام سبق تعريفه .

(٨) فعل : مبني للمجهول .

الضمة ، و(زين) من (تغزين) بمنزلة : (قيل) . ومن قال (قيل) بإشمام الضم ، قال : (بيع) أو (اختير) و(انقيد)^(١) بالإشمام ؛ لأنها بمنزلة واحدة .

وأما من^(٢) حرك الفاء بالكسر ولم يشم الضمة ، قال^(٣) : هذا كان في الأصل (قُولَ) فنقلت كسرة الواو إلى القاف ، فسكنت الواو وانكسر ما قبلها ، فصارت (يَاءَ) فلزم كسر القاف وصار الأصل هذا^(٤) .

قال المفسرون : ومعنى الآية : وإذا قيل لهؤلاء المنافقين : لا تفسدوا في الأرض بالكفر وتعويق الناس عن الإيمان بمحمد ﷺ^(٥) . ويقال : أفسد الشيء يفسده إفساداً ، ومفعول الإفساد محذوف^(٦) على معنى : (لا تفسدوا أنفسكم بالكفر ، أو^(٧) الناس بالتعويق عن الإيمان) ، على ما ذكره المفسرون .

(١) في (أ) و(ج) : رسمت أن قيد ، وفي (ب) : إن قيل . والصحيح ما أثبت كما في الحجة قال : « . . . ألا ترى من قال : قيل وبيع ، قال : اختير وانقيد فأشتم ما بعد الخاء والنون لما كان بمنزلة : قيل وبيع . . . » ، ٣٤٦/١ ، وانظر : الكشف ٢٣٠/١ .

(٢) وهم ابن كثير وعاصم وأبو عمرو وحمة ، هؤلاء كسروا أوائل (قيل) وأخواتها ، ونافع وابن عامر وافقاهم في بعضها ومنها (قيل) ، انظر : السبعة لابن مجاهد ١٤٣ ، ١٤٤ ، الحجة ١/٣٤٠-٣٤١ ، والكشف ٢٢٩/١ .

(٣) في (ب) : (كان) .

(٤) انظر : الحجة ١/٣٤٩ ، ٣٥٠ ، والكشف ٢٣٠/١ .

(٥) انظر : تفسير الطبري ١/١٢٥ ، وتفسير أبي الليث ١/٩٦ ، وتفسير الثعلبي ١/٥٠ ب ، وتفسير ابن كثير ١/٥٣ ، وتفسير البغوي ١/٦٦ ، وتفسير الخازن ١/٥٨ .

(٦) في (ب) : (محذوف) .

(٧) في (ب) : (بالواو) .

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾ ^(١) (نحن) تدل على جماعة ، وجماعة المضميرين تدل عليهم (الميم أو ^(٢) الواو) ، نحو ^(٣) : فعلوا وأنتم ، [فـ(الواو)] ^(٤) من جنس الضمة . وحركت نحن (بالضم) ؛ لأن الضم من الواو ^(٥) . وهو جمع (أنا) ^(٦) من غير لفظها ^(٧) .

وقال بعضهم : ضم آخرها تشبيهاً بالغاية ، نحو : قبل وبعد ^(٨) ، ووجه الشبه بينهما ^(٩) ذكرنا في قوله : ﴿ هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ ﴾ [البقرة : ٢٥] .

وقال قوم : كان أصلها (نَحْنُ) ^(١٠) ، ثم فعل بها ما فعل بـ (قط) لتشبه أخواتها ^(١١) ، وأصل (قط) : (قطط) ، والقياس عند الإدغام يوجب نقل ضمة العين إلى اللام ، دلالة على حركة العين في الأصل .

-
- (١) في (ج) : (قالوا إنما نحن مصلحون) .
 (٢) في معاني القرآن للزجاج : (الميم والواو) ، ٥٤ / ١ .
 (٣) في (ب) : (ونحن) .
 (٤) في (أ) و(ب) و(ج) : (قالوا ومن) ، والتصحيح من معاني القرآن للزجاج ٥٥ / ١ .
 (٥) ذكره الزجاج في معاني القرآن ٥٤ / ١ ، وانظر : مشكل إعراب القرآن لمكي ٢٤ / ١ .
 (٦) في (ب) : (أناس) .
 (٧) الأضداد لابن الأنباري ١٨٤ ، وتهذيب اللغة (أنا) ٢١٣ / ١ .
 (٨) ذكره النحاس ونسبه إلى محمد بن يزيد ، إعراب القرآن للنحاس ١٣٨ / ١ ، ١٣٩ ، ومشكل إعراب القرآن ٢٤ / ١ .
 (٩) بينهما) ساقط من (ب) ، وفي ج : (بينهم) .
 (١٠) في (أ) : (نَحْنُ) ، وفي (ب) و(ج) غير مشكولة ، والصحيح (نَحْنُ) كما في إعراب القرآن للنحاس ١٣٨ / ١ ، ١٣٩ ، ومشكل إعراب القرآن ٢٥ / ١ ، وفي (نحن) نقلت الضمة إلى (النون) وسكنت (الحاء) .
 (١١) أخوات (قط) : (قبل) و(بعد) و(حسب) لأنها غاية مثلهن . انظر : تهذيب اللغة (قط) ٢٩٩١ / ٣ ، والكتاب ٢٧٦ / ٣ .

ومعنى الآية : يظهرون أنهم مصلحون ، كما أنهم يقولون : آمنا ، وهم كاذبون . ويحتمل أنهم قالوا : إنما نحن مصلحون ، أي الذي نحن عليه هو صلاح عند أنفسنا^(١) .

والتأويل : إنما نحن مصلحون أنفسنا أو الناس ، على ما ذكرنا في قوله : ﴿لَا تُفْسِدُوا﴾ ؛ لأن الإصلاح واقع ، ولا بد له من مفعول ، وقولهم : فلان مصلح ، يراد أنه مصلح لأعماله وأموره .

١٢ . وقوله تعالى : ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ﴾ . ردَّ الله عليهم قولهم : ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ ، و(ألا) كلمة يستفتح^(٢) بها الخطاب^(٣) .

قال الكسائي : وهي تنبيه ، ويكون بعدها أمر أو نهي أو إخبار ، نحو قولك : ألا قم ، ألا لا تقم ، ألا إن زيدا قد قام^(٤) . وقال النحاة : أصلها (لا) دخلت عليها ألف^(٥) الاستفهام^(٦) ، والألف إذا دخلت على الجحد^(٧) أخرجته إلى معنى التقرير^(٨) والتحقيق^(٩) نحو : ﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدِيرٍ﴾ [القيامة : ٤٠] ، ثم كثر (ألا)

(١) ذكر القولين الزَّجَّاج في معاني القرآن ٥٢ / ١ ، وانظر : تفسير الطبري ١ / ١٢٦ ، ١٢٧ ، وزاد المسير ٣٢ / ١ ، وتفسير البغوي ٦٧ / ١ .

(٢) في (أ) : (تستفتح) .

(٣) انظر : معاني الحروف للرماني ١١٣ ، والبيان في غريب إعراب القرآن ١ / ٥٧ ، والبحر المحيط ٦٢ / ١ ، والدر المصون ١ / ١٣٩ .

(٤) ذكره الأزهرى عن سلمة عن الفرَّاء عن الكسائي . تهذيب اللغة (ألا) ١٥ / ٤٢٢ .

(٥) في (ج) : (همزة) .

(٦) انظر : الكتاب ٣٠٧ / ٢ ، والجمل في النحو للزَّجَّاجي ٢٤٠ ، والكشاف ١ / ١٨٠ ، واختار أبو حيان : أنه حرف بسيط غير مركب ورد على الزمخشري في ذلك ، البحر ١ / ٦١ ، وأخذ بقول أبي حيان السمين الحلبي في الدر المصون ١ / ١٣٩ .

(٧) أي النفي .

(٨) في (ج) : (التقدير) .

(٩) انظر : الكشاف ١ / ١٨٠ .

في الكلام فصار تنبيهاً ليتحقق السامع ما بعده ، فمعنى الأصل فيه موجود وهو التحقيق كما بينا . وقد يكون للعرض والتحضيض^(١) ، كقولهم : ألا تنزل عندنا .

وقال الزَّجَّاج : (ألا) كلمة يبتدأ بها ، ينبه بها المخاطب تأكيداً ، يدل على صحة ما بعدها . ذكر هذا في آخر سورة : (حم السجدة)^(٢) .

وقوله تعالى : ﴿ هُمْ ﴾ إن شئت جعلته تأكيداً^(٣) ، وإن شئت جعلته ابتداء ، و(المفسدون) خبره ، وجعلتهما خبر (إن)^(٤) ، ودخلت الألف واللام في (المفسدين) للجنس ، كأنه جعلهم جنس المفسدين تعظيماً لفسادهم ، كأنه لا يعتد بفساد غيرهم مع فسادهم ، وكل فساد يصغر في جنب فسادهم ، حتى كان المفسد في الحقيقة هم دون غيرهم ، وإن كان غيرهم قد يفسد^(٥) .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ . أصل ﴿ لَكِنْ ﴾ ، (لا ، ك ، إن) ، (لا) للنفي و(الكاف) للخطاب و(إن) للإثبات . فحذفت الهمزة استخفافاً^(٦) . ومعناها :

(١) العرض : هو الطلب بلين ورفق ، والتحضيض : هو الطلب بحث وإزعاج ، والمثال المذكور للعرض . و(ألا) تأتي على أوجه أخرى ، انظر : حروف المعاني للرماني ١١٣ ، والأزهية ١٦٣ ، وتهذيب اللغة (ألا) ١٧٨/١ ، ومغني اللبيب ٦٨/١ .

(٢) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣٩٢/٤ ، وط : عالم الكتب .

(٣) في (ج) : (توكيد) . وهو توكيد للضمير في أنهم فيكون في محل نصب . انظر : إعراب القرآن للنحاس ١٣٩/١ ، وتفسير ابن عطية ١٦٨/١ ، والدر المصون ١٣٩/١ .

(٤) ويجوز وجه ثالث : وهو أن يكون (هم) فصلاً ، ويسميه الكوفيون (عماداً) ، فلا موضع له من الإعراب . انظر : معاني القرآن للزَّجَّاج ٥٣/١ ، وإعراب القرآن للنحاس ١٧٨/١ ، وتفسير ابن عطية : ١٦٧ ، ١٦٨ ، والدر المصون ١٣٩/١ .

(٥) ولهذا جاء في هذه الجملة عدة مؤكدات منها : الاستفتاح ، والتنبيه والتأكيد بأن وبضمير الفصل ، وتعريف الخبر . انظر : تفسير ابن عطية ١٦٨/١ ، والكشاف ١٨١/١ ، والدر المصون ١٣٩/١ .

(٦) في (ب) : (استحقاقاً) . والقول الذي حكاه الواحدي هو رأي الكوفيين ، أما البصريون فيرون أنها بسيطة غير مركبة . انظر : الإنصاف ١٧١-١٧٨ ، ومغني اللبيب ٢٩١/١ .

استدراك^(١) بإيجاب بعد نفي^(٢)، أو نفي بعد إيجاب^(٣)، فإذا قيل: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ﴾ سبق إلى الوهم أنهم يفعلون^(٤) ذلك من حيث يشعرون، فقال: ﴿وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ﴾^(٥).

وكذلك^(٦) إذا قال: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ [الأحزاب: ٤٠] أوهم ذلك استبهام صفاته، فقال: ﴿وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ﴾، [والمعنى: ولكن كان^(٧) رسول الله]^(٨)، فهذا استدراك^(٩) لا إيجاب بعد نفي.

وقال المبرّد: (لكن) من حروف العطف، وهي للاستدراك^(١٠) بعد النفي، ولا يجوز أن يدخل بعد واجب^(١١)، إلا لترك قصة إلى قصة تامة، [نحو قولك: جاءني زيد لكن عبد الله لم يأت، وما جاءني زيد لكن عمرو^(١٢)].

(١) في (ب): (استدرك).

(٢) في (ب): (بعد بعد).

(٣) قال النحويون: (لكن) لا يتدارك بها بعد إيجاب إلا إذا وقع بعدها جملة، كما سيأتي في كلام المبرّد الذي نقله المؤلف. انظر: الكتاب ١/ ٤٣٥، ٤/ ٢٣٢، والمقتضب ١/ ١٢، ومعاني الحروف للرماني ١٣٣، وحروف المعاني للزجاج ١٥، ٣٣.

(٤) في (ب): (يضلون).

(٥) انظر: تفسير الطبري ١/ ١٢٧، وتفسير ابن عطية ١/ ١٦٨، والدر المنثور ١/ ١٤٠.

(٦) في (ب): (لذلك).

(٧) قال في تهذيب اللغة: «... فإنك أضمرت كان بعد: (ولكن) فنصب بها...». تهذيب اللغة (لكن) ٤/ ٣٢٩٤.

(٨) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٩) في (ب): (اشترك).

(١٠) في (ب): (استدراك).

(١١) أي موجب والمراد غير منفي.

(١٢) المقتضب ١/ ١٢.

وفي الآية أتت بعد الإيجاب لترك قصة إلى قصة^(١) تامة^(٢)، وهو قوله : ﴿إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ﴾ . فأما التشديد والتخفيف في ﴿لَكِنَّ﴾ استعماله^(٣) بالواو وبغير الواو ، فقد ذكرناها عند قوله تعالى : ﴿وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا﴾ [البقرة: ١٠٢] .

ومعنى قوله : ﴿وَلَكِنَّ لَا يَشْعُرُونَ﴾ ، أي لا يعلمون أنهم مفسدون ، بل يحسبون أنهم مصلحون . وقيل : ولكن لا يعلمون ما عقوبة فعلهم وما يحل بهم ، وذلك أن مفعول العلم محذوف فيحتمل القولين^(٤) .

١٣ . قوله تعالى : ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ﴾ . المراد بالناس في هذه الآية أصحاب محمد ﷺ والذين آمنوا به ، في قول الجميع^(٥) . و(الألف واللام) فيه للمعرفة^(٦) ؛ لأن أولئك كانوا معروفين عند المخاطبين بهذا^(٧) .

-
- (١) أي جملة تامة إلى جملة تامة .
 (٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ب) .
 (٣) في (ب) : (استعمال) .
 (٤) وهناك قول ثالث : أنهم يعلمون الفساد سرّاً ، ويظهرون الصلاح ، وهم لا يشعرون أن أمرهم يظهر عند النبي ﷺ . انظر : تفسير ابن عطية ١/ ١٦٨ ، وتفسير البغوي ١/ ٦٦ ، وزاد المسير ١/ ٣٣ ، وتفسير القرطبي ١/ ١٧٧ ، ١٧٨ .
 (٥) ذكر أبو الليث ، من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس ، أن المراد بالآية اليهود ، والناس : عبدالله بن سلام وأصحابه . تفسير أبي الليث ١/ ٩٦ . والمشهور أن الآية خطاب للمنافقين ، والمراد بالناس : أصحاب ﷺ كما ذكر المؤلف . انظر : تفسير الطبري ١/ ١٢٧ ، ١٢٨ ، وتفسير ابن أبي حاتم ١/ ٤٦ ، وتفسير ابن عطية ١/ ١٦٨ ، ١٦٩ ، وتفسير ابن كثير ١/ ٥٤ .
 (٦) أي العهد الخارجي العلمي ، أو (الألف واللام) للجنس ، والمراد : الكاملون في الإنسانية ، انظر : الفتوحات الإلهية ١/ ١٨ ، ١٩ .
 (٧) انظر : تفسير الطبري ١/ ١٢٧ ، ١٢٨ .

وقوله تعالى: ﴿أَتُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ﴾ . (الألف) في أنؤمن استفهام [معناه: الجحد والإنكار^(١)] ، لا نفعل كما فعلوا ، وسيأتي وقوع الاستفهام^(٢) موقع الجحد مشروحاً بعد هذا . والسفهاء : الجهال^(٣) الذين قلت عقولهم ، جمع (السفيه) ، ومصدره : (السَّفَهَ والسَّفَاهَ والسَّفَاهَةُ)^(٤) .

قال أهل اللغة^(٥) : معنى السَّفَه : الخفة ، والسَّفِيه : الخفيف العقل ، ومن هذا قيل : تسفَهت^(٦) الرياح الشيء ، إذا حركته واستخفَّته . وقال :

مَشَيْنَ كَمَا اهْتَزَّتْ رِمَاحٌ تَسْفَهْتُ أَعَالِيهَا^(٧) مَرُّ الرِّيَّاحِ النَّوَاسِمِ^(٨)

ويقال : ناقة سفيهة الزمام ، إذا كانت خفيفة السير ، ومنه قول ذي الرمة :

... سفيهٍ جَدِيلُهَا^(٩)

(١) انظر : الوسيط للمؤلف ٤٢/١ ، والكشاف ١٨٢/١ ، وتفسير البضاوي ٩/١ ، والدر المصون ١٣٤/١ .

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) و(ج) .

(٣) في (أ) و(ج) : (الحال الجهال) ، معناها غير واضح ، فلعل أحد النساخ كتب الجهال وطمسها فنقلت ، وما في (ب) يوافق عبارة المؤلف في الوسيط : (السفهاء : الجهال الذين قلت عقولهم) . ٤٢/١ .

(٤) انظر : اللسان (سفه) ٢٠٣٢/٤ .

(٥) ذكره الأزهرى في تهذيب اللغة (سفه) ١٧٠٩/٢ .

(٦) في (ب) : (سفَهت) .

(٧) في (ب) : (من) .

(٨) البيت لذي الرمة يصف نسوة ، جعل النساء في اهتزازهن في المشي بمنزلة الرماح ، تستخفها الرياح فتزعزعها ، والنواسم : الرياح الضعيفة في أول هبوبها . البيت في الديوان ٧٥٤/٢ ، وفيه (رويداً) بدل (مشين) . الكتاب ٥٢/١ ، ٦٥ ، المقتضب ١٩٧/٤ ، وتهذيب اللغة (سفه) ١٧١٠/٢ ، ومعجم مقاييس اللغة (سفه) ٧٩/٣ ، واللسان (سفه) ٢٠٣٤/٤ ، والخصائص لابن جني ٤١٧/٢ ، وتفسير ابن عطية ١٦٩/١ ، وتفسير القرطبي ١٧٨/١ .

(٩) جزء من بيت وتماه :

وأبيض موثي القميصِ نصبتهُ على خصرِ مِفْلَاتٍ سَفِيهِ جَدِيلُهَا =

ولهذا المعنى سمى الله تعالى الصبيان والنساء السفهاء في قوله : ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ﴾ [النساء : ٥] ؛ لجهلهم وخفة عقولهم^(١) . وعنوا بالسفهاء أصحاب محمد^(٢) ﷺ ، و(الألف واللام) فيها^(٣) مثلها في (الناس)^(٤) .

فإن قيل : كيف يصح النفاق مع المجاهرة^(٥) بقولهم : أنؤمن كما آمن السفهاء ؟ قيل : إنهم كانوا يظهرون هذا القول في ما بينهم ، لا عند المؤمنين ؛ لأن الله تعالى قد قال : ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا﴾ [البقرة : ١٤] . أو^(٦) أنهم لم يفصحوا بهذا القول ، وإنما أتوا بما يفهم عنهم به هذا المعنى ، ولا يقوم به حجة توجب الحكم من جهة المشاهدة ، كقوله تعالى : ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ [محمد : ٣٠] ، وهو خلاف الإفصاح^(٧) .

١٤ . قوله تعالى : ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ . قال المفسرون : يعني : أبا بكر رضي الله عنه - وأصحابه^(٨) . و(لقوا) في الأصل (لقيوا) فاستثقلت

أبيض : يعني السيف ، نصبته على خصر مقالات : ناقة لا يعيش لها ولد ، فهو أصلب لها ، والجديل : الزمام ، والمراد أن الناقة نشيطة ، انظر : ديوان ذي الرمة ٩٢٢ / ٢ ، وتهذيب اللغة (سفه) ١٧١٠ / ٢ ، وفيها (سفيهة) بدل (سفيه) ، معجم مقاييس اللغة (سفه) ٧٩ / ٣ ، واللسان ٢٠٣٤ / ٤ . وهذا انتهى ما نقله من تهذيب اللغة (سفه) ١١٧١ / ٢ .

(١) انظر : تهذيب اللغة (سفه) ١١٧١ / ٢ .

(٢) ذكرها ابن جرير عن ابن عباس ، وابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب رسول الله ﷺ ، وعن الربيع بن أنس ، وزيد بن أسلم . انظر : تفسير الطبري ١٢٨ / ١ ، وتفسير ابن كثير ٥٤ / ١ .

(٣) (فيها) غير واضحة في (ب) .

(٤) يريد ما سبق في قوله : ﴿كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ﴾ ، حيث قال : الألف والسلام للمعرفة ؛ لأن أولئك كانوا معروفين عند المخاطبين بهذا .

(٥) في (أ) و(ج) : (المجاهدة) ، وما في (ب) موافق لما في الوسيط ٤٣ / ١ ، وهو ما أثبتته .

(٦) في (ب) : (وأنهم) .

(٧) انظر : تفسير ابن عطية ١٦٩ / ١ ، وتفسير القرطبي ١٧٨ / ١ .

(٨) لعل المؤلف هنا يشير إلى الأثر الطويل الذي أخرجه في أسباب النزول بسنده عن محمد بن مروان عن الكلبي

عن أبي صالح عن ابن عباس ، والذي ورد فيه قصة لقاء عبدالله بن أبي ومعه طائفة من أصحابه بأبي بكر =

الضمة على (الياء) ، فحذفت ونقلت ضمَّتْها إلى القاف ^(١) . الحرائي
عن ابن السكيت : لَقِيْتُهُ لِقَاءً وَلَقِيَانًا وَلُقِيًّا ^(٢) وَلُقِيٌّ ^(٣) . قال الليث :
وكل شيء استقبل شيئاً أو صادفه فقد لقيه من الأشياء كلها ^(٤) .

وقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شِيْطَانِهِمْ ﴾ . يقال : خَلَا المكان يَخْلُو ^(٥) خَلَاءً
وهو خَلَاءٌ ^(٦) وخَالٌ ^(٧) ، وَخَلَوْتُ بفلان ، أَخْلُوْهُ خَلْوَةً وَخَلَاءً ^(٨) ، ويقال : خَلَا
به وَخَلَا معه وَخَلَا إِلَيْهِ بمعنى واحد ^(٩) . وقال النضر ^(١٠) : (إلى) هنا بمعنى :

- =
ومعه نفر من الصحابة . (الأثر) : أسباب النزول للواحدي ٢٥ ، وأخرجه الثعلبي في تفسيره ١/٥١١ ،
وأورده السيوطي في الدر المنثور ١/٦٩ ، وذكره في لباب النقول ، وقال : هذا الإسناد واه جداً ، فإن
السدي الصغير كذاب وكذا الكلبي وأبو صالح ضعيف ، وفي تفسير الطبري عن ابن عباس :
المراد : أصحاب محمد ، ١/١٢٩ ، ١٣٠ ، وانظر : تفسير ابن كثير ١/٥٤ .
(١) في الكشف للثعلبي : « فاستثقلت الضمة على (الياء) فنقلت إلى القاف ، وسكنت ، و(الواو) ساكنة
فحذفت لاجتماعها » ، ١/٥١١ ، وانظر : تفسير ابن عطية ١/١٦٩ ، وتفسير القرطبي ١/١٧٩ .
(٢) (ولقياً) ساقط من (ب) .
(٣) تهذيب اللغة (لقي) ٤/٣٢٩٠ ، وانظر : كلام ابن السكيت في إصلاح المنطق ٣١١ . قال أبو حيان :
« سمع لـ (لقي) أربعة عشر مصدراً » . البحر ١/٦٢ ، والدر المصون ١/١٤٤ .
(٤) تهذيب اللغة (لقي) ٤/٣٢٩٠ .
(٥) في (أ) و(ج) : (مخلو) ، وأثبت ما في (ب) .
(٦) في (ب) : (يخلو خلاوة وخلاء) .
(٧) في التهذيب قال الليث : خلا المكان والشيء يَخْلُو خُلُوًّا وَخَلَاءً وَأَخْلَى إِذَا لم يكن فيه أحد ولا شيء
فيه ، وهو خال . التهذيب (خلا) ١/١٠٧٣ ، وانظر : اللسان (خلا) ٢/١٢٥٤ ، والقاموس (خلا)
١٢٨٠ .
(٨) ذكره الأزهرى عن الليثاني . التهذيب (خلا) ١/١٠٧٣ .
(٩) انظر : تفسير الثعلبي ١/٥١١ ، وتهذيب اللغة (خلا) ١/١٠٧٣ ، واللسان (خلا) ٢/١٢٥٤ ،
والقاموس ١٢٨٠ .
(١٠) هو النضر بن شميل بن خَرْشَة بن يزيد التميمي ، من أهل مرو ، كان صاحب غريب وشعر ورواية
للحديث ، من أصحاب الخليل بن أحمد ، توفي سنة ثلاث ومئتان . ترجمته في إنباه الرواة
٣/٣٤٨ ، ونزهة الألباء ٧٣ ، ووفيات الأعيان ٥/٣٩٧ ، وإشارة إلى التعيين ٣٦٤ .

(مع) ^(١) كقوله : ﴿الزَّفْتُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٧] و﴿مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾ ^(٢) [آل عمران: ٥٢ ، الصف: ١٤] ، ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ﴾ [النساء: ٢] ^(٣) .

وقال النحويون : معنى الآية إذا انصرفوا من لقاء المؤمنين إلى شياطينهم ، فدخلت (إلى) لدلالة ^(٤) الكلام على معنى الابتداء ^(٥) والانتهاى ؛ لأن أول لقائهم للمؤمنين ثم للشياطين ، فكانه ^(٦) قال : وإذا خلوا من المؤمنين وانصرفوا ^(٧) إلى شياطينهم . وهذا أحسن من إخراج (إلى) عن حدها ^(٨) .

والشيطان : كل متمرد عات من الجن والإنس ^(٩) ، قال الله تعالى : ﴿شَيْطَانِ الْإِنْسِ وَالْجِنَّ﴾ [الأنعام: ١١٢] . واختلفوا في اشتقاقه ، فقال الليث : الشيطان فيعال

(١) ذكره الثعلبي في تفسيره ١/ ٥١ ، وذكره الجوهري ولم ينسبه إلى النضر . الصحاح (خلا) ٦/ ٢٣٣٠ ، واللسان (خلا) ٢/ ١٢٥٤ ، وانظر : تفسير الطبري ١/ ١٣١ .

(٢) وردت في قوله تعالى : ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمْ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾ [آل عمران: ٥٢] . وقوله تعالى : ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَىٰ ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾ [الصف: ١٤] .

(٣) انظر : تأويل مشكل القرآن ٥٧١ .

(٤) في (أ) و(ج) : (الدلالة) ، وأثبت ما في (ب) .

(٥) في (ب) : (الابتداء والانتهاى) .

(٦) في (ب) : (فكانوا) .

(٧) في (ب) : (فانصرفوا) .

(٨) (خلا) تتعدى بـ (إلى) وبـ (الباء) ، فإذا عدت بـ (إلى) كان معناها الانفراد في حاجة خاصة ، وإذا عدت بـ (الباء) كان لها معنيان : أحدهما : ما سبق ، والآخر : بمعنى السخرية به ، فتعديتها بـ (إلى) أفصح ؛ لأنه يخلو من الالتباس . وبعضهم يجعل (إلى) في الآية بمعنى (مع) ، وبعضهم يجعلها بمعنى (الباء) ، وهذان ضعيفان عند بعض العلماء ؛ لأن الحروف لا يجوز تحويلها عن معانيها إلا بحجة ، وبعضهم قال : ضُمِّن (خلا) معنى (ذهبوا) و(انصرفوا) وهذا قول الكوفيين ، وقد رجحه الواحدي والطبري وكثير من المفسرين ؛ لأنه يُبقي (إلى) على معناها . انظر : تفسير الطبري ١/ ١٣١ ، وتفسير ابن عطية ١/ ١٧٤ ، والدر المصون ١/ ١٤٥ ، ومغني اللبيب ١/ ٧٥ .

(٩) انظر : مجاز القرآن ١/ ٣٢ ، وتفسير الطبري ١/ ٤٩ ، وتفسير الثعلبي ١/ ١٥ ب .

من شَطْن، أي بعد، يقال: نَوَى شَطُونٌ^(١) وشَطَنْتُ^(٢) الدار، أي بعدت، ويقال: شَيْطَنَ^(٣) الرجل وتشَيْطَنَ^(٤) إذا صار^(٥) كالشيطان وفعل فعله.

وقال رؤبة:

شَافٍ لِبَغْيِ الْكَلْبِ الْمُشَيْطَنِ^(٦)

فمعنى الشيطان: البعيد من الجنة. وقال قوم: الشيطان فعلان من شاط يشيط إذا هلك واحترق، بوزن: هَيَّانَ وَعَيَّانَ^(٧)، من هام وعام^(٨). وقال الأعشى:

وَقَدْ يَشِيطُ عَلَى أَرْمَاحِنَا الْبَطْلُ^(٩)

(١) النوى: الدار، ويطلق على التحول من مكان إلى آخر. اللسان (نوى) ٣٤٧/١٥. والكلام لأبي عبيد أدخله المؤلف في كلام الليث، قال في التهذيب: «أبو عبيد: نوى شطون، أي بعيدة شاطة، وقال الليث: غزوة شطون، أي بعيدة، وشَطَنْتُ الدار شَطُونًا، إذا بعدت...». التهذيب (شطن) ١٨٧٧/٢.

(٢) في (ب): (وشطين الداري)، ولفظ الداري بخط مخالف كبير.

(٣) في (ب): (شيطان).

(٤) في (ب): (شيطن).

(٥) في (ب): (صاب).

(٦) ورد الرجز في ديوان رؤبة ١٦٥، وتهذيب اللغة (شطن) ١٨٧٧/٢، واللسان (شطن) ٢٢٦٤/٤، والبحر المحيط ٦٢/١. وبهذا انتهى كلام الليث، وانظر: تفسير الطبري ٤٩/١، ومعاني القرآن للزجاج ٨٣/١، والحجة لأبي علي ٢٢/٢، وتفسير ابن عطية ٧٦/١، وتفسير الثعلبي ٥١/١ ب، وقال أبو حيان: وهو قول البصريين. البحر المحيط ٦٢/١، والدر المصون ١٠/١.

(٧) في (ب): (عثمان)، وفي التهذيب (غيمان) ١٨٧٧/٢.

(٨) الكلام بنصه في التهذيب (شطن) ١٨٧٨/٢، ونسب أبو حيان القول إلى الكوفيين، البحر ٦٢/١، وانظر: تفسير الطبري ٤٩/١، والحجة ٢٢/٢، وتفسير ابن عطية ٧٦/١.

(٩) صدره:

قَدْ نَخْضِبُ الْعَيْرَ مِنْ مَكْنُونٍ فَائِلِهِ

العير: حمار الوحش، الفائل: عرق يجري من الجوف إلى الفخذ، ومكنون الفائل: الدم، يشيط: =

قال أبو علي : هو (فَيْعَال) من شَطَنَ^(١) مثل : الْبَيْطَار والغَيْدَاق^(٢) . وليس
بَفَعْلَان من قوله : وقد يَشِيط البيت . لأن سيبويه قد حكى : (شيطن)^(٣)
وهو (فَيْعَل) لا (فَعْلَن) ؛ لأنَّنا لا نعلم أن^(٤) هذا الوزن جاء في كلامهم^(٥) . ومثل
(فَيْعَل) بَيْطَر وَهَيْنَم^(٦) ، والحجة القاطعة قول أمية :

أَيْمًا شَاطِنٍ عَصَاهُ عَكَاهُ ثُمَّ يُلْقَى فِي السَّجْنِ وَالْأَكْبَالِ^(٧)

- = يهلك . انظر : ديوان الأعشى ١٤٩ ، والحجة لأبي علي ٢/٢٢ ، وشرح المفصل ٥/٦٤ ، والبحر المحيط ١/٦٢ ، وتفسير القرطبي ١/٧٩ .
- (١) في (ب) : (شيطن) .
- (٢) (الغيداق) الكريم ، وولد الضب ، والطويل من الخيل ، القاموس ٩١٤ ، و(البيطار) : الخياط ، القاموس ٣٥٢ .
- (٣) في (ب) : (شيطان) .
- (٤) في (ب) : (لأن) .
- (٥) نص كلام أبي علي في الحجة : «ألا ترى أن سيبويه حكى : شَيْطَنُهُ فَتَشَيْطَنَ ، فلو كان من يَشِيطُ لكان شَيْطَنُهُ (فَعْلَنَتُهُ) ، وفي أنا لا نعلم هذا الوزن جاء في كلامهم ما يدل ذلك أنه : (فَيْعَلَتُهُ) ، مثل : بَيْطَرْتُهُ ومثل : هَيْنَم . وفي قول أمية أيضاً دلالة عليه ، وهو قوله : . . . » . ٢/٢٢ . وانظر : كلام سيبويه في الكتاب ٣/٢١٧ ، ٢١٨ .
- (٦) الهينمة : (الصوت الخفي) ، القاموس ١١٧٢ .
- (٧) البيت لأمية بن أبي الصلت يذكر سليمان عليه السلام ، يقول : أبا شيطان عصى سليمان ، عكاه : شده بالأكبال ، وهي القيود ثم يلقي في السجن . انظر : تفسير الطبري ١/٤٩ ، والحجة ٢/٢٢ ، والتهذيب (شطن) ٢/١٨٧٨ ، وإعراب ثلاثين سورة لابن خالويه ٧ ، وتفسير ابن عطية ١/٧٦ ، وزاد المسير ١/٣٤ ، وتفسير القرطبي ١/٧٩ ، والبحر المحيط ١/٦٢ ، واللسان (شطن) ٤/٢٢٦٥ ، والدر المصون ١/١٠ .

فكما أن (شاطناً) فاعل ، والنون لام ، كذلك (شَيْطَان) فَيَعَال ، ولا يكون (فَعْلَان) من يَشِيْط^(١) . قال أبو إسحاق : ومعنى الشيطان : الغالي في الكفر المتباعد فيه من الجن والإنس^(٢) . قال ابن عباس : أراد بشياطينهم كبراءهم وقادتهم^(٣) .

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا مَعَكُمْ ﴾ . (مع) كلمة تضم الشيء إلى الشيء ، ونصبها كنصب الظروف ؛ لأن تأويل قولك : (أنا معك) : أنا مستقر معك ، كما تقول : أنا خلفك^(٤) .

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا عَنْ مُسْتَهْزِئُونَ ﴾ . (الهزء) : السخرية ، يقول : هَزَى به يَهْزَأُ^(٥) وَتَهَزَّأ به وَاسْتَهْزَأ به^(٦) ، وهو أن يظهر غير ما يضمّر استصغاراً وعبثاً^(٧) .

(١) انتهى ما نقله عن أبي علي من الحجة ٢٢ / ١ ، وقد نصر جمهور العلماء هذا الرأي ، وأن شيطان (فَيَعَال) من شَطَن ، منهم ابن جرير في تفسيره ٤٩ / ١ ، والأزهري في تهذيب اللغة (شطن) ١٨٧٨ / ٢ ، وابن عطية في تفسيره ٧٦ / ١ .

قال السمين الحلبي : قال جمهورهم : هو مشتق من شَطَنَ يَشْطُن ، أي بعد . الدر المصون ١٠ / ١ .

(٢) معاني القرآن ٨٣ / ١ .

(٣) أخرج ابن جرير بسنده عن السدي خبراً ذكره عن أبي مالك ، وعن أبي صالح عن ابن عباس . وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب رسول الله ﷺ : أما شياطينهم : فهم رؤوسهم في الكفر . وأخرج نحوه عن قتادة ومجاهد وغيرهم . انظر : تفسير الطبري ١٣٠ / ١ ، وأخرج هذه الآثار ابن أبي حاتم في تفسيره ٤٧ / ١ ، ٤٨ ، وانظر : الدر ٦٩ / ١ ، ٧٠ .

(٤) في (ب) : (جعلك) . انظر : معاني القرآن للزجاج ٥٤ / ١ ، وتهذيب اللغة (مع) ٣٤١٧ / ٤ ، ومغني اللبيب ٣٣٣ / ١ .

(٥) في (ب) : (هزاته يهزئ) .

(٦) ذكره الأزهري عن الليث . التهذيب (هزأ) ٣٧٥٥ / ٤ ، والصاحح (هزأ) ٨٤ / ١ .

(٧) انظر : الكشف ١٨٦ / ١ ، وتفسير الرازي ٦٩ / ٢ ، ولباب التفاسير للكرمانى ١٣٤ / ١ ، ورسالة دكتوراه .

١٥. قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ . قال ابن عباس: «هو»^(١) أنهم كلما أحدثوا خطيئة جدد الله لهم نعمة»^(٢) . فشبّه هذا من الله بالاستهزاء والمكر ؛ لأنه غيب عنهم غير ما أظهر لهم ، كالمستهزئ منّا يظهر أمراً يضمّر غيره^(٣) .

وقال ابن الأنباري : الاستهزاء من الله - جلّ وعزّ - مخالف الاستهزاء من المخلوقين ؛ لأن استهزأه أن يستدرجهم من حيث لا يعلمون^(٤) .

وقال جماعة أهل المعاني : معنى الله يستهزئ بهم : يجازيهم^(٥) جزاء استهزائهم ، فسمى الجزاء باسم المجازى عليه ، كقوله : ﴿وَجَزَّوْا سَيِّئَ سَيِّئَةٍ مِّثْلُهَا﴾ [الشورى : ٤٠] ، وقوله : ﴿فَمَنْ أَعَدَّيْ عَلَيْكُمْ فَأَعِدُوا عَلَيْهِ﴾ [البقرة : ١٩٤] ، ومنه قول عمرو :

فنجهل فوق جهل الجاهلينا^(٦)

(١) هو أنهم) ساقط من (ب) .

(٢) لم أجده بهذا النص منسوباً إلى ابن عباس ، وذكره القرطبي في تفسيره ولم ينسبه ١ / ١٨١ .

(٣) انظر : تفسير الطبري ١ / ١٣٤ ، ومعاني القرآن للزجاج ١ / ٥٥ ، وتفسير الثعلبي ١ / ٥٢ ، وتفسير

ابن عطية ١ / ١٧٧ ، وزاد المسير ١ / ٣٦ ، وتفسير الرازي ٢ / ٧٠ ، وقد ضعف الرازي هذا ، وقال : لأن الله أظهر الأدلة الواضحة بما يعاملون به في الدار الآخرة .

(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ١ / ٣٦ .

(٥) يجازيهم) ساقط من (أ) و (ج) .

(٦) البيت لعمر بن كلثوم وصدره :

ألا لا يجهلن أحد علينا

وقد سبق تخريجه عند تفسير قوله تعالى : ﴿يَخْتَدِعُونَ اللَّهَ﴾ .

وهذا هو الاختيار^(١)؛ لأنه^(٢) حمل الكلام على المزاجية، ولأنه أظهر وأشكل بما جاء من نظائره في القرآن، وكل ذلك على المجاز الذي يحسن في الاستعمال للمبالغة في البيان والتصرف في الكلام.

وقوله تعالى: ﴿وَيَسُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾. أصل (المد) في اللغة: الزيادة، والمد: الجذب^(٣)؛ لأنه سبب الزيادة في الطول. قال الفراء: والشيء إذا مدَّ الشيء كان زيادة فيه. تقول: دجلة تمدُّ بئارنا^(٤) وأنهارنا، أي تزيد فيها^(٥).

(١) هذا القول ذكره الطبري ورده كما سيأتي، وذكره الزجاج في معاني القرآن ٥٦/١، وأبو الليث في تفسيره ٩٧/١، وفي تفسير ابن عطية ١٧٧/١، وتفسير ابن الجوزي ٣٦/١، وتفسير الثعلبي ٤٧/١، وتفسير القرطبي ١٨٠/١، وغيرهم من المفسرين. وصرَّح الواحدي باختياره له، وفي هذا القول تفسير للسخرية بالمجاز، وتأويل لها، ورده ابن جرير، ورجح أن المراد: أن الله يستهزئ بهم حقيقة، ولا يلزم لها اللوازم الباطلة، حيث قال: «وإذا كان معنى الاستهزاء والسخرية والمكر والخديعة ما وصفنا قبل، من دون أن يكون ذلك معناه في حال فيها المستهزئ بصاحبه له ظالم، أو عليه فيها غير عادل،... ثم قال: وأما الذين زعموا أن قول الله تعالى ذكره: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ إنما هو على وجه الجواب، وأنه لم يكن من الله استهزاء ولا مكر ولا خديعة، فنافون عن الله - عز وجل - ما قد أثبتته الله - عز وجل - لنفسه، وأوجه لها...». تفسير الطبري ١٣٣/١. وإلى هذا المعنى أشار ابن تيمية - رحمه الله - إذ قال: «وكذلك ما ادعوه أنه مجاز في القرآن، كلفظ (المكر) و(الاستهزاء) و(السخرية) المضاف إلى الله، وزعموا أنه مسمى باسم ما يقابله على طريق المجاز، وليس كذلك، بل مسميات هذه الأسماء إذا فعلت بمن لا يستحق العقوبة كانت ظلماً له، وأما إذا فعلت بالمجني عليه عقوبة له بمثل فعله كانت عدلاً... إلى أن قال: ولهذا كان الاستهزاء بهم فعلاً يستحق هذا الاسم، كما روي عن ابن عباس: أنه يُفتح لهم باب إلى الجنة وهم في النار فيسرعون إليه فيغلق... ثم ذكر قولاً عن الحسن البصري بمعناه... وقيل: إنه يظهر لهم في الدنيا خلاف ما أبطن في الآخرة، وقيل: هو تجهيلهم وتحطيتهم في ما فعلوه، وهذا كله حق، وهو استهزاء بهم حقيقة». مجموع الفتاوى ١١١/٧، ١١٢، وما يقال في هذا يقال عند قوله: ﴿يُخَذِّعُونَ اللَّهَ﴾، وما قيل هناك يقال هنا.

(٢) في (ب): (لأن).

(٣) انظر: اللسان (مدد) ٤١٥٦/٧، والقاموس ٣١٨.

(٤) في (أ) و(ج): (بيارنا)، وما في (ب) موافق لمعاني القرآن للفراء ٣٢٩/٢.

(٥) معاني القرآن للفراء ٣٢٩/٢، وانظر: التهذيب (مد) ٣٣٦١/٤. وقد نقل المؤلف كلام الفراء بتصرف.

(والمادة): كل شيء يكون مدداً^(١) لغيره^(٢). و(المدة)^(٣): الأوقات المتزايدة إلى غاية، ومنه مد الله في عمر ك^(٤). الأصمعي: امتدَّ النهر ومدَّ إذا امتلأ بالزيادة، ومدَّه نهر آخر^(٥). ابن المظفر^(٦): وادي كذا يمد في نهر كذا. أي يزيد فيه^(٧) وأنشد^(٨):

سَيْلٌ أَتَى مَدَّهُ أَتَى^(٩)

-
- (١) في التهذيب: (مداداً).
 (٢) ذكره الأزهرى عن الليث. التهذيب (مد) ٣٣٦١ / ٤.
 (٣) في (أ) و(ج): (المد)، وأثبت ما في (ب).
 (٤) انظر: تهذيب اللغة (مد) ٣٣٦١ / ٤، والصحاح (مدد) ٥٣٧ / ٢.
 (٥) تهذيب اللغة (مد) ٣٣٦١ / ٤.
 (٦) هو الليث بن المظفر، ويقال له: الليث بن نصر، صاحب الخليل، ينقل الواحدى كلامه كثيراً من طريق تهذيب اللغة. انظر: مقدمة تهذيب اللغة ٤٧ / ١، وإنباه الرواة ٤٢ / ٣.
 (٧) في (أ) و(ج): (يزيده)، وما في (ب) موافق لما في تهذيب اللغة، وهو ما أثبتته.
 (٨) الكلام في التهذيب، ويظهر أنه من كلام الأصمعي فقد عطفه عليه، ولم يرد ذكر الليث في هذا الموضع. تهذيب اللغة (مد) ٣٣٦١ / ٤، وانظر: اللسان (مدد) ٣٩٧ / ٣.
 (٩) البيت منسوب إلى العجاج، وهو في التهذيب (مد) ٣٣٦١ / ٤، والصحاح (مدد) ٥٣٧ / ٢، واللسان (مدد) ٤١٥٧ / ٧، وقد نسبته إلى العجاج، وأنشد بعده:
 غِبَّ سَمَاءٍ فَهَوَّ رَقْرَاقِي

وفي ديوان العجاج:

مَاءٌ قَرِيٌّ مَدَّهُ قَرِيٌّ غِبَّ سَمَاءٍ فَهَوَّ رَقْرَاقِي
 القَرِيُّ: المسيل، الرقراقِيُّ: المترقِّق الذي يتكفأ. الديوان ٣١٨.

والمدُّ: أن^(١) يُمَدَّ الرجلُ الرجلَ^(٢) في غيِّه^(٣). قال أهل التفسير في قوله: ﴿وَيَبْذُوكُمْ﴾، أي يمهلهم^(٤) ويطول في أعمارهم ومدتهم^(٥).

و(الطغيان): مصدر كالرجحان والكفران والعدوان^(٦). قال الليث: [والطُّغْوَانُ لغة فيه]^(٧)، والفعل: طَغَوْتُ وَطَغَيْتُ، ومعناه مجاوزة القدر، وكل شيء جاوز القدر فقد طغى، كما طغى الماء على قوم نوح. قال الله تعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ﴾ [الحاقة: ١١]، وطفغت الصيحة على ثمود^(٨)، فقبل فيهم: ﴿فَأَهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ﴾^(٩). وقيل لفرعون: ﴿إِنَّهُ طَغَى﴾ [النازعات: ١٧]^(١٠)، أي أسرف حيث ادَّعى الربوبية^(١١). فأما الطغوى والطاغية والطاغوت فهي مذكورة في مواضعها مشروحة.

(١) في (ب): (والمداد يمد).

(٢) في (ب): (للرجل).

(٣) ذكره في التهذيب عن ابن أبي حاتم عن الأصمعي، (مد) ٤ / ٣٣٦١.

(٤) في (ب): (يمهلهم) تصحيف.

(٥) اختلف العلماء في ﴿وَيَبْذُوكُمْ﴾، هل هي من المد بمعنى الإمهال والتطويل في العمر، أم من المدد بمعنى: الزيادة، وقد رجَّح هذا الطبري إذ قال: وأولى الأقوال بالصواب أن يكون بمعنى: يزيدهم على وجه الإملاء والترك لهم في عتوهم وتمردهم. تفسير الطبري ١ / ١٣٥، وانظر: تفسير ابن عطية ١ / ١٧٧، ١٧٨، والكشاف ١ / ١٨٨، وتفسير القرطبي ١ / ١٨٢.

(٦) الحجة لأبي علي ١ / ٣٦٦.

(٧) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) و(ج).

(٨) انتهى كلام الليث، وقد نقله المؤلف بتصرف، تهذيب اللغة ٣ / ٢١٩٦، والعين ٤ / ٤٣٥.

(٩) كتبت في النسخ جميعها: (أهلكوا). وسياق الآية: ﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأَهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ﴾.

(١٠) طغى) ساقط من (ب).

(١١) انظر: تفسير الثعلبي ١ / ٥٢ ب.

وكان الكسائي يميل ﴿طُعَيْنَهُمْ﴾ في رواية أبي عمر ^(١) ونصير ^(٢)؛ وذلك لأن ^(٤) الألف قد اكتنفها شيئان ، كل واحد منهما يجلب الإمالة [وهما : الياء التي قبلها ، والكسرة التي بعدها .

فإن قلت : إن أول الكلمة حرف [مستعل] ^(٥) مضموم ، وكل واحد من هذين يمنع الإمالة ^(٦) . قيل : إن المستعلي تراخى عن الألف بحرفين فلم يمنع الإمالة .

وقوله تعالى : ﴿يَعْمَهُونَ﴾ . قال أهل اللغة : (الْعَمه والْعَامه) الذي يتردد متحيراً لا يهتدي لطريقه ومذهبه ، ومعنى ^(٧) ﴿يَعْمَهُونَ﴾ : يتحيرون ، وقد عَمِه يَعْمِه عَمَهاً ، فهو عَمِه إذا حار عن الحق ^(٨) .

قال أهل المعاني : قوله : ﴿وَيَذُفُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ كالتفسير لقوله : ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ ؛ لأن معناه يطوّل أعمارهم ومدتهم ليتحيروا في طغيانهم وكفرهم ،

(١) هو حفص بن عمر عبدالعزيز المقرئ النحوي البغدادي الضرير ، قرأ عن الكسائي ويحيى اليزيدي ، توفي سنة ست وأربعين ومئتان . انظر : ترجمته في معرفة القراء الكبار ١ / ١٩١ ، وغاية النهاية ١ / ٢٥٥ .

(٢) نصير ساقط من (ب) . نصير هو : نصير بن أبي نصر الرازي ثم البغدادي النحوي ، أبو المنذر ، صاحب الكسائي ، مات في حدود الأربعين ومئتان . انظر : ترجمته في معرفة القراء الكبار ١ / ٢١٣ ، وغاية النهاية ١ / ٢٥٥ .

(٣) انظر : السبعة لابن مجاهد ١٤٤ ، والحجة لأبي علي ١ / ٣٦٥ ، والكشف لمكي ١ / ١٧١ .

(٤) في (ب) : (أن) .

(٥) في (ب) : (مستعمل) ، وصححت الكلمة من الحجة ١ / ٣٦٨ .

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) و(ج) . الكلام في الحجة مع الاختصار ١ / ٣٦٧ ، ٣٦٨ ، وانظر : الكشف ١ / ١٧١ .

(٧) في (ب) : (معي) .

(٨) تهذيب اللغة (عمه) ٣ / ٢٥٧٥ ، وانظر : معاني القرآن للزجاج ١ / ٥٦ ، وتفسير الثعلبي ١ / ٤٨ ب .

مكرراً^(١) بهم ، وهم يحسبون أن ذلك مسارعة لهم في الخيرات ، ولا يشعرون أنه عقوبة لهم في الحقيقة^(٢) .

١٦ . قوله تعالى : ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى ﴾ الآية . حقيقة الاشتراء :

الاستبدال ، وكل اشتراء استبدال ، وليس كل استبدال اشتراء ، ووضع الاشتراء موضع الاستبدال هاهنا ؛ لأنه أدل على الرغبة^(٣) ، وذلك أن المشتري للشيء^(٤) محتاج إليه راغب فيه ، فهو أبلغ من لفظ الأصل مع ما فيه من حسن التصرف في الكلام ، والعرب تجعل من أثر شيئاً على شيء مشترياً له وبائعاً للآخر ، وإن لم يكن ثم شراء ولا بيع ظاهر^(٥) .

قال ابن عباس في هذه الآية : أخذوا الضلالة وتركوا الهدى^(٦) . قال أهل المعاني : هؤلاء المنافقون لم يكونوا على الهدى قط ، لكنهم^(٧) لما تركوا الواجب عليهم من الهدى ، واستبدلوا به الضلالة قيل في صفتهم : اشتروا الضلالة بالهدى^(٨) .

(١) في (ب) : (ومكرراً) .

(٢) هذا على أن (يمدهم) من المد بمعنى الإمهال والتطويل ، وقد سبق بيان ذلك عند قوله : ﴿ وَيَذُكُّهُمْ ﴾ ، وانظر : تفسير الطبري ١/ ١٣٥ ، ومعاني القرآن للزجاج ١/ ٥٦ ، والكشاف ١/ ١٨٨ .

(٣) في (أ) : (الرعية) .

(٤) في (ب) : (التي) .

(٥) انظر : تفسير الطبري ١/ ١٣٨ ، ومعاني القرآن للزجاج ١/ ٥٧ ، والأضداد لابن الأنباري ٧٢ ، وتفسير ابن عطية ١/ ١٨٠ ، وتفسير القرطبي ١/ ١٨٣ ، وتفسير البيضاوي ١/ ١١ ، وتفسير الخازن ١/ ٦٣ ، وضمن مجموعة من التفاسير ، الدر المصون ١/ ١٣٥ .

(٦) أخرج ابن جرير بسنده عن السدي عن أبي مالك ، وعن أبي صالح عن ابن عباس ، وعن مرة عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النبي ﷺ : أخذوا الضلالة وتركوا الهدى . تفسير الطبري ١/ ١٣٧ ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عن السدي ١/ ٥٠ ، وانظر : تفسير ابن كثير ١/ ٥٦ .

(٧) في (ب) : (ولكنهم) .

(٨) للعلماء في معنى الآية أقوال ذكرها ابن جرير في تفسيره ، وهي : منهم من قال : إن معنى اشتروا استحبوها كما قال : ﴿ وَأَمَّا تُمُودُ فَهَدَيْتَهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى ﴾ [فصلت : ١٧] ، فالعنى اختاروا =

وأصل ﴿أَشْتَرُوا﴾ اشتريوا، فلما تحركت (الياء) وانفتح ما قبلها صارت (ألفاً)، فاجتمع ساكنان، فحذفت (الألف)^(١) فصار (اشتروا) ساكنة (الواو)^(٢). وسقطت همزة الوصل من الضلالة للدرج، فالتقت الواو الساكنة مع الساكن المبدل من لام المعرفة، فحركت الأولى بالضم^(٣). واختلفوا في العلة الموجبة لضم الواو^(٤) في ﴿أَشْتَرُوا الضَّلَالَةَ﴾، فقال أكثر النحويين: إن واوات الجمع كلها^(٥) تحرك بالضم نحو: ﴿تَتَّبِعُونَ﴾ [آل عمران: ١٨٦] و﴿لَتَرَوُنَّ﴾ [التكاثر: ٦].

وقالوا: مُصْطَفَوْا الله؛ لأن الضم أدل على الجمع وأشكل به، وهذه الواو للجمع فحرك بها هو أدل على الجمع^(٦). ألا ترى أن^(٧) الواو في (أو) أو (لو) لما

- = الضلالة على الهدى. ومنهم من قال: إنهم كانوا مؤمنين وكفروا، ولو كان الأمر على ذلك لكان هؤلاء تركوا الإيمان واستبدلوا به الكفر، وهو المفهوم من معاني الشراء والبيع، ولكن دلائل الآيات في نعتهم دالة على أنهم لم يكونوا مؤمنين قط، إنما أظهروا الإيمان كذباً. ومنهم من قال: المراد أخذوا الضلالة وتركوا الهدى، فكل كافر مستبدل بالإيمان كفراً، وهذا ما اختاره ابن جرير وهو اختيار أكثر المفسرين. انظر: تفسير الطبري ١/١٣٧-١٣٩، ومعاني القرآن للزجاج ١/٥٧، وتفسير ابن عطية ١/١٨٠، وتفسير القرطبي ١/١٨٢، ١٨٣، وتفسير ابن كثير ١/٥٦.
- (١) حذفها أولى؛ لأن الواو دخلت لمعنى والألف لم تدخل لمعنى. البيان لابن الأنباري ١/٥٨.
- (٢) قيل في إعلالها: استتقلت الضمة على الياء فحذفت تخفيفاً، فاجتمع ساكنان: الياء والواو. فحذفت الياء لالتقاء الساكنين. وما ذكره المؤلف أولى.
- (٣) انظر: البيان لابن الأنباري ١/٥٨، وتفسير ابن عطية ١/١٧٩، والدر المصون ١/١٥٢.
- (٤) ذكره أبو علي في الحجة ١/٣٦٩.
- (٥) اتفقوا على أن (الواو) في (اشتروا) تحرك لالتقاء الساكنين، ثم اختلفوا لماذا اختير الضم على الكسر؟ انظر: الحجة ١/٣٦٩.
- (٦) في (ب): (كأنها).
- (٧) الحجة لأبي علي ١/٣٦٩، وانظر: الكتاب ٤/١٥٥، ومعاني القرآن للزجاج ١/٥٥، ومعاني القرآن للأخفش ١/٢٠٤، وتفسير الثعلبي ١/١٤٩، والبيان لابن الأنباري ١/٥٨، وتفسير ابن عطية ١/١٧٩.
- (٧) (أن) ساقطة من (ب).

لم تكن للجمع لم تحرك بالضم، بل حركت بالكسر، فقرأ^(١) ﴿وَأَلَوِ اسْتَقَمُوا﴾ [الجن: ١٦]^(٢).

وقد أجازوا الكسر^(٣) في ﴿أَشْرَوْا الضَّلَلَةَ﴾ تشبيهاً بمثل: ﴿لَوْ اسْتَطَعْنَا﴾ [التوبة: ٤٢] ﴿وَأَلَوِ اسْتَقَمُوا﴾. وأجازوا^(٤) الضم^(٥) في ﴿لَوْ اسْتَطَعْنَا﴾ تشبيهاً بواو الجمع^(٦).

وقال ناس: إن^(٧) (الواو) ضُمت هاهنا لأنه فاعل في المعنى^(٨) فجعلت حركة التقاء الساكنين فيه كحركة الإعراب. وهذا لا يستقيم، لأنهم كسروا (الياء) في قولهم: (أُخْشِيَ الله يا امرأة) والياء فاعلة في المعنى^(٩).

(١) في (ب): (فقرأ).

(٢) قراءة الجمهور بالكسر، وقرأ في الشاذ بضم الواو، روي عن الأعمش وابن وثاب. انظر: البحر المحيط ٣٥٢/٨.

(٣) قراءة الجمهور بالضم، وبالكسر قراءة شاذة، قرأ بها يحيى بن يعمر، وابن أبي إسحاق. انظر: الحجة ٣٧٠/١، ومعاني القرآن للأخفش ٢٠٤/١، وتفسير ابن عطية ١٧٩/١، وتفسير القرطبي ١٨٢/١، والدر المصون ١٥١/١.

(٤) في (أ) و(ج): (وإجازوا)، وأثبت ما في (ب).

(٥) وهي قراءة شاذة، إذ قرأ بالضم الأعمش وزيد بن علي، انظر: البحر ٤٦/٥.

(٦) انتهى من الحجة لأبي علي ٣٦٩/١.

(٧) (إن) ساقطة من (ب).

(٨) في (ب): (بالمعنى).

(٩) (المعنى) ساقطة من (ب). أي وسع كونها فاعلاً في المعنى لم تحرك بالضم، انظر: الحجة لأبي علي ٣٧١/١، والكتاب ١٥٥/٤، والدر المصون ١٥١/١.

وقوم كسروا الواو في مسألتنا^(١) وفي قوله : ﴿وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ [البقرة: ٢٣٧]^(٢) فلو كان كما ذكروا^(٣) ، لم يجز الاختلاف^(٤) فيه كما لم يجز^(٥) في حركة الإعراب^(٦) .

وقال الفراء : إنهم إنما حركوا (الواو) هاهنا بالحركة التي كانت تجب للام الفعل من الضمة^(٧) . قال أبو علي^(٨) : الذي ذهب إليه الفراء هو أن الحركة في (الواو) ليست لالتقاء الساكنين كما يذهب إليه سيبويه وأصحابه^(٩) . ولا يستقيم ما ذهب إليه ؛ لأننا رأينا الحركات إنما تلقى على الحروف التي تكون قبل الحرف الذي ينقل منه ، ولا ينقل إلى ما بعد الحروف المنقولة منها الحركة ، كما تقول في : (بعث) ، و(قلت) ، و(خفت) ، و(مست)^(١٠) ، و(ظلت) ، و(أحسنت)^(١١) ،

- (١) المراد : قوله : (اشترؤا) ، وقد سبق بيان أن قراءة الكسر شاذة .
 - (٢) قال أبو حيان : قرأ يحيى بن يعمر : (وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ) بكسر الواو على أصل التقاء الساكنين تشبيهاً للواو التي هي (ضمير) بواو (لو) في قوله تعالى : ﴿لَوْ أَسْتَطَعْنَا﴾ ، كما شبَّهوا واو (لو) بـ (واو) الضمير فضموها . البحر ٢/ ٢٣٨ .
 - (٣) ما ذكروه : هو أن (الواو) ضمت لأنها فاعل في المعنى .
 - (٤) أي لم يجز الاختلاف في حركة الواو ، هل هي بالضم أم بالكسر .
 - (٥) (يجز) ساقط من (ج) .
 - (٦) ذكره أبو علي في الحجة ١/ ٣٧٢ .
 - (٧) ذكره أبو علي قال : حكاه أحمد بن يحيى عن الفراء . الحجة ١/ ٣٧٢ .
 - (٨) الحجة ١/ ٣٧٢ ، وما قبله كله من كلام أبي علي ، وقد اعتمد الواحدي في هذا المبحث على الحجة .
 - (٩) انظر : الكتاب ٤/ ١٥٥ .
 - (١٠) الميس : التبخر ، ماس يَمِس مَيْساً وَمَيْسَاناً : تبخر واختال . انظر : اللسان (ميس) ٦/ ٢٢٤ ، والقاموس (ميس) ٥٧٦ .
 - (١١) أصلها : أحسست ، حذفت السين الثانية ، وهي بمعنى : علمت . انظر : تهذيب اللغة (حس) ١/ ٨١٧ ، واللسان (حس) ٢/ ٨٧١ . في هذه الكلمات نقلت حركة العين إلى الفاء ، ولم تنقل إلى ما بعدها . انظر : الحجة ١/ ٣٧٢ ، ٣٧٣ .
- ولكن نلاحظ في ما سبق عند الكلام على (نحن) أنه ورد في أحد الأقوال : إن حركة الضمة نقلت من الحاء إلى النون .

و(أَصَمَّ)^(١)، و(أَعَدَّ)، و(أَخَلَّةَ). وكذلك نقل حركات الهمز في التخفيف نحو: (جَيْلَ)^(٢) و(المرّة)^(٣). وكذلك قولهم: (قَاضُونَ)، و(غَازُونَ)، و(مُشْتَرُونَ)، ونحو ذلك، فإذا كان الأمر على ما وصفنا، ولم نجد في هذه الأصول شيئاً على ما^(٤) ادّعاه، ثبت^(٥) فساد ما ذهب إليه لدفع^(٦) الأصول ذلك، وقوله^(٧) يوجب أن ضمة الياء في (اشترىوا) نُقِلَتْ إلى الواو^(٨) بعد الياء، وإنما ينقل حيث ينقل إلى ما قبل المنقول منه لا إلى ما بعده كما بينّا^(٩). وأيضاً فإنه لو كان كما ذكر، لوجب أن يتحرك الحرف الذي نقلت إليه^(١٠)، التقى مع الساكن أو لم يلتق^(١١)، ألا ترى أن سائر ما نقلت إليه الحركة مما ذكرنا، يتحرك^(١٢) بالحركة المنقولة إليه، فلما لم

-
- (١) في (أ): (أصم)، وكذا في (ج) من دون شكل، وما في (ب) موافق لما في الحجة.
- (٢) في (ج): (جل). و(جيل) أصلها جَيْلٌ، ولكن خففت بحذف الهمزة في اللفظ، مبقاة في النية، ونقلوا حركة الهمزة إلى الياء. والجيسال: الضبع، والضحخم من كل شيء. انظر: اللسان (جأل) ٢٥٩/١، والقاموس (جأل) ٩٧٤.
- (٣) (المرّة) أصلها (المرأة)، خففت الكلمة بحذف الهمزة، ونقلت حركتها إلى الراء، بعضهم قال: تخفيف قياسي مطرد، وبعضهم قال: غير مطرد. اللسان (مرأ) ٤١٦٦/٧.
- (٤) (ما) ساقطة من (ب).
- (٥) في (أ) و(ج): (وُثِبَتْ) زيادة واو.
- (٦) في (ب): (لرفع).
- (٧) في (أ) و(ج): (وقوله تعالى)، وفي (أ) كتبت بخط كبير.
- (٨) في (ب): (الياء).
- (٩) قوله: «ذلك وقوله يوجب... إلى قوله: لا إلى ما بعده كما بينّا»، ليس في الحجة. انظر: الحجة ٣٧٣/١.
- (١٠) عبارة أبي علي: «فلو كانت حركة نقل كما قال، لوجب أن يتحرك الحرف الذي نقلت إليه بها، التقى مع ساكن، أو لم يلتق...». الحجة ٣٧٤/١.
- (١١) في (ب): (يليق).
- (١٢) في (ب): (لتتحرك).

تتحرك الواو في ﴿أَشْتَرُوا﴾ إلا عند التقاء ساكن ، ثبت أن حركتها حركة الحروف الساكنة الملتقية^(١) مع سواكن آخر^(٢) .

قال أبو أسحاق : من أبدل واو^(٣) ﴿أَشْتَرُوا الضَّلَلَةَ﴾ همزة ، غلط ؛ لأن الواو المضمومة إنما تبدل همزة إذا لزمت ضمتها ، نحو : ﴿وَإِذَا الرُّسُلُ أَقْنَتْ﴾^(٤) [المرسلات : ١١] ، وكذلك : ﴿أَدُّورُ﴾^(٥) في من همزها ، والضممة هاهنا إنما هي لالتقاء الساكنين فلا يلزم^(٦) .

وقوله تعالى : ﴿فَمَارِجَتْ يَجْرُثُهُمْ﴾ . (الريح) الزيادة على أصل المال^(٧) . و(التجارة) تقليب الأموال وتصريفها لطلب النماء^(٨) . يقال : تجر الرجل يتجر تجارة فهو تاجر^(٩) .

(١) في (ب) : (الملتقية) .

(٢) في (أ) : (آخر) ، وفي (ب) و(ج) : من دون همز ، وما أثبت موافق لما في الحجة . بهذا انتهى رد أبي علي على الفراء ، وقد اختصر الواحدي بعض كلامه . انظر : الحجة ١ / ٣٧٢-٣٧٤ .

(٣) نص كلام الزجاج : «فأما من يبدل من الضمة همزة فيقول : (اشترو الضلالة) فغالط . . . » . معاني القرآن ١ / ٥٧ .

(٤) قال الزجاج : الأصل وقتت ، ١ / ٥٧ .

(٥) قال الزجاج : وكذلك (أدور) إنما أصلها (أدور) ، ١ / ٥٧ .

(٦) انتهى كلام الزجاج . انظر : معاني القرآن ١ / ٥٧ ، وقوله : (فلا يلزم) ليس من كلام الزجاج ، والمعنى : أن ضمة (اشتروا) إنما هي لالتقاء الساكنين فليست ضمة لازمة ، فلا تقلب الواو المضمومة همزة ، لعدم لزوم الضمة فيها .

(٧) انظر : لباب التفسير ١ / ١٤٢ ، والبحر ١ / ٦٣ ، والدر المصون ١ / ١٥٤ ، وتفسير أبي السعود ١ / ٤٩ .

(٨) انظر : مفردات الراغب ٧٣ ، وانظر : المراجع السابقة .

(٩) انظر : مجمل اللغة (تجر) ١ / ٤٩ ، ومقاييس اللغة ١ / ٣٤١ ، ومفردات الراغب ٧٣ ، وقالوا : ليس في كلام العرب تاء بعدها جيم إلا هذا اللفظ .

قال الشاعر :

قَدْ تَجَرَّتْ فِي سُوقِنَا عَقْرَبٌ

لَا مَرَحَبًا بِالْعَقْرَبِ النَّاجِرَةِ^(١)

ومعنى قوله : ﴿فَمَا رِيحَتْ تَجَرَّتُهُمْ﴾ ، أي ما ربحوا في تجارتهم ، وأضاف الربح إلى التجارة ، لأن الربح يكون فيها ، وهذا كلام العرب ، يقولون : ربح بيعك وخسر بيعك^(٢) ، ونام ليلك ، وخاب سعيك ، قال الله تعالى : ﴿بَلْ مَكْرُ الْيَلِّ وَالنَّهَارِ﴾ [سبأ: ٣٣] ، أي مكرهم فيهما . وقال : ﴿فَإِذَا عَزَمَ الْأُمُورُ﴾ [محمد: ٢١] ، وإنما العزيمة للرجال في الأمر^(٣) .

وقال جرير :

وَأَعْوَرَ مِنْ نَبْهَانٍ أَمَّا نَهَارُهُ فَأَعْمَى وَأَمَّا لَيْلُهُ فَبَصِيرٌ^(٤)

فأضاف العمى والإبصار إلى الليل والنهار ، ومراده بهما الموصوف من نبهان^(٥) . قال الفرّاء : وهذا إنما يجوز إذا عرف الكلام ولم يشكل ، فإذا أشكل لم

(١) البيت للفضل بن عباس بن أبي لهب ، وكان (عقرب بن أبي عقرب) رجلاً من تجار المدينة ، مشهوراً بالمطل حتى قيل : (هو أمطل من عقرب) فعامله الفضل ، فمطله ، فقال قصيدة يهجو به ، مطلعها هذا البيت المذكور ، وردت القصيدة في الدرة الفاخرة في الأمثال السائرة ٩٨ / ١ ، وجمهرة الأمثال للعسكري ٢٨١ / ١ ، والمستقصى في أمثال العرب ٣٣ / ١ ، وجمع الأمثال ٢٦٠ / ١ ، واللسان (عقرب) ٣٠٣٩ / ٥ .

(٢) (خسر بيعك) ساقط من (ب) .

(٣) انظر : تفسير الطبري ١٣٩ / ١ ، ومعاني القرآن للفرّاء ١٤ / ١ ، ومعاني القرآن للأخفش ٢٠٧ / ١ ، ومعاني القرآن للزجاج ٥٨ / ١ ، وتأويل مشكل القرآن ١٣٨ ، وتفسير غريب القرآن لابن قتيبة ٤٢ ، وزاد المسير ٣٨ / ١ .

(٤) من قصيدة له هجا فيها النبهاني ، وكان قد هجا جريراً ، ورد البيت في تفسير الطبري ١٤٠ / ١ ، وديوان جرير ٢٠٣ .

(٥) ذكره الطبري في تفسيره ١٤٠ / ١ .

يجز ، كما لو قال : خسر عبدك ، وأراد أن يجعل العبد تجارة يربح فيه ، أو يوضع ^(١) ؛ لأنه قد يكون العبد تاجراً فيربح ، فلا يعرف معناه إذا ربح ^(٢) من معناه إذا كان مَتَجُوراً ^(٣) فيه ^(٤) .

١٧ . قوله تعالى : ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْفَدَ نَارًا ﴾ الآية . قال أبو عبيد عن الفرّاء : يقال ^(٥) : مَثَلٌ وَمِثْلٌ وَشَبَهٌ وَشَبَهُ بِمَعْنَى وَاحِدٍ ^(٦) . وقال الليث : المثل : الشيء الذي يضرب ^(٧) مثلاً لشيء ، فيجعل مثله ^(٨) .

وقال المبرّد ^(٩) : (المثل) : مأخوذ من المثال ، والمثل من الكلام : قول سائر نشبه ^(١٠) به حال الثاني بالأول ، والأصل فيه التشبيه ، فمعنى قولهم : (مثل بين يديه) إذا انتصب ، معناه : أشبه الصورة المنتصبة بين يديه ، والأماثل : الأفاضل . و(هذا أمثل من ذاك) ^(١١) ، أي أشبه بما له ^(١٢) الفضل .

(١) أي يخسر فيه .

(٢) في معاني القرآن للفرّاء : (إذا ربح هو) ، ١٥ / ١ .

(٣) في (ب) : (متجوزاً) .

(٤) نقل كلام الفرّاء بمعناه . انظر : معاني القرآن للفرّاء ١٥ / ١ .

(٥) في (ب) : (ويقال) .

(٦) تهذيب اللغة (مثل) ٣٣٤١ / ٤ .

(٧) في (ب) : (لا يضرب) و(ج) : (ضرب) .

(٨) تهذيب اللغة (مثل) ٣٣٤١ / ٤ .

(٩) أورد الميداني كلام المبرّد في مجمع الأمثال ٧ / ١ .

(١٠) في مجمع الأمثال : (يشبه به) .

(١١) في (ب) : (ذلك) ، وفي مجمع الأمثال : (فلان أمثل من فلان) ، ٧ / ١ .

(١٢) في مجمع الأمثال : (أشبه بما له [من الفضل] ، ٧ / ١ ، ويظهر أن (من) مضافة من المحقق لاستقامة المعنى .

والمثال: القصاص لتسوية^(١) الحالتين، وتشبيه حال المقتص منه بحال الأول، والامثال: الاقتصاص من هذا. و(الأمثال)^(٢): أصل كبير في بيان الأشياء؛ لأن الشيء يعرف بشبهه ونظيره. [و(الأمثال): يخرج ما يخفى تصويره إلى ما يظهر تصويره، و(المثل): بيان ظاهر على أن الثاني مثل الأول]^(٣).

و(الأمثال) متداولة سائرة في البلاد، وفيها حكم عجيبة وفوائد كثيرة، وقد ذكر الله تعالى الأمثال في غير موضع من كتابه، لما^(٤) فيها من حسن البيان وقرب الاستدلال.

والمقصود بالمثل: البيان عن حال الممثل^(٥). وحقيقته: ما جعل من القول كالعلم للتشبيه بحال الأول، مثال ذلك قول كعب بن زهير^(٦):

كَانَتْ مَوَاعِيدُ عُرْقُوبٍ لَنَا^(٧) مَثَلًا وَمَا مَوَاعِيدُهُ إِلَّا الْبَاطِيلُ^(٨)

(١) في (أ): (لتسوية). وقوله: (المثال القصاص لتسوية الحالتين) ليس في مجمع الأمثال ٧/١.

(٢) في (ب): (الامثال).

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٤) في (ب): (التي فيها).

(٥) في (ب): (الممثل).

(٦) هو كعب بن زهير بن أبي سلمى المزني، شاعر مشهور، وصحابي معروف، قدم على رسول الله ﷺ، وأنشده قصيدته المشهورة (بانت سعاد). انظر: ترجمته في الشعر والشعراء ٨٩٠، والإصابة ٢٩٥/٣.

(٧) في (ب): (لها)، وهي رواية للبيت.

(٨) بيت من قصيدة كعب (بانت سعاد) المشهورة التي قالها أمام الرسول ﷺ فأعطاه برده، و(عرقوب): اسم رجل مشهور بخلف الوعد فيضرب به المثل، فيقال: (مواعيد عرقوب)، وأورد القصيدة ابن هشام في السيرة ٤/١٥٢، وأورد بعضها ابن قتيبة في الشعر والشعراء ٨٠، وورد البيت المستشهد به في الدرر الفاخرة في الأمثال السائرة ١/١٧٧، ومجمع الأمثال للميداني ٧/١.

فمواعيد عرقوب علم^(١) في كل ما لا يصح من المواعيد^(٢). وورد المثل في معانٍ كثيرة في التنزيل ، فذكر كل واحد في موضعه ، إن شاء الله .

وذكر لفظ (المثل) ؛ لأن المراد تشبيه الحالة بالحالة ، وذكرنا أن لفظ المثل^(٣) قد صار كالعلم للتشبيه بحال الأول ، ولو قيل : ﴿ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا ﴾ لم يُعرف ما الغرض من التشبيه ، فإذا ذكر لفظ المثل علم أن المراد تشبيه الحال بالحال^(٤) .

و﴿ اسْتَوْقَدَ ﴾ بمعنى : أوقد^(٥) في قول أكثر أهل اللغة^(٦) . وقال بعضهم : استوقد ، معناه : استدعى بالنار الضياء^(٧) ، والأول الصحيح^(٨) . و(النار) من النور^(٩) ، وجمعها نيران^(١٠) ، والنار تستعار لكل شدة ، فيقال : أوقد نار الفتنة ،

(١) في (ج) : (مثلاً) .

(٢) انتهى كلام المبرد ، وقد ذكره الميداني في مقدمة مجمع الأمثال واختصر بعضه ، ٧ / ١ .

(٣) في (ب) : (الملك) .

(٤) انظر : تفسير الطبري ١ / ١٤٠ ، ومعاني القرآن للقرآء ١ / ١٥ ، والكشاف ١ / ١٩٧ .

(٥) (أوقد) ساقط من (ب) .

(٦) فعلى هذا (السين) و(الناء) زائدتان : انظر : معاني القرآن للأخفش ١ / ٢٠٨ ، وتأويل مشكل القرآن ٣٦٢ ، وتفسير الطبري ١ / ١٤٣ ، وتفسير ابن عطية ١ / ١٨٣ ، وزاد المسير ١ / ٣٩ ، وتفسير القرطبي ١ / ١٨٣ ، والبحر ١ / ٧٥ .

(٧) وقيل : المراد طلب إلى غيره أن يوقد له . انظر : تفسير ابن عطية ١ / ١٨٤ ، وزاد المسير ١ / ٣٩ ، وقيل : طلب الوقود وسعى في تحصيله ، وهو سطوع النار وارتفاع لهبها . انظر : تفسير البيضاوي ١ / ١١ ، وتفسير أبي السعود ١ / ٥٠ ، وانظر : البحر ١ / ٧٨ .

(٨) وهو اختيار الأخفش وابن جرير وغيرهما كما سبق .

(٩) وبعضهم جعلها مشتقة من نار ينور إذا نفر ؛ لأن فيها حركة واضطراباً ، والنور مشتق منها . ذكره الزمخشري في الكشاف ١ / ١٩٧ . انظر : معجم مقاييس اللغة (نور) ٥ / ٣٦٨ .

(١٠) انظر : تهذيب اللغة (نار) ٤ / ٣٤٧٩ ، وفي القرطبي : جمعها : نور وأنوار ونيران ، تفسير القرطبي ١ / ١٨٤ .

وَأَلْقَى بَيْنَهُمْ نَاراً: إِذَا أَلْقَى عداوة . و(أضاء) يكون واقعاً ومطاوعاً^(١)، يقال :
أَضَاءَ الشيء بنفسه ، وأضاءه غيره^(٢) .

وقال أبو عبيد : أَضَاءَتِ النار ، وَأَضَاءَهَا غيرها^(٣) . والنار تضيء في نفسها ،
وتضيء غيرها من الأشياء ، قال الشاعر :

أَضَاءَتْ لَهُمْ أَحْسَابُهُمْ وَوُجُوهُهُمْ دُجِيَ اللَّيْلُ حَتَّى نَظَّمَ الْجَزَعَ ثَاقِبُهُ^(٤)

ويقال : ضَاءَتِ النار ، وأضاءت ، لغتان^(٥) ، وأضاء السبيل إذا وضح ،
وكل ما وضح فقد أضاء ، وأضاءت الشمس وأضاء القمر^(٦) . والذي في الآية
واقع^(٧) .

-
- (١) الفعل الواقع هو المتعدي إلى مفعول به أو أكثر .
والمطاوعة : هي قبول فاعل فعل أثر فاعل فعل آخر يلتقيان في الاشتقاق ، مثل : أدبته فتأدب ،
فالتأدب أثر التأديب . انظر : معجم المصطلحات النحوية والصرفية ١٤١-٢٤٥ .
- (٢) انظر : تفسير الثعلبي ١/٣٥ ، ب ، الصحاح (ضوا) ١/٦٠ ، وتفسير ابن عطية ١/١٨٤ ، وتفسير
القرطبي ١/١٨٥ ، وزاد المسير ١/٣٩ ، والكشاف ١/١٩٨ .
- (٣) تهذيب اللغة (ضاء) ٣/٢٠٧٧ .
- (٤) في (أ) و(ج) : (ناقبه) بالنون ، وما في (ب) موافق للمصادر جميعها . والبيت نسبه بعضهم إلى أبي
الطمحان القيني ، وبعضهم إلى لقيط بن زرار ، يقول : إن أحسابهم طاهرة زكية ، فدجى الليل
تنكشف من نور أحسابهم ، حتى إن ثاقب الضوء يسهل نظم الجزع لناظمه ، ورد البيت في الكامل
٣/١٢٩ ، والحماسة بشرح المرزوقي ٤/١٥٩٨ ، وأمالى المرتضى ١/٢٥٧ ، والشعر والشعراء ٤٧٥ ،
والصناعتين ٣٦٠ ، وخزانة الأدب ٨/٩٥ ، واللسان (خضض) ٢/١١٨٦ ، وتفسير القرطبي
١/١٨٥ .
- (٥) انظر : الصحاح (ضوا) ١/٦٠ ، وتهذيب اللغة (ضاء) ٣/٢٠٧٧ ، واللسان (ضوا) ٥/٢٦١٨ .
- (٦) انظر : تفسير القرطبي ١/١٨٥ ، وزاد المسير ١/٣٩ .
- (٧) أي متعد ، وقيل : لازم ، انظر : تفسير ابن عطية ١/١٨٤ ، والكشاف ١/١٩٨ ، وزاد المسير ١/٣٩ ،
والبحر المحيط ١/٧٨ ، والدر المصون ١/١٦٠ .

وقوله تعالى: ﴿مَا حَوْلَهُ﴾. محل (ما) منصوب بوقوع الإضاءة عليه، و(حوله) نصب على الظرف^(١). والعرب تقول: رأيت الناس حَوْلَهُ، وَحَوْلِيهِ، وَحَوَالَهُ، وَحَوَالِيهِ. فَحَوَالَهُ وَحَدَانِ حَوَالِيهِ، وَحَوْلِيهِ تَثْنِيَةُ حَوْلِهِ، وينشد:

مَاءٌ رَوَاهُ وَنَصِيٌّ حَوْلِيهِ^(٢)

ومما ينشد على لسان البهائم أن الضَّبَّ قال لِلْحِجْلِ^(٣):

أَهْدَمُوا بَيْتَكَ لَا أَبَا لَكَ وَأَنَا أَمْشِي^(٤) الدَّالِّي حَوَالِكَ^(٥)

و(النور) ضد الظلمة، ويقال: نار الشيء وأنار واستنار بمعنى واحد، وأنار الشيء^(٦) أي أوضحه^(٧)، ومنه الحديث: «فرض عمر بن الخطاب^(٨) رضي الله عنه فريضة فأنارها زيد بن ثابت»^(٩).

(١) هذا على أن (أضاء) متعد، فإن كان لازماً، فالفاعل ضمير النار، و(ما) زائدة، وأجاز الزمخشري: أن تكون موصولة فاعله، وحوله منصوب على الظرفية. انظر: إعراب القرآن للنحاس ١/١٤٣، وإملاء ما من به الرحمن ١/٢١، وتفسير ابن عطية ١/١٨٤، والكشاف ١/١٩٨، والبحر المحيط ١/١٧٨، والدر المصون ١/١٦٠.

(٢) الرجز للزَّفَيَّان السعدي، يروى البيت (حَوْلِيهِ) و(حَوْلِيهِ) و(حَوْلِيهِ)، ورد البيت عند أبي زيد ٣٣١، وفي التهذيب (حال) ١/٧١٠، والخصائص ١/٣٣٢، وليس في كلام العرب لابن خالويه ٤١، واللسان (روى) ٢/١٠٥٥. قال محقق نوادر أبي زيد: «المثبت هنا رواية أبي زيد والبصريين على أنه من الرجز، وهي: (حَوْلِيهِ)، وأما رواية الكوفيين للأبيات فعلى أنها من السريع (حَوْلِيهِ)». ٣٣١.

(٣) في (ب): (للحسك)، والحِجْل: ولد الضب. تهذيب اللغة (حسل) ٤/٣٠٣.

(٤) في (ب): (استي).

(٥) الرجز من شواهد سيبويه ١/٣٥١، وهو في الكامل ٢/١٩٨، والمخصص ١٣/٢٢٦، وأما الزَّجَاجي ١٣٠، وجمع الهوامع ١/١٣٥، واللسان (حول) ٢/١٠٥٥. الدَّالِّي: مشية فيها تناقل، وهو من أكاذيب الأعراب يزعمون أنه من قول الضب لولده أيام كانت الأشياء تتكلم.

(٦) في (ب): (للشيء).

(٧) انظر: تهذيب اللغة (نار) ٤/٣٤٨٢.

(٨) بن الخطاب) سقط من (ب).

(٩) ذكره الأزهري في تهذيب اللغة، ولفظه: «فرض عمر بن الخطاب للجدة ثم أنارها زيد بن ثابت» =

فأما التفسير : فقال ابن عباس وقتادة والضحاك ومقاتل والسدي : يقول :
 مثل هؤلاء المنافقين كمثل رجل أوقد ناراً في ليلة^(١) مظلمة في مفازة فاستضاء بها
 واستدفاً ، ورأى ما حوله فاتقى ما يحذر ويخاف وأمن ، فبينما هو كذلك إذ طفئت
 ناره فبقي مظلماً خائفاً متحيراً ، كذلك المنافقون لما أظهروا كلمة الإيثار استناروا
 بنورها ، واعتزوا بعزها ، وأمنوا ، فناكحوا المسلمين ووارثوهم^(٢) وقاسموهم
 الغنائم وأمنوا على أموالهم وأولادهم ، فلما ماتوا عادوا إلى الظلمة والخوف ،
 وبقوا في العذاب والنقمة^(٣) .

وهذا القول اختيار الزجاج ، لأنه قال : هذا المثل ضربه الله للمنافقين
 في تجملهم بظاهر الإسلام ، فمثل ما تجملوا به من الإسلام كمثل النار التي
 يستضيء^(٤) بها المستوقد^(٥) .

أي نورها وأوضحها . تهذيب اللغة (نار) ٣٤٧٩/٤ ، ونحوه عند ابن الجوزي في غريب الحديث
 ٤٤٠/٢ ، وعند ابن الأثير في النهاية ١٢٥/٥ .

وأخرج عبدالرزاق في المصنف بسنده عن الزهري نحوه ، ولفظه : «إنها هذه فرائض عمر ، ولكن زيداً
 أثارها بعده وفشت عنه» ، المصنف ٢٦٦/١٠ ، ٢٦٧ ، رقم ١٩٠٦٠ ، و١٩٠٦١ ، ونحوه في كنز
 العمال عن عبدالرزاق ٦٢/١١ .

(١) في (ب) : (ليل) .

(٢) في (ب) : (واورثوهم) .

(٣) ذكره الطبري ١٤٣/١-١٤٤ ، ومن طريق علي بن طلحة عن ابن عباس ، وعن قتادة والضحاك ،
 ورجحه . وذكره ابن أبي حاتم ٥٠/١ ، وعن ابن عباس . وذكره ابن كثير عن قتادة . انظر : تفسير ابن
 كثير ٥٨/١ ، والدر المصون ٣٢/١ .

(٤) في (أ) و(ج) : (تستضيء) ، وأثبت ما في (ب) لمناسبته للسياق .

(٥) معاني القرآن للزجاج ٥٨/١ .

وعلى ما قاله أبو إسحاق : التمثيل وقع بين تجملهم^(١) بالإسلام ، وبين النار التي^(٢) يستضاء بها . وقال غيره : معنى الآية : مثل استضاءتهم^(٣) بكلمة الإيمان كمثل استضاءة الموقد بالنار . فالتمثيل وقع بين الاستضاءتين ، وحذف الاستضاءة ؛ لأنه مضاف فأقيم المضاف إليه مقامه^(٤) .

وهذا قول الفرّاء ، لأنه قال : شبههم وهم جماعة بالذي استوقد ناراً وهو واحد ؛ لأنه تشبيه^(٥) للفعل بالفعل ، لا للذوات^(٦) بالذوات ، ومثل هذا قوله : ﴿ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ ﴾ [الأحزاب : ١٩] ، يعني كدوران عين الذي يغشى عليه ، وكقوله : ﴿ مَا خَلَقْكُمْ وَلَا بَعَثْكُمْ إِلَّا كَنْفَسٍ وَاحِدَةٍ ﴾ [لقمان : ٢٨] ، يعني إلا كخلق وكبعث نفس واحدة .

قال : ولو أراد تشبيه الذوات لقال : (كالذين) ، كما قال : ﴿ كَانَتْهُمْ خُشُبٌ مُسْتَنْدَةٌ ﴾ [المنافقون : ٤] ، وقال : ﴿ كَانَتْهُمْ أَعْجَازٌ نَخْلٍ خَاوِيَةٌ ﴾ [الحاقة : ٧] ، وعلى هذا ﴿ الَّذِي ﴾ في قوله : ﴿ الَّذِي أَسْتَوْفَدَ ﴾ واحد^(٧) .

وقوله تعالى بعد هذا : ﴿ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ ﴾ . قال الزّجاج : معناه - والله أعلم - إطلاع الله المؤمنين على كفرهم ، فقد ذهب منهم نور الإسلام بما أظهر الله - عز وجل - من كفرهم ، ويجوز أن يكون ذهب الله بنورهم في الآخرة ؛ لأن الله

(١) في (ب) : (تحكمهم) .

(٢) في (ب) : (الذي) .

(٣) في (ب) : (استضاءهم) .

(٤) ذكره الطبري ١ / ١٤١ .

(٥) في (ب) : (وهو لا تشبيه) .

(٦) في (ب) : (للذات) .

(٧) انظر : كلام الفرّاء في معاني القرآن ١ / ١٥ ، ونقله الواحدي بمعناه ، وانظر : تفسير الطبري ١ / ١٤١ .

— عز وجل — قد جعل للمؤمنين في الآخرة نوراً ، وسلب الكافرين ذلك النور ، وهو قوله : ﴿ أَنْظِرُونَا نَقِيسَ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ أَرْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا ﴾ ^(١) [الحديد: ١٣] .

ومثل هذا قال الفراء ، فقال : إنما قال : ﴿ ذَهَبَ اللَّهُ يَنْوِرِهِمْ ﴾ ؛ لأن المعنى ذهب إلى المنافقين ^(٢) . فعلى قول هذين ^(٣) : النور كان للمنافقين فأذهب الله ، والكناية راجعة إليهم ^(٤) .

وكان يجب في حق النظم أن يكون اللفظ ^(٥) : (فلما أضاءت ما حوله أطفأ الله ناره) ليشاكل جواب (لما) معنى هذه القصة ^(٦) . ولكن لما كان إطفاء النار مثلاً لإذهاب نورهم ، أقيم ذهاب النور مقام الإطفاء ، وجعل جواب (لما) ^(٧) اختصاراً وإيجازاً ، وهذا طريق حسن في الآية .

(١) كلام الزجاج في معاني القرآن ٥٩ / ١ .

(٢) قال الفراء بعد هذا : « . . . فجمع لذلك ، ولو وحد لكان صواباً . . . » ، معاني القرآن ١٥ / ١ ، ومعنى كلام الفراء : أن المعنى انصرف إلى المنافقين ، وليس للذي استوقد ناراً ، ولو كان المعنى له لقال : بنوره . وقول الفراء (لو وحد لكان صواباً) أسلوب لا يتناسب مع كلام الله ؛ لأن ما قال الله هو الصواب لا غيره .

(٣) أي قول الزجاج والفراء .

(٤) وإلى هذا ذهب الطبري وغيره . والمعنى عند الطبري : فلما أضاءت ما حوله : ذلك أن المنافق لم يزل مستضيئاً بضوء القول الذي قاله منافقاً في حياته ، ثم في يوم القيامة انطفأ ذلك النور ، وقال : الهاء والميم في (بنورهم) عائد على (الهاء والميم) في قوله : (مثلهم) . تفسير الطبري ١٤٥ / ١ ، وبعضهم قال : (الهاء والميم) تعود على (الذي) . انظر : تفسير القرطبي ١٨٣ / ١ .

(٥) (أن يكون اللفظ) ساقط من (ب) .

(٦) هذا التعبير لا يناسب مقام كتاب الله ، وإن كان للعبارة وجه من الاحتمال ، لكن الأولى استعمال الألفاظ والأساليب التي تليق بكلام الله الذي هو في قمة الفصاحة والبلاغة ، والله سبحانه قال : ﴿ ذَهَبَ اللَّهُ يَنْوِرِهِمْ ﴾ ، وهذا أبلغ مما ذكر الواحدي في قوله : (أطفأ الله ناره) ، فالنار إذا انطفأت يمكن إبقاها ، ولكن إذا ذهب نورها وسلب فلا فائدة فيها . وكذا قوله : (وهذا طريق حسن في الآية) ، وهل هناك أحسن مما تكلم الله به ؟ .

(٧) للعلماء في جواب (لما) قولان : أحدهما : أنه محذوف تقديره : (خدت وانطفأت) ، وهذا رأي الطبري في تفسيره ١٤٥ / ١ ، والزخشري في الكشف ١٩٨ / ١ ، وقد انتصرا لهذا الوجه ورجحاه . =

وفيها طريق آخر : وهو أن ﴿الَّذِي﴾ في قوله : ﴿الَّذِي أَسْتَوَقَدَ نَارًا﴾ المراد به الجماعة . وهو مذهب ابن قتيبة^(١) وابن الأنباري . أما ابن قتيبة فقال : ﴿الَّذِي﴾ قد يأتي مؤدياً عن الجمع^(٢) ، واحتج بقول الشاعر :

وإنَّ الذي حانتِ بفلجٍ دِمَاؤُهُمْ
هُمُ الْقَوْمُ كُلُّ الْقَوْمِ يَا أُمَّ خَالِدٍ^(٣)

ويقال في الواحد : (اللد) ، وفي الثنية : (اللذا) ، وهو لغة لبعض العرب قد وردت في الأشعار^(٤) . وقال ابن الأنباري : (الذي) في هذه الآية واحد في معنى

ورد أبو حيان قول الزمخشري ، وقال : « لا ينبغي أن يفسر كلام الله بغير ما يحتمله ولا أن يزداد فيه ، بل يكون الشرح طبق المشروح من غير زيادة عليه ولا نقص منه . . . » . انظر : البحر المحيط ١/ ٧٩ ، وتفسير القرطبي ١/ ١٢٩ ، والدر المصون ١/ ١٦٢ .

(١) هو أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ، وقيل : المروزي ، النحوي اللغوي ، سكن في بغداد ، له المصنفات المشهورة ٢٢٣-٢٧٦ هـ . انظر : طبقات النحويين واللغويين ١٨٣ ، وإنباه الرواة ٢/ ١٤٣ ، وتاريخ بغداد ١٠/ ١٧٠ ، ووفيات الأعيان ٣/ ٤٢ .

(٢) انظر : تأويل مشكل القرآن ٣٦١ ، والكشاف ١/ ١٩٦ ، وإملاء ما من به الرحمن ١/ ٢٠ .

(٣) البيت للأشهب بن رملة ، وهو من (شواهد سيبويه) ، استشهد به على حذف النون من (الذين) عند طول الصلة . الكتاب ١/ ١٨٧ ، وكذا في المقتضب ٤/ ١٤٦ ، وفي تأويل مشكل القرآن ٣٦١ ، وتفسير الطبري ١/ ١٤١ ، والمنصف ١/ ٦٧ ، وزاد المسير ١/ ٤٠ ، وتفسير القرطبي ١/ ١٢٩ ، والخزانة ٦/ ٢٥ ، وشرح المفصل ٣/ ١٥٤-١٥٥ ، وجمع الهوامع ١/ ٦٨ ، ٤/ ٣٨٠ ، والدر المصون ١/ ١٥٧ ، ومغني اللبيب ١/ ١٩٤ ، والبحر المحيط ١/ ٧٦ ، ومعجم البلدان ٤/ ٢٧٢ ، وقال ياقوت : فلج : واد بين البصرة وحى ضرية ، وقيل : طريق تأخذ من طريق البصرة إلى اليمامة . وقعت فيه الوقعة التي يصفها الشاعر ، هم القوم كل القوم ، أي الكاملون في قوميتهم . فاعلمي ذلك وابكي عليهم يا أم خالد .

(٤) في (الذي) لغات منها : إثبات الياء ، وحذفها مع بقاء الكسرة ، وحذف الياء مع إسكان الذال ، وتشديد الياء مكسورة ، ومضمومة . انظر : البحر المحيط ١/ ٧٤ ، والدر المصون ١/ ١٥٩ ، وقال : « قال بعضهم : وقولهم هذه لغات ليس جيداً ، لأن هذه لم ترد إلا ضرورة ، فلا ينبغي أن تسمى لغات » ، ١/ ١٥٩ ، وانظر : شرح المفصل ٣/ ١٥٤ .

الجمع^(١)، وليس على ما ذكره ابن قتيبة؛ لأن (الذي) في البيت الذي احتج به جمع واحد (اللد)، والذي في الآية واحد في اللفظ لا^(٢) واحد له، ولكن المراد منه الجمع^(٣). وجاز أن يوضع (الذي) موضع (الذين) لأنه مبهم يحتمل الوجوه في مثل^(٤) قول الناس: (أوصي بإبلي للذي^(٥) غزا وحج)، معناه: للغازين والحاجين. [ومثله: (من) و(ما)^(٦)]. ووحد الفعل في (استوقد)؛ لأن (الذي) وإن أريد به الجمع فهو موضوع للواحد^(٧). فهذا الاختلاف بينهما^(٨) في لفظ (الذي) واتفقا أن المراد به الجمع^(٩).

وعلى هذا القول، الكناية في قوله: ﴿يُنُورِهِمْ﴾ راجعة إلى المستوقدين^(١٠)، وهو جواب (فلما) في الظاهر، والمعنى جميعاً^(١١). وإنما قال: بنورهم والمذكور في

- (١) ذكر نحوه الأخفش في معاني القرآن ٢٠٩/١، وزاد المسير ٣٩/١، والدر المصون ١٥٦/١.
- (٢) في (ج) و(أ): (في اللفظ واحد له)، وفي (أ) صححت في الهامش بإضافة (لا).
- (٣) وقدر الطبري على ابن قتيبة، فقال: «وقد زعم بعض أهل العربية من أهل البصرة: أن (الذي) في قوله: ﴿كَمْثَلِي أَلَّذِي أَسْتَوْفَدَ نَارًا﴾ بمعنى (الذين) كما قال جل ثناؤه: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ﴾ [الزمر: ٣٣]. وكما قال الشاعر: فإن الذي... البيت ثم قال: وقد أغفل قائل ذلك فرق ما بين (الذي) في الآيتين والبيت... وغير جائز لأحد نقل الكلمة، التي هي الأغلب في استعمال العرب على معنى، إلى غيره إلا بحجة يجب التسليم لها». تفسير الطبري ١٤١/١، وانظر: البحر ٧٧/١، والدر المصون ١٥٧/١.
- (٤) (مثل) ساقط من (ب).
- (٥) في (ب): الذي.
- (٦) انظر: البحر ٧٤/١.
- (٧) فأعاد الضمير في (استوقد) إلى لفظ (الذي). انظر: الدر المصون ١٥٧/١.
- (٨) بين أبي قتيبة وابن الأنباري.
- (٩) ما بين المعقوفين فيه سقط، وتقديم وتأخير في (ب).
- (١٠) وقيل: يعود على معنى (الذي). انظر: تفسير ابن عطية ١٨٢/١، والدر المصون ١٦٣/١.
- (١١) وهذا بخلاف قول الفراء والزجاج، فإنه جواب (فلما) حسب الظاهر فقط؛ لأن المعنى على قوليهما راجع إلى المناققين لا إلى المستوقدين، ولهذا ادعى بعضهم أن جواب (لما) محذوف وهو طفئت أو خمدت، كما مر قريباً. وهو قول الطبري والزمخشري. انظر: تفسير الطبري ١٤٣/١، والكشاف ١٩٨/١.

أول الآية النار ؛ لأن النار شيئان ، النار والحرارة ، والنور هاهنا كان أجدى^(١) المنفعتين^(٢) .

وذكر صاحب النظم في الآية طريقة ثالثة ، وهو أنه قال : العلة في توحيد ﴿الَّذِي﴾^(٣) وجمع الكناية في قوله : ﴿يُنُورِهِمْ﴾ أن المستوقد كان واحداً من جماعة تولّى الاستيقاد لهم ، وكانت الكناية في الاستيقاد عنه خصوصاً من دون أصحابه لتوليه ذلك من دونهم ، فلما ذهب الضوء ، رجع ذهابه عليهم جميعاً ، فرجع الخبر إلى جماعتهم لما عمّوا به .

١٨ . قوله تعالى : ﴿صُمُّ بِكُمْ عُمًى﴾ . (الصم) : جمع الأصم ، وهو الذي به صمم ، وهو انسداد الأذن ، ويقال : رمح أصم : إذا لم يكن أجوف ، وصخرة صماء : إذا كانت صلبة ، والصمام ما يسد^(٤) به رأس القارورة ، هذا أصله في اللغة^(٥) . ولما كان الانسداد يؤدي إلى الشدة والصلابة قيل للصخرة الشديدة : صماء . وارتفع (صم) على الاستئناف ، كأنه لما تم الكلام الأول استأنف ، فقال : صم ، أي هم صم^(٦) .

(١) في (ج) : (أحدى) .

(٢) تفسير الثعلبي ٥٣/١ ب ، وانظر : تفسير البيضاوي ١١/١ ، وتفسير أبي السعود ٥٠/١ ، وتفسير القاسمي ٦٢/٢ .

(٣) الذي ساقطة من (ب) .

(٤) في (أ) و(ج) : (يشد) بالشين ، وما في (ب) موافق لما في كتب اللغة ، وهو ما أثبتته .

(٥) انظر : تهذيب اللغة (صم) ٢/٢٠٥٨ ، والصحاح (صمم) ٥/١٩٦٧ ، ومقاييس اللغة (صمم) ٣/٢٧٨ ، ومفردات الراغب ٢٨٦ ، وتفسير القرطبي ١/١٨٥ .

(٦) قال ابن جرير : «... يأتيه الرفع من وجهين ، والنصب من وجهين . فأما أحد وجهي الرفع : فعلى الاستئناف لما فيه من الذم... والوجه الآخر : على نية التكرار من (أولئك)... فأما على تأويل ماروينا عن ابن عباس من غير وجه رواية علي بن أبي طلحة عنه ، فإنه لا يجوز فيه الرفع إلا من وجه واحد ، وهو الاستئناف... والقراءة التي هي القراءة ، الرفع من دون النصب... » ، تفسير الطبري ١/١٤٦ .

وقال أبو إسحاق^(١) : كأنه قال : هؤلاء الذين قصتهم ما مضى (صم)^(٢) . ويجوز الاستئناف قبل تمام القصة ، كقوله تعالى : ﴿ جَزَاءُ مَن رَّبَّكَ عَطَاءٌ حِسَابًا ﴾ [النبا: ٣٦] ، ثم قال : ﴿ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾^(٣) ، وقال أيضاً : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ ﴾^(٤) [التوبة: ١١١] ، ثم قال : ﴿ التَّائِبُونَ ﴾ [التوبة: ١١٢]^(٥) . وقال النابغة :

تَوَهَّمْتُ آيَاتٍ لَهَا فَعَرَفْتُهَا

لَسْتَهُ أَعْوَامٌ وَذَا الْعَامُ سَابِعٌ^(٦)

ثم قال : (رماد)^(٧) فاستأنف ، ولم يبدل^(٨) .

(١) الزَّجَّاج .

(٢) معاني القرآن للزَّجَّاج ٥٩ / ١ ، ونقل كلام الزَّجَّاج بمعناه .

(٣) قال الفراء : « ولو تم الكلام ولم تكن آية ، لجاز أيضاً الاستئناف ، قال تعالى : ﴿ جَزَاءُ مَن رَّبَّكَ عَطَاءٌ حِسَابًا ﴾ [٣٦] رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ » . (الرحمن) : يرفع ويخفض في الإعراب وليس الذي قبله بآخرة . معاني القرآن ١٦ / ١ . وما ذكره الواحدي يتم على قراءة الرفع في (رب) ، وبها قرأ ابن كثير ، ونافع ، وأبو عمرو . انظر : السبعة ٦٦٩ ، والقطع والائتناف للنحاس ٧٥٩ ، والغاية ٢٨٦ .

(٤) (وأموالهم) ساقط من (أ) و(ج) .

(٥) ذكره الفراء إذ قال : فأما ما جاء في رؤوس الآيات مستأنفاً فكثير ، من ذلك . . . ثم ذكره معاني القرآن ١٦ / ١ .

(٦) البيت للنابغة الذبياني يمدح النعمان ، ومعنى توهمت ، أي لم يعرفها إلا توهماً خلفاء معالمها ، آيات :

علامات للدار وما بقي من آثارها ، لسته أعوام ، أي بعد ستة أعوام ، ثم قال بعده :

رَمَادٌ كَكُحْلِ الْعَيْنِ لَأَيًّا أَبْيَنُهُ وَنَوِيٌّ كَجِذْمِ الْحَوْضِ أَثْلَمُ خَاشِعُ

ومعنى لأياً أبينه ، أي أثبتته بصعوبة خلفائه . البيت من شواهد سيبويه ٨٦ / ٢ ، والمقتضب ٣٢٢ / ٤ ، وهو في ديوان النابغة ٥٣ ، ومجاز القرآن ٣٣ .

(٧) أي في البيت الذي بعد سبق ذكره .

(٨) ذكره أبو عبيدة . انظر : مجاز القرآن ٣٣ .

قال أهل المعاني : وإنما وصفهم الله تعالى بالصم^(١) لتركهم قبول ما يسمعون ،
والعرب تقول لمن يسمع ولا يعمل على ما يسمعه : أصم . قال الشاعر :

أَصَمُّ عَمَّا سَاءَهُ سَمِيعٌ^(٢)

و(بكم) عن الخير ، فلا^(٣) يقولونه ، و(عمي) ؛ لأنهم في تركهم ما يبصرون من
الهداية بمنزلة العمى^(٤) . وقوله تعالى : ﴿ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ ، أي إلى الإسلام ، أو عن الجهل
والعمى^(٥) . قال محمد بن جرير : هذه الآية معناها التقديم والتأخير ، والتقدير :
(وما كانوا مهتدين صم بكم . . .) الآية ، ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي ﴾ [البقرة: ١٧] ،
﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ ﴾ [البقرة: ١٩] ، مثل آخر عطف على الأول .

قال : لأن قوله : ﴿ وَتَرَكُّهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ [البقرة: ١٧] في الآخرة ، إذا
قلنا : إنه وصف المنافقين^(٦) ، والخبر بأنهم صم بكم في الدنيا ، فلهذا قلنا : إن هذا
على التقديم والتأخير^(٧) . وقال غيره : يجوز أن يعترض ذكر حالهم في الدنيا بعد
وصف حالهم في الآخرة .

(١) في (ب) : (بالصم) .

(٢) ورد هذا الرجز في تهذيب اللغة (صمم) ٢/٢٠٥٨ ، واللسان (صمم) ٤/٢٥٠٠ ، وشرح الحماسة
للمرزوقي ٣/١٤٥٠ ، والكشاف ١/٢٠٤ ، وتفسير القرطبي ١/١٨٦ ، وجميعها من دون نسبة ،
ومعناه : هو أصم عما لا يليق به ، معرض عما ساءه مع أنه يملك السمع .

(٣) في (أ) و(ج) : (ولا) ، وما في (ب) أولى لصحة المعنى .

(٤) انظر : تفسير الطبري ١/١٤٦ ، وتفسير أبي الليث ١/٩٩ ، وتفسير البغوي ١/٦٩ ، وتفسير أبي
الليث ١/٥٤ ، والبحر ١/٨١ ، ٨٢ .

(٥) انظر : تفسير الطبري ١/١٤٦ ، وتفسير الثعلبي ١/٥٤ .

(٦) في (ج) : (للمنافقين) .

(٧) ذكر كلام ابن جرير بمعناه . انظر : تفسير ابن جرير ١/١٤٦ .

١٩. قوله تعالى: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ﴾. ﴿أَوْ﴾ دخلت هاهنا للإباحة^(١)، لا للشك^(٢)، ومعناه أن التمثيل مباح لكم، إن مثلتموهم بالذي استوقد ناراً، فهو مثلهم، [أو بأصحاب الصيب فهو مثلهم]^(٣)، أو بهما جميعاً، فهما مثلاًهم^(٤)، كما تقول: جالس الحسن أو ابن سيرين، إن^(٥) جالست أحدهما فأنت مطيع، [وإن جمعتهما فأنت مطيع]^(٦). ومثله قوله: ﴿فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ [البقرة: ٧٤]، هذا قول جميع أصحاب المعاني^(٧).

وقال ابن الأنباري: ﴿أَوْ﴾ دخلت للتمييز والتفصيل^(٨)، المعنى بعضهم يشبهون الذي استوقد ناراً، وبعضهم يشبهون أصحاب الصيب، ومثله قوله: ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى﴾ [البقرة: ١٣٥]، [معناه: قال بعضهم: كونوا هوداً، وهم اليهود، وقال بعضهم: كونوا نصارى]^(٩)، وهم النصارى، فدخلت (أو) لمعنى التفصيل، ومثله قوله: ﴿فَجَاءَهَا بِأُسْنَابَيْتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ﴾ [الأعراف: ٤]، معناه^(١٠): فجاء^(١١) بعض أهلها بأُسْنَابَيْتًا، وجاء

(١) وقيل: للتخيير، انظر: تفسير أبي الليث ٩٩/١، وتفسير ابن عطية ١٨٩/١، وتفسير القرطبي

١٨٦/١، والدر المصون ١٦٧/١، والكشاف ٢١٣/١.

(٢) ذكر السمين الحلبي أحد الأقوال فيها: أنها للشك. الدر المصون ١٦٧/١.

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٤) في (ج): (مثالهم).

(٥) في (ب): (إذا).

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٧) بل قول بعضهم، وما ذكره الواحدي هو كلام الزجاج. انظر: معاني القرآن ١/٦٢، ١٢٩، وانظر: البيان في غريب إعراب القرآن ١/٦٠، ونسب الثعلبي إلى أهل المعاني أنها بمعنى: (الواو)، ١/٥٤.

(٨) في (ب): (فالتفصيل).

(٩) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(١٠) قوله: ﴿أَوْ هُمْ قَائِلُونَ﴾: معناه... ساقط من (ب).

(١١) في (ب): (وجاء).

بعض أهلها في وقت القيلولة^(١). وقيل: إنَّ (أو) هاهنا بمعنى الواو^(٢)، كقول جرير:

نَالَ الْخِلَافَةَ أَوْ كَانَتْ لَهُ قَدْرًا كَمَا أَتَى رَبَّهُ مُوسَى عَلَى قَدَرٍ^(٣)
وقال توبة^(٤):

وَقَدْ زَعَمْتُ سَلَمَى بِأَنِّي فَاجِرٌ لِنَفْسِي تُقَاهَا أَوْ عَلَيَّهَا فُجُورُهَا^(٥)

(١) ذكره المرتضى في أماليه ٢/ ٥٤، ٥٥، ولم ينسب إلى ابن الأنباري، وذكره ابن الجوزي في زاد المسير ١/ ٤٢، وذكره السمين الحلبي، وقال: وهو الأظهر، الدر المصون ١/ ١٦٧.

(٢) في (ب): (بمعنى الواحد). وهو قول الطبري في تفسيره ١/ ١٤٩، وذكره أبو الليث في تفسيره ١/ ٩٩، والفرّاء في تفسيره ١/ ١٧، والثعلبي في تفسيره ١/ ٥٤، والقرطبي في تفسيره ١/ ١٨٦، والسمين في الدر المصون ١/ ١٦٧. وقد رد ابن عطية على الطبري قوله: (إنها بمعنى: الواو)، وقال: (وهذه عجمة). انظر: تفسير ابن عطية ١/ ١٨٩. قلت: كيف تكون عجمة، وقد قال به جمهور من المفسرين، وهو أحد (المعاني) التي تأتي (أو) عليها؟ انظر: تأويل مشكل القرآن ٥٤٣، والأضداد لابن الأنباري ٢٧٩، وزاد المسير ١/ ٤٢، ومغني اللبيب ١/ ٦١. والقول إن (أو) تأتي بمعنى (الواو) هو مذهب الكوفيين، أما البصريون فيمنعون ذلك. انظر: الإنصاف ٣٨٣. وخلاصة الأقوال في (أو) في الآية، هي:

١. أنها للشك بمعنى أن الناظر يشك في تشبيههم.

٢. أنها للتخيير.

٣. أنها للتفصيل.

٤. بمعنى الواو.

٥. بمعنى بل.

(٣) البيت لجرير من قصيدة يمدح بها عمر بن عبدالعزيز، انظر: الديوان ٢١١، وفيه: (إذا كانت له قدراً)، فلا شاهد فيه هنا، وورد البيت في تفسير الطبري ١/ ١٤٩، والأضداد لابن الأنباري ٢٧٩، وأمالي المرتضى ٢/ ٥٧، وتفسير السجاوندي ١/ ٣٢، ومخطوط، همع الهوامع ١/ ١٦٧، ومغني اللبيب ١/ ٦٢، والدر المصون ١/ ١٦٧.

(٤) هو توبة بن الحُمَيْر من بني عقيل بن كعب، وكان شاعراً لصباً، أحد العشاق، صاحب ليلي. انظر: الشعر والشعراء ٢٨٩.

(٥) رواية البيت المشهورة: (وقد زعمت ليلي...)، فهو يذكر محبوبته ليلي الأخيلية. انظر: أمالي =

قال النحويون : المعنى أو كأصحاب صَيَّب^(١) ، فحذف المضاف لدلالة باقي الكلام عليه^(٢) ، وهو قوله تعالى : ﴿يَجْعَلُونَ أَصْنَعُهُمْ﴾ . و(الصيب) من المطر : الشديد ، من قولهم : صاب يصوب ، إذا نزل من علو إلى أسفل^(٣) .

قال :

تَنَزَّلَ مِنْ جَوْ السَّمَاءِ يَصُوبُ^(٤)

وأصله (صَيُوب)^(٥) ، فسبقت الياء الواو [بالسكون ، فصيرتا (ياء مشددة) كما قالوا : سيّد وميّت وهين ، وهو أصل مطرد في الياء والواو]^(٦) إذا^(٧) اجتمعتا

- = المرتضى ٥٧/٢ ، تفسير الطبري : ١٤٩/١ ، والأضداد لابن الأنباري ٢٧٩ ، وتفسير الثعلبي ١/٥٤ ، وأملالي القالي ١/٨٨ ، ١٣١ ، وجمع الهوامع ٥/٢٤٨ ، ومغني اللبيب ١/٦١ .
- (١) انظر : معاني القرآن للزجاج ١/٦٠ ، والبيان في غريب إعراب القرآن ١/٦٠ ، وقال الفراء : (أو كمثل صيب) . معاني القرآن ١/١٧ ، ونحوه ذكر الطبري في تفسيره ١/١٤٩ .
- (٢) لأن الواو في (يجعلون) تدل على المضاف المقدر وهو (أصحاب) ، فهو - وإن حذف - فمعناه باق فيجوز أن يعود عليه الضمير .
- (٣) انظر : معاني القرآن للزجاج ١/٦٠ ، وتفسير الطبري ١/١٤٨ ، وغريب القرآن لابن قتيبة ١/٢٥ ، وغريب القرآن لليزيدي ٦٥ .
- (٤) عجز بيت ، وشطره الأول :

فَلَسْتُ لِإِنْسِيٍّ وَلَكِنْ لِمَلَأِكْ

نسبه بعضهم إلى علقمة بن الفحل ، يمدح الحارث بن جبلة ، وقيل : لرجل من عبد القيس جاهلي ، يمدح بعض الملوك ، قاله أبو عبيدة ، وقيل : لأبي وجزة السعدي يمدح عبدالله بن الزبير . ورد البيت في الكتاب ٤/٣٨٠ ، وتفسير الطبري ١/١٤٨ ، والمفضليات ٣٩٤ ، ومجاز القرآن ٣٣ ، والمنصف ٢/١٠٢ ، والجمل للزجاجي ٤٧ ، وإملاء ما من به الرحمن ١/٢٨ ، وتفسير ابن عطية ١/١٨٩ ، والاشتقاق لابن دريد ٢٦ ، واللسان (صوب) ١/٢٥١٩ ، و(ألك) ١/١١١ ، والدر المصون ١/١٦٨ .

(٥) في (ب) : (صيوب) .

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من (ب) .

(٧) في (ب) : (وإذا) .

وإحداهما^(١) ساكنة ، تقدمت الواو وتأخرت^(٢) ، فالمتأخرة كما ذكرنا ، والمتقدمة كقولهم : (لويت يده^(٣) ليًا) . هذا مذهب البصريين^(٤) . وعند الكوفيين : أن أصله (صيب)^(٥) على وزن (فَعِيل) ، فاستثقلت^(٦) الكسرة على الياء فسكنت ، وأدغمت إحداهما في الأخرى ، وحركت إلى الكسرة .

وقوله تعالى : ﴿مِنَ السَّمَاءِ﴾ . قال [الزَّجَّاج]^(٧) : السماء في اللغة : يقال لكل ما ارتفع وعلا : قد سما يسمو ، وكل سقف فهو سماء ، ومن هذا قيل للسحاب : سماء لأنها عالية^(٨) . الأزهري : و(السماء) عند العرب مؤنثة ؛ لأنها جمع (سماءة)^(٩) ، و(السماءة) أصلها سَمَاوَة فاعلم . وإذا ذكرت العرب السماء عنوا بها السقف^(١٠) .

- (١) في (ب) : (وأحديهما) .
- (٢) هكذا في النسخ جميعها ، ولعل الصواب : (أو تأخرت) . والله أعلم .
- (٣) في (أ) و(ب) : (مدّه ليا) . أصل (ليًا) (لويًا) ، فقلبت الواو ياء وإدغمت في الياء ، انظر : سر صناعة الإعراب ٥٨٥ / ٢ .
- (٤) انظر : تفسير الثعلبي ٥٤ / ١ ، وتفسير الطبري ١٤٨ / ١ ، وإعراب القرآن للنحاس ١٤٣ / ١ - ١٤٤ ، والإملاء ٢٢ / ١ ، وتفسير ابن عطية ١٨٩ / ١ ، والإنصاف ٦٣٩ .
- (٥) في (أ) و(ب) : (صيب) ، وما في (ج) موافق لما عند الثعلبي ، وهو ما أثبتته . وقيل : أصله عندهم (صَوَيْب) ، ورُدَّ بأنه لو كان كذلك لصحت (الواو) كما تصح في (طوبيل) . انظر : إعراب القرآن للنحاس ١٤٣ / ١ ، ١٤٤ ، والإملاء ٢٢ / ١ ، والإنصاف ٦٣٩ ، وتفسير ابن عطية ١٨٩ / ١ ، وتفسير القرطبي ١٨٦ / ١ .
- (٦) في (ب) : (فاستثقلت) .
- (٧) في النسخ جميعها : (الرجال) ، والصحيح (الزَّجَّاج) ، كما في تهذيب اللغة (سما) ١٧٤٧ / ٢ .
- (٨) انظر : كلام الزَّجَّاج في معاني القرآن ٧٥ / ١ ، والتهذيب (سما) ١٧٤٨ / ٢ ، والنص من التهذيب .
- (٩) في التهذيب : (وسبق الجمع الوجدان فيها) ، ١٧٤٧ / ٢ .
- (١٠) تهذيب اللغة (سما) ١٧٤٨ / ٢ .

وأما (الرعد)، فقال ابن عباس: الرعد ملك يسوق السحاب، كما يسوق الحادي الإبل بحدائه^(١). وكذلك قال مجاهد وطاووس^(٢) وعكرمة وأصحاب ابن عباس: إن الرعد ملك يسوق السحاب، والرعد الذي هو الصوت سمي باسمه^(٣).

وكتب ابن عباس إلى أبي^(٤) الجَلَد يسأله عن الرعد، فقال: هو ريح يَخْتَنق تحت السماء وفوق السحاب^(٥). وسئل علي - رضي الله عنه - عن الرعد، فقال:

(١) في (ج): (بحاديه). ذكره (الطبري) بسنده عن الضحاك، وعن السدي عن أبي مالك، وعن مجاهد، وعن شهر بن حوشب، وكلهم عن ابن عباس. انظر: تفسير الطبري ١/ ١٥٠-١٥١، وقد أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس مرفوعاً في سؤال اليهود للرسول ﷺ، وفيه: «ملك من ملائكة الله موكل بالسحاب»، قال المحقق: (إسناده حسن). انظر: تفسير ابن أبي حاتم ١/ ٢٢١، ورسالة دكتوراه، وأخرجه أحمد في مسنده، قال أحمد شاكر: (إسناده صحيح). انظر: مسند أحمد بتحقيق أحمد شاكر ٤/ ١٦١، ٣٤٨٣، وذكر الحديث الشوكاني في فتح القدير، وقال: في إسناده مقال. فتح القدير ١/ ٧٧.

(٢) هو أبو عبد الرحمن طاووس بن كيسان الخولاني الهمداني البجلي، من أبناء الفرس، أحد أعلام التابعين، ومن كبار أصحاب ابن عباس، توفي سنة خمس ومائة، وقيل: ست. انظر: ترجمته في وفيات الأعيان ٢/ ٥٠٩، وسير أعلام النبلاء ٥/ ٣٨، وتهذيب التهذيب ٢/ ٢٣٥، وغاية النهاية ١/ ٣٤١.

(٣) انظر: الروايات عنهم في تفسير الطبري ١/ ١٥٠، ١٥١، وتفسير الثعلبي ١/ ٥٥، وزاد المسير ١/ ٤٣، وتفسير ابن عطية ١/ ١٨٩، وتفسير البغوي ١/ ٦٩، وتفسير القرطبي ١/ ٢١٧، وفتح القدير ١/ ٧٧.

(٤) في (ب): (أبي الخلد)، هو أبو الجَلَد بفتح الجيم وسكون اللام، جيلان بن أبي فروة الأسدي البصري، وجيلان بكسر الجيم، وثقه أحمد. انظر: الجرح والتعديل ٢/ ٥٤٧، وطبقات ابن سعد ٧/ ٢٢٢.

(٥) أخرجه الطبري من طرق في تفسيره ١/ ١٥٢، وابن أبي حاتم تفسير ابن أبي حاتم ١/ ٢٢٢، وقال المحقق: إسناده حسن.

ملك ، وعن البرق ، فقال : مخاريق بأيدي الملائكة من حديد^(١) . وسئل وهب بن منبه^(٢) عن الرعد ، فقال : الله أعلم^(٣) .

ويقال : برقت السماء ورعدت ، ومنه يقال : برق الرجل ورعد ، إذا تهدد وأوعد^(٤) . وأبرق وأرعد أيضاً في قول أبي عبيدة ، وأنكره الأصمعي . وكلهم يقول : أبرقنا وأرعدنا بمكان كذا ، أي رأينا البرق والرعد^(٥) . والبارق السحاب ذو البرق ، وكذلك البارقة^(٦) .

وأما (الصواعق) ، فهي جمع صاعقة ، والصاعقة والصعقة : الصيحة يُغشى منها على من يسمعها أو يموت^(٧) . قال الله عز وجل : ﴿ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ ﴾ [الرعد : ١٣] يعني أصوات الرعد ، ويقال لها : الصواعق^(٨) أيضاً ، ومنه

-
- (١) أخرجه الطبري بروايتين ، إحداهما عن الرعد ، والأخرى عن البرق ، تفسير الطبري ١/ ١٥١ ، ١٥٢ ، وأخرج ابن أبي حاتم عنه في (البرق) في تفسيره ١/ ٥٥ ، ونحوه في تفسير الثعلبي ١/ ١٥٥ ، وانظر : تفسير القرطبي ١/ ١٨٧ ، ١٨٨ .
- (٢) أبو عبدالله وهب بن منبه الياني ، صاحب القصص والأخبار ، كانت له معرفة بأخبار الأوائل والأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه ، وثقه أكثرهم ، وضعفه عمرو بن علي الفلاس . توفي سنة عشر ومائة . وقيل : ست عشرة ، وبينهما أقوال . انظر : طبقات ابن سعد ٥/ ٥٤٣ ، وحلية الأولياء ٤/ ٢٣ ، ووفيات الأعيان ٦/ ٣٥ ، وتهذيب التهذيب ٤/ ٣٣٢ .
- (٣) ما أحسن هذا الجواب ! والله لم يكلف الأمة بعلمه ، لا سيما أن مثل هذا لا يثبت إلا بنص صحيح صريح ، أو بدلالة حسية جازمة ، والعلم به لا يتعلق به حكم من الأحكام ، والله أخبر أن الرعد يسبح بحمده ، وهو دلالة على عظمة الخالق سبحانه .
- (٤) ذكره الأزهري عن الأصمعي . التهذيب (برق) ١/ ٣١٥ ، وانظر : مقاييس اللغة (برق) ١/ ٢٢٣ .
- (٥) التهذيب (برق) ١/ ٣١٥ ، ومعجم مقاييس اللغة ١/ ٢٢٣ .
- (٦) تهذيب اللغة (برق) ٩/ ١٣٢ ، ومعجم مقاييس اللغة ١/ ٢٢٢ .
- (٧) وقيل : الصاعقة قطعة من نار تسقط بأثر الرعد ، لا تأتي على شيء إلا أحرقت . انظر : اللسان (صعق) ٤/ ٢٤٥٠ .
- (٨) بتقديم القاف على العين .

قول الأخطل :

كَأَنَّمَا كَانُوا غُرَابًا وَاقِعَا فَطَارَ لَمَّا أَبْصَرَ الصَّوَاقِعَا^(١)

ويقال : أصعقته الصيحة ، أي قتلته . وأنشد الفرّاء :

أَحَادَ وَمِثْنَى أَصْعَقَتْهَا صَوَاهِلُهُ^(٢)

أي قتلها صوته .

ويقال للرعْد والبرق إذا [قتلا]^(٣) إنساناً : أصابته صاعقة ، وقال لبيد يرثي أخاه أُرْبَدَ^(٤) :

فَجَعَنِي الرَّعْدُ وَالصَّوَاعِقُ بَالًا فَفَارِسَ يَوْمَ الْكَرْبِ هَةِ النَّجْدِ^(٥)

(١) أنشده الأزهري في تهذيب اللغة (صقع) ١٠١٨/٢ ، وورد في اللسان (صقع) ٢٤٧١/٤ ، وفي شعر الأخطل ورد شطره الأول ، ٣١٠ . نقله من تهذيب اللغة (صقع) ١٠١٨/٢ .

(٢) البيت لابن مقبل ، يصف فرساً بشدة الصهيل ، وأن صهيله يقتل الذباب ، وهي النعرات : ذباب يسقط على الدواب ، واللبان : الصدر . وشطر البيت الأول :
تَرَى النُّعْرَاتِ الزُّرْقَ تَحْتَ لَبَانِهِ

انظر : أمالي المرتضى ١٩١/٢ ، والمشوف المعلم في ترتيب الإصحاح ٧٧٨/٢ ، وتهذيب اللغة (صقع) ٢٠١٨/٢ ، والصحاح (صقع) ١٥٠٧/٤ ، واللسان (صقع) ٢٤٥٠/٤ ، وجمع الهوامع ٨٣/١ ، وتفسير القرطبي ١٩٠/١ ، وديوان ابن مقبل ٢٥٢ .

(٣) في النسخ جميعها : (قتل) . وأثبت ما في تهذيب اللغة ٢٠١٨/٢ .

(٤) (أُرْبَدَ) أخوه لأمه ، وهو ابن عمه ، وكانت قد أصابته صاعقة ، لما دعا عليه الرسول ﷺ . انظر : الشعر والشعراء ١٦٩ ، وسيرة ابن هشام ٢٣٦/٢ ، والخزانة ٢٥٠/٢ ، ٨١/٣ .

(٥) البيت للبيد يرثي أخاه وقد أصابته صاعقة ، انظر : التهذيب (صقع) ٢٠١٨/٢ ، واللسان (صقع) ٢٤٥٠/٤ ، وشرح ديوان لبيد ١٥٨ .

أراد بالصواعق صوت الرعد ، يدل على هذا قوله ^(١) عز وجل : ﴿يَجْعَلُونَ أَصْوَعَهُمْ فِيْءَآذَانِهِمْ مِّنَ الصَّوَاعِقِ﴾ ، ولا يَسُدُّونَ الْآذَانَ إِلَّا مِنْ شِدَّةِ صَوْتِ الرِّعْدِ ^(٢) . وقال آخرون : الصاعقة : كل عذاب مهلك ^(٣) . وقيل : الصاعقة : الصوت الشديد من الرعد ، يسقط معها قطعة نار ^(٤) .

فأما معنى الآية ، فقال المفسرون : إن الله تعالى ضرب للمنافقين مثلاً آخر ، وشبههم بأصحاب مطر ، وأراد بالمطر : القرآن ^(٥) ، وشبهه ^(٦) بالمطر لما فيه من حياة القلوب ، وعنى بالظلمات : ما في القرآن من ذكر الكفر والشرك وبيان الفتن والأهوال ، فشبها بما في المطر من الظلمات ، وشبه ما خُوفوا به من الوعيد وذكر النار بما في المطر من الرعد ، وشبه حجج القرآن وما فيه من البيان والنور والشفاء والهدى بما في المطر من البرق ، وشبه جعل المنافقين أصابعهم في آذانهم لكيلا يسمعوا ^(٧) القرآن مخافة ميل القلب إلى القرآن فيؤدي ذلك إلى الإيثار بمحمد ﷺ ، وذلك عندهم كفر ، والكفر موت ^(٨) ، أو لكيلا يسمعوا ما ينزل من القرآن بما فيه افتضاحهم بجعل ^(٩) الذي في هذا المطر أصابعه في أذنه . وتلخيص معناه :

(١) في (ب) : (قول الله) .

(٢) تهذيب اللغة (صعق) ٢٠١٨/٢ .

(٣) اللسان (صعق) ٢٤٥٠/٤ .

(٤) الصحاح (صعق) ١٥٠٦/٤ ، واللسان ٢٤٥٠/٤ ، وتفسير ابن عطية ١٩١/١ ، ١٩٢ .

(٥) انظر : تفسير أبي الليث ١٠٠/١ ، وتفسير ابن عطية ١٩٢/١ ، وبعضهم قال : الإسلام ، انظر : الكشف ٢٠٩/١ ، وأما ابن جرير فقال : «فالصيب مثل لظاهر ما أظهر المنافقون بالسنتهم من الإقرار والتصديق ، والظلمات التي هي فيه لظلمات ما هم مستبطنون من الشك والتكذيب ومرض القلب . وأما الرعد والصواعق ، فلما هم عليه من الوجل من وعيد الله إياهم على لسان رسوله ﷺ في أي كتابه . . . » . تفسير الطبري ١٥٦/١ .

(٦) في (ب) : (وشبهه) .

(٧) في (أ) و(ج) : (يسمعون) .

(٨) ذكره الثعلبي في تفسيره ١٥٦/١ .

(٩) قوله : (بجعل الذي في هذا المطر . . . إلخ) متعلق بقوله : (وشبه جعل المنافقين . . . إلخ) ، وقد ضعف =

أن أصحاب الصيب إذا اشتد^(١) عليهم وقع الصاعقة وصوت الرعد خافوا على أنفسهم الهلاك ، فسدوا آذانهم بأصابعهم ، كذلك هؤلاء المنافقين يسدّون آذانهم للمعنيّن اللذين ذكرنا .

وأمال الكسائي : ﴿ فِي آذَانِهِمْ ﴾^(٢) . قال أبو علي : « وهي حسنة لمكان كسرة^(٣) الإعراب^(٤) في النون^(٥) ، كما جازت في مررت ببابه^(٦) . ونصب ﴿ حَذَرَ الْمَوْتِ ﴾^(٧) لأنه مفعول له^(٨) . »

قال الزّجاج : وليس نصبه لسقوط اللام ، وإنما نصبه أنه في تأويل المصدر ، كأنه^(٩) قال : يحذرون حذراً^(٩) ، لأن جعل الأصابع في الآذان يدل على الحذر ،

هذا المعنى ابن جرير ، ورجح أن المراد بجعل أصابعهم في آذانهم مثلاً لاتقائهم رسول الله ﷺ والمؤمنين ، بالإقرار بما جاء به محمد ﷺ مخافة على أنفسهم من الهلاك ونزول النقات ، فيتقون بما يبدون بألستهم من ظاهر الإقرار ، كما يتقي الخائف أصوات الرعد بتصيير أصابعه في أذنيه . تفسير الطبري ١٥٧ / ١ .

(١)

في (ب) : (استدعاهم) .

(٢) رواية أبي عمر الدوري ونصير بن يوسف النحوي عن الكسائي ، وقال أبو الحارث الليث بن خالد وغيره : كان الكسائي لا يميل هذا وأشباهه ، وبقية السبعة على الفتح . انظر : السبعة لابن مجاهد ١٤٤ ، والحجة ٣٦٥ / ١ ، والكشف ١٧١ / ١ .

(٣)

في الحجة : (كثرة) ، ولعله خطأ مطبعي .

(٤)

في (ب) : (الأعراف) .

(٥) فهو يميل الألف نحو الياء لمكان الكسرة بعدها التي على النون . انظر : الكشف ١٧١ / ١ .

(٦)

في (ب) : (سانه) ، الحجة ٣٦٨ / ١ .

(٧)

(له) ساقطة من (ج) .

انظر : معاني القرآن للزّجاج ٦٣ / ١ ، وإعراب القرآن للنحاس ١٤٤ / ١ ، والبيان في غريب إعراب القرآن ٦١ / ١ .

(٨)

في (أ) و(ج) : (لأنه) ، وما في (ب) أصح في السياق ، وموافق لما في معاني القرآن للزّجاج ٦٣ / ١ .

(٩)

الزّجاج يرى أنه منصوب على أنه مفعول لأجله ، فقد قال : « وإنما نصبت (حذر الموت) لأنه مفعول له ، والمعنى يفعلون ذلك لحذر الموت . . . » ، ثم قال : « . . . كأنه قال : يحذرون حذراً . . . » . وهذا التقدير لا يتناسب مع الكلام الأول ؛ لأنه في الأخير مفعول مطلق . انظر : معاني القرآن ٦٣ / ١ .

كما قال :

وَأَغْفِرْ عَوْرَاءَ الْكَرِيمِ ادِّخَارُهُ^(١)

المعنى : لادخاره . قوله : أغفر عوراء الكريم ، معناه : أدخر الكريم^(٢) .

وقال الفراء : نصبه على التفسير كقوله : ﴿وَيَدْعُوكَ رَعْبًا وَرَهْبًا﴾ [الأنبياء : ٩٠] وكقوله : ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ [الأعراف : ٥٥] . وقوله تعالى : ﴿وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ . يقال : أحيط بفلان ، إذا دنا هلاكه ، وهو^(٣) محاط به ، قال الله تعالى : ﴿وَأُحِيطَ بِشَمْرِهِ﴾ [الكهف : ٤٢] ، أي أصابه ما أهلكه وأفسده^(٤) .

والإحاطة تستعمل بمعنى العلم^(٥) كقوله : ﴿أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق : ١٢] ، أي لم يشذ عن علمه شيء . ويستعمل بمعنى القدرة ، كأن قدرته أحاطت بهم^(٦) ، فلا محيص^(٧) لهم عنه . وجاء في التفسير أن معناه : والله مهلكهم

(١) صدر بيت لحاتم الطائي ، وعجزه :

وَأَغْرَضَ عَنْ شَتَمِ اللَّيْمِ تَكْرُمًا

ومعنى قوله عوراء : الكلمة القبيحة أو الفعل ، ادخاره : إبقاء عليه . ورد البيت في نوادر أبي زيد ٣٥٥ ، وسيبويه ٣٦٨ / ١ ، والمقتضب ٣٤٧ / ٢ ، والكمال ٢٩١ / ١ ، ومعاني القرآن للزجاج ٦٣ / ١ ، والجمل للزجاجي ٣١٩ ، وشرح المفصل ٥٤ / ٢ ، والخزانة ١٢٢ / ٣ ، وديوانه ٨١ ، وفيه : (اصطناعه) بدل (ادخاره) ، وهي رواية عند أبي زيد ، الكشف ٢١٨ / ١ .

(٢) انتهى من معاني القرآن للزجاج ٦٣ / ١ .

(٣) في التهذيب : (فهو محاط به) .

(٤) تهذيب اللغة (حاط) ٧٠٧ / ١ .

(٥) انظر : الصحاح (حوط) ١١٢١ / ٣ ، وتفسير البغوي ٧٠ / ١ .

(٦) انظر : تفسير الثعلبي ١ / ٥٥ ، وتفسير الطبري ١ / ١٥٨ .

(٧) في (ب) : (له) .

وجامعهم في النار^(١). دليله قوله: ﴿إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ﴾ [يوسف: ٦٦]، أي تهلكوا^(٢) جميعاً.

وأمال أبو عمرو والكسائي (الكافرين)^(٣) في جميع القرآن؛ لأن الكسرة لزمت الراء بعد الفاء المكسورة، والراء بها فيها من التكرير تجرى مجرى الحرفين المكسورين، وكلما كثرت الكسرات حسنت الإمالة، ولا يميلان نحو^(٤): ﴿أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ﴾ [البقرة: ٤١]؛ وذلك لأن كسرة الراء غير لازمة^(٥) لزومها في (الكافرين)^(٦).

٢٠. قوله تعالى: ﴿يَكَاذُ الْبَرُّ﴾ [البقرة: ٢٠]. (كاد) موضوع عند العرب لمقاربة^(٧) الفعل^(٨)، فإذا نفيت^(٩) في اللفظ كان في المعنى إثباتاً، وإذا أثبت كان نفياً^(١٠)، بيانه أنك تقول: كاد يضربني، فهذا إثبات في

(١) ذكره (الطبري) عن مجاهد. انظر: تفسير الطبري ١/١٥٨، وتفسير الثعلبي ١/٥٥، وتفسير ابن عطية ١/١٩٣، وتفسير البغوي ١/٧٠، وأضواء البيان ١/١١٤.

(٢) في (أ) و(ج): (يهلكوا)، وفي (ب): (تهلكوا)، وكذا في تفسير الثعلبي ١/٥٥.

(٣) وذلك إذا كان جمعاً في موضع نصب أو خفض، أما إذا كان مفرداً أو جمعاً في موضع رفع لم يمل، وبهذا قرأ أبو عمرو، والكسائي في رواية أبي عمر الدوري، ونصير بن يوسف. انظر: السبعة ١/١٤٧، والحجة ١/٣٧٩، والكشف ١/١٧٣. وبهذا قرأ قتبية ورويس، وورش بين بين، والبقية على الفتح للكاف. انظر: الغاية ٩١، وتجيير التيسير للجزري ٧٠، ٧١.

(٤) وهو المفرد المجزور. انظر: الحجة ١/٣٨٩، والكشف ١/١٩٧.

(٥) لأنها كسرة إعراب فتغير.

(٦) الحجة لأبي علي ١/٣٨٩، وانظر: الحجة لابن خالويه ٧٣، والكشف ١/١٩٧.

(٧) في (ب): (لمفارقة).

(٨) انظر: تهذيب اللغة (كاد) ٤/٣٠٧٦، ومشكل إعراب القرآن ١/٢٩، والبيان في غريب إعراب القرآن ١/٦١، وحروف المعاني للزجاجي ٦٧.

(٩) في (ب): (بقيت).

(١٠) في (ب): (بقي).

اللفظ نفى للضرب^(١)؛ لأن معناه قرب من الضرب ولم يضرب ، وإذا قلت : ما كاد يفعل كذا ، فهذا نفى في اللفظ ، إثبات في المعنى ؛ لأنه قرب من ترك الفعل ، وقد فعله بعد بطاء^(٢) .

قال ابن الأنباري : «قال اللغويون : كدت أفعل ، معناه عند العرب : قاربت الفعل ولم أفعل ، وما كدت أفعل ، معناه : فعلت بعد إبطاء^(٣) ، هذا معنى (كاد) ، وقد تستعمل^(٤) بغير هذا المعنى^(٥)» . وسنذكر ذلك عند قوله : ﴿إِذَا أَخْرَجَ يَكْدُكُمْ﴾ [النور : ٤٠] .

وذكر أبو بكر بإسناده أن ذا الرمة الشاعر قدم الكوفة ، فأنشد [بالكناسة]^(٦) ، وهو على راحلته قصيدته (الحائية) ، فلما انتهى إلى قوله :

إِذَا غَيَّرَ النَّأْيُ الْمُحِيزِينَ لَمْ يَكْدُ

رَسِيسُ الْهُوَى مِنْ حُبِّ مَيَّةَ يَبْرَحُ^(٧)

(١) في (ب) : (في الضرب) .

(٢) انظر : مشكل إعراب القرآن ٢٩ / ١ ، والبيان في غريب إعراب القرآن ٦١ / ١ ، وإملاء ما من به الرحمن ٢٢ / ١ ، وذكر السمين الحلبي : أنها إذا كانت منفية انتفى خبرها بطريق الأولى . انظر : الدر المصون ١٧٦ / ١ .

(٣) انظر : تهذيب اللغة (كاد) ٣٢٩ / ١٠ .

(٤) في (أ) و(ب) : (يستعمل) ، وأثبت ما في (ج) .

(٥) (المعنى) ساقط من (ب) . قال ابن الأنباري : «وقد يكون ما كدت أفعل بمعنى : ما فعلت ولا قاربت إذا أكد الكلام بـ (أكاد)» . انظر : التهذيب ٣٠٧٧ / ٤ ، وهو بقية كلامه الذي نقل الواحدي بعضه . وفي الخزانة : «قال صاحب اللباب : وإذا دخل النفي على (كاد) فهو كسائر الأفعال على الصحيح ، وقيل : يكون للإثبات ، وقيل : يكون في الماضي من دون المستقبل . . .» . الخزانة ٣٠٩ / ٩ .

(٦) في (أ) و(ج) : (ما الكناسة) ، وهي ساقطة من (ب) ، والصحيح (بالكناسة) كما في أمالي المرتضى والخزانة كما سيأتي . و(الكناسة) بضم أوله : محلة معروفة بالكوفة ، كان بنو أسد وبنو تميم يطرحون فيها كناساتهم . انظر : معجم ما استعجم ١١٣٦ / ٤ ، ومعجم البلدان ٤٨١ / ٤ .

(٧) قوله (النأي) : البعد ، (رسييس الهوى) : مسه ، ورد البيت في ديوان ذي الرمة ، وفيه : (لم أجد) ، وفي =

قال له عبدالله بن شبرمة^(١) : فقد برح يا ذا الرمة ! ففكر ساعة ، ثم قال :

... لَمْ أَجِدْ رَسِيْسَ الْهَوَى مِنْ حُبِّ مَيَّةَ يَبْرَحُ^(٢)

ومعنى الآية : يكاد ما في القرآن من الحجج تخطف^(٣) قلوبهم من شدة إزعاجها^(٤) إلى النظر في أمر دينهم^(٥) . وقال ابن عباس في رواية مقاتل والضحاك : معناه : يكاد الإيمان يدخل في قلوبهم^(٦) .

وقوله تعالى : ﴿كَلَّمَآ أَضَاءَ لَهُم مَّشَوْا فِيهِ﴾ . ﴿أَضَاءَ﴾ هاهنا إن كان متعدياً ، فالمفعول محذوف ، وكأنه قيل : كلما أضاء لهم الطريق ، ويجوز أن يكون لازماً بمعنى (ضاء)^(٧) .

أما المرتضى ١/ ٣٣٢ ، وزاد المسير ١/ ٤٥ ، والدر المصون ١/ ١٧٦ ، والخزانة ٩/ ٣٠٩ ، وشرح المفصل لابن يعيش ٧/ ١٢٤ .

(١) هو عبدالله بن شبرمة بن حسان الضبي الكوفي ، أبو شبرمة ، كان شاعراً فقيهاً ثقة ، ٧٢-١٤٤ هـ . انظر : طبقات ابن خياط ٢٨٣ ، والجرح والتعديل ٥/ ٨٢ ، وتهذيب التهذيب ٢/ ٣٥١ .

(٢) وردت القصة مسندة في أمالي المرتضى ١/ ٣٣٢ ، والخزانة ١/ ٣١١ ، ويستشهد العلماء بهذا البيت على أن النفي إذا دخل على (كاد) تكون في الماضي للإثبات ، وفي المستقبل كالأفعال ، وبعضهم قال : كالأفعال في الماضي والمستقبل ، وقيل : تكون للإثبات في الماضي والمستقبل . انظر : الخزانة ٩/ ٣٩ ، وشرح المفصل ٧/ ١٢٥ .

(٣) في (ج) : (بخطف) .

(٤) في (ب) : (ازعاجها لهم) .

(٥) ذكر هذا المعنى في الوسيط ، وقال : من تمام التمثيل ١/ ٥٢ ، وفي الوجيز ١/ ٦ .

قال ابن عطية : تكاد حجج القرآن وبراهينه وآياته الساطعة تبهرهم ، ومن جعل (البرق) في المثل : الزجر والوعيد ، قال : يكاد ذلك يصيبهم . تفسير ابن عطية ١/ ١٩٤ ، ونحوه في تفسير القرطبي ١/ ١٩٢ .

(٦) لم أجد هذه الرواية عن ابن عباس ، وفي تفسير الطبري عن الضحاك عن ابن عباس . قال : يلتئم أبصارهم ولما يفعل ١/ ١٥٨ ، وتفسير ابن أبي حاتم ١/ ٥٧ ، والدر ١/ ٧٣ ، وأخرج ابن أبي حاتم عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس : يكاد محكم القرآن يدل على عورات المنافقين . تفسير ابن أبي حاتم ١/ ٥٧ .

(٧) انظر : معاني القرآن للفرأ ١/ ١٨ ، وتفسير ابن عطية ١/ ١٩٤ ، وتفسير القرطبي ١/ ١٩٣ .

قال ابن عباس : يقول : إذا قرئ عليهم شيء من القرآن مما يحبون صدقوا ، وإذا سمعوا شيئاً من شرائع النبي ﷺ مما يكرهون وقفوا عنه ، وذلك قوله تعالى : ﴿وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا﴾^(١) .

وقال قتادة : هو المنافق إذا كثر ماله وأصاب رخاء وعافية ، قال للمسلمين : أنا معكم وعلى دينكم ، وإذا أصابته النوائب قام متحيراً ؛ لأنه لا يحتسب أجرها^(٢) . كأصحاب الصيب إذا أضاء لهم البرق فأبصروا الطريق مشوا ، فإذا عادت الظلمة وقفوا متحيرين ، ومثله قوله : ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ﴾ [الحج : ١١] . وقيل : شبه الغنيمة بالبرق ، يقول^(٣) : الطمع في الغنيمة يزعج قلوبهم ، ﴿كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ﴾ ، أي كثرت الغنائم وأصابوا الخير ، ﴿مَشَوْا فِيهِ﴾ ، أي رضوا به ، ﴿وَإِذَا^(٤) أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ﴾ ، قلت^(٥) الغنيمة وكانت بدلها الهزيمة ، (قاموا) : اعتلوا وقعدوا عن نصره الرسول^(٦) .

وقوله تعالى : ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ﴾ . خص هاتين الجارحتين لما تقدم ذكرهما في قوله : ﴿ءَاذَانَهُمْ﴾ و﴿يَخْطِفُ أَبْصَرَهُمْ﴾ ، فيقول : ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ

(١) ذكره ابن الجوزي عن ابن عباس والسدي ، زاد المسير ٤٦ / ١ ، وأبو حيان في البحر ٩١ / ١ ، وذكر ابن عطية عن ابن عباس نحوه ١٩٥ / ١ ، وكذا القرطبي ١٩٣ / ١ .

(٢) ذكره (الثعلبي) في تفسيره ٥٦ / ١ ، وأخرجه الطبري في تفسيره ١٥٥ / ١ ، وذكره السيوطي في الدر ، وعزاه إلى عبد بن حميد وابن جرير ٧٢ / ١ ، وقد ورد نحوه عن ابن عباس . انظر : تفسير الطبري ١٥٤ / ١ ، وتفسير ابن أبي حاتم ٥٩ / ١ ، والدر ٧٢ / ١ .

(٣) في (ب) : (لقول) .

(٤) في (ب) : (فإذا) .

(٥) في (ب) : (فله) .

(٦) ذكر نحوه الطبري ، إلا أنه قال : «جعل البرق لإيمانهم مثلاً ، وإنما أراد بذلك أنهم كلما أضاء لهم الإيمان ، وإضاءته لهم : أن يروا ما يعجبهم في عاجل الدنيا . . . » . تفسير الطبري ١٥٨ / ١ ، وانظر : تفسير الخازن ٧١ / ١ ، ٧٢ ، البحر ٩١ / ١ .

لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ ﴿١﴾ عقوبة لهم على نفاقهم ، فليحذروا عاجل عقوبة الله وأجله ، فإن الله على كل شيء قدير من ذلك ^(١) .

وقيل : ولو شاء الله لذهب بأسماعهم الظاهرة ، وأبصارهم الظاهرة ، كما ذهب بأسماعهم وأبصارهم الباطنة ، حتى صاروا صُمًّا عُمًى ^(٢) .

وكان حمزة يسكت على الياء في ﴿شَيْءٍ﴾ ^(٣) قبل الهمزة سكتة خفيفة ، ثم يهمز ^(٤) . وذلك ^(٥) أنه أراد بتلك الوقيفة [في صورة لا يجوز فيها معها إلا التحقيق لأن] ^(٦) الهمزة قد صارت بالوقيفة مضارعة للمبتدأ بها ، والمبتدأ بها لا يجوز تخفيفها ^(٧) .

٢١ . قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾ الآية . (يا) حرف ينادي به ^(٨) ، ولا تكاد تجد في كلام العرب حرفاً تألف مع اسم فكانا جملة كاملة سوى حرف النداء .

- (١) ذكره الطبري في تفسيره ١٥٩ / ١ ، وانظر : تفسير ابن عطية ١٩٥ / ١ .
- (٢) تفسير الثعلبي ٥٦١ / ١ ب ، وانظر : تفسير أبي الليث ١٠١ / ١ ، وتفسير البغوي ٧١ / ١ .
- (٣) من قوله : ﴿عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ، وكذلك يفعل بكل حرف سكن قبل الهمزة .
- (٤) انظر : السبعة ١٤٨ ، والحجة لأبي علي ٣٩١ / ١ ، والحجة لابن خالويه ٧٢ ، والكشف ٢٣٤ / ١ ، والتيسير ٦٢ .
- (٥) في (ب) : (من ذلك) .
- (٦) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) و(ج) ، وفي (أ) : أراد بتلك الوقيفة تحقيق الهمزة ، قد صارت . . . ، والعبارة غير واضحة ، ونص كلام أبي علي في الحجة : «أنه أراد بهذه الوقيفة التي وقفها تحقيق الهمزة وتبيينها ، فجعل الهمزة بهذه الوقيفة التي وقفها قبلها على صورة لا يجوز فيها معها إلا التحقيق ؛ لأن الهمزة قد صارت بالوقيفة مضارعة للمبتدأ بها . . . » ، الحجة ٣٩١ / ١ .
- (٧) في (ب) : (تحقيقها) . الكلام لأبي علي كما في الحجة ٣٩١ / ١ ، ويريد حمزة بهذا أن يحقق الهمزة وينطق بها صحيحة ، وبقية السبعة على عدم الوقف ؛ لأنه لا يوقف على بعض الاسم من دون الإتيان على آخره ؛ ولذلك فالإعراب في آخر الاسم . انظر : الحجة لابن خالويه ٧٢ .
- (٨) قال أبو حيان : زعم بعضهم : أنها اسم فعل معناها (أنادي) . البحر ٩٢ / ١ ، وانظر : الدر المصون ١٨٤ / ١ .

و(أي)^(١) اسم مبهم مبني على الضم ، لأنه منادى مفرد ، و﴿النَّاسُ﴾ صفة لأي لازمة ، تقول : يا أيها الرجل أقبل ، ولا يجوز^(٢) : يا الرجل ، لأن (يا) تنبيه بمنزلة التعريف في الرجل ، فلا يجمع بين (يا) وبين الألف واللام^(٣) . و(ها) لازمة لأي^(٤) ، وهي عوض من الإضافة في (أي) ؛ لأن الأصل في (أي) أن تكون^(٥) مضافة في الاستفهام والخبر . والمازني يميز^(٦) في (يا أيها الرجل) النصب في (الرجل) ، ولا يوافقه على هذا غيره^(٧) .

قال أبو إسحاق : وقوله قياس ؛ لأن موضوع المنادى المفرد نصب ، فحمل^(٨) صفته على موضعه ، وهذا في غير^(٩) (يا أيها الرجل) جائز عند النحويين جميعهم ، نحو قولك : (يا زيد الظريف والظريف)^(١٠) والنحويون غيره^(١١) لا يقولون في هذا إلا الرفع ، والعرب لغتها في هذا الرفع ؛ لأن المنادى في الحقيقة (الرجل) ،

(١) نقله من معاني القرآن للزجاج ٦٤ / ١ .

(٢) في (أ) و(ج) : (لا يجوز) بسقوط الواو .

(٣) انظر : إملاء ما من به الرحمن ٢٣ / ١ .

(٤) في المعاني : (للتنبيه) ، ٦٤ / ١ .

(٥) في (أ) و(ج) : (يكون) ، وما في (ب) أصح للسياق .

(٦) في (أ) و(ج) : (تخير) ، واخترت ما في (ب) لأنه أصح وموافق لما في معاني القرآن للزجاج ٦٤ / ١ .

(٧) معاني القرآن للزجاج ٦٤ / ١ ، وحذف الواحد في بعض كلام الزجاج ونص عبارة الزجاج : «وزعم سيبويه عن الخليل أن المنادى المفرد مبني ، وصفته مرفوعة رفعا صحيحا ؛ لأن النداء يطرد في كل اسم مفرد ، فلما كانت البنية مطردة في المفرد خاصة شبه المرفوع فرفعت صفته ، والمازني يميز في (يا أيها الرجل) النصب في (الرجل) ، ولم يقل بهذا القول أحد من البصريين غيره» . وانظر : البيان في غريب إعراب القرآن ٦٢ / ١ ، والإملاء ٢٣ / ١ ، وقال العكبري بعد أن ذكر قول المازني : وهو ضعيف . وقد رد الزجاج نفسه هذا القول في موضوع آخر ، فقال : (فهذا مطروح مردول) . انظر : معاني القرآن ٢١١ / ١ .

(٨) في المعاني : (فحملت) ، وفي الهامش ، في الأصل : (فحمل) ، أي المازني . معاني القرآن ٦٤ / ١ .

(٩) في (ب) : (غيره) .

(١٠) (الظريف) ساقط من (ب) .

(١١) في (ب) : (في غيره) . والمعنى : النحويون غير المازني .

و(أي) وصلة له^(١). وذلك أنهم لما أرادوا نداء ما فيه لام التعريف ، ولم يمكنهم أن يباشروه بـ (يا) لما فيها من التعريف والإشارة توصلوا إلى ذلك بإدخال (أي) بينها ، فقالوا : يا أيها الرجل ، والمقصود بالنداء هو الرجل ، و(أي) وصلة له^(٢). ولأن (أي) وإن كان اسماً منادى مفرداً فهو ناقص ، والنصب بالحمل على الموضوع إنما يجوز بعد تمام الاسم^(٣). و﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ﴾ عموم في كل مكلف من مؤمن وكافر^(٤). ويروى عن الحسن وعلقمة^(٥) أن ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ﴾ خطاب أهل مكة ، و﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ خطاب أهل المدينة^(٦).

وقوله تعالى : ﴿اعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾ ، أي اخضعوا له بالطاعة ، ولا يجوز ذلك إلا للمالك الأعيان^(٧). وقوله تعالى : ﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾ . (الخلق) : ابتداء شيء لم يسبق

(١) انتهى كلام الزَّجَّاج . معاني القرآن ١/ ٦٤ ، نقله بتصرف .

(٢) (له) ساقطة من (ب) .

(٣) وعليه فلا يجوز النصب (لنَّاسٍ) حملاً على الموضوع كما سبق ، انظر : إعراب القرآن للنحاس ١/ ١٤٧ ، والبيان في غريب إعراب القرآن ١/ ٦٢ ، وإملاء ما منَّ به الرحمن ١/ ٢٣ ، والبحر المحيط ١/ ٩٤ ، والدر المصون ١/ ١٨٥ .

(٤) انظر : تفسير الطبري ١/ ١٦٠ ، وتفسير الثعلبي ١/ ٦٥ ب ، وتفسير أبي الليث ١/ ١٠١ .

(٥) الإمام الحافظ ، أبو شبل ، علقمة بن قيس بن عبد الله النخعي الكوفي ، لازم ابن مسعود حتى رأس في العلم ، وحدث عن عدد من الصحابة ، اختلف في سنة وفاته . فقيل : سنة إحدى وستين ، وقيل : خمس وستين ، وقيل : غير ذلك . انظر : تاريخ بغداد ١٣/ ٢٩٦ ، وحلية الأولياء ٢/ ٦٨ ، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٥٣ .

(٦) أخرجه الواحدي بسنده في كتابه أسباب نزول القرآن عن علقمة ٢٦ ، وذكره في الوسيط ١/ ٥٣ ، وذكره السيوطي في الدر وعزاه إلى أبي عبيد ، وابن أبي شيبة ، وعبد بن حميد ، وابن الضريس ، وابن المنذر ، وأبي الشيخ بن حيان في التفسير . وورد في الدر نحوه عن ابن مسعود ، والضحاك ، وميمون بن مهران ، وعروة ، وعكرمة . الدر ١/ ٧٣ ، وذكره الثعلبي في تفسيره عن ابن عباس ١/ ٥٦ ، وابن عطية عن مجاهد ، وقال : وقد يجيء في المدني : ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ﴾ ، وأما ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ فصحيح . تفسير ابن عطية ١/ ١٧٩ ، ونحوه قال القرطبي في تفسيره ١/ ١٩٤ ، وانظر : البرهان ١/ ١٨٩ ، ١٩٠ .

(٧) انظر : تفسير الطبري ١/ ١٦٠ ، وتفسير ابن عطية ١/ ١٩٧ ، وتفسير القرطبي ١/ ١٩٤ .

إليه^(١). وكل شيء خلقه الله فهو مبتدئه على غير مثال سبق إليه^(٢). والعرب تقول: خلقت الأديم إذا قدرته^(٣). لتقطع منه مزادة أو قربة أو خفا^(٤). قال زهير:

وَلَأَنْتَ تَفْرِي^(٥) مَا خَلَقْتَ وَبَعْدَ ضُ الْقَوْمِ يَخْلُقُ ثُمَّ لَا يَفْرِي^(٦)

وقيل للمقدر: خالق على الاستعارة لا على استحقاق اسم الخلق، وذلك أن المقدر إنما يقدر ليفعل، فسمى الفعل باسم التقدير، كما يسمى الشيء باسم الشيء إذا كان معه أو من سببه، فالخلق الحقيقي هو خلق الله الذي ابتدع ما خلق وأنشأ ما أراد على غير مثال، وخلق غيره [قياس وتشبيه وافتراء ومحاكاة وتقدير على قدر قدرة غيره، فخلق الله ذاتي وخلق غيره]^(٧) على سبيل الاستعارة والتقدير^(٨).

ومعنى الآية أن الله تعالى احتج على العرب بأنه خالقهم وخالق من قبلهم؛ لأنهم كانوا مُقرِّين بأنه خالقهم، والدليل على ذلك قوله: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ

(١) انظر: تهذيب اللغة (خلق) ١/١٠٩٣.

(٢) انظر: كتاب الزينة ٢/٥٢، ومعرفة اشتقاق أسماء نطق بها القرآن ١/١٠١، ١٠٢، رسالة ماجستير.

(٣) في (ب): (قدته).

(٤) تهذيب اللغة (خلق) ١/١٠٩٣.

(٥) في (ب): (تقوى).

(٦) في (ب): (لا يقوى). ورد البيت في الكتاب ٤/١٨٥، والزاهر ١/١٨٤، والجمهرة ٢/٢٤٠، وتفسير أسماء الله للزجاج ٣٦، واشتقاق أسماء الله ١٦٦، وإعراب ثلاثين سورة ٤٥، وغريب الحديث لأبي عبيد ٢/٢٩٢، وتأويل مشكل القرآن ٥٠٧، وتهذيب اللغة (خلق) ١/١٠٩٣، ومعجم مقاييس اللغة (خلق) ٢/٢١٤، و(فري) ٤/٤٩٧، والبحر ١/٩٣، وتفسير القرطبي ١/١٩٥، وديوان زهير ٩٤، ومعناه: أنت مضاء العزيمة، وغيرك ليس بهاضي العزم.

(٧) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) و(ج).

(٨) انظر: كتاب الزينة ٢/٥٢، ٥٣، معرفة اشتقاق أسماء نطق بها القرآن ١/١٠١، ١٠٢، تفسير أسماء الله للزجاج ٣٥، واشتقاق أسماء الله للزجاجي ١٦٦، ومعجم مقاييس اللغة (خلق) ٢/٢١٤، والجمهرة (خ ق ل) ١/٦١٩، وتهذيب اللغة (خلق) ١/١٠٩٣، ومفردات الراغب ١٥٧.

لَيَقُولَنَّ اللَّهُ ﴿[الزخرف: ٨٧]، فقليل لهم : إذ^(١) كنتم معترفين بأنه خالقكم فاعبدوه ولا تعبدوا الأصنام ، فإن عبادة الخالق أولى من عبادة المخلوقين من الأصنام^(٢) .

وقوله تعالى : ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ . قال ابن الأنباري : (لعل) يكون^(٣) : ترجياً ، ويكون بمعنى : (كي) ، ويكون : ظناً كقولك : لعلني أحج العام ، معناه : أظنني سأحج^(٤) .

وقال يونس^(٥) : (لعل) يأتي في كلام العرب بمعنى : (كي) ، من ذلك^(٦) قوله : ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾^(٧) و ﴿لَعَلَّهْم يَذْكُرُونَ﴾^(٨) ، ويقول^(٩) : (أعربي دابتك

(١) كذا وردت في النسخ جميعها ، ولعلها (إذا) .

(٢) انظر : تفسير الطبري ١ / ١٦٠ ، والقرطبي ١ / ١٩٥ .

(٣) في (ب) : (تكون) في المواضع الثلاثة .

(٤) ذكره الأزهرى حين قال : (وأثبت عن ابن الأنباري . . .) ، ثم ذكر لها خمسة وجوه ، ذكر الواحدى منها ثلاثة ، والرابع : بمعنى : (عسى) ، والخامس : بمعنى : (الاستفهام) ، تهذيب اللغة (عل) ٣ / ٢٥٥٣ .

(٥) ذكره الأزهرى بسنده قال : «أخبرني المنذري عن الحسين بن فهم أن محمد بن سلام أخبره عن يونس . . .» ، تهذيب اللغة (عل) ٣ / ٢٥٥٣ . . . ويونس : هو يونس بن حبيب أو عبدالرحمن الضبي بالولاء ، كان النحو يغلب عليه ، أخذ عن أبي عمرو بن العلاء وحامد بن سلمة ، توفي سنة اثنتين وثمانين ومائة . انظر : ترجمته في طبقات النحويين واللغويين للزبيدي ٥١ ، وإنباه الرواة ٤ / ٦٨ ، ووفيات الأعيان ٧ / ٢٤٤ ، ومعجم الأدباء ٢ / ٦٤ .

(٦) في (ب) : (من قولك) .

(٧) الآية : [٢١] ، [٦٣] ، [١٧٩] ، [١٨٣] من سورة البقرة ، و[١٧١] من سورة الأعراف . وفي تهذيب اللغة : (لعلهم يتقون) .

(٨) (لعلهم يذكرون) جزء من آية في الأعراف : [٢٦] ، [١٣٠] ، وفي الأنفال : [٥٧] . وفي (ب) : (لعلكم تذكرون) وكذا في تهذيب اللغة ، وهي جزء من آية في الأنعام : [١٥٢] ، والأعراف : [٥٧] ، والنحل : [٩٠] ، والنور : [١] ، [٢٧] ، والذاريات : [٤٩] .

(٩) كذا وردت في (أ) و(ج) ، وفي (ب) من دون نقط ، وفي تهذيب اللغة : (كقولك) ، والأولى : (تقول) .

لعلي أركبها) بمعنى (كي) . قال ^(١) : وتقول ^(٢) : انطلق بنا لعلنا نتحدث ، أي كي نتحدث ^(٣) . ومثل هذا قال قطرب في (لعل) ^(٤) .

وقال سيبويه : (لعل) كلمة ترجية وتطميع للمخاطبين ^(٥) . أي كونوا على رجاء وطمع أن تتقوا بعبادتكم عقوبة الله أن تحل بكم ^(٦) ، كما قال في قصة فرعون : ﴿لَعَلَّكَ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ [طه ٤٤] ، كأنه قال : اذهب أنتما على رجائكما وطمعكما ^(٧) ، والله - عز وجل - من وراء ذلك وعالم بما يؤول إليه أمره .

٢٢ . قوله تعالى : ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا﴾ . (الأرض) : التي عليها الناس ، وجمعها : (أَرْضُونَ) ^(٨) و(أَرْضَات) ^(٩) ، وحكي :

- (١) (قال) ساقط من (ب) .
- (٢) في (أ) و(ج) : (ويقول) ، وأثبت ما في (ب) .
- (٣) آخر ما نقله الواحدي من كلام يونس ، وانظر : بقية كلامه في تهذيب اللغة (عل) ٣/ ٢٥٥٣ ، وانظر : معاني (لعل) في الأزهية في علم الحروف للهوري ٢١٧ ، ومعني اللبيب ١/ ٢٨٧ .
- (٤) قال أبو حيان : لا تكون بمعنى (كي) خلافاً لقطرب وابن كيسان . البحر ١/ ٩٣ .
- (٥) في الكتاب : فإذا قلت : (لعل) فأنت ترجوه أو تخافه في حال ذهابه ٢/ ١٤٨ ، وقال : (لعل وعسى طمع واشفاق) . ٢٣٣/ ٤ . وانظر : تفسير الثعلبي ١/ ٥٦ ب .
- (٦) فتكون (لعل) على بابها للترجي ، كما هو رأي سيبويه ، وبعض المفسرين يقول : إذا جاءت من الله فهي واجبة . انظر : تفسير الثعلبي ١/ ٥٦ ب ، وتفسير ابن عطية ١/ ١٧٩ ، وقال السمين الحلبي : إذا وردت في كلام الله فللناس فيها ثلاثة أقوال : أحدها : أنها على بابها من الترجي والطمع ، قاله سيبويه ، والثاني : للتعليل ، قاله قطرب والطبري وغيرهما ، والثالث : أنها للتعرض للشيء ، وإليه مال المهدي وأبو البقاء . الدر المصون ١/ ١٨٩ ، وانظر : تفسير الطبري ١/ ١٦١ ، والإملاء ١/ ٢٣ .
- (٧) ذكره القرطبي في تفسيره ١/ ١٩٥ ، وذكر ابن هشام في مغني اللبيب أن بعضهم جعل من معاني (لعل) التعليل ، كالأخفش والكسائي ، وحملوا عليه قوله : ﴿لَعَلَّكَ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ ، ومن لم يثبت لها معنى (التعليل) يحمله على الرجاء ويصرفه للمخاطبين ، أي اذهب على رجائكما ١/ ٢٨٨ .
- (٨) كذا ورد عند سيبويه ، انظر : الكتاب ٣/ ٥٩٩ ، والمذكر والمؤنث لابن الأنباري ١٨٨ ، وتهذيب اللغة (أرض) ١/ ١٤٨ ، وقال ابن سيده في المخصص : عن أبي حنيفة : (أرض) و(أَرْضُونَ) بالتخفيف و(أَرْضُونَ) بالتثقيل ، المخصص ١٠/ ٦٧ .
- (٩) ذكره سيبويه وغيره ، انظر : الكتاب ٣/ ٥٩٩ ، وقال ابن الأنباري : (يجوز في القياس : أرضات ولم يسمع) . المذكر والمؤنث : (١٨٨) .

(أُرُوض)^(١) . فإن قيل : الجمع بالواو والنون [إنما هو لأسماء الأعلام ، فما بالهم جمعوا الأرض بالواو والنون ؟] ^(٢) .

قيل : إن الأرض اسم مؤنث ، وقد كان القياس في كل اسم مؤنث أن يقع فيه الفرق بينه وبين المذكر ، نحو : قائم وقائمة ، وطريف وطريفة ، وغير ذلك . فأما ما تركت ^(٣) فيه العلامة من المؤنث ، فإنما ذلك اختصار لحقه ، لاعتمادهم في الدلالة على تأنيثه على ما يليه من الكلام قبله وبعده ، نحو : (هذه مَلْحٌ ^(٤) طيبة) ، و(كانت لهم عرس مباركة) ، فلما كان الأمر في المذكر والمؤنث على ما ذكرنا ، وكانت (الأرض) مؤنثة ، وكأنَّ فيها (هاء) مرادة ، وكأنَّ تقديرها : (أَرْضَة) ، فلما حذفت (الهاء) التي كان القياس يوجبها ، عوضوا منها الجمع بالواو والنون . فقالوا : (أَرْضُون) ^(٥) . وإذا أدخل شيء مما ^(٦) ليس مذكراً عاقلاً في هذا النوع من الجمع ، فهو حظ ناله ، وفضيلة خصَّ بها ^(٧) ، ولهذا نظائر كالسنين وعضين ، ونذكرها في مواضعها إن شاء الله .

وفتحوا (الراء) ^(٨) في (أَرْضِينَ) ليدخل الكلمة ضرب من التكسير ، استيحاشاً من أن يوفوه لفظ التصحيح من الوجوه جميعها ، ومعنى التصحيح

(١) جمع تكسير ، انظر : المخصص ٦٧ / ١٠ ، وتهذيب اللغة (أرض) ١ / ١٤٨ .

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ب) . وقد نقل الواحدي هذا السؤال والإجابة عنه من كتاب سر صناعة

الإعراب لأبي الفتح بن جني ٦١٣ / ٢ .

(٣) في (ب) : (تركب) .

(٤) في (أ) و(ج) : (صلح) ، وفي سر صناعة الإعراب : (ريح) ، وفي الحاشية قال : في (ل) و(ش) : (ملح) ، ٦١٤ / ٢ . وهذا يوافق ما في (ب) .

(٥) سر صناعة الإعراب ١ / ٦١٤ ، وانظر : الكتاب ٣ / ٥٩٩ ، والمخصص ٦٧ / ١٠ ، ٦٨ ، و ١٧ / ٤ ، واللسان (أرض) ١ / ٦١ .

(٦) في (ب) : (ما) .

(٧) انظر : سر صناعة الإعراب ٢ / ٦٣ .

(٨) سر صناعة الإعراب ٢ / ٦١٤ ، وقال بعضهم : ربما سكنت فقليل : (أرضون) ، انظر : الصحاح (أرض) ٣ / ١٠٦٣ ، والمخصص ٦٧ / ١٠ .

هو أنهم إنما جمعوا بالواو والنون الأسماء التي هم بها معنيون ، ولتصحیح ألفاظها لفرط اهتمامهم بها مؤثرون ، كيلا يقع في واحده إشكال ، ألا ترى أن^(١) مثال جمع التصحيح لا يعترض الشك في واحده^(٢) .

فإن قيل : إنما يعوّض من المحذوف إذا كان أصلاً ، فكيف جاز التعويض من الزائد ، و(هاء التأنيث) زائدة ؟ قيل : إن العرب قد [أجرت]^(٣) (هاء التأنيث) مجرى^(٤) لام الفعل في أماكن^(٥) ، منها أنهم قالوا : (عَرْقُوة)^(٦) ، و(تَرْقُوة)^(٧) ، فصححوا الواو ، فلولاً أن (الهاء) في هذه الحال في تقدير الاتصال والحرف الأصلي لوجب أن تقلب^(٨) (الواو) ، لأنها كانت تقدر طرفاً^(٩) ، وتقلب^(١٠) (ياء) كما

(١) في (ب) : (أن من مثال) .

(٢) انظر : الكتاب ٣/ ٥٩٨-٦٠٠ ، والمخصص ١٠/ ٦٨ ، ١٧/ ٤ ، والصحاح (أرض) ٣/ ١٠٦٣ ، واللسان (أرض) ١/ ٦١ .

(٣) في (أ) و(ج) : (أحراها) ، وفي (ب) : (أخرت) ، والتصحيح ما أثبت في سر صناعة الإعراب ٢/ ٦١٤ .

(٤) في (ب) : (لا مجرى) .

(٥) اختصر الواحدي كلام أبي الفتح وترك بعض الوجوه ، قال أبو الفتح : «فالجواب : أن العرب قد أجرت (هاء التأنيث) مجرى لام الفعل في أماكن ، منها : أنهم حقروا ما كان من المؤنث على أربعة أحرف ، نحو : (عقرب) و(عناق) . . . وذلك قولهم : (عقيرب) . . . ومنها : أنهم قد عاقبوا بين هاء التأنيث وبين اللام ، وذلك نحو قولهم : (بُرّة وبُرّاً) و(لُفّة ولُفّى) . . . » . ومنها : أن الهاء - وإن كانت أبداً في تقدير الانفصال - فإن العرب قد أحلتها أيضاً محل (اللام) وما هو الأصل أو جار مجرى الأصل ، وذلك نحو قولهم : (ترقوة) و(عرقوة) . . . ، سر صناعة الإعراب ٢/ ٦١٤-٦١٦ ، وذكر الواحدي في جوابه عن السؤال الوجه الأخير فقط .

(٦) (العَرْقُوة) : خشية معروضة على الدلو . انظر : اللسان (عرق) ٥/ ٢٩٠٨ .

(٧) (ترقوة) : ساقط من (ب) . والترقوة واحدة الترقوقان ، وهما العظمان المشرفان بين تغرة النحر والعاتق ، تكون للناس وغيرهم ، ولا يقال (ترقوة) بالضم . انظر : اللسان (ترق) ١٠/ ٣٢ .

(٨) في (أ) و(ج) : (يقلب) ، وما في (ب) موافق لسر صناعة الإعراب ٢/ ٦١٦ .

(٩) في (ج) : (حرفاً) .

(١٠) (وتقلب) ساقط من (ج) .

تقلب في نحو: (أَحَقُّ) جمع (حَقُّو)^(١)، و(أَذَلُّ)^(٢) و[(أَجَرُ)^(٣)]. ف (الهاء) هاهنا كالراء^(٤) في (منصور)، والطاء في (عَضْرَفُوطُ)^(٥) لتصحيح^(٦) الواو قبلها.

وقوله تعالى: ﴿فِرَاشًا﴾. الأرض فراش الأنام على معنى أنها فرشت لهم، أي^(٧): بسطت، وهذا كقوله: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا﴾ [نوح: ١٩]، والمعنى أنه لم يجعلها حزنة غليظة لا يمكن^(٨) الاستقرار عليها^(٩).

وقوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾. الأزهري: أصل الماء (ماء) بوزن (قاه)^(١٠)، [فتقلت]^(١١) (الهاء) مع الساكن قبلها، فقلبو الهاء مدة فقالوا: ماء^(١٢).

(١) (الْحَقُّو) بفتح الحاء وكسرها: الكشف، ومعقد الإسزار، والخنصر، والجمع (أَحَقُّ) و(أَحْقَاءَ) و(حَقِّي) و(حقاً). انظر: اللسان (حقاً) ٩٤٨.

(٢) جمع (دلو)، انظر: سر صناعة الإعراب ٦١٦/٢.

(٣) في النسخ جميعها: (أجر) بالحاء، والتصحيح من سر صناعة الإعراب ٦١٦/٢، و(أَجَرٍ): جمع جرو، وهو الصغير من كل شيء. انظر: اللسان (جرا) ٦٠٩/١.

(٤) أي كما صحت (الواو) قبل (الهاء) في (تَرْقُوة) و(عَرْقُوة) لأنها في تقدير الاتصال، وأجروها مجرى (الراء) و(الطاء) في (منصور) و(عَضْرَفُوطُ)، فصحت الواو قبل الراء والطاء، فكما جاز أن تشبه (هَاءَ التَّائِيثِ) في هذا باللام الأصلية، جاز أن تجرى الهاء المقدرة في أرض مجرى اللام الأصلية، فيعوض من حذفها في (أرض) أن يجمع بالواو والنون في (أرضون). سر صناعة الإعراب ٦١٦/٢.

(٥) (الْعَضْرَفُوطُ) دويبة بيضاء ناعمة، أو ذكر العطاء. انظر: اللسان (عَضْرَطُ) ٢٩٨٦/٥.

(٦) في (أ) و(ج): (التصحيح)، وعبارة أبي الفتح: «... وقد أجروا (الهاء) في (ترقوة) ... مجرى (الراء) في (منصور) و(الطاء) في (عَضْرَفُوطُ)، فصحت (الواو) قبلها كما صحت قبل الراء والطاء ...». سر صناعة الإعراب ٦١٦/٢.

(٧) في (ب): (لهم أنبسط).

(٨) في (أ): (لم يكن)، وفي (ب): (ولا يمكن).

(٩) انظر: تفسير الطبري ١/١٦١، ١٦٢، وتفسير ابن عطية ١/١٩٨، وتفسير القرطبي ١/١٩٧.

(١٠) في (أ) و(ج): (فأة)، وفي تهذيب اللغة (تاه) ١/٤٢٣، وفي اللسان (قاه)، اللسان (موه) ٧/٤٣٠٢، وهو موافق لما في (ب)، وهو ما أثبتته.

(١١) في (أ) و(ب) و(ج): (فتقلت)، وصححت العبارة على ما في تهذيب اللغة (الماء) ١٥/٦٤٨.

(١٢) تهذيب اللغة (الماء) ٤/٣٣٢٠، وانظر: الصحاح (موه) ٤/٢٢٥٠، واللسان (موه) ٧/٤٣٠٢،

قال الليث : والمدة في (الماء) خَلَفٌ^(١) من (هاء) محذوفة ، ويدل على أن الأصل في الماء (الهاء) : التصغير ، والتصريف ، والجمع ، فالتصغير (مُوَيْه)^(٢) ويقال : هذه مُوَيْهَةٌ عذبة^(٣) . وقال^(٤) الأصمعي : مَاهَتِ البئر ، وهي تَمَاهٍ [وَتُمُوهِ مَوْهَاً إذا كثر ماؤها]^(٥) . ابن بزرج^(٦) : مَوَّهَتِ السماء ، أي سالت^(٧) ماءً كثيراً . وَمَاهَتِ البئر^(٨) ، وأماهت في كثرة مائها ، وهي تَمَاهٍ وتُمُوهِ . ويقولون في حفر البئر : أُمَّهَى وَأَمَاه^(٩) .

والمنصف ٤ / ٣٣٢٠ .

- (١) في (ب) : (خلف خلف هاء) .
- (٢) انتهى كلام الليث . نقله الواحدي بمعناه . انظر : تهذيب اللغة ١٥ / ٦٤٨ ، وانظر : الصحاح ٦ / ٢٢٥٠ ، واللسان ١٣ / ٥٤٣ .
- (٣) من كلام الأزهري ، انظر : تهذيب اللغة ١٥ / ٦٤٨ .
- (٤) في (ب) : (قال) سقطت الواو .
- (٥) في تهذيب اللغة : قال الأصمعي : «ماهت البئر تُمُوهِ وتَمَاهٍ مَوْهَاً إذا كثر ماؤها» ، تهذيب اللغة (ماه) ٤ / ٣٣٣١ ، وانظر : الصحاح (موه) ٦ / ٢٢٥٠ ، واللسان (موه) ٧ / ٤٣٠٢ .
- (٦) هو عبدالرحمن بن بزرج اللغوي ، كان حافظاً للغريب والنوادر ، نقل عنه الأزهري في تهذيب اللغة . انظر : مقدمة تهذيب اللغة ، إنباه الرواة ٢ / ١٦١ .
- (٧) في التهذيب واللسان : (أسالت) .
- (٨) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) و(ج) .
- (٩) تهذيب اللغة (ماه) ٤ / ٣٣٣١ ، واللسان (موه) ٧ / ٤٣٠٢ .

قال الليث: وأما هت الأرض إذا ظهر فيها التَّنُّ^(١). والنسبة إلى الماء (ماهي^(٢))، وغيره^(٣) يقول: مَائِي^(٤). وجمع الماء: (مياه) و(أمواه)^(٥)، قال الشاعر:

سَقَى اللهُ أَمْوَاهَا عَرَفْتُ مَكَانَهَا جُرَابًا وَمَلَكُومًا وَبَذَرَ وَالْغَمْرًا^(٦)

فإن قيل: كيف قال: ﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ﴾، والماء ينزل من السحاب؟ قيل: هذا من باب حذف المضاف، والتقدير: من نحو السماء^(٧)، كقول الشاعر:

أَمِنْكَ بَرَقٌ أَيْتُ^(٨) اللَّيْلَ أَرْقُبُهُ كَأَنَّهُ فِي عِرَاضِ الشَّامِ مِصْبَاحُ^(٩)

- (١) تهذيب اللغة (ماه) ٤ / ٣٣٣١، وانظر: الصحاح (موه) ٦ / ٢٢٥٠، واللسان (موه) ٧ / ٤٣٠٢.
- (٢) نسب الواحدى الكلام إلى ليث، وهو فى التهذيب إما من كلام ابن الأعرابى أو من كلام الأزهري.
- (٣) انظر: تهذيب اللغة (ماه) ٣٣٣، واللسان (موه) ٧ / ٤٣٠٢.
- (٤) أى عند غير الليث.
- (٥) فى (ب): (ماهي). قال الجوهري: والنسبة إلى الماء: (مَائِي)، وإن شئت (مَائِي) عند قول من يقول: (عَطَائِي)، الصحاح ٦ / ٢٢٥١، واللسان ٧ / ٤٣٠٢.
- (٦) انظر: تهذيب اللغة (ماه) ٤ / ٣٣٣١، وقال الجوهري: بجمع على (أمواه) فى القلة، و(مياه) فى الكثرة. الصحاح ٦ / ٢٢٥٠، وذكره فى اللسان، وقال: وحكى ابن جنى فى جمعه (أمواه) ٧ / ٤٣٠٢.
- (٧) البيت لكثير عزة، ورد فى ديوانه مع أبيات مفردة ٥٠٣، وأورده عبدالسلام هارون فى حاشية الكتاب؛ لأنه ورد فى بعض نسخ الكتاب، ولم يرد فى الأصل. انظر: الكتاب ٣ / ٢٠٧، ٢٠٨، المنصف ٣ / ١٥٠، ١٢١ / ٣، وشرح المفصل ١ / ٦١، والخزانة ٢ / ٣٥٥، والسيرة لابن هشام ١ / ١٥٩.
- (٨) جُرَابًا وما بعده: أساء أماكن، ذكر ياقوت جراباً، وقال: اسم ماء. وقيل: بئر قديمة بمكة، وأورد بيت كثير. وانظر: معجم البلدان ٢ / ١١٦، وذكر (مَلَكُومًا) وقال: اسم ماء فى مكة، وأورد البيت ٥ / ١٩٤، وذكر (بَذَرَ)، وقال: اسم بئر فى مكة لبنى عبدالدار، وأورد البيت ١ / ٣٦١، و(الغمر) بئر قديمة فى مكة. معجم البلدان ٤ / ٢١١.
- (٩) ذكره فى الوسيط ١ / ٥٥، وانظر: تفسير أبى السعود ١ / ٦١.
- (٨) فى (ب): (أربك).
- (٩) البيت لأبى ذؤيب الهذلى، قوله: (أمنك برق)، أى من نحو منزلك، من الشق الذى أنت به، (عراض الشام): نواحيها. انظر: شرح أشعار الهذليين للسكري ١ / ١٦٧، وشرح الأبيات المشككة للإعراب للفراسي ٣٦٤.

أي من نَاحِيَتِكَ ، ومثله كثير . وإن جعلت السماء بمعنى (السحاب)^(١) لم يكن من باب حذف المضاف .

وقوله تعالى : ﴿ فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ ﴾ . الثمرات : جمع (الثمرة) وهي حمل الشجرة^(٢) في الأصل ، ثم صارت اسماً لكل^(٣) ما ينتفع به ، مما هو زيادة على أصل المال^(٤) .

يقال : لبن مُثْمَرٌ^(٥) إذا ظهر زبده^(٦) ، وقال النضر^(٧) : هو [الثَّمِير]^(٨) ، وذلك إذا [مُخَض] ^(٩) اللبن فُرئِي عليه أمثال الحَصَف في الجلد ، ثم يجتمع فيصير زبدًا . وقد ثَمَرَ السقاء وأثْمَرَ . وإن لبنك لحسن الثَّمر^(١٠) . ويقال : ثمر الله مالك ، وعقل مثمر ، إذا كان يهدي صاحبه إلى الرشـد^(١١) . فالثمرة تستعمل في ما

-
- (١) انظر : تفسير الثعلبي ٥٦/١ ب ، وتفسير ابن عطية ١٩٩ ، وتفسير البيضاوي ١٤/١ ، وتفسير الخازن ٧٦/١ ، وتفسير أبي السعود ٦١/١ ، والفتوحات الإلهية ٢٦/١ .
- (٢) ذكره الأزهرى عن الليث وغيره ، تهذيب اللغة (ثمر) ٤٩٧/١ .
- (٣) في (ج) : (اسماً لما ينتفع به) .
- (٤) ذكره الواحدي في الوسيط ، وانظر : تفسير ابن عطية ١٩٩/١ .
- (٥) في (ب) : (مُثْمراً) .
- (٦) ذكر الأزهرى نحوه عن الأصمعي . تهذيب اللغة (ثمر) ٤٩٧/١ ، وانظر : اللسان (ثمر) ٥٠٣/١ .
- (٧) في (أ) و(ج) : (النصر) ، والمراد النضر بن شميل .
- (٨) في (أ) و(ج) : (التميز) ، وفي (ب) : (التمييز) ، والصحيح (التمير) كما في تهذيب اللغة (ثمر) ٤٩٧/١ .
- (٩) في (أ) و(ج) : (محض) ، وفي (ب) : (محض) ، وفي التهذيب : (مخض) .
- (١٠) انظر : كلام النضر في تهذيب اللغة (ثمر) ٤٩٧/١ . وانظر : الصحاح (ثمر) ٦٠٦/٢ ، واللسان (ثمر) ١٠٨/٤ .
- (١١) تهذيب اللغة (ثمر) ٤٩٧/١ .

يُتَنَفَّعُ بِهِ وَيَسْتَمْتَعُ مِمَّا هُوَ فَرْعٌ لِأَصْلٍ^(١). قال المفسرون في معنى الثمرات في هذه الآية: أراد جميع ما يُتَنَفَّعُ بِهِ مما يخرج من الأرض^(٢).

وقوله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا﴾. روى شمر عن الأخفش قال: (الند): الضد والشبه، أي لا تجعلوا^(٣) لله أضداداً وأشباهاً، وفلان نَدُّ فلان ونَدِيدُهُ ونَدِيدَتُهُ، أي مثله وشبهه^(٤).

وأنشد للبيد^(٥):

لَكَيْمًا^(٦) يَكُونُ السَّنْدَرِيُّ نَدِيدَتِي
فَأَشْتَمَ^(٧) أَقْوَامًا عُمُومًا^(٨) عَمَاعِمًا^(٩)

(١) قال ابن فارس: (الثاء والميم والراء أصل واحد)، وهو شيء يتولد عن شيء متجمعاً، ثم يحمل عليه غيره استعارة، مقاييس اللغة (ثمر) ٣٨٨/١.

(٢) انظر: تفسير الطبري ١٦٢/١، وتفسير ابن عطية ١٩٩/١، وتفسير القرطبي ١٩٨/١.

(٣) في (ب): (جعلوا).

(٤) في (ب): (شبهه).

(٥) في (ب): (وقال لبيد).

(٦) في (ب): (لكي لا يكون)، وهي رواية في البيت.

(٧) في (ب): (فاستمر)، وفي تهذيب اللغة: (واجعل)، وفي حاشيته: في (د) و(ج): (أشتم)، ٣٥٤٠/٤.

(٨) في (ب): (عموماً).

(٩) البيت من قصيدة قالها لما دعاه عامر بن الطفيل لبنافر علقمة بن علاثة. و(السندري): شاعر معروف وهو ابن عيساء، ينسب إلى أمه. (العموم): جمع العم، و(العمائم): الجماعات. انظر: شرح ديوان لبيد ٢٨٦، وتهذيب اللغة (ند) ٣٥٤٠/٤، والصحاح (ندد) ٥٤٣/٢، والأضداد لابن الأنباري ٢٤، والأضداد لأبي حاتم ٧٤، واللسان (ندد) ٤٢٠/٣، ومقاييس اللغة (ند) ٣٥٥/٥، وتفسير القرطبي ١٩٩/١. وكلام الأخفش في تهذيب اللغة (ند) ٣٥٤٠/٤، ونقله الواحدي بتصرف، وانظر: اللسان (ندد) ٣٤٨٢/٧.

وقال أبو الهيثم : يقال للرجل إذا خالفك فأردت وجهاً تذهب فيه ، ونازعك في ضده ، فأراد بخلاف الوجه الذي تريد ، وهو مستقل من ذلك مثل ما [تستقل]^(١) به : فلان ندي ونديدي . قال حسان :

أَتَهْجُوهُ وَلَسْتَ لَهُ بِنَدٍّ فَشَرُّكُمْ أَلْخَيْرُكُمْ أَلْفِدَاءُ^(٢)

أي لست له بمثل في شيء من معانيه^(٣) . فحقيقة (النَّد) : المثل المناوي ، وأصله من قولهم : (نَدَّ) إذا نفر ، ولهذا يقال للضد : ند ، ثم استعمل في المثل وإن لم يكن هناك مخالفة^(٤) . قال جرير :

أَتَيْمًا يَجْعَلُونَ إِلِيَّ نَدًّا وَمَا تَيْمٌ لِي حَسَبِ نَدِيدٍ^(٥)

أي مثل .

قال ابن عباس ، والسدي في ما ذكره عن ابن مسعود : معناه لا تجعلوا لله أكفاء من الرجال [تطيعونهم]^(٦) في معصية الله^(٧) . وقال ابن زيد : الأنداد :

(١) في النسخ جميعها : (يستقل) ، وفي تهذيب اللغة : (تستقل) ، وهو الصواب ، تهذيب اللغة ٤ / ٣٥٤٠ .

(٢) البيت من قصيدة يهجو بها سفيان بن الحارث قبل فتح مكة ، انظر : ديوانه ٧٦ ، وتهذيب اللغة (ند) ٤ / ٣٥٤٠ ، والأضداد لابن الأنباري ٢٤ ، والأضداد لأبي حاتم ٧٤ ، ومجاز القرآن ٣٤ ، وتفسير الطبري ١ / ١٠٦٣ ، وتفسير القرطبي ١ / ١٩٨ ، واللسان (ندد) ٧ / ٣٤٨٢ .

(٣) انتهى ما نقله عن أبي الهيثم . انظر : تهذيب اللغة (ندد) ٤ / ٣٥٤٠ ، واللسان ٧ / ٣٤٨٢ .

(٤) انظر : الأضداد لابن الأنباري ٢٤ ، ومجاز القرآن ٣٤ ، والأضداد للصاغاني ٢٤٦ ، وقال أبو حاتم : «زعم قوم أن بعض العرب يجعل (الضد) مثل (الند) ، ويقول : هو يضادني ، ولا أعرف أنا ذلك . . . » . الأضداد لأبي حاتم السجستاني ٧٥ .

(٥) قاله يهجو تيباً .

انظر : ديوان جرير ١٢٩ ، والأضداد لابن الأنباري ٢٤ ، والأضداد لأبي حاتم ٧٣ ، ومعاني القرآن للزجاج ١ / ٦٦ ، ومجالس العلماء للزجاجي ١١٤ ، وتفسير الثعلبي ١ / ٥٦ .

(٦) في (أ) و(ج) : (يطيعونهم) ، وفي (ب) : (تطيعونهم) .

(٧) أخرجه الطبري بسنده عن ابن عباس وعن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي ﷺ ، تفسير الطبري ١ / ١٦٣ ، وذكره الثعلبي في تفسيره ١ / ٦٥ ب ، وانظر : الدر المنثور ١ / ٧٦ .

الآلهة^(١) التي جعلوها معه^(٢). وقال أبو إسحاق : هذا احتجاج عليهم لإقرارهم بأن الله خالقهم ، ف قيل لهم : لا تجعلوا الله^(٣) أمثالا ، وأنتم تعلمون أنهم لا يخلقون والله الخالق^(٤).

قال ابن^(٥) الأباري : قوله : ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾^(٦) لا تتنافى مع قوله : ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونَنِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ﴾ [الزمر: ٦٤] ؛ لأن هذا العلم الذي وصفهم به في هذه الآية لا يزيل عنهم الجهل ؛ لأنه أراد : وأنتم تعلمون أن الأنداد التي تعبدونها لم ترفع لكم السماء ولم تمهد تحتكم^(٧) الأرض ، ولم ترزقكم رزقا . فعبدة الأصنام وغيرهم يتساوى علمهم في هذا المعنى ، وإنما وصفهم الله - جل ذكره - بهذا العلم لتأكد الحجة عليهم إذا اشتغلوا^(٨) بشيء^(٩) يعلمون^(١٠) أن الحق في سواه^(١١).

٢٣. وقوله^(١٢) تعالى : ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ﴾ . قال النحويون : (إن) دخلت هاهنا لغير شك ؛ لأن الله تعالى علم أنهم مرتابون ، ولكن

-
- (١) في (ب) : (الآله) .
 - (٢) أخرجه الطبري في تفسيره ١/ ١٦٣ ، وزاد المسير ١/ ٤٩ ، والمراد : عموم الأنداد والشركاء مع الله من الرجال أو الحجارة أو غير ذلك .
 - (٣) (لله) لفظ الجلالة غير موجود في (ب) .
 - (٤) معاني القرآن للزجاج ١/ ٦٥ .
 - (٥) (ابن) ساقط من (ج) .
 - (٦) ما بين المعقوفين ساقط من (ب) .
 - (٧) في (ج) : (لكم) .
 - (٨) في (ب) : (اشغلوا) .
 - (٩) في (ج) : (في شيء) .
 - (١٠) في (ب) : (يعلموا) .
 - (١١) نحو هذا المعنى ذكر الطبري عن ابن عباس وقتادة ، ورجحه . انظر : تفسير الطبري ١/ ١٦٣ ، تفسير ابن عطية ١/ ١٩٩ ، وزاد المسير ١/ ٤٩ .
 - (١٢) في (ج) : (قوله) بسقوط الواو .

هذا عادة العرب في خطابهم ، كقولك : (إن كنت إنساناً فافعل كذا) ، وأنت تعلم أنه إنسان ، و(إن كنت ابني فاعطف علي) ، فالله تعالى خاطبهم على عادة خطابهم في ما بينهم^(١) .

وقيل : هو بمعنى (إذ)^(٢) . قال أبو زيد : وتجيء (إن) بمعنى (إذ) نحو قوله : ﴿ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴾ [البقرة: ٢٧٨] ، وقوله : ﴿ وَأَنْتُمْ أَلْأَعْلَوْنَ إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٩] ونحوهما^(٤) .

قال الأعشى :

وسمعتَ حَلَفَتَهَا التي حلفتُ إِنْ كَانَ سَمْعُكَ غَيْرَ ذِي وَقَرٍ^(٥)

(١) ذكر ابن الجوزي نحوه ، فربما نقله عن الواحدي ، وربما نقله عن ابن الأنباري ، وهو الأقرب ، إذ إنه كثيراً ما ينقل عنه ، فيكون من كلام ابن الأنباري ، انظر : زاد المسير ٤٩ / ١ .

(٢) ذكره الثعلبي مع الأدلة من الآيات وبيت الأعشى . تفسير الثعلبي ٥٧ / ١ ، وانظر : تهذيب اللغة (إن) ٢٢٤ / ١ .

(٣) في (أ) و(ج) : (يجيء) ، وأثبت ما في (ب) ؛ لأنه أنسب للسياق وموافق لما في تهذيب اللغة .

(٤) قول أبي زيد في تهذيب اللغة (إن) ٢٢٤ / ١ ، وانظر : زاد المسير ٤٩ / ١ ، والدر المصون ١٩٧ / ١ . والقول : إن (إن) تأتي بمعنى (إذ) قول الكوفيين ، أما البصريون فمنعوا مجيئها بمعنى (إذ) . انظر : الإنصاف ٥٠ .

(٥) البيت منسوب إلى الأعشى عند الثعلبي ٥٧ / ١ ، وفي الوسيط للواحدي ٥٧ / ١ ، ولم أجده في ديوانه ، وهو في الإنصاف ٥٠٢ غير منسوب ، وذكره عبدالسلام هارون في معجم الشواهد العربية ١٨٧ ، ولم ينسبه .

(الحلقة) : واحدة الحلف وهو القسم .

(الوقر) : ثقل السمع .

والشاهد فيه عند الواحدي وعند الكوفيين ورود (إن) بمعنى (إذ) .

وقوله تعالى: ﴿فَأَتُوا سُورَةَ﴾. زعم أبو عبيدة أن (السورة)^(١) مشتقة من سورة البناء، وأن السورة عرق من عروق^(٢) الحائط، ويجمع سُوراً، وكذلك (الصورة)^(٣) تجمع (صوراً). واحتج بقوله:

سَرْتُ إِلَيْهِ فِي أَعَالِي السُّور^(٤)

وأقرني العروضي، قال: أقرني الأزهري، قال^(٥): أخبرني المنذري، عن أبي الهيثم أنه رد على أبي عبيدة قوله، وقال: إنما يجمع^(٦) (فُعْلَة) على (فُعْل)؛ بسكون العين، إذا سبق الجمع الواحد، مثل: صوفة وصوف، وسورة البناء وسور^(٧)، والسور جمع سبق وحدانه^(٨)، قال الله تعالى: ﴿فَضْرِبَ بَيْنَهُمُ سُورًا﴾ [الحديد: ١٣].

والسُّور عند العرب حائط المدينة، وهو أشرف الحيطان، وشبه الله تعالى الحائط الذي حجز بين أهل النار وأهل الجنة بأشرف حائط عرفناه في الدنيا،

(١) في (ج): (للسورة).

(٢) في تهذيب اللغة (أعراق) ١٥٩٣/٢. وكذا اللسان ٢١٤٧/٤.

(٣) في (ج): (وكذلك قوله الصورة).

(٤) الرجز للعجاج، ورد في المجاز لأبي عبيدة ٥/١، وقبله:

فَرَّبَ ذِي سُرَادِقٍ مَحْجُورٍ

ديوان العجاج ٢٢٤، ورقم القصيدة ١٩، وفي الكتاب ٥١/٤، وغريب القرآن لابن قتيبة ٢٦/١، وتفسير الطبري ٤٦/١، وتهذيب اللغة (سار) ١٥٩٢/٢، واللسان (سور) ٢١٤٧/٤، والزاهر ٥٢٦/١، والسرادق: ما أحاط بالشيء من بناء أو خباء أو غيره، وسرت: من سار الحائط يسوره وتسوره، أي تسلق. وكلام أبي عبيدة بنصه في التهذيب (سار) ١٥٩٣/٢. وانظر: مجاز القرآن ١/٣، ٤، ٤٣، واللسان (سور) ٢١٤٧/٤، والزاهر ١٧٠/١، وتفسير ابن عطية ٧٠/١.

(٥) في تهذيب اللغة: وأخبرني المنذري عن أبي الهيثم: أنه رد على أبي عبيدة قوله... إلخ. كلام أبي الهيثم. التهذيب (سار) ١٥٩٣/٢. وفي اللسان (سور) ٢١٤٧/٤.

(٦) في التهذيب: (تجمع)، وكذا في اللسان.

(٧) في اللسان: (وسورة).

(٨) في التهذيب: «فالسورة جمع سبق وحدانه في هذا الموضع جمعه»، ١٥٩٣/٢.

وهو اسم واحد لشيء^(١) واحد، إلا أننا إذا أردنا أن نعرف^(٢) العَرَق^(٣) منه قلنا : سورة ، كما تقول : التمر ، وهو اسم جامع للجنس ، فإذا أردنا أن نعرف الواحدة من التمر قلنا : تمرة ، وكل منزلة رفيعة فهي سورة ، مأخوذة من سورة البناء ، ومنه قول النابغة :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَعْطَاكَ سُورَةً ترى كُلَّ مَلِكٍ دُونَهَا يَتَذَبَذَّبُ^(٤)
وجمعها (سُورٌ)^(٥) ، أي رَفَعَ .

أما سورة القرآن ، فإن الله تعالى جمعها على : (سُور) ، مثل : غُرْفَةٌ وَغُرْفٌ ، وَرُبَّةٌ وَرُتَبٌ ، وَزُلْفَةٌ وَزُلْفٌ ، فدل على أنه لم يجمعها كما قال^(٦) ، ولم يجعلها من سُور^(٧) البناء ، لأنها لو كانت منه لقال : (بعشر سُور) ولم يقل : ﴿سُورٌ﴾ [هود: ١٣]^(٨) والقراء مجمعون على ﴿سُورٌ﴾ . وكذلك أجمعوا على قراءة (سُور)^(٩)

(١) في (ب) : (كشيء) .

(٢) في (أ) و(ج) : (يعرف) ، واخترت ما في (ب) ؛ لأنه أصح ، وموافق لما في تهذيب اللغة ، ١٥٩٣ / ٢ .

(٣) كذا في النسخ جميعها ، اللسان ٢١٤٨ / ٤ ، وفي تهذيب اللغة (الفرق) ١٥٩٣ / ٢ .

(٤) البيت للنابغة الذبياني من قصيدة يمدح النعمان ، ويعتذر إليه .

وقوله : (السورة) : المنزلة الرفيعة ، (والملك بتذذبذب) : يتعلق ويضطرب ، يريد أن منازل الملوك من دون منزلته . انظر : مجاز القرآن ٤ / ١ ، وغريب القرآن لابن قتيبة ٢٦ / ١ ، وتفسير الطبري ٤٦ / ١ ، والمصون في الأدب للعسكري ١٥٠ ، ١٥١ ، التهذيب (سار) ١٥٩٣ / ٢ ، واللسان (سور) ٢١٤٨ / ٤ ، وتفسير ابن عطية ٢٠١ / ١ ، وديوان النابغة ٢٨ ، والزاهر ١٧١ / ١ .

(٥) في (أ) : (سُور) ، وفي (ب) : (سواي رفع) .

(٦) قوله : (فدل على أنه لم يجمعها كما قال) . ليس في تهذيب اللغة ولا اللسان ، والمعنى لم يجمعها (سُورٌ) بالسكون كما قال أبو عبيدة .

(٧) في (ب) : (سورة) .

(٨) في (أ) و(ج) : (بُسُور) . وأثبت ما في (ب) ، وفي تهذيب اللغة (بعشر سُور) . تهذيب اللغة ١٥٩٣ / ٢ .

(٩) في (ب) : (بسوره) .

في قوله : ﴿ فَضْرَبَ بَيْنَهُمُ سُورًا ﴾ [الحديد: ١٣] . فدل هذا على تمييز (سُورَةٍ) من سُورٍ^(١) القرآن عن (سُورَةٍ) من سُورِ البناء .

وكأنَّ أبا عبيدة أراد أن [يؤيد]^(٢) قوله في (الصور) أنه جمع (صورة)^(٣) ، وكان ينكر أن (الصور) قَرْنٌ خلقه الله للنفخ فيه ، ونذكر^(٤) قوله ذلك والرد عليه إذا أتينا على ذكر (الصور) إن شاء الله .

قال أبو الهيثم : والسورة^(٥) من سور [القرآن]^(٦) عندنا : قطعة من القرآن ، سبق وُحْدَانُهَا جَمْعُهَا ، كما أن الغرفة^(٧) سابقة للغرف . وأنزل الله القرآن على نبيه ﷺ شيئاً بعد شيء ، وجعله مفصلاً ، وبين كل سورة بخاتمتها وبأدنتها ، وميَّزها من التي تليها^(٨) .

قال الأزهري : وكأنَّ أبا الهيثم جعل السورة من سور القرآن من سورة الشراب ، وهي بقيَّة ، إلا أنها لما كثرت في الكلام ترك فيها الهمز^(٩) .

(١) في (ب) : (سوره) .

(٢) في النسخ جميعها : (يريد) ، والتصحيح من تهذيب اللغة ١٥٩٣/٢ ، واللسان ٢١٤٨/٤ .

(٣) في تهذيب اللغة : « فأخطأ في الصور والسور ، وحَرَفَ (كلام العرب) عن صيغته . . . إلخ » . انظر : تهذيب اللغة (سار) ١٥٩٣/٢ ، واللسان (سور) ٢١٤٨/٤ .

(٤) في (ب) : (ويذكر) .

(٥) في (ب) : (السور) .

(٦) (القرآن) غير موجود في النسخ جميعها ، والتصحيح من تهذيب اللغة ١٥٩٣/٢ ، واللسان ٢١٤٨/٤ .

(٧) في (ب) : (المعرفة) .

(٨) انتهى كلام أبي الهيثم ، تهذيب اللغة (سار) ١٥٩٤/٢ ، واللسان (سور) ٢١٤٨/٤ .

(٩) في التهذيب : « . . . جعل السورة من سور القرآن من أسارت سُورًا ، أي أفضلت فضلاً ، إلا أنها لما كثرت في الكلام وفي كتاب الله ترك فيها الهمز أي السورة كما ترك في (الملك) وأصله (ملأك) ، وفي (النبي) وأصله الهمز ، وكان أبو الهيثم طَوَّلَ الكلام فيهما ردّاً على أبي عبيدة ، فاختصرت منه مجامع مقاصده ، وربما غيرت بعض ألفاظه ، والمعنى معناه » . تهذيب اللغة (سار) ١٥٩٤/٢ ، واللسان ٢١٤٨/٤ ، وانظر : الزاهر ١/١٧١ .

قال^(١) : وأخبرني المنذري ، عن أبي العباس ، عن ابن الأعرابي ، قال : (السورة) الرفع ، وبها سميت السورة من القرآن ، أي رفعه وخير^(٢) ، فأرى ابن الأعرابي وافق قوله قول أبي عبيدة^(٣) .

قال^(٤) : والبصريون يجمعون (الصورة) و(السورة) وما أشبههما^(٥) على (صُورَ وَصُورَ) ، و(سُورَ وَسُورَ) ، ولا يميزون بين ما سبق جمعه وحدانه وبين ما سبق وحدانه جمعه ، والذي حكاه أبو الهيثم هو قول^(٦) الفرّاء .

وخص هذا القدر من القرآن بتسمية (سورة) ؛ لأنه أقل قطعة وقع به التحدي ، [على قول أبي الهيثم ، وعلى قول أبي عبيدة ؛ لأنه أقل ما وقع به التحدي]^(٧) ، فهي شرف للنبي ﷺ من حيث إنها معجزة له . وقيل : سميت سورة ؛ لأن من حفظها وعلمها حصل له شرف^(٨) . وقيل : لأن كل سورة بمنزلة درجة رفيعة ومنزل عال ، يرتفع القارئ منها إلى منزلة أخرى إلى أن يستكمل القرآن^(٩) .

(١) أي الأزهرى .

(٢) ونحوه عند الطبري فإنه قال : (والسورة بغير همز : المنزلة من منازل الارتفاع) . انظر : تفسير الطبري ١/٤٦٦ . وقد ذكر هذين المعنيين للسورة ابن قتيبة في غريب القرآن ١/٢٦٦ ، وانظر : الزاهر ١/١٧١ ، والبرهان في علوم القرآن ١/٢٦٣ ، ٢٦٤ ، الإتيقان ١/١٨٦ ، وتفسير ابن كثير ١/٦٤ .

(٣) تهذيب اللغة ٢/١٥٩٤ ، واللسان ٤/٢١٤٨ .

(٤) أي الأزهرى . انظر : تهذيب اللغة ٢/١٥٩٤ ، وربما أوهم صنيع الواحدى أن الكلام لابن الأعرابي .

(٥) في (أ) و(ج) : (وما أشبهها) .

(٦) في التهذيب : «والذي حكاه أبو الهيثم هو قول الكوفيين ، وهو يقول به إن شاء الله» ، تهذيب اللغة ٢/١٥٩٤ ، واللسان ٤/٢١٤٨ .

(٧) ما بين المعقوفين ساقط من (ب) .

(٨) انظر : الزاهر ١/١٧١ ، والدر المصون ١/٢٠١ .

(٩) وهذا القول كأنه يرجع إلى قول أبي عبيدة وابن الأعرابي ، وفي معنى السورة أقوال أخرى . انظر : الزاهر ١/١٧١ ، وجمهرة اللغة ٢/٧٢٢ ، وتفسير الطبري ١/٤٦٦ ، وتفسير ابن عطية ١/٧٠ ، وتفسير ابن كثير ١/٦٤ ، والبرهان ١/٢٦٣ ، ٢٦٤ ، الكشف ١/٢٣٩ .

فإن قيل : فما^(١) الفائدة في تفصيل القرآن على السور ؟ قيل : فيه فوائد كثيرة ، منها : أن القارئ إذا خرج من سورة إلى سورة كان أنشط لقراءته وأحلى في نفسه . ومنها : أن تخصيص كل سورة بقدر مخصوص كاختصاص القصائد . ومنها : أن الإنسان قد يضعف أو يكسل عن حفظ الجميع فيحفظ سورة تامة ، فربما كان ذلك سبباً يدعو به إلى حفظ غيرها^(٢) .

قال المفسرون : ومعنى الآية : أن الله تعالى لما احتج عليهم [في إثبات توحيده احتج عليهم]^(٣) أيضاً في إثبات نبوة محمد ﷺ بما قطع عذرهم ، فقال : وإن كنتم في شك من صدق هذا الكتاب الذي أنزلناه على محمد عليه الصلاة^(٤) والسلام ، وقلتم : لا ندري ، هل هو من عند الله أم لا . ﴿فَأَتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ﴾ ، أي من مثل القرآن^(٥) . والكنية^(٦) في (مثله) تعود إلى (ما) قوله : ﴿مِمَّا نَزَّلْنَا﴾^(٧) .

ودليل هذا التأويل قوله : ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ﴾ [الطور : ٣٤] . وقوله تعالى : ﴿فَأَتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ﴾^(٨) ، وقوله : ﴿لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ﴾ [الإسراء : ٨٨] ، كل ذلك

(١) في (ب) : (ما) .

(٢) وذكر بعض العلماء حكماً أخرى لتفصيل القرآن إلى سور ، وكلها حكم وفوائد مستنبطة ، والله أعلم بحكمة ذلك . انظر : الكشف ١ / ٢٤٠ ، ٢٤١ ، والبرهان ١ / ٢٦٤ ، ٢٦٥ .

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (ب) .

(٤) (الصلاة) ساقطة من (ب) .

(٥) ذكر نحوه الطبري عن قتادة ومجاهد ، وذكر قولاً آخر ، وهو : (من مثله) من مثل محمد من البشر ؛ لأن محمداً بشر مثلكم ، ورَجَّح القول الأول (الطبري) ١ / ١٦٥ ، وانظر : معاني القرآن للزجاج ١ / ٦٦ ، وتفسير الثعلبي ١ / ٥٧ ، وذكر أبو الليث أن الخطاب في قوله : ﴿وَلِإِنْ كُنْتُمْ لِّلْهُدَىٰ﴾ (من) مثله : من التوراة . تفسير أبي الليث ١ / ١٠٢ ، وتفسير القرطبي ١ / ٢٠٠ .

(٦) في (ب) : (فالكنية) .

(٧) وعلى القول الثاني : تعود على عبدنا ، ذكره ابن الأنباري في البيان في غريب إعراب القرآن ١ / ٦٤ ، وقال القرطبي : (وقيل : يعود على التوراة والإنجيل) . انظر : تفسير القرطبي ١ / ٢٠٠ .

(٨) في (أ) و(ج) : ﴿مِّن مِّثْلِهِ﴾ تصحيف في الآية . والآية : [٣٨] من سورة يونس .

يريد به مثل القرآن ، ومعناه : فأتوا بسورة مثل ما أتى به محمد في الإعجاز وحسن النظم والإخبار عما كان وما يكون ، على جهة الابتداء دون الاحتذاء ، وتعلم الكتب ودراسة الأخبار .

و(من) يكون للتبعض^(١) على هذا القول ؛ لأن التحدي في هذه الآية وقع ببعض القرآن ، وهو السورة . ويحتمل أن تكون للتجنيس^(٢) ، أي من جنس هذا الكتاب كقوله : ﴿ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ ﴾ [الحج : ٣٠] . وقيل : (من) هنا صلة^(٣) ، معناه^(٤) : فأتوا بسورة مثل القرآن ، كقوله : ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ ﴾ [النور : ٣٠] ، أي أبصارهم ، وقال النابغة :

وَمَا أَحَاشِي مِنَ الْأَقْوَامِ مِنْ أَحَدٍ^(٥)

أي أحداً .

(١) انظر : تفسير ابن عطية ١/ ٢٠٢ .

(٢) انظر : تفسير ابن عطية ١/ ٢٠٢ ، وزاد المسير ١/ ٥٠ ، والدر المصون ١/ ٢٠٠ .

(٣) في (ج) : (من) هاهنا زائدة صلة . القول إنها صلة ذكره الثعلبي في تفسيره ١/ ٥٧ ، وبعضهم يسميها (زائدة) ، قاله ابن الأنباري ونسبه إلى الأخفش ، انظر : البيان ١/ ٦٤ ، وتفسير ابن عطية ١/ ٢٠٢ ، وإملاء ما من به الرحمن ١/ ٢٤ . وفيه وجه آخر : أن تكون لابتداء الغاية ، إذا كان الضمير يعود على النبي ﷺ ، انظر : إملاء ما من به الرحمن ١/ ٢٤ ، والدر المصون ١/ ٢٠٠ .

(٤) في (ب) : (معناها) .

(٥) البيت للناطقة من المعلقة التي يمدح بها النعمان ، ويعتذر إليه ، وصدره :

وَلَا أَرَى فَاعِلًا فِي النَّاسِ يُشَبِّهُهُ

يقول : لا أرى فاعلاً يفعل الخير يشبهه ، والضمير للنعمان ، وما أحاشي من أحد ، أي لا أستثني أحداً . و(من) زائدة ، وهذا وجه الاستشهاد عند الواحدي . وقد ورد في بعض المصادر (ولا أحاشي) ، ورد البيت في الديوان ١٢ ، وجل الزجاجي ٢٣٣ ، والإنصاف ١/ ٢٤١ ، ومغني اللبيب ١/ ١٢١ ، وشرح المفصل ٢/ ٨٥ ، ٨/ ٤٨-٤٩ ، والخزانة ٣/ ٤٠٣ ، وجمع الهوامع ٣/ ٢٨٨ ، وشاهد رقم ٩١٨ .

قال النحويون : (من) ، يكون على أربعة أوجه : أحدها : ابتداء الغاية ، وهو أصلها^(١) ، كقولك : سرت^(٢) من الكوفة إلى البصرة . والثاني : التبعية ، كقولك : خذ من الثياب ثوباً . والثالث : التجنيس ، كقوله : ﴿فَاخْتَبِئُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ﴾ [الحج : ٣٠] . والرابع : الزيادة ، كقولك : ما أتاني من أحد^(٣) .

وهاهنا فصل يحاجُّ إليه في كثير من المواضع ، وذكرته هاهنا^(٤) ، وهو : «أن الحروف عند النحويين لا يليق بها الزيادة ولا الحذف ، وأن أعدل أحوالها^(٥) أن تستعمل غير مزيدة ولا محذوفة ، فأما^(٦) امتناع حذفها ، فمن قبل أن الغرض في هذه الحروف إنما هو الاختصار ، ألا ترى أنك إذا قلت : (ما قام زيد) ، فقد نابت (ما) عن (أنفي) ، وإذا قلت : (هل قام زيد ؟) ، نابت (هل) عن (أستفهم)^(٧) ، فوقع الحرف مقام الفعل وفاعله غاية الاختصار ، فلو ذهب^(٨) بحذف الحرف تخفيفاً ، لأفطت في الإيجاز ؛ لأن

(١) قال ابن هشام : «هو أصلها ، حتى ادَّعى جماعة أن سائر معانيها راجعة إليه» . مغني اللبيب ١/ ٣١٨ .

(٢) في (ب) : (سرق) .

(٣) سبق أن ذكر الواحد لـ (من) خمسة معانٍ نقلها عن تهذيب اللغة ، انظر : التهذيب (من) ٤/ ٣٤٥٣ ، وقد ذكر الهروي المعاني الأربعة التي ذكرها الواحد . انظر : الأزهية في علم الحروف ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، وذكر بعض هذه المعاني ابن الأنباري في الأضداد ١٥٢ ، وأما ابن هشام في مغني اللبيب فذكر لـ (من) خمسة عشر وجهاً ١/ ٣١٨ .

(٤) هذا الفصل منقول بنصه من سر صناعة الإعراب لابن جني . قال : «اعلم أن الحروف لا يليق بها الزيادة ولا الحذف . . . إلخ» ١/ ٢٦٩ .

(٥) في (ب) : (أحوالها) .

(٦) عند أبي الفتح بن جني : «فأما وجه القياس في امتناع حذفها . . .» ١/ ٢٦٩ .

(٧) في (ج) : (استفهم) .

(٨) عند أبي الفتح بن جني : (فلو ذهب تحذف . . .) ١/ ٢٦٩ ، وهو الأنسب للسياق .

اختصار المختصر إجحاف^(١) به . وأما وجه ضعف زيادتها ، فلأن الغرض^(٢) في الحروف الاختصار كما ذكرنا^(٣) ، فلو ذهبت تزيدها لنقضت الغرض الذي قصدته ، لأنك كنت تصير من الزيادة إلى ضد ما قصدته من الاختصار^(٤) ، ولولا^(٥) أن في الحرف إذا زيد ضرباً من التوكيد لما جازت زيادته ألبتة ، كما أنه لولا قوة العلم بمكانه لما جاز حذفه ألبتة^(٦) ، وإذا كان الأمر كذلك فقد علمنا من هذا أننا^(٧) متى رأيناهم قد^(٨) زادوا فقد أرادوا غاية التوكيد^(٩) ، كما أننا إذا رأيناهم قد حذفوا حرفاً فقد أرادوا غاية الاختصار ، ولولا ذلك الذي أجمعوا عليه واعتزموه^(١٠) ، لما استجازوا زيادة ما الغرض فيه الإيجاز ، وحذف^(١١) ما وضعه على نهاية الاختصار^(١٢) .

فإن قيل على هذا ، فهل للقرآن مثل حتى يقال : ائت بمثله ؟ . قيل : أمّا في مقدور الله فنعم ، وأمّا في مقدور البشر فلا ، ولذلك^(١٣) صح أنه معجز ، والذي

- (١) في (ج) : (حجازيه) .
- (٢) عند أبي الفتح : «فمن قبل أن الغرض في الحروف الاختصار . . .» ، سر صناعة الإعراب ١ / ٢٦٩ .
- (٣) قال أبو الفتح : (كما قد منا) . سر صناعة الإعراب ١ / ٢٦٩ .
- (٤) قال أبو الفتح بعده : «فاعرف هذا ، فأن أبا علي حكاه عن الشيخ أبي بكر يريد ابن سراج - رحمهما الله - وهو نهاية في معناه ، ولولا أن الحرف إذا زيد . . . إلخ» . سر صناعة الإعراب ١ / ٢٧٠ .
- (٥) في (ب) : (ولو) .
- (٦) عند أبي الفتح : «لما جاز حذفه ألبتة ، فإنها جاز فيه الحذف والزيادة من حيث أريتك ، على ما به من ضعف القياس ، وإذا كان الأمر كذلك . . .» ، سر صناعة الإعراب ١ / ٢٧٠ .
- (٧) عند أبي الفتح (أننا) ١ / ٢٧٠ .
- (٨) في (ب) : (فقد) .
- (٩) في (ب) : (للتوكيد) .
- (١٠) في (ب) : (واعترفوه) .
- (١١) عند أبي الفتح : (ولا حذف) ، وفي الحاشية : (لا) سقطت من (ب ، ل ، ش) . سر صناعة الإعراب ١ / ٢٧٠ . لعل الواحدي اعتمد على إحدى هذه النسخ .
- (١٢) انتهى ما نقله من سر صناعة الإعراب ١ / ٢٦٩ ، ٢٧٠ .
- (١٣) في (ب) : (وكذلك) .

وقع به التحدي هو هذا النظم المخصوص والقراءة المعهودة ، وهي مخلوقة^(١) ، وما كان منظوماً مؤلفاً ، فمن الواجب أن يكون له في قدرة الله أمثال ، ولو لم يكن له مثل مقدور ، لم يصح التحدي به ، ألا ترى أن [التحدي لأن يأتوا بمثل القديم محال ؛ لأنه لا مثل له .

ويجوز أن^(٢) يكون^(٣) الكناية في مثله يعود إلى قوله : ﴿ عَلَى عَبْدِنَا ﴾ ، وهو النبي ﷺ ومعناه : فأتوا بسورة من رجل أمي ، لا يحسن الخط والكتابة ولم يدرس الكتب^(٤) .

(١) هذا الكلام فيه إيهام وإشكال ، إذ إن قوله : (والقراءة المعهودة ، وهي مخلوقة) فيه احتمالان : أحدهما : أن يكون قوله : (والقراءة المعهودة مخلوقة) مستأنف - وهي كالجملية المعترضة - وعلى هذا الاحتمال : إن قصد بالقراءة : المقروء فهو باطل ؛ لأن معناه القول بخلق القرآن ، وإن قصد بالقراءة صوت القارئ فقوله : (وهي مخلوقة) صحيح ، لكن إطلاق هذه العبارة بدعة لم يستعملها السلف . وكان يمكن حمل كلام الواحدي على هذا ، لولا قوله في ما بعد : (وما كان منظوماً مؤلفاً فمن الواجب أن يكون له في قدرة الله أمثال) ، فكأنه أراد الخلق ، بينما الكلام صفة لله تعالى ، والله يتكلم إذا شاء متى شاء . ثانيهما : أن يكون قوله : (والقراءة المعهودة) معطوف على قوله : (النظم المخصوص) ، فيكون قوله : (وهي مخلوقة) راجع إلى النظم والقراءة ، وهذا على رأي الأشاعرة الذين يقولون بتقديم الكلام النفسي ، أما القرآن المتلو فهو عندهم حادث مخلوق ، ولذلك صرح الإيجي في المواقف بأنهم يوافقون المعتزلة في أنه مخلوق قال : « قالت المعتزلة : أصوات وحروف يخلقها الله في غيره كاللوح المحفوظ ، أو جبريل أو النبي ، وهو حادث . . . » ، ثم قال : (ونحن لا ننكره) ، وقال : « فاعلم أن ما يقوله المعتزلة وهو خلق الأصوات والحروف وكونها حادثة قائمة فنحن نقول به ، ولا نزاع بيننا وبينهم في ذلك . . . » . المواقف ٢٩٣-٢٩٤ . وقال جمهور المفسرين ، وفي مقدمتهم ابن جرير على أن المراد : من مثله في (البيان) ؛ لأنه نزل بلسان عربي مبين ، فكلام العرب له مثل في معنى العربية ، وأما المعنى الذي باين به القرآن سائر كلام المخلوقين فلا مثل له من ذلك الوجه ، ولا نظير ولا شبهة . انظر : تفسير الطبري ١/١٦٥ ، وتفسير ابن عطية ١/٢٠١ ، ٢٠٢ ، وتفسير النسفي ١/٢٨ ، وتفسير البيضاوي ١/١٥ ، وتفسير الخازن ١/٨٩ ، وضمن مجموعة من التفاسير .

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ب) .

(٣) في (ب) : (تكون) .

(٤) سبق ذكر هذا القول ، انظر : الهامش ٤/٢١٥ . والقول الأول هو قول جمهور المفسرين . انظر : تفسير الطبري ١/١٦٥ ، وتفسير ابن كثير ١/٦٣ .

وقوله تعالى: ﴿وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ﴾. (الشهداء): جمع شهيد. والشهيد يجوز أن يكون بمعنى: مشاهد كاجليس والشريب^(١) والأكيل والشريك، ويجوز أن يكون بمعنى: شاهد، كالعليم^(٢) والعالم، والقدير القادر، ويجوز أن يكون بمعنى: مشهود، فعيل بمعنى مفعول، والشهود: الحضور، ومنه قوله تعالى: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، أي حضر، والمشاهد للشيء: الحاضر عنده، وسمي الشاهد شاهداً؛ لأنه يخبر عما شاهد^(٣)، وسيأتي بيان معنى الشهيد الذي قتل في سبيل الله، والشهادة على الشيء في ما بعد^(٤).

فأما التفسير، فقال ابن عباس: (شهداءكم) يعني: أعوانكم وأنصاركم الذين يظاهرونكم على تكذيبكم^(٥). فعلى هذا القول (الشهيد) بمعنى: المشاهد^(٦)، وسمى أعوانهم شهداء؛ لأنهم يشاهدونهم عند المعاونة^(٧)، وهذا القول اختيار أبي إسحاق^(٨)؛ لأنه قال في تفسيره: ادعوا من رجوتهم معونته^(٩). و(الدعاء) على هذا القول بمعنى: الاستعانة، والعرب كثيراً ما تستعمل (الدعاء) في معنى

(١) في (أ) و(ج): (السريب)، وفي الوسيط للواحد (السريب) ٥٩/١.

(٢) في (ب): (كالعلم).

(٣) انظر: تفسير الطبري ١/١٦٧، وتهذيب اللغة (شهد) ٢/١٩٤٢، ومعجم مقاييس اللغة (شهد) ٣/٢٢١، واشتقاق أسماء الله للزجاجي ١٣٢، ومفردات الراغب ٢٦٨، واللسان (شهد) ٢٣٤٨/٤.

(٤) ذكر معنى الشهيد عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٠]، البسيط ١/٢٠٩، ومن النسخة الأزهرية.

(٥) أخرجه ابن جرير بسنده عن ابن عباس في تفسيره ١/١٦٦، وابن أبي حاتم في تفسيره ١/٦٤، وذكره السيوطي في الدر ١/٧٧. وانظر: زاد المسير ١/٥١، وتفسير ابن عطية ١/٢٠٢، ٢٠٣.

(٦) في (ب): (الشاهد).

(٧) انظر: تفسير الطبري ١/١٦٦، وتفسير ابن عطية ١/٢٠٣، وغريب القرآن لابن قتيبة ١/٢٦، وزاد المسير ١/٥١.

(٨) أي الزجاج.

(٩) معاني القرآن للزجاج ١/٦٦.

الاستعانة ، وذلك أن الإنسان إذا استعان بغيره دعاه^(١) ، فلما كان في الاستعانة يحتاج إلى الدعاء ، سمى الاستعانة دعاء^(٢) .

من ذلك قول الشاعر :

دَعَوْتُ بَنِي قَيْسٍ إِلَيَّ فَشَمَّرْتُ
خَنَازِيذُ مِنْ سَعْدٍ طَوَالَ السَّوَاعِدِ^(٣)
أي استعنت بهم . ألا تراه يقول : فَشَمَّرْتُ .

وقالت امرأة من طيء :

دَعَا دَعْوَةً يَوْمَ الشَّرَى يَالَ مَالِكٍ
وَمَنْ لَا يُجِبُّ عِنْدَ الْحَفِيزَةِ يُكَلِّمُ^(٤)
أي استعان بهم فلم ينصروه .

(١) في (ب) : (وعاه) .

(٢) انظر : تفسير الثعلبي ١/ ٥٧ ، وتفسير أبي الليث ١/ ١٠٢ ، وتفسير القرطبي ١/ ٢٠٠ ، وزاد المسير ١/ ٥٠ .

(٣) ورد البيت في ديوان الحماسة بشرح المرزوقي ، وعزاه إلى بعض بني فقعس ٢/ ٤٩٨ ، وورد في البيان والتبيين ، وقال : قال القيسي ٢/ ١١ ، وفي الحيوان ، وقال : قول بعض القيسيين من قيس بن ثعلبة ١/ ١٣٤ ، ومعنى البيت : يقول استعنت بهؤلاء القوم ، فهب رجال لنصرتي كأنهم فحول ، و(الخنازيد) : الكرام من الخيل ، استعارها للكرام من الرجال .

(٤) ورد البيت في ديوان الحماسة بشرح المرزوقي ١/ ٢١١ ، ومعجم ما استعجم من البلدان ٣/ ٧٨٥ ، ومعجم البلدان ٣/ ٣٣٠ ، وكلهم نسبوه إلى امرأة من طيء . قيل : هي بنت بهدل بن قرفة الطائي ، أحد لصوص العرب في زمن عبد الملك بن مروان . و(الشرى) : مكان وقعت فيه الواقعة المذكورة ، و(الحفيظة) : الخصلة التي يحفظ الإنسان عندها ، أي يغضب ، و(يكلم) : يقتل أو يغلب .

وقال الفرّاء : يريد : (آلتهم) ، يقول : استغيثوا بهم ، وهو كقولك للرجل : إذا لقيت العدو خالياً فادع المسلمين ، معناه استغث^(١) بالمسلمين^(٢) .

فالدعاء هاهنا بمعنى الاستغاثة^(٣) ، والاستعانة قريب من السواء ، وعلى هذا (شهيد) بمعنى مشهود ، وآلتهم كانت مشهودة لهم ، لأنهم كانوا يشهدونها ويحضرونها .

وروي عن مجاهد والقرظي^(٤) في قوله : ﴿وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ﴾ ، أي ناساً يشهدون لكم على صدق^(٥) ما قلتم وما تأتون به من معارضة للقرآن^(٦) . فإن قيل : كان يمكنهم أن يعارضوه بما هو دونه في الفصاحة ، ثم يأتوا بقوم يشهدون لهم بالباطل أنه مثل القرآن .

(١) في (أ) و(ج) : (استغيث) ، وأثبت ما في (ب) لأنه أصوب ، ومثله ورد في معاني القرآن للفرّاء .

(٢) في (ب) : (بالمسلمين فمعناه) .

وهذا انتهى كلام الفرّاء ، انظر : معاني القرآن ١٩ / ١ .

(٣) وممن قال الدعاء هاهنا بمعنى الاستغاثة : ابن قتيبة في غريب القرآن ٢٦ ، وانظر : تفسير الطبري ١٦٧ / ١ ، وزاد المسير ٤٩ / ١ .

(٤) هو محمد بن كعب القرظي ، تابعي ، ولد في حياة النبي ﷺ ، كان عالماً بالتفسير ، سقط عليه سقف المسجد ، فمات سنة مائة وثمان ، وقيل : سنة سبع عشرة ، وقيل : سنة عشرين ومائة . انظر : تهذيب التهذيب ٦٨٤ / ٣ ، وغاية النهاية في طبقات القراء ٢٣٣ / ٢ .

(٥) (صدق) ساقط من (ج) .

(٦) ذكره الثعلبي في تفسيره ١٥٧ / ١ ، والرواية عن مجاهد أخرجه الطبري من طرق عدة ١٦٧ / ١ ، وابن أبي حاتم ٦٤ / ١ ، وذكرها ابن الجوزي في زاد المسير ٥١ / ١ ، وابن كثير ٦٣ / ١ .

قيل : إن الله سبحانه أعجز الخلق عن الإتيان بمثل القرآن ، وصرفهم أيضاً عن^(١) الشهادة على ما هو باطل وفساد بأنه مثل القرآن ، ألا ترى أنه لم يوجد منهم هذا^(٢) ، ولو أمكنهم ذلك^(٣) لفعلوا ؟ ولا ترى للقرآن معارضة بوجه سواء كان فصيحاً أو ركيكاً ، إلا شهد المخالف والموافق^(٤) بركاكته . وعلى هذا القول^(٥) (شهيد) بمعنى : شاهد .

وقوله تعالى : ﴿مَنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ . (دون) يرد في الكلام على معان كثيرة^(٦) ، يكون بمعنى : (قبل) كقولك : دون النهر قتال . ودون قتل الأسد أهوال ، وقمت دون فلان ، إذا نصحت عنه^(٧) ،

(١) في (ب) : (على) .

(٢) عبارة الواحد في فيها إيهام فقد قال : «أعجز الخلق عن الإتيان بمثل القرآن . . .» ، ثم عطف عليه وقال : «وصرفهم - أيضاً - عن الشهادة على ما هو باطل» ، فقوله : (أعجز) إن كان بمعنى : (تحدى) فصحيح ، وإن كان بمعنى (منع) فباطل ، إذ حقيقة ذلك القول بالصرقة ، وهو قول النظام من المعتزلة ، حيث قال : إن الله صرف العرب عن معارضته وسلب عقولهم ، وكان مقدوراً لهم ، ولكن عاقبهم أمر خارجي ، وهذا القول مردود عند جماهير العلماء ، انظر : البرهان ٩٣ / ٢ ، ٩٤ ، والبرهان الكاشف عن إعجاز القرآن ٥٣ .

(٣) (ذلك) ساقط من (ج) .

(٤) (الموافق) ساقط من (ب) .

(٥) أي قول المجاهد : ادعوا ناساً يشهدون لكم . وقد ضعف ابن جرير هذا القول ، وقال : لا وجه له ، وقال : إن القوم كانوا على عهد رسول الله ﷺ ثلاثة أصناف ، أهل إيمان صحيح ، وأهل كفر صحيح ، وأهل نفاق ، فأهل الإيمان من المحال أن يدعي الكفار أنهم لهم شهداء ، فمن أي الفريقين يكون شهداؤهم ؟ انظر : تفسير الطبري ١٦٧ / ١ .

(٦) ذكر هذه المعاني مفصلة الأزهرى ، إذ قال : لـ (دون) تسعة معان ، ثم أخذ في شرحها كما نقل المؤلف هنا ، انظر : التهذيب ١٢٤٩ / ٢ ، والبرهان ٢٧٥ / ٤ ، والإتقان ٢٣٠ / ٢ ، واللسان (دون) ١٤٦٠ / ٣ . قال السمين الحلبي : (دون) من ظروف الأمكنة ، ولا تنصرف على المشهور إلا بالجر بـ (من) ، وزعم الأخفش أنها متصرفة . . . وهو من الأسماء اللازمة للإضافة . . . وأما (دون) التي بمعنى رديء فتلك صفة كسائر الصفات . . . وليست مما نحن فيه ، الدر المصون ٢٠٢ / ١ .

(٧) تهذيب اللغة (دون) ١٢٤٩ / ٢ .

ومنه قول الحارثي ^(١) :

... وَأَنْتَى تَخَلَّصْتَ إِلَى وَبَابِ السَّجْنِ دُونِي مُغْلَقٌ ^(٢)

ومنه قوله عليه الصلاة والسلام : «المقتول دون ماله شهيد» ^(٣) . ويكون (دون) بمعنى : (وراء) ، كقولك : (هو أمير على ما دون جِيحُون) ^(٤) ، أي على ما وراءه ^(٥) . ويكون بمعنى : (تحت) ، يقال : هو دونه ، أي تحته ^(٦) . ويكون بمعنى : (غير) ، يقال : هذا دون ما ذكرت ، أي غيره ، قال الله تعالى : ﴿وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ﴾ [الأنبياء: ٨٢] ، يريد : غير الغوص من البناء وغيره ، والذي في هذه الآية بمعنى : غير ^(٧) .

(١) (ج) : (الحاوي) . والحارثي هو جعفر بن علبة ، بضم العين ، ينتهي نسبه إلى كعب بن الحارث ، شاعر غزل مُقَلِّ ، عاش في الدولة الأموية وأدرك العباسية ، انظر : الخزائنة ٣١٠ / ١٠ .

(٢) البيت من قصيدة لجعفر بن علبة ، وصدره :

عَجِبْتُ لِمَسْرَاهَا وَأَنْتَى تَخَلَّصْتَ

يقول : عجبت من سير هذا الخيال إلي مع أن باب السجن موثق بيني وبينها . أورد القصيدة أبو تمام في ديوان الحماسة ١ / ٥١ ، ٥٢ بشرح المرزوقي ، والبغداد في الخزائنة ٣٠٧ / ١٠ .

(٣) أخرجه البخاري ومسلم عن عبدالله بن عمرو : «من قتل دون ماله فهو شهيد» . البخاري في كتاب المظالم ، باب : من قتل دون ماله ، حديث رقم ٢٤٨٠ . ومسلم ، ١٤١ ، وكتاب : الإيثار ، باب : هدر دم من قصد أخذ مال غيره بغير حق . وأخرجه أحمد في مسنده ، ٢ / ٢٢١-٢٢٣ ، مع بعض الاختلاف في لفظه ، وأبو داود عن سعيد بن زيد بنحو لفظ البخاري ومسلم ، ٤٧٧٢ ، وكتاب : السنة ، باب : قتال اللصوص ، والترمذي عن سعيد بن زيد وعبدالله ابن عمرو ، ١٤١٩ ، وأبواب الديات ، باب : ما جاء في من قتل دون ماله فهو شهيد ، والنسائي عن عبدالله بن عمرو في كتاب تحريم الدم ، باب : من قتل دون ماله ، ٧ / ١١٤ ، وابن ماجه عن سعيد بن زيد وعن عبدالله بن عمرو ، وأبي هريرة بلفظ آخر ، في ٢٥٨٠ ، وكتاب : الحدود ، باب : من قتل دون ماله فهو شهيد .

(٤) (جيحون) نهر عظيم في خراسان . انظر : معجم البلدان ١٩٦ / ٢ .

(٥) التهذيب ١٢٤٩ / ٢ ، واللسان ١٤٦٠ / ٣ .

(٦) التهذيب ١٢٤٩ / ٢ ، واللسان ١٤٦٠ / ٣ .

(٧) في تهذيب اللغة : عن الفراء : «... ودون ذلك الغوص يريد سوى الغوص ، من البناء ...» ، التهذيب ١٢٤٩ / ٢ ، وانظر اللسان ١٤٦٠ / ٣ .

ويكون (دون) بمعنى : (خذ) ، وهو بمعنى الإغراء ، يقال : دونك زيداً ، أي خذه^(١) ، قال الشاعر :

يَا أَيُّهَا الْمَائِحُ دُلُّوِي دُونَكَا^(٢)

ويكون بمعنى : (الوعيد) ، كقولك : دونك فتمرس بي^(٣) . قال الشاعر :

فَدُونُكُمْ مَا قَيْسٌ بِشَحْمٍ لُخْتَلِسٍ وَلَا فِقْعٍ بِقَاعٍ^(٤)
ويكون (دون) بمعنى : (القريب) ، يقال : أدن دونك ، أي اقترب^(٥) ، قال
زهير بن جناب^(٦) :

وَأِنْ عَفَتْ هَذَا فَادُنْ دُونَكَ إِنَّنِي
قَلِيلُ الْغَرَارِ وَالشَّرِيجُ شِعَارِي^(٧)

(١) تهذيب اللغة : تكون بمعنى الأمر ، دونك الدرهم : أن خذه . وفي الإغراء دونك زيداً ، أي الزم زيداً في حفظه .

(٢) سبق البيت وتخرجه : الفاتحة : [٢] ، والشاهد فيه هنا : أنه استعمل (دون) بمعنى خذ ، أي خذ دلوِي ، انظر : مغني اللبيب ٢/٦٠٩ ، ٦١٨ ، الخزانة ٦/٢٠٠ .

(٣) في التهذيب : «الوعيد كقولك : دونك صراعي ، ودونك فتمرس بي» ٢/١٢٤٩ ، واللسان (دون) ٣/١٤٦٠ .

(٤) لم أعثر عليه ، ولم أعرف قائله .

(٥) ذكره الأزهري عن شمر عن ابن الأعرابي ، تهذيب اللغة ٢/١٢٤٩ ، وانظر : اللسان ٣/١٤٦٠ .

(٦) في (ب) : (حباب) ، وفي تهذيب اللغة (حباب) ٢/١٢٤٩ ، ومثله في اللسان ٣/١٤٦٠ ، وهو زهير بن جناب الكلبي شاعر جاهلي قديم ، من المعمرين ، انظر : ترجمته في الشعراء والشعراء ١٧/٢٤٠ ، وطبقات الشعراء للجهمي ٣٧ .

(٧) ورد البيت في تهذيب اللغة (دون) ٢/١٢٤٩ ، واللسان (دون) ٣/١٤٦٠ ، وقوله : (الغرار) : النوم ، و(الشريج) : القوس .

(الشريح) : القوس ، وقول الأعشى :

يَزِيدُ يَغْضُ الطَّرْفَ دُونِي . . . (١)

قال أبو الهيثم : أي في ما بيني وبينه من المكان ، يقال : أدن دونك ، أي اقترب مني في ما بيني وبينك (٢) .

ويكون (دون) بمعنى : (الخصيس) من قولهم : رجل دون ، أي خسيس ، ولم يصرف فعله (٣) . ويكون بمعنى : (أقل من ذا) (٤) ، كقولك : يكفيني (٥) دون هذا .

فأما قوله في هذه الآية : ﴿ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ ، أي غير الله (٦) ، كما يقال : ما دون الله مخلوق ، يريد : وادعوا من اتخذتموه معاونين من غير الله على تفسير ابن عباس (٧) .

-
- (١) البيت من قصيدة للأعشى يهجو يزيد بن مسهر الشيباني ، والبيت :
يزيد يغض الطرف دوني كأنها زوى بين عينيه علي المحاجم
انظر : ديوانه ١٧٨ ، وتهذيب اللغة (دون) ١٢٤٩ / ٢ ، واللسان (دون) ١٤٦٠ / ٣ .
- (٢) تهذيب اللغة (دون) ١٢٤٩ / ٢ ، واللسان ١٤٦٠ / ٣ .
- (٣) ذكر الأزهري نحوه عن الفراء وعن الأصمعي ، تهذيب اللغة (دون) ١٢٤٩ / ٢ ، وانظر : اللسان ١٤٦٠ / ٣ .
- (٤) ذكره الأزهري عن سلمة عن الفراء ، تهذيب اللغة ١٢٤٩ / ٢ ، واللسان ١٤٦٠ / ٣ .
- (٥) في (ب) : (يلقني) .
- (٦) انظر : الطبري ١٦٧ / ١ ، والقرطبي ٢٠٠ / ١ ، والدر المنصور ٢٠١ / ١ .
- (٧) وهو أن المراد بـ (شهادتهم) : أنصاركم وأعاونكم الذين يظهرونكم على تكذيبكم كما سبق ٢٤٧ / ٢ .

وعلى قول الفرّاء^(١) : يقول : ادعوا من اتخذتم إلهاً من دونه . وعلى^(٢) قول القرظي ومجاهد ، يقول : ادعوا من يشهد لكم دون الله ، فإن الله تعالى لا يشهد^(٣) لكم بالصدق ، كما يشهد لمحمد ، فاطلبوا غيره شهداء إن كنتم صادقين في أن هذا الكتاب يقوله محمد من نفسه ، وأنه ليس من عند الله ، وفي قولكم : لو أردنا لأتينا بمثله^(٤) .

وقال أبو علي الجرجاني^(٥) : نظم الآية : فأتوا بسورة من مثله من دون الله وادعوا شهداءكم ، أي من مثل القرآن من غير الله ، يريد أن محمداً يأتي بالقرآن من عند الله ، فأتوا أنتم إن استطعتم بمثل القرآن من غير الله . قال : ومثل هذا قوله : ﴿ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرِيْنَ وَأَدْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾^(٦) [هود: ١٣] ونظمه : فأتوا بعشر سور مثله مفتریات من دون الله ، وادعوا من استطعتم من الناس ، معنى (ادعوا) : استعينوا .

٢٤ . قوله تعالى : ﴿ فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا ﴾ الآية . (لم) حرف يجزم الفعل المضارع ، ويقع بعدها بمعنى الماضي ، كما يقع الماضي بعد حرف^(٧) الجزاء بمعنى الاستقبال ، ولهذه المشابهة بينها وبين حروف الجزاء اختير الجزم بـ (لم)^(٨) وإنما جزمت حروف الشرط والجزاء ، لأنها

(١) قول الفرّاء : (شهداءكم) : آهتكم سبق في ٢/٢٤٨ ، وانظر : معاني القرآن ١/١٩ ، والدر المصون ٢٠١/١ .

(٢) الواو ساقطة من (أ) و(ج) ، وانظر : قول القرظي ومجاهد ٢/٢٤٩ .

(٣) في (ج) : (لا يشهد) .

(٤) انظر : تفسير الثعلبي ١/٥٧ ، وتفسير الطبري ١/١٦٧ ، والدر المصون ١/٢٠١ .

(٥) هو أبو علي الجرجاني صاحب نظم القرآن ، وكتابه مفقود .

(٦) قوله : ﴿ وَأَدْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ ﴾ ساقط من (ب) .

(٧) في (ج) : (حروف) .

(٨) ذهب الزجاج إلى أنها جزمت الفعل بعدها ؛ لأنها نقلته من المستقبل إلى الماضي ، ولأن ما بعدها خرج من تأويل الاسم . انظر : معاني القرآن ١/٦٦-٦٧ ، ونحوه قال الليث في ما نقل عنه الأزهر في =

تقتضي جملتين كقولك : (إن تضرب أضرب) فلطول ما يقتضيه الشرط والجزاء^(١) اختير الجزم ؛ لأنه حذف وتخفيف .

وأما (لن)^(٢) فهي حرف قائم بنفسه ، وضع لنفس الفعل المستقبل ، ونصبه للفعل كنصب (أن) . وليس ما بعد (لن) بصلة لها^(٣) ، لأن (لن يفعل)^(٤) نفي سيفعل ، وتُعمل ما بعدها في ما^(٥) قبلها ، كقولك : (زيداً لن أضرب)^(٦) .

وروى سيويه عن بعض أصحاب الخليل عنه أنه^(٧) قال : الأصل في (لن)^(٨) ، (لا أن) ولكنها حذفت تخفيفاً^(٩) .

وزعم سيويه أن هذا ليس بجيد ، ولو كان كذلك لم يجوز (زيداً لن أضرب) ؛ لأن ما بعد (أن) لا يعمل في ما قبلها ، لأن ذلك يؤدي إلى تقديم الصلة على الموصول^(١٠) .

- = تهذيب اللغة (لم) ٣٢٩٤ / ٤ ، وكذا الرمانى في معاني الحروف ١٠٠ . وقد ردّ أبو علي الفارسي قول الزّجاج وأطال في بيان عدم صحته ، س انظر : الإغفال ٩٥ - ١٠١ .
- (١) (الجزاء) ساقط من (ب) .
- (٢) في (ب) : (لم) .
- (٣) فلا تؤول معه بمصدر كما تؤول (أن) ، وما بعدها بمصدر .
- (٤) (لن) ساقطة من (ب) .
- (٥) في (ب) : (فما) .
- (٦) ذكره الزّجاج في معاني القرآن ١ / ١٣٤ ، ١٣٥ ، وانظر : تهذيب اللغة (لن) ٣٣٠٣ / ٤ ، ومعاني الحروف للرمانى ١٠٠ ، والبحر المحيط ١ / ١٠٢ ، والدر المصون ١ / ٢٠٣ .
- (٧) كذا قال الزّجاج في معاني القرآن ١ / ١٣٤ ، وفي الكتاب : «أما الخليل فزعم أنها (لا أن)» ٥ / ٣ ، وانظر : المسائل الحليّات ٤٥ ، ومعاني الحروف للرمانى ١٠٠ ، وتهذيب اللغة (لن) ٣٣٠٣ / ٤ .
- (٨) في (ب) : (أن) .
- (٩) حذفت الهمزة استخفافاً ، ثم حذفت الألف من (لا) لالتقاء الساكنين ، فصارت الكلمة على حرفين ، المسائل الحليّات ٤٥ .
- (١٠) انظر : رد سيويه على الخليل في الكتاب ٥ / ٣ ، وانظر : معاني القرآن للزّجاج ١ / ١٣٤ ، ١٣٥ ، والمسائل الحليّات ٤٥ ، ومعاني الحروف للرمانى ١٠٠ ، والرأي المشهور فيها كما عند سيويه وغيره أنها حرف بسيط ثنائي غير مركب ، انظر : البحر ١ / ١٠٢ ، والدر المصون ١ / ٢٠٤ .

وللخليل أن يفصل من هذا بأن يقول: الحروف إذا ركبت خرجت عما كانت عليه، ألا ترى أن (هل) أصلها الاستفهام، ولا يجوز أن يعمل ما بعدها في ما قبلها، لو قلت^(١): (زيداً هل ضربت) لم يجوز، فإذا زيد^(٢) على (هل) (لا)، ودخلها^(٣) معنى التحضيض، جاز أن يتقدم ما بعدها عليها، كقولك: (زيداً هلاً ضربت)^(٤) إلا أن قول الخليل ضعيف في الجملة من وجه آخر، وهو أن اللفظ متى جاء على صيغة^(٥) ما، وأمكن استعمال معناه لم يجوز أن يعدل عن ظاهره^(٦) إلى غيره من غير ضرورة تدعو إلى ذلك، فلما وجدنا (لن)^(٧) معناها مفهوم بنفس لفظها، لم يجوز أن يدعى أن^(٨) أصلها شيء آخر من غير حجة قاطعة، ولا ضرورة^(٩). ومعنى الآية: فإن لم تفعلوا في ما مضى، ولن تفعلوا في ما يستقبل أبداً^(١٠).

(١) قلت) ساقطة من (ب) .

(٢) فإذا زيد) ساقط من (ب) .

(٣) في (ب) : (ولا دخلها) .

(٤) ذكر هذا الدفاع عن قول الخليل الرماني في معاني الحروف ١٠٠، ونحوه قال أبو علي في المسائل الخليليات ٤٦ .

(٥) في (ب) : (صفة) .

(٦) في (ب) : (ظاهر) .

(٧) في (ب) : (إن) .

(٨) (أن) ساقطة من (ج) .

(٩) فتكون (لن) حرف نفى بسيط ثنائي غير مركب، ولا يعدل بها عن هذا الأصل إلا بدليل، انظر: البحر ١/١٠٢ .

(١٠) ذكره الثعلبي ١/٥٧، وانظر: تفسير الطبري ١/١٦٧، وتفسير أبي الليث ١/١٠٣، وتفسير ابن عطية ١/٢٠٣، وزاد المسير ١/٥١، وتفسير القرطبي ١/٢٠١ .

وقوله تعالى: ﴿وَلَنْ نَقْعُولَا﴾ كلام^(١) معترض بين الشرط والجواب^(٢). وقد يقع الاعتراض بين الشرط والجواب كهذا، وبين المبتدأ والخبر كقولك: (زيد - فافهم ما أقول - رجل صدق)، وبين اسم (إن) وخبرها، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ﴾ [الكهف: ٣٠]. فقوله: (إننا لا نضيع) اعتراض، والخبر: (أولئك).

وقوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا النَّارَ﴾. أي فاحذروا أن تصلوا النار بتكذيبكم، وإنما قيل لهم هذا بعد أن ثبتت الحجة عليهم في التوحيد وصدق محمد ﷺ^(٣).

و(الفاء) في قوله: ﴿فَإِنْ لَّمْ﴾ للعطف، وفي قوله: ﴿فَاتَّقُوا﴾ للإتباع دون العطف^(٤). وإنما^(٥) اختاروا (الفاء) من قبل أن الجزاء سبيله أن يقع ثاني الشرط، وليس في حروف العطف جميعها حرف يوجد هذا المعنى فيه سوى (الفاء). فدخلت (الفاء) في جواب الشرط توصلًا إلى المجازاة بالجملة المركبة من المبتدأ

(١) في (ب): (الكلام).

(٢) انظر: الكشف ١/٢٤٧، والبحر ١/١٠٧، والدر المصون ١/٢٠٣.

(٣) انظر: تفسير الطبري ١/١٦٨.

(٤) ذكر أبو الفتح بن جني أن الفاء إذا وقعت في أوائل الكلم، وهي ليست من أصل الكلمة، فإنها على ثلاثة أضرب: ضرب تكون للعطف والإتباع جميعاً، وضرب تكون فيه للإتباع مجرداً من العطف، وضرب تكون فيه زائدة، انظر: سر صناعة الإعراب ٢/٢٥١. وتكون للإتباع من دون العطف إذا وقعت في جواب الشرط، كما في قوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا﴾، انظر: إعراب القرآن للنحاس ١/١٤٩، والدر المصون ١/٢٠٣.

(٥) الكلام عن الفاء إذا وقعت في جواب الشرط، نقله الواحدي عن كتاب سر صناعة الإعراب لأبي الفتح بن جني، قال أبو الفتح: «... وإنما اختاروا الفاء هنا من قبل أن الجزاء سبيله أن يقع ثاني الشرط... فإن قيل: وما كانت الحاجة إلى الفاء في جواب الشرط؟ فالجواب: أنه إنما دخلت الفاء في جواب الشرط توصلًا إلى (المجازاة...». سر صناعة الإعراب ١/٢٥٢.

والخبر، والكلام^(١) الذي يجوز أن يبتدأ به نحو: الأمر والنهي^(٢)، فالجملية^(٣) نحو قولك: (إن تحسن إلي فالله يكاftك)، لولا (الفاء) لم يرتبط أول الكلام بآخره^(٤).

ومن ذلك قولك^(٥): (إن يقيم فاضربه)، فالجملية التي هي: (اضربه) جملة أمرية، وكذلك: (إن^(٦) يقعد فلا تضربه) جملة^(٧) نهية، وكل واحدة^(٨) من الجملتين يجوز أن يبتدأ بها^(٩)، فلما كان الابتداء بها يصح وقوعه في الكلام، احتاجوا إلى (الفاء) ليدلوا على أن مثالي الأمر والنهي ليسا على ما يعتد^(١٠) في الكلام^(١١) من وجودهما مبتدئين غير معقودين بما قبلهما^(١٢).

وقوله تعالى: ﴿وَقُودُهَا النَّاسُ﴾. قال ابن السكيت: (الوقود) بالضم: المصدر. يقال: وَقَدَتِ النَّارُ، تَقْدُ^(١٣) وَقُوداً^(١٤). ويقال: ما أجود هذا الوقود للحطب^(١٥).

- (١) في سر صناعة الإعراب: (... أو الكلام...)، وفي هامشه في (ل) و (ش): (والكلام). ٢٥٣/١.
- (٢) قوله: (نحو: الأمر والنهي)، ليست عند أبي الفتح ٢٥٣/١.
- (٣) في (ب): الجملة.
- (٤) اختصار كلام أبي الفتح، انظر: سر صناعة الإعراب ٢٥٣/١.
- (٥) (قولك) ساقط من (ب).
- (٦) في (ب): (إن تفعل).
- (٧) عند أبي الفتح: (فقولك لا تضربه جملة نهية) ٢٥٣/١.
- (٨) في (ب): (واحد).
- (٩) في (ب): (بها) ومثله عند أبي الفتح ٢٥٣/١.
- (١٠) عند أبي الفتح: (يعهد).
- (١١) في (ب): (ليسا على ما بعد بما قبلهما في الكلام).
- (١٢) انتهى نقل الواحد من أبي الفتح من كتاب سر صناعة الإعراب ٢٥٢-٢٥٣.
- (١٣) في (ج): (يقد)، وفي (أ) غير منقوط. وأثبت ما في (ب).
- (١٤) في (ب): (وقود).
- (١٥) في (ب): (الحطب). إصلاح المنطق ٣٣٢، والنص من تهذيب اللغة (وقد) ٣٩٢٩/٤.

وقال غيره^(١): وَقَدَّتْ النار، تَقْدُ وَقُوداً^(٢) وَوُقُوداً، وكأن الوقود اسم وضع موضع المصدر. [فالضم: المصدر]^(٣)، والفتح^(٤): الاسم، ويجوز أن يكون مصدراً^(٥).

و(الحجارة) جمع حجر، وليس بقياس، ولكنهم قالوه كما قالوا: جمل وجمالة، وذكر وذكارة، والقياس أحجار^(٦). وجاء في التفسير أن^(٧) الحجارة هاهنا: حجارة الكبريت، عن ابن عباس وغيره^(٨). فهي^(٩) أشد لانتقاد النار.

- (١) في (التهذيب) (ويقال: وقدت...)، التهذيب ٣٩٢٩/٤.
- (٢) من قوله: (ويقال: ما أجود هذا الوقود... إلى قوله: تقد وقوداً) مكرر في (أ) و(ج).
- (٣) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).
- (٤) في (ب): (وانفتح).
- (٥) انظر: معاني القرآن للزجاج ٦٧، وتهذيب اللغة ٣٩٢٩/٤، وتفسير الطبري ١٦٩/١، وتفسير الثعلبي ١/٥٧.
- (٦) ذكر الأزهري نحوه عن الليث. تهذيب اللغة (حجر) ١/٧٤٦، واللسان (حجر) ٢/٧٨١.
- (٧) (أن) ساقط من (ب).
- (٨) أخرجه (الطبري) بسنده عن ابن مسعود وابن عباس وابن جريج ١/١٦٨-١٦٩، وذكره ابن أبي حاتم عن مجاهد والسدي وعمرو بن دينار ١/٦٤/٦٥، وانظر: معاني القرآن للفرأء ١/٢٠، ومعاني القرآن للزجاج ١/٦٧، وتفسير الثعلبي ١/٥٧. وذكر الثعلبي في الحجارة قولاً آخر، وهو أن المراد بها: الأصنام، ودليله قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا كُرُودُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٨]، وذكره بعض المفسرين، انظر: الكشف ١/٢٥٢، وتفسير القرطبي ١/٢٠٢، والدر ١/٧٨. قال الزمخشري راداً على من قال: إنها حجارة الكبريت: «وهو تخصيص بغير دليل، وذهاب عما هو المعنى الصحيح الواقع المشهود له بمعاني التنزيل...»، الكشف ١/٢٥٢، واليه مال الشنقيطي في أضواء البيان ١/١١٧. أما ابن كثير فمال إلى القول الأول، وقال في معرض رده على الرازي: «وهذا الذي قاله ليس بقوي، وذلك أن النار إذا أضرمت بحجارة الكبريت كان ذلك أشد لحرها وأقوى لسعيرها، ولا سيما على ما ذكره السلف من أنها حجارة من كبريت معدة لذلك...». تفسير ابن كثير ١/٦٤.
- (٩) في (ب) و(ج): (وهي).

وقيل : ذكر الحجارة دليل على عظم تلك النار ؛ لأنها لا تأكل الحجارة إلا كانت فظيعة^(١) . وقوله : ﴿وَقُودُهَا النَّاسُ﴾ لا يدل^(٢) على أنها غير مخلوقة بأن الناس لم^(٣) يدخلوها بعد ؛ لأنها متقدمة^(٤) بغير الناس ، فإذا دخلها الناس صاروا وقودها ، وفي قوله : ﴿أُعِدَّتْ﴾ أوضح دلالة على وجودها ؛ لأن المعدوم لا يسمى مُعَدًّا^(٥) .

وإنما قال : ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ ، وإن^(٦) كان العصاة من المسلمين يدخلونها ؛ لأن الكافرين يخلدون فيها من دون المؤمنين ، وكأن النار ليست للمؤمنين لقلّة كونهم فيها إذا قيس بالخلود^(٧) . وإنما لم يقل : (أعدت لكم) وإن كان المخاطبون كفاراً ؛ لأنه علم أن فيهم من يؤمن . ولما ذكر جزاء الكافرين لتكذيبهم^(٨) ذكر جزاء المؤمنين لتصديقهم ، فقال عزّ من قائل :

٢٥ . ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ الآية . و(التبشير) إيراد الخبر السارّ الذي يُظهر^(٩) السرور في بشرة المخبر ، ثم كثر استعماله حتى صار

(١) انظر : تفسير الثعلبي ٥٧/١ ، والكشاف ٢٥٢/١ ، وتفسير الرازي ١٢٢/١ .

(٢) في (ج) : (لا تدل) .

(٣) في (ج) : (لا) .

(٤) في (أ) و(ج) (متقد) ، وأثبت ما في (ب) ، لأنه أنسب للسياق .

(٥) ذكره الثعلبي ٥٧/١ ، وهذا منهج أهل السنة ، وهو : أن الجنة والنار مخلوقتان موجودتان الآن ، وذهب بعض المبتدعة من المعتزلة والجهمية إلى أنها لم تخلقا بعد ، وأنها ستخلقان ، انظر : تفسير ابن عطية ٢٠٤-٢٠٥ ، تفسير القرطبي ٢٠٣/١ ، وتفسير ابن كثير ٦٦/١ ، وتفسير البياضوي ١٦/١ ، والبحر ١٠٨/١ .

(٦) في (ب) : (فإن) .

(٧) انظر : تفسير ابن عطية ٢٠٤/١ ، ٢٠٥ ، وتفسير القرطبي ٢٠٣/١ ، والبحر ١٠٩/١ .

(٨) قوله : (ذكر جزاء الكافرين لتكذيبهم) ، مكرر في (أ) .

(٩) في (ب) : (يظهر أثر السرور) .

بمنزلة الإخبار ، واستعمل في نقيضه كقوله : ﴿فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾^(١)
إلا أنه^(٢) في ما يسرُّ أكثر^(٣) ، ونظيره قول الشاعر :

بَكَرَتْ تُلُومُكَ بَعْدَ وَهْنٍ فِي النَّدَى
بَسَلٌ عَلَيْكَ مَلَامَتِي وَعِتابي^(٤)

بكر : أصله من البكور بالصباح ، ثم كثر حتى قيل لكل من عجل : (بكر) ،
فكذلك صح أن يقول : بعد وهن . وقال قوم : أصله في ما يسر ويغم سواء ،
إذا^(٥) كان قد^(٦) يظهر في بَشْرَةِ الوجه أثر الغم كما يظهر أثر السرور^(٧) .

وقوله تعالى : ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ ، أي الفعلات أو الأعمال ، فالموصوف
بها محذوف . قال ابن عباس : عملوا الطاعات في ما بينهم وبين ربهم^(٨) .

(١) طرف من آية في آل عمران : [٢١] ، والتوبة : [٣٤] ، والانشقاق : [٢٤] .

(٢) (إلا أنه) ساقط من (ب) .

(٣) انظر : تفسير الطبري ١/ ١٦٩ ، والزاهر ٢/ ١٣٥ ، وتهذيب اللغة (بشر) ١/ ٣٣٨ ، وتفسير ابن
عطية ١/ ٢٠٦ ، وزاد المسير ١/ ٥٢ ، وتفسير القرطبي ١/ ٢٠٤ ، ومفردات الراغب ٤٧ ، ٤٨ .

(٤) البيت لَصُمْرَةٍ بن صُمْرَةٍ مع أبيات أخرى قالها يخاطب امرأته لما لامته على البذل ، بكرت : عجلت ،
بعد وهن : بعد النوم ، الندى : السخاء ، بسل عليك : حرام عليك . ورد البيت في النوادر لأبي
زيد ١٤٣ ، وأمالي القالي ٢/ ٢٧٩ ، والزاهر ١/ ٤٥٢ ، والأضداد لابن الأنباري ٦٣ ، والأضداد
للسجستاني ١٠٤ ، والشاهد فيه هنا : (بكر) أصله من البكور بالصباح ، ثم استعمل في كل من
عجل ، كذلك (البشارة) توسع فيه واستعمل في نقيض الخبر السار .

(٥) (إذا) كذا ورد في النسخ جميعها ، ولعل الأولى (إذ) .

(٦) (قد) ساقطة من (ب) .

(٧) انظر : الزاهر ٢/ ١٣٥ . وقال ابن فارس : «وربما حمل عليه غيره من الشر ، وأظن ذلك جنساً
من التبكيت ، فأما إذا أطلق الكلام إطلاقاً فالبشارة بالخير والندارة بغيره» . مقاييس اللغة (بشر)
١/ ٢٥١ ، وانظر : تفسير ابن عطية ١/ ٢٠٦ ، وانظر : الكشف ١/ ٢٥٤ ، وقال أبو حيان : «وظاهر
كلام الزحشرى أنه لا يكون إلا في الخير . . . وهو محجوج بالنقل» ، البحر ١/ ١٠٩ .

(٨) ذكره الثعلبي في تفسيره ، وذكر أقوالاً أخرى عن عثمان وعلي ومعاذ بن جبل وسهل بن عبدالله
١/ ٥٧ ب ، ٥٨ ، وانظر : تفسير أبي الليث ١/ ١٠٣ .

وقوله تعالى : ﴿أَنْ لَّهُمْ﴾ . موضع (أن) نصب ، معناه : بشرهم بأن لهم ، فلما سقطت (الباء) وصل الفعل إلى (أن) فنصب^(١) .

وقوله تعالى : ﴿جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ . (جنات)^(٢) : جمع جنة ، وهي الحديقة ذات الشجر ، سميت جنة لكثرة شجرها ونباتها^(٣) . يقال : جَنَّتِ الرياض جنونا ، إذا اعتمت نبتها حتى غطى الأرض^(٤) ، قال^(٥) :

وَجَنَّ الْحَاذِبَازِ بِهِ جُنُونًا^(٦)

جعل بعضهم (الحَاذِبَازِ) نبثاً ، وجنونه الثفافة^(٧) . ويقال لكل ما ستر : قد جَنَّ وأجَنَّ ، ومنه جنون الليل ، والجَنَانُ والجَنِينُ والجَنَنُ^(٨) .

-
- (١) ذكر الزَّجَاجُ في معاني القرآن ٦٨/١ ، وفيه : (فنصبت) ، وذكر قولاً آخر ، وهو أنه يجوز أن تكون (أن) في موضع خفض ، إن سقطت الباء . انظر : تفسير ابن عطية ٢٠٧/١ ، وتفسير القرطبي ٢٠٥/١ ، والبحر ١١٢/١ .
- (٢) (جنات) ساقطة من (ب) .
- (٣) انظر : تفسير الثعلبي ٥٨/١ ، وتفسير ابن عطية ٢٠٧/١ ، وتفسير القرطبي ٢٠٥/١ .
- (٤) تهذيب اللغة (جن) ٦٧٣/١ ، وانظر : الصحاح (جن) ٢٠٩٣/٥ ، واللسان (جن) ٧٠١/٢ .
- (٥) (وقال) مكانها بياض في (أ) ، وساقط من (ج) .
- (٦) البيت لابن أحرر وصدره :

تَفَقَّأَ فَوْقَهُ الْقَلْعُ السَّوَارِي

- ويروى : (تَفَقَّعَ) و(تكسر فوقها) وهو يصف روضة ، و(القلع) : السحاب ، ورد البيت في تهذيب اللغة (خزب) ١٠٢٠/١ ، و(فقاً) ٢٨١١/٣ ، و(جن) ٦٧٣/١ ، و(الآن) ٩٨/١ ، وفي الصحاح (جن) ٢٠٩٣/٥ ، وفي مجمع الأمثال للميداني ٤٣٨/١ ، وفي اللسان (جن) ٧٠٥/٢ ، و(قلع) ٣٧٢٤/٦ .
- (٧) وقال بعضهم : هو (ذباب) ، وجنونه كثرة ترنمه في طيرانه . انظر : تهذيب اللغة (جن) ٦٧٣/١ ، والصحاح (جن) ٢٠٩٣/٥ .
- (٨) (الجَنَانُ) : رُوغُ القلب ، و(الجَنِينُ) : الولد في الرحم ، و(الجَنَنُ) : القبر ، انظر : تهذيب اللغة (جن) ٦٧٣/١ .

وقوله تعالى: ﴿مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ ، أي من تحت أشجارها ومساكنها^(١) ، والنهر لا يجري^(٢) ، وإنما يجري الماء فيه ، ويستعمل الجري فيه توسعاً ؛ لأنه موضع الجري^(٣) . وجاء في الحديث : «أنهار الجنة تجري في غير أخدود»^(٤) . وعلى هذا فالجري في النهر على ظاهره .

وقوله تعالى: ﴿كُلَّمَا﴾ . (كل)^(٥) : حرف جملة ، ضم إلى (ما) الجزاء ، فصار أداة للتكرار ، وهي منصوبة على الظرف^(٦) . ﴿رُزِقُوا﴾ أي أطعموا^(٧) . ﴿مِنْ ثَمَرِهِ﴾ . (من) صلة^(٨) أي ثمرة^(٩) . ويجوز أن يكون للتبعيض ؛ لأنهم إنما يرزقون بعض ثمار الجنة^(١٠) .

-
- (١) انظر : الطبري ١٧٠ / ١ ، والثعلبي ١٥٨ / ١ ، وابن عطية ٢٠٧ / ١ ، وزاد المسير ٥٢ / ١ .
 (٢) في (أ) و(ب) : (تجري) .
 (٣) انظر : تفسير الثعلبي ١٥٨ / ١ ، وتفسير ابن عطية ٢٠٧ / ١ - ٢٠٨ ، وتفسير القرطبي ٢٠٥ / ١ .
 (٤) بهذا اللفظ ذكره الثعلبي ، قال : جاء في الحديث : «أنهار الجنة تجري في غير أخدود» تفسير الثعلبي ١٥٨ / ١ . وأخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه موقوفاً على مسروق ، ولفظه : «أنهار الجنة في غير أخدود . . .» ، مصنف ابن أبي شيبة ، كتاب الجنة ٧ / ٥٣ - ٥٤ ، وكذا أخرجه الطبري موقوفاً على مسروق ، ولفظه : « . . . وماؤها يجري في غير أخدود» ١٧٠ / ١ ، وذكره القرطبي قال : «روي أن أنهار الجنة ليست في أخاديد» ، تفسير القرطبي ٢٠٦ / ١ . وقال ابن كثير ، ٦٧ / ١ : «جاء في الحديث أن أنهارها تجري في غير أخدود» . وذكره السيوطي في الدر عن مسروق ، وعزاه إلى ابن المبارك ، وابن أبي شيبة ، وهناد ، وابن جرير ، وابن أبي حاتم ، وأبي الشيخ ، والبيهقي في البعث ، الدر ٨٢ / ١ .
 (٥) (كل) ساقط من (ب) .
 (٦) انظر : إعراب القرآن للنحاس ١٥١ / ١ ، وإملاء ما من به الرحمن ٢٣ ، والبيان في غريب إعراب القرآن ٦٢ ، والدر المصون ١٧٩ / ١ .
 (٧) انظر : تفسير الثعلبي ١٥٨ / ١ .
 (٨) في (ب) : (طلة) .
 (٩) انظر : تفسير الثعلبي ١٥٨ / ١ .
 (١٠) المشهور أن (من) في هذا ، وفي قوله : (من قبل) لابتداء الغاية ، وقيل : للبيان . انظر : الكشف ٢٦٠ / ١ ، والبحر ١١٤ / ١ ، والدر المصون ٢١٥ / ١ .

وقوله تعالى: ﴿قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ﴾ ^(١). لتشابه ما يؤتون به ، ولم يريدوا بقولهم : (هذا الذي رزقنا من قبل) نفس ما أكلوه ، ولكن أرادوا : هذا من نوع ما رزقنا من قبل ^(٢) ، كما يقول الرجل : فلان قد أعد لك الطبخ والشواء ، فيقول : هذا طعامي في منزلي كل يوم ، يريد هذا الجنس ^(٣) .

و(قبل) يُبنى على الضم في مثل هذا الموضع ؛ لأنها تضمنت معنيين ، أحدهما : معناها في ذاتها ، وهو السبق ^(٤) . والآخر : معنى ما بعدها ، لأن التأويل : هذا الذي رزقنا من قبله ، فهو وإن لم يصف ففيه معنى الإضافة ^(٥) ، فلما أدت عن معنيين قويت فحملت أثقل الحركات ^(٦) ، وكذلك قوله : ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾ [الروم : ٤] ، تأويله : من قبل كل شيء وبعده ^(٧) .

(١) (قالوا) ساقط (ب) .

(٢) ذكر ابن جرير في قوله : (هذا الذي رزقنا من قبل) قولين : أحدهما : هذا الذي رزقنا من قبل في الدنيا . ورجح هذا القول ؛ لأن أول رزق في الجنة لم يسبقه شيء . الثاني : هذا الذي رزقنا من ثمار الجنة من قبل هذا ، انظر : تفسير الطبري ١ / ١٧١ ، ١٧٢ ، وانظر : تفسير القرطبي ١ / ٢٠٦ ، والبحر ١ / ١١٤ .

(٣) ذكره الطبري في جواب سؤال أورده ، وهو قوله : فإن سألنا سائل ، فقال : وكيف قال القوم : هذا الذي رزقنا من قبل ، والذي رزقه من قبل قد عدم بأكلهم إياه ؟ وكيف يجوز أن يقول أهل الجنة قولاً لا حقيقة له ؟ ثم أجاب عنه بنحو ما ذكر الواحدي هنا ، تفسير الطبري ١ / ١٧٢ .

(٤) بنيت على الضم لأنها غاية ، انظر : معاني القرآن للفرّاء ٢ / ٣٢٠ ، ومعاني القرآن للزجاج ٤ / ١٧٦ ، وتهذيب اللغة (قبل) ٣ / ٢٨٧٥ ، وتفسير الثعلبي ١ / ٥٨ ، وإعراب القرآن للنحاس ١ / ١٥١ ، والبحر ١ / ١١٤ .

(٥) انظر : المراجع السابقة .

(٦) وهي الضمة ، وقال الزجاج : «وإنما بنيتا على الضم - أي قبل وبعده - لأن إعرابهما في الإضافة النصب والحذف . . . فلما عدّلا عن بابها حُرّكا بغير الحركتين اللتين كانتا تدخلان عليهما بحق الإعراب» ، معاني القرآن ٤ / ١٧٦ .

(٧) انظر : معاني القرآن للفرّاء ٢ / ٣١٩ ، ومعاني القرآن للزجاج ٤ / ١٧٦ ، وتفسير القرطبي ١ / ٢٠٦ .

وهذا مذهب الفراء^(١) والمبرد^(٢)، واختيار ابن الأنباري؛ لأنه قال: العرب إذا وجدت الحرف مؤدياً عن معنيين ألزموه الضم، كقولهم^(٣): (نحن)، ألزموه الضم^(٤)، لأنه يؤدي معنى التثنية والجمع، وكذلك (قط) يؤدي عن زمانين كقوله: ما رأيته قط، معناه من أول أوقاتي^(٥) إلى الساعة، وسمعت أبا الحسن^(٦) الضرير النحوي - رحمه الله - يقول: إنما بني على الضم من دون غيره من الحركات؛ لأنه لما أعرب^(٧) عند الإضافة نحو: (قبلك ومن قبلك) بالنصب والخفض لم يبقَ عند الأفراد والبناء إلا الضم فبني عليه^(٨)، وهذا معنى قول الزجاج، لأنه يقول: ضم (قبل) لأنها غاية كان يدخلها بحق الإعراب الفتح والكسر، فلما عدلت عن بابها بنيت على ما لم يكن^(٩) يدخلها بحق الإعراب، وإنما عدلت لأن أصلها الإضافة فجعلت مفردة تنبئ^(١٠) عن الإضافة^(١١).

وقوله تعالى: ﴿وَأَتُوا بِهِ مُتَشَبِهًا﴾. أي بعضها يشبه بعضاً في اللون والصورة مختلفاً في الطعم، وذلك أبلغ في باب الإعجاب وأدل على الحكمة، وهذا قول ابن عباس وابن مسعود وجماعة من الصحابة^(١٢).

(١) انظر: معاني القرآن للفراء ٢/ ٣١٩، ٣٢٠.

(٢) انظر: المقتضب ٣/ ١٧٤، ١٧٥.

(٣) في (ب): (كقوله).

(٤) انظر ما سبق عن (نحن) في قوله: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُصَلِّحُونَ﴾ [البقرة: ١١]، ٢/ ١٥٨-١٥٩.

(٥) في (أ) و(ج): (أوتاتي).

(٦) أحد شيوخ الواحدي في النحو، وقد تقدمت ترجمته في الكلام عن شيوخه.

(٧) في (ب): (أعرف).

(٨) وهو قول الزجاج في معاني القرآن ٤/ ١٧٦، والنحاس في إعراب القرآن ١/ ١٥١.

(٩) (يكن) سقط من (ب).

(١٠) في (ب) و(ج): (تنبئ).

(١١) انظر: كلام الزجاج في معاني القرآن ٤/ ١٧٦، ونقله الواحدي بمعناه.

(١٢) أخرجه الطبري بسنده عن طريق السدي عن أبي مالك، وعن أبي صالح عن ابن عباس، وعن مرة عن

ابن مسعود، وعن ناس من أصحاب النبي ﷺ وعن الثوري، عن ابن أبي نجيح عن مجاهد، ١/ ١٧٣، =

وقال الحسن وقتادة وابن جريج : متشابهاً في الفضل ، خيار كله لا رذال^(١)
فيه^(٢) . كما يؤتى الرجل بأثواب ليختار منها ، فإذا قلبها^(٣) قال : لا أدري أيها
أخذ لأن كلها حسن مختار^(٤) ، كما قال الشاعر :

مَنْ تَلَقَّ مِنْهُمْ تَقْلٌ^(٥) لَا قَيْتُ سَيِّدَهُمْ

مثل النجوم التي يسري بها السَّاري^(٦)

أي هم متشابهون في الفضل^(٧) . قال ابن الأنباري : وقول ابن عباس أدل
على حكمة الله - عز وجل - ونفاذ قدرته ، لأننا إذا وجدنا رُماًناً يؤدي عن^(٨) طعم
الكمثرى والتفاح والسفرجل كان أبداع وأغرب من أن لا يؤدي إلا عن طعمه

= وذكر ابن أبي حاتم نحوه عن أبي العالية ومجاهد والضحاك والربيع بن أنس والسدي ، ٦٧ / ١ ،
 وذكره الثعلبي عن ابن عباس ومجاهد والسدي ، ٥٨ / ١ ب ، وانظر : الدر ٨٣ / ١ ، وتفسير ابن كثير
 ٦٧ / ١ ، وزاد المسير ٥٣ / ١ ، وأخرج ابن جرير عن مجاهد : (متشابهاً) في اللون والطعم ، ١٧٣ / ١ .
 (١) عند الطبري : (لا رذل) ، ١٧٢ / ١ .

(٢) أخرجه الطبري بسنده عن الحسن وقتادة وابن جريج ، ١٧٢ / ١ ، ١٧٣ ، وابن أبي حاتم عن قتادة ،
 ٦٧ / ١ ، والثعلبي عن الحسن وقتادة ، ٥٨ / ١ ب ، وانظر : الدر ٨٣ / ١ ، وزاد المسير ٥٣ / ١ ، وتفسير
 البغوي ٧٤ / ١ .

(٣) في (ب) : (قبلها) .

(٤) ذكره ابن الأنباري مع البيت في الأضداد ٣٨٧ .

(٥) في (ب) : (تقول) .

(٦) ذكره المبرّد في الكامل مع أبيات أخرى ، ونسبه إلى عبيد بن العرنس ، يصف قوماً نزل بهم ضيفاً ، الكامل
 ٧٨ / ١ ، ٧٩ ، وأنشده ابن الأنباري في الأضداد ٣٨٧ ، وهو في شواهد الكشاف ، ونسبه إلى عبيد بن الأبرص ،
 قال : وقيل : العرنس ٥٧ ، والصحيح : العرنس كما قال المبرّد ، وليس في ديوان عبيد بن الأبرص .

(٧) الأضداد لابن الأنباري ٣٨٧ .

(٨) في (ب) : (من) .

المعروف له^(١). وقال بعض أهل المعاني: في الآية تقديم وتأخير في المعنى، أي وأتوا به متشابهاً، قالوا: هذا الذي رزقنا من قبل^(٢).

وقوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾. (الأزواج) جمع زوج وزوجة، وشكل كل شيء: زوجه^(٣). وقوله تعالى: ﴿مُطَهَّرَةٌ﴾ أي من كل أذى وقذر ممّا^(٤) في نساء الدنيا^(٥). وقيل: عن مساوئ الأخلاق^(٦)، لما فيهنّ من حسن التبعّل، ودل على هذا قوله: ﴿فَجَعَلْنَهُنَّ أَزْوَاجًا مِّثْلًا لِّأَزْوَاجِهِنَّ﴾ [الواقعة: ٣٦، ٣٧]. وقيل: من آفات الشيب والهرم^(٧). ويقال: إنه أراد زوجاتهم من الآدميات، ويقال: أراد من الحور العين^(٨). ﴿وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ لأن تمام النعمة بالخلود والبقاء فيها، كما أن التنغيص^(٩) بالزوال والفناء^(١٠).

(١) الأضداد لابن الأنباري ٣٨٦، وانظر: معاني القرآن للزجاج ٦٨/١، وزاد المسير ٥٣/١.

(٢) لم أجد من قال به في ما اطلعت عليه.

(٣) انظر: تفسير الطبري ١/١٧٥، ومعاني القرآن للزجاج ٦٩/١، والأضداد لابن الأنباري ٣٧٤، وتهذيب اللغة (زاج) ١٥٧٤/٢.

(٤) من (ب)، وفي غيرها: (مما).

(٥) ذكر ابن جرير عن عدد من الصحابة ومن بعدهم، ١/١٧٥، ١٧٦، وانظر: معاني القرآن للزجاج ٦٩/١، وتفسير أبي الليث ١/١٠٤، وتفسير الثعلبي ٥٨/١، وتفسير ابن عطية ١/٢١٠.

(٦) انظر: معاني القرآن للزجاج ٦٩/١، وتفسير أبي الليث ١/١٠٤، وتفسير الثعلبي ٥٨/١، والكشاف ١/٢٦٢.

(٧) والأولى أن يراد بها ما يعم كل طهارة، كما قال الزجاج: إن (مطهرة) أبلغ من (طاهرة)؛ لأن (مطهرة) للتكثير، ١/٦٩، وانظر: تفسير ابن عطية ١/٢١٠.

(٨) انظر: تفسير الثعلبي ٥٨/١.

(٩) في (ب): (التبعيض).

(١٠) انظر: تفسير ابن كثير ١/٦٨.

٢٦. قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي﴾ الآية . قال ابن عباس في رواية أبي صالح : لما ضرب الله سبحانه هذين المثلين للمنافقين قالوا : الله أجل وأعلى من ^(١) أن يضرب الأمثال ، فأنزل الله هذه الآية ^(٢) .

وقال ^(٣) الحسن وقتادة : لما ذكر الله الذباب والعنكبوت في كتابه ، وضرب للمشركين به المثل ضحكت اليهود وقالوا : ما يشبه هذا كلام الله ، فأنزل الله هذه الآية ^(٤) .

قال أهل المعاني : قوله : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي﴾ خرج على لفظهم ^(٥) ، حيث قالوا : إن الله يستحي ^(٦) أن يضرب المثل بالذباب والعنكبوت ^(٧) ، كقوله : ﴿قُلْ فَأَتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِّثْلِهِ﴾ [هود: ١٣] لما قالوا : إنه سحر مفترى ^(٨) .

(١) (من) ساقط من (ب) .

(٢) ذكره الواحدي في أسباب النزول ٢٦ ، وأخرجه الطبري بسنده عن ابن عباس وابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النبي ﷺ ، ١٧٧ / ١ ، وأخرجه ابن أبي حاتم عن السدي ، ٦٨ / ١ ، وذكره ابن كثير ، ٦٨ / ١ ، وذكره السيوطي في الدر عن ابن مسعود وناس من الصحابة ، ٨٨ / ١ .

(٣) (الوار) ساقطة من (ب) .

(٤) ذكره الواحدي في أسباب النزول ٢٦ ، ٢٧ ، وذكره ابن قتيبة في تفسير غريب القرآن ٤٤ ، ولم ينسبه ، وكذا الثعلبي بنحوه ، ٥٩ / ١ ، وأخرج ابن جرير عن قتادة وفيه : قال المشركون : ما بال العنكبوت والذباب يذكران . . إلخ ، ١٧٧ / ١ ، ونحوه عند ابن أبي حاتم ، وقال : روي نحوه عن الحسن ، ٦٩ / ١ . قال السيوطي في لباب النقول بعد أن ذكر قول قتادة : « وذكر المشركين لا يلائم كون الآية مدنية ، وما أوردناه عن قتادة والحسن حكاها الواحدي بلا إسناد بلفظ : (قالت اليهود) وهو أنسب » . لباب النقول ١٣ ، وانظر : تفسير ابن كثير ٦٨ / ١ ، وزاد المسير ٥٤ / ١ ، والكشاف ٢٣٦ / ١ ، والبحر ١٢٠ / ١ .

(٥) أي لفظ اليهود أو المشركين الذين قالوا ذلك .

(٦) في (ب) : (لا يستحي) .

(٧) ذكره الزمخشري في الكشاف ، وجعله من باب (القابلة) . الكشاف ٢٣٦ / ١ ، والبحر ١٢١ / ١ ، ١٢٢ .

(٨) ورد هذا في ما حكاها الله من رد قوم موسى في قوله : ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرَى ﴾ [القصص : ٣٦] .

وقال بعضهم : معنى ^(١) قوله : ﴿لَا يَسْتَحْيَ﴾ هو أن الذي يُستَحْيَا منه ما يكون قبيحاً في نفسه ، ويكون لفعله عيب في فعله ، فأخبر الله سبحانه أن ضرب المثل منه ببعوضة فما فوقها ليس بقبيح ولا نقص ولا عيب ، حتى يُستَحْيَا منه ، فوضع : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيَ أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا﴾ موضع ذلك ، كأنه قيل : إن ما يضربه الله من المثل بالبعوض ^(٢) لا يستحيا منه ^(٣) ، لأن حقيقة الاستحياء في وصفه لا يجوز ؛ لأنه يخاف عيباً ، ويستحيل في وصفه أن يحذر نقصاً ^(٤) .

وقيل : معنى ﴿لَا يَسْتَحْيَ﴾ : لا يترك ؛ لأن أحداً إذا استحيا من شيء تركه ^(٥) ، ومعناه : أن الله لا يترك ضرب المثل ببعوضة فما فوقها إذا علم أن فيه عبرة لمن اعتبر ، وحجة على من جحد ^(٦) . وقيل : معناه : (لا يخشى) ، والخشية والاستحياء يقوم أحدهما مقام الآخر ، كقوله : ﴿وَيَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ

(١) (معنى) ساقط من (ب) .

(٢) في (أ) و(ج) : (بالتعرض) ، وما في (ب) هو الصحيح .

(٣) انظر : تفسير الثعلبي ١/ ٥٩ أ .

(٤) ومن أجل هذا أول معنى الآية ، والوجه جميعها التي أوردتها في تفسير الآية تأويل ، وهذا وافق نهج المتكلمين في باب الصفات ، الذين يستعملون تلك المقدمات العقلية لنفي بعض الصفات . أما السلف فإنهم يمتصمون بالنص في الإثبات والنفي ، فما أثبتته الله لنفسه أو أثبتته له رسوله أثبتوه ، وما نفاه الله عن نفسه أو نفاه عنه رسوله نفوه . انظر : شرح العقيدة الطحاوية ١٧٨ ، والرسالة التدمرية ٧٠ ، والأولى في معنى الآية ما ذكره الطبري ، قال : « . . . معنى الكلام : إن الله لا يستحي أن يصف شيئاً لما شبه به الذي هو ما بين البعوضة إلى ما فوق البعوضة » . تفسير الطبري ١/ ١٧٨-١٧٩ ، وقد نقل الواحدي عن الطبري قولاً آخر ، وأدعى أنه اختاره ، والأمر بخلاف ذلك كما سيأتي .

(٥) ذكره ابن عطية ١/ ٢١٢ ، والقرطبي ١/ ٢٤٢ ، وابن الجوزي في زاد المسير ١/ ٥٤ ، والزمخشري في

الكشاف ١/ ٢٦٣ .

(٦) في (ب) : (حجه) .

تَخَشَّهٖ ﴿[الأحزاب: ٣٧] أي تستحي^(١) الناس﴾^(٢) والله أحق أن تستحي^(٣) منه ، وهذا اختيار محمد بن جرير^(٤) .

قال أهل اللغة : أصل الاستحياء من الحياة^(٥) ، واستحيا الرجل لقوة الحياة فيه^(٦) ، لشدة علمه بمواقع العيب^(٧) ، فالحياء من قوة الحس ولطفه^(٨) وقوة الحياة^(٩)^(١٠) .

(١) (تستحي) يتعدى بنفسه وبالجار ، وعدَّاه الواحدي بنفسه ، وهي عبارة الطبري : «وتستحي الناس ، والله أحق أن تستحيه . . . » ١٧٩ / ١ ، وانظر : البحر ١ / ٢٢١ .

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ب) .

(٣) في (ب) : (يستحي منه) .

(٤) لقد وهم الواحدي في زعمه أن هذا اختيار الطبري ، وتبعه على هذا الوهم أبو حيان في البحر ١ / ١٢١ ، وقال الطبري : «وأما تأويل قوله : (إن الله لا يستحي) فإن بعض المنسوين إلى المعرفة بلغة العرب كان يتأول معنى (إن الله لا يستحي) : أن الله لا يخشى أن يضرب مثلاً . . . فيقول : الاستحياء بمعنى الخشية ، والخشية بمعنى الاستحياء . . . » قال محمود شاكر : « . . . إن لفظ الطبري دال على أنه لم يحقق معناه ولم يرضه ، ولم ينصره . . . » ١ / ٤٠٢ ، ٤٠٣ ، ط . شاكر ، ثم قال محمود شاكر في موضع آخر : «هذا بقية تفسير الكلمة على مذهب من قال : إن الاستحياء بمعنى الخشية ، لا ما أخذ به الطبري ، تفسير الطبري صريح ، بين في آخر الآية ١ / ٤٠٤ ، ونجد الطبري يقول في آخر الآية : «فقد تبين إذاً بما وصفنا ، أن معنى الكلام : إن الله لا يستحي أن يصف شيئاً لما شبه به الذي هو ما بين بعوضة إلى ما فوق البعوضة» ١ / ١٧٩ . فلم نر الطبري يؤول (الاستحياء) بـ (الخشية) والله أعلم .

(٥) في (أ) و(ب) : (الحياة) .

(٦) في (ب) : (واستحي الرجل لقلّة الحياة ، واستحي الرجل لقوة الحياة فيه . . .) .

(٧) في (ب) : (الغيب) .

(٨) في (ب) : (ولفظه) .

(٩) في (أ) : (الحياة) .

(١٠) قال ابن فارس : «الحاء والياء والحرف المعتل أصلان : أحدهما خلاف الموت ، والآخر الاستحياء الذي هو ضد الوقاحة» . مقاييس اللغة (حي) ٢ / ١٢٢ ، وانظر : تهذيب اللغة (حي) ١ / ٩٥٤ ، والصحاح (حي) ٦ / ٢٣٢٤ ، واللسان ٢ / ١٠٨٠ ، ومفردات الراغب ١٤٠ ، والتاج (حي) ١٩ / ٣٥٩ ، والكشاف ١ / ٢٦٣ .

وقوله تعالى : ﴿أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا﴾ . (الضرب) في المثل مستعار ، ومعناه^(١) التسيير للمثل ، والجعل لها^(٢) يسير في البلاد^(٣) ، وذكرنا معنى المثل مستقصى في ما^(٤) تقدم^(٥) .

وقوله تعالى : ﴿مَا بَعُوضَةً﴾ . النصب في بعوضة من جهتين^(٦) ، أحدهما : أن تكون (ما) زائدة ، كأنه قال : إن الله لا يستحيي أن يضرب بعوضة مثلاً ، ومثلاً بعوضة ، و(ما) زائدة مؤكدة كقوله : ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ﴾ [آل عمران : ١٥٩] ، ف(ما) في التوكيد بمنزلة (حق) إلا أنه لا إعراب لها . والخافض والناصب يتعدها إلى ما بعدها ، ومعناها التوكيد فقط^(٧) .

فإذا جعلت (ما) زائدة نصبت بعوضة على أنها المفعول الثاني (ليضرب)^(٨) ، لأن (يضرب) [هاهنا معناه : يجعل] . هذا هو الاختيار عند البصريين^(٩) .

(١) في (ب) : (ومعناه السير للمثل) .

(٢) كذا ورد في النسخ جميعها ، ولعل الصواب (له) .

(٣) قال الطبري : (يبين ويصف) ، ١ / ١٧٩ ، وذكر ابن الجوزي عن ابن عباس : أن يذكر شبيهاً . زاد المسير ١ / ٥٤ ، وقيل : ومعنى يضرب : يذكر ، أو يصير . انظر : تفسير ابن عطية ١ / ٢١٢ ، ٢١٣ ، وتفسير القرطبي ١ / ٢٠٨ ، والبحر ١ / ١٢٢ .

(٤) في (ب) : (ما) .

(٥) عند قوله تعالى : ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْفَدَ نَارًا﴾ [البقرة : ١٧] ، انظر : ١٨٦ - ١٨٨ .

(٦) ذكره الزجاج قال : «فأما إعراب (بعوضة) فالنصب من جهتين في قولنا ، وذكر بعض النحويين جهة ثالثة ، فأما أجود هذه الجهات فأن تكون (ما) زائدة مؤكدة . . . » ، معاني القرآن ١ / ٧٠ .

(٧) معاني القرآن للزجاج ١ / ٧٠ ، وقد ذكره الفراء والطبري ، واختاراً غيره كما سيأتي ، انظر : معاني القرآن للفراء ١ / ٢١ ، وتفسير الطبري ١ / ١٧٩ ، ١٨٠ ، وتفسير الثعلبي ١ / ٥٩ ، والبيان في غريب إعراب القرآن ١ / ٦٥ ، والإملاء ١ / ١٦ ، والكشاف ١ / ٢٦٤ .

(٨) في (ب) : (كيضرب) .

(٩) انظر : تفسير الطبري ١ / ١٨٠ ، ومعاني القرآن للفراء ١ / ٢١ .

وفيه وجه آخر : وهو أن (بعوضة) بدل من (المثل) ، انظر : تفسير الثعلبي ١ / ٥٩ ، والإملاء ١ / ٢٦ ، والبيان ١ / ٦٥ ، والكشاف ١ / ٢٦٤ ، وتفسير ابن عطية ١ / ١٥٢ ، وقاله الزجاج ١ / ٧١ .

الوجه الثاني : أن تكون (ما) ^(١) نكرة ^(٢) بمنزلة شيء ، فيكون المعنى : إن الله لا يستحي أن يضرب مثلاً شيئاً من الأشياء ، ثم أبدل بعوضة من شيء ^(٣) ، فقال : ﴿بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ . وهذا ^(٤) قول الفراء ^(٥) .

وقال الكسائي : معناه : أن يضرب مثلاً ما بين بعوضة إلى ما فوقها ، ثم حذف (بين) و(إلى) ونصب بعوضة بإسقاط الخافض . وفي ^(٦) كلام العرب : (مطرنا ما زُبَالَةً فَالْثَعْلَبِيَّة) بمعنى ما بين زُبَالَةً إلى الثعلبية ^(٧) ، ويقولون : (له عشرون ما ناقة فجملًا) ، أي ما بين ناقة وجمل ، وهو ^(٨) أحسن الناس ما قرناً فقدماً ^(٩) .

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ب) .

(٢) في (ب) : (ذكره) .

(٣) في (أ) و(ج) : (شيئاً) .

(٤) في (ب) : (فهذا) .

(٥) انظر : معاني القرآن للفراء ٢٢ / ١ ، والقول الذي اختاره الفراء القول الآتي الذي نسبته الواحدي إلى الكسائي ، وانظر : معاني القرآن للزجاج ٧٠ / ١ ، وتفسير الطبري ١٨٠ / ١ ، وتفسير الثعلبي ١٥٩ / ١ .

(٦) (والواو) ساقطة من (ب) .

(٧) (زباله) و(الثعلبية) موضوعان معروفان من المنازل في الطريق بين الكوفة ومكة . انظر : معجم ما استعجم ٣٤١ / ١ ، ٦٩٣ / ٢ ، ومعجم البلدان ٧٨ / ٢ ، ١٢٩ / ٣ .

(٨) في معاني القرآن للفراء ، (وهي) ٢٢ / ١ ، وكذا في تفسير الطبري ١٨٠ / ١ .

(٩) المعنى : ما بين القرن والقدم . ورد الكلام في معاني القرآن للفراء ولم ينسبه إلى الكسائي ٢٢ / ١ ، وذكره الطبري ولم يعزه ، وعزاه محمود شاكر في حاشية الطبري إلى الفراء ٤٠٥ / ١ ، وفي الآية وجه آخر ذكره بعض المفسرين : وهو أن تكون (ما) بمعنى (الذي) و(بعوضة) مرفوع ، لأنه خبر مبتدأ مقدر ، أي الذي هو بعوضة ، وأنكر الزجاج هذا الوجه ، لأنه لم يثبت قراءة ، وإن كان صحيحاً في الإعراب ، انظر : معاني القرآن للزجاج ٧١ / ١ .

أما (الطبري) فاختر هذا الوجه ، ولكن على نصب (بعوضة) وذكر لنصبها وجهين . . . انظر : تفسير الطبري ١٧٩ / ١ ، وانظر : البيان ٦٦ / ١ ، وتفسير ابن عطية ٢١٣ / ١ .

وأنكر المبرّد هذين القولين فقال : أما قول الفرّاء : إنه يجعل (ما) اسماً تاماً ، وينصب بعوضة بدلاً منه ^(١) ، فإن القول في ذاك ما قال الخليل وسيبويه ، قالوا جميعاً : إن (من) و(ما) يكونان ^(٢) نكرتين ، فيلزمهما الصفة كلزوم الصلة ^(٣) إذا كانا معرفتين ، تقول ^(٤) : مررت بمن صالح ، أي بإنسان صالح . ومررت بما حسن ، أي بشيء حسن ، فلا يكونان نكرتين إلا بوصفهما ، كما لا يكونان ^(٥) معرفتين إلا بصلتهما ^(٦) . والفرّاء جعل (ما) وحدها اسماً ^(٧) ، لأن البعوضة ليست بصفة . وقال سيبويه ^(٨) في قوله تعالى : ﴿ هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ ﴾ [ق: ٢٣] يجوز أن يكون (ما) نكرة ، أي هذا شيء لدي عتيد ، ويجوز أن يكون في معنى (الذي) ^(٩) .

وأما قول الكسائي : (ما بين كذا إلى كذا) ^(١٠) فإنما يحكى هذا الكلام عن أعرابي وحده ، وإن صح فوجهه غير ما ذكر ، وهو أن يكون (ما) صلة ، فيكون

(١) الفرّاء لم يرجح هذا القول ، وإنما رجح القول الذي نسبه الواحدي إلى الكسائي ، حيث قال : «الوجه الثالث : - وهو أحبها إليّ- فأن تجعل المعنى على : إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلاً ما بين البعوضة إلى ما فوقها . . . » ، معاني القرآن ١ / ٢٢ .

(٢) (يكونان) ساقطة من (ج) .

(٣) في (ب) : (الصفة) .

(٤) في (أ) و(ج) : (يقول) .

(٥) في (أ) و(ج) : (يكونان) بسقوط (لا) .

(٦) انظر : الكتاب ٢ / ١٠٥-١٠٧ .

(٧) الفرّاء اختار غير هذا القول كما سبق ، وانظر : معاني القرآن ١ / ٢٢ .

(٨) (سيبويه) ساقط من (ب) .

(٩) انظر : الكتاب ٢ / ١٠٦ .

(١٠) هذا الكلام في معاني القرآن ، ولم يعزّه إلى الكسائي ، عزا إليه كلاماً بمعناه ، قال : «قال الكسائي سمعت أعرابياً ورأى الهلال فقال : الحمد لله ما إهلالك إلى سَرارك ، يريد ما بين إهلالك إلى سَرارك . . . وحكى الكسائي عن بعض العرب : الشَّنَقُ ما خمساً إلى خمس وعشرين ، يريد ما بين خمس إلى خمس وعشرين . والشَّنَقُ : ما لم تجب فيه الفريضة من الإبل . . . » . معاني القرآن للفرّاء ١ / ٢٢ ، ٢٣ .

الكلام : (مطرنا^(١) زبالة فالثعلبية) كما تقول : أتيت الكوفة فالبصرة . ولو كان معناه (ما بين) ، لم يكن المطر بزبالة ولا الثعلبية ؛ لأن ما بينهما غيرهما ، وإضمار (بين) فبعيد جداً .

و(البعوض) صغار البق ، الواحدة بعوضة ، وذلك لأنها كبعض البق في الصغر^(٢) . وقوله تعالى : ﴿فَمَا فَوْقَهَا﴾ ، يعني ما هو أكبر منها ؛ لأن البعوض نهاية في الصغر^(٣) .

قال ابن عباس : يعني الذباب والعنكبوت^(٤) ، وهما فوق البعوض . [وقيل : أراد بما فوق البعوض]^(٥) الفيل ، وذلك أن الله تعالى خلق للبعوضة من الأعضاء مثل ما خلق للفيل^(٦) على عظمه ، وزاد للبعوض جناحين ، ففي ضربه المثل به أعظم عبرة وأتم دلالة على كمال قدرته وتمام حكمته .

(١) في (ب) : (فيكون) ، (الكلام مثل ما زبالة) .

(٢) انظر : الصحاح (بعض) ٣/١٠٦٦ ، وزاد المسير ١/٥٥ ، وتفسير القرطبي ١/٢٠٩ ، ورجع الدميري : أن البعوض غير البق ، انظر : حياة الحيوان ١/١٧٩ .

(٣) ذكره الفراء ورجحه ، انظر : معاني القرآن ١/٢٠ ، ومعاني القرآن للزجاج ١/٧١ ، ومعاني القرآن للأخفش ١/٢١٥ ، وتفسير الطبري ١/١٨٠ ، وتفسير أبي الليث ١/١٠٤ ، وتفسير الثعلبي ١/٥٩ ، والكاشف ١/٢٦٥ .

(٤) ذكر الثعلبي ١/٥٩ ، وأبو الليث ١/١٠٤ ، وابن قتيبة في غريب القرآن ، ولم يعزه إلى ابن عباس ، ٢٧ .

(٥) ما بين المعقوفين مكرر في (ب) .

(٦) في (ب) : (الفيل) .

وقال بعضهم : فما فوقها ، يعني في الصغر ، يريد فما هو أصغر منها^(١) ، لأنه يقال : فلان فوق فلان في الحقارة والدناءة . واختار قوم هذا^(٢) ؛ لأن الغرض المطلوب هاهنا الصغر .

فإن قيل : إذا كانت البعوضة هي النهاية في الصغر ، فلا معنى في^(٣) (فما فوقها) في الصغر ، قيل : ليس الأمر على ما قلتم ، لأن ما دون البعوضة في الصغر متوهم معقول ، وإن لم يرَ ، كما قال : ﴿ طَلَعَهَا كَأَنَّهٗ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴾ [الصفات : ٦٥] ، فالمشبه به معقول وإن لم يرَ ، وكما قال الشاعر :

وَمَسْنُونَةٌ زُرُقٌ كَأَنِّيَابِ أَعْوَالِ^(٤)

ولم يرَ ناب الغول . ويؤكد هذا التأويل قول أبي عبيدة في هذه الآية ، وهو أنه^(٥) قال : (فما فوقها) ، يعني : فما دونها^(٦) . و(فوق) من الأضداد ؛ لأنه لا فوق^(٧) إلا ويصلح أن يكون دون ، لأن من فوقك^(٨) يصلح أن يكون دون غيرك

(١) ذكره الفراء في معاني القرآن ٢٠ / ١ ، والزجاج في المعاني ٧١ / ١ ، والأخفش في المعاني ٢١٥ / ١ ، والطبري ١٨٠ / ١ ، وضعفه ، وذكره أبو الليث ، ١٠٤ / ١ ، وأبو عبيدة في المجاز ٣٥ / ١ ، وابن قتيبة في المشكل ٢٧ ، وابن الأنباري في الأضداد ٢٥٠ ، والزمخشري في الكشاف ٢٦٥ / ١ .

(٢) كأبي أبي عبيدة في المجاز ٣٥ / ١ ، وابن قتيبة في المشكل ٢٧ .

(٣) في (ب) : (فلا معنى في ما) .

(٤) عجز بيت لامرئ القيس وصدده :

أَيَقْتُلُنِي وَالْمَشْرِفِيُّ مُضَاجِعِي

المشرفي : السيف ، (مسنونة زرق) : سهام محددة الأزجه صافية ، شبهها بأنياب الأعوال ، تشنيعاً ومبالغة في الوصف ، والأعوال : الشياطين ، وقيل : الحيات . انظر : ديوان امرئ القيس ١٢٥ ، وتهذيب اللغة (غال) ١٩٣ / ٨ ، والمخصص ١١ / ٨ ، واللسان (غول) ٣٣١٨ / ٦ ، والبحر المحيط ٣٠٤ / ٢ .

(٥) في (ب) : (أن) .

(٦) مجاز القرآن ٣٥ / ١ .

(٧) في (ب) : (لا فرق) .

(٨) في (ب) : (فوق الصلح) .

فذلك فوق^(١) من وجه ودون من وجه^(٢) . وإذا كان (فوق) بمعنى (دون) كان المعنى (فما دونها) أي ما هو أصغر منها .

وقد استشهد على استحسان ضرب المثل بالحقير [في]^(٣) كلام العرب بقول الفرزدق :

ضَرَبْتَ عَلَيْكَ الْعُنْكَبُوتُ بِنَسْجِهَا
وَقَضَى^(٤) عَلَيْكَ بِهِ الْكِتَابُ الْمُنْزَلُ^(٥)

وبقوله أيضاً :

وَهَلْ شَيْءٌ يَكُونُ أَذْلَ بَيْتًا^(٦)

مِنَ الْيَرْبُوعِ يَحْتَفِرُ التُّرَابَا^(٧)

(١) (فوق) ساقط من (ب) .

(٢) انظر : الأضداد لأبي حاتم ١٠١ ، والأضداد لابن الأنباري ٢٥٠ ، وقد ذكر عن قطرب : «أن فوق تكن بمعنى : (دون) مع الوصف ، مثل قول العرب : إنه لقليل وفوق القليل ، ولا تكون بمعنى : (دون) مع الأسماء ، كقول العرب : هذه نملة وفوق النملة . . . » . ورد أقوال المفسرين الذين قالوا : إن (فوقاً) في الآية بمعنى (دون) ، وغلطه ابن الأنباري في هذا ورد عليه . والأقرب أن (فوق) في الآية تكون بمعنى : أعظم ، وبمعنى : دون ، وهذا هو اختيار ابن الأنباري ، وانظر : المشكل لابن قتيبة ٢٧ ، والبحر ١/ ١٢٣ ، وتفسير ابن كثير ١/ ٦٩ .

(٣) (في) إضافة من الوسيط للواحد ، ١/ ٦٦ لاستقامة السياق .

(٤) (ب) : (ومعن) .

(٥) استشهد الواحدي بالبيت في الوسيط ١/ ٦٦ ، وهو في ديوان الفرزدق ٢/ ١٥٥ من قصيدة طويلة ضمن نقائضه مع جرير .

(٦) (بيتاً) ساقط من (ب) .

(٧) استشهد الواحدي بالبيت في الوسيط ١/ ٦٦ ، وهو في ديوان الفرزدق ١/ ١٠٣ .

وقوله تعالى : ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونُ﴾ . مدحهم الله بعلمهم أن المثل وقع في ^(١) حقه ^(٢) ، وذم الكافرين بإعراضهم عن طريق الاستدلال وإنكارهم ما هو صواب وحكمة .

وقوله تعالى : ﴿مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا﴾ . قال أبو إسحاق : (ماذا) يجوز أن يكون (ما) و (ذا) اسماً واحداً ، ويكون موضعها نصباً ، المعنى : أي شيء أراد الله بهذا مثلاً ؟ ويجوز أن يكون (ذا) مع (ما) بمنزلة (الذي) فيكون المعنى : ما الذي أراده ^(٣) الله بهذا مثلاً ؟ فيكون (ما) رفعاً بالابتداء ، و (ذا) في معنى الذي وهو خبر الابتداء ، انتهى كلامه ^(٤) .

وفائدة الوجهين يتبين في الجواب ، فإنك إن جعلته اسماً واحداً كان جوابه منصوباً ، وإن جعلت (ما) ابتداء و (ذا) خبره كان الجواب مرفوعاً ، مثاله أن قائلاً لو ^(٥) قال لك : ماذا أراد الله بهذا مثلاً ؟ قلت : البيان لحال ^(٦) الذي ضرب له المثل ، لأنك أبدلته من (ماذا) وهو نصب . وفي الوجه الثاني قلت : البيان بالرفع ؛ لأن (ذا) محله رفع بخبر الابتداء ^(٧) . وجاء في القرآن بالتقديرين ^(٨) جميعاً في قوله : ﴿مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَبِرًا﴾ [النحل : ٣٠] ، و ﴿مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾

(١) (في) ساقط من (ب) .

(٢) قال الطبري : يعرفون أن المثل الذي ضربه الله ، لما ضربه له مثل ، ثم ذكر عن الربيع وقتادة أن هذا المثل الحق من ربهم ، وأنه كلام الله ، ١٨١ / ١ ، وانظر : معاني القرآن للزجاج ٧١ / ١ ، وتفسير الثعلبي ٥٩ / ١ .

(٣) في (ب) : (أراد) .

(٤) معاني القرآن للزجاج ٤٢ / ١ ، وانظر : مشكل إعراب القرآن لمكي ٣٢ / ١ ، والبيان ٦٦ / ١ ، والإملاء ٢٦ / ١ ، وقد ذكر النحويون أن (ماذا) تأتي في ستة أوجه ، لكن يجوز في الآية وجهان ذكرهما المؤلف ، انظر : مغني اللبيب ٣٠٠ / ١ ، والبحر ١٢٤ / ١ ، والدر المصون ٢٢٣ / ١ .

(٥) (لو) ساقطة من (ب) .

(٦) في (أ) و (ج) : (الحال) ، أثبت ما في (ب) لمناسبته للسياق .

(٧) انظر : الكتاب ٤١٧ / ٢ ، ٤١٨ ، الكشف ٢٦٦ / ١ ، والبحر ١٢٤ / ١ .

(٨) في (ب) : (التقدير) .

[النحل: ٢٤]. فعلى النصب كأنه قيل: أي شيء أنزل ربكم^(١)؟ وعلى الرفع^(٢): أي شيء الذي^(٣) أنزله^(٤) ربكم؟ واستشهد سيبويه^(٥) في الرفع بقول الشاعر:

أَلَا تَسْأَلَانِ الْمَرْءَ مَاذَا يُجَاوِلُ
أَنْحَبُ فَيَقْضَى أَمْ ضَلَالٌ وَبَاطِلٌ^(٦)

وبقولهم: (عَمَّاذَا تَسْأَلُ) على أنها بمنزلة اسم واحد، ولو لم يكن كذلك لقالوا: (عم ذاً تسأل)^(٧) وذكرنا هذه المسألة بأبلغ من هذا في الشرح، عند قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْغَفْوُ﴾ [البقرة: ٢١٩].

(١) وعليه جاءت الآية الأولى: (قالوا خيراً).

(٢) وعليه جاءت الآية الثانية: (قالوا أساطير الأولين)، انظر: الكتاب ١٧/٢.

(٣) (الذي) ساقط من (ب).

(٤) في (ج): (أنزل).

(٥) الكتاب ١٧/١.

(٦) البيت مطلع قصيدة للبيد بن ربيعة، يرثي بها النعمان بن المنذر.

النحب: النذر، يقول: ألا تسألان رجلاً مجتهداً في أمر الدنيا والسعي خلفها، كأنه أوجب على نفسه نذراً في ذلك، فهو يجري لقضاء ذلك النذر، أم هو ضلال وباطل من أمره. ورد البيت عند سيبويه، ١٧/٢، ومعاني القرآن للفرّاء ١/١٣٩، والمعاني الكبير ٣/١٢٠١، وجمل الزّجاجي ٣٤٩، والمختص ١٤/١٠٣، ومغني اللبيب ١/٣٠٠، وشرح المفصل ٣/١٤٩، ٤/٢٣، والخزانة ٢/٢٥٢، ٦/١٤٥، والدر المصون ١/٢٢٩، وديوان لبيد ٢٥٤، والشاهد (أنحب) إذ جاء مرفوعاً فدل على أن (ذا) في معنى (الذي).

(٧) (عم ذاً تسأل) بحذف ألف (ما) لأن (ما) إذا كانت استفهاماً ودخل عليها حرف الجر حذفت ألفها، فلما ثبتت الألف دل على أنها مركبة مع (ذا)، انظر: الكتاب ١٨/٤١٨، وشرح المفصل ٣/١٥٠.

وفي نصب قوله : ﴿مَثَلًا﴾ وجوه ، أحدها : الحال ^(١) ، لأنه جاء بعد تمام الكلام كأنه قيل : ماذا أراد الله بهذا مبيناً . والثاني : التمييز والتفسير للمبهم ^(٢) ، وهو (هذا) كأنه قيل : ماذا أراد الله بهذا من الأمثال ^(٣) .

والثالث : القطع ، كأنه قيل : ماذا أراد الله بهذا المثل ^(٤) ؟ إلا أنه لما جاء نكرة ^(٥) نصب على القطع عن إتباع المعرفة ، وهذا مذهب الفراء وأحمد بن يحيى ^(٦) ، ومعناه : إن الذين كفروا يقولون : أي فائدة في ضرب المثل بهذا ؟ فأضلهم الله سبحانه فقال : ﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا﴾ ^(٧) أي أراد الله بهذا المثل أن يضل به كثيراً من الكافرين ، وذلك ^(٨) أنهم ينكرونه ويكذبونه . ويهدي به كثيراً من المؤمنين ، لأنهم يعرفونه ويصدقون به ^(٩) .

(١) اختلف في صاحب الحال ، ف قيل : اسم الإشارة ، وقيل : لفظ الجلالة (الله) ، انظر : تفسير الثعلبي ٤١٨/١ ، والمشكل لمكي ٢٣١/١ ، وتفسير ابن عطية ٢١٣/١ ، والبيان ٦٧/١ ، والبحر ١٢٥/١ ، والدر المصون ٢٣١/١ .

(٢) في (ب) : (للمتهم) .

(٣) انظر : المشكل لمكي ٣٣/١ ، وتفسير ابن عطية ٢١٣/١ ، والبيان ٦٧/١ ، والإملاء ٢٦/١ ، والبحر ١٢٥/١ ، والدر المصون ٢٣١/١ .

(٤) انظر : إعراب القرآن للنحاس ١٥٤/١ ، وتفسير الثعلبي ١٩٥/١ ، والبحر ١٢٥/١ ، وقال أبو حيان : إن هذا مذهب الكوفيين ، والمراد بالقطع : أنه يجوز أن يعرب بإعراب الاسم الذي قبله ، فإذا لم تتبعه في الإعراب وقطعته عنه نصب على القطع ، وقال : وهذا كله عند البصريين منصوب على الحال ، ولم يثبت البصريون النصب على القطع ، انظر : الدر المصون ٢٣١/١ .

(٥) في (ب) : (ذكره) .

(٦) انظر : إعراب القرآن للنحاس ١٥٤/١ ، والبحر ١٢٥/١ .

(٧) قوله : (يهدي به كثيراً) ساقط من (أ) و(ج) .

(٨) في (ب) : (وكذلك) .

(٩) انظر : تفسير الثعلبي ٥٩/١ ب .

قال^(١) الأزهرى : (والإضلال) في كلام العرب ضد الهداية والإرشاد ، يقال^(٢) : أضللت فلاناً ، إذا وجهته للضلال عن الطريق فلم^(٣) ترشده ، وإياه أراد لبيد بقوله :

مَنْ هَدَاهُ سُبُلَ الْخَيْرِ اهْتَدَى نَاعِمَ الْبَالِ وَمَنْ شَاءَ أَضَلَّ^(٤)

قال لبيد هذا في الجاهلية ، فوافق قوله التنزيل : ﴿يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾^{(٥)(٦)(٧)} . ولا يجوز أن يكون معنى الإضلال : الحكم والتسمية ؛ لأن أحدنا إذا حكم بضلالة^(٨) إنسان لا يقال : أضله ، وهذا لا يعرفه أهل اللغة^(٩) .

(١) في (ب) : (كذلك قال الأزهرى) .

(٢) في (ب) : (يقول) .

(٣) قوله : (فلم ترشده) ليس في تهذيب اللغة .

(٤) البيت ورد في تهذيب اللغة (ضل) ٣ / ٢١٣٠ ، واللسان (ضلل) ٥ / ٢٦٠١ ، وديوان لبيد مع شرحه ١٧٤ ، والوسيط للواحدي ١ / ٦٧ .

(٥) في (ب) : (تضل وتهدي) .

(٦) جزء من آية في النحل : [٩٣] ، وسورة فاطر آية : [٨] .

(٧) تهذيب اللغة (ضل) ٣ / ٢١٣٠ ، وانظر : اللسان (ضلل) ٥ / ٢٦٠١ .

(٨) في (ب) : (بضلال) .

(٩) يردّ بهذا على المعتزلة الذين قالوا : إن الله لا يخلق الضلال ، ومعناه الإضلال عندهم هنا : الحكم أو التسمية ، أو أنه من إسناد الفعل إلى السبب كما قال الزمخشري في الكشف ١ / ٢٦٧ .

وعند أهل السنة أن الله خالق العباد وخالق أفعالهم ، انظر : تفسير أبي الليث ١ / ١٠٥ ، وتفسير ابن عطية ١ / ٢١٦ ، ٢١٧ ، والإنصاف في ما تضمنه الكشف من الاعتزال ، حاشية على الكشف ١ / ٢٦٧ ، وتفسير القرطبي ١ / ٢٠٩ ، ٢١٠ . قال ابن كثير : «قال السدي في تفسيره : عن أبي مالك ، وعن أبي صالح عن ابن عباس ، وعن مرة عن ابن مسعود ، وعن ناس من الصحابة : (يضل به كثيراً) : يعني به المنافقين ، (ويهدي به كثيراً) : يعني به المؤمنين ، فيزيد هؤلاء ضلالة إلى ضلالتهم لتكذيبهم . . . ويهدي به - أي بالمثل - كثيراً من أهل الإيمان والتصديق فيزيدهم هدى إلى هداهم وإيماناً إلى إيمانهم لتصديقهم . . . » . تفسير ابن كثير ١ / ٦٩ ، ٧٠ .

وقوله تعالى: ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾ . قال الليث: (الفسق): الترك لأمر الله ، ومثله (الفسوق)^(١) . قال أبو عبيدة : وأصله في اللغة الجور والميل عن الطاعة ، يقال : (فسق) إذا جار . وأنشد^(٢) :

فَوَاسِقًا عَنْ قَصْدِهِ^(٣) جَوَائِرًا^(٤)

وقال الفرّاء : (الفسق)^(٥) : الخروج عن الطاعة ، قال : والعرب تقول : فسقت الرطبة من قشرها ، لخروجها منه ، وكأن الفأرة إنما سميت (فويسقة) لخروجها من جحرها على الناس^(٦) . وقال أبو العباس : (الفسوق) : الخروج^(٧) . وقال أبو الهيثم : وقد يكون الفسوق شركاً ، ويكون إثماً^(٨) . والذي أريد به هاهنا الكفر^(٩) لقوله^(١٠) تعالى :

(١) تهذيب اللغة (فسق) ٣/ ٢٧٨٨ .

(٢) مجاز القرآن ١/ ٤٠٦ ، وتهذيب اللغة (فسق) ٣/ ٢٧٨٨ ، والنص من التهذيب .

(٣) في (ب) : (أمره) ، وهي رواية وردت في اللسان (فسق) ٦/ ٣٤١٤ .

(٤) البيت لرؤية كما في مجاز القرآن وقبلة :

يهوين في نجد وغوراً غائراً

يصف إبلاً منعدلة عن قصد نجد ، ورد البيت في مجاز القرآن ١/ ٤٠٦ ، وفيه : (قصدها) بدل (قصده) ، ومثله عند الطبري ١٥/ ٢٦١ ، وبمثل رواية الواحدي ورد في الزاهر ١/ ٢١٨ ، وتهذيب اللغة (فسق) ٣/ ٢٧٨٨ ، واللسان ٦/ ٣٤١٤ ، وتفسير القرطبي ١/ ٢١٠ .

(٥) (الفسق) ساقط من (ب)

(٦) معاني القرآن للفرّاء ٢/ ١٤٧ ، وفيه قوله : (فسق عن أمر ربه) ، أي خرج عن طاعة ربه ، والعرب تقول : ... ، ونحوه في التهذيب : (فسق) .

(٧) تهذيب اللغة (فسق) ٣/ ٢٧٧٨ .

(٨) في التهذيب : وقال أبو الهيثم : الفسوق يكون الشرك ويكون الإثم (فسق) ٣/ ٢٧٨٩ ، وانظر : اللسان (فسق) ٦/ ٣٤١٤ .

(٩) انظر : تفسير الطبري ١/ ١٨٢ ، وتفسير ابن كثير ١/ ٧٠ ، وزاد المسير ١/ ٥٦ ، وتفسير القرطبي ١/ ٢١٠ .

(١٠) في (ب) : (كقوله) .

٢٧. ﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ﴾ . (والذين) من صفة الفاسقين . و(النقض) في اللغة : الهدم ، وإفساد ما أبرمته من حبل أو بناء^(١) ، و(نقيض الشيء)^(٢) : ما ينقضه^(٣) أي يهدمه ويرفع حكمه^(٤) .

والمناقضة في الشعر أن^(٥) يقول الشاعر قصيدة ، فينقض عليه شاعر آخر حتى يجيء بغير ما قال ، والاسم النقيضة^(٦) ويجمع على النقائض ، ولهذا المعنى قالوا : نقائض^(٧) جرير والفرزدق^(٨) .

وقوله تعالى : ﴿عَهْدَ اللَّهِ﴾ . (العهد) في اللغة يكون لأشياء مختلفة^(٩) ، والذي أريد به هاهنا الوصية^(١٠) والأمر من قولهم : عهد الخليفة إلى فلان كذا

(١) ذكر نحوه الأزهري عن الليث ، تهذيب اللغة (نقض) ٤ / ٣٦٤٨ ، وانظر : اللسان (نقض) ٤٥٢٤ / ٨ .

(٢) في (أ) : (نقيض) .

(٣) في (أ) و(ج) : (ما تنقضه) ، وما في (ب) أصح ، وموافق لما في الوسيط ٦٨ / ١ .

(٤) النقض لغة : هو الكسر ، وفي الاصطلاح : بيان تخلف الحكم المدعي عليه ثبوته أو نفيه عن دليل المعلن الدال عليه في بعض الصور . انظر : التعريفات للجرجاني ٢٤٥ . والتناقض : (اختلاف قضيتين بالإيجاب والسلب بأن يقتضي لذاته أن تكون إحداها صادقة والأخرى كاذبة) ، انظر : تيسير القواعد المنطقية شرح الرسالة الشمسية ١ / ١٦٩ .

(٥) في (ب) : (الشعر أو يقول . . .) .

(٦) في (ب) : (النقضة) .

(٧) في (ب) : (أنقاض) .

(٨) ذكره الأزهري في التهذيب عن الليث ، (نقض) ٨ / ٣٦٤ ، وانظر : اللسان (نقض) ٤٥٢٤ / ٨ .

(٩) ذكر الأزهري عن أبي عبيد أن العهد يكون في أشياء مختلفة ثم ذكرها ، انظر : التهذيب (عهد) ٣ / ٣٢٦٠٧ .

(١٠) انظر : تفسير ابن عطية ١ / ٢١٧ .

وكذا ، أي ^(١) : أمره . ومنه قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَبْنَىءَ آدَمَ ﴾ [يس : ٦٠] ، أي ألم آمركم ^(٢) ؟ . والعهد أيضاً ^(٣) العقد الذي يتوثق به لما بعد ^(٤) .

وذكر أبو إسحاق للعهد ^(٥) المذكور في هذه الآية وجهين ^(٦) ، أحدهما : ما أخذه على النبيين ومن اتبعهم ألا يكفروا بالنبي ﷺ ، وذلك قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ ﴾ [آل عمران : ٨١] .

وقال ^(٧) : يجوز أن يكون عهد الله الذي أخذه من بني آدم من ظهورهم يوم الميثاق حين قال : ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾ قَالُوا بَلَى ﴿ [الأعراف : ١٧٢] ، ثم جحدوا ونقضوا ذلك العهد في حال كمال عقولهم .

والوجه الأول أصحهما ، من قبل أن الله لا يحتج عليهم بما لا يعرفون ؛ لأنه بمنزلة ما لم يكن إذا كانوا لا يشعرون به ، ولا لهم دلالة عليه . والثاني مع هذه صحيح ؛ لأنهم ^(٨) عرفوا ذلك العهد بخبر الصادق ، فكان كما لو كانوا يشعرون به ^(٩) .

(١) في (ب) : (أدا) .

(٢) انظر : تهذيب اللغة (عهد) ٢٦٠٧ / ٣

(٣) في (ج) : (أيضم) .

(٤) انظر : التهذيب (عهد) ٢٦٠٧ / ٣ ، ومفردات الراغب ٣٥٠ .

(٥) في (ب) : (العهد) .

(٦) انظر : معاني القرآن للزجاج ١ / ٧٣ ، ٧٢ ، وقد ذكر ثلاثة أوجه ، وجهان ذكرهما المؤلف هنا ، والثالث حين قال : وقال قوم : إن عهد الله : هو الاستدلال على توحيده ، وأن كل مميز يعلم أن الله خالق ، فعليه الإيمان به ، ثم قال : والقولان الأولان في القرآن ما يصدق تفسيرهما . وذكر الطبري هذه الوجوه وغيرها .

(٧) هذا هو الوجه الثاني .

(٨) في (أ) و(ج) : (لأنه) ، وأثبت ما في (ب) لأنه أصح في السياق .

(٩) وبهذا يستدرك الواحد على كلامه السابق عن العهد الذي أخذه الله على بني آدم حين استخرج ذرية آدم من ظهره ، فهذا العهد ثابت بالخبر الصحيح ، أخرجه الطبري في تفسيره ، وجمع محمود شاكر =

وهذا^(١) الوجه هو قول ابن عباس ذكره في قوله: ﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ﴾ [الرعد: ٢٥] في سورة الرعد، قال: يريد الذي^(٢) عهد إليهم في صلب آدم: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾^(٣).

وقوله تعالى: ﴿مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ﴾. (من) صلة لأجل التأكيد^(٤). والميثاق: ما وقع التوثيق^(٥) به، كما أن الميقات ما وقع التوقيت به، ومواقيت الحج من ذلك؛ لأنه وقع توقيت الإحرام ببلوغها. والكتاب أو الكلام الذي يستوثق به: ميثاق، الوقت الذي يعقد به الوعد: ميعاد^(٦)، وكذلك المصدق^(٧) ما انعقد الصدق به^(٨).

طرقه، وانتهى إلى الأخذ بها قرره أحمد شاكر من تصحيح الحديث. انظر: تفسير الطبري ٢٢٣/١٣، ٢٢٢. قال ابن الجوزي: «نحن وإن لم نذكر ذلك العهد، فقد ثبت بخبر الصادق فيجب الإيذان به»، وزاد المسير ٥٦/١. ويبقى السؤال: هل الميثاق المأخوذ عليهم هو العهد المراد بهذه الآية أم لا؟ رجح ابن جرير: أن المراد بالعهد في هذه الآية العهد الذي أخذه الله على بني إسرائيل في التوراة من الإقرار بمحمد ﷺ بما جاء به وتبيين نبوته. انظر: تفسير الطبري ١٨٢/١، ١٨٣. ورجح القرطبي وغيره: أنها عامة، والعهد هو وصية الله تعالى إلى خلقه وأمره إياهم بطاعته وطاعة رسوله، ونقضهم للعهد ترك ذلك. انظر: تفسير القرطبي ٢١٠/١، وتفسير ابن كثير ٧٠/١.

- (١) في (أ) و(ج): (هذه)، وأثبت ما في (ب) لأنه أصح في السياق.
- (٢) في (ب): (الذين).
- (٣) سورة الأعراف: [١٧٢]. الأثر عن ابن عباس ذكره الواحدي في الوسيط، قال: «وهذا قول ابن عباس في رواية عطاء». الوسيط ٦٨/١. ولم أجد الأثر عن ابن عباس في هذا المعنى في آية (البقرة) ولا في آية (الرعد)، وقد وردت آثار عن ابن عباس من طريق عطاء في الميثاق الذي أخذه الله على بني آدم، أوردها الطبري في تفسير قوله تعالى: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢]، وليس في الآثار ذكر أنه هو العهد المراد بآية البقرة أو الرعد. انظر: تفسير الطبري ١١٠/٩-١١٨.
- (٤) وقيل: لابتداء الغاية، انظر: إملأ ما من به الرحمن ٢٧/١، وزاد المسير ٥٦/١، والبحر ١٢٧/١، وقال أبو حيان: إن القول إنها زائدة بعيد.
- (٥) في (ب): (للتوثيق).
- (٦) في (ج): (من معاد).
- (٧) في (ب): (الصدق).
- (٨) انظر: الوسيط ٦٩/١، وتفسير الطبري ١٨٤/١، وتهذيب اللغة (وثق) ٣٨٣٤/٤، والكشاف ٢٦٨/٢، والبحر ١٢٧/١، وتفسير القرطبي ٢١١/١.

و(الياء) في الميثاق منقلبة عن الواو^(١). وقال الفراء: يقال في جمع الميثاق: ميثاق وموائق، قال^(٢):

حَمَى لَا يُحِلُّ الدَّهْرَ إِلَّا بِإِذْنِنَا وَلَا نَسْأَلُ الْأَقْوَامَ عَقْدَ الْمِيَاثِقِ^(٣)

والكناية في الميثاق يجوز أن تكون^(٤) عائدة على الله، [أي من بعد ميثاق الله ذلك العهد، بما أكد من إيجابه عليهم. ويجوز أن تعود على العهد]^(٥)، أي من بعد ميثاق العهد وتؤكد^(٦).

وقوله تعالى: ﴿وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾ [الرعد: ٢٥]، يعني: الأرحام^(٧)، وذلك أن قريشاً قطعوا رحم النبي ﷺ بالمعاداة معه^(٨).

-
- (١) انظر: تفسير الثعلبي ٥٩/١ ب، وتفسير القرطبي ٢١١/١.
- (٢) قول الفراء أورده الأزهري في تهذيب اللغة، قال: وأنشد في لغة (الياء)، أي (ميثاق). التهذيب (وثق) ٤/ ٣٨٣٤، وانظر: اللسان (وثق) ٨/ ٤٧٦٤.
- (٣) البيت لعياض بن درة الطائي، وقيل: عياض بن أم درة، يصف قومه بالمنعة والقوة يقول: لنا حمى لا يحله أحد إلا بإذننا، ولا نسأل أحداً عقد ميثاق حماية. ورد البيت في تهذيب اللغة (وثق) ٤/ ٣٨٣٤، وإصلاح المنطق ١٣٨، والخصائص ٣/ ١٧٥، واللسان (وثق) ٨/ ٤٧٦٤، وشرح المفصل ٥/ ٢٢١، وأورد أبو زيد البيت على رواية (الموائق)، وقال عن رواية الميثاق: إنها شاذة. انظر: النوادر ٢٧١.
- (٤) في (أ) و(ج): (يكون)، واخترت ما في (ب)؛ لأنه أصح في السياق.
- (٥) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) و(ج) والزيادة في (ب) يقتضيها السياق، وقد وردت في الوسيط ٦٩/١.
- (٦) انظر: تفسير الطبري ١/ ١٨٤، وتفسير ابن عطية ١/ ٢١٨، وزاد المسير ١/ ٥٦، والإملاء ١/ ٢٧، والكشاف ١/ ٢٦٨.
- (٧) رجح الطبري هذا القول ١/ ١٨٥، وانظر: تفسير الثعلبي ١/ ٥٥٥ ب، وتفسير أبي الليث ١/ ١٠٥، وزاد المسير ١/ ٥٧، وتفسير ابن كثير ١/ ٧٠.
- (٨) وهي عامة لكل قاطع لما أمر الله بوصله، انظر: تفسير الطبري ١/ ١٨٥.

وقيل : هو الإيمان بجميع الرسل والكتب ، وهو نوع من الصلة ، لأنهم قالوا : ﴿ نُوْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ ﴾ [النساء : ١٥٠] ففقطعوا . وهذا الوجه هو قول ابن عباس ذكره في الآية التي في (الرعد)^(١) ، وقال : المؤمن لا يفرق [بين أحد من رسله فوصلوا]^(٢) . قال الزَّجَّاج : وموضع ﴿ أَنْ يُوصَلَ ﴾ خفض على [٣] البدل من (الهاء) المعنى : ما أمر الله أن يوصل^(٤) . ﴿ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ ﴾ بالمعاصي ، وتعويق الناس عن الإيمان بمحمد ﷺ^(٥) .

وقوله تعالى : ﴿ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ . أصل الخسران في التجارة أن يتتاع الرجل شيئاً فيوضع من رأس ماله^(٦) ، وهي الوضيعة فيه ، والمصدر : الخسارة والخسر ، وصفقة^(٧) خاسرة : غير مربحة ، هذا هو الأصل^(٨) ، ثم قيل لكل صائر إلى مكروه : خاسر ، لنقصان حظه من الخير ، والقوم نقصوا^(٩) بكفرهم راحة أنفسهم التي كانت لهم لو آمنوا ، فاستحقوا العقوبة وفاتهم المثوبة^(١٠) .

(١) وهي قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَبْذُوثَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ اللَّعَنَةُ وَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴾ .

(٢) وصلوا بينهم الإيمان بالرسول جميعهم . انظر : الوسيط ٦٩ / ١ . والرواية عن ابن عباس ذكرها أبو الليث من طريق الضحاك وعطاء ، في آية (البقرة) ولم أجد أحداً في ما اطلعت عليه ذكرها في الرعد ، انظر : تفسير الطبري ١٣ / ١٣٩ ، ١٤٠ ، وقد ذكر الثعلبي ١ / ٥٩ ب ، والبغوي ١ / ٧٧ كلام ابن عباس بمعناه ولم ينسبها .

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (ب) .

(٤) انتهى كلام الزَّجَّاج ، معاني القرآن ١ / ٧٣ ، وفيه (بأن يوصل) .

(٥) انظر : تفسير الطبري ١ / ١٨٥ ، وتفسير الثعلبي ١ / ٥٩ ب .

(٦) في (ب) : (المال) .

(٧) في (ب) : (وصفقتة) .

(٨) انظر : تفسير الطبري ١ / ١٨٥ ، والتهذيب (خسر) ١ / ١٠٢٨ ، ومفردات الراغب ١٤٧ .

(٩) في (ب) : (نقصوا) .

(١٠) انظر : تفسير الطبري ١ / ١٨٥ ، وتفسير الثعلبي ١ / ٥٩ ب ، وتفسير القرطبي ١ / ٢١٢ .

٢٨. قوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ﴾ الآية . قال النحويون : (كيف) في الأصل سؤال عن الحال ؛ لأن جوابه يكون بالحال ، وهي منتظمة جميع الأحوال^(١) . ونظيرها في الاستفهام (كم) لأنها تنتظم جميع الأعداد ، و(ما)^(٢) وهي تنتظم جميع الأجناس ، و(أين) وهي تنتظم جميع الأماكن ، و(متى) [وهي تنتظم جميع الأزمان ، و(من)]^(٣) ، وهي تنتظم جميع ما يعقل^(٤) .

قال الزَّجَّاج : تأويل (كيف) ها هنا استفهام في معنى التعجب ، وهذا التعجب إنما هو للخلق والمؤمنين ، أي اعجبوا من هؤلاء كيف [يكفرون]^(٥) وثبتت حجة الله عليهم^(٦) .

وقال الفرَّاء : هذا على وجه التعجب والتوبيخ لا على الاستفهام المحض ، أي ويحكم كيف تكفرون ؟ وهو كقوله : ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾^(٧) [التكوير: ٢٦] .

(١) انظر : الكتاب ٢٣٣ / ٤ ، والمقتضب ٢٨٩ / ٣ ، ٦٣ ، حروف المعاني للزَّجَّاجي ٣٥ ، ٥٩ ، وقد ذكر الزَّجَّاجي أنها تقع في ثلاثة مواضع : تقع بمنزلة (كما) ، واستفهاماً عن حال ، وبمعنى التعجب ، واستشهد على هذا المعنى بقوله تعالى : ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ﴾ ، وانظر : البرهان ٣٣٠ / ٤ ، ومغني اللبيب ٢٠٤ / ١ .

(٢) (و) ساقطة من (ب) .

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (ب) .

(٤) انظر : الكتاب ٢٣٣ / ٤ ، والمقتضب ٢٨٩ ، ٦٣ / ٣ .

(٥) في (أ) و(ج) : (تكفرون) ، وفي (ب) غير منقوطة ، والتصحيح من معاني القرآن للزَّجَّاج ٤٧ / ١ .

(٦) في (ب) : (عليكم) . انتهى من معاني القرآن للزَّجَّاج ٤٧ / ١ ، وانظر : تفسير الثعلبي ٥٩ / ١ ب ، وتفسير ابن عطية ٢٢٠ / ١ ، وبمعناه كلام الفرَّاء الآتي بعده .

(٧) معاني القرآن للفرَّاء ٢٣ / ١ ، وانظر : تفسير الطبري ١٩٠ / ١ .

وقوله تعالى: ﴿وَكُنْتُمْ أََمْوَاتًا﴾. قال النحويون: (كان) تقع^(١) في الكلام على وجوه: تامة وناقصة وزائدة^(٢)؛ فالتامة: هي المكتفية باسمها من دون خبرها، كقولك: كان القتال، أي وقع وحدث. والناقصة: هي التي لا تتم من دون خبرها، كقولك: كان زيد أميراً. والزائدة: هي التي تكون^(٣) دخولها في الكلام كخروجها^(٤). كقوله: ﴿مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾ [مريم: ٢٩]^(٥).

و(كان) التي لها خبر تتصرف^(٦) تصرف الفعل، وليست بفعل على الحقيقة، إنها تدل^(٧) على الزمان، وتدخل على الابتداء والخبر، كقولك: زيد مسرور، [فإذا قلت كان زيد مسروراً، فكأنك قلت: زيد مسرور]^(٨) في ما مضى من الزمان^(٩). ويقال في مصدره الكَوْن والكَيْنُونَة^(١٠).

-
- (١) في (أ): (يقع)، وما في (ب) و(ج) أنسب للسياق.
 - (٢) انظر: تهذيب اللغة (كان) ٣٠٨٣/٤، ٣٠٨٤، وذكر الهروي وجهاً رابعاً، وهو: أن تكون (كان) مضمراً فيها اسمها (ضمير الشأن) وبعد كان جملة من مبتدأ وخبر مرفوعين، انظر: الأزهية في علم الحروف ١٧٩.
 - (٣) كما في النسخ الأولى جميعها: (يكون).
 - (٤) انظر: تهذيب اللغة (كان) ٣٧٧/١٠، والأزهية في علم الحروف ١٨٣، ومغني اللبيب ٥٥٩/٢.
 - (٥) وقد ذكر الأزهري عن ثعلب: أن للعلماء في الآية قولين: منهم من قال: (كان) صلة، أي زائدة، وهذا ما أخذ به المؤلف هنا، ومنهم من قال (كان) هنا غير زائدة، وهو قول الفراء، انظر: تهذيب اللغة (كان) ٣٠٨٤/٤.
 - وجعلها المبرد زائدة مؤكدة، انظر: المقتضب ٤١٧/٤.
 - وقد قال ابن هشام: إن وجه الزيادة في (كان) هو أضعف الوجوه، انظر: مغني اللبيب ٥٥٩/٢.
 - (٦) في (أ) و(ج): (ينصرف)، واخترت ما في (ب) لمناسبته للسياق.
 - (٧) في (أ) و(ج): (يدل)، واخترت ما في (ب) لمناسبته للسياق.
 - (٨) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).
 - (٩) انظر: الإيضاح العضدي للفارسي ٩٥/١، والأضداد لابن الأنباري ٦٠، والأزهية في علم الحروف ١٨٣، ومغني اللبيب ٥٥٩/٢، ٨٣٣.
 - (١٠) ذكره الأزهري، وقال: و(الكَيْنُونَة) أحسن، التهذيب ٣٠٨٤/٤.

قال الفراء: [تقول]^(١) في ذوات (الياء): الطَيْرُورَةُ والحَيْدُودَةُ^(٢) والزَّيْغُوعَةُ في ما لا يحصى من هذا الضرب. فأما ذوات (الواو) مثل: قلت ورضت، فإنهم لا يقولون ذلك فيه، وقد أتى عنهم في أربعة أحرف منها: الكَيْنُونَةُ من (كُنْتُ) والدَّيْمُومَةُ من (دُمْتُ)، والهَيَّعُوعَةُ من (هُوَّعَ)^(٣)، والسَّيْدُودَةُ من (سُدْتُ)، وكان ينبغي أن يكون (كونونة)، ولكنها لما قلت في مصادر (الواو)، وكثرت في مصادر (الياء) [ألحقوها بالذي هو أكثر مجيئاً منها، إذ كانت الواو والياء]^(٤) متقاربتين المخرج.

قال: وكان الخليل يقول: كَيْنُونَةُ (فَيَعْلُولَةُ)، وهي الأصل (كَيْنُونَةُ)^(٥) التقت (ياء) و(واو)، والأولى منهما ساكنة فصيرتا [ياء]^(٦) مشددة^(٧)، مثل ما قالوا: الهَيْنُ، ثم خففوها، فقالوا: (كَيْنُونَةُ)، كما قالوا: هَيْنَ لَيْنَ. قال الفراء: وقد ذهب مذهباً، إلا أن القول عندي هو الأول^(٨).

-
- (١) في (أ) و(ج): (يقول)، وفي (ب) من دون نقط، والعبارة كما في التهذيب: قال الفراء: «العرب تقول ذوات الياء... إلخ»، التهذيب ٣٠٨٣/٤.
- (٢) في (ب): (الحيرورة)، وفي التهذيب: (الحيدودة) وهذا الأقرب؛ لأنه قال: الطيرورة من طرت، والحيدودة من حدت، التهذيب ٣٠٨٣/٤.
- (٣) الهوَّع بالفتح والضم: سوء الحرص وشدته، والعداوة، وهاع: قاء من غير تكلف، والاسم (هُوَّعَ) و(الهوَّع) و(الهَيَّعُوعَةُ)، انظر: القاموس (الهوَّع) ٧٧٧.
- (٤) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).
- (٥) في (ب): (في الاكونونة).
- (٦) (ياء) ساقطة من النسخ جميعها، والتصحيح من تهذيب اللغة ٣٠٨٤/٤.
- (٧) فصارت (كَيْنُونَةُ)، انظر: اللسان (كون) ٣٩٥٩/٧.
- (٨) انتهى كلام الفراء كما في التهذيب بنصه، (كان) ٣٠٨٤/٤.
- وانظر: اللسان (كون) ٣٩٥٩/٧، وفيه عن ابن بري نحو كلام الخليل، وما بعد هذا من كلام الفراء لا ارتباط له بما سبق، إذ إن الكلام السابق ورد في تهذيب اللغة، ولعله أخذه عن كتاب المصادر للفراء، وما بعده من كتاب معاني القرآن كما سيأتي.

قال : ويضمّر^(١) هاهنا (قد) ، والتقدير^(٢) : (وقد كنتم أمواتاً) ، ولولا إضمار (قد) لم يجز مثله في الكلام . وكذلك قوله : ﴿وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدٌّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ﴾^(٣) [يوسف : ٢٧] ، المعنى : (فقد كذبت) . وقولك للرجل : أصبحت كثر مالك ، لا يجوز إلا وأنت تريد : قد كثر مالك ؛ لأنهما جميعاً قد كانا ، فالثاني حال للأول ، والحال لا يكون في الفعل إلا بإضمار (قد) أو بإظهارها^(٤) .

وحكى الكسائي : أصبحت^(٥) نظرت إلى (ذات التنانير) يريد : قد نظرت ، وذات التنانير) موضع^(٦) . وتقدير الآية : كيف تكفرون وحالكم أنكم كنتم أمواتاً . ومثل هذا قال الزّجاج : فإنه قال : ومعنى (كنتم) : وقد كنتم ، وهذه الواو (واو الحال)^(٧) .

قال أبو الفتح : إنما احتيج إلى إضمار (قد) ؛ لأن (قد) تقرّب الماضي من الحال حتى تلحقه بحكمه ، ألا تراهم يقولون : (قد قامت الصلاة) قبل حال قيامها ؟ وعلى هذا قول الشاعر :

أَمَّ صَبِيٍّ قَدْ حَبَا^(٨) أَوْ دَارِجٍ^(٩)

- (١) في (ب) : (ويضم) .
- (٢) في معاني القرآن : «وقوله : ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا﴾ المعنى - والله أعلم - وقد كنتم ، ولولا إضمار (قد) ... إلخ» ، ٢٤ / ١ .
- (٣) الواو في قوله : ﴿وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ﴾ ساقطة من (ب) ، وكذا وردت الآية في معاني القرآن ٢٤ / ١ .
- (٤) انتهى ما نقله عن الفراء ، انظر : معاني القرآن ٢٤ / ١ ، وما ذكره الفراء بقرّر القاعدة التي عند الجمهور ، وهي أن الجملة الفعلية ، إذا كان فعلها ماضياً ووقعت حالاً ، فلا بد من (قد) ظاهرة أو مقدرة ، وهذا قال الطبري في تفسيره ١٩٠ / ١ ، والزّجاج في المعاني ٧٤ / ١ ، والثعلبي في تفسيره ٥٩ / ١ ب ، وأبو حيان في البحر ١٣٠ / ١ ، وغيرهم .
- (٥) من هنا يبدأ سقط لوحة كاملة في نسخة (ب) .
- (٦) (التنانير) : جمع (تنور) ، وهو واد ذو شجر يقع بين الكوفة وبلاد غطفان ، انظر : معجم ما استعجم ٣٢٠ / ١ ، ومعجم البلدان ٤٧ / ٢ .
- (٧) معاني القرآن للزّجاج ٧٤ / ١ .
- (٨) في (ج) : (جا) .
- (٩) الرجز لجندب بن عمرو يعرض بامرأة الشباخ في قصة أوردتها البغدادى في الخزائن ٢٣٨ / ٤ ، وهي في =

فكأنه قال : حاب^(١) أو دارج^(٢) . ومثل هذه الآية قوله : ﴿أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ﴾ [النساء : ٩٠] على معنى : قد حصرت^(٣) .

فأما أحكام واو الحال فإنها مذكورة عند قوله : ﴿وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ﴾ [آل عمران : ١٥٤] . وقوله تعالى : ﴿أَمْوَاتًا﴾ قال ابن عباس في رواية الضحاك : أراد^(٤) : وكنتم تراباً ردهم إلى أبيهم آدم^(٥) .

وقال في رواية عطاء والكلبي : وكنتم نطفاً ، وكل ما فارق الجسد من نطفة أو شعر فهو ميت^(٦) ﴿فَأَخْيَكُمُ﴾ في الأرحام بأن خلقكم بشراً ، وجعل

= ديوان الشياخ ٣٥٣ ، و(أم صبي) : هي امرأة الشياخ ، ورد البيت في معاني القرآن للفرّاء ٢١٤ / ١ ، وسر صناعة الإعراب ٦٤١ / ٢ ، والخزانة ٢٣٨ / ٤ ، وديوان الشياخ ٣٦٣ ، واللسان (درج) ١٣٥٣ / ٣ ، وأوضح المسالك ١٩٣ .

(١) في (أ) و (ج) : (حباب) ، وما في (ب) موافق لما في سر صناعة الإعراب لأبي الفتح .
(٢) قال في اللسان : وجاز له ذلك ؛ لأن (قد) تقرب الماضي من الحال حتى تلحقه بحكمه أو تكاد .
اللسان (درج) ١٣٥١ / ٣ .

(٣) انتهى ما نقله المؤلف - بتصرف - من كتاب سر صناعة الإعراب لأبي الفتح بن جني ٦٤١ / ٢ .
(٤) في (أ) : (أرادوا) ، وما في (ب) و (ج) هو الصحيح .

(٥) الأثر عن ابن عباس أخرجه الطبري من طريق الضحاك عن ابن عباس ، ١٨٧ / ١ ، وكذا ابن أبي حاتم ، ٧٣ / ١ ، وذكره السيوطي في الدر وعزاه إلى ابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه ، الدر ٨٩ / ١ ، وذكره ابن كثير عن الضحاك عن ابن عباس ، ثم قال : وهكذا روى السدي بسنده عن أبي مالك عن أبي صالح عن ابن عباس ، وعن مرة عن ابن مسعود ، وعن ناس من الصحابة ، وعن أبي العالية ، والحسن ، ومجاهد ، وقتادة ، وأبي صالح ، والضحاك ، وعطاء ، ابن كثير ٧١ / ١ ، ٧٢ ، وانظر : الوسيط ٧٠ / ١ .

(٦) وهذا النص ذكره الفرّاء في معاني القرآن ، ولم ينسبه إلى أحد ٢٥ / ١ ، والذي ورد عن ابن عباس من طريق عطاء : كنتم أمواتاً فأحياكم في أصلاب آبائكم لم تكونوا شيئاً حتى خلقكم ، ثم يميتكم موة الحق ، ثم يحييكم حين يبعثكم ، أخرجه ابن أبي حاتم ٧٣ / ١ ، وأخرج نحوه ابن جرير ١٨٩ / ١ ، وذكره السيوطي في الدر ، ونسبه إلى ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم ، الدر ٨٩ / ١ ، وذكره ابن كثير ٧١ / ١ ، وانظر : تحقيق المروي عن ابن عباس في سورة الفاتحة والبقرة وآل عمران ١٨٩ / ١ ، ورسالة ماجستير ، إعداد محمد العبدالقادر . قال الطبري بعد أن ذكر نحو هذا التفسير : «وهذا قول =

فيكم الحياة، ﴿ثُمَّ يُمَيِّتُكُمْ﴾ في الدنيا، ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ للبعث، ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ : تردون فيفعل بكم ما يشاء مما سبق علمه وحكمه ^(١).

٢٩. قوله تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ الآية . قال المفسرون : لما استعظم المشركون أمر الإعادة عرفهم خلق السموات والأرض ؛ ليدل بذلك على أن إعادة الحياة فيهم وقد خلقهم أولاً ليس بأكثر من خلقه السموات والأرض وما فيها ^(٢).

وقوله تعالى : ﴿لَكُمْ﴾ ، أي لأجلكم ، فما في الأرض مخلوق لهم ، بعضها للارتفاع ، وبعضها للاعتبار ^(٣) ، فإن السباع والعقارب والحيات ، وكل ما يؤذي ويضر فيها منفعة للمكلفين ، وجهة ما فيها من العبرة والإرهاب ؛ لأنه إذا رئي ^(٤) طرف من المتوعد به كان أبلغ في الزجر عن المعصية وأدعى إلى التمسك بالطاعة ، كما أنه إذا قدم طرف من الموعود به كانت النفس إليه ^(٥) أشوق ، وعليه ^(٦) أحرص ، والأصل في ذلك أن الخبر لا يقوم مقام المشاهدة في ما يصل إلى القلب ويبلغ إلى النفس ^(٧).

وجه من التأويل ، لو كان به قائل من أهل القدوة الذين يرتضى للقرآن تأويلهم ، ثم قال : وأولى ما ذكرنا من الأقوال : القول الذي ذكرنا عن ابن عباس وابن مسعود : من أن معنى قوله : ﴿وَكُنْتُمْ أََمْوَاتًا﴾ : أموات الذكر خولاً في أصلاب آبائكم نطفاً ، لا تعرفون ولا تذكرون : فأحياكم بإنشاءكم بشراً سوياً حتى ذُكرتم وعرفتم وحييتم . . . ، ١٨٩ / ١ .

(١) انظر : تفسير الثعلبي ٥٩ / ١ ب .

(٢) ذكره أبو الليث عن الكلبي ، ٣٠٩ / ١ ، والآية فيها دلائل نعمه عليهم مما يوجب عليهم شكره ، ودلائل توحيده ، انظر : الطبري ١٩٠ / ١ ، وابن كثير ٧٢ / ١ .

(٣) في (أ) : (الاعتبار) ، وما في (ب) و(ج) أصح .

(٤) في (أ) و(ج) : (أرى) ، وأثبت ما في (ب) لأنه أنسب للسياق .

(٥) في (ج) : (عليه) .

(٦) في (ج) : (إليه) .

(٧) وفي خلق هذه الأشياء التي ذكر حكم كثيرة ، منها ما علم للبشر ، ومنها ما لم يعلم ، وما ذكره بعض =

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ﴾. أخبرني أبو سعيد بن أبي عمرو النيسابوري^(١) - رحمه الله - ثنا محمد بن يعقوب المعقلي^(٢) ابنا^(٣) محمد بن^(٤) الجهم عن الفرّاء قال: (الاستواء) في كلام العرب على جهتين، إحداهما: أن يستوي الرجل وينتهي شبابه وقوته^(٥)، ويستوي من اعوجاج، وهذان وجهان، ووجه ثالث أن يقول: كان فلان مقبلاً على فلان، ثم استوى عليّ وإليّ [يشأمني]^(٦) على معنى أقبل عليّ وإليّ، فهذا معنى قوله: ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ﴾^(٧).

وأقرأني العروضي عن الأزهري، قال: أخبرني المنذري، قال: سئل أحمد بن يحيى عن (الاستواء) في صفة الله، فقال: الاستواء: الإقبال على الشيء^(٨).

هذه الحكم. انظر: تفسير ابن عطية ١/ ٢٢٣، والكشاف ١/ ١٧٠، وزاد المسير ١/ ٥٨، وتفسير القرطبي ١/ ٢١٦.

(١) هو أبو سعيد، محمد بن موسى بن الفضل بن شاذان الصيرفي، ابن أبي عمرو والنيسابوري، سمع من الأصم وأكثر عنه، كان ثقة مأموناً، مات في سنة إحدى وعشرين وأربعمائة، انظر: سير أعلام النبلاء ١٧/ ٣٥٠، وشذرات الذهب ٣/ ٢٢٠.

(٢) هو الإمام المحدث محمد بن يعقوب المعقلي المعروف بالأصم، تقدمت ترجمته في المقدمة.

(٣) في (ج): (ثنا).

(٤) هو محمد بن الجهم السمری، أبو عبدالله، الكاتب، تلميذ الفرّاء وراوي كُتبه، كان من أئمة العربية العارفين بها، قال الدارقطني: ثقة، مات سنة سبع وسبعين ومئتان، انظر: تاريخ بغداد ٢/ ١٦١، ومعجم الأدباء ١٨/ ١٠٩، وسير أعلام النبلاء ٣١/ ١٦٣.

(٥) في معاني القرآن للفرّاء (أو)، وهو أصح، ١/ ٢٥، وانظر: تهذيب اللغة ٢/ ١٧٩٤.

(٦) في (أ) و(ج): (يكلمين) غير واضحة المعنى، والتصحيح من معاني القرآن، ومن تهذيب اللغة ٢/ ١٧٩٤.

(٧) انتهى ما نقله عن الفرّاء، وفي معاني القرآن قال: «وقال ابن عباس: ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ﴾ صعد... وكل كلام في كلام العرب جائز»، انظر: معاني القرآن ١/ ٢٥، وتهذيب اللغة (لفيف السين) ٢/ ١٧٩٤.

(٨) تهذيب اللغة (لفيف السين) ٢/ ١٧٩٤.

وأقرني سعيد بن محمد الحيري^(١) - رحمه الله - عن أبي الحسن بن مقسم وأبي علي الفارسي عن الزجاج قال: قال قوم في قوله: ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ﴾: عمد وقصد إلى السماء، كما تقول: فرغ الأمير من بلد كذا، ثم استوى إلى بلد كذا، معناه: قصد بالاستواء إليه. قال: وقول ابن عباس: ﴿أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ﴾، أي صعد، معناه صعد أمره إلى السماء^(٢)، انتهى كلامه^(٣) [٤].

وحكى أهل اللغة أن العرب تقول: كان الأمير يدبر أهل الشام، ثم استوى إلى أهل الحجاز، أي تحول فعله وتدبيره إليهم^(٥). والأصل في (الاستواء) الاستقامة^(٦)، وإنما قيل للقصد إلى الشيء استواء لأن الاستواء يسمى قصداً،

(١) أحد شيوخ الواحدي مضت ترجمته.

(٢) هذا تأويل وصرف لكلام ابن عباس.

(٣) معاني القرآن للزجاج ١/ ٧٥، ٧٥، تهذيب اللغة (لفيف السين) ٢/ ١٧٩٤، ونص عبارة الواحدي أقرب إلى عبارة التهذيب.

(٤) نهاية السقط من نسخة (ب).

(٥) انظر: معاني القرآن للأخفش ١/ ٢١٨، وتفسير الطبري ١/ ١٩١، ومعاني القرآن للزجاج ١/ ٧٤. وكل هذه (المعاني) التي ذكرها من باب التأويل، والمنهج السوي أن ثبت لله ما أثبتته لنفسه، فهو سبحانه مستو على عرشه عال على خلقه، ولا يلزم لهذا أي لازم باطل مما يلزم لاستواء المخلوقين. قال الأشعري في الإبانة عن أصول الديانة: «وإن قال قائل ما تقولون في الاستواء؟ قيل له: نقول: إن الله - عز وجل - مستو على عرشه كما قال: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]، وقد قال الله عز وجل: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكُلُّ الطَّيْبُ﴾ [فاطر: ١٠]، وقال: ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء: ١٥٨]...». ثم قال: «... وقد قال قائلون من المعتزلة والجهمية والحروية: إن قول الله عز وجل: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] إنه استولى وملك وقهر، وإن الله - عز وجل - في كل مكان، وجحدوا أن يكون الله - عز وجل - على عرشه كما قال أهل الحق، وذهبوا في الاستواء إلى القدرة، ولو كان هذا كما ذكروه كان لا فرق بين العرش والأرض، فالله سبحانه قادر عليها وعلى الحشوش، وعلى كل ما في العالم...». الإبانة عن أصول الديانة ٨١، انظر: شرح العقيدة الطحاوية ٣٤٣، والرسالة التدمرية ٨١، ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٥/ ٩٥، ١٣٦، ١٤٤.

(٦) الاستواء في (كلام العرب) يأتي على وجهه كما مر قريباً في كلام الفراء، ومن تلك الوجوه ما ذكره عن ابن عباس: ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ﴾: صعد، ثم قال: (وكل في (كلام العرب) جائز). انظر: معاني القرآن للفراء ١/ ٢٥، وتفسير الطبري ١/ ١٩١، وتهذيب اللغة (لفيف السين) ٢/ ١٧٩٤.

يقال : أمر قاصد وعلى قصد ، إذا كان على استواء واستقامة ، فلما سمي الاستواء قصداً ، سمي القصد استواء ، وإن لم يكن المراد بالقصد الاستقامة ، ظناً منهم أن كليهما سواء لما اجتماعاً في التسمية في موضع ، هذا تعليل ذكره بعض أصحاب المعاني^(١) لتسميتهم القصد : استواء وإن كانت اللغة لا تعلق .

وأما استوى بمعنى : استولى ، فقد يكون ، وكأنه يقول : (استوت له الأمور فاستولى)^(٢) ، ثم وضع (استوى) موضع (استولى)^(٣) . وقال الأخفش : استوى^(٤) أي علا ، تقول^(٥) : استويت فوق الدابة وعلى ظهر البيت ، أي علوته^(٦) .

(١) في (ب) : (أهل المعاني) .

(٢) في (ب) : (واستولى) .

(٣) قال أبو الحسن الأشعري في (الإبانة) : « . . . فلو كان الله مستوياً على العرش بمعنى الاستيلاء ، وهو عز وجل مستول على الأشياء كلها ، لكان مستوياً على العرش وعلى الأرض وعلى السماء . . . لأنه قادر على الأشياء مستول عليها . . . لم يجوز أن يكون الاستواء على العرش : الاستيلاء الذي هو عام في الأشياء كلها ، ووجب أن يكون معناه استواء يختص العرش دون الأشياء كلها . . . » . الإبانة عن أصول الديانة ٤٩ ، وذكر ابن تيمية اثني عشر وجهاً في الرد على من فسر ﴿أَسْتَوَى﴾ بمعنى (استولى) . ومن تلك الوجوه : أنه لم يرد عن أحد من الصحابة ولا التابعين لهم ، بل تفسير حدث من المبتدعة بعدهم . ثم هو ضعيف لغة ، انظر : مجموع الفتاوى ١٤٤ / ٥ ، ١٤٩ .

(٤) في (ب) : (يقول : أي علا) .

(٥) في (ب) : (يقول) . وفي تهذيب اللغة (وتقول) ١٧٩٤ / ٢ .

(٦) انظر : كلام الأخفش في تهذيب اللغة (لفيف السين) ١٧٩٤ / ٢ .

وهذا القول اختيار محمد بن جرير، قال: ومعناه^(١) ارتفع ارتفاع ملك وسلطان، لا ارتفاع انتقال وزوال^(٢)، وإنما هو ارتفاع تدبيره وحكمه وسلطانه، وهذا قريب من قول ابن عباس وتوجيه الزَّجَّاج لقوله^(٣).

وقوله تعالى: ﴿فَسَوَّيْنَهُنَّ﴾. حقيقة (التسوية) الجعل على الاستواء، يقال: سويت الشيئين فاستويا، والفرق بينه وبين التقويم أن التسوية قد تكون بالحكم أن الشيئين يستويان، والتقويم لا يكون بالحكم، وإنما يكون بالفعل^(٤).

(١) (الواو) ساقطة من (ب).

(٢) رجح ابن جرير أن الاستواء بمعنى العلو، فقال بعد أن ذكر الأقوال في الاستواء: (وأولى المعاني) بقول الله جل ثناؤه: ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّيْنَهُنَّ﴾، علا عليهن وارتفع، فدبرهن بقدرته وخلقهن سبع سموات. والعجب ممن أنكر المعنى المفهوم من كلام العرب في تأويل قول الله: ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ﴾، الذي هو بمعنى العلو والارتفاع، هرباً عند نفسه من أن يلزمه بزعمه -إذا تأوله بمعناه المفهوم كذلك- أن يكون إنما علا وارتفع بعد أن كان تحتها، إلى أن تأوله بالمجهول من تأويله المستنكر، ثم لم ينج مما هرب منه، فيقال له: زعمت أن تأويل قوله: (استوى) أقبل، أفكان مدبراً عن الساء فأقبل إليها؟ فإن زعم أن ذلك ليس بإقبال فعل، ولكنه إقبال تدبير، قيل له فكذلك، فقل: علا عليها علو ملك وسلطان، لا علو انتقال وزوال، ثم لن يقول في شيء من ذلك قولاً إلا ألزم في الآخر مثله، ولولا أنا كرهنا إطالة الكتاب بما ليس من جنسه، لأنبأنا عن فساد قول كل قائل، قال في ذلك قولاً لقول أهل الحق فيه مخالفاً، تفسير الطبري ١/ ١٩٢. ونرى في سياق كلام الطبري أنه رجح في معنى (الاستواء) ما قال به السلف، ثم أخذ يجاور المؤولين، ومن باب إلزام الحجة لهم قال: (قل: علا عليها علو ملك وسلطان...)، ولا شك أن هذه العبارة ليست من نهج السلف في الإثبات، والله أعلم.

(٣) قول ابن عباس: إنه بمعنى صعد، كما ذكر الفراء ١/ ٢٥، وإنما أوله الزَّجَّاج بمعنى: يصعد أمره. انظر: معاني القرآن للزَّجَّاج ١/ ٧٥.

(٤) قال ابن جرير: ﴿فَسَوَّيْنَهُنَّ﴾ يعني: هيأهن وخلقهن ودبرهن وقومهن، والتسوية في (كلام العرب): التقويم والإصلاح والتوطئة، ففسر (التسوية) بالاستقامة، انظر: تفسير الطبري ١/ ١٩٢، وانظر: الكشف ١/ ٢٧١.

وجمع الكناية^(١) في ﴿فَسَوَّيْنَهُنَّ﴾ ؛ لأنه أراد بلفظ (السماء) جميع السموات ، كقولهم : كثر الدرهم والدينار في أيدي الناس ، يراد الجمع^(٢) ، وكثيراً ما يذكر الواحد والمراد به الجمع ، كقوله تعالى : ﴿فَأَنَّهُمْ عُدُوُّ لِي﴾ [الشعراء: ٧٧] ، وقوله : ﴿إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ١٦] . وكما أنشده^(٣) قطرب :

أَلَا إِنَّ جِرَانِي الْعَشِيَّةَ رَائِحٌ دَعَتْهُمْ دَوَاعٍ مِنْ هَوَى وَمَنَادِحٍ^(٤)
ويجوز أن يراد بالسماء جمع سماء أو سماء ، على ما ذكرنا قبل^(٥) . وجائز أن تعود الكناية على أجزاء السماء ونواحيها^(٦) .

وقوله تعالى : ﴿سَبْعَ سَمَوَاتٍ﴾ . (السبع) عدد المؤنث ، والسبعة للمذكر ، وجاء التذكير والتأنيث في هذا على خلاف الأصل ؛ لأنهم لما^(٧) وضعوا العدد في أول أمره قبل أن يعلق على معنى تحته وأكثر من العدد ، قالوا : أربعة خمسة ،

(١) الكناية : الضمير .

(٢) ذكره الزَّجَّاج عن الأخفش ، معاني القرآن للزَّجَّاج ١/ ٧٥ ، وانظر : معاني القرآن للأخفش ١/ ٢١٧ ، ومعاني القرآن للقرطبي ١/ ٢٥ ، وذكر هذا الرأي الطبري ، واختار غيره كما يأتي ، ١/ ١٩٣ .

(٣) في (ب) : (أنشد) .

(٤) البيت لحيان بن جُلْبَةَ المحاربي ، جاهلي ، ذكره أبو زيد في نوادره مع بيت بعده ، ٤٤٤ ، وكذا البكري في معجم ما استعجم ١/ ١٣٧ ، والسيوطي في همع الهوامع ٦/ ١١٩ .

(٥) ذكره عند قوله تعالى : ﴿أَوْ كَصَيْبٍ مِّنَ السَّمَاءِ﴾ [البقرة: ١٩] ، ١٧٨ ، وقد ذكر هذا الرأي الطبري ، واختاره ، ١/ ١٩٢ ، والزَّجَّاج ، ١/ ٧٥ .

(٦) فجمع باعتبار تعدد أجزائها ونواحيها ، انظر : تفسير الطبري ١/ ١٩٣ .

(٧) (لما) ساقط من (ب) .

ثم أرادوا بعد ذلك^(١) تعليقه على المعدود ، وكان المذكر هو الأول جعلوا الأول للأول ، والثاني للثاني^(٢) . ولهذا علل كثيرة تُذكر^(٣) في غير هذا الكتاب^(٤) .

وقوله تعالى : ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ . أي من كفرهم ونفاقهم وكنتمهم وصفك يا محمد . وقيل : إنه لما ذكر ما يدل على القدرة والاستيلاء^(٥) وصل^(٦) ذلك بوصفه بالعلم ، إذ به يصح الفعل المحكم المتقن . وقيل : هو^(٧) بكل شي عليم من الخلق والتسوية^(٨) .

والآية لا تدل على أنه خلق السماء بعد الأرض ، إنما تدل على أنه جعلها سبعاً بعد ما خلق الأرض ، وقد كانت السماء قبل ذلك مخلوقة ، كما قال أهل التفسير : إنها كانت قبل دخاناً^(٩) .

-
- (١) في (ب) : (تعليقه بعد ذلك) .
 (٢) الأول في العدد (ثلاثة) ، وفي المعدود المذكر ، والثاني في العدد (ثلاثة) ، وفي المعدود المؤنث .
 (٣) (يذكر) ساقط من (ب) ، والأولى للسباق تذكر .
 (٤) اختلف النحويون في علة ذلك على أقوال كثيرة ، انظر : بعض هذه العلل في جمل الزجاجي ١٢٥ ، وشرح جمل الزجاجي لابن عصفور ٢ / ٣٠ .
 (٥) هذا من التأويل ، بل (الاستواء العلوي) .
 (٦) في (ب) : (وصف) .
 (٧) في (ب) : (وهو) .
 (٨) والأولى عموم ذلك ، فالذي خلقكم وخلق لكم ما في الأرض ، وسوى السموات السبع فأحكمهن ، واستوى على عرشه ، لا يخفى عليه منكم شيء ، انظر : تفسير الطبري ١ / ١٩٥ ، وتفسير أبي الليث ١ / ١٠٧ ، والكشاف ١ / ٢٧١ ، وتفسير القرطبي ١ / ٢٢٣ .
 (٩) في هذه المسألة نزاع بين المفسرين ، وقول الجمهور على أن الله خلق الأرض أولاً ، ثم خلق السماء ، لكن دحو الأرض كان بعد خلق السماء . وجمع القرطبي بين الأقوال بأن الدخان الذي خلقت منه السماء خلق أولاً ، ثم الأرض ثم سويت السماء من ذلك الدخان ثم دحيت الأرض بعد ذلك ، وعلى هذا يدل كلام الواحدي ، انظر : تفسير الطبري ١ / ١٩٣ ، ١٩٥ ، تفسير أبي الليث ١ / ١٠٧ ، وزاد المسير ١ / ٥٨ ، والكشاف ١ / ٢٧١ ، وتفسير القرطبي ١ / ٢١٩ ، ٢٢١ ، تفسير ابن كثير ١ / ٧٢ ، ٧٣ .

وكان أبو عمرو والكسائي يخففان (وهو) ، (فهو) ويسكنان (الهاء) مع الواو والفاء واللام^(١) . وذلك أنها يجعلان هذه الحروف كأنها من نفس الكلمة ، لما^(٢) لم يكن لها إذا^(٣) أفردت معنى ، فأشبهت في حال دخولها الكلمة ما كان من نفسها^(٤) .

وإذا كان كذلك خففت (الهاء) كما خففت (العينات)^(٥) في (سَبْع) و(عَصْد)^(٦) ونحوهما ، ولا يخففان^(٧) ﴿ثُمَّ هُوَ﴾ [القصص: ٦١] لأنه لا يستقيم أن يجعل (ثم) بمنزلة (الفاء) وما كان على حرف . والحرف الواحد قد يجعل كأنه من نفس الكلمة^(٨) ، وذلك قولهم : (لعمري وَرَعَمَلي) فقلبوه مع اللام ، واللام زائدة^(٩) .

(١) الهاء إذا سبقت بالواو أو الفاء أو اللام أو ثم (وهو ، فهو ، وهو ، وثم ، هو) ، فابن كثير وعاصم وابن عامر وحزمة يقرؤون بتحريك الهاء في ذلك كله ، والكسائي بتخفيف ذلك وإسكان الهاء ، وأبو عمرو يسكنها في القرآن ما عدا قوله تعالى : ﴿ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ [القصص: ٦١] ، فيضم الهاء ، وعن نافع روايتان التثنية والتخفيف ، انظر : السبعة لابن مجاهد ١٥١ ، والحجة لأبي علي ٤٠٦/١ ، والكشف ٢٣٤/١ ، والتيسير ٧٢ ، والنشر ٢٠٩/٢ .

(٢) في (ب) : (مما لم) .

(٣) في (ب) : (إذا) .

(٤) في (ب) : (تقسيمها) .

(٥) في (ب) : (العينان) .

(٦) فيقال : (سَبْع) و(عَصْد) بتسكين العين . انظر : الحجة ٤٠٧/١ ، والكشف لمكي ٢٣٤/١ .

(٧) قوله : (ولا يخففان) يعود على الكسائي وأبي عمرو ، والصحيح (ولا يخفف أبو عمرو ، أما الكسائي فإنه يخفف (ثم هو) . انظر : الحجة ٤٠٧/١ ، ٤٠٩ ، فلعل العبارة فيها تصحيف ، أو وهم من المؤلف .

(٨) إذا اتصل بالكلمة بخلاف (ثم) ، انظر : الحجة ٤٠٨/١ .

(٩) فجعلوا اللام كأنها من بنية الكلمة ، وأبدلوا مكان (الراء) .

ومثل تخفيفهم^(١) (هُوَ) قولهم : (أَرَاكَ مُتَنَفِّخًا)^(٢) لما كان (تَفَخًّا)^(٣) ، مثل [كَتَف]^(٤) خفف ، وكذلك قراءة من قرأ^(٥) : ﴿وَيَخْشَى اللَّهَ وَيَتَّقُهُ﴾ [النور: ٥٢] ، لما كَانَ (تَقَهُ)^(٦) ، مثل (كتف) خفف .

ومثل ذلك ما أنشده الخليل :

أَلَا رَبَّ مَوْلُودٍ وَلَيْسَ لَهُ أَبٌ وَذِي وَلَدٍ لَمْ يَلِدْهُ أَبَوَانِ^(٧)

لما كان (يلد) ، مثل (كتف)^(٨) خفف ، ثم حرك الدال لالتقاء الساكنين ؛ لأنه^(٩) كان يجب أن يسكن علامة للجزم ، فهذه الأشياء متصلة ، وقوله : (فهو وهو وهو) في حكمها ، وليس كذلك (ثم هو)^(١٠) . ألا ترى أن (ثم) منفصل من (هو)^(١١) لإمكان الوقف عليها وإفرادها مما بعدها ، وليست الكلم التي

(١) في (ب) : (تحقيقهم) .

(٢) في (ب) : (مستحقا) .

(٣) الأصل في (تفخاً) كسر الفاء ، وخففت في (مُتَنَفِّخًا) بالإسكان .

(٤) في النسخ جميعها (كيف) ، والتصحيح من الحجة ٤٠٨ / ١ ، و(كتف) يخفف في لغة بإسكان الوسط ، فيقال : (كَتَف) .

(٥) وهي قراءة حفص عن عاصم (وَيَتَّقُهُ) ، انظر : السبعة ٤٠٨ ، والكشف ١٤٠ / ٢ .

(٦) أي أنه شبه (تقه) (كتف) ، إذ خفف الثاني بالإسكان .

(٧) البيت لعمر و الجني ، ونسبه سيبويه إلى رجل من أزد السراة ، والمولود الذي ليس له أب هو عيسى عليه السلام ، والذي لم يلد له أبوان هو آدم . والشاهد في البيت (يَلِدُهُ) أراد لم يلد له بسكون الدال ، فلما التقى ساكنان اللام والدال حرك الدال بحركة أقرب متحرك منها وهو الياء ففتحها . ورد البيت في الكتاب ٢ / ٢٦٦ ، والكامل ٣ / ١٧٧ ، والحجة ١ / ٦٦ ، ٤٠٩ ، التكملة ٧ ، والمخصص ١٤ / ٢٢١ ، ١٧ / ٦٣ ، والخصائص ٢ / ٣٣٣ ، وشرح المفصل ٤ / ٤٨ ، ٩ / ١٢٣ ، ١٢٦ ، مغني اللبيب ١ / ١٣٥ ، والهمع ١ / ١٨٦ ، والخزانة ٢ / ٣٨١ .

(٨) في (أ) و(ج) : (كيف) ، وأثبت ما في (ب) ؛ لأنه الصواب وموافق لما في الحجة .

(٩) في (ب) : (لا كان) .

(١٠) في (ب) : (هوى) .

(١١) في (أ) و(ج) : (من ها ولا مكان) ، وأثبت ما في (ب) ؛ لأنه هو الصحيح وموافق لما في الحجة ٤٠٩ / ١ .

على حرف واحد كذلك . ولمن ^(١) خفف (ثم هو) أن يقول ^(٢) : إن (ثم) مثل الفاء والواو واللام في أنهم لسن ^(٣) من الكلمة ، كما أن (ثم) ليس منها ، وقد جعلوا المنفصل بمنزلة المتصل في أشياء ، ألا ترى أنهم أدغموا ^(٤) نحو (يد داود) و(وجعل ^(٥) لك) كما أدغموا (رد ^(٦)) و(عد ^(٦)) ، ومثل هذا قول امرئ القيس :

فَالْيَوْمَ أَشْرَبُ غَيْرَ ^(٧) مُسْتَحَقِّبِ ^(٨)

فـ (رَبْ غَيِّ) ^(٩) مثل : (سبع) ، وقد أسكن . وأنشد أبو زيد على هذا :

قَالَتْ سُلَيْمَى اشْتَرَى لَنَا دَقِيقًا ^(١٠)

(١) في (ج) : (ولم) . ومن خفف هو الكسائي ، انظر : الحجة ٤٠٩ / ١ .

(٢) في (ج) : (تقول) .

(٣) في (ب) : (ليس) .

(٤) في (ب) : (أقدموا) .

(٥) فادغموا الدال من (يد) في دال (داود) ، وهما في كلمتين منفصلتين ، وكذا (جعل لك) .

(٦) وهما في كلمة واحدة .

(٧) (غير) ساقطة من (ج) .

(٨) البيت لامرئ القيس ، وتماهه :

إِنَّمَا مِنْ اللَّهِ وَلَا وَاغِل

قاله بعد أن أدرك ثأره في أبيه ، وكان قد نذر لا يشرب الخمر ، فلما أدرك ثأره رأى أنه تحلل من نذره ، والمستحقب : المتكسب ، وأصل الاستحقاب حمل الشيء في الحقبة ، والواغل : الداخل على القوم يشربون ولم يدع . والبيت من شواهد سيبويه ٢٠٤ / ٤ ، والحجة ١١٧ / ١ ، ٤١٠ ، ٨٠ / ٢ ، ونوادير أبي زيد ١٨٧ ، والخصائص ٧٤ / ١ ، ٣١٧ / ٢ ، ٣٤٠ ، ٩٦ / ٣ ، وشرح المفصل ٤٨ / ١ ، والهمع ١ / ١٨٧ ، والخزانة ١ / ١٥٢ ، ٤٦٣ / ٣ ، ١٠٦ / ٤ ، ٤٨٤ ، ٣٣٩ / ٨ ، وفي ديوان امرئ القيس ١٢٢ ، وبرواية (أسقي) بدل أشرب ، وعليه فلا شاهد فيه ، وبهذا أخذ المبرّد ، ولكنه في الديوان ١٣٤ ، وبرواية (أشرب) ، والشاهد فيه عند النحويين ، تسكين الحرف في أشرب ، وحذف الضمة .

(٩) في (ب) : (على) ، وفي الحجة فـ (رب غ) ، أي أنه جعل آخر كلمة (أشرب) مع أول كلمة (غير) مثل كلمة واحدة ، مثل (سبع) فأسكن .

(١٠) الرجز لرجل من كندة ، يقال له : (العُدَّافِرُ الكندي) وبعده :

وَهَاتِ بَرِّ الْبَحْسِ أَوْ دَقِيقًا

٣٠. قوله تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ﴾ . قال النحاة : (إِذ) و(إِذَا) حرفا توقيت ، (إِذ) للماضي و(إِذَا)^(١) لما يستقبل^(٢) .

قال المبرّد : إذا جاء (إِذ) مع المستقبل كان معناه المضي نحو قوله : ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ﴾ [الأنفال : ٣٠] ، ﴿وَإِذْ تَقُولُ﴾ [الأحزاب : ٣٧] يريد : وإذ مكر ، وإذ قلت . وإذا جاء (إِذَا)^(٣) مع الماضي كان معناه الاستقبال^(٤) كقوله : ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ﴾ [النازعات : ٣٤] ، و﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ﴾ [النصر : ١] ، أي يجيء^(٥) .

فإن قيل : إذا كانت (إِذ) لما مضى^(٦) ، فكيف جاز^(٧) ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يُعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ﴾ [المائدة : ١١٦] ، ﴿وَإِذْ يَتَحَاوَرُونَ فِي النَّارِ﴾ [غافر : ٤٧] ؟

وفي المصادر جميعها (سويقاً) بدل (دقيقاً) ، أورده أبو زيد في النواذر ١٧٠ ، وفي الحجة لأبي علي ٦٧ / ١ ، ٤١٠ ، التكملة ٨ ، والخصائص ٢ / ٣٤٠ ، ٩٦ / ٣ ، والمنصف ٢ / ٢٣٧ ، واللسان (بخس) ٢٥ / ٦ . وبهذا البيت ينتهي ما نقله الواحد في هذا الموضع من الحجة لأبي علي الفارسي بتصرف ١ / ٤٠٧ ، ٤١٠ ، وانظر : الحجة في القراءات لابن خالويه ٧٣ ، والكشف لمكي ١ / ٢٣٤ ، ٢٣٥ .

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ب) .

(٢) قال الثعلبي : «(إِذ) و(إِذَا) حرفا توقيت ، إلا أن (إِذ) للماضي و(إِذَا) للمستقبل ، وقد يوضع أحدهما موضع الآخر» ، تفسير الثعلبي ١ / ٦٠ ، وذكر نحوه ابن الأنباري في الأضداد ١١٨ ، وكذا الأزهرى في تهذيب اللغة ١ / ١٣٧ ، وقال سيبويه : «إذا لما يستقبل من الدهر . . . وهي ظرف . . . وتكون إذ مثلها» ، الكتاب ٤ / ٢٣٢ ، وانظر : مغني اللبيب ١ / ٨٠ ، ٨٧ .

(٣) في (ب) : (إِذ) .

(٤) في (ب) كان معناه الاستقبال في (المعنى وفي اللفظ) ، وهذه الزيادة غير موجودة في (أ) و(ج) ، ولا في تفسير الثعلبي الذي نقل الواحد عنه .

(٥) في (أ) و(ج) : (تجى) ، وفي (ب) من دون إعجام ، والتصحيح من تفسير الثعلبي ، انظر : كلام المبرّد في تفسير الثعلبي ١ / ٦٠ ، والقرطبي في تفسيره ١ / ٢٢٣ ، ولم أجده هذا النص في ما اطلعت عليه من كتب المبرّد ، انظر : المقتضب ٢ / ٥٢-٥٧ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ١٧٦ ، ١٧٨ ، وتهذيب اللغة ١ / ١٣٧ ، والأضداد لابن الأنباري ١١٨ .

(٦) سبق قريباً أن (إِذ) ، قد تأتي للمستقبل إذا شهر المعنى ، ذكر هذا ابن الأنباري واستشهد بقوله تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يُعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ﴾ [المائدة : ١١٠] ، انظر : الأضداد ١١٨ .

(٧) في (ب) : (جاد) .

والجواب أن هذا خرج على تقدير الاستقبال في المعنى ، وفي اللفظ على صورة المضي^(١) ؛ لأن ما تحقق كونه فهو بمنزلة ما قد كان ، كقوله : ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ﴾ [الأعراف: ٤٤] ، ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ [الأعراف: ٥٠] وأشباهه^(٢) .

وقال أبو عبيدة : (إذ) هاهنا^(٣) زائدة ، معناه : وقال ربك للملائكة^(٤) . وأنكر الزجاج وغيره هذا القول^(٥) ، وقالوا^(٦) : إن الحرف إذا أفاد معنى صحيحاً لم يجز إلغاؤه ، قالوا : وفي الآية محذوف معناه : واذكريا محمد إذ قال ربك^(٧) .

وقال أبو إسحاق^(٨) : إن الله - جل ذكره - ذكر خلق الناس في هذه الآية ، فكأنه قال : ابتداء خلقكم إذ قال ربك للملائكة^(٩) .

(١) من قوله : (على صورة المضي . . .) . وما بعده إلى نهاية تفسير لفظ (الملائكة) ورد مكرراً في النسخ الثلاث جميعها التي اعتمدت عليها ، وقد علق الناسخ في نسخة (أ) على أول الكلام المكرر كلمة (مكرر) ، بينما الناسخ في (ج) أدخل كلمة (مكرر) وسط الكلام ، وكأنه ظن أنها جزء من السياق . وبعد التمهيص للكلام المكرر وجدت في أوله بعض الفروقات اليسيرة . أما في تفسير لفظ : (الملائكة) ففيه اختلاف كبير ، وهو ملخص مما قبله بإتقان ، ويظهر لي أن المؤلف أضرب عن كلامه السابق وأعاد مرة أخرى ، ونقله النساخ على وضعه ، وقد أثبت الكلام على حسب ما ورد في المخطوطات من دون تصرف في الأصل ، وعلقت على الفروق في مواضعها .

(٢) انظر : الأضداد لابن الأنباري ١١٩ ، وتهذيب اللغة ١٣٧/١ .

(٣) في المكرر (في هذا الموضع) .

(٤) انظر : مجاز القرآن لأبي عبيدة ٣٦/١ ، وتفسير الثعلبي ٥٩/١ ب ، وتفسير الطبري ١٩٥/١ ، وبنحو قول أبي عبيدة قال ابن قتبية ، انظر : غريب القرآن ٤٥ .

(٥) قال الزجاج في رده على أبي عبيدة «هذا إقدام من أبي عبيدة ، لأن القرآن لا ينبغي أن يتكلم فيه إلا بغاية تجري إلى الحق وإذ معناها الوقت ، وهي اسم ، فكيف يكون لغوا . . .» ، معاني القرآن ٧٥/١ ، ومن أنكر على أبي عبيدة النحاس في إعراب القرآن ١٥٦/١ ، والطبري في تفسيره : ١٩٥/١ .

(٦) في المكرر : (وهو أن الحرف إذا كان مفيداً معنى . . .) ، وفي (ب) : (مفيد) .

(٧) تفسير الثعلبي ٥٩/١ ب ، وانظر : تفسير الطبري ١٩٦/١ .

(٨) في المكرر : (الزجاج) .

(٩) معاني القرآن للزجاج ٧٦/١ .

وأكثر المفسرين^(١) على أن كل ما ورد في القرآن من هذا النحو ، فالذكر فيه مضمّر^(٢) . وأما^(٣) (الملائكة) فقال سيبويه^(٤) : واحدها ملك ، وأصله مَلَأَك ، مهموز ، حذف همزه لكثرة الاستعمال ، وأنشد :

فَلَسْتَ لِإِنْسِيٍّ وَلَكِنْ لِّمَلَأَكٍ تَنَزَّلَ مِنْ جَوِّ السَّمَاءِ يَصُوبُ^(٥)

وتابعه على هذا القول أكثر أهل العلم^(٦) . إلا أن المحدثين من البصريين ذكروا أن هذا من باب القلب^(٧) ، فقالوا : نقل همزة (الألوك) ، وهو (فاء) إلى عينه ، وقدموا العين ، فقالوا : (لُؤُوك)^(٨) وبنوا (المَلَأَك) منه ، وإنما قالوا ذلك لأنهم لم يجدوا لـ (مَلَأَك)^(٩) أصلاً يرُدُّونه إليه . وكان ادعاء القلب في الكلمة أولى

(١) في (ب) : (المفسرون) ، وفي المكرر : (وعند غيره من المفسرين . . .) .

(٢) انظر : تفسير أبي الليث ١٠٧/١ ، وتفسير ابن عطية ٢٤٠/١ ، وتفسير القرطبي ٢٢٤/١ .

(٣) (الواو) ساقطة من (ب) .

(٤) انظر : كلام سيبويه في الكتاب ٣٧٩/٤ .

(٥) البيت لعلمة الفحل ، وقيل : لرجل من عبد القيس جاهلي ، وقيل لأبي وجزة السعدي ، وقد سبق تخريجه عند تفسير قوله تعالى : ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ ﴾ [البقرة : ١٩] ، ١٧٨ .

(٦) أصلها (مَلَأَك) ، يحذفون الهمزة منه ، وينقلون حركتها إلى اللام وكانت مسكنة في حال همز الاسم . فإذا جمع الاسم ردوا الهمزة على الأصل ، فقالوا : (ملائكة) ، انظر : تفسير الطبري ١٩٧/١ ، والثعلبي في تفسيره ١٦٠/١ ، ومجاز القرآن ٣٥/١ ، ومعاني القرآن للزجاج ٨٠/١ ، وتهذيب اللغة (ملك) ٣٤٤٩/٤ ، و(ألك) ١٨٤/١ ، والكشاف ٣٧١/١ . وذكر أبو البركات بن الأنباري الأقوال في أصل (ملك) ، وهي :

١ . الملائكة جمع (ملك) على أصله في الهمز بعد القلب وهو (مَلَأَك) ، وأصل (مَلَأَك) : (مَأْلَك) لأنه من أَلَك إذا أرسل ، ووزنه على الأصل (مَفْعَل) ، فنقلت العين إلى موضع الفاء فصار (مَلَأَكًا) .

٢ . أنه مشتق من (لَأَك) إذا أرسل ، فاللام (فاء) والهمز (عين) ولا قلب فيه .

٣ . أنه مشتق من (مَلَكْتُ) ، الميم أصلية ووزنه (فَعَلٌ) ، انظر : البيان في غريب إعراب القرآن ٧٠/١ .

(٧) أي قلب المكان .

(٨) في (ب) : (لُؤُوك) .

(٩) في (ب) : (الملاك) .

عندهم من إهمال أصل (المَلَأَك) ، إذ علموا أن (المَفْعَل) ^(١) وما يجري مجراه مما زيد في أوله ميم لا بد له ^(٢) من أصل ثلاثي يرد إليه ، ولم يمكن رد (المَلَأَك) إلى (لَأَك) لأنه مهمل لم ينطق به ^(٣) فردوه إلى (أَلَك) لما ^(٤) وجدوا في الكلام : (المَأْلَك) ^(٥) ، و(المَأْلَك) و(المالكة) في معنى الرسالة ^(٦) .

ومعنى (أَلَك) في اللغة : علك ، يقال : الخيل تألُّك اللجم ، بمعنى : تعلُّك ، والرسالة سميت (ألوکا) ؛ لأن الإنسان يألُّكها ، ويدير الكلام في فيه ، كما يألُّك الفرس اللجام ^(٧) .

(١) في (ج) : (الفعل) .

(٢) (له) ساقط من (ب) .

(٣) قال مكّي : قال أبو عبيد : هو مشتق - أي ملك - من (لَأَك) إذا أرسل ، فالهمزة عين ولا قلب فيه ، انظر : مشكل إعراب القرآن ١ / ٣٦ ، وقد أورد صاحب اللسان مادة (لَأَك) وتكلم عليها ، ولم يذكر أنها مهملة ، انظر : اللسان (لَأَك) ٧ / ٣٩٧٥ .

(٤) (لما) ساقطة من (أ) و(ج) ، والسياق يقتضيها .

(٥) في (ب) : (المألَّكه) .

(٦) انظر : غريب القرآن لابن قتيبة ١ / ٣٧ ، والزينة لأبي حاتم الرازي ٢ / ١٦٠ ، ١٦١ ، الزاهر ٢ / ٢٦٧ ، ومشكل إعراب القرآن ١ / ٣٦ ، ومفردات الراغب ٢١ ، والبيان في غريب إعراب القرآن ١ / ٧٠ ، واللسان (أَلَك) ١ / ١١٠ .

(٧) ذكره الأزهري عن الليث ، انظر : تهذيب اللغة (أَلَك) ١ / ١٨٤ ، وانظر : اللسان (أَلَك) ١ / ١١٠ .

فعلى هذا (ملك) وزنه (مَفْعَل) ^(١)، وكان في الأصل ^(٢) (مَعْفَل)، لأنه مَلَأَك، هو مَقْلُوب من ^(٣) (مَأْلَك)، وأرادوا أن يكون مفعلاً من (الألوك)، إلا أنهم قلبوا كما ذكرنا ^(٤). هذا قول عامة أهل اللغة والنحو في هذا الحرف ^(٥).

وذهب بعض ^(٦) المتأخرين من أصحاب أبي علي الفارسي وهو أبو القاسم الزَّجَّاجي إلى خلاف ما ذهب إليه هؤلاء، فقال: قول من يقول: إن تركيب ملك من (م، ل، ك)، أولى من قول من يقول: إنه (مَفْعَل) ^(٧) من (الألوك) مقلوباً؛ لأن (المَفْعَل) لا يكون حامل الرسالة، وهم يقولون: إنها قيل: (ملك) لحمله الرسالة، والذي يصلح من الأبنية له (فَاعِل) أو (فَعُول) ^(٨) أو (فَعِيل) أو (مُفْعَل)، فأما (مَفْعَل) فإنه يصلح أن يكون موضعاً أو مصدرًا.

- (١) بل الصواب وزنه (مَعْل)؛ لأن المحذوف فاء الكلمة وهي الهمزة انظر: البيان ٧٠ / ١.
- (٢) في الأصل) ساقط من (ب).
- (٣) في (ج): (عن).
- (٤) انظر: المحكم (ل أك) ٦٩ / ٧، ومشكل إعراب القرآن ٣٦ / ١، والبيان في غريب إعراب القرآن ٧٠ / ١.
- (٥) في (ب): (الحروف).
- (٦) في (ب): (ذهب المتأخرون).
- (٧) انظر: مشكل إعراب القرآن ٣٦ / ١، والبيان ٧٠ / ١، وقد رد ابن سيده القول بأن الميم أصلية في (ملك)، انظر: المحكم ٤٧ / ٧، ٦٩، وانظر: اللسان (لأك) ٣٩٧٥ / ٧. والرد على هذا القول يرد في الكلام المكرر فيقول: «وقال بعض المتأخرين أصله (ملك) كما هو الآن، وهو بمعنى المملوك... فخالف بهذا القول أهل اللغة جميعهم، واحتج على ما ذهب إليه بها يطول ذكره». فلعن الواحدي أضرب عن كلامه الأول واعتمد الأخير. وهذا ولأبي القاسم الزَّجَّاجي قول يخالف هذا، قال في كتاب اشتقاق أسماء الله: «وأما (الملك) واحد الملائكة، فليس من هذا؛ لأن ذاك أصله الهمز؛ لأن أصله (مَلَأَك) مَفْعَل من الألوك وهي الرسالة... فكان سبيله أن يقال: مَأْلَك، ثم قلب فقيل: (مَلَأَك) ثم استعمل بطرح الهمزة...»، اشتقاق أسماء الله ٤٥، وقول الزَّجَّاجي هذا يوافق الجمهور ويخالف ما نقل الواحدي عنه.
- (٨) في (ب): (مَفْعُول).

وما يتركب من (م ، ل ، ك) هو في كلامهم الاستيلاء على الشيء وإجادته وإنعامه كملك الشيء وملك العجين ، وإملاكه هو إنعام عجنه ، ولا يصل إلى ذلك إلا بالاستيلاء عليه ، وإملاك الرجل أن يجعله مالكا لعقد النكاح ، وكل شيء مكننت غيرك منه وجعلته له فقد أملكته^(١) إياه وملكته ، وجميع ما يتركب من هذه الحروف راجع إلى ما ذكرنا ، وهذا قد مر ذكره في قوله تعالى : ﴿ مَلِكٌ يَوْمَ الدِّينِ ﴾ [الفاتحة: ٤] .

فـ (الْمَلِكُ)^(٢) اسم الجنس يقع على الواحد والجمع^(٣) ، ويدل على ذلك قوله تعالى : ﴿ وَالْمَلِكُ عَلَىٰ أَزْجَائِهَا ﴾ [الحاقة: ١٧] ، وهو (فَعَلَ) في معنى مَفْعُول ، كالنشر والنقص والخبط .

والله تعالى ذكره وإن كان قد ملك كل الخلق ، فإنه أجرى هذه اللفظة على الجنس ؛ لأنه^(٤) وصفهم فقال : ﴿ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [التحريم: ٦] . وبهذه الصفة يجب أن يكون^(٥) كُلُّ مَمْلُوكًا^(٦) ، فلما وجد فيهم^(٧) المعنى الذي يجب أن يكون عليه المملوك من الطاعة سهاهم (الملك) ، ومثل هذا الاختصاص كثير نحو : (ناقة الله) و(بيت الله) .

(١) في (ب) : (أملكته) .

(٢) في (ب) : (والمملك) .

(٣) من جعل (مَلِكٌ) هو الأصل فهو مفرد جمعه (فعائلة) ، وهو جمع شاذ كما قال العكبري في الإملاء ٢٨ / ١ ، وقال أبو البركات بن الأنباري : « محيي هذا الوزن في الجمع يدل على فساد قول من جعل (مملوكاً) على وزن (فَعَلَ) ؛ لأن فَعَلًا لا يجوز أن يجمع فعائلة . . . » ، البيان ٧١ / ١ .

(٤) في (ب) : (لأنهم) .

(٥) (يكون) ساقطة من (ج) .

(٦) في الأصل (مملوك) والتصحيح من المحقق .

(٧) في (ب) : (منهم) .

قال^(١): وذكر ابن دريد في الجمهرة، فقال: (ويجمع (المَلِكُ) أَمَلَاكاً وَمَلَائِكُ)^(٢)، وهذا قد أزال^(٣) الخلاف؛ لأن (أَفْعَالاً) لا يجوز أن يكون جمع ما في أوله ميمٌ زائدة.

وحكى أبو القاسم الآمدي^(٤) عن علي بن سليمان الأخفش^(٥) أنه قال: جمع الملك: أَمَلَاكُ^(٦). وحكى عن العرب (مالك الموت) في (ملك الموت) فلولا أنهم عرفوا أن الأصل فيه (م ل ك) ما عبروا عن (ملك) بـ (مالك).

(١) أي الزَّجَاجِي.

(٢) جمهرة اللغة ٩٨١/٢.

(٣) في (ب): (ارال).

(٤) هو الحسن بن بشر الآمدي البصري المنشأ، إمام في الأدب، قدم بغداد، وأخذ عن الحسن بن علي بن سليمان الأخفش، والزَّجَاج، وابن دريد، وفاته سنة سبعين وثلاثمائة، انظر: ترجمته في إنباه الرواة ٢٨٥/١، ومعجم الأدباء ٤٦٩/٢، وبغية الوعاة ٥٠٠/١.

(٥) هو علي بن سليمان بن الفضل، أبو الحسن، المعروف بـ (الأخفش الصغير)، سمع من ثعلب والمبرّد، كان ثقة، توفي سنة خمس عشرة وثلاثمائة، انظر: ترجمته في تاريخ بغداد ٤٣٣/١، وإنباه الرواة ٢٧٦/٢، ومعجم الأدباء ١٢٦/٤.

(٦) انظر: كلام الأخفش في الزينة ١٦٢/٢.

قال رويشد بن حنظلة^(١) :

غَدَا مَالِكٌ يَبْغِي نِسَائِي كَأَنَّمَا

نِسَائِي لِسَهْمِي مَالِكٍ غَرَضَانِ

فَيَا رَبِّ فَاتْرُكْ لِي جُهِيمَةَ^(٢) أَعْصِرَا

فَمَالِكُ مَوْتٍ بِالْفِرَاقِ دَهَانِي^(٣)

وهذا الشاعر ماتت نساؤه^(٤) وأطال الزوج ، فلم تلبث^(٥) عنده واحدة ،
فهذا كما ترى سمى الملك : (مَالِكًا) ، وأما البيت الذي أنشد في (المَلَأَك) ^(٦) فليس

(١) خطأ الأكثرون هذا الشاعر ، قال ابن سيده : «ورأيت في بعض الأشعار : مالك الموت في ملك الموت . . . » ، ثم ذكر البيت ، ثم قال : «وهذا عندي خطأ ، وقد يجوز أن يكون من جفاء الأعراب وجهلهم ؛ لأن ملك الموت مخفف عن (مَلَأَك) . . . » . المحكم ٤٧ / ٧ . وقال في موضع آخر : «فإنه ظن ملك الموت من (م ل ك) ، فصاغ (مالكا) من ذلك ، وهو غلط منه ، وقد غلط بذلك في غير موضع من شعره . . . وذلك أنه رأهم يقولون : (ملك) بغير همز ، وهم يريدون : (مَلَأَك) فتوهم أن الميم أصل ، وأن مثال ملك (فَعَلَ) : كَفَلَك ، وَسَمَك ، وإنما مثال (ملك) : (مَفَلَ) والعين محذوفة ألزمت التخفيف إلا الشاذ . . . ومثل غلط رويشد كثير في شعر الأعراب الجفاة» ، المحكم ٦٩ / ٧ . وعقد ابن جني في الخصائص باباً في أغلاط العرب ، وذكر أبيات رويشد ، ثم قال : «وحقيقة لفظه غلط وفساد . . . » ، الخصائص ٣ / ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، انظر : اللسان (لأك) ٧ / ٣٩٧٥ . وروشيدين حنظلة لم أجد له ترجمة .

(٢) في (ب) : (جهينة) وهي رواية في البيت .

(٣) ورد البيتان في المحكم ٤٧ / ٧ ، ٦٩ / ٧ ، والخصائص ٧٢ / ٢ ، ٢٧٣ / ٣ ، واللسان (لأك) ٧ / ٣٩٧٥ .

(٤) في (أ) و(ج) : (نساءه) ، وأثبت ما في (ب) لأنه الأولى .

(٥) في (ج) : (يلبث) .

(٦) في (ب) : (الملك) . والبيت هو ما احتج به سيبويه وغيره من أهل اللغة والنحو ، وهو قول علقمة الفحل أو غيره :

فَلَسْتُ لِإِنْسِي وَلَكِنْ لِمَلَأَكِ

وقد سبق آنفاً .

فيه حجة قاطعة ، فإنه شاعر^(١) واحد ، ولم يسمع (المَلَأَك) إلا في ذلك البيت الواحد ، ولعله همز ما ليس أصله الهمز ، كما قالوا : (رمح يَزَانِي)^(٢) فزادوا الهمز ، وقالوا : (حَلَّاتُ)^(٣) السَّوِيْق) وليس أصله الهمز ، ومثله كثير .

وأما الجمع فالملائك (فعائل) كالجماثل في جمع الجمل^(٤) . ويجوز أن يكون الملائك (مفاعل) ، وإن كان الواحد (فَعَلًا) ؛ لأن باب الجمع ليس بمطرود ولا مقيس ، ألا ترى أنهم قالوا في جمع القبح^(٥) : مقابح ، وفي جمع الحسن : محاسن ، وفي جمع الشبه : مشابه ، وفي جمع العزف وهو اللهو : معازف ، وقالوا : أطعمني مطايب الجزور ، لجمع^(٦) طيب ، وهذا باب واسع^(٧) .

والأمر فيه عند المحققين أن كل لفظة من هذه الألفاظ التي وردت في الجمع مخالفة للقياس هي موضوعة للجمع من غير أن كُسِّر^(٨) عليها الواحد ، فالمحاسن

-
- (١) في (أ) و(ج) : (لا شاعر) ، واخترت ما في (ب) لأنه أصح في السياق .
 - (٢) (يَزَانِي) نسبة إلى ذي يزن من ملوك حير نسبت الرماح إليه ؛ لأنه أول من عملت له ، والأصل (يَزَنِي) و(أَزَنِي) وبعضهم زاد الهمزة ، فقال : (يَزَانِي) . انظر : اللسان (يزن) ٤٩٥٦ / ٨ .
 - (٣) الأصل : (حَلَّيْتُ السَّوِيْق) ، أي جعلته حلواً ، وهمزه شاذ ، انظر : سر صناعة الإعراب ٩٠ / ١ ، ٤٢٠ ، اللسان (حلا) ٩٨٣ / ٢ .
 - (٤) قوله (في جمع الجمل) ساقط من (ب) . وقوله : (فعائل) هذا عند من يرى أن (الميم) في (ملك) أصلية ، أما على قول الجمهور فجمعه (مفاعلة) أو (مفاعلة) ، انظر : مشكل إعراب القرآن ٣٦ / ١ ، ٣٧ .
 - (٥) في (ب) : (الفتح : مفتح) .
 - (٦) في (أ) و(ج) : (لجميع) ، واخترت ما في (ب) لأنه أصح في السياق .
 - (٧) في (ب) : (وهذا جمع واجب يتبع) .
 - (٨) أي جمع تكسير .

لفظة نابت^(١) عن جمع الحسن ، وكذلك^(٢) أشباهها ، هذا كلامه ، وهو طويل وقد اختصرته^(٣) .^(٤)

وحكي عن النضر بن شميل ، أنه قال في الملك : إن العرب لا تشتق فعله ولا تصرفه وهو مما فات^(٥) علمه ، فهذا الذي ذكرنا طرف من الكلام في أصل هذا الحرف^(٦) على مقدار ما يليق بهذا الكتاب (على^(٧) صورة الماضي ؛ لأن ما تحقق كونه ، فهو بمنزلة ما قد كان ، كقوله تعالى : ﴿ وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ ﴾ [الأعراف : ٤٤]^(٨) وأشباهه .

وقال أبو عبيدة (إذ) في هذا الموضع^(٩) زائدة . معناه : وقال ربك للملائكة . وأنكر الزجاج وغيره هذا القول ، وهو^(١٠) أن الحرف إذا كان مفيداً^(١١) معنى

(١) في (ب) : (ثابت) .

(٢) في (ب) : (وذلك) .

(٣) في (ب) : (وهو) .

(٤) يريد كلام أبي القاسم الزجاجي وسيأتي في المكرر إشارة له بقوله : «وقال بعض المتأخرين أصله (ملك) كما هو الآن . . . فخالف بهذا القول أهل اللغة جميعهم ، واحتج على ما ذهب إليه بما يطول ذكره» . ولعل الواحد ترك ذكر كلام الزجاج مفصلاً واكتفى عن ذلك بالإشارة إليه .

(٥) في (أ) و(ج) : (مات) ، وما في (ب) موافق لما عند الثعلبي ، فقد نقل عنه الواحد كلام النضر والتعليق عليه ، تفسير الثعلبي ١ / ٦٠ .

(٦) في (ب) : (هذه الحروف) .

(٧) قوله : (على صورة الماضي) . . . من هنا إلى قوله : (واحتج على ما ذهب إليه بما يطول ذكره) مكرر مع ما سبق ، ولعل الواحد لم يرض عن كلامه الأول ، فأعرض عنه ثم أعاد الكتاب فيه ، غير أن النسخ أثبتوا كل ما كتبه ، انظر : التنبيه السابق ، ٣١٢ .

(٨) في كلامه المكرر السابق أورد آيتين قال : «قوله : ﴿ وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ﴾ ، ﴿ وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ ﴾ . . . » .

(٩) هناك في المكرر قال : (هاهنا) .

(١٠) كذا ورد في النسخ جميعها وفي الموضع السابق : (وقالوا : إن الحرف . . .) .

(١١) في (ب) : (مفيداً) .

صحيحاً لم يجز إلغاؤه ، قالوا : وفي الآية محذوف معناه : واذكر يا محمد إذ قال لربك .

وقال الزَّجَّاج^(١) : إن الله - جلَّ ذكره - ذكر خلق الناس^(٢) في هذه الآية ، فكأنه قال : ابتداء خلقكم إذ قال ربك للملائكة . وعند غيره من المفسرين^(٣) : أن كل ما ورد في القرآن من هذا النحو فالذكر فيه مضمَر .

و(الملائكة)^(٤) : الرسل ، واحدها مَلَك ، وأصله (مَأْلَك) ، وجمعها (مَأْلَك)^(٥) ، ووزنه من الفعل (مَفْعَل) ، والهمزة فاء الفعل ، واللام عينه ثم أخرت الهمزة بالقلب^(٦) ، تأخيرهم للعين من (القوس) في جمعها ، إذ قالوا : (قُسي)^(٧) ، وقالوا : (شَمَالٌ وشَأْمَل)^(٨) كذلك هاهنا قلبت الهمزة .

(١) في كلامه المكرر السابق (أبو إسحاق) .

(٢) في (ب) : (السموات) .

(٣) في الكلام المكرر : (وأكثر المفسرين) .

وتخريج الأقوال والتعليق عليها ذكر في الكلام السابق فلا أطيل بإعادته .

(٤) تفسير لفظ (الملائكة) هنا مختلف عما سبق وأكثر اختصاراً منه .

(٥) (مَأْلَك) جمع (مَأْلَك) على أصله قبل التغيير . قال الطبري : ولست أحفظ جمعهم كذلك سماعاً ،

ولكنهم يجمعون : (ملائك وملائكة) ، تفسير الطبري ١ / ١٩٨ ، ومشكل إعراب القرآن ١ / ٣٦ .

(٦) ويسمى قلباً مكانياً ، انظر : مشکل إعراب القرآن ١ / ٣٦ .

(٧) قال في اللسان : «(قُسي) و(قُسي) كلاهما على القلب عن (قُوس) ، وإن كان (قُوس) لم يستعمل

استغنوا بقُسي عنه ، فلم يأت إلا مقلوباً . . . » ، اللسان (قوس) ٦ / ٣٧٧٣ .

(٨) في (أ) : (شَمَالٌ وشَأْمَل) ، والصحيح ما أثبت كما في (ب) و(ج) ، ومثله عند الطبري ، وهو على

القلب المكاني ، انظر : تفسير الطبري ١ / ١٩٨ .

ثم خفف^(١) بال حذف ، فقيل : ملك ، وأصله من المألَكة والمألَكة^(٢) والألوك وهي : الرسالة ، ويقال : أَلَكْنِي^(٣) إليه ، أي كن رسولي ، وبلغ إليه رسالتي . قال ليبد :

وْغَلَامٍ أَرْسَلْتُهُ أُمُّهُ بِأَلُوكٍ فَبَدَلْنَا مَا سَأَلَ^(٤)

وسميت الرسالة أَلُوكًا ، لأنه يؤلك في الفم ، مشتقاً^(٥) من قول العرب : الفرس يألك^(٦) اللجام ويعضه بمعنى يمضغ الحديدية^(٧) . ذكره الليث ، قال : والمعروف : يُلُوكُ^(٨) . وقال عبد بني الحسحاس^(٩) :

أَلَكْنِي إِلَيْهَا عَمْرُكَ اللَّهُ يَا فَتَى بَايَةَ^(١٠) مَا جَاءَتْ إِلَيْنَا تَهَادِيَا^(١١)

(١) في (ج) : (خففت) .

(٢) والمألَكة ساقطة من (ب) .

(٣) في (ب) : (الي) .

(٤) ورد البيت في ديوان ليبد مع شرحه ١٧٨ ، وتفسير الطبري ١/ ١٩٨ ، والمعاني الكبير ١/ ٤١٠ ، ٣/ ١٢٣٨ ، والزاهر ٢/ ٢٦٧ ، والمحكم (ألك) ٧/ ٦٨ ، والخصائص ٣/ ٢٧٥ ، والمنصف ٢/ ١٠٤ ، وتفسير القرطبي ١/ ٢٢٤ ، والدر المصون ١/ ٢٥٠ ، وإملاء ما من به الرحمن ١/ ٢٧ ، واللسان (ألك) ١/ ١١٠ . يقول : (أرسلت هذا الغلام أمه برسالة فأعطيناه ما طلب) .

(٥) كذا في النسخ جميعها ، ولعل الأولى (مشتق) .

(٦) في (ب) : (تألك ، وتعضه ، وتمضغ) بالتأنيث في المواضع الثلاثة .

(٧) في (ب) و(ج) : (الحديد) .

(٨) تهذيب اللغة (ألك) ١/ ١٨٤ .

(٩) هو سحيم عبد بني الحسحاس ، أدرك الجاهلية والإسلام ، ولا يعرف له صحبة ، كان أسود شديد السواد وبنو الحسحاس : من بني أسد بن خزيمة . انظر : ترجمته في الشعر والشعراء ٢٥٨ ، والخزانة ٢/ ١٠٢ .

(١٠) في (أ) و(ج) : (كآية) ، وما في (ب) تفسير موافق للمصادر جميعها التي ورد فيها البيت .

(١١) ورد البيت في ديوان سحيم ١٩ ، وتفسير الطبري ١/ ١٩٨ ، والخصائص ٣/ ٢٧٤ ، ومعجم مقاييس اللغة ١/ ١٣٣ ، ومجمل اللغة (ألك) ١/ ١٠٢ ، وأساس البلاغة ، (ألك) ٨ ، والخزانة ٢/ ١٠٤ .

قوله : أَلَكْنِي إِلَيْهَا : بلغها عني رسالة ، والآية : العلامة ، والتهادي : التهايل في المشي .

وقال آخر ، فردَّ الملك إلى الأصل^(١) :
 فَلَسْتُ لِإِنْسِيٍّ وَلَكِنْ لِمَلَأِكٍ^(٢) تَنَزَّلَ مِنْ جَوِّ السَّمَاءِ يَصُوبُ^(٣)
 وأصله مألِك^(٤) ، فقلب الهمزة كما قالوا : شاك في شائك ، ولاث في
 لاث^(٥) . ويقال في الجمع : الملائكة والملائك ، قال كثير :
 كَمَا قَدْ عَمَمْتَ الْمُؤْمِنِينَ بِنَائِلِ
 أبا^(٦) خَالِدٍ صَلَّتَ عَلَيْكَ الْمَلَأَكُ^(٧)
 هذا قول الجمهور من أهل اللغة^(٨) . وقال النضر بن شميل في الملك : إن
 العرب لا تشتق فعله ولا تصرفه ، وهو مما فات^(٩) علمه .

-
- (١) قوله : (فرد الملك إلى الأصل) ورد في (ب) بعد البيت وهذا أولى ، والمعنى رد الملك إلى أصله وهو (ملأك) .
- (٢) في (أ) و (ج) : (لها لاك) ، وهو تصحيف يخالف رواية البيت المشهورة .
- (٣) سبق تخريج البيت .
- (٤) (مألِك) قلبت الهمزة قلباً مكانياً ، فوضعت مكان العين ، ونقلت العين إلى الفاء وهي (اللام) فصار (ملأك) ، ثم خفف بحذف الهمزة ، انظر : البيان في غريب إعراب القرآن ١ / ٧٠ .
- (٥) انظر : الكتاب ٣ / ٤٦٦ ، ٤ / ٣٧٨ ، وسر صناعة الإعراب ١ / ٣٠٧ .
- (٦) في (ب) : (اخالد) .
- (٧) ورد البيت في المنصف ٢ / ١٠٣ ، والبحر ١ / ١٢٧ ، والدر المصون ١ / ٢٥١ ، وغير منسوب فيها كلها .
- (٨) انظر : تهذيب اللغة (ملك) ٤ / ٣٤٤٩ ، و(ألك) ١ / ١٨٤ ، وتفسير الطبري ١ / ١٩٧ ، ومعاني القرآن للزجاج ١ / ٨٠ ، ومجاز القرآن ١ / ٣٥ ، وتفسير الثعلبي ١ / ٦٠ ، والكشاف ١ / ٣٧١ .
- (٩) في (ج) : (من مات عليه) . وكلام النضر ورد في تفسير الثعلبي ، قال : وهو مما فات عليه ، ١ / ٦٠ ، وقد سبق كلام النضر . وانظر : التعليق عليه .

وقال بعض المتأخرين^(١) : أصله ملك كما^(٢) هو الآن ، وهو بمعنى المملوك ، يُذهب^(٣) فيه إلى أنه لله بمنزلة العبد لغيره ، فهو (فَعَلَ) بمعنى مفعول كالنقض^(٤) والخبط ، فخالف بهذا القول جميع أهل اللغة ، واحتج على ما ذهب إليه بما يطول ذكره^(٥) .

و(الخليفة) الذي يخلف الذاهب ، أي يجيء بعده ، ويقال للسلطان : خليفة لأنه يخلف من قبله ، يقال : خلف فلان مكان فلان ، يخلف [إذا كان في مكانه]^(٦) .

الليحاني : خلف فلان فلاناً في أهله وفي مكانه يخلفه^(٧) خلافة حسنة ، وكذلك^(٨) قيل : أوصى له بالخلافة ، ويقال : خلفني ربي في أهلي وولدي أحسن الخلافة^(٩) .

وأصل الخليفة خليف بغير هاء ؛ لأنه (فَعِيل) بمعنى : (فاعل) ، كالعليم والسميع ، فدخلت (الهاء) للمبالغة بهذا الوصف ، كما قالوا : راوية^(١٠) وعلاّمة^(١١) . وقال ابن السكيت : أما الخليفة فإنه وقع للرجال خاصة ، وإن

(١) هو أبو القاسم الرَّجَّاجي ذكره في ما سبق ، قال : «وذهب بعض المتأخرين من أصحاب أبي علي الفارسي ، وهو أبو القاسم الرَّجَّاجي . . . » . والتعليق عليه هناك ، إذن للرَّجَّاجي قولاً آخر يوافق الجمهور .

(٢) (كما) ساقطة من (أ) و (ج) ، والسياق يقتضيها .

(٣) (يذهب) ساقطة من (ب) .

(٤) في (ب) : (بالنقض) .

(٥) وقد سبق ذكر احتجائه مفصلاً في الكلام السابق .

(٦) انظر : تفسير الطبري ١ / ١٩٩ ، وتفسير الثعلبي ١ / ٦٠ .

(٧) ما بين المعقوفين ساقط من (ب) .

(٨) في تهذيب اللغة (ولذلك) ١ / ١٠٨٩ .

(٩) تهذيب اللغة (خلف) ١ / ١٠٨٩ .

(١٠) وفي (ج) : (رواية) .

(١١) انظر : الزاهر لابن الأنباري ٢ / ٢٤١ ، والصحاح (خلف) ٤ / ١٣٥٦ ، واللسان (خلف) ٢ / ١٢٣٥ .

كان^(١) فيه (الهاء)، ألا ترى أنهم قد جمعوه (خلفاء) كما يجمع فعيل. هذا في مَنْ ذَكَرَ واستعمل المعنى، ومن أنْثَ لتأنيث اللفظ قال في الجمع: (خلائف)^(٢). وقد ورد التنزيل بها، قال الله تعالى: ﴿مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ﴾ [الأعراف: ٦٩]، وقال: ﴿خَلَيْفَ فِي الْأَرْضِ﴾ [يونس: ١٤]، [فاطر: ٣٩] ويجوز تأنيث الخليفة على اللفظ كما قال:

أَبُوكَ خَلِيفَةٌ وَلَدَتْهُ أُخْرَى وَأَنْتَ خَلِيفَةُ ذَاكَ الْكَمَالِ^(٣)

قال ابن عباس وابن مسعود وابن زيد^(٤): أراد بالخليفة آدم عليه السلام، جعله خليفة لنفسه، يحكم بالحق في أرضه^(٥). وروي عن ابن عباس أنه قال: جعله خليفة عن الملائكة الذين كانوا سكان الأرض بعد الجن^(٦).

- (١) (كان) ساقط من (ب).
- (٢) انظر: كلام ابن السكيت في تهذيب اللغة (خلف) ١/ ١٠٩٠، وانظر: المذكر والمؤنث لابن الأنباري ٥٦٥، والزاهر ٢/ ٢٤٢.
- (٣) البيت استشهد به الفراء في معاني القرآن ١/ ٢٠٨، ولم ينسبه، وورد في الزاهر ٢/ ٢٤٢، والمذكر والمؤنث لابن الأنباري ٥٦٥، ونسبه إلى (نُصِيب). قال المحقق: ليس في شعره، وورد في تهذيب اللغة (خلف) ١/ ١٠٩٠، والصحاح ٤/ ١٣٥٦، واللسان ٢/ ١٢٣٥، وكلهم قالوا: أشد الفراء. والشاهد فيه: قوله: (أخرى)، فأنت لتأنيث اسم الخليفة، والوجه أن تقول: ولده آخر. قاله الفراء.
- (٤) هو عبدالرحمن بن زيد بن أسلم العدوي، بالولاء مدني، روى عن أبيه زيد بن أسلم، ضعيف. مات سنة اثنتين وثمانين ومائة. انظر: ترجمته في الجرح والتعديل ٥/ ٢٣٣، وتهذيب التهذيب ٢/ ٥٠٧، وطبقات المفسرين للدودي ١/ ٢٧١.
- (٥) ورد ضمن آثار رويت عن ابن عباس وابن مسعود وابن زيد، ذكرها الطبري في تفسيره بسنده، وقد علق الأستاذ محمود شاكر على هذه الآثار بكلام طويل، محصلته أن الطبري استدلل بهذه الآثار لبيان معنى لفظ (خليفة) وتحقيق معناه، ولم يبال بها في الإسناد من وهن لا يرتضيه، وقد رجح الطبري: أن المراد بالخلافة خلافة قرن منهم قرناً غيرهم، وأن الذي يفسد ويسفك الدماء غير آدم.
- انظر: تفسير الطبري ١/ ٤٥١، ٤٥٣، وذكر نحوه ابن كثير في تفسيره ١/ ٧٥، وساق الآثار على هذا.
- (٦) أخرج الطبري نحوه من طريق الضحاك عن ابن عباس، وقال شاكر: في إسناده ضعف، تفسير الطبري ١/ ٤٥٠. وذكره ابن كثير من طريق ابن جرير، تفسير ابن كثير ١/ ٧٥، وأخرج الحاكم =

قال المفسرون : وذلك أن الله تعالى خلق السماء والأرض ، وخلق الملائكة والجن ، فأسكن الملائكة السماء وأسكن الجن^(١) الأرض ، فغبروا دهرًا طويلاً في الأرض ، ثم ظهر فيهم الحسد والبغي ، فاقتتلوا وأفسدوا ، فبعث إليهم جنداً من الملائكة يقال لهم : الجن ، ورأسهم إبليس ، وهم خزان الجنان ، اشتق لهم اسم من الجنة ، فهبطوا إلى الأرض ، وطرّدوا الجن عن وجوهها إلى شعوب الجبال ، وجزائر البحور ، وسكنوا الأرض ، وكانوا أخف الملائكة عبادة ؛ لأن أهل السماء الدنيا أخف عبادة من الذين فوقهم ، وكذلك أهل كل سماء ، وهؤلاء الملائكة لما صاروا سكان الأرض خفف الله عليهم العبادة ، وخلقت الملائكة كلها من نور غير هذا الحي^(٢) الذين يقال لهم : الجن^(٣) ، فأحبوا^(٤) البقاء في الأرض .

كان الله تعالى قد أعطى إبليس ملك الأرض وملك السماء الدنيا وخزانة الجنان ، وكان يعبد الله - عز وجل - تارة في الأرض وتارة في السماء وتارة في الجنة ، فأعجب بنفسه ، وتدخله الكبر ، فاطلع الله على ما انطوى عليه من الكبر ، فقال له ولجنده : إني جاعل في الأرض خليفة^(٥) .

في مستدركه نحوه عن مجاهد عن ابن عباس ، وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي .
المستدرك ٢ / ٢٦١ .

(١) (الجن) ساقط من (ب) .

(٢) في (ب) : (الجن) .

(٣) في تفسير الطبري : (الجن) بالمهملة . قال شاكراً في هامش تفسير الطبري : «في المطبوعة في موضعين (الجن) بالجيم وهو خطأ ، يدل عليه سياق الأثر ، فقد ميز ما بين إبليس ، وبين الجن الذين ذكروا في القرآن . . . والجن (بالجيم) أول من سكن الأرض ، وإبليس جاء لقتالهم في جند من الملائكة . . . » .
تفسير الطبري (ط . شاكراً) ١ / ٤٥٥ .

(٤) في (ب) : (واحبوا) .

(٥) ذكره الثعلبي في تفسيره قال : «قال المفسرون . . . ثم ذكره» ، تفسير الثعلبي ١ / ٦٠ ، ب ، ولعل الواحدي نقل عنه . وإن مما أخذ على الثعلبي في تفسيره أنه حاطبٌ ليل جمع فيه الضعاف والإسرائيليات ، ولقد تأثر الواحدي به ونقل عنه في بعض المواضع . وحول ما أورده الواحدي هنا ورد أثر عن ابن عباس ، أخرجه الطبري ، قال شاكراً في تعليقه عليه : « . . . لم يروه لاعتقاد صحته ، بل رواه لبيان أن قول الله سبحانه :

وإخبار^(١) الله تعالى الملائكة بهذا يكون على جهة البشارة لهم بمكان آدم ، كما جرت به سنته بالبشارة بالأنبياء قبل خلقهم وقبل إرسالهم^(٢) . ولا يكون ذلك^(٣) على جهة المشاورة معهم^(٤) ، لامتناع المشاورة في وصفه ، لوجوب كونه عالماً لا يخفى عليه شيء .

وقوله تعالى : ﴿ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ ﴾ . قال الفراء^(٥) : أراد : فقالوا ، فحذف فاء النسق كقول الشاعر :

لَمَّا رَأَيْتُ نَبَطًا أَنْصَارًا

شَمَرْتُ عَنْ رُكْبَتِي الْإِزَارَا

كُنْتُ لَهُمْ مِنَ النَّصَارَى جَارًا^(٦)

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ إنما هو خطاب فيه لفظ العموم للملائكة تفسير الطبري ١ / ٢٠١ . وأورد الأثر ابن كثير ، وقال : « هذا سياق غريب ، وفيه أشياء فيها نظر ، يطول مناقشتها ، وهذا الإسناد إلى ابن عباس يُروى به تفسير مشهور » . تفسير ابن كثير ١ / ٧٦ . ومثل هذه القضايا يجب الاعتماد فيها على النص من الكتاب ، أو من السنة الصحيحة ، وهي من المواطن التي كثر النقل فيها عن الإسرائيليات ، وليت كتب التفسير صint عن مثل هذه القصص والروايات .

(١) في (ب) : (واختار) .

(٢) انظر : تفسير ابن كثير ١ / ٧٤ .

(٣) في (أ) و(ج) : (على ذلك جهة) ، وأثبت ما في (ب) ؛ لأنه أصح لاستقامة السياق .

(٤) أورد ابن أبي حاتم في تفسيره أثراً منكراً عن السدي ، وفيه : (فاستشار الملائكة في خلق آدم) . قال المحقق : هذا خبر منكر ، انظر : تفسير ابن أبي حاتم ١ / ٧٦ . وأورده ابن كثير في تفسيره ، وقال : وهذه العبارة إن لم ترجع إلى معنى الإخبار ففيها تساهل ، وعبارة الحسن وقتادة في رواية ابن جرير أحسن ، تفسير ابن كثير ١ / ٧٥ . عبارة الحسن وقتادة : إني فاعل ، انظر : تفسير الطبري ١ / ٢٥٥ .

(٥) انظر : معاني القرآن للفراء ١ / ٤٤ ، وانظر : تفسير الثعلبي ١ / ٦٠ ب .

(٦) أنشد الفراء الرجز ، ونسبه إلى بعض الأعراب ، معاني القرآن ١ / ٤٤ ، وأورده الطبري في تفسيره ١ / ٣١٨ ، والثعلبي ١ / ٦٠ ب ، وهو في الزاهر ١ / ٢٢٥ ، وتفسير الماوردي ١ / ١٣٢ ، وتفسير القرطبي ١ / ٣٦٩ ، والدر المصون ١ / ٤٠٧ .

أي فكنتم لهم .

واختلفوا^(١) في قول الملائكة : (أتجعل فيها) . على أي وجه حصل منهم هذا ؟ فروي أن الذين قالوا هذا عشرة آلاف من الملائكة ، فأرسل الله^(٢) عليهم ناراً فأحرقتهم^(٣) .

وقال بعض أهل المعاني : فيه إضمار واختصار ، معناه : أتجعل فيها من يفسد فيها [ويسفك الدماء ؟ أم تجعل فيها من لا يفسد فيها]^(٤) ولا يسفك الدماء ؟ كقوله تعالى : ﴿ أَمْ نَهَوْنَهُ أَنْ يَأْتِيَ الْبِلَّاءَ ﴾ [الزمر : ٩] ، يعني : كمن هو غير قانت^(٥) ، وكقول أبي ذؤيب :

عَصَيْتُ إِلَيْهَا الْقَلْبَ إِنِّي لَأَمْرَهَا
مُطِيعٌ فَمَا أَذْرِي أَرْشَدُ طَلَابَهَا^(٦)

أراد : أرشد^(٧) أم غي ؟ وعلى هذا فالملائكة أرادوا بالاستفهام أن يُخبروا بما لا يعلمون ، ولم يذهبوا إلى الإنكار والاعتراض^(٨) ، فقال الله : ﴿ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا

(١) في (ب) : (فاختلفوا) .

(٢) لفظ الجلالة غير موجود في (ب) .

(٣) هذا الكلام ورد في رواية منكورة غريبة أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عن يحيى بن أبي كثير عن أبيه . قال المحقق : (منكر غريب) ، تفسير ابن أبي حاتم ٧٨ / ١ ، وذكرها ابن كثير عن ابن أبي حاتم ، وقال : (إسرائيل منكر) ، تفسير ابن كثير ٧٦ / ١ .

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (ب) .

(٥) هذا المعنى ذكره الثعلبي في تفسيره ٦٠ / ١ ب .

(٦) سبق ذكر البيت وتخرجه وشرحه في ٥٥ / ٢ .

(٧) في (ب) : (رشد) .

(٨) في (أ) : (ولا اعتراض) .

فَعَلُّونَ^(١) ، لم يطلعهم على صفة أولاد آدم . ولم يبين لهم أنه يريد أن يخلق من يفسد أو لا يفسد^(٢) .

وقيل : لما قال الله : ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ أشكل على الملائكة أن الخليفة ممن يكون ، قالوا : يا ربنا أتجعل في الأرض خليفة كما كان بنو الجان مفسدين ؟ أم تجعل خليفة من الملائكة ؟ فإننا نسبح بحمدك ، فلم يطلعهم الله على ذلك ، فقال : ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ ، أي^(٣) : أن فيهم المطيع والعاصي جميعاً^(٤) .

وقال الزَّجَّاج حكاية عن غيره : المعنى في هذا هو^(٥) : أن الله أعلم الملائكة أنه جاعل في الأرض خليفة ، أن الخليفة^(٦) فرقة من بني آدم [تسفك]^(٧) الدماء ، وأن الله أذن للملائكة أن يسألوه عن ذلك ، وكان^(٨) إعلامه إياهم هذا زيادة في التثبيت^(٩) في نفوسهم أنه يعلم الغيب ، وكأنهم قالوا : أتخلق^(١٠) فيها قوماً

(١) ذكر نحوه الطبري ورجحه ، انظر : تفسير الطبري ٢٠٩/١ ، وهو قريب من قول الزَّجَّاج الآتي ذكره ، انظر : معاني القرآن ٧٦/١ ، وانظر : زاد المسير ٦٠/١ ، وتفسير القرطبي ١٣٥/١ .

(٢) رجح الطبري أن الله أطلع الملائكة على ما يكون من ولد آدم ؛ لأن ذلك يفهم من السياق ، انظر : تفسير الطبري ٢١٠/١ .

(٣) في (ب) : (إذ فيهم) .

(٤) انظر : تفسير الطبري ٢٠٩/١ ، وتفسير الثعلبي ٦٠/١ ب ، ومعاني القرآن للزَّجَّاج ٧٦/١ ، وتفسير القرطبي ٢٣٥/١ .

(٥) (هو) ساقط من (ب) . ولفظ الزَّجَّاج : «وقال قوم : المعنى فيه غير هذا وهو أن الله . . . إلخ» . والزَّجَّاج ذكر قبل هذا القول الذي يرتضيه ، وسيورده الواحد في ما بعد ، كما سيأتي ، انظر : معاني القرآن ٧٦/١ .

(٦) كذا في النسخ جميعها ، وفي معاني القرآن : (بالقاف) في الموضعين .

(٧) في (أ) و(ج) : (يسفك) و(ب) غير معجم ، وفي معاني القرآن (تسفك) ٧٦/١ .

(٨) (الواو) ساقطة من (ج) .

(٩) في (أ) و(ج) : (التثبيت) ، وما في (ب) موافق لما في معاني القرآن ٧٦/١ .

(١٠) في النسخ : (الخلق) ، تحريف ، والصواب ما أثبتنا من معاني القرآن .

يسفكون الدماء ويعصونك ؟ وإنما ينبغي إذا عرفوا أنك خلقتهم أن يسبحوا بحمدك كما نسبح ، ويقدسوا كما نقدر ، ولم يقولوا هذا إلا وقد أذن لهم ؛ لأن الله تعالى وصفهم بأنهم يفعلون ما يؤمرون^(١) .

فإن قيل : فأين إخبار الله بذلك للملائكة ، فإننا لا نراه في القرآن ؟ قيل : هو محذوف مكتفى بدلالة الكلام عليه ، كأنه قال : (إني جاعل في الأرض خليفة) يكون من ولده إفساد^(٢) في الأرض ، وسفك للدماء^(٣) ، فحذف هذا اكتفاء^(٤) بما دل عليه من جواب الملائكة ، كما قال الشنفرى^(٥) :

فَلَا تَدْفِنُونِي إِنْ دَفَنِي مُحَرَّمٌ عَلَيَّكُمْ وَلَكِنْ خَامِرِي أُمَّ عَامِرٍ^(٦)

أراد : ولكن دعوني للتي يقال لها إذا أريد صيدها : خامري أم عامر ، فحذف^(٧) .

قال الزَّجَّاج : ويجوز أن يكون هذا القول من الملائكة على وجه استعلام وجه الحكمة ، لا على الإنكار . معناه : كيف تجعل في الأرض من يفسد ويسفك

(١) انتهى كلام الزَّجَّاج ، انظر : المعاني ٧٧ .

(٢) (إفساد) مكرر في (أ) و(ج) .

(٣) في (ب) : (الدماء) .

(٤) في (أ) و(ج) : (اكتفى) ، وأثبت ما في (ب) ، لأنه هو الأصوب .

(٥) الشنفرى : شاعر جاهلي من الأزدي ، والشنفرى اسمه ، وقيل : لقبه ، ومعناه : العظيم الشفة ، انظر : الخزانة ٣/ ٣٤٣ ، والأعلام ٥/ ٨٥ .

(٦) البيت قاله الشنفرى الأزدي في قصة طويلة . انظر : تفاصيلها في الخزانة ٣/ ٣٤٤ ، ٣٤٨ ، ويروى البيت : (لا تقتلوني) ، (إن قبري) ، (ولكن أبشري) ، وفي ذيل الأمالي : (لا تقتلوني) ، (إن قتلي) . وأم عامر : كنية الضبع و(خامري) أي استتري ، يريد دنو الضبع مستخفية ملازمة لمكانها حتى تخالط القاتل فتصيب منه . والمعنى : يقول : لا تدفوني بعد قتلي وأتركوني للتي يقال لها (أم عامر) . ورد البيت في تفسير الطبري ١/ ٢١٠ ، والحماسة بشرح المرزوقي ٢/ ٤٨٧ ، والشعر والشعراء ٣١ ، وذيل الأمالي للقالبي ٣/ ٣٦ ، والخزانة ٣/ ٣٢٧ .

(٧) السؤال الذي ذكره الواحدي والإجابة عنه ، ورد عند الطبري في تفسيره ١/ ٢١٠ .

الدماء؟ ونحن نسبحك الآن إذ أجليناهم^(١) وصرنا سكانها ، فأخبرنا^(٢) وجه الحكمة فيه^(٣) .

وقال ابن عباس وأكثر المفسرين : إن الله تعالى لما اطلع على كبر إبليس ، قال للملائكة الذين كانوا معه : ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ ، فقالت^(٤) الملائكة : أتجعل فيها من يفسد فيها كما فعل^(٥) بنو الجان ؟ قاسوا بالشاهد على الغائب^(٦) ، فقال الله تعالى : ﴿ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ من كبر إبليس واغتراره بفعله ، ثم لما ظهر من أمر إبليس ما ظهر وعجزت هؤلاء الملائكة عن^(٧) الإخبار عن أسماء الأشياء اعترفوا بالعجز ، وقالوا : ﴿ سُبْحَنَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا ﴾^(٨) . ومع وضوح هذه الأقوال فإن ظاهر الخطاب يدل على أنه شقَّ على الملائكة خلق

(١) في (ب) : (اخليناهم) .

(٢) في (ب) : (فأضرها) .

(٣) نقل الواحدي كلام الزَّجَّاج بمعناه ، ومنه قوله : « روي أن خلقاً يقال لهم : (الجان) كانوا في الأرض فأفسدوا وسفكوا الدماء . فبعث الله ملائكته فأجلتهم من الأرض ، وقيل : إن هؤلاء الملائكة صاروا سكان الأرض بعد الجان . . . إلخ » . وهذا يوضح قول الواحدي : (ونحن نسبحك الآن إذ أجليناهم وصرنا سكانها) ، معاني القرآن للزَّجَّاج ١/ ٧٦ .

(٤) في (ب) : (فقال) .

(٥) في (ب) : (فعلوا) .

(٦) ذكره الثعلبي في تفسيره ١/ ٦٠ ب .

(٧) في (ب) : (من) .

(٨) ورد نحوه في رواية طويلة عن ابن عباس ساقها الطبري في تفسيره ، وعلق عليها بأن الرواية أفادت أن القائل ذلك خاص من الملائكة وليس كلهم . وقد أخذ محمود شاكر من تعليق الطبري : أن الطبري لم يروه لاعتماد سنده وإنما لبيان أن الخطاب لبعض الملائكة ، وأن قولهم : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا ﴾ لم يكن عن علم بالغيب عرفوه ، بل كان ظناً ظنوه) .

انظر : تفسير الطبري ١/ ٤٥٥ ، ٤٥٨ ، تفسير أبي الليث ١/ ١٠٨ ، والدر المصون ١/ ٤٥ .

الخليفة ؛ لأنهم لما سكنوا^(١) الأرض خفت عنهم العبادة كما ذكرنا ، فخافوا أن يردوا إلى السماء فتثقل عليهم العبادة فلهذا شق عليهم خلق الخليقة^(٢) .

وقوله تعالى : ﴿ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾ . معنى التسبيح : تنزيه الله من كل سوء ، وقد يكون بمعنى الصلاة ، ويقال : سبّح الله^(٣) ، أي صلى الله^(٤) . قال الحسن : معناه : يقول سبحانه الله وبحمده^(٥) .

قال الأزهري^(٦) : أجمع المفسرون وأهل المعاني : أن معنى^(٧) تسبيح الله ، تنزيه الله وتبرئته عن السوء . قال : وأصل التسبيح^(٨) في اللغة : التباعد من قولك : سبحت في الأرض ، إذا تباعدت فيها ، ومن هذا قوله تعالى : ﴿ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ [يس : ٤٠] . فكل من أثنى على الله وبعده من السوء ، فقد سبّح له^(٩) ونزّهه .

(١) في (ب) : (اسكنوا) .

(٢) اعتمد الواحدي في هذا على ما ذكره شيخه الثعلبي في تفسيره ١ / ٦٠ ب ، وورد نحوه عند أبي الليث في تفسيره ١ / ١٠٨ . وهذا لا يتناسب مع منزلة الملائكة وما ذكره الله عنهم بقوله : ﴿ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [التحریم : ٦] . والأرجح في معنى الآية : أن الملائكة قالت ذلك على وجه الاسترشاد عما لم يعلموا ، انظر : تفسير الطبري ١ / ٢٢١ .

(٣) في (ب) : (الله) .

(٤) انظر : تفسير الطبري ١ / ٢٢١ ، ومعاني القرآن للزجاج ١ / ٧٧ ، وتفسير القرطبي ١ / ٢٣٦ ، وزاد المسير ١ / ٦١ .

(٥) ذكره الثعلبي في تفسيره ١ / ٦٠ ب .

(٦) تهذيب اللغة (سبح) ٢ / ١٦٠٩ ، ونقل كلامه بتصرف .

(٧) في (ب) : (على أن المعنى) .

وقوله : (أجمع المفسرون وأهل المعاني) . ليس في تهذيب اللغة .

(٨) (التسبيح) ساقط من (ج) .

(٩) في (ب) : (فقد سبّح الله) .

وقال بعض أهل المعاني: معنى قوله: ﴿سُبِّحْ بِحَمْدِكَ﴾ نتكلم بالحمد لك، والنطق بالحمد لله تسبيح له، كما قال: ﴿وَأَلْمَلَيْكَتُهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ [الشورى: ٥]، وقال: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ [النصر: ٣]، أي احمده، ويكون حمد الحامد لله تسبيحاً له؛ لأن معنى الحمد لله: الثناء عليه والشكر له، وهذا تنزيه له واعتراف بأنه أهل لأن ينزهه^(١)، ويعظم، ويثنى عليه^(٢). ومعنى قول القائل: (سبحان الله): براءة الله من السوء^(٣) وتنزيهه، وكثر لفظ (سبحان الله) في كلامهم، سيما عند التعجب، حتى صار كلمة للتعجب، قال الأعشى:

أَقُولُ لَمَّا^(٤) جَاءَنِي فَخْرُهُ

سُبْحَانَ مَنْ^(٥) عَلَقَمَةَ الْفَاخِرِ^(٦)

أي تعجب منه.

-
- (١) في (ج): (ينزهه).
 (٢) نحوه في تفسير الطبري ٢١١/١، وزاد المسير ٦١/١، وتفسير القرطبي ٢٣٧/١.
 (٣) انظر: الكتاب ١/٣٢٤، وتهذيب اللغة (سبح) ١٦٠٩/٢.
 (٤) في (ج): (لمن).
 (٥) (من) ساقطة من (ب).
 (٦) البيت للأعشى ضمن قصيدة يهجو بها علقمة بن علاثة العامري، ويمدح عامر بن الطفيل، لما تنازعا في الجاهلية على الرياسة في بني كلاب. وقد مات عامر مشركاً، وأسلم علقمة، ولهذا ورد أن النبي ﷺ نهى عن رواية القصيدة. يقول: أقول لما جاءني فخر علقمة على عامر: (سبحان من علقمة الفاخر)، أي أتعجب، سبحان الله منه، كذا أخرجه بعضهم، وهذا المعنى استشهد الواحدي به، وأخرجه ابن فارس بمعنى: ما أبعد، وبعضهم قال معنى (سبحان) في البيت: البراءة والتنزيه، وللراغب في مفرداته أقوال أخرى، ٢٢١، ورد البيت في الكتاب ١/٣٢٤، ومجاز القرآن ١/٣٦، والمقتضب في تفسيره ٣/٢١٨، ومقاييس اللغة (سبح) ٣/١٢٥، والزاهر ١/١٤٤، وتفسير الطبري ١/٢١١، ومعاني القرآن للزجاج ١/٧٨، ومفردات الراغب ٢٢١، والخصائص ٢/١٩٧، ٤٣٥، شرح المفصل لابن يعيش ١/٣٧، ١٢٠، الديوان ٩٣.

ونحو هذا قال الزَّجَّاج في معنى ﴿سُبْحٌ بِحَمْدِكَ﴾ . قال : نبرئك من السوء^(١) . ويأتي بقية القول في معنى (سبحان)^(٢) عند قوله : ﴿قَالُوا سُبْحَنَكَ لَا عِلْمَ لَنَا﴾ [البقرة: ٣٢] .

وقوله تعالى : ﴿وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾^(٣) . أي نطهرك ونزهدك عما لا يليق بك من النقص . و(اللام) ، فيه صلة^(٤) . و(التقديس) : التطهير ، والقدس : الطهارة ، والبيت المقدس : المطهر^(٥) . قال الزَّجَّاج : ومن هذا قيل للسَّطَل : قَدَسٌ ، لأنه يُتَقَدَّس منه ، أي يتطهر^(٦) .

قال غيره^(٧) : والقداس هو^(٨) الجمان^(٩) من فضة ؛ لأنه أبيض نقي . قال الشاعر في وصف الدموع :

كَنْظَمِ قَدَاسٍ سَلَكُهُ مَتَقَطُّ^(١٠)

(١) انظر : معاني القرآن للزَّجَّاج ٧٧ .

(٢) في (ج) : (سبحانا) .

(٣) (الواو) ساقطة من (ب) .

(٤) ذكره الثعلبي ١ / ٦١ أ ، وأجاز العكبري في (اللام) أن تكون بمعنى : لأجلك ، أو زائدة أو تكون معدية للفعل مثل الباء ، الإملاء ١ / ٢٨ .

(٥) انظر : معاني القرآن للزَّجَّاج ١ / ٧٨ ، وتهذيب اللغة (قدس) ٣ / ٢٩٠٠ ، وتفسير الثعلبي ١ / ٦١ أ .

(٦) شرح أسماء الله الحسنى للزَّجَّاج ٣٠ ، وانظر : تهذيب اللغة ٣ / ٢٩٠٠ ، واللسان (قدس) ٦ / ٣٥٤٩ .

(٧) هو الليث كما في تهذيب اللغة (قدس) ٣ / ٢٩٠٠ .

(٨) (هو) ساقط من (ب) .

(٩) في (ب) : (الجمال) . والجمان : حب يتخذ من الفضة أمثال اللؤلؤ ، وقيل : خرز يبييض بهاء الفضة .

اللسان (جم) ٢ / ٦٨٩ .

(١٠) صدره كما في اللسان :

تَحَدَّرَ دَمْعُ الْعَيْنِ مِنْهَا فَخَلَّتْهُ

يصف تحدر دمة العين بنظم القداس إذا انقطع سلكه ، والبيت غير منسوب ، ذكره الأزهري في

التهذيب (قدس) ٣ / ٢٩٠٠ ، والجوهري في الصحاح (قدس) ٣ / ٩٦١ ، وابن فارس في مجمل اللغة

(قدس) ١ / ٧٤٥ ، ومقاييس اللغة (قدس) ٥ / ٦٤ ، وورد في اللسان (قدس) ٦ / ٣٥٥٠ .

قال أبو علي الفارسي : معنى نقّس لك : ننزهك عن السوء ، فلا^(١) ننسبه إليك ، و(اللام) فيه على حدها في قوله : ﴿رَدِفَ لَكُمْ﴾ [النمل : ٧٢] ؛ لأن المعنى تنزيهه ، وليس المعنى أن ينزّه شيء من أجله . فأما قولهم : (بيت المقدس) وقول الراجز :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْقَادِسِ^(٢)

يدل على أن الفعل قد استعمل من التقديس بحذف الزيادة ، فإذا كان كذلك ، لم يخل (المقدس) من أن يكون مصدراً أو مكاناً ، فإن كان مصدراً كان كقوله : ﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ﴾^(٣) ونحوه من المصادر ، والتي^(٤) جاءت على هذا المثال .

وإن كان مكاناً ، فالمعنى : بيت المكان الذي جعل فيه الطهارة أو بيت مكان الطهارة ، وتطهيره على إخلائه من الأصنام وإبعاده منها ، كما جاء ﴿أَنْ طَهَّرَا بَيْتِي﴾^(٥) [البقرة : ١٢٥] . انتهى كلامه^(٦) .

فعلى قول أبي علي (اللام) في (لك) صلة^(٧) . وقال أبو إسحاق : معنى (نقدس لك) ، أي نظهر أنفسنا لك . قال : ومن هذا : البيت المقدس ، أي البيت

(١) في (ب) : (ولا) .

(٢) ورد في الحجة لأبي علي من دون نسبة . الحجة ١٥٢/٢ ، ولم أجده في غيرها .

(٣) سورة الأنعام : [٦٠] ، ويونس : [٤] . وفي الحجة : كقوله : ﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ﴾ ، الحجة ١٥٢/٢ ،

وهي جزء من آية في سورة آل عمران : [٥٥] ، والعنكبوت : [٨] ، ولقمان : [١٥] .

(٤) (والتي) كذا وردت في النسخ جميعها ، والأولى حذف الواو كما في الحجة ١٥٢/٢ .

(٥) في الآية تصحيف في (ب) : (طهر) من دون (ألف) ، وفي (ج) : (طهري) .

(٦) أي كلام أبي علي ، نقله بتصريف ، انظر : الحجة ١٥١/٢ ، ١٥٢ .

(٧) وهو قول الثعلبي كما مر قريباً ، وذكر العكبري فيها أقوالاً أخرى ، انظر : الإملاء ٧٠٦ ، وتعليق رقم

المطهر ، وبيت المقدس أي بيت المكان الذي يتطهر فيه من الذنوب^(١) . فعلى هذا (اللام) لام أجل^(٢) ، أي نظهر لأجلك قلوبنا من الشرك ، وأبداننا من المعصية . وقوله تعالى : ﴿ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ . قال ابن عباس : يعني من إضمار إبليس العزم على المعصية ، وما اطلع عليه من كبره^(٣) . وقال ابن مسعود : ﴿ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ مما يؤول إليه أمر إبليس^(٤) . وقال قتادة^(٥) : ﴿ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ أنه يكون في أولاد آدم من هو من أهل الطاعة .

وقال الزَّجَّاج : معناه : أبتلي من تظنون أنه مطيع ، فيؤديه الابتلاء إلى المعصية ، ومن تظنون أنه عاص ، فيؤديه إلى الطاعة^(٦) . وقيل : ﴿ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ من تفضيل آدم عليكم ، وما أتبعكم به من السجود له ، وأفضله به عليكم من تعليمي الأسماء ، وذلك أنهم قالوا في ما بينهم : ليخلق ربنا ما يشاء ، فلن يخلق خلقاً أفضل ولا أكرم عليه منا^(٧) .

(١) انظر : كلام الزَّجَّاج في معاني القرآن ١/ ٧٨ ، وليس فيه قوله : (البيت المقدس) أي (البيت المطهر) .

(٢) وبه أخذ العكبري ، انظر : ٧٠٦ ، وتعليق ٥ ، وانظر : الإملاء ، وتفسير الطبري ١/ ٢١١ ، وابن عطية في تفسيره ١/ ٢٣١ .

(٣) أخرجه الطبري بسنده من طريق الضحاك ، تفسير الطبري ١/ ٢١٢ ، وانظر : تفسير ابن عطية ١/ ٢٣٢ ، والدر ١/ ٩٥ ، وزاد المسير ١/ ٦١ .

(٤) أخرجه الطبري من طريق السدي عن مرة عن ابن مسعود ، وعن أبي صالح عن ابن عباس ، ١/ ٢١٢ ، وأخرج ابن أبي حاتم نحوه ، ١/ ٧٩ ، وانظر : تفسير ابن عطية ١/ ٢٣٢ .

(٥) أخرجه الطبري بسنده عن سعيد عن قتادة ، تفسير الطبري ١/ ٢١٣ ، وأخرجه ابن أبي حاتم ، ١/ ٧٩ ، ٨٠ ، قال المحقق : ضعيف ، ولكن أخرجه الطبري من طريق آخر ١/ ٢٨٤ ، وذكره ابن كثير في تفسيره ١/ ٧٤ ، وانظر : ابن عطية ١/ ٢٣٣ ، والدر ١/ ٩٦ ، وزاد المسير ١/ ٦٢ .

(٦) ذكر كلام الزَّجَّاج بمعناه . انظر : معاني القرآن ١/ ٧٧ ، وذكره ابن الجوزي في زاد المسير ١/ ٦٢ .

(٧) لم أجد هذا القول في ما اطلعت عليه من كتب التفسير ، والله أعلم .

وفتح أبو عمرو وابن كثير (الياء) في قوله : ﴿إِنِّي أَعْلَمُ﴾ [البقرة: ٣٠] ، ﴿إِنِّي أَرَى﴾^(١) عند الهمزة المفتوحة . وزاد أبو عمرو عند الهمزة المكسورة ، مثل : ﴿إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾^(٢) .

وزاد نافع عند المضمومة ، مثل : ﴿عَذَابِي أُصِيبُ﴾ [الأعراف: ١٥٦] ، ﴿فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ﴾ [المائدة: ١١٥] ، ﴿إِنِّي أُرِيدُ﴾^(٣) .

وحجتهم في ذلك^(٤) أن هذه (الياء) أصلها الحركة ؛ لأنها بإزاء الكاف للمخاطب ، فكما فتحت الكاف ، كذلك تفتح (الياء) . فإن قيل : إن الحركة في حروف اللين مكروهة . قيل : الفتحة من بينها^(٥) لا تكره ، وإن كرهت الضمة والكسرة ، ألا ترى أن (القاضي) ونحوه يحرك بالفتح^(٦) ، كما يحرك^(٧) سائر

(١) سورة الأنفال: [٤٨] ، وسورة يوسف: [٤٣] ، وسورة الصافات: [١٠٢] .

(٢) سورة يونس: [٧٢] ، سورة هود: [٢٩] ، وسورة سبأ: [٤٧] .

(٣) (إني) ساقط من (ب) . سورة المائدة: [٢٩] ، والقصص: [٢٧] . اختلف القراء في حكم (ياء المتكلم) ، فقرأ بعضهم بفتحها ، وبعضهم بتسكينها ، ولهم أصول في ذلك ، ولكنها لا تطرد في كل موضع ، لهذا نجد من ذكر أصولهم في (ياء المتكلم) يقول : ونذكر ما شذ عن هذا في موضعه . فعند أبي عمرو : كل ياء مكسور ما قبلها ، إذا كان بعدها همزة مفتوحة أو مكسورة يفتحها ، أما ابن كثير فيوافقه في بعضها ، ويخالفه في بعضها فيسكنها ، أما نافع فإنه يفتح هذه الياء إذا كان بعدها همزة مفتوحة أو مكسورة أو مضمومة ، وقد اختلف في بعض هذه الحروف عنه ، أما بقية (السبعة) : وهم حمزة ، والكسائي ، وعاصم ، وابن عامر ، فأصلهم فيها الإسكان ، وروى عنهم مواضع بالفتح . والياء في قوله تعالى : ﴿قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ﴾ قرأ بفتحها في الوصل أبو عمرو وابن كثير ونافع من السبعة .

انظر : السبعة لابن مجاهد ١٥٢ ، والحجة لأبي علي ١ / ٤١١ ، والكشف لمكي ١ / ٣٢٤ ، وتحرير التيسير ٧٩ ، والبدور الزاهرة ٢٨ .

(٤) أي حجة من قرأ بالفتح ، والكلام منقول من الحجة بتصرف ١ / ٤١٤ .

(٥) بينها) ساقطة من (ج) .

(٦) أي إن الاسم الذي آخره (ياء) مكسور ما قبلها لا يدخله جر ولا رفع لثقل ذلك ، يدخله الفتح ؛ ولذلك بني على الفتح ، انظر : المقتضب ٤ / ٢٤٨ .

(٧) في (ج) : (تحرك) .

الحروف التي لا لين لها^(١)؟ ألا ترى أن (غواشي)^(٢) تجري في النصب مجرى مساجد ونحوه^(٣) من الصحيح؟

وقد اتفقوا أيضاً على تحريكها بالفتح إذا سكن ما قبلها، نحو بشراي^(٤) وغلامي وقاضي، ورأيت غلامي^(٥)، فاجتماعهم على تحريكها بالفتح^(٦) في هذا النحو يدل على أن ذلك أصلها إذا تحرك ما قبلها^(٧).

وأما^(٨) من أسكن هذه (الياءات) فحجته أن الفتحة مع (الياء) قد كرهت في^(٩) الكلام، كما كرهت الحركتان^(١٠) الأخريان فيها، ألا ترى أنهم قد أسكنوها في الكلام في حال السعة إذا لزم تحريكها بالفتحة، كما أسكنوها إذا لزم تحريكها

(١) في (ج): (فيها) وهذا موافق لما في الحجة ١/ ٤١٤.

(٢) كذا في النسخ جميعها، وفي الحجة: (... أن الياء في (غواش)...)، ١/ ٤١٤، وقال تعالى: ﴿لَهُمْ مِّنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾ [الأعراف: ٤١].

(٣) في (ج): (ونحوها). والمراد أن (الياء) تثبت في (غواش) في حالة النصب، انظر: الحجة ١/ ٤١٤.

(٤) في (ب): (براي).

(٥) الياء في (قاضي) ورأيت غلامي (مشددة)، والأولى منها ساكنة فتفتح (الياء) الثانية، انظر: الكتاب ٣/ ٤١٤، ٤/ ١٨٧.

(٦) في (ب): (نحو في هذا النحو).

(٧) انتهى من بيان حجة من قرأ بفتح الياء في قوله: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ﴾، والكلام من الحجة بتصرف ١/ ٤١٤. وانظر: الحجة لابن خالويه ٧٤، والكشف لمكي ١/ ٣٢٤، والبيان لابن الأنباري ١/ ٧٢٠.

(٨) في (ب): (وإنما من).

(٩) في (ب): (بالكلام).

(١٠) في (ب): (الحركات). والحركات هما: الضمة والكسرة.

بالحركتين الآخرين^(١)، وذلك قولهم: (قالي قلا)^(٢)، و(بادي بدا)^(٣)، و(معد يكرب)^(٤) و(حيري^(٥) دهر)^(٦).

و(الياء) في هذه المواضع في موضع الفتحة التي في آخر أول الاسمين، نحو: (حضر موت) و(بعلبك). وقد أسكنت كما أسكنت في الجر^(٧) والرفع^(٨).

ومما يؤكد الإسكان فيها أنها مشابهة^(٩) للألف، والألف تسكن^(١٠) في الأحوال الثلاث^(١١)، كذلك (الياء) تسكن. والدليل على شبه (الياء) الألف

-
- (١) في (أ) و(ج): (الآخرين)، وأثبت ما في (ب)؛ لأنه أصح وموافق لما في الحجة ١/ ٤١٥.
 - (٢) (قالي قلا) اسم مدينة بأرمينية، سميت باسم امرأة ملكتهم وبنت تلك المدينة، وإليها ينسب بعض العلماء كالقالي، انظر: معجم البلدان ٤/ ٢٩٩.
 - (٣) قال الجوهري: أفعل ذاك بادئ بدء، وبادي بدئي، أي أولاً، وأصله الهمزة، وإنما ترك لكثرة الاستعمال... وهما اسمان جعلاً اسماً واحداً مثل: معد يكرب، وقالي قلا. الصحاح (بدا) ٦/ ٢٢٧٩، وانظر: اللسان (بدا) ١/ ٢٣٤.
 - (٤) في (أ) و(ج): (معد ي).
(٥) في (ب): (حري).
 - (٦) ومنه قول العرب: (لا أفعل ذلك حيري دهر). أي أبداً، انظر: الكتاب ٣/ ٣٠٧.
 - (٧) في (ب): (الخبر).
 - (٨) يقول: إن الأسماء المركبة مثل (قالي قلا) مما آخر الاسم الأول (ياء) فالياء تسكن؛ لأنها في وسط الاسم، ولأنها لو كانت معربة بالجر أو الرفع سكنت، كما تقول: (مررت بالقاضي). وكان ينبغي في هذه الياء أن تفتح، كما فتح آخر الاسم الأول من المركب نحو (حضر موت) والذي جعل الاسمان فيه كاسم واحد؛ لأن الحركة تستقل عليه، والفتح أخف الحركات، ولما ثقلت الفتحة على الياء لم يبق بعد الفتح إلا السكون، انظر: الكتاب ٣/ ٣٠٤، ٣٠٥، المقتضب ٤/ ٢١، والبيان ١/ ٧٢.
 - (٩) في (ب): (متشابهه).
 - (١٠) في (أ): (سكن)، وفي (ب): (يسكن)، وما في (ج) أصح في السياق وموافق لما في الحجة ١/ ٤١٦.
 - (١١) في (ب): (السبت).

قربها منها في المخرج ، وإبداهم إياها منها في نحو (طائي) و(حاري) في النسب^(١) إلى (طيء)^(٢) و(الحيرة) وقوله :

لَنَضْرِبَنَّ بِسَيْفِنَا قَفَيْكََا^(٣)

كثر إسكان (الياء) في^(٤) موضع النصب في الشعر لهذه المشابهة^(٥) ، حتى ذهب بعضهم إلى استجازته في الكلام^(٦) .

فأما حجة أبي عمرو حيث لم يفتح عند المضمومة ، وفتح عند المفتوحة والمكسورة^(٧) فهي : أن الهمزة قد فتحت لها^(٨) ما لم يكن يفتح لو لم تجاور الهمزة ، ألا ترى أنهم فتحوا نحو : (يقراً ويبرأ) ، ولولا الهمزة لم يفتح شيء من ذلك . فإذا

(١) في (ب) : (النسبة) .

(٢) قال سيبويه : «ولا أراهم قالوا : طائي إلا فراراً من (طيئي) ، وكان القياس (طيئي) ، ولكنهم جعلوا الألف مكان الياء» ، الكتاب ٣ / ٣٧١ .

(٣) البيت لأعرابي ، ونسبه أبو زيد إلى الراجز من حمير ، يخاطب به عبدالله بن الزبير رضي الله عنه ، وقبله :
يَا بْنَ الزُّبَيْرِ طَالَمَا عَصَيْكََا وَطَالَمَا عَنَيْتَنَا إِلَيْكََا
لَنَضْرِبَنَّ بِسَيْفِنَا قَفَيْكََا

والشاهد (قفيكا) . فقد أبدل الألف ياء مع الإضافة للضمير ، والأصل قفاكا ، وبعضهم يجعله من ضرورة الشعر . وردت الأبيات في النوادر ٣٤٧ ، والحجة ١ / ٤١٦ ، والمسائل العسكرية لأبي علي ١٥٨ ، وأمالى الزجاجي ٢٣٦ ، والمحكم ٦ / ٣٥٤ ، وسر صناعة الإعراب ١ / ٢٨٠ ، والخزانة ٤٢٨ / ٤ .

(٤) (في) ساقطة من (ب) .

(٥) أي مشابهة الياء للألف .

(٦) انتهى ما نقله المؤلف عن الحجة لأبي علي ١ / ٤١٥ ، ٤١٧ ، في حجة من أسكن الياء في قوله : ﴿ قَالَ إِنْ أَعْلَمُ ﴾ . وانظر : الحجة لابن خالويه ٧٤ .

(٧) مر بنا أن أبا عمرو يفتح (الياء) إذا وقع بعدها همزة مفتوحة أو مكسورة ، ويسكنها إذا وقع بعدها همزة مضمومة .

(٨) في (ب) : (قد فتحت لما لم تكن تفتح) ، وفي الحجة : (فتح لها ما لم يكن يفتح . . .) ، ١ / ٤١٧ ، وهو الصواب .

فتحت لها ما لم^(١) يفتح إذا لم تجاور^(٢) الهمزة ، فأُن يفتح لها ما قد يفتح مع غيرها أخرى .

والمفتوحة والمكسورة^(٣) سيَّان^(٤) في إتياع (الياء) لها في التحريك بالفتح ، ألا ترى أنهم قد غيروا للهمزة^(٥) المكسورة الحرف^(٦) الذي قبلها ، فقالوا : (الضَّيْن)^(٧) في جمع [الضَّائِن]^(٨) ، و(صَأى صَيَّاً)^(٩) ، ولم يفعلوا ذلك في (رؤوف) ، وكذلك لم تفتح (الياء) قبل الهمزة المضمومة^(١٠) ، كما فتحت قبل المفتوحة والمكسورة^(١١) .

فإن قيل : إن ما ذكرته من التغيير للهمزة المفتوحة والمكسورة إنما جاز في المتصل نحو (يقرأ) و(يرأ) و(الضَّيْن) و(الضَّيْ)^(١٢) ، وما فعله أبو عمرو من فتح (الياء) مع المفتوحة والمكسورة منفصل .

-
- (١) في (ب) : (ما لا يفتح) ، ومثله في الحجة ١/ ٤١٧ .
 - (٢) في (ب) : (يجاوز) ، وفي الحجة ، (يجاور) ١/ ٤١٧ .
 - (٣) في (ب) : (من المكسورة) .
 - (٤) في (أ) : (شيان) ، وفي (ب) : (سان) ، وأثبت ما في (ج) ؛ لأنه أصوب وموافق لما في الحجة ١/ ٤١٧ .
 - (٥) في (ب) : (الهمزة) .
 - (٦) في (ب) : (للحرف) .
 - (٧) في (أ) و(ب) : (الصيْن) ، وأثبت ما في (ج) ؛ لأنه هو الصواب وموافق لما في الحجة ١/ ٤١٧ .
 - (٨) في النسخ جميعها (الضَّان) ، وفي الحجة : (الضَّائِن) ، قال في الصحاح : (الضَّائِن) خلاف الماعز ، والجمع (الضَّائِن) وقد يجمع على (ضَّيْن) ، الصحاح (ضَّائِن) ٦/ ٢١٥٣ .
 - (٩) في (أ) : (صَأى صَيَّاً) ، وفي (ب) : (صاوصا) ، وفي (ج) : (صاوصيا) ، وفي الحجة : (صَأى صَيَّاً) . الحجة ١/ ٤١٧ . و(الضَّيْ) مثلثة : صوت الفرخ ، والفيل والخنزير والفأر كلها تصأى صَيَّاً ، انظر : تهذيب اللغة (صأ) ٢/ ١٩٥٥ ، والقاموس (صأى) ١٣٠١ .
 - (١٠) كما في قوله تعالى : ﴿عَذَابِي أَصِيبُ يَوْمَ مَنَ أَشَاءُ﴾ [الأعراف: ١٥٦] .
 - (١١) (الواو) ساقطة من (ب) .
 - (١٢) (الضَّيْ) كذا وردت في (أ) ، (ج) ، وكذا في الحجة ١/ ٤١٨ ، وفي (ب) : (الضَّيْ) ، ولم أعرف المراد به ، والمعروف (ضأى) : دق جسمه . انظر : تهذيب اللغة (ضأى) ٣/ ٢٠٨٣ ، واللسان (ضأى) ٤/ ٢٥٤٢ ، والقاموس ٤/ ١٣٠٤ . ولعل المراد (الضَّيْ) كما سبق أن مثل بها مع (الضَّيْن) .

قليل : شبه^(١) المنفصل بالمتصل . وقد ذكرنا أشياء من هذا في الحجة لمن خفف : (وهو وهو)^(٢) . ومن قال : إنه فتح (الياء) مع الهمزة ، لتبين^(٣) (الياء) معها لأنها خفية ، كما بينوا (النون) مع حرف الحلق ، وأخفوها مع غيرها ، فإن هذه العلة لا تستقيم^(٤) ؛ لأنه^(٥) يلزمه تحريك (الياء) مع الهمزة المضمومة ؛ لأن [النون تُبَيِّنُ مع الهمزة المضمومة كما تُبَيِّنُ مع المفتوحة والمكسورة ، وأيضاً فإن]^(٦) النون تُبَيِّنُ^(٧) مع سائر حروف الحلق [ولسنا نعلم أبا عمرو يفتح (الياء) مع سائر حروف الحلق]^(٨) .

فإن قلت : فإن الهمزة قد تفتح^(٩) لها ما قبلها وإن كانت مضمومة ، نحو : (يقرأ) في موضع الرفع ، فهلا فتح (الياء) في ﴿عَذَابِي أَصِيبُ﴾ [الأعراف : ١٥٦] .

-
- (١) في (أ) و(ج) : (نشبهه) ، وفي الحجة (يشبهه) ٤١٨/١ ، وأثبت ما في (ب) ؛ لأنه أولى بالسياق .
- (٢) في (أ) و(ج) : (وهو وهو) ، وأثبت ما في (ب) . وعبارة أبي علي في الحجة : قد ذكرنا منها أشياء في هذا الكتاب ٤١٨/١ ، وقد سبق هذا في ٣٠٦/٢ ، ٣٠٩ .
- (٣) في (أ) و(ج) : (لتبين) ، وما في (ب) أولى ، وموافق لما في الحجة ٤١٨/١ .
- (٤) في (أ) : (يستقيم) . وعبارة أبي علي في (الحجة) : «فإننا لا نرى أن أبا عمرو اعتبر أخذ بهذا الذي سلكه هذا القائل ، ولو كان كذلك لحرك (الياء) . . . إلخ» ، ٤١٨/١ .
- (٥) في (ب) : (لا يلزمه) .
- (٦) ما بين المعقوفين ساقط من (ب) .
- (٧) في (أ) و(ج) : (يتبين) ، وما في (ب) موافق للحجة .
- (٨) ما بين المعقوفين ساقط من (ب) . وبهذا ينتهي الجزء الأول من الحجة ، وقوله : (فإن قلت . . .) أول الجزء الثاني .
- (٩) في (ب) : (يفتح) .

قلنا : الضمة إذا كانت للإعراب^(١) لم تكن في حكم الضمة عندهم ، ألا ترى أنهم قد^(٢) قالوا : نَمَرٌ وَكَتَفٌ ، ونحو ذلك في الرفع ، ورفضوا الضمة مع الكسرة في كلامهم^(٣) فلم يجئ فيه (فُعِلَ)^(٤) .

٣١ . وقوله تعالى : ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾ الآية . قال ابن عباس والحسن وقتادة : لما قال الله - عز وجل - للملائكة : ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ قالوا في ما بينهم : ليخلق ربنا ما شاء ، فلن يخلق خلقاً أفضل ولا أكرم عليه منا ، وإن كان خيراً منا فنحن أعلم منه ؛ لأننا خلقنا قبله ورأينا ما لم يره ، فلما أعجبوا بعلمهم ، فضّل الله - عز وجل - آدم عليهم بالعلم ، فعلمه الأسماء كلها^(٥) . ووجه تعليمه آدم : أن خلق في قلبه علماً بالأسماء على سبيل الابتداء ، وألهمه^(٦) العلم بها^(٧) .

- (١) في (أ) و(ج) : (الإعراب) ، وما في (ب) هو الصحيح وموافق لما في الحجة ٥ / ٢ .
- (٢) (ق) ساقطة من (ب) .
- (٣) إذا لم تكن الضمة للإعراب ، أما الضمة في (نمر وكتف) فهي للإعراب ، فلم يمنعوا مجيء الكسرة قبلها .
- (٤) هذا آخر ما نقله الواحدي عن كتاب الحجة لأبي علي الفارسي في حجة أبي عمرو في فتح (ياء المتكلم) إذا لقيت همزة مفتوحة أو مكسورة ، وتسكينها إذا لقيت همزة مضمومة ، انظر : الحجة ١ / ١٧ ، ٥ / ٢ .
- (٥) ذكره الثعلبي ، وقال : وهذا معنى قول ابن عباس والحسن وقتادة ، تفسير الثعلبي ١ / ٦١ ب ، وأخرج الطبري في تفسيره نحوه عن قتادة والحسن ، ١ / ٢٠٦ ، وأخرج ابن أبي حاتم في تفسيره عن قتادة والحسن نحوه ، ١ / ٧٧ . وانظر : ابن كثير في تفسيره ١ / ٧٦ ، والد ١ / ١٠١ .
- (٦) في (ب) : (بالقاء) .
- (٧) التعبير بـ (خلق) يوحي بما يذهب إليه الأشاعرة من القول بأولية الصفات ، ونفي ما يتعلق منها بمشيئة الله ، ونفي أن الله متصف بالصفات الفعلية فيتكلم إذا شاء متى شاء ، ويعلم عباده متى شاء . والله سبحانه أخبر أنه علم آدم الأسماء ، فما المخول لتأويل ذلك بالخلق أو بالإلهام ؟ قال ابن عطية : تعليم آدم عند قوم إلهام علمه ضرورة . وقال قوم : تعليم بقول ، إما بواسطة ملك ، أو بتكليم قبل هبوطه . . . تفسير ابن عطية ١ / ٢٣٣ . قال أبو حيان بعد أن ذكر الأقوال في هذا : « أظهرها أن الباري تعالى هو المعلم لا بواسطة ولا إلهام » . البحر ١ / ١٤٥ . وهذا هو الموافق لنص الآية .

وأما (آدم) ، فقال ابن عباس : إنما سمي آدم لأنه خلق من أديم الأرض ^(١) ، ومثل هذا قال أهل اللغة في ما حكى الزَّجَّاج عنهم ، قال : يقول أهل اللغة في آدم : إن اشتقاقه من أديم الأرض ، لأنه خلق من تراب ، وأديم الأرض : وجهها ^(٢) . [قال الليث : أديم كل شيء ظاهر جلده ، وأدمة الأرض وجهها] ^(٣) . والأدمة لون مشبه بلون التراب ^(٤) .

أبو عبيد عن الفرَّاء قال : الأدمة في الناس شُرْبَة من سواد ، وفي الإبل والظباء بياض ، يقال : ظبية ^(٥) أدماء ، ولم أسمع ^(٦) أحداً يقول للذكر من الظباء : آدم ، ولو قيل ، كان قياساً ^(٧) . وقال ذو الرمة :

مِنَ الْمُؤَلَّفَاتِ الرَّمْلِ أَدْمَاءُ حُرَّةٌ

شُعَاعُ الصُّحَى فِي مَتْنِهَا يَتَوَضَّحُ ^(٨)

(١) أخرجه الطبري في تفسيره ، قال شاعر : إنسانه صحيح و(ط . شاعر) ١ / ٤٨٠ ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره بسند صحيح ، كذا قال المحقق ، ١ / ٢٩٧ ، وذكره السيوطي في الدر ، وعزاه إلى الفرَّابي ، وابن سعد ، وابن جرير ، وابن حاتم ، والحاكم ، والبيهقي في الأسماء والصفات ، انظر : الدر ١ / ١٠٠ .

(٢) معاني القرآن للزَّجَّاج ١ / ٨٠ ، وانظر : تهذيب اللغة (أدم) ١ / ١٣٤ .

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (ب) .

(٤) ونحوه قال الزَّجَّاج ، انظر : تهذيب اللغة (أدم) ١ / ١٣٤ ، وانظر : معاني القرآن للزَّجَّاج ١ / ٨٠ .

(٥) في (ب) : (صبية) .

(٦) في (ب) : (يسمع) .

(٧) الكلام في تهذيب اللغة منسوب إلى ليث ، وكلام أبي عبيد عن الفرَّاء قال : الأدمة : الوسيلة إلى الشيء ، يقال : فلان أدمتي إليك ، أي وسيلتي . التهذيب (أدم) ١ / ١٣٤ .

(٨) الْمُؤَلَّفَاتُ : التي اتخذت الرمال ألفاً ، يتوضح : يبرق ، والبيت في وصف الظباء . ورد في الكامل ٢ / ٣٠٣ ، وتهذيب اللغة (أدم) ١ / ١٣٤ ، ومقاييس اللغة (ألف) ١ / ١٣١ ، واللسان (أدم) ١ / ٤٦ ، ودويان ذي الرمة ٢ / ١١٩٧ .

وقال الأعشى في الناقة :

فَقُلْتُ لَهُ هَذِهِ هَاتِهَا

بِأَدْمَاءٍ فِي حَبْلِ مُقْتَادِهَا^(١)

وقال النضر بن شميل : سمي آدم ، لأنه كان أبيض اللون^(٢) .

واختلف في هذه الأسماء التي علمها الله آدم ، فقال ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك : علمه اسم كل شيء حتى القصعة والمغرفة^(٣) . وظاهر اللفظ يدل على هذا ، وعلى أنه علمه جميع اللغات ؛ لأنه قال : الأسماء كلها في ما وقع عليه الاسم بأي لغة كان داخل تحت هذا الإطلاق^(٤) .

(١) قاله يخاطب حَمَارًا ، يقول : هات الخمر بناقة برمتها ، والأدماء : الناقة صادقة البياض سوداء الأشفار . ورد البيت في التهذيب (رم) ١٤٧٤ / ٢ ، ومقاييس اللغة (رم) ٣٧٩ / ٢ ، واللسان (رم) ١٧٣٦ / ٣ ، وديوان الأعشى ٥٨ ، وفيه : (فقلنا) بدل (فقلت) .

(٢) انظر : تفسير الثعلبي ١ / ٦٣ ، وتفسير القرطبي ١ / ٢٤٠ ، وزاد المسير ١ / ٦٢ . والراجح : أن آدم مشتق من (أديم الأرض) كما هو قول ابن عباس ، وقول أئمة اللغة كما سبق . انظر : الطبري ١ / ٢١٤ ، ومعاني القرآن للزجاج ١ / ٨٠ ، وتهذيب اللغة ١ / ١٣٤ ، والقرطبي في تفسيره ١ / ٢٤٠ . انظر : أقواهم في تفسير الطبري ١ / ٢١٥ ، ٢١٧ ، وابن أبي حاتم في تفسيره ١ / ٨٠ ، والثعلبي ١ / ٦٢ ، وابن عطية في تفسيره ١ / ٢٣٤ ، وتفسير ابن كثير ١ / ٧٨ .

(٤) وهذا ما رجحه ابن كثير ، إذ قال : «والصحيح أنه علمه أسماء الأشياء كلها ذواتها وصفاتها وأفعالها كما قال ابن عباس : حتى الفسوة والفسية ، يعني أسماء الذوات والأفعال الكبير والمصغر . . . » . واستدل ابن كثير على هذا بالحديث الذي أخرجه البخاري وفيه : «فيأتون آدم فيقولون له : أنت أبو الناس ، خلقتك الله بيده ، وأسجد لك ملائكته ، وعلمك كل شيء . . . » تفسير ابن كثير ١ / ٧٨ . أما ابن جرير الطبري فرجح أن المراد : أسماء ذريته وأسماء الملائكة من دون أسماء سائر أجناس الخلق ، واستدل على هذا بقوله تعالى : ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ﴾ وبأن العرب لا تكاد تكني بالهاء والميم إلا عن أسماء بني آدم والملائكة ، أما إذا كنت عن أسماء البهائم وسائر الخلق سوى من ذكر فإنها تكني عنها بالهاء والألف ، أو بالهاء والنون ، فتقول : (عرضهن) أو (عرضها) ، انظر : تفسير الطبري ١ / ٢١٦ . وقد رد ابن كثير هذا الاحتجاج ، وقال : ليس بلازم ، فإنه لا ينفي أن يدخل معهم غيرهم ، ويعبر عن الجميع بصيغة من يعقل للتغليب . ابن كثير في تفسيره ١ / ٧٨ ، وانظر : تفسير أبي الليث ١ / ١٠٨ ، ١٠٩ ، البيان ١ / ٧٢ ، والقرطبي في تفسيره ١ / ٢٤١ ، ٢٤٢ .

على أنه قد قال جماعة من أهل التأويل : إن الله تعالى علم آدم جميع اللغات ، ثم إن أولاده تكلم كل واحد منهم بلغة [أخرى ، فلما تفرقوا في البلاد اختص كل فرقة منهم بلغة] ^(١) ، فاللغات كلها إنما سمعت من آدم وأخذت عنه ^(٢) .

وقال الزَّجَّاجي في قوله : ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾ : الأسماء ^(٣) على كثرتها عشرة أقسام ^(٤) ، فمنها : أسماء الأشخاص التي نسميها الأعيان ، نحو : الشجر والجبل والأرض والمدر .

ومنها : أسماء المعاني ، وهي ^(٥) أسماء الحوادث ، ويسمونها ^(٦) النحويون المصادر ؛ لأن الأفعال تصدر عنها ، وذلك نحو : الضرب والقتل .

ومنها : أسماء الألقاب ، نحو : زيد وعمرو ، في مَنْ يعقل وفي ما لا يعقل ، نحو : يحموم وسكاب وداحس ^(٧) ، أسماء أفراس الأعراب ، أجريت عليها لقباً

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ب) . حول هذا المعنى انظر : تفسير ابن عطية ١ / ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، والبغوي

في تفسيره ١ / ٨٠ ، والقرطبي في تفسيره ١ / ٢٤٢ ، ٢٤٣ ، البحر ١ / ١٤٥ .

(٢) هذا على قول من يرى أن أصل اللغة وحي لا اصطلاح ، وقد أطال ابن جني في كتاب الخصائص

بحث هذه المسألة ، ورجح أنها (وحي) ، الخصائص ١ / ٤٠ ، ٤٧ .

(٣) (الأسماء) ساقط من (ب) .

(٤) لم أجد هذا الكلام بهذا النص في ما اطلعت عليه من كتب الزَّجَّاجي ، وهذا التقسيم اجتهادي ،

وللزَّجَّاجي تقسيم للأسماء غير هذا ، قال في كتاب اشتقاق أسماء الله : « . . . فالأسماء تنقسم أولاً

قسمين : معرفة ونكرة . . . هذا أول انقسام الأسماء ، ثم تنوع بعد ذلك فتصير ستين نوعاً . . . » ،

ثم دخل في تفصيل هذه التقسيمات ، وقال في موضع آخر : « . . . وقد ذكرنا أنواع الأسماء الستين في

شرح كتاب الجمل مفسرة . . . » . قال المحقق : « لم يرد كتاب شرح الجمل ضمن كتب الزَّجَّاجي

المعروفة ، ولعل المراد به الجمل الكبرى » . انظر : شرح أسماء الله ٢٦٧ ، ٢٧٤ . وذكر الثعلبي في

تفسيره أن أقسام الاسم ثمانية ثم ذكرها ، تفسير الثعلبي ١ / ٦٣ .

(٥) في (ب) : (وهو) .

(٦) في (أ) و (ج) : (وتسميتها) .

(٧) في (ب) : (وداحسن) .

لا لمعنى ، وهذا القسم ^(١) غير الأول الذي هو من أسماء الأشخاص ؛ لأن أسماء الأشخاص لا تخلو من أن تكون جارية على مسمياتها لمعنى ، لولا ذلك ما أجريت عليها ، وزيد لم يسم زيدا لمعنى فيه ^(٢) ، لأنه كان يجوز أن يسمى ^(٣) بكراً وخالداً .

ومنها : أسماء الأزمنة ، كالיום والليلة ، والساعة وغد ، وأمس . ومنها : أسماء الأمكنة ، وهي الجهات الست ، نحو : قدام وخلف وفوق وتحت ويمنة ويسرة . ومنها : أسماء الفاعلين نحو : الضارب والقاتل والآكل والشارب . ومنها : أسماء المفعولين نحو : المضروب والمقتول .

ومنها : أسماء الحليّ والشّيات نحو : الأحمر والأصفر والأعرج والأحذب وما يجري مجراها . ومنها : أسماء المكاني ^(٤) والمضمرات ، نحو : أنا ونحن ^(٥) ، وأنت ، وهو وهي وهم ^(٦) وهن ، وهذا وذاك وأولئك وهؤلاء .

والقسم العاشر خاص للعرب ، وهو أسماء الأفعال نحو قولهم : (صه) هو اسم موضوع لقولك ^(٧) : (اسكت) ، و(هيهات) لقولك ^(٨) : (ما أبعد) ، و(مهلاً) موضوع لقولك : (أمهل) وهذا الجنس قليل .

(١) في (ب) : (الأسمـر) .

(٢) (فيه) ساقط من (ب) .

(٣) (أن يسمى) ساقط من (ب) .

(٤) في (ب) : (العاني) .

(٥) (نحن) ساقطة من (ب) .

(٦) (هم) ساقطة من (ب) .

(٧) في (ب) : (كقولك سلت) .

(٨) في (ب) : (موضوع كقولك) .

وكل هذه الأسماء ، [قصد واضع اللغة فيها إلى أن يجريها على مسمياتها لمعان يتضمنها ، إلا^(١) أسماء]^(٢) الألقاب نحو : زيد وعمرو ، فإن قولنا : (زيد) – وإن كان مأخوذاً من الزيادة – فليس بحاوٍ على مسماه لهذا المعنى ، وليس فيه إلا تعريف شخص من شخص .

ولما صدقت العناية ببعض الأسماء من دون بعض ، أدرك معاني بعضها وموضوعه وحقيقته ومجازه وأصله وفرعه ، وما لم يصدق^(٣) العناية به أو قل التصرف فيه صار كالجامد الذي لا يُعرف له أصل ، ولا يخلو من أن يكون له معنى صحيح ، لذلك المعنى ما سمي^(٤) به ، وإن لم يدركه الناس .

وقوله تعالى : ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ﴾ . يقال :^(٥) عرضت المتاع على البيع عرضاً ، وكذلك عرض الجند والكتاب . ومعنى العرض في اللغة : الإظهار ، ومنه عرض الجارية وعرض الجند^(٦) . قال الليث : ويقال : أعرض الشيء أي بدا وظهر ، وأنشد :

إِذَا أَعْرَضْتَ^(٧) دَاوِيَّةَ^(٨) مُدْهَمَّةَ^(٩)

(١) في (أ) : (الأسماء) .

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ب) .

(٣) في (ب) : (تصدق) .

(٤) العبارة فيها غموض ، ولعل فيها سقط أو زيادة ، ولو حذفنا (ما) لاستقام المعنى .

(٥) في (ب) : (فقال) .

(٦) انظر : تهذيب اللغة (عرض) ١/ ٢٣٩٦ ، ٢٣٩٨ ، ٢٤٠٢ ، والصحاح (عرض) ٣/ ١٠٨٢ .

(٧) في (ب) و(ج) : (عرضت) .

(٨) في (ب) : (دويه) .

(٩) تمامه :

أي بدت^(١) .

وقال الفراء في قوله تعالى : ﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرَضًا﴾ [الكهف: ١٠٠] ، أي أبرزناها حتى رأوها . قالوا^(٢) : ولو جعلت الفعل لها زدت ألفاً ، فقلت : أعرضت ، أي^(٣) : استبانته وظهرت^(٤) . فجاء من هذا أنه يقال : عرضت الشيء فأعرض ، أي أظهرته فظهر ، وأعرض بوجهه ، أي أزاله عن جهة الظهور ، وعرض بالشيء ، حرفه من جهة الظهور^(٥) .

فإن قيل : فلم قال : ﴿عَرَضُهُمْ﴾ ، فجمع الكناية وهي عائدة على^(٦) الأسماء ؟ فالجواب ما قال مقاتل : وهو أن الله تعالى خلق كل شيء ، الحيوان والجماد ، ثم علم آدم أسماءها ، ثم عرض تلك الشخص الموجدات على الملائكة^(٧) . وكنى عن الشخص والمسميات [بقوله : ﴿هُمُ﴾] لأن فيها ما يعقل من الجن والإنس

- =
- نسبه في الصحاح إلى (سويد بن كراع العكلي) ، قال : و(كرع) اسم أمه ، واسم أبيه عمير ، و(الداوية) : الفلاة الواسعة ، والفلق : بالكسر الداهية والأمر العجب ، ورد في تهذيب اللغة (عرض) ٢٣٩٨ / ١ ، والصحاح (فلق) ١٥٤٤ / ٤ ، واللسان (غرد) ٣٢٣٢ / ٦ ، و(عرض) ٢٨٨٦ / ٥ .
- (١) الكلام في تهذيب اللغة منسوب إلى شمر وليس إلى ليث . التهذيب (عرض) ٢٣٩٨ / ١ ، وفي اللسان (عرض) ٢٨٨٦ / ٥ غير منسوب .
- (٢) كذا في النسخ جميعها : (قالوا) ، والصحيح : (قال) كما في تهذيب اللغة ٢٣٩٨ / ١ .
- (٣) في (ب) : (على أي) .
- (٤) معاني القرآن للفراء ١٦٠ / ٢ ، تهذيب اللغة (عرض) ٢٣٩٨ / ١ ، والعبارة نقلها الواحدي عن (التهذيب) ، انظر : الصحاح (عرض) ١٠٨٤ / ٣ .
- (٥) انظر : الصحاح (عرض) ١٠٨٢ / ٣ ، ١٠٨٤ ، معجم مقاييس اللغة (عرض) ٢٧٢ / ٤ .
- (٦) في (ب) : (إلى) .
- (٧) ذكر قول مقاتل الثعلبي في تفسيره ١٦٢ / ١ .

والملائكة ، فالعرض يعود إلى المسميات^(١) لا إلى الأسماء^(٢) . وقال ابن زيد : علمه أسماء ذريته^(٣) ، وعلى هذا العرض يعود إلى الذرية .

وقوله تعالى : ﴿ فَقَالَ أَنِغُوْنِي ﴾ أمر تعجيز^(٤) ، كقوله : ﴿ فَأَتُوْا بِسُوْرَةٍ مِّنْ مِّثْلِهِ ﴾ [البقرة: ٢٣] . أراد الله تعالى أن يبين عجزهم^(٥) ، وذلك أن الملائكة أخبروا عن شيء لم يخلق لهم العلم به ، وقالوا شيئاً بظن^(٦) منهم وحسبان ، فخلق سبحانه لآدم^(٧) العلم بالأسماء^(٨) من دونهم تفضيلاً له ، ثم استخبرهم عن ذلك ، أراد : كيف تدعون علم ما لم يكن بعد ، وأنتم لا تعلمون ما ترون وتعاينون^(٩) .

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ب) .

(٢) ذكر نحوه الرَّجَّاج في المعاني ٧٨/١ ، وانظر : تفسير الطبري ٢١٦/١ ، ٢١٧ ، وابن كثير في تفسيره ٧٨/١ . وقد قيل : إن الضمير (هم) يعود على الأسماء لا على المسميات . انظر : تفسير ابن عطية ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، القرطبي ٢٤١/١ .

(٣) ذكره الطبري في تفسيره ٢١٦/١ ، والثعلبي في تفسيره ١٦٢/١ ، وابن كثير في تفسيره ٧٨/١ ، والسيوطي في الدر ١٠١/١ ، والشوكاني في فتح القدير ١٠٣/١ .

(٤) ذكره الثعلبي في تفسيره ١٦٢/١ ، والخازن ١٠٢/١ ، وأكثر المفسرين على أنه للتقرير والتوقيف ، كما قال الطبري : إنه مثل عتاب الله لنبية نوح . انظر : تفسير الطبري ٢١٩/١ ، وتفسير ابن عطية ٢٣٦/١ ، وتفسير القرطبي ٢٤٣/١ .

(٥) قال الطبري : «وقد زعم بعض نحويي أهل البصرة أن قوله : ﴿ أَنِغُوْنِي بِأَسْمَاءَ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ لم يكن ذلك لأن الملائكة ادّعوا شيئاً ، إنما أخبر الله عن جهلهم بعلم الغيب . . . كما يقول الرجل للرجل : (أبني بهذا إن كنت تعلم) وهو يعلم أنه لا يعلم . . . » ، ثم أخذ يردّ عليه ، تفسير الطبري ٢١٩/١ .

(٦) في (أ) : (يظن) ، وفي (ب) : (نظن) ، وأثبت ما في (ج) ؛ لأنه أصح .

(٧) في (ج) : (العد لادم) .

(٨) انظر : التعليق السابق على ما ذكر الواحدي في معنى تعليم الله آدم ، وأنه بمعنى خلق به العلم بذلك ، ٣٤٨ .

(٩) انظر : تفسير الطبري ٢١٨/١ ، وتفسير ابن كثير ٧٩/١ .

وقوله تعالى: ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾؛ أي إن صدقتم أن الخليفة الذي أجعله في الأرض يفسد فيها ويسفك الدماء، قاله ابن عباس، [وناس من الصحابة]^(١). وقال الحسن: إن كنتم صادقين أني لا أخلق خلقاً إلا كنتم أعلم وأفضل منه، وكذلك قال قتادة^(٢).

٣٢. فقالت الملائكة إقراراً بالعجز واعتذاراً: ﴿سُبْحَنَكَ﴾^(٣). قال ابن عباس: تنزيهاً لك وتعظيماً عن أن يعلم الغيب أحد^(٤) سواك^(٥). وقيل: تنزيهاً لك عن الاعتراض عليك في حكمك وتديريك^(٦). وهو منصوب على المصدر عند الخليل والفرّاء، إذا قلت: (سبحان الله)^(٧) فكأنك قلت: سبّحتُ الله تسبيحاً، فجعل السبحان موضع التسبيح، كما تقول: كفّرت عن يميني تكفيراً، ثم يجعل الكفران في موضع التكفير، فتقول: كفّرت عن يميني كُفراناً^(٨). وقد ينوب الاسم عن المصدر،

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ب). والرواية عن ابن عباس، وعن ابن مسعود وعن ناس من الصحابة أخرجه الطبري بسنده، انظر: تفسير الطبري ٢١٨/١، وتفسير الثعلبي ١/٦٢، وتفسير ابن كثير ١/٧٩، والدر ١/١٠١.

(٢) ذكر قوليهما الطبري في تفسيره ٢١٨/١، وتفسير الثعلبي ١/٦٢، وتفسير ابن كثير ١/٧٩، والدر ١/١٠١.

(٣) في (ج): (قالوا سبحانك).

(٤) في (ب): (أحدًا).

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره من طريق الضحاك عن ابن عباس ٢٢١/١، وذكره السيوطي في الدر، وعزاه إلى ابن جرير ١/١٠١.

(٦) ذكره الثعلبي في تفسيره ١/٦٢.

(٧) عبارة الفرّاء: (سبحانك) منصوب على المصدر، كأنك قلت: سبّحتُ لله تسبيحاً... الزاهر ١/١٤٥.

(٨) كلام الفرّاء في الزاهر ١/١٤٥، وقول الخليل في تفسير الثعلبي ١/٦٢، وانظر: إعراب القرآن للنحاس ١/١٦٠، والبيان ١/٧٢، والإملاء ١/٢٩.

وتقول^(١): كلمته كلاماً، وسلّم سلاماً، قال الله تعالى: ﴿وَسَرَّحُوهُمْ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ [الأحزاب: ٤٩].

وقال سيبويه: يقال: سبحت الله تسبيحاً وسبحاناً بمعنى واحد، فالمصدر: تسبيح، وسبحان اسم يقوم مقام المصدر. قال: وقال أبو الخطاب الكبير^(٢): سبحان الله، كقولك: براءة الله من السوء، ومنه قول الأعشى:

سُبْحَانَ مَنْ عَلَقَمَةَ الْفَاخِرِ^(٣)

أي براءة منه^(٤).

وقال النضر: رأيت في المنام كأن إنساناً فسر لي سبحان الله، قال: أما ترى الفرس يسبح، يريد السرعة سبحان الله: السرعة إليه^(٥). وقد ذكرنا معنى التسبيح عند قوله: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ﴾ [البقرة: ٣٠]^(٦).

(١) في (ج): (ويقوله).

(٢) هو عبد الحميد بن عبد المجيد، أبو الخطاب، الأخفش الكبير النحوي، شيخ سيبويه في النحو، انظر: ترجمته في طبقات النحويين واللغويين للزبيدي ٤٠، وإنباه الرواة ١٥٧/٢، وبغية الوعاة ٧٤/٢.

(٣) البيت سبق تخريجه في تفسير قوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ﴾ [البقرة: ٣٠]، ٢٩٩/٤.

(٤) انظر: كلام سيبويه في الكتاب ١/٣٢٢، ١/٣٢٤، وتهذيب اللغة (سبح) ١٦٠٩/٢، والنص من التهذيب.

(٥) ذكره الأزهري في تهذيب اللغة (سبح) ٢/٢٦١٠.

(٦) انظر: ٢٩٨/٥، ٣٠٠/٤.

وقوله تعالى : ﴿لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا﴾ . قال المفسرون وأهل المعاني : هذا اعتراف (عن)^(١) الملائكة بالعجز عن علم ما لم يعلموه ، فكأنهم قالوا : لا علم لنا إلا ما علمتنا^(٢) ، وليس هذا مما علمتنا [في الكلام مختصراً]^(٣) .

ولو قالوا : (لا علم لنا بهذا) كان جواباً ، ولكن لا يكون متضمناً تعظيم الله والاعتراف بأن جميع علمهم من عنده . وقيل : إنه تلطف في طلب علم ما لم يعلموه ، وتوبة عن قولهم : ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا﴾ من غير علم لهم بذلك ، نبههم الله تعالى بعجزهم عن أسماء الموجودات على أن من جهلها فهو أجهل بأحكام الغائبات ، وفي هذا التنبيه إشارة إلى نهيهم عن الحكم لأنفسهم بالطاعة ، فإنه لا علم لهم بالعواقب ، فإن أمر العواقب^(٤) مستور ، ففيه تنبيه عن^(٥) خطئهم في الأمرين جميعاً .

وقوله تعالى : ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ﴾ ، أي العالم غير المعلم^(٦) ، (الحكيم)^(٧) في خلقك الخليفة ، ومعنى (الحكيم) هو المحكم للأشياء^(٨) ، صرف من (مُفَعِّل) إلى (فَعِيل) ، كالسميع في قوله :

أَمِنْ رِيحَانَةِ الدَّاعِي^(٩) السَّمِيعِ^(١٠)

- (١) (عن) في النسخ جميعها ، ولو كانت (من) كان أولى .
- (٢) انظر : تفسير الطبري ١ / ٢٢٠ ، والبحر المحيط ١ / ١٤٧ ، وتفسير ابن كثير ١ / ٧٩ ، وتفسير البيضاوي ١ / ٢١ .
- (٣) قوله : (في الكلام مختصراً) ، كذا وردت في النسخ الثلاث ، وفيها تصحيف ، والعبارة في الوسيط : (فجاء الكلام مختصراً) وفي الحاشية : في (ب) : (فجاء في الكلام) ، الوسيط ١ / ٧٩ .
- (٤) قوله : (فإن أمر العواقب) ساقط من (ب) .
- (٥) في (ب) : (على) ، وهو أولى .
- (٦) انظر : تفسير الطبري ١ / ٢٢١ .
- (٧) (الحكيم) مكرر في (ب) .
- (٨) في (ب) : (الأشياء) .
- (٩) في (أ) و(ب) : (الراعي) ، وهذا خلاف المشهور في البيت .
- (١٠) البيت لعمر بن معد يكرب ، وقد سبق تخريجه عند تفسير قوله تعالى : ﴿فَزَادَهُمْ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [البقرة : ١٠] ١٥٤ / ٢ .

و(الأليم) بمعنى : المؤلم^(١) .

قال ابن المظفر^(٢) : والحكم : العلم^(٣) ، قال الله تعالى : ﴿وَأَتَيْنَهُ الْحُكْمَ صَبِيحًا﴾ [مريم : ١٢] . أي العلم ، والحكم : القضاء بالعدل أيضاً .

قال النابغة :

وَاحْكُمْ كَحُكْمِ فَتَاةِ الْحَيِّ إِذْ نَظَرْتُ

إِلَى حَمَامٍ سِرَاعٍ وَارِدِ الثَّمَدِ^(٤)

فالوصف لله تعالى بأنه (حكيم) يجوز أن يكون بمعنى : محكم كما ذكرنا ، ويجوز أن يكون بمعنى : حاكم ، كالقدير والقادر ، والعليم والعالم ، ويكون معناه العالم أو الذي يحكم بالعدل ويقضي به^(٥) .

(١) يريد أن (حكيم) بمعنى : محكم ، مثل (أليم) بمعنى مؤلم ، كذا قال الثعلبي في تفسيره ١/ ٦٢ ، وانظر : شرح أسماء الله للزجاج ٥٢ ، واشتقاق أسماء الله للزجاجي ٦٠ .

(٢) هو الليث . انظر : كلامه في تهذيب اللغة (حكم) ١/ ٨٨٥ .

(٣) في تهذيب اللغة : (العلم والفقه) .

(٤) البيت للنابغة الذبياني من قصيدة يمدح فيها النعمان ، ويعتذر إليه مما بلغه عنه في ما وُشي إليه به . وقد ألحقت بالمعلقات السبع لما فيها من الجودة . يقال : احكم ، أي كن حكيماً في أمرك مصيباً في الرأي ، وهذا هو المعنى المشهور في البيت ، ذكره الأزهري في التهذيب عن ابن السكيت ، واستشهد الليث به على أن معنى (احكم) من القضاء بالعدل كحكم فتاة الحي إذ أصابت ووضعت الأمر موضعه ، حينما نظرت إلى الحمام فأحصتها ولم تخطئ في عددها . ويروى (سراع) و(سراع) بالشين ، وهي الواردة الماء . والثمد : الماء القليل ، ورد البيت في التهذيب (حكم) ١/ ٨٨٥ ، والصحيح (حكم) ٥/ ١٩٠٢ ، واللسان (حكم) ٢/ ٩٥١ ، وديوان النابغة ١٤ .

(٥) (به) ساقط من (ب) . بهذا المعنى أخذ الطبري في تفسيره ١/ ٢٢١ ، وانظر : تهذيب اللغة (حكم) ١/ ٨٨٥ ، واشتقاق أسماء الله ٦٠ .

قال الأصمعي : أصل الحكومة : رَدُّ الرجل عن الظلم ، ومنه سُمِّيت حَكَمَةُ اللجام ؛ لأنها تَرُدُّ الدابة ، قال ^(١) : ومنه قول لبيد :

أَحْكَمَ الْجَنْثِيَّ مِنْ عَوْرَاتِهَا ^(٢) كُلُّ حَرْبَاءٍ إِذَا أُكْرِهَ ^(٣) صَلَّ ^(٤)
والجَنْثِيُّ : السيف ، أي رد السيف عن عورات ^(٥) الدرع ، وهي : فَرْجُهَا ،
كل حَرْبَاءٍ : وهو المسار الذي يُسَمَّرُ به حلقها . هذه رواية الأصمعي ^(٦) .

قال الأزهري : والعرب تقول : حَكَمْتُ وَأَحْكَمْتُ وَحَكَّمْتُ بمعنى :
رَدَدْتُ وَمَنَعْتُ ، ومن هذا قيل للحاكم : حاكم ، لأنه يمنع الظالم من الظلم ^(٧) .

وقال جرير :

أَبْنِي حَنِيفَةً أَحْكُمُوا سُفَهَاءَكُمْ ^(٨)

(١) (قال) ساقط من (ب) .

(٢) في (ب) : (عوارتها) .

(٣) في (ب) : (احكم ضل) .

(٤) للبيت روايتان : نصب (الجَنْثِيَّ) ورفع (كل) - وهي رواية الأصمعي التي ذكرها الأزهري - فيكون المراد بالجَنْثِي : السيف ، وَأَحْكَمَ بمعنى : منع وردّ ، فلم يصل السيف ، ومنعه الحرباء ، والعورات : الفتوق واحدها عورة ، والحَرْبَاءُ : المسار في حلق (الدرع) ، إذا أكره ليدخل في الحلق سمعت له صليلاً . والرواية الثانية : رفع (الجَنْثِيَّ) ونصب (كل) فيكون المراد بالجَنْثِي : الحداد أو الزراد ، ويكون أحكم من الأحكام للصنعة ، كذا خرَّجه ابن قتيبة في المعاني الكبير ١٠٣٠ / ٢ ، وانظر : التهذيب (حكم) ١ / ٨٨٥ ، واللسان (صلل) ٤ / ٢٤٨٦ ، و(حكم) ٢ / ٩٥١ ، وشرح ديوان لبيد ١٩٢ .

(٥) في (ب) : (عوارت) .

(٦) انظر : كلام الأصمعي في التهذيب (حكم) ١ / ٨٨٥ .

(٧) تهذيب اللغة (حكم) ١ / ٨٨٥ .

(٨) تمامه :

إني أخاف عليكم أن أغضبا

ورد البيت في تهذيب اللغة (حكم) ١ / ٨٨٥ ، وفيه (بنسي حنيفة) ، والكامل ٢٦ / ٣ ، وفيه (نههوا)
بدل (أحكموا) ، أي أجزوا ، غريب الحديث لأبي عبيد ٢ / ٤٢١ ، والزاهر ١ / ٥٠٣ ، ومجمل =

يقول : امنعوهم من التعرض^(١) . وروي عن النخعي أنه قال : حَكَمَ الْيَتِيمَ كما تُحَكِّمُ ولدك^(٢) . قال أبو عبيد : يقول : امنعه من الفساد ، قال : وكل من منعه من شيء فقد حَكَّمْتَهُ وَأَحَكَّمْتَهُ^(٣) ، وأنشد بيت جرير^(٤) . والحكمة : هي العلم الذي يمنع [صاحبه]^(٥) من الجهل ، والحاكم الذي يمنع من الجور ، وكل عمل مُحَكَّم^(٦) فقد منع من الفساد^(٧) .

٣٣ . قوله تعالى : ﴿ قَالَ يَتَذَكَّرُ أُنِيَّتُهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ ﴾ . قال المفسرون : لما ظهر عجز الملائكة ، قال الله عز وجل : ﴿ يَتَذَكَّرُ أُنِيَّتُهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ ﴾ ، فسمى كل شيء باسمه ، وألحق كل شيء بجنسه ، ﴿ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ ﴾ ، أي أخبرهم بتسمياتهم ، قال : ﴿ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ ﴾^(٨) .

وفي الآية اختصار ، معناه : فلما أنبأهم بأسمائهم ، تحقق عندهم أن الله يعلم من العواقب ما لا يعلمون ، فلما علموا ذلك^(٩) ، قال الله : ﴿ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ ﴾ .

اللغة (حكم) ٢٤٦/١ ، واشتقاق أسماء الله ٦١ ، والصحاح (حكم) ١٩٠٢/٥ ، وتفسير الثعلبي ١/٦٢ ب ، وتفسير القرطبي ١/٢٤٦ ، والدر المصون ١/٢٦٨ ، والخزانة ٩/٢٣٦ .

(١) التهذيب (حكم) ١/٨٨٥ .

(٢) ذكره أبو عبيد قال : حدثني ابن مهدي عن سفيان عن منصور عن إبراهيم ، غريب الحديث ٢/٤٢١ ، وتهذيب اللغة ١/٨٨٥ .

(٣) المراجع السابقة .

(٤) أي أبني حنيفة . . . البيت .

(٥) صاحبه) ساقط من (ب) .

(٦) في (ب) : (متحكم) .

(٧) انظر : تهذيب اللغة (حكم) ١/٨٨٥ ، والصحاح (حكم) ١٩٠١/٥ ، والمجمل (حكم) ١/٢٤٦ ، واللسان (حكم) ٢/٩٥١ .

(٨) انظر : الطبري في تفسيره ١/٢٢١ ، والبغوي في تفسيره ١/٨٠ ، والخازن في تفسيره ١/١٠٣ ، وأبي السعود في تفسيره ١/٨٦ .

(٩) وما ذكره مفهوم من السياق .

و(لم) حرف نفي وُصِلَ بألف الاستفهام ، فصار بمعنى الإيجاب والتقرير^(١) ، كقول جرير :

أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا^(٢)

وفيه أيضاً معنى التوبيخ^(٣) لهم على ما سلف من خطاهم^(٤) .

وقوله تعالى : ﴿ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ . (الغيب) مصدر مضاف إلى المفعول^(٥) على الاتساع ، وحذف حرف الجر ، لأنك تقول : غبت في الأرض ، وغبت ببلد كذا ، فتعديه بحرف الجر ، فحذف الحرف وأضيف المصدر إلى المفعول به في المعنى ، نحو : ﴿ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ ﴾ [فصلت: ٤٩] و ﴿ سُؤَالِ نَجْمِكَ ﴾ [ص: ٢٤] وكقولك : (أعجبني منك دخول الدار) .

وفيه أيضاً مضاف مقدر ، والمعنى : إني أعلم ذوي غيب السموات والأرض ما غاب فيها [عنكم] ، ومثله على هذا التقدير قوله : ﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ

(١) انظر : الوسيط للمؤلف ٨٠ / ١ ، ومعاني القرآن للأخفش ٢١٩ / ١ ، والبحر ١٥٠ / ١ ، والدر

المصون ٢٧٠ / ١ ، وشرح المفصل ١٢٣ / ٨ ، ومغني اللبيب ١٧ / ١ .

(٢) البيت من قصيدة لجرير يمدح بها عبد الملك بن مروان ، وعجزه :

وَأُنْدَى الْعَالَمِينَ بَطُونٌ رَاحَ

أُنْدَى : أكثرهم جوداً ، الراح : جمع راحة وهي الكف ، ورد البيت في معاني القرآن للأخفش

٢١٩ / ١ ، وفي الخصائص ٢ / ٦٤٣ ، ٣ / ٢٦٩ ، والمصون في الأدب ٢١ ، وشرح المفصل ٨ / ١٢٣ ،

ومغني اللبيب ١٧ / ١ ، وشرح ديوان جرير ٧٤ .

(٣) (التوبيخ) ساقط من (ب) .

(٤) كذا في النسخ جميعها ، ولعل الصواب (من خطتهم) أو (من أخطائهم) . انظر : معنى الآية في تفسير

الطبري ١ / ٢٢١ .

(٥) في (ب) : (المفعول به) .

وَالْأَرْضِ ﴿١﴾ ، أي له ما غاب فيها^(٢) ملكاً وخلقاً . ويجوز أن يكون له علم ما غاب^(٣) فيها ، فيكون المضاف محذوفاً .

وقوله تعالى : ﴿وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْنُتُونَ﴾ . أي أعلم سرّكم وعلايتكم ، لا يخفى عليّ شيء من أموركم^(٤) . وقال ابن عباس : ما تبدون من قولكم : (أتجعل فيها من يفسد فيها) ، (وما كنتم تكتمون) من إضمار إبليس الكفر^(٥) .

وعلى هذا التأويل قال : (تكتمون) بلفظ الجمع ، وإن كان المراد به إبليس ؛ لأن الخطاب للجماعة ، وهو من جملتهم^(٦) .

وقال الحسن وقتادة في قوله : ﴿مَا تُبْدُونَ﴾ كقول ابن عباس ، (وما تكتمون) يعني قولهم : لن يخلق^(٧) خلقاً أفضل ولا أعلم منّا^(٨) .

(١) [هود : ١٣٢] ، و[النحل : ٧٧] .

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ب) .

(٣) انظر : معاني القرآن للزجاج ٣ / ٢١٤ .

(٤) انظر : تفسير الطبري ١ / ٢٢٢ ، وتفسير ابن كثير ١ / ٨٠ .

(٥) أخرجه ابن جرير بسنده من طريق السدي ، عن ابن عباس وابن مسعود وناس من الصحابة في تفسيره ١ / ٢٢٢ ، وابن كثير في تفسيره ١ / ٨٠ ، والدر ١ / ١٠١ .

(٦) انظر : الطبري في تفسيره ١ / ٢٢٢ ، وابن عطية في تفسيره ١ / ٢٤١ .

(٧) في (ب) : (لن يخلق الله . . .) .

(٨) ذكره الثعلبي ١ / ٦٢ ب ، وأخرجه الطبري عنها ١ / ٢٢٢ ، وابن أبي حاتم ١ / ٨٢ ، وذكره السيوطي في الدر ١ / ١٠٢ ، وابن كثير ١ / ٨٠ .

وقد يبقى في هذه الآية سؤال لم يجد^(١) أحداً ممن تكلم في تفسير القرآن ولا في معانيه تعرّض [له]^(٢)، وهو من أهم ما يسأل عنه^(٣). وذلك أن يقال: من أين علمت الملائكة لما خبرها^(٤) آدم - عليه السلام - بتلك الأسماء صحة قوله، ومطابقة الأسماء المسميات؟ وهي لم تكن^(٥) عالمة بذلك من قبل، إذ لو كانت عالمة لأخبرت بالأسماء، ولم تعترف بفقد العلم. والكلام يقضي أنهم لما أنبأهم آدم بالأسماء، علموا صحتها ومطابقتها للمسميات^(٦)، ولولا ذلك لم يكن لقوله^(٧): ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ معنى.

والجواب: أنه^(٨) غير ممتنع أن تكون الملائكة في الأول غير عارفين بتلك الأسماء، فلما أنبأهم آدم - عليه السلام - بها خلق الله تعالى^(٩) لهم في الحال العلم الضروري بصحتها ومطابقتها للمسميات، إما من طريق، أو ابتداء بلا طريق، فعلموا بذلك تمييزه^(١٠) واختصاصه^(١١).

-
- (١) كذا في النسخ جميعها، والمعنى: لم يتعرض أحد لهذا السؤال.
- (٢) (له) ساقطة من (ب).
- (٣) بل إن في هذا السؤال شيئاً من التكلف، ولا فائدة كبيرة من معرفة جوابه، ولا ينبغي عليه حكم، وقد ذكر الرازي هذا السؤال والإجابة عنه بنحو ما ذكر الواحدي هنا فلعله نقل عنه، ١٧٧/٢.
- (٤) في (ب): (حرها).
- (٥) في (أ): (يكن)، وما في (ب) و(ج) أصح في السياق.
- (٦) يمكن أن يعلموا صحتها بمجرد إخبار آدم - عليه السلام - بالأسماء، وإقرار الله له على ذلك، وعلى هذا فلا داعي لتحمل الإجابة عن هذا السؤال.
- (٧) في (ب): (كقوله).
- (٨) في (ب): (له).
- (٩) انظر: التعليق السابق على ما ذكر الواحدي عن معنى تعليم الله آدم، وأنه بمعنى: خلق له العلم بذلك، ٣٤٨/٢.
- (١٠) في (ب): (تميزه) وهو الأصوب.
- (١١) قال الرازي: «... ولا يمتنع أن يقال: إنه تعالى عرفهم قبل أن يسمعوهم من آدم - عليه السلام - تلك الأسماء، ما استدلوا به على صدق آدم».

ووجه آخر : وهو أنه لا يمتنع أن تكون للملائكة لغات مختلفة ، فكل قبيل منهم يعرف أسماء الأجناس في لغته من دون لغة غيرها ، فلما أراد الله تعالى التنبيه على فضيلة آدم ، علمه ^(١) تلك الأسماء ، فلما أخبرهم بها علم كل فريق ^(٢) مطابقة ما أخبر به من الأسماء للغته وعلم مطابقة ذلك لباقي اللغات بخبر كل فريق وإذا أخبر كل قبيل صاحبه علم بذلك من لغة غيره ما علمه من لغته ^(٣) ، وهذا الجواب يقتضي أن يكون معنى قوله : ﴿أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ﴾ أي ليخبرني كل قبيل منكم بجميع الأسماء .

٣٤ . قوله تعالى : ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ الآية . (إذ) في موضع نصب نسقاً على (إذ) ^(٤) التي قبلها ^(٥) .

وقوله : ﴿قُلْنَا﴾ [هو من خطاب الأكابر والعظماء ، يقول الواحد منهم : فعلنا وقلنا ، لعلمه بأن أتباعه يفعلون] ^(٦) كفعله ، ويجرون على مثل أمره ، فأخبر الله تعالى عن نفسه على الجمع ؛ لأنه ملك الملوك ، وكل من في السموات والأرض له ؛ خلقاً ^(٧) وملكاً ^(٨) . وعلى هذا خوطب في الجواب في قوله :

(١) في (ب) : (علمهم) .

(٢) في (أ) : (فريق منهم) .

(٣) هذا من التكلف الذي لا دليل عليه .

(٤) في (ج) : (إذا) وهو خطأ .

(٥) انظر : معاني القرآن للزجاج ١ / ١٨٠ ، وتفسير الطبري ١ / ٢٢٤ ، وتفسير ابن عطية ١ / ٢٤٣ . وقال

مكي : «منصوب بفعل مقدر (اذكر) مثل (إذ) قبلها» . انظر : مشكل إعراب القرآن ١ / ٣٥ .

وقيل : زائدة ، قاله أبو عبيدة في المجاز ١ / ٣٧ ، وضعفه أبو حيان ، انظر : البحر ١ / ١٥٢ ، والدر

المصون ١ / ٢٧١ .

(٦) ما بين المعقوفين مكرر في (أ) .

(٧) في (أ) : (خلفاء) . وما في (ب) و(ج) أصح .

(٨) انظر : مجاز القرآن ١ / ٣٨ ، وتفسير القرطبي ١ / ٢٤٨ ، والبحر ١ / ١٥٢ .

﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴾ [المؤمنون: ٩٩] معناه : يا رب ارجعني ، فلما أخبر - جل اسمه - ^(١) عن نفسه [بالجمع خوطب بمثل ذلك] ^(٢) .

وقوله : ﴿ لِلْمَلَكَةِ ﴾ [اختلفوا في] ^(٣) الملائكة الذين أمروا بالسجود لآدم من هم ؟ فقال بعضهم : هم الذين كانوا مع إبليس في الأرض ^(٤) .

وقال بعضهم : هم جميع الملائكة حتى جبريل وميكائيل ؛ لأنه قال : ﴿ فَسَجَدَ الْمَلَكَةُ كُلُّهُمْ أجمعون ﴾ [الحجر: ٣٠] ، وفي هذا ^(٥) تأكيد للعموم ، وتحقيق له ^(٦) .

وقوله : ﴿ أَسْجُدُوا لِلْآدَمِ ﴾ . أصل السجود في اللغة : الخضوع والتذلل ، وكل من ذل وخضع لما أمر به فقد سجد ، ومنه قوله تعالى : ﴿ يَنْفَعِيوْا ظِلَالَهُ عَنِ اليمينِ وَالشَّمالِ سُجْدًا لِلَّهِ ﴾ [النحل: ٤٨] ، أي خُضَعًا مسخرة ^(٧) لما سخرت له ، وسجود كل موات في القرآن ، طاعته لما سخر له ^(٨) .

(١) (جل اسمه) ساقط من (ب) .

(٢) انظر : معاني القرآن للزجاج ٢١ / ٤ .

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (ب) .

(٤) ورد هذا ضمن الخبر الطويل عن ابن عباس ، الذي أخرجه الطبري ، وهو ضعيف الإسناد ، كما ذكر ذلك شاكر في تعليقه ، انظر : تفسير الطبري ٢٢٤ / ١ ، وذكره ابن أبي حاتم بسنده عن أبي العالية ، قال محقق الكتاب : إسناده ضعيف ، والخبر لم أقف عليه ، تفسير ابن أبي حاتم ٨٣ / ١ ، وانظر : القرطبي في تفسيره ٢٤٨ / ١ ، والرازي في تفسيره ١٣٨ / ٢ ، وابن كثير في تفسيره ٨٠ / ١ .

(٥) (هذا) ساقط من (ب) .

(٦) وهذا هو الأرجح ، انظر : في تفسير الطبري ٢٢٤ / ١ ، وفي تفسير الرازي ٢٣٨ / ٢ ، وقد ذكر وجوهاً كثيرة في ترجيح هذا القول وانظر : تفسير القرطبي ٢٤٨ / ١ ، ورجحه ابن كثير في تفسيره ٨٠ / ١ .

(٧) في تهذيب اللغة : (مسخرة) . ١٦٥٠ / ٢ .

(٨) ذكره الأزهري في تهذيب اللغة (سجد) ١٦٣٠ / ٢ ، وانظر : اللسان (سجد) ١٩٤٠ / ٤ .

وقال أبو عبيدة : عين ساجدة إذا كانت فاترة ، والسُّجْد من النساء الفاترات الأعين ، ونخلة ساجدة إذا مالت لكثرة حملها^(١) . ومنه قول الشاعر :

تَرَى الْأَكْمَ^(٢) فِيهِ سُجْدًا لِلْحَوَافِرِ^(٣)

أي ذليلة خاضعة .

قال الأعشى :

مَنْ يَرِ هَوْدَةً يَسْجُدُ غَيْرَ مُتَّبِ^(٤) إِذَا تَعَمَّمَ^(٥) فَوْقَ الرَّأْسِ أَوْ وَضَعَا^(٦)

(١) قال الأزهرى : (روى ابن هاني لأبي عبيدة . . . ثم ذكره من دون قوله : (والسجد من النساء الفاترات الأعين) ، تهذيب اللغة (سجد) ٢ / ١٦٣٠ .

(٢) في (ب) : (الأكم) .

(٣) البيت لزيد الخيل ، وصدره :

بِجَمْعِ تَضِلُّ الْبُلُقُ فِي حَجَرَاتِهِ

ويروى : بجيش ، البلق : جمع أبلق ، وهو الفرس المحجل ، الحجرات : الناحية ، الأكم : جمع أكمة ، وهي تل أشد ارتفاعاً مما حوله ودون الجبل ، يصف كثرة هذا الجيش ، وأن الأكم قد خشعت من وقع الحوافر . ورد البيت في تفسير الطبري ١ / ٣٦٥ ، والمعاني الكبير ٢ / ٨٩٠ ، والأضداد لابن الأنباري ٢٩٥ ، والزاهر ١ / ١٤١ ، ومعرفة اشتقاق أسماء نطق بها القرآن ٢ / ٥٤٢ ، وتأويل مشكل القرآن ٤١٧ ، والصحيح (سجد) ٢ / ٤٨٣ ، واللسان ٤ / ١٩٤٠ ، والقرطبي في تفسيره ١ / ٢٤٨ ، والبيضاوي في تفسيره ١ / ٢١ ، والبحر المحيط ١ / ٥١ ، والدر المصون ١ / ٢٧٤ .

(٤) في (ب) : (منيب) .

(٥) في (أ) و(ج) : (تعم) ، وما في (ب) هو الصحيح ، ومثله ورد في المخصص ١٣ / ١٠٧ .

(٦) البيت من قصيدة طويلة للأعشى يمدح (هودة بن علي الحنفي) ، ويروى البيت (من يلق) بدل (من ير) . و(تعصب فوق التاج) بدل (تعمم فوق الرأس) . وقوله : (غير متتب) ، أي لا يستحي أن يسجد لطلعته المهيبة وفد تعمم فوق الرأس ، أو وضع الإكليل . ورد البيت في ديوان الأعشى ١٠٨ ، والمخصص ١٣ / ١٠٧ .

أي يخضع له ويتذلل . وأنشد ابن الأنباري لابن مقبل :

ثُمَّ نَوَّمتُ وَنَمِنَا سَاعَةً خُشِعَ الطَّرْفُ سُجُوداً لِلْخُطْمِ^(١)

يعني الإبل ، فسجودها خضوعها . ويقال أيضاً : (أسجد) بهذا^(٢) المعنى ، أي طأطأ رأسه وانحنى^(٣) . هذا أصل السجود في اللغة ، ثم قيل لكل من وضع جبهته على الأرض : سجد ، لأنه غاية الخضوع^(٤) . وإذا ابتدأت بقوله : ﴿أَسْجُدُوا﴾ ضمنت الألف^(٥) ، والألف^(٦) لا حظ لها من الإعراب ، وإنما أدخلت ليتوصل بها إلى النطق بالساكن ، فكان حظها الكسر ؛ لأن^(٧) بعدها ساكناً ، ولكنها ضمت لاستثقال الضمة بعد الكسرة ، وليس في كلامهم مثل (فُعِلَ) ، ولا مثل (إِفْعُلَ)^(٨) .

واختلفوا في كيفية سجود الملائكة لآدم ، فقال جماعة : كان سجود الملائكة لآدم على جهة التكريم ، فكان ذلك تكريماً لآدم وطاعةً لله سبحانه ، ولم يكن عبادة لآدم^(٩) .

(١) قوله : (نَوَّمتُ) ، أي الإبل نومت ، الخطم : جمع خطام ، وهو الحبل الذي يقاد به البعير . ورد البيت في ذيل ديوان ابن مقبل مع القصائد المنسوبة إليه ، وليست في الديوان ٤٠٣ . وورد في أساس البلاغة ، (نَوَّمتُ) ٤٨٣ / ٢ .

(٢) في (ب) : (بها) .

(٣) في تهذيب اللغة : أبو عبيد عن أبي عمرو : أسجد الرجل إذا طأطأ رأسه وانحنى ، تهذيب اللغة (سجد) ١٦٣٠ / ٢ ، وانظر : مقاييس اللغة (سجد) ١٣٣ / ٣ .

(٤) تهذيب اللغة (سجد) ١٦٣٠ / ٢ ، والصحاح (سجد) ٤٨٣ / ٢ ، واللسان (سجد) ١٩٤٠ / ٤ .

(٥) إذا ابتدأت همزة الوصل أخذت حركة الحرف الثالث ، انظر : معاني القرآن للزجاج ٨١ / ١ .

(٦) (والألف) ساقط من (ج) .

(٧) في (ج) : (لان ما بعدها) .

(٨) معاني القرآن للزجاج ٨١ / ١ ، وتفسير الثعلبي ١ / ٦٠ ، وانظر : إعراب القرآن للنحاس ١ / ١٦٣ .

(٩) هذا قول جمهور المفسرين ، قالوا : إنه سجود حقيقي ، ولكنه ليس بسجود عبادة ، فالتكريم لآدم ، والعبادة والطاعة لله . ذكره الطبري في تفسيره ، وروى في ذلك أثراً عن قتادة ، ولم يذكر غير هذا القول . =

وحكى^(١) ابن الأنباري ، عن الفرّاء ، وجماعة من الأئمة ، أن سجود الملائكة لآدم كان تحية ولم يكن عبادة ، وكان ذلك سجود تعظيم وتسليم وتحية ، لا سجود صلاة وعبادة ، وكان ذلك تحية الناس وتعظيم بعضهم بعضاً^(٢) ، ولم يكن وضع الوجه على الأرض ، إنما كان الانحناء والتكفير^(٣) ، فلما جاء الإسلام أبطل ذلك بالسلام^(٤) .

وقيل : كان سجوداً على الحقيقة^(٥) ، جعل آدم قبله لهم ، والسجود لله عز وجل^(٦) ، إلا أن هذا ضعيف ؛ لأنه لو كان ، لقليل : اسجدوا إلى آدم . وقال أبي بن كعب : معناه : أقروا لآدم أنه خير وأكرم عليّ منكم ، واخضعوا له وكونوا تحت أمره^(٧) ، وهذا المعنى موافق لأصل اللغة .

- = انظر : تفسير الطبري ١/ ٢٢٩ ، وذكره ابن كثير في تفسيره ورجحه ، وضعف ما عداه ١/ ٨١ ، وكذا الرازي في تفسيره ١/ ٢١٢ ، وانظر : زاد المسير ١/ ٦٤ ، والقرطبي في تفسيره ١/ ٢٤٨ .
- (١) (الواو) ساقطة من (ج) .
- (٢) قوله : (وكان ذلك تحية الناس . . .) . هل كان قبل آدم ناس ؟ أم هو تجاوز في العبارة ؟
- (٣) التكفير : هو أن يضع الرجل يده أو يديه على صدره وطأطأ برأسه ، وهو كالتحية عند أهل الكتاب . انظر : اللسان (كفر) ٧/ ٣٨٩٧ .
- (٤) ذكره الثعلبي في تفسيره ، ولم يعزه ، ١/ ٦٣ أ . وذكره الرازي في تفسيره وضعّفه ، وقال : «السجود لا شك أنه في عرف الشرع وضع الجبهة على الأرض ، فوجب أن يكون في أصل اللغة كذلك ؛ لأن الأصل عدم التغير ، فإن قيل : السجود عبادة ، والعبادة لغير الله لا تحوز ، قلنا : لا نسلم أنه عبادة ، وبيانه أن الفعل قد يصير بالمواضعة مفيداً كالقول . . . » ، تفسير الرازي ٢/ ٢١٣ ، وضعّفه ابن كثير في تفسيره ١/ ٨٣ . وانظر : القرطبي في تفسيره ١/ ٢٥٠ ، وزاد المسير ١/ ٦٤ .
- (٥) في (ب) : (بالحقيقة) .
- (٦) ذكره الثعلبي في تفسيره ١/ ٦٣ أ ، والرازي وضعفه في تفسيره ٢/ ٢١٢ ، وابن كثير وضعفه كذلك ١/ ٨٣ ، وتفسير القرطبي ١/ ٢٥٠ .
- (٧) ذكره الثعلبي في تفسيره ١/ ٥٩ أ .

وقوله : ﴿لَادَمَ﴾ حقه الكسر ، إلا أنه لا يجري ^(١) ما كان من هذا الباب نحو : الأحمر ^(٢) والأصفر في معرفة ولا نكرة ، لاجتماع علتين فيه في حال نكرته ، وهو وزن الفعل ، وكونه صفة ، فإن سميت به لم تصرفه في حال المعرفة أيضاً للتعريف ، ووزن الفعل ، فإن نكرته لم تنصرف ^(٣) - أيضاً - عند سيويه ^(٤) ، [وانصرف عند الأخفش ^(٥) .

وحجة سيويه ^(٦) أنه قَبْلُ أن يسمى به اسم وإن كان صفة ، فقد كان في حال ^(٧) التنكير قبل التسمية به [غير منصرف ، فإذا سميت به فحكم الصفة لم يرتفع عنه ، ويصير التسمية به ^(٨) كالعارية ، فإذا نكر عاد إلى موضع قد ^(٩) كان فيه لا ينصرف ^(١٠) .

والدليل على صحة ذلك ، إجماع النحويين على قولهم : مررت بنسوة أربع ، فيصرفون (أربعاً) ؛ لأنه اسم استعمل وصفاً ، ولو راعوا فيه حكم الصفة لم ينصرف في هذه الحال ؛ لأنه على وزن الفعل وهو صفة ، فلما نفوا حُكْمَ الاسم

(١) أي يمنع من الصرف .

(٢) أي وزن (أفعل) .

(٣) تنصرف كذا في (أ ، ج) ، وفي (ب) : من دون إعجام ، والأولى (ينصرف) .

(٤) انظر : الكتاب ٣ / ١٩٣ ، ١٩٨ ، معاني القرآن للزجاج ١ / ٨١ ، وانظر : مشكل إعراب القرآن ٣٨ / ١ .

(٥) انظر : معاني القرآن للزجاج ١ / ٨١ ، والكتاب (الهامش) ٣ / ١٩٨ ، والمقتضب ٣ / ٣١٢ ، ٣٧٧ ، وقد نصر المبرّد رأي الأخفش ورجحه .

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من (ب) .

(٧) في (ب) : (كل) .

(٨) ما بين المعقوفين ساقط من (ب) .

(٩) (قد) ساقطة من (ب) .

(١٠) معاني القرآن للزجاج ١ / ٨١ .

فيه وإن استعملوه صفة ، كذلك أحمر وبابه وإن استعمل اسماً^(١) ، فحكم الصفة باقٍ فيه ؛ لأنه صفة لا اسم .

وأما الأخفش فإنه يقول : إذا سمي به زال حكم الصفة فلا ينصرف في المعرفة للتعريف ووزن الفعل ، فإذا نكرته بقيت علة واحدة ، وهو وزن الفعل فينصرف^(٢) . وهذا فاسد ؛ لأن حكم الصفة مراعى ، وإن سمي به كما أن حكم الاسم مراعى في (أربع) وإن وصف به^(٣) .

وقوله تعالى : ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ﴾ . قال أكثر أهل اللغة والتفسير : سمي إبليس بهذا الاسم ؛ لأنه أبلس من رحمة الله تعالى ، أي أيس ، والمبلس المكتتب الحزين الآيس^(٤) ، وفي القرآن : ﴿فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ [الأنعام : ٤٤] .

قال يونس وأبو عبيدة : يقال للذي يسكت عند انقطاع حجته ، ولا يكون عنده جواب : قد أبلس^(٥) . قال العجاج^(٦) :

يَا صَاحِ هَلْ تَعْرِفُ رَسْمًا مُكْرَسًا

قَالَ نَعَمْ أَعْرِفُهُ وَأَبْلَسًا^(٧)

(١) انظر : المقتضب ٣/ ٣١٢ ، والكتاب ٣/ ١٩٤ .

(٢) معاني القرآن للزجاج ١/ ٨١ ، والمقتضب ٣/ ٣١٢ .

(٣) انظر : رد المبرّد على ذلك في المسائل التي رد بها المبرّد على سيبويه ، كما نقله عزيمة في هامش المقتضب ٣/ ٣١٢ .

(٤) تهذيب اللغة (بلس) ١/ ٣٨٤ ، وتفسير الطبري ١/ ٢٢٤ .

(٥) تهذيب اللغة (بلس) ١/ ٣٨٤ .

(٦) هو الراجز المشهور عبد الله بن ربيعة ، لقي أبا هريرة وسمع منه أحاديث ، انظر : الشعر والشعراء ٣٩٢ ، وطبقات فحول الشعراء للجمحي ٢/ ٧٥٣ .

(٧) المكرس : الذي صار فيه الكرسي . وهو أبوال الإبل وأبعارها يتلبذ بعضها على بعض في الدار ، أبلسا ، أي سكت لكأبته . ورد الرجز في ديوان العجاج ١٣٢ ، وومعاني القرآن للفرّاء ١/ ٣٣٥ ، ومجاز =

أي لم يجر إليَّ جواباً لكآبته .

ف قيل : إن إبليس سمي بهذا الاسم ، لأنه لما أويس من رحمة الله أبلس يأساً^(١) .
ومثل هذا الوزن من العربية (الإجفيل) اسم للظلم^(٢) ، يقال : أجفل الظلم فهو
مجفل وإجفيل^(٣) ، وكذلك الإغريض^(٤) والإضريج^(٥) ، في أشباه هذا^(٦) .

وروى أبو روق^(٧) عن الضحاك عن ابن عباس قال : إنما سمي إبليس ، لأن
الله أبلسه من الخير ، أي أيأسه^(٨) . وهذا متعدد كما ترى ، ورواه الليث - أيضاً -

القرآن ١/ ١٩٢ ، والزينة ٢/ ١٩٢ ، والطبري في تفسيره ١/ ٢٢٤ ، والكامل ٢/ ١٩١ ، وتهذيب
اللغة (بلس) ١/ ٣٨٤ ، والصحاح ٣/ ٩٠٩ ، ومقاييس اللغة ٥/ ١٦٩ ، واللسان ١/ ٣٤٣ ، وتفسير
ابن عطية ١/ ٢٤٤ .

(١) ذكره الأزهري في تهذيب اللغة ١/ ٣٨٤ ، وانظر : تفسير الطبري ١/ ٢٢٤ ، وغريب القرآن لابن قتيبة
١/ ٣٧ ، وزاد المسير ١/ ٦٥ .

(٢) الظلم : الذكر من النعام ، القاموس (ظلم) ١٤٦٤ .

(٣) تهذيب اللغة (جفل) ١/ ٦٢٢ .

(٤) الإغريض : الطلع ، ويقال لكل أبيض طري ، انظر : الصحاح (غرض) ٣/ ١٠٩٤ .

(٥) (الإضريج) بالجميم : صبغ أحمر ، ونوع من الأكسية ، ومن الخيل الجواد . انظر : تهذيب اللغة (ضرج)
٣/ ٢١٠٦ ، والصحاح ١/ ٣٢٦ ، واللسان ٥/ ٢٥٧٠ .

(٦) انظر : إملاء ما منَّ به الرحمن ١/ ٣٠ ، والدر المصون ١/ ٢٧٦ .

(٧) هو عطية بن الحارث الهمداني أبو روق ، روى عن الشعبي والضحاك ، قال أبو حاتم : ليس به بأس ،
وقال ابن معين : صالح ، انظر : الجرح والتعديل ٦/ ٣٨٢ ، وتهذيب التهذيب ٣/ ١١٤ ، وطبقات
المفسرين للداودي ١/ ٣٨٦ .

(٨) أخرجه الطبري بسنده ، وفيه ضعف ، انظر : تفسير الطبري ١/ ٥٠٩ ، مع تحقيق محمود شاكر ،
وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ، قال المحقق : ضعيف الإسناد ، ١/ ٢٩٤ ، وذكره السيوطي في الدر
١/ ١٠٢ ، وعزه إلى ابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وابن الأنباري .

متعدياً ، فقال : لأنه أبلِس من رحمة الله ، أي أُويس^(١) ، فحصل من هذا أنه عربي مشتق ، وأن الإبلّاس واقع ومطّوع^(٢) .

قال أبو بكر بن الأنباري : لا يجوز أن يكون مشتقاً من (أبلِس) ، لأنه لو كان كذلك لجري ، [ألا ترى أن (إسحاق) إذا كان عربياً مأخوذاً من أسحقه الله إسحاقاً يجري ، فيقال : قام إسحاق ، ورأيت إسحاقاً^(٣) ؟ فلو كان إبليس من (أبلِس) أو (أبلِس) جرى]^(٤) كما يجري إكليل وبابه ، وترك تنوينه في القرآن يدل على أنه أعجمي معرفة ، والأعجمي لا يعرف له اشتقاق^(٥) .

وقال محمد بن جرير : إنما منع صرفه ، وإن^(٦) كان عربياً ، استثقالاً ؛ لأنه لما قلّ نظيره في كلام العرب شبهوه بالأسماء الأعجمية كإسحاق لم يصرف ، وهو من أسحقه الله ، و(أيوب) من : (آب يؤوب)^(٧) ، نظيره قيوم ، من قام يقوم .

(١) ذكره الأزهري في تهذيب اللغة (بلِس) ٣٨٤ / ١ ، والثعلبي في تفسيره ٦٣ / ١ ب ، وانظر : العين ٢٦٢ / ٧ ، ولم أجده منسوباً إلى ليث .

(٢) (الواو) ساقطة من (ب) .

اختلف الذين قالوا : إنه مشتق . هل هو مشتق من (أبلِس) إذا انقطع ولم تكن له حجة ، أو من الإبلّاس وهو اليأس ، وذكر هذا الرازي في كتاب الزينة ١٩٢ / ١ ، ١٩٣ .

(٣) انظر : المقتضب ٣٢٦ / ٣ .

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (ب) .

(٥) هذا الكلام بمعناه في الأضداد لابن الأنباري ٣٣٦ ، وينحوه قال أبو عبيدة في المجاز ٣٨ / ١ ، والزجاج في المعاني ٨٢ / ١ ، والثعلبي ٦٣ / ١ ب . وذكر هذا القول مكي في المشكل ٣٧ / ١ ، وابن عطية ٢٤٦ / ١ ، وابن الأنباري أبو البركات في البيان ، ورجحه ٧٤ / ١ ، وعلى أن مكياً وغيره ذكروا عن أبي عبيدة أنه قال : إنه مشتق ، وهذا خلاف قوله في المجاز .

وقد أجاب الذين قالوا : إنه مشتق بأنه منع من الصرف لأنه أشبه الأسماء الأعجمية لعدم نظيره في الأسماء العربية كما سيأتي في كلام ابن جرير ، انظر : البحر ١٥١ / ١ ، والدر المصون ٢٧٦ / ١ .

(٦) في (ب) : (فان) .

(٧) انتهى كلام ابن جرير بمعناه ، ٢٢٨ / ١ ، وانظر : تفسير ابن عطية ٢٤٦ / ١ .

وهذا الذي قال^(١) ابن جرير: يبطل بباب (إفعليل) فإنه مصروف كله إلا إبليس^(٢). وأما^(٣) أيوب وإسحاق، فمن لم يصرفهما لم^(٤) يجعلهما مشتقين^(٥).

والاختيار في هذا الحرف أنه غير مشتق، لإجماع النحويين على أنه منع الصرف للعجمة والمعرفة، فلو جعلناه مشتقاً بطلت العجمة ووجب صرفه^(٦).

واختلفوا في إبليس. هل هو مستثنى من الملائكة أو^(٧) لا؟ فروى مجاهد وطاوس عن ابن عباس، قال: كان إبليس قبل أن يركب المعصية ملكاً من الملائكة، اسمه (عزازيل)، وكان من سكان الأرض وعمارها، وكان سكان الأرض من الملائكة يسمون: (الجن)، ولم يكن من الملائكة أشد اجتهاداً ولا أكثر علماً منه. فلما تكبر على الله - عز وجل - وأبى السجود لآدم وعصاه، لعنه وجعله شيطاناً مريداً، وسماه: إبليس^(٨).

(١) في (ب): (قاله)، وهو أصوب.

(٢) في (ج): (ابلس). انظر: مشکل إعراب القرآن ٣٧/١، والبيان ٧٤/١، والبحر المحيط ١٥١/١، والدر المصون ٢٧٦/١.

(٣) في (ب): (فأما).

(٤) في (ب): (يصرفها لم يجعلها).

(٥) انظر: المقتضب ٣٢٦/٣، وأصول النحو لابن السراج ٩٤/٢.

(٦) بهذا أخذ أبو عبيدة في المجاز ٣٨/١، والزجاج في معاني القرآن ٨٢/١، والثعلبي في تفسيره ٦٣/١، وابن الأنباري في البيان ٧٤/١، والعكبري في الإملاء ٣٠/١، والسمين في الدر المصون ٢٧٦/١. وعلى قول ابن جرير ومن معه لا يلزم صرفه، ولو كان مشتقاً، لأنه لا سمي له فاستثقل.

انظر: تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ٢٣، وتفسير الطبري ٢٢٨/١، وتفسير ابن عطية ٢٤٦/١، وتفسير القرطبي ٢٥١/١.

(٧) في (ب): (أم لا).

(٨) أخرجه الطبري بسنده عن عطاء، عن طاوس، عن ابن عباس، وعن عطاء عن طاوس أو مجاهد أبي الحجاج، عن ابن عباس. تفسير الطبري ٢٢٤/١، وكذلك أخرجه ابن الأنباري بسنده عن طاوس أو عن مجاهد أبي الحجاج، عن ابن عباس. الأضداد ٣٣٤.

وانظر: تفسير ابن أبي حاتم ٨٤/١، وتفسير ابن كثير ٨/١.

وعلى هذا القول أيضاً ابن مسعود، وابن المسيب، وابن جريج، وقتادة، وابن جرير^(١)، وقالوا: إنه استثنى من جنس المستثنى منه، وكان إبليس من جملة الملائكة الذين أمروا بالسجود. وهؤلاء أولوا قوله: ﴿كَانَ مِنَ الْجِنِّ﴾ [الكهف: ٥٠] أي كان من قبيل من الملائكة، يقال لهم: الجن^(٢)، سموا جنّاً لاستتارهم عن الناس. قال الأعشى يذكر سليمان بن داود عليه السلام:

وَسَخَّرَ مِنْ جِنِّ الْمَلَائِكَةِ تِسْعَةً قِيَاماً لَدَيْهِ يَعْمَلُونَ بِلَا أَجْرِ^(٣)
فجعل الملائكة جنّاً^(٤).

(١) انظر: أقوالهم في تفسير الطبري ١/ ٢٢٤.

(٢) ذكره الطبري في تفسيره عن قتادة ١/ ٢٢٥. قال ابن كثير في تفسيره بعد أن نقل الآثار في هذا عند قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ [الكهف: ٥٠].

قال: «وقد روي في هذا آثار كثيرة عن السلف، وغالبها من الإسرائيليات التي تنقل، لينظر فيها، والله أعلم بحال كثير منها، ومنها ما قد يقطع بكذبه لمخالفته للحق الذي بأيدينا، وفي القرآن غنية عن كل ما عدها من الأخبار المتقدمة... إلخ»، انظر: ابن كثير ٣/ ١٠٠.

(٣) ورد البيت في تفسير الطبري ١/ ٢٢٥، والزاهر ٢/ ٣٣٤، والأضداد لابن الأنباري ٣٣٥، والغريب لابن قتيبة ٢١، والزينة ٢/ ١٧٦، ومعرفة اشتقاق أسماء نطق بها القرآن ١/ ١٩٥، واللسان (جنن) ١/ ٧٥١، وتفسير القرطبي ١/ ٢٥١، وخزانة الأدب ٦/ ١٧٦.

(٤) وهذا ما رجحه ابن جرير الطبري في تفسيره، وابن عطية في تفسيره والبغوي في تفسيره، وغيرهم، وهو أن إبليس كان من الملائكة أو من طائفة منهم يقال لهم: الجن.

قال الطبري في تفسيره بعد أن ذكر الأقوال في هذه المسألة: «وهذه علل تنبئ عن ضعف معرفة أهلها، ذلك أنه غير مستكر أن يكون الله -جل ثناؤه- خلق أصناف ملائكته من أصناف من خلقه شتى. فخلق بعضاً من نور، وبعضاً من نار، وبعضاً مما شاء من غير ذلك. وليس في ترك الله -جل ثناؤه- الخبر عما خلق منه ملائكته، وإخباره عما خلق منه إبليس ما يوجب أن يكون إبليس خارجاً عن معناهم...». وقال: «وأما خبر الله عنه أنه (من الجن) فغير مدفوع أن يسمى ما اجتن من الأشياء عن الأبصار كلها جنّاً -كما قد ذكرنا في شعر الأعشى- فيكون إبليس والملائكة منهم، لاجتنائهم عن أبصار بني آدم»، تفسير الطبري ١/ ٢٢٧، وانظر: الأضداد لابن الأنباري ٣٣٤، وتفسير ابن عطية ١/ ٢٤٦، وتفسير البغوي ١/ ٨٢، والبحر ١/ ١٥٣، وتفسير القرطبي ١/ ٢٥١، وفعل هذا القول: الاستثناء متصل.

وقد روى عكرمة عن ابن عباس قال : إنما قيل لإبليس : الجنى ؛ لأنه كان من خزنة الجنة^(١) . وقال الزَّجَّاج وابن الأنباري : معنى قوله : ﴿كَانَ مِنَ الْجِنِّ﴾ ، أي كان^(٢) ضالاً ، كما أن الجن الذين كانوا سكان الأرض قبل الملائكة كانوا ضاللاً ، فلما فعل إبليس مثل فعلهم أدخل في جملتهم ، كما^(٣) قال الله سبحانه : ﴿الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَتُ بَعْضُهُمْ مِّنْ بَعْضٍ﴾^(٤) [التوبة : ٦٧] . فعلى قول هؤلاء هو مستثنى من الملائكة ، وهو استثناء الجنس من الجنس .

وقال عبدالرحمن بن زيد ، وشهر بن حوشب^(٥) : ما كان إبليس من الملائكة قط^(٦) . وروى عوف عن الحسن قال : ما كان إبليس من^(٧) الملائكة قط ، طرفه عين^(٨) .

وهؤلاء قالوا : إنه استثنى من الملائكة ، وليس منهم ؛ لأنه أمر بالسجود كما أمروا ، فخالف وأطاعوا ، فاستثنى من فعلهم^(٩) ، ويجوز أن يكون استثناء

(١) أخرجه الطبري في تفسيره عن ابن جريج عن ابن عباس ، وعن أبي صالح عنه ، وعن الضحاك عنه ، تفسير الطبري ٥٢٥ / ١ .

(٢) في (ب) : (أي صار) .

(٣) (كما) ساقطة من (ب) .

(٤) قول ابن الأنباري في الأضداد ٣٣٧ ، وقد ذكر هذا توجيهاً لمعنى الآية على قول من قال : إن إبليس من الملائكة وكذا الزَّجَّاج في المعاني ٨٢ / ١ ، ويلحظ هنا أن الزَّجَّاج يرجح القول الآخر ، إذ قال لما ذكر القول الثاني : وهذا القول هو الذي نختاره ؛ لأن إبليس كان من الجن كما قال الله عز وجل .

(٥) هو شهر بن حوشب الأشعري الشامي ، مولى أسماء بنت يزيد بن السكن ، روى عن أبي هريرة وعائشة وأم سلمة وأم حبيبة وغيرهم ، اختلف في سنة وفاته ، فقيل : مائة ، وقيل غير ذلك ، انظر : تهذيب التهذيب ١٨٢ / ٢ ، وغاية النهاية ٣٢٩ / ١ .

(٦) أفواهم في تفسير الطبري ٢٢٧ / ١ ، وانظر : تفسير ابن عطية ٢٤٦ / ١ ، وتفسير القرطبي ٢٥١ / ١ ، وتفسير ابن كثير ٨١ / ١ ، والبحر ١٥٣ / ١ .

(٧) (من الملائكة) ساقط من (ج) .

(٨) ذكر في تفسير الطبري ٢٢٧ / ١ ، والأضداد لابن الأنباري ٣٣٧ ، وتفسير ابن عطية ٢٤٦ / ١ ، وتفسير القرطبي ٢٥١ / ١ ، وتفسير ابن كثير ٨١ / ١ ، والبحر ١٥٣ / ١ .

(٩) الأضداد لابن الأنباري ٣٣٧ ، وانظر : معاني القرآن للزَّجَّاج ٨٢ / ١ ، وقد مال إلى نحو هذا ابن كثير في تفسيره ٨١ / ١ .

منقطعاً^(١) كقول^(٢) العرب : ارتحل العسكر إلا الأثقال ، وسار الناس إلا الخيام^(٣) .

وقال سعيد بن المسيب : إن إبليس سبي من الجن حين اقتتلوا^(٤) الملائكة ، وكان صغيراً فنشأ بين الملائكة^(٥) . وهذا اختيار الحسين بن الفضل . وإليه ذهب المعتزلة^(٦) .

وقوله^(٧) تعالى : ﴿ أَيْنِ وَاسْتَكْبَرْ ﴾ . هما بمعنى واحد ، وكرر للتأكيد^(٨) ، وحقيقة الاستكبار : الأنفة مما لا ينبغي أن يؤنف منه^(٩) .

-
- (١) انظر : المشكل لمكي ٣٧ / ١ ، والبيان ٧٤ / ١ ، والبحر ١٥٣ / ١ .
- (٢) في (أ) و(ج) : (لقول) ، وقوله (منقطعاً) ساقط من (ب) .
- (٣) قال ابن الأنباري : « . . . ونصب على الاستثناء وهو من غير جنسهم . كما تقول العرب : سار الناس إلا الأثقال ، وارتحل أهل العسكر إلا الأبنية والخيام » . الأضداد لابن الأنباري ٣٣٧ .
- (٤) هكذا في النسخ جميعها ، وهذا على لغة (أكلوني البراغيث) .
- (٥) أخرج نحوه ابن جرير عن شهر بن حوشب وسعد بن مسعود ، ٢٢٧ / ١ ، وذكره ابن عطية والقرطبي ، وقالوا : حكاه الطبري عن ابن مسعود ، وظاهر كلامهما أنه عبد الله بن مسعود ، ولم يرووه عنه ، وإنما عن سعد بن مسعود ، ولعل القرطبي نقل ذلك عن ابن عطية . انظر : تفسير ابن عطية ٢٤٦ / ١ ، وتفسير القرطبي ٢٥١ / ١ ، وذكره ابن كثير عن سعد بن مسعود ، تفسير ابن كثير ٨١ / ١ ، ولم أجده عن سعيد في ما اطلعت عليه .
- (٦) أي إلى أن إبليس ليس من الملائكة ، انظر : تفسير الرازي ٢١٣ / ١ . قال الزمخشري : إنه كان جنياً واحداً بين أظهر الألو ف من الملائكة مغموراً بهم ، فغلبوا عليه في قوله : (فسجدوا) ، الكشف ٢٧٣ / ١ .
- (٧) في (ب) : (وكان) .
- (٨) (أبى) : امتنع عن السجود ، و(استكبر) : تكبر وتعاضم في نفسه فهو من أفعال القلوب ، والإباء : الامتناع من السجود ، والامتناع نابع من الكبر ، انظر : تفسير ابن عطية ٢٤٨ / ١ ، والبحر ١٥٣ / ١ ، وتفسير أبي السعود ٨٥ / ١ .
- (٩) ذكر الأزهرى عن ابن الأنباري : الاستكبار : الامتناع عن قبول الحق معاندة وتكبراً ، التهذيب (كبر) ٤ / ٣٠٩٠ ، ومفردات الراغب ٤٢١ .

وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾. أي وصار^(١)، كقوله: ﴿وَحَالَ بَيْنَهُمَا أَلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُعْرِقِينَ﴾ [هود: ٤٣]. وقال الأكثرون معناه: وكان في سابق علم الله من الكافرين^(٢). وقيل: كان من الجن الذين كانوا قبله^(٣) على مذهب من جعله منهم^(٤).

فإن قيل: كيف جمع، ولم يكن في ذلك الوقت كافر غير إبليس^(٥)؟ فيقال: إن الله سبحانه علم أنه يكون^(٦) بعد إبليس كافرون، كقول إبراهيم^(٧): ﴿وَأَنَا عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٥٦]، معناه: أنه علم^(٨) أنه سيكون بعده من يشهد

(١) في (ب): (وصار من الكافرين). هذا هو القول الأول أن (كان) بمعنى: صار. انظر: تفسير أبي الليث ١/ ١١٠، وتفسير الثعلبي ١/ ٦٤أ، وتفسير ابن عطية ١/ ٢٤٨، وزاد المسير ١/ ٦٥، وتفسير القرطبي ١/ ٢٥٢، والبحر ١/ ١٥٤، وفي تفسير ابن كثير ١/ ٨١. قال ابن عطية بعد أن ذكر هذا القول: قال ابن فورك: وهذا خطأ ترده الأصول، ونقل هذا القرطبي وابن كثير.

(٢) قول جمهور المفسرين على أن (كان) على بابها، انظر: تفسير أبي الليث ١/ ١١٠، وتفسير الثعلبي ١/ ٦٤أ، وتفسير ابن عطية ١/ ٢٤٨، وتفسير القرطبي ١/ ٢٥٢، وزاد المسير ١/ ٦٥، وتفسير ابن كثير ١/ ٨١، والبحر ١/ ٣٢١. قال ابن جرير: «ومعنى قوله: ﴿وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾: أنه كان حين أبي السجود من الكافرين حينئذ»، تفسير الطبري ١/ ٢٢٨.

(٣) (قبله) ساقطة من (ب).

(٤) انظر: تفسير الثعلبي ١/ ٦٤أ، وتفسير ابن عطية ١/ ٢٤٨، وتفسير القرطبي ١/ ٢٥٢، والبحر ١/ ١٥٤.

(٥) يرد هذا السؤال على قول من قال: إن إبليس أول كافر. ولم يسبقه كفر، أما عند من قال: إنه سبقه كفر وهم الجن سكان الأرض. فلا يرد أصلاً، انظر: تفسير ابن عطية ١/ ٢٤٨، وتفسير القرطبي ١/ ٢٥٥، وتفسير الرازي ٢/ ٢٣٧، والبحر ١/ ١٥٤.

(٦) في (ب): (سيكون).

(٧) في (ب): (إبراهيم عليه السلام).

(٨) في (ب): (عالم).

على قومه بمثل شهادته^(١). وقيل: كان من القوم الذين إذا فعل واحد منهم مثل فعله كان مثله^(٢). وعلى ما قاله سعيد بن المسيب^(٣)، لا يتوجه هذا السؤال.

٣٥. قوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَتَّادِمُ أَسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ﴾ الآية. (اسكن الجنة)^(٤) أي اتخذها مأوى ومنزلاً^(٥)، وليس معناه: استقر في مكانك ولا تتحرك، وهذا اللفظ مشترك، يقال: أسكنه، أي أزال حركته، وأسكنه مكان كذا^(٦)، أي جعله مأوى ومنزلاً له، والأول الأصل، قالوا^(٧): ومنه السكين^(٨)؛ لأنه الآلة التي تسكن حركة الحيوان^(٩).

وقوله: (أنت) تأكيد للضمير الذي في الفعل^(١٠)، وإنما أكد به ليحسن العطف عليه، فإن العرب لا تكاد تعطف إلا على ظاهر، يقولون: اخرج أنت وزيد، ولا يكادون يقولون: اخرج زيد، إلا في الضرورة^(١١)، ومثله قوله: ﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ﴾ [المائدة: ٢٤].

-
- (١) انظر: تفسير الرازي ٢/٢٣٨.
- (٢) ذكره الرازي في تفسيره ٢/٢٣٨.
- (٣) قول سعيد الذي سبق: هو أن إبليس سبي من الجن فنشأ بين الملائكة. فعلى هذا القول يتوجه أنه ليس أول كافر كما سبق.
- (٤) في (ب): (معنى اسكن الجنة).
- (٥) انظر: تفسير ابن عطية ١/٢٤٩، وتفسير القرطبي ١/٢٥٥، والبحر ١/١٥٥.
- (٦) في (أ): (وكذا) وفي (ج)، كتبت ثم شطبت، والصحيح حذفها.
- (٧) (قالوا) ساقط من (ج).
- (٨) في (ب): (التسكين).
- (٩) انظر: التهذيب (سكن) ٢/١٧٢٣، ومقاييس اللغة (سكن) ٣/٨٨، وتفسير القرطبي ١/٢٥٥، والبحر ١/١٥٥.
- (١٠) انظر: إعراب القرآن للنحاس ١/١٦٣، وتفسير ابن عطية ١/٢٤٩، وتفسير القرطبي ١/٢٥٦، والبحر ١/١٥٦.
- (١١) مذهب البصريين أنه لا يجوز العطف إلا في الضرورة، وأجاز الكوفيون ذلك، انظر: الإنصاف ٣٨٠، والبحر ١/١٥٦.

وقوله : ﴿وَزَوْجَكَ﴾ لفظه مذكر ، ومعناه مؤنث ، وذلك أن الإضافة تلزم هذا الاسم في أكثر الكلام ، وكانت مبينة^(١) له ، فكان^(٢) طرح الهاء أخف مع الاستغناء بدلالة الإضافة .

وكان الأصمعي يؤثر ترك^(٣) الهاء في الزوجة ، ويرى أن أكثر كلام العرب عليه . والكسائي على خلاف ذلك^(٤) ، والاختيار ما قاله الأصمعي ؛ لأن القرآن كله عليه^(٥) .

والمراد بقوله : ﴿الْجَنَّةَ﴾ جنة الخلد من قبل أن التعريف فيها بالألف واللام يجعلها كالعلم على جنة الخلد ، فلا يجوز العدول عنها بغير دلالة ، ألا ترى أنك لو قلت : نسأل الله الجنة ، لم يكن ذلك إلا جنة الخلد^(٦) .

(١) في (ج) : (مبينة) .

(٢) في (ب) : (وكان) .

(٣) ترك ساقطة من (ب) .

(٤) في (أ) و(ج) : (ذكر) ، وما في (ب) هو الصحيح . وانظر : اختلافهم في اللسان (زوج) ٣ / ١٨٨٥ ، وفي تفسير القرطبي ١ / ٢٥٧ .

(٥) قال الفراء : «(الزوج) يقع على المرأة والرجل ، هذا قول أهل الحجاز ، قال عز وجل : ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾ [الأحزاب : ٣٧] . وأهل نجد يقولون : (زوجة) ، وهو أكثر من (زوج) ، والأول أفصح عند العلماء » ، المذكر والمؤنث ٩٥ ، وانظر : المذكر والمؤنث لابن الأنباري ٥٠٣ ، وتفسير الطبري ١ / ٢٢٩ . ومما جاء على (زوجة) قول عمار في شأن عائشة : «إني لأعلم أنها زوجته في الدنيا والآخرة» . وانظر : تفسير ابن عطية ١ / ٢٤٩ . وقال القرطبي : «وقد جاء في صحيح مسلم لفظ (زوجة) في حديث أنس وفيه يا فلان هذه زوجتي فلانة» ، تفسير القرطبي ١ / ٢٥٦ .

(٦) وإلى هذا ذهب جمهور المفسرين ، وفيه الرد على من قال : إنها جنة في الدنيا ، وهو قول المعتزلة والقدرية .

انظر : تفسير الثعلبي ١ / ٦٤ ب ، وتفسير ابن عطية ١ / ٢٤٩ ، وتفسير القرطبي ١ / ٢٥٨ ، وتفسير ابن كثير ١ / ٨٤ . قال ابن الجوزي : وقيل : جنة عدن ، زاد المسير ١ / ٦٦ .

وقوله تعالى : ﴿وَكَلَّا مِنْهَا رَعْدًا﴾^(١) . (الرَّغْد) و(الرَّغْد) : سعة المعيشة ، يقال : عيش رَغْدًا ورَغْدًا . ورَغْدَ عيشهم ، أي اتسع^(٢) ، قال^(٣) امرؤ القيس :

بَيْنَمَا الْمَرْءُ تَرَاهُ نَاعِمًا يَأْمَنُ الْأَحْدَاثَ فِي عَيْشٍ رَغْدًا^(٤)

وقال ابن دريد : عيش رَاغِد ورَغْد ورَغِيد ، والرَّغِيدَة : الزبدة ، ويقال : أَرغَد القوم إذا وقعوا في عيش رَغْدًا^(٥) . وقال الليث : (الرغد) : أن يأكل ما شاء إذا شاء حيث شاء^(٦) .

وقوله تعالى : ﴿حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ . (حيث) بني على الضم تشبيهاً بالغاية ، نحو : (قبل) و(بعد) وذلك أنه منع الإضافة إلى الاسم المفرد كما منعت الغاية الإضافية ، فُبني لأجل الشبه على الضم بالغاية^(٧) ، ونذكر الكلام في هذا بأبلغ من هذا الشرح عند قوله : ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفْكَصَ النَّاسُ﴾ .

(١) في (ج) : (فكلا) تصحيف .

(٢) انظر : الصحاح (رغد) ٤٧٥/٢ ، وتهذيب اللغة ١٤٣٣/٢ ، ومقاييس اللغة ١٧/٢ ، وتفسير الطبري ١/٢٣٠ ، واللسان ٣/١٦٨٠ .

(٣) في (ب) : (وقال) .

(٤) ورد البيت منسوباً إلى امرئ القيس في تفسير الطبري ١/٢٣٠ ، وفي الوسيط للمؤلف ١/٨٣ ، وتفسير ابن عطية ١/٢٥١ ، والبحر ١/١٥٥ ، والدر المصون ١/٢٨١ . قال محمود شاكر في حاشية الطبري : لم أجده في ما جمع من شعر امرئ القيس ، وقد بحثت في الديوان فلم أجده .

(٥) الجمهرة ٢/٦٣٣ .

(٦) لم أجده عن الليث ، انظر : العين (رغد) ٤/٣٩٢ ، وتهذيب اللغة (رغد) ٢/١٤٣٣ ، والصحاح (رغد) ٢/٤٧٥ ، واللسان (رغد) ٣/١٦٨٠ .

(٧) وقد ذكر سيبويه فيها وجهاً آخر وهو الفتح ، وقال الكسائي : الضم لغة قيس وكنانة ، والفتح لغة بني تميم ، وقال : وبنو أسد يخفضونها في موضع الخفض ، وينصبونها في موضع النصب ، ويقال : حوث . انظر : الكتاب ٣/٢٨٦ ، وإعراب القرآن للنحاس ١/١٦٣ ، وتهذيب اللغة (حيث) ١/٩٤٩ ، وتفسير ابن عطية ١/٢٥١ . وقد ذكر الواحدي هذه الوجوه عند تفسير قوله تعالى : ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفْكَصَ النَّاسُ﴾ [البقرة : ١٩٩] . كما وعد هنا .

وقوله : ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ . قيل : معناه لا تقرباها بالأكل ؛ لأن آدم عصى بالأكل منها ، لا بأن قربها^(١) . وقيل : إن النهي عن الأكل داخل في قوله : ﴿وَلَا تَقْرَبَا﴾ فهو نهى بأبلغ لفظ يكون^(٢) . وقيل : قرب فلان أهله قرباناً ، أي [غشيها]^(٣) وما قربت هذا الأمر ولا قربته قُرْبَاناً وقُرْباً^(٤) .

و(الشجرة) في اللغة : ما لها ساق يبقى في الشتاء ، و(النجم) : ما ليس على ساق ، ومنه قوله : ﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾^(٥) [الرحمن : ٦] . وسميت شجرة لتشابك أغصانها^(٦) ، وتداخل بعضها في بعض ، والشجرة تعم النخلة والتينة والكرمة وغيرها^(٧) ، واليقطين قد سمي شجراً في قوله : ﴿وَأَبْتَنَّا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّنْ يَّقِطِينَ﴾ [الصافات : ١٤٦] .

قال الحسين بن الفضل : إن آدم نُهي عن أكل الشجرة فعصى بذوقها ، وهو دون الأكل ، فدل على أن الذي نهى عن شرب المسكر يعصي بشرب اليسير منه قدر ما يقع عليه اسم الذوق .

- (١) وهذا قال الزجاج في المعاني ٨٣/١ ، وابن عطية في تفسيره ٢٥٢/١ ، وابن الجوزي في زاد المسير ٦٦/١ ، والقرطبي في تفسيره ٢٦٥/١ .
- (٢) ذكره ابن عطية في تفسيره ٢٥٢/١ ، والقرطبي في تفسيره ٢٦٥/١ ، وبه أخذ أبو حيان في البحر ١٥٨/١ .
- (٣) في (أ) و(ج) : (عشيها) ، وفي (ب) : (ان عشيها) ، والتصحيح من تهذيب اللغة ٣/٢٩١٤ .
- (٤) ذكره الأزهرى في اللبث ، التهذيب (قرب) ٣/٢٩١٤ ، واللسان (قرب) ٦/٣٥٦٦ .
- (٥) قيل : إن المراد بالنجم في الآية نجم السماء ، والأرجح أنه ما لا ساق له من الشجر ، انظر : تفسير الطبري ١١٦/٢٧ ، وتفسير القرطبي ١٧/١٥٤ .
- (٦) في (أ) و(ج) : (أعضائها) ، وما في (ب) هو الصحيح .
- (٧) انظر : تفسير الطبري ١/٢٣١ ، والتهذيب (شجر) ٢/١٨٣٠ ، وتفسير ابن عطية ١/٢٥٢ ، ومفردات الراغب ٢٥٦ ، وتفسير القرطبي ١/٢٦٦ ، وتفسير الرازي ١/٦ .

واختلفوا في الشجرة التي نهي آدم عنها ، فقال ابن عباس ، وعطية ، ووهب ، وقتادة : إنها السنبلة ، قال وهب : وكانت الحبة منها ككلية البقر ، ألين من الزبد ، وأحلى من العسل^(١) . وقال ابن مسعود والسدي : هي الكرم^(٢) . وقال ابن جريج^(٣) : إنها التين^(٤) .

وقال محمد بن^(٥) جرير والحسين بن الفضل : إن الله سبحانه أخبر أنه نهي آدم عن أكل شجرة ما ، ولم ينصب لنا دلالة عليها بعينها ، فنحن نعلم أنه كان منهياً عن أكل شجرة ما ، وليس علينا من الجهل بتفصيله شيء^(٦) . واختلفوا في كيفية أكل آدم من الشجرة . فقال بعضهم : [انهى]^(٧) نهي عن جنس من الشجرة ، ونص له على واحد بعينه ، فتأول أن التحريم في واحدة بعينها فأكل من جنسها^(٨) . وقال

(١) أقوالهم في تفسير الطبري ١/ ٢٣١ ، ٢٣٢ ، وتفسير ابن أبي حاتم ١/ ٨٦ ، وتفسير الثعلبي ١/ ٦٤ ب .

(٢) وروى هذا عن ابن عباس وسعيد بن جرير والشعبي وغيرهم .

انظر : تفسير الطبري ١/ ٢٣٢ ، وتفسير ابن أبي حاتم ١/ ٨٦ ، وتفسير الثعلبي ١/ ٦٤ ب .

(٣) هو عبد الملك بن عبدالعزيز بن جريج ، أحد العلماء المشهورين ، ثقة فقيه فاضل ، وكان يدلّس

ويرسل . توفي سنة تسع وأربعين ومائة ، انظر : تاريخ بغداد ١٠/ ٤٠٠ ، ووفيات الأعيان ٣/ ١٦٣ .

(٤) تفسير الطبري ١/ ٢٣٢ ، وتفسير ابن أبي حاتم ١/ ٨٦ .

وفي اسم الشجرة أقوال كثيرة غير هذه . انظر : تفسير ابن أبي حاتم ١/ ٨٦ ، ٨٧ ، تفسير الثعلبي

١/ ٦٠ ب ، وتفسير ابن عطية ١/ ٢٥٢ ، وزاد المسير ١/ ٦٦ ، والتعريف والإعلام للسهيلى ١٩ ،

وغرر التبيان في مبهمات القرآن ٣٩ ، ورسالة ماجستير ، مفتحات الأقران في مبهمات القرآن للسيوطي

١٢ .

(٥) (محمد) ساقط من (ب) .

(٦) ومما قاله الطبري : « . . . وذلك علم إذا علم لم ينفع العالم به علمه ، وإن جهله جاهل لم يضره جهله

به » ، تفسير الطبري ١/ ٢٣٢ ، وبهذا قال أكثر المفسرين : إن الإطالة في هذا من التكلف الذي لا فائدة

فيه ، ويكفي ما ذكر الله في كتابه : أنه نهي آدم عن أكل الشجرة ، وأن آدم عصي ربه وأكل منها ، ثم

تاب عليه . انظر : تفسير ابن عطية ١/ ٢٥٢ ، وتفسير الرازي ٣/ ٥ ، وتفسير ابن كثير ١/ ٨٤ .

(٧) كذا في النسخ جميعها ، ولعلها (إنه) .

(٨) انظر : تفسير الثعلبي ١/ ٦٤ ب ، وأحكام القرآن لابن العربي ١/ ١٨ ، وتفسير القرطبي ١/ ٢٦٠ ، وزاد المسير

١/ ٦٨ .

بعضهم : إنه نسي الوجوب وحل النهي فيه على التنزيه ، وإن كان فيه ما يدل على أنه للتحريم ، وهو اقترانه بذكر الوعيد في قوله : ﴿ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ ^(١) .

وكان سعيد بن المسيب يحلف بالله ما يستثني ما أكل آدم من الشجرة وهو يعقل ، ولكن حواء سقته الخمر حتى إذا سكر قادته إليها ، فأكل ^(٢) . ورد هذا على سعيد بأن قيل : لو كان الأمر على ما وصف لم يكن عاصياً ، والله تعالى أخبر عنه بالعصيان ^(٣) ، وفي الجملة كان ذلك الأكل معصية من آدم ، ولكنه كان قبل النبوة .

وقوله تعالى : ﴿ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ . قال الفرّاء : إن شئت جعلت (فتكونا) جواباً نصباً ؛ لأنه جواب النهي بالفاء . وإن شئت عطفته على أول الكلام ،

(١) انظر : أحكام القرآن لابن العربي ١/ ١٨ ، وزاد المسير ١/ ٦٨ ، ورجح الرازي أن النهي للتنزيه ، وقال : إن كل مذهب كان أفضى إلى عصمة الأنبياء - عليهم السلام - كان أولى ، وأجاب عن أدلة الذين قالوا : إنه للتحريم ، انظر : تفسير الرازي ٣/ ٥ .

(٢) ذكره الطبري في تفسيره ١/ ٢٣٧ ، والثعلبي في تفسيره ١/ ٦٥ ، وابن العربي في أحكام القرآن ١/ ١٨ ، والقرطبي ١/ ٢٦٠ .

(٣) وقد رده ابن العربي رداً قوياً ، فقال : «أما القول بأن آدم أكلها سكران ففاسد نقلاً وعقلاً : أما النقل : فلأن هذا لم يصح بحال ، وقد نقل عن ابن عباس أن الشجرة التي نهي عنها الكرم ، فكيف ينهي عنها ويوقعه الشيطان فيها ، وقد وصف الله خمر الجنة بأنها لا غول فيها ، فكيف توصف بغير صفتها التي أخبر الله تعالى عنها . وأما العقل : فلأن الأنبياء بعد النبوة منزّهون عما يؤدي إلى الإخلال بالفرائض واقتحام الجرائم » ، أحكام القرآن ١/ ١٩ . وأقول : لا داعي لكل هذه التوجيهات لفعل آدم عليه السلام ، بل الأولى أن نجيب بما قال الله عنه : ﴿ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَّتْ لَهَا سَوْءُ نَفْسٍ وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ﴿١١١﴾ ثُمَّ أَعْنَبَهُ رَبُّهُ فَأَبَى عَلَيْهِ وَهَدَى ﴾ [طه : ١٢١-١٢٢] .

فكان جزماً مثل قول امرئ القيس^(١) :

فَقُلْتُ لَهُ صَوِّبْ وَلَا تُجْهِدَنَّ

فَيَذُرَكَ^(٢) مِنْ أُخْرَى الْقَطَاةِ فَتَزَلِقَ^(٣)

فجزم^(٤) ، ومعناه : كأنه تكرير النهي . ومعنى الفاء والنصب جزاء^(٥) ، أي لا تفعل هذا فيفعل بك ، فلما عطف حرف على غير ما يشاكله ، وكان في أوله حادث لا يصلح في الثاني نصب^(٦) .

(١) كذا منسوباً إلى امرئ القيس في أكثر المصادر ، ونسبه سيبويه إلى (عمرو بن عمار الطائي) ، قال عبد السلام هارون معلقاً على نسبته إلى امرئ القيس : ليس في ديوانه . قلت : هو في ديوانه ١٠٦ .

(٢) في (أ) و(ج) : (فيدرك) بالبدال ، وفي (ب) : (فتدرك) ، وكلاهما تصحيف .

(٣) يروى (فيدنك) ، كذا عند سيبويه . يقول مخاطباً للغلام الذي سبق ذكره في الأبيات قبله : صوب الفرس ولا تجهده ، لا تحمله على العدو فيصرعك ، يقال : أذراه عن فرسه : إذا صرعه وألقاه ، والقطاة من الفرس : موضع الردف . انظر : ديوان امرئ القيس ١٧٤ ، والكتاب ٣/ ١٠١ ، ومعاني القرآن للفرّاء ١/ ٢٦ ، وتفسير الطبري ١/ ٢٣٤ ، واللسان (ذرا) ٣/ ١٤٩١ ، والخزانة ٨/ ٥٢٦ ، والدر المصون ١/ ٢٨٦ ، والبحر ١/ ١٥٩ . والشاهد عند سيبويه : جزم (فيدنك) حملاً على النهي ، ولو أمكنه النصب بالفاء على جواب النهي لجاز .

(٤) (جزم) ساقط من (ج) .

(٥) في المعاني للفرّاء : «ومعنى الجواب والنصب لا تفعل هذا فيفعل بك مجازاة ، فلما عطف حرف ... إلخ» ، ١/ ٢٧ .

(٦) انتهى ما نقله عن الفرّاء ، ويعود للنقل منه بعد كلام الزّجاج ، معاني القرآن ١/ ٢٦ ، ٢٧ ، وما ذكره هو مذهب الكوفيين في الفعل المضارع الواقع بعد الفاء في جواب : الأمر والنهي والنفي والاستفهام والتمني والعرض يُنصب بالخلاف ، أي إن الجواب يخالف لما قبله . انظر : الإنصاف ٢/ ٥٥٧ ، والدر المصون ١/ ٢٨٦ ، ونصر هذا القول الطبري في تفسيره ١/ ٢٣٤ .

وقال الزَّجَّاجُ : إنما نصب بإضمار (أن)^(١) . ومثله^(٢) مما نصب بالفاء قوله : ﴿وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ﴾ [طه: ٨١] وقوله : ﴿لَا تَقْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمُ﴾ [طه: ٦١]^(٣) . وما كان من نهْي^(٤) ففيه الوجهان ، ولا يجوز الرفع إلا أن تريد الاستئناف ولا تجعله جواباً ، كقولك : لا تركبُ إلى فلان فيركبُ إليك ، يريد^(٥) لا تركب إليه فإنه سيركب إليك .

قال الأعشى^(٦) :

أَلَمْ تَسْأَلِ الرَّبَّ الْقَدِيمَ فَيَنْطِقُ
وَهَلْ تُخْبِرُنَا الْيَوْمَ بَيِّدَاءُ سَمَلَقُ^(٧)

- (١) معاني القرآن للزَّجَّاج ٨٣ / ١ ، وقال : نصبه عند سيبويه والخليل بإضمار (أن) . وما ذكر هو مذهب البصريين كما في الإنصاف ٥٥٧ / ٢ ، ٥٥٨ ، وبهذا قال الأخفش في المعاني ٢٢٢ / ١ ، وانظر : الدر المصون ٢٨٦ / ١ ، وقد رد هذا القول الطبري في تفسيره ٢٣٤ / ١ .
 - (٢) هذا عود على كلام الفراء .
 - (٣) والآيتان وردتا ضمن كلام الفراء .
 - (٤) في معاني القرآن للفراء : «وما كان من نفسي ففيه ما في هذا (يريد ما في النهي) ولا يجوز الرفع في أحد الوجهين (النفي والنهي) إلا أن تريد الاستئناف . . . إلخ» ، معاني القرآن للفراء ٢٧ / ١ .
 - (٥) في النسخ جميعها (يريد) ، وبالتالي جاء في معاني القرآن للفراء ٢٧ / ١ .
 - (٦) البيت لجميل بن معمر العذري ، كما في الخزانة ٥٢٦ / ٨ ، وفي ديوانه ١٤٥ ، وكذا نسبه أكثرهم ، ولم أجد من نسبه إلى الأعشى ، ولعله اشتبهه عند الواحدي بقول الأعشى :
وإن امرأ أسرى إليك ودونهُ
مِن الأرض موماةً وبيداء سَمَلَقُ
 - (٧) يروى البيت (القواء) مكان (القديم) ، معنى الربع : الدار بعينها حيثما كانت .
- والقواء : القفر ، وكذا البيداء ، والسملق : الأرض المستوية ، أو الجرداء لا شجر فيها ، يقول : وقد تخيل القواء ناطقا ، ألا تسأله ، ثم نفى ذلك عنه وحقق أنه لا يجب سائله لعدم القاطنين به . ورد البيت في الكتاب ٣٧ / ٣ ، ومعاني القرآن للفراء ٢٧ / ١ ، والجميل للزَّجَّاجي ١٩٤ ، وشرح المفصل ٣٦ / ٧ ، وجمع الهوامع ١٢٢ / ٤ ، ٢٣٥ / ٥ ، وشرح شذرات الذهب ٣٦٧ ، والخزانة ٥٢٤ / ٨ ، ومغني اللبيب ١٦٨ / ١ ، وديوان جميل ٧٠ .

أراد : ألم تسأل الربع ، فإنه يخبرك عن أهله^(١) .

وقوله تعالى : ﴿مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ . يقال : ظَلَمَهُ يَظْلُمُهُ ظُلْمًا ، فالظلم مصدر حقيقي ، والظلم (الاسم) يقوم مقام (المصدر) . ومن أمثال^(٢) العرب : (من أشبه أباه فما ظلم) . قال الأصمعي : أي ما وضع الشبه في غير موضعه^(٣) . وقال أحمد بن يحيى وأبو الهيثم : يقال : ظلمت السَّقاء ، وظلمت اللبن إذا شربته أو سقيته قبل إدراكه وإخراج زبدته^(٤) . وقال ابن السكيت : ظلمت وطبي^(٥) للقوم بهذا المعنى^(٦) . قال أبو عبيد : ويقال لذلك : اللبن المظلوم والظليم^(٧) ، وأنشد
شمر :

وَقَائِلَةٌ ظَلَمْتُ لَكُمْ سِقَائِي

وَهَلْ يَخْفَى عَلَى الْعَكِدِ الظَّلِيمُ^(٨)

(١) معاني القرآن للفرّاء ١/ ٢٧ .

(٢) ذكره الأزهري عن الليث ، تهذيب اللغة ٣/ ٢٢٤٨ ، وانظر : لسان العرب (ظلم) ٥/ ٢٧٥٧ .

(٣) ويجوز أن يكون المعنى : فما ظلم الأب ؛ أي لم يظلم حين وضع زرعه حيث أدى إليه الشبه ، انظر : جمهرة الأمثال للعسكري ٢/ ٢٤٤ ، والوسيط في الأمثال للمؤلف ١٥٥ ، والمستقصى ٢/ ٣٥٢ ، ومجمع الأمثال ٢/ ٣٠٠ ، وتهذيب اللغة (ظلم) ٣/ ٢٢٤٨ ، واللسان (ظلم) ٥/ ٢٧٥٧ .

(٤) في تهذيب اللغة : أخبرني المنذري عن أحمد بن يحيى وعن أبي الهيثم أنها قالا : ثم ذكره ، ٣/ ٢٢٤٩ ، واللسان (ظلم) ٥/ ٢٧٥٨ .

(٥) الوطب : سقاء اللبن . انظر : القاموس (وطب) ١٤٢ .

(٦) انظر : إصلاح المنطق ٣٥٢ ، وتهذيب اللغة (ظلم) ٣/ ٢٢٤٩ ، واللسان (ظلم) ٥/ ٢٧٥٨ .

(٧) في التهذيب : المظلوم والظليمة ٣/ ٢٢٤٩ ، وكذا اللسان (ظلم) ٥/ ٢٧٥٧ .

(٨) البيت غير منسوب في تهذيب اللغة (ظلم) ٣/ ٢٢٤٩ ، وكذا في الصحاح ٥/ ١٩٧٨ ، ومقاييس اللغة ٣/ ٤٦٩ ، واللسان ٥/ ٢٧٥٧ ، وتفسير القرطبي ١/ ٢٦٤ ، والعكد : أصل اللسان .

وقال الفرّاء : ظلم الوادي إذا بلغ الماء منه موضعاً لم يكن ناله في ما خلا ،
وأنشد :

يَكَادُ يَطْلُعُ ظُلْمًا ثُمَّ يَمْنَعُهُ

عَنِ الشَّوَاهِقِ فَالْوَادِي بِهِ شَرْقٌ^(١)

قال : ويقال : هو أظلم من حية ، لأنها تأتي الجحر لم تحفره فتسكنه^(٢) . وقال
ابن السكيت في قول النابغة :

وَالنُّؤْيُ كَالْحَوْضِ بِالْمُظْلُومَةِ الْجَلْدِ^(٣)

(١) البيت في معاني القرآن للفرّاء ١/ ٣٩٧ ، وتهذيب اللغة (ظلم) ٣/ ٢٢٤٩ ، واللسان ٥/ ٢٧٥٨ ،
وغير منسوب .

(٢) معاني القرآن للفرّاء ١/ ٣٩٧ ، وتهذيب اللغة (ظلم) ٣/ ٢٢٤٩ ، وانظر : الصحاح (ظلم)
٥/ ١٩٧٨ ، واللسان (ظلم) ٥/ ٢٧٥٨ .

(٣) عجز بيت للنابغة الذبياني من قصيدة يمدح بها النعمان بن المنذر ، وصدره :
إِلَّا أَوَارِي لَأَيًّا مَا أُبَيِّنُهَا

الأواري : محابس الخيل ، وتروى (الأواري) بالرفع على البدل ، وبالنصب على الاستثناء ، لأياً : بطلاً ،
والمعنى أبينها بعد لأيٍ لتغير معالمها ، والنؤي : حاجز حول الخباء يمنع عنه الماء ، والمظلومة : أرض
حفر فيها الحوض لغير إقامة ، فظلمت لذلك ، والجلد : الصلبة . ورد البيت في الكتاب ٢/ ٣٢١ ،
ومعاني القرآن للفرّاء ١/ ٢٨٨ ، ٤٨٠ ، تفسير الطبري ١/ ٢٣٤ ، والمقتضب ٤/ ٤١٤ ، والتهذيب
(ظلم) ٣/ ٢٢٤٩ ، والجمال للزجاجي ٢٣٦ ، والإنصاف ٢٣٤ ، والأزهية في علم الحروف ٨٠ ،
والهمع ٣/ ٢٥٠ ، ٢٥٥ ، شرح المفصل ٢/ ٨٠ ، والخزانة ٤/ ١٢١ ، والدر المصون ١/ ٢٨٦ ،
وديان النابغة ٩ .

يعني بالمظلومة أرضاً في برية حَوَّضُوا فيها حوضاً سقوا فيه إبلهم ، وليست بموضوع تحويض . قال : وأصل الظلم ، وضع الشيء غير^(١) موضعه ، قال : ومنه قول ابن مقبل :

هُرْتُ الشَّقَاشِقَ ظَلَامُونَ لِلْجُزْرِ^(٢)

وظلم الجزور أنهم نحروها من غير مرض ، فوضعوا النحر في غير موضعه^(٣) . وقول زهير :

... وَيُظْلَمُ أَحْيَانًا فَيَنْظَلُمُ^(٤)

أي يطلب منه في غير موضع الطلب^(٥) .

(١) في تهذيب اللغة (في غير) ٢٢٤٩ / ٣ .

(٢) و صدره :

عَادَ الْأَذَلَّةُ فِي دَارٍ وَكَانَ بِهَا

قوله : هرت الشقاشق ، أي ماهرون في الخطابة والكلام ، تقول العرب للخطيب الجهير الصوت الماهر بالكلام : هو أهرت الشَّقَشَقَة . والشَّقَشَقَة : لحمه كالرئة يخرجها البعير الفحل من فيه عند هياجه . ورد البيت في ديوان ابن مقبل ٨١ ، والتهذيب (ظلم) ٢٢٤٩ / ٣ ، واللسان (هرت) ٤٦٤٧ / ٨ ، و(شقق) ٢٣٠٠ / ٤ ، و(ظلم) ٢٧٥٨ / ١ ، والصحاح (ظلم) ١٩٧٨ / ٣ ، وجمهرة اللغة ١٣٨ / ١ ، ومقاييس اللغة (ظلم) ٤٦٩ / ٣ ، وتفسير القرطبي ٢٦٤ / ١ ، وأما القالي ١٠١ / ٢ .

(٣) انتهى كلام ابن السكيت ملخصاً من تهذيب اللغة (ظلم) ٢٢٤٩ / ٣ ، ولم أجده في إصلاح المنطق .

(٤) جزء من بيت ، و صدره :

هُوَ الْجَوَادُ الَّذِي يُعْطِيكَ نَائِلَهُ عَفْوَاً وَيُظْلَمُ

ويروى : (هذا الجواد) ، (فيظلم) و(فيظلم) . والبيت قاله زهير في مدح هرم بن سنان . ورد في الكتاب ٤ / ٤٦٨ ، وتهذيب اللغة (ظلم) ١ / ٢٢٥٠ ، والصحاح (ظلم) ٥ / ١٩٧٧ ، ومقاييس اللغة (ظلم) ٣ / ٤٦٩ ، واللسان (ظلم) ٥ / ٢٧٥٩ ، وشرح المفصل ١٠ / ٤٧ ، وشرح ديوان زهير ١٥٢ .

(٥) في تهذيب اللغة (ظلم) ١ / ٢٢٥٠ : (وقال الأصمعي في قول زهير ...) .

ومعنى قوله: ﴿فَتَكُونُوا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ ، أي من العصاة الذين وضعوا الأمر في غير موضعه^(١) . والعاصي ظالم لوضعه أمر الله في غير موضعه ، ووضعه المعصية حيث يجب أن يطيع .

وقال بعضهم: معنى^(٢) قوله: ﴿فَتَكُونُوا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ أي^(٣) : الباطسين حقوقكم^(٤) ، والظلم قد يكون بمعنى بخس الحق^(٥) ، قال الله تعالى: ﴿ءَأَنْتَ أَكْلَهَا وَلَمْ تَظْلِمِ مِنْهُ شَيْئًا﴾ [الكهف: ٣٣] ، أي لم تنقص . ومنه يقال: ظلمه حقه ، أي نقصه^(٦) .

وقال الفرّاء في قوله تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾^(٧) أي ما نقصونا شيئاً بما فعلوا ، ولكن نقصوا حظ أنفسهم^(٨) .

٣٦ . وقوله تعالى: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا﴾ . قال أبو علي الفارسي^(٩) : ﴿فَأَزَلَّهُمَا﴾ يحتمل تأويلين: أحدهما: كسبهما الزلة^(١٠) وحملها عليهما . والآخر: أن يكون (أزل) من (زل) الذي يراد به عثر^(١١) .

(١) انظر: تفسير الطبري ٢٣٤ / ١ .

(٢) معنى قوله) ساقط من (ب) .

(٣) في (ب) : (أي من) .

(٤) انظر: تفسير أبي الليث ١١١ / ١ ، وتفسير الثعلبي ٦٤ / ١ ب ، وتفسير البضاوي ٢٢ / ١ ، وتفسير النسفي ٣٨ / ١ .

(٥) (الحق) ساقط من (ب) .

(٦) انظر: التهذيب (ظلم) ٢٢٤٨ / ٣ ، ومعاني القرآن للفرّاء ٣٩٧ / ١ ، واللسان (ظلم) ٢٧٥٧ / ٥ .

(٧) [البقرة: ٥٧] ، [الأعراف: ١٦٠]

(٨) معاني القرآن ٣٩٧ / ١ ، وتهذيب اللغة (ظلم) ٢٢٤٨ / ٣ .

(٩) الحجة ١٧ / ٢ .

(١٠) أي كان سبباً لهما لكسب الخطيئة التي عاقبها الله عليها ، انظر: تفسير الطبري ٢٣٤ / ١ .

(١١) انظر: تهذيب اللغة (زل) ١٥٥٠ / ٢ ، ومعاني القرآن للزجاج ٨٣ / ١ .

فالدلالة^(١) على الوجه الأول ما جاء في التنزيل من تزيينه لهما^(٢) تناول ما حظر عليهما جنسه ، بقوله : ﴿ مَا نَهَكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ ﴾ [الأعراف : ٢٠] الآية . وقد نسب كسب الإنسان الزلة إلى الشيطان^(٣) ، كقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا أَصْرَزَلَهُمُ الشَّيْطَانُ ﴾ [آل عمران : ١٥٥] ، و (استزل) و (أزل) واحد ، كقولهم : استجاب وأجاب ، واستخلف لأهله وأخلف ، فكما^(٤) أن استزلهم من الزلة ، والمعنى فيه كسبهم الزلة ، وكذلك قوله : ﴿ فَأَزَلَهُمَا الشَّيْطَانُ ﴾^(٥) .

وقوله تعالى : ﴿ عَنْهَا ﴾ على هذا التأويل يكون بمعنى (عليها) ، والكناية تعود إلى (الزلة)^(٦) وإن لم يجر لها ذكر ؛ لأن المصدر والاسم يدل عليهما الفعل ، فقوله : (أزلها) يدل على (الزلة) ، فكان معناه حملها^(٧) على الزلة ، ويجوز أن يقع^(٨) (عن) موقع (على) و (على) موقع (عن)^(٩) .

(١) في (ب) : (بالدلالة) .

(٢) في (ب) : (إنها) .

(٣) انظر : تفسير الطبري ١ / ٢٣٤ ، وغريب القرآن لابن قتيبة ٣٧ ، والعمدة في الغريب لمكي ٧٣ ، وفابليس سبب ارتكابها الخطيئة التي عاقبها الله عليها بإخراجها من الجنة ، والله هو خالق الإنسان وخالق فعله .

(٤) في (ب) : (وكما) .

(٥) انتهى ما نقله المؤلف من الحجة عن الوجه الأول ، ويعود مرة أخرى يتقل منه الوجه الثاني ، الحجة ١٨ / ٢ .

(٦) ذكر جمهور المفسرين أن الكناية تعود على واحد من أمور (١) الشجرة ، (٢) الجنة ، (٣) الطاعة ، (٤) الحالة التي هما عليها ، (٥) السوء ، وهو بعيد ، وأقربها : إما للشجرة فتكون (عن) للسبب ، أو للجنة وهذا متعين على قراءة حمزة (أزالها) ، انظر : تفسير الثعلبي ١ / ٤٦ ب ، وتفسير ابن عطية ١ / ٢٥٤ ، والكشاف ١ / ٢٧٣ ، وزاد المسير ١ / ٦٧ ، والبحر ١ / ١٦٢ ، وتفسير ابن كثير ١ / ٨٥ ، والدر المصون ١ / ٢٨٨ .

(٧) في (ب) : (حملها) .

(٨) في (ب) : (تقع) .

(٩) انظر : الأزهية في علم الحروف ٢٧٦ ، ٢٧٩ ، حروف المعاني ٧٩ .

قال ذو الإصبع :

لَا هَ ابْنُ عَمِّكَ ^(١) مَا أَفْضَلْتَ فِي حَسَبِ

عَنِّي وَلَا أَنْتَ دَيَّانِي فَتَخْزُونِي ^(٢)

(عَنِّي) بمعنى (عليّ) . [وقال آخر ، فجعل (عليّ) بمعنى : (عني)] ^(٣) :

إِذَا رَضِيتَ عَلَيَّ بَنُو قُشَيْرٍ

لَعَمْرُ اللَّهِ أَعْجَبَنِي رِضَاهَا ^(٤)

والوجه الآخر ^(٥) : أن يكون (أزلهما) من زلّ عن المكان إذا عثر ولم يثبت عليه ، يقال : زلّت قدمه زللاً وزليلاً ، إذا لم تثبت ^(٦) قال ليبد :

لَوْ يَقُومُ الْفِيلُ أَوْ فَيَالُهُ زَلٌّ عَنْ مِثْلِ مَقَاسِي وَزَحَلٌ ^(٧)

(١) في (أ) و(ج) : (عمتك) .

(٢) لاه : أراد الله ، فحذف لام الجر ولام التعريف ، يقول : لم تفضل عليّ في الحسب ، ولا أنت دَيَّانِي : مالك أمري ، فتخزونني : تقهرني . ورد البيت في المفضليات ١٦٠ ، ١٦٢ ، الخصائص ٢٨٨/٢ ، والأزهية ٢٧٩ ، وحروف المعاني ٧٩ ، ومجالس العلماء للزجاجي ٧١ ، وشرح جل الزجاجي لابن عصفور ١/٤٨٣ ، وأملّي المرتضى ١/٢٥٢ ، والإنصاف ٣٣٥ ، ومغني اللبيب ١/١٤٧ ، والخزانة ٧/١٧٣ ، واللسان (دين) ٣/١٤٦٩ ، و(عنن) ٥/٣١٤٣ ، و(لوه) ٧/٤١٠٧ .

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (ب) ، ومثبت في (أ) و(ج) ، وهو غير مستقيم ، والأولى أن يؤخر قوله : فجعل (عليّ) بمعنى (عني) بعد البيت .

(٤) البيت لُفْحِيفُ الْعُقَيْلِي ، ورد في النواذر ٤٨١ ، والكامل ٢/١٩٠ ، ٣/٩٨ ، والخصائص ٢/٣١١ ، ٣٨٩ ، المخصص ٤/٦٥ ، ١٧/١٦٤ ، والأزهية ٢٧٧ ، والهمع ٤/١٧٦ ، واللسان (رضي) ٣/١٦٦٣ ، والخزانة ١٠/١٣٢ .

(٥) الحجة ٢/١٨ .

(٦) قوله : (ويقال : زلت قدمه . . . ، وبيت ليبد) ليس في الحجة ، انظر : تهذيب اللغة (زل) ٢/١٥٥٠ .

(٧) وقوله : (أو فياله) : هو صاحب الفيل الذي يسوسه ، زحل : زل ، يقول : لو يقوم الفيل أو صاحبه زل عن مكاني ، قيل : هذا البيت مما عيب على ليبد ، لظنه القوة الهائلة في صاحب الفيل ، انظر : ديوان ليبد مع شرحه ١٩٤ .

ويدل على هذا التأويل قوله تعالى : ﴿ فَأَخْرَجَهُمَا ﴾ . فكما أن خروجه عن الموضع الذي كان فيه انتقال منه إلى غيره ، كذلك عثاره فيه وزليله ^(١) .

وقرأ حمزة : (فأزالهما) ^(٢) . وحجته أن قوله : ﴿ أَسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ ﴾ [البقرة: ٣٥] أمر لهما بالثبات ، وتأويله : (اثبتا) فثبتا ، فأزالهما الشيطان ، فقابل الثبات بالزوال الذي هو خلافه . وفي الآية على هذا التقدير إضمار ، كقوله : ﴿ أَنْ أَضْرِبَ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَتَنْفَلَقَ ﴾ [الشعراء: ٦٣] ، أي فضرب فانفلق ، ومثله : ﴿ فَنَ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفَدَيْنَا ﴾ [البقرة: ١٩٦] ، أي فحلق ففدية . ونسب الفعل إلى الشيطان ؛ لأن زوالهما عنها إنما كان بتزيينه وتسويله فلما كان ذلك منه بسبب ، أسند الفعل إليه ، كقوله : ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى ﴾ [الأنفال: ١٧] لما كان الرمي بتقوية الله وإرادته وخلقه نسبه إلى نفسه . ومما يقوي هذه القراءة قوله : ﴿ فَأَخْرَجَهُمَا ﴾ . وأخرجهما في المعنى قريب من (فأزالهما) ^(٣) .

فإن قيل : على هذه القراءة يكون قوله : ﴿ فَأَخْرَجَهُمَا ﴾ تكريراً ^(٤) ؟ قيل : إنه ^(٥) لا يكون تكريراً لا فائدة فيه ، ألا ترى أنه يجوز أن يزيلهما عن مواضعهما ولا يخرجهما مما كانا فيه من الرغد والرفاهية . وإذا كان كذلك لم يكن تكريراً غير مفيد ، على أن التكرير في مثل هذا الموضع لتفخيم القصة ليس بمكروه بل هو مستحب ، كقول القائل : أزلت نعمته وأخرجته من ملكه ، غلظت عقوبته ^(٦) .

(١) الحجة لأبي علي ١٨/٢ .

(٢) السبعة لابن مجاهد ١٥٤ ، والحجة لأبي علي ١٤/٢ ، والنشر ٢/٢١١ ، والبذور الزاهرة ٣٠ .

(٣) في (ب) : (فأزالهما) . الحجة لأبي علي ١٥/٢ ، وانظر : حجة القراءات لابن زنجلة ٩٤ ، والكشف عن وجوه القراءات لمكي ١/٢٣٦ ، والحجة لابن خالويه ٧٤ .

(٤) أورد هذا السؤال والإجابة عنه أبو علي في الحجة ، ونقله الواحدي هنا بنصه ، ومن قال إن فيها تكريراً الطبري في تفسيره ، إذ احتج بذلك على ترجيح قراءة القراء عامة ، تفسير الطبري ١/٢٣٥ .

(٥) في (ب) : (لأنه) .

(٦) الحجة لأبي علي ١٦/٢ .

وقوله تعالى: ﴿وَمِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ . أي من الطاعة إلى المعصية . وقيل : من الرتبة والمنزلة^(١) . وقيل : من الرفاهية ولين العيش^(٢) .

واختلفوا في كيفية وسوسة إبليس ووصوله^(٣) إلى آدم : فقال الأكثرون ومنهم ابن عباس ووهب : إن الحية أدخلت إبليس الجنة^(٤) حتى قال لآدم : ﴿هَلْ أَذُكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٌ لَّيَلَى﴾ [طه: ١٢٠] فأبى أن يقبل منه ، فقاسمهما بالله إنه لهما لمن الناصحين ، فاغترأ^(٥) وما كانا يظنان أن أحداً يحلف بالله كاذباً ، فبادرت حواء إلى أكل الشجرة ثم ناولت آدم حتى أكلها^(٦) . وقال الحسن : إنها رآهما على باب الجنة لأنها كان يخرجان من الجنة^(٧) .

(١) انظر : تفسير ابن عطية ٢٥٦/١ ، وتفسير القرطبي ٢٦٦/١ .

(٢) انظر : تفسير الطبري ٢٣٩/١ ، وتفسير أبي الليث ١١١/١ ، وتفسير ابن عطية ٢٥٦/١ ، وتفسير البغوي ٨٣/١ ، وتفسير ابن كثير ٨٥/١ ، ويمكن حمل الآية على القولين الأخيرين .

(٣) الواو ساقطة من (ب) .

(٤) في (ب) : (إلى الجنة) .

(٥) في (ب) و(ج) : (فاغترأوا) .

(٦) هذا لفظ رواية ابن عباس ، وبمعناه رواية وهب ، وقد أخرجهما الطبري ، ٢٤٠/١ ، وذكر رواية ابن عباس : الليث في تفسيره ١١١/١ ، وانظر : تفسير الثعلبي ٦٥/١ ، وتفسير البغوي ٨٣/١ ، وتفسير ابن عطية ٢٥٦/١ ، وتفسير القرطبي ٢٦٦/١ .

(٧) ذكره البغوي في تفسيره ٦٣/١ ، وابن الجوزي في زاد المسير ٦٧/١ . وهناك قول ثالث : أنه دخل الجنة في صورة حية ، وهذا يرجع لأصول القول الأول ، وقول رابع ذكره ابن جرير الطبري عن ابن إسحاق وهو : أنه وصل إليها بطرق الوسوسة ، وأنه يخلص إلى ابن آدم في حال نومه ويقظته ، ويدعوه إلى المعصية ، ويوقع في نفسه الشهوة ، وأيد قوله بها ورد عن النبي ﷺ أنه قال : «إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم» . كذا ذكر الطبري عن ابن إسحاق ، ثم رد قوله ورجح أن الشيطان كلم آدم مشافهة لا وسوسة كما قال : ﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَئِنِ التَّصَيَّيْتُ﴾ [الأعراف: ٢١] ، ثم قال : «فالقول في ذلك أنه وصل إلى خطأهما على ما أخبر الله جل ثناؤه ، ويمكن أن يكون وصل على ذلك بنحو الذي قاله المتأولون بل ذلك إن شاء الله كذلك ، لتتابع أقوال أهل التأويل على تصحيح ذلك» . تفسير الطبري ٢٤٠/١ . قال ابن عطية ، ٢٥٦/١ : القول : أنه اغواهما مشافهة قول جمهور العلماء ، ومثله قال القرطبي ٢٦٦/١ .

وقوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا أَهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ . (الهبوط) : النزول من علو إلى سفلى ، وهو ضد الصعود^(١) ، وهو خطاب لآدم ، وحواء ، والحية ، وإبليس^(٢) على قول من يقول : إن إبليس أدخلته الحية الجنة^(٣) .

وقال أبو إسحاق : كان إبليس أهبط أولاً ، لأنه قال : ﴿فَأَخْرِجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾ [الحجر: ٣٤] وأهبط آدم وحواء بعد ذلك ، فجمع الخبر للنبي - عليه [الصلاة]^(٤) والسلام - لأنهم اجتمعوا في الهبوط وإن اختلف بهم الوقت^(٥) .

وقال ابن الأنباري : مذهب الفراء أن ﴿أَهْبِطُوا﴾ خطاب لآدم وحواء وذريتهما ؛ لأن الأب يدل على الذرية إذ كانوا منه^(٦) .

وإذا نظرنا إلى حال الروايات في كيفية دخول إبليس الجنة وقصة الحية مع إبليس وجدناها أخباراً إسرائيلية ، كما قال ذلك ابن كثير في تفسيره ٨٥ / ١ ، وقال (الرازي) بعد ذكره للقول الأول : واعلم أن هذا وأمثاله مما يجب ألا يلتفت إليه . الرازي ، ١٥ / ٣ ، وقلت : الله - سبحانه - تعالى أخبرنا أن إبليس أزل آدم ، وكان سبباً في إخراجه من الجنة كما قال : ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ . فكيف حصل ذلك ؟ هل بالمشافهة ، وما طريق المشافهة ، أو بالوسوسة ؟ كل هذا من علم الغيب الذي لا يثبت إلا بالخبر عن الله سبحانه ، أو رسوله ، ولا خبر في ذلك يعتمد عليه ، ولا ينبغي على العلم به كبير فائدة فلا داعي للانشغال بمثله .

(١) انظر : تهذيب اللغة (هبط) ٢٧٠٦ / ٤ ، وتفسير ابن عطية ٢٥٧ / ١ ، وتفسير القرطبي ٢٧٢ / ١ ، وزاد المسير ٦٨ / ١ .

(٢) أخرجه ابن جرير عن ابن عباس وأبي صالح ، والسدي ، ومجاهد ، انظر : تفسير الطبري ٢٤٠ / ١ ، وتفسير ابن أبي حاتم من طريق السدي عن ابن عباس ٨٨ / ١ ، ٨٩ ، وذكره أبو الليث في تفسيره ١١٢ / ١ ، والثعلبي في تفسيره ١٦١ / ١ ، وابن عطية عن السدي ٢٥٧ / ١ ، وانظر : التعريف والإعلام للسهيلى ١٩ ، وغرر التبيان ٢٠١ ، وزاد المسير ٦٨ / ١ .

(٣) وهي روايات إسرائيلية كما قال ابن كثير في تفسيره ٨٥ / ١ ، وانظر : ما سبق .

(٤) (الصلاة) : ساقط من النسخ جميعها .

(٥) معاني القرآن للزجاج ٤٨ .

(٦) معاني القرآن للفراء : «قوله : ﴿وَقُلْنَا أَهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ فإنه خاطب آدم وامرأته ، ويقال أيضاً : آدم وإبليس ، وقال : (اهبطوا) يعنيه ويعني ذريته فكانه خاطبهم» ، ٣١ / ١ .

وقيل : إنه خطاب لآدم وحواء . والعرب تخاطب الاثنين بالجمع ؛ لأن التشنية أول الجمع ، ومثله من التنزيل قوله : ﴿ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴾ [الأنبياء: ٧٨] يريد حكم داود وسليمان ، وقوله : ﴿ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ ﴾ [النساء: ١١] أراد أخوين^(١) . وقوله تعالى : ﴿ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ﴾ . بعض الشيء طائفة منه^(٢) .

وأنكر الأصمعي وأبو حاتم إدخال (الألف واللام) في بعض وكل ، وقالوا : إنها معرفتان بغير الألف واللام ، [والعرب لا تدخل فيهما الألف واللام]^(٣) ، قال الله تعالى : ﴿ وَكُلُّ أُنْتَوْهُ دَخِيرِينَ ﴾ [النمل: ٨٧]^(٤) .

والنحويون مجمعون على جواز إدخال الألف واللام عليهما^(٥) . وسنذكر ما قيل في (بعض) عند قوله : ﴿ يُصِيبُكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ ﴾ [غافر: ٢٨] إن شاء الله .

و(العدو) اسم جامع للواحد والجميع وللذكر والأنثى ، إذا جعلته في مذهب الاسم والمصدر ، فإن جعلته نعتاً محضاً ثبتت وجمعت وأثنت^(٦) . ومنه قول عمر لنساء النبي ﷺ : (أي عدوات أنفسهن)^(٧) .

(١) ذكر قول ابن الأنباري ابن الجوزي في زاد المسير ٦٨/١ .

(٢) انظر : تهذيب اللغة (بعض) ٣٥٩/١ ، واللسان (بعض) ٣١٢/١ .

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (ب) .

(٤) انظر : كلام الأصمعي وأبي حاتم في تهذيب اللغة ، وقال أبو حاتم : ولا تقول العرب : (الكل ولا البعض) ، وقد استعمله الناس حتى سيبويه والأخفش في كتبهما لقلة علمهما بهذا النحو ، فاجتنب ذلك فإنه ليس من كلام العرب التهذيب (بعض) ٤٩١/١ ، واللسان (بعض) ١١٩/٧ .

(٥) ورد في اللسان بعد كلام أبي حاتم منسوباً إلى الأزهري ، ولم أجده في تهذيب اللغة ، ولعله سقط من المطبوع ، وفي اللسان عن ابن سيده : (استعمل الزجاجي بعضاً بالألف واللام) ، اللسان (بعض) ٣١٢/١ .

(٦) في التهذيب : «وقال أبو عمر : ... و(العداوة) اسم عام من (العدو) يقال : عدو بين العداوة وهو عدو ، وهما عدو ، وهن عدو ، وهذا إذا جعلته في مذهب الاسم والمصدر . فإذا جعلته نعتاً محضاً قلت : «هو عدوك ، وهي عدوتك ، وهم أعداؤك ، وهن عدواتك» . تهذيب اللغة (عدا) ٢٣٤٧/٣ .

(٧) قطعة من حديث طويل في قصة دخول عمر على رسول الله ﷺ وعنده نساء من قريش ، وفيه : «أي =

قال المفسرون : وأراد بهذه العداوة التي بين آدم وحواء والحية ، وبين ذرية آدم من المؤمنين وبين إبليس ، فإبليس عدو المؤمنين من ولد آدم ، وعداوته لهم كفر ، والمؤمنون^(١) أعداء إبليس ، وعداوتهم له إيمان^(٢) .

وروى سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، عن النبي ﷺ أنه^(٣) سئل عن قتل الحيات ، فقال : « خلقتهن »^(٤) والإنسان كل واحد منهما عدو لصاحبه ، إن رآها أفزعته ، وإن لدغته أوجعته ، فاقتلها حيث وجدتها »^(٥) .

- =
- عدوات أنفسهن ، أمهني ولا تمين رسول الله ﷺ ؟ » . أخرجه البخاري عن سعد بن أبي وقاص ، ٣٢٩٤ ، وكتاب : بدء الخلق ، باب : صفة إبليس وجنوده ، وفي ٣٦٨٣ ، وكتاب : فضائل الصحابة ، باب : مناقب عمر ، وفي ٦٠٨٥ ، وكتاب : الأدب ، باب : (التبسم والضحك) ، ومسلم ، ٢٣٨٩ ، وكتاب : (الفضائل) ، باب : (فضائل عمر) ، شرح النووي ، وأحمد في المسند ١ / ١٨٢ .
- (١) في (أ) و(ج) : (المؤمنين) ، وأثبت ما في (ب) ؛ لأنه هو الصواب .
- (٢) معاني القرآن للزجاج ١ / ٨٤ ، وانظر : تفسير الطبري ١ / ٢٣٥ .
- (٣) (أنه) ساقط من (ب) .
- (٤) في (ب) : (خلقت هي والإنسان) ، وهذا يوافق ما في الطبري ، ومجمع الزوائد كما سيأتي . وهو الصواب .
- (٥) أخرجه الطبري بسنده في تفسيره ١ / ٥٣٨ ، وهو في مجمع الزوائد ، ولفظه : « خلقت هي والإنسان سواء فإن رآته أفزعته . . . » . الحديث بمثل رواية الطبري قال الهيثمي : رواه الطبراني في الأوسط ، وفيه (جابر) غير مسمى ، والظاهر أنه الجعفي ، وثقه الثوري وشعبة ، وضعفه الأئمة أحمد وغيره ، ٤ / ٤٥ ، و(جابر) من رجال الطبري كذلك ، وذكر الحديث السيوطي في الدر ، وعزاه إلى الطبري في تفسيره ١ / ١٠٨ .

وروى ابن عجلان عن أبيه ، عن أبي هريرة ، عن رسول الله ﷺ أنه قال :
« ما سالمناهن ^(١) منذ حاربناهن ، فمن ترك شيئاً منهن خيفةً فليس منا » ^(٢) وأراد
النبي ﷺ بالمحاربة قصة آدم وإدخالها إبليس الجنة ^(٣) .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ ﴾ . موضع قرار أحياء وأمواتاً ^(٤) .
(ومتاع) ، المتاع : ما تمتعت به ، أي شيء كان ، فكل ما حصل التمتع به فهو متاع

(١) (هن) ساقطة من (ب) .

(٢) أخرجه الطبري بسنده ، قال شاكر : «إسناده جيد والحديث مروي بأسانيد آخر صحاح» ، تفسير الطبري ٥٣٧/١ ، وأخرجه أبو داود ٥٢٤٨ ، وكتاب : الأدب ، باب : في قتل الحيات عن أبي هريرة ، وأخرج نحوه عن ابن مسعود ٥٢٤٩ وابن عباس ، سنن أبي داود ، معه معالم السنن ٥٢٥٠ ، وأخرجه أحمد في مسنده ٢٤٧/٢ ، ٤٣٢ ، ٥٢٠ ، وأخرجه نحوه عن ابن عباس ٣٢٠/١ ، وقد حكم شاكر على أسانيد أبي داود وأحمد بأنها صحيحة كما في تحقيقه على الطبري .

(٣) قال الطبري : «وأحسب أن الحرب التي بيننا ، كان أصله ما ذكره علماءنا الذين قدمنا الرواية عنهم ، في إدخالها إبليس الجنة» ، ٢٤٠/١ ، ٢٤١ . قال العظيم آبادي شارح سنن أبي داود : «(منذ حاربناهن) أي منذ وقع بيننا وبينهن الحرب ، فإن المحاربة والمعاداة بين الحية والإنسان جبلية ؛ لأن كلا منهما مجبول على طلب قتل الآخر ، وقيل : أراد العداوة التي بينها وبين آدم - عليه السلام - على ما يقال : إن إبليس قصد دخول الجنة فمنعت الخزنة فأدخلته الحية في فيها . . . » . عون المعبود ١٤/١٠٩ ، وفي هامش سنن أبي داود ، قال يحيى بن أيوب : سئل أحمد بن صالح عن تفسير قوله : (ما سالمناهن منذ حاربناهن) متى كانت العداوة ؟ قال : حين أخرج آدم من الجنة ، قال الله : ﴿ أَهْبَطْنَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ﴾ [طه : ١٢٣] ، قال هم قالوا : آدم وحواء ، وإبليس والحية ، قال : والذي صح : أنهم الثلاثة فقط ، بإسقاط الحية ، سنن أبي داود ، معه معالم السنن ، ٥/٤١٠ .

(٤) انظر : تفسير الطبري ٢٤١/١ ، وتفسير ابن عطية ٥٨/١ .

من زينة أو لذة أو عمر أو مال^(١). ومعنى التمتع : التلذذ^(٢)، والمتعة أيضاً من^(٣) المتاع، وجمعها مُتَع^(٤).

قال الأعشى :

حَتَّى إِذَا ذَرَقَرْنُ الشَّمْسِ صَبَّحَهَا زَوَالُ نَبْهَانَ يَبْغِي أَهْلَهُ مُتَعًا^(٥)
أَي يَبْغِيهِمْ صَيْدًا يَتَمَتَّعُونَ بِهِ ، وَيَأْتِي الْكَلَامُ فِي مَتْعَةِ الْمَطْلُوقَةِ^(٦) وَمَتْعَةِ الْحِجِّ^(٧)
مُسْتَقْصَى إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

قال المفسرون : قلنا^(٨) : في الأرض متاع من حيث الاستقرار عليها ، والاعتناء بما تنبتها^(٩) من الثمار والأقوات^(١٠).

-
- (١) انظر : تفسير الطبري ٢٤٢ / ١ ، وتفسير ابن عطية ٢٥٨ / ١ .
- (٢) قال ابن فارس : (الميم والتاء والعين) أصل صحيح يدل على منفعة وامتداد مدة في خير . . . وذهب من أهل التحقيق بعضهم إلى أن الأصل في الباب (التلذذ) . . . وذهب منهم آخر إلى أن الأصل الامتداد والارتفاع . . . معجم مقاييس اللغة (متع) ٢ / ٢٩٣ ، ٢٩٤ .
- (٣) في (ب) : (مثل) .
- (٤) قال الليث : ومنهم من يقول : متعة ، وجمعها (متع) ، تهذيب اللغة (متع) ٤ / ٣٣٣٧ .
- (٥) البيت للأعشى يصف صائداً ، ويروى (ذوال) و(من آل) و(ذوال) بدل (زوال) ، وفي النسخ جميعها (زوال) ، ولعلها تصحيف ، ويروى (صحابه) بدل (أهله) . وهوله : ذر قرن الشمس : أول ما يشرق منها ، وذوال : ذأل : أسرع ومشى في خفة ، والذوال : الصائد ، متعاً : جمع متعة يعني يطلب لهم زاداً وطعاماً ، ورد البيت في تهذيب اللغة (متع) ٤ / ٣٣٣٧ ، واللسان (متع) ٧ / ٤١٢٩ ، وديوان الأعشى ١٠٨ .
- (٦) عند قوله تعالى : ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتَّعُوهُنَّ﴾ [البقرة: ٢٣٦] .
- (٧) عند قوله تعالى : ﴿فَإِذَا أَمِنْتُمْ مِنَْ الْعَمَةِ إِلَى الْخَبْجِ﴾ [البقرة: ١٩٦] .
- (٨) كذا في النسخ جميعها ، وفي الوسيط : (فلنا) بالفاء ١ / ٨٦ ، وهذا أولى .
- (٩) في (ج) : (ينبتها) .
- (١٠) انظر : تفسير الطبري ٢٤٢ / ١ .

وقوله تعالى: ﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾. (الحين) وقت من الزمان، يصلح للأوقات كلها طالت أو قصرت^(١)، ويجمع على (الأحيان) ثم يجمع (الأحيان) أحيان^(٢).

قال الليث: وَحِينَتَ الشيء، جعلت له حيناً^(٣). والمراد بالحين هاهنا في ما ذكره أهل التفسير: (حين الموت)^(٤). وقيل: إلى قيام الساعة^(٥). وإنما قال^(٦): (إلى حين) إشارة إلى أن الدنيا دار زوال^(٧).

٣٧. قوله تعالى ﴿فَلَقَّعْ أَأَدُم مِّن رَّبِّهِ كَلِمَتٍ﴾. (التلقي) في اللغة معناه: الاستقبال، [منه الحديث: (أنه نهى عن تلقي الركبان)^(٨) قالوا: معناه: الاستقبال^(٩)].

-
- (١) ذكره الأزهري عن الزَّجَّاج، تهذيب اللغة (حين) ١/ ٧١٤، ومعاني القرآن للزَّجَّاج ١/ ٨٤، واللسان (حين) ٢/ ١٠٧٣.
- (٢) ذكره الأزهري عن الليث، تهذيب اللغة ١/ ٧١٤، وانظر: اللسان (حين) ٢/ ١٠٧٤.
- (٣) المراجع السابقة.
- (٤) ذكره ابن جرير في تفسيره عن ابن عباس والسدي ١/ ٢٤٢، وذكره الثعلبي في تفسيره ١/ ٦٥، وأبو الليث في تفسيره ١/ ١١٢، والزَّجَّاج في المعاني ١/ ٨٤، وابن عطية في تفسيره ١/ ٢٥٩.
- (٥) ذكره ابن جرير في تفسيره عن مجاهد ١/ ٢٤٢، والزَّجَّاج في معاني القرآن ١/ ٨٤، وابن عطية في تفسيره ١/ ٢٥٩.
- (٦) في (ب): (قيل).
- (٧) انظر: تفسير ابن عطية ١/ ٢٥٩، وتفسير القرطبي ١/ ٢٧٥.
- (٨) حديث النهي عن تلقي الركبان، أخرجه البخاري عن أبي هريرة رقم ٢١٥٠، وكتاب: (البيوع)، باب: (النهي للبائع أن لا يخفل الإبل والبقر والغنم . . .). وأخرجه البخاري عن ابن عباس رقم ٢١٥٨، وباب: (هل يبيع حاضر لباد)، وعن أبي هريرة رقم ٢١٦٢، وباب: (النهي عن تلقي الركبان)، وعن ابن عباس، ٢٢٧٤، وكتاب: (الإجارة) باب: (أجر السمسرة)، وأخرجه مسلم عن ابن عباس، ١٥٢١، وكتاب: البيوع، باب: تحريم بيع الحاضر للباد. وأخرجه أحمد في مسنده ١/ ٣٦٨، ٢/ ٤٢، وأخرجه النسائي في كتاب البيوع ٧/ ٢٥٦، ٢٥٧.
- (٩) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) و(ج)، وأثبتته من (ب).

والليث يقول : خرجنا نتلقى الحجيح ، أي نستقبلهم^(١) . وفي حديث آخر : « لا تتلقوا الركبان والأجلاب »^(٢) . وهذا معنى التلقي في اللغة^(٣) ، وأصله أنه (تَفَعَّلَ)^(٤) من اللقاء ، فالتلقي معناه : التعرض للقاء الشيء ، ولما كان الاستقبال للشيء تعرضاً للقاءه ، قيل له : (تلقَّ)^(٥) .

ويقال لَفَيْتُهُ الشيء فَتَلَقَّيْ ، أي عَرَضْتُهُ لَأَن يراه فتعرض له ، فَلَقَيْتُهُ من (لقى) مثل : رَأَيْتُهُ من (يرى) ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا ﴾ [فصلت : ٣٥] ، ثم صار التلقي بمعنى الأخذ ؛ لأن الإنسان إنما يستقبل ما يحرص عليه ، فكل كلام استقبلته فأنت تريد أخذه ، وإلا أعرضت عنه^(٦) . وجميع أهل اللغة والمعاني فسروا (التلقي) هاهنا بالأخذ والقبول^(٧) ، ومنه الحديث : « أن

- (١) في (أ) : (يستقبلهم) ، وما في (ب) و(ج) أصح . والكلام لم أجده منسوباً إلى ليث ، انظر : تهذيب اللغة (لقي) ٤ / ٣٢٩١ ، والعين (لقو) ٥ / ٢١٢ ، و(لقي) ٥ / ٢١٥ ، واللسان (لقا) ٧ / ٤٠٦٧ .
- (٢) ذكره الأزهري في تهذيب اللغة بسنده ، تهذيب اللغة (لقي) ٤ / ٣٢٩١ ، وسبق تخريج حديث النهي عن تلقي الركبان . وأخرج مسلم عن أبي هريرة : « أنه نهى أن يتلقى الجلب » . رقم ١٥١٩ ، وكتاب : البيوع ، باب : تحريم تلقي الجلب . وأخرجه النسائي في كتاب البيوع ٧ / ٢٥٧ ، وأخرجه أبو داود رقم ٣٤٣٧ ، و(البيوع) ، باب : (التلقي) . وأخرجه الدارمي ، (البيوع) ٣ / ١٦٧١ ، ٢٦٠٨ . وأخرجه أحمد في المسند بلفظ (الأجلاب) ٢ / ٢٨٤ ، ٤١٠ . وأخرجه ابن ماجه في (البيوع) ، رقم ٢١٧٨ ، وباب : النهي عن تلقي الجلب .
- (٣) انظر : تهذيب اللغة (لقي) ٤ / ٣٢٩١ ، والصحاح (لقي) ٦ / ٢٤٨٤ ، واللسان (لقا) ٧ / ٤٠٦٦ .
- (٤) في (أ) و(ج) : (يفعل) .
- (٥) انظر : تفسير الطبري ١ / ٢٤٢ ، ٢٤٣ .
- (٦) (عنه) ساقطة من (ب) .
- (٧) انظر : تهذيب اللغة (لقي) ٤ / ٣٢٩١ ، وتفسير الطبري ١ / ٢٤٢ ، ٢٤٣ ، تفسير أبي الليث ١ / ١١٢ ، وغريب القرآن لابن قتيبة ١ / ٣٨ ، وتفسير ابن عطية ١ / ٢٦٠ . ومنهم من فسر تلقي آدم للكلمات : بأنه تعلمها ودعا بها ، انظر : معاني القرآن للزجاج ١ / ٨٥ ، وتهذيب اللغة ٤ / ٣٢٩١ .

رسول الله ﷺ كان يتلقى الوحي من جبريل^(١) أي يتقبله ويأخذه^(٢). قال الأصمعي: تلقت الرحم ماء الفحل، إذا قبلته وارْتَجَتْ عليه^(٣).

فمعنى قوله تعالى ﴿فَلَقَّيْنَاهُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَتٍ﴾، أي أخذها عنه وتلقنها^(٤). والرجل يُلقَى الكلام فيتلقاه، أي يُلقَنه فيتلقَّنه^(٥).

وبعض الناس يقولون: تلقى هاهنا: تلقن، فجعل النون (ياء)، كما قالوا: تَطَنَّى من الظن^(٦)، وذلك غلط؛ لأن النون إنما يجوز إبدالها بالياء إذا اجتمع نونان، وكذلك هذا الباب إذا اجتمع حرفان من جنس واحد جاز إبدال الثاني بالياء. كقول العجاج:

تَقْضِي الْبَازِي إِذَا^(٧) الْبَازِي كَسَرَ^(٨)

(١) بهذا النص ذكره ابن قتيبة في غريب القرآن ٣٨/١. وبهذا المعنى أخرج أحمد في مسنده بسنده عن ابن عباس: أن أبياً قال لعمر: يا أمير المؤمنين، إني تلقيت القرآن ممن تلقاه، وقال عفان: ممن يتلقاه من جبريل - عليه السلام - وهو رطب، المسند ١١٧/٥، وعفان أحد رواة الحديث والأحاديث بمعناه في البخاري رقم ٥٠٤٤، وكتاب: فضائل القرآن، باب: الترتيل في القراءة، ونحوه في مسلم رقم ٤٤٨، وكتاب: الصلاة، باب: الاستماع للقراءة.

(٢) غريب القرآن لابن قتيبة ٣٨/١.

(٣) تهذيب اللغة (لقي) ٣٢٩١/٤، واللسان (لقا) ٤٠٦٦/٧.

(٤) انظر: تفسير الطبري ٢٤٢/١، ٢٤٣، غريب القرآن لابن قتيبة ٣٨/١، وتفسير ابن عطية ٢٦٠/١، وتهذيب اللغة (لقي) ٣٢٩١/٤.

(٥) انظر: تهذيب اللغة (لقي) ٣٢٩١/٤، واللسان (لقا) ٤٠٦٦/٧.

(٦) في تفسير القرطبي: (تظني من تطنن) ٢٧٦/١، وكذا في البحر ١٦٥/١.

(٧) (إذا البازي) ساقط من (ب).

(٨) من أرجوزة يمدح فيها عمر بن عبيد الله بن معمر، يقول: انقض انقضاض البَازِي: ضم جناحيه، فهو في سرعته سرعة انقضاض البَازِي إذا كسر، أي ضم جناحيه، وهذا أسرع ما يكون في انقضاضه، ورد البيت في الخصائص ٩٠/٢، وجمع الهوامع ٣٤٠/٥، واللسان (قضض) ٣٦٦١/٦، والمشوف المعلوم ٦٤٦/٢، وديوان العجاج ٢٨.

بمعنى تقضض ، فأما إذا لم يجتمع^(١) حرفان ، فلا يجوز الإبدال ، لا يجوز أن تقول : تقبى بمعنى تقبل ، وهذا ظاهر^(٢) . وتفسير التلقي^(٣) بالتلقن جائز صحيح^(٤) كما بينا ، فأما أن يكون التلقي من لفظ التلقن فلا . و(الكلمات) : جمع الكلمة ، والكلمة تقع على الكثير والقليل ، وتقع على الحرف الواحد من الهجاء .

قال ابن الأعرابي : يقال : لفلان كلمة شاعرة ، أي قصيدة ، وقالوا^(٥) : قال امرؤ القيس في كلمته ، أي قصيدته ، وقال قس^(٦) في قصيدته ، يعنون خطبته^(٧) . وتجمع (الكلمة) ، (كَلِمًا)^(٨) . قال رؤبة^(٩) :

لَا يَسْمَعُ^(١٠) الرَّكْبُ بِهَا رَجَعَ الْكَلِمَ^(١١)

وتميم تقول : (كَلِمَة) ، وفي الجمع (كَلِم) . وأما استعمال الكلمة في القليل فإن سيبويه [قد أوقعها على الاسم المفرد ، والفعل المفرد ، والحرف المفرد ، فأما

- (١) في (أ) و(ج) : (تجتمع) ، والصحيح بالياء .
- (٢) انظر : تفسير القرطبي ٢٧٦/١ ، والبحر ١٦٥/١ ، والدر المصون ٢٩٥/١ .
- (٣) في (ب) : (الثاني) .
- (٤) (صحيح) ساقط من (ب) .
- (٥) قالوا ساقط من (ب) .
- (٦) هو قس بن ساعدة بن جدامة بن زفر الإيادي ، الخطيب البليغ ، سمع النبي ﷺ حكمته ، ومات قبل البعثة ، انظر : ترجمته في الإصابة ٢٧٩/٣ ، والخزانة ٨٩/٢ .
- (٧) عن الحجة لأبي علي بتصرف ٣١/٢ ، وانظر : تهذيب اللغة (كلم) ٣١٨٠/٤ .
- (٨) في (ب) : (كَلِمًا) . قال الجوهري : «الكلم لا يكون أقل من ثلاث من كلمات ، لأنه جمع كلمة» ، الصحاح (كلم) ٢٠٤٣/٥ .
- (٩) مكان البيت بعد قوله : تميم تقول : (كَلِمَة) ، وفي الجمع (كَلِم) ، لأنه شاهد على هذه اللغة ، انظر : تهذيب اللغة (كلم) ٣١٨٠/٤ ، واللسان (كلم) ٣٩٢٢/٧ .
- (١٠) في (أ) و(ج) : (تسمع) ، وفي (ب) غير منقوط وضبطته كالتهذيب وغيره .
- (١١) ورد البيت في ملحق ديوان رؤبة مع الأبيات المنسوبة إليه ، وليست في ديوانه ١٨٢ ، وفي تهذيب اللغة (هنم) ٣٨٠٧/٤ ، و(كلم) ٣١٨٠/٤ ، وفي اللسان (كلم) ٣٩٢٢/٧ .

الكلام فإن سيبويه^(١) استعمله في ما كان مؤلفاً من هذه الكلم^(٢)، فالحرف الواحد لا يكون كلاماً، ولهذا لا يقطع^(٣) الحرف الواحد الصلاة.

واختلف القراء في هذه الآية، فقرأ ابن كثير (آدم) بالنصب، (كلمات) بالرفع^(٤)، وحجته في ذلك: أن الأفعال المتعدية إلى المفعول به على ثلاثة أضرب، منها: ما يجوز أن يكون الفاعل له مفعولاً به، ويجوز أن يكون المفعول به فاعلاً له^(٥) نحو أَكْرَمَ بَشَرٌ بَكْرًا، وشتم زيد عمرًا، وضرب عبد الله زيدًا.

ومنها: ما لا يكون [فيه]^(٦) المفعول فاعلاً له، نحو: دقت الثوب، وأكلت الخبز. ومنها: ما يكون إسناده إلى الفاعل في المعنى كإسناده إلى المفعول به، [وذلك]^(٧) نحو: أَصَبْتُ^(٨) وَنَلْتُ وَتَلَقَيْتُ، تقول: نالني خير^(٩) ونلت خيراً، وأصابني خير وأصبت خيراً. قال الله تعالى: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٢٤]، وفي قراءة عبد الله^(١٠) ﴿الظَّالِمُونَ﴾^(١١).

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٢) الحجة لأبي علي ٣٢/٢، وانظر: الصحاح (كلم) ٢٠٢٣/٥.

(٣) (لا) ساقطة من (ب).

(٤) قرأ ابن كثير وحده نصب (آدم) ورفع (كلمات)، وبقية العشرة برفع (آدم) ونصب (كلمات)، انظر: السبعة لابن مجاهد ١٥٤، والتبصرة ٢٥٠، والنشر ٢/٢١١، والإقناع لابن الباذش ٢/٥٩٧، والبدور الزاهرة ٣٠.

(٥) في الحجة: «منها ما يجوز فيه أن يكون الفاعل له مفعولاً به، ومنها ما يجوز أن يكون المفعول به فاعلاً له»، ٤٠/٢، وما عند الواحدي هو صحيح.

(٦) (فيه) ساقطة من (ب) و(ج)، وثابت في (أ). الحجة ٤٠/١.

(٧) (وذلك) ساقط من (ب).

(٨) في (ب): (أصب).

(٩) في (ب): (خيراً) في كل المواضع الأربعة بالنصب.

(١٠) ذكر قراءة ابن مسعود الطبري في تفسيره ١/٥٣٢، والفرآء في المعاني ١/٢٨. وانظر: الكشف ٣٠٩/١، والبحر ١/٣٧٧.

(١١) الاستشهاد بهذه القراءة ورد في الحجة في غير هذا الموضوع فنقله الواحدي بين هذه الأمثلة. انظر: الحجة ٤١/٢، ٤٢.

وتقول : لقيت زيدا ، وتلقاني وتلقيته ، قال :

إِذَا أَنْتَ لَمْ تُعْرِضْ عَنِ الْفُحْشِ وَالْخُنَا
أَصَبْتَ حَلِيمًا أَوْ أَصَابَكَ جَاهِلٌ^(١)

قال الله تعالى : ﴿وَقَدْ بَلَغَ الْكِبَرُ﴾^(٢) [آل عمران : ٤٠] ، وقال : ﴿وَقَدْ بَلَغَتْ مِنْ الْكِبَرِ عِتِيًّا﴾ [مریم : ٨] وإذا كانت معاني هذه الأفعال على ما ذكرنا^(٣) ، فنصب ابن كثير (آدم) ورفع (الكلمات) في المعنى^(٤) كقول من رفع (آدم) ونصب (الكلمات)^(٥) ، وحجة من رفع (آدم) ونصب (الكلمات)^(٦) قوله^(٧) : ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ﴾ [النور : ١٥] فأسند الفعل إلى المخاطبين ، والمفعول به كلام يُتَلَقَّى^(٨) ، كما أن الذي تَلَقَّى آدمَ كلامٌ يُتَلَقَّى ، فكما أسند الفعل إلى المخاطبين ، فجعل التلقي لهم ، كذلك يلزم أن يسند الفعل إلى آدم ، فيجعل التلقي له^(٩) دون الكلمات^(١٠) .

(١) البيت ينسب إلى زهير ، وينسب إلى ابنه كعب . كذا قال ابن قتيبة في الشعر والشعراء ٧٧ ، وورد البيت في الحجة ٤١ / ٢ ، والمخصص ١٥ / ١٦١ ، وفي ديوان زهير بن أبي سلمى ورواية : (إذا أنت لم تقصر عن الجهل) من قصيدة في سنان بن أبي حارثة المزي ، ديوان زهير مع شرحه ٣٠٠ ، وورد في ديوان كعب بن زهير مع قصائد لكعب لم تذكر في ديوانه ٢٥٧ .

(٢) في (أ) : (قد سقطت الواو من الآية ، وكذا من الآية التي تليها .

(٣) من أن بعض الأفعال المتعدية إسنادها إلى الفاعل في المعنى كإسنادها إلى المفعول به .

(٤) أي إن قراءة ابن كثير في المعنى كقراءة الجمهور .

(٥) بنصه من الحجة لأبي علي ٤٠ / ٤١ ، وانظر : حجة القراءات لابن زنجلة ٩٤ ، والحجة لابن خالويه ٧٥ . أما مكّي ، فقال في توجيه قراءة ابن كثير : «علّة من نصب (آدم) ورفع (الكلمات) أنه جعل (الكلمات) استنقذت (آدم) بتوفيق الله له لقوله إياها الدعاء بها فتاب الله عليه . . . فهي الفاعلة وهو المستنقذ بها . . . » ، الكشف ٢٣٧ / ١ .

(٦) وهي قراءة العشرة عدا ابن كثير كما سبق .

(٧) في الحجة : «ومن حجة من رفع أن عليه الأكثر ، ومما يشهد للرفع قوله . . . » ، ٤١ / ٢ .

(٨) في (ج) : (تلقى) .

(٩) (له) ساقط من (ج) .

(١٠) الحجة لأبي علي ٤١ / ٢ ، ٤٢ ، وقال مكّي : «وعلة من قرأ برفع (آدم) ونصب (الكلمات) أنه جعل =

ومعنى التلقي للكلمات هو أن الله تعالى ألهم^(١) آدم حتى اعترف بذنبه ، وقال : ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا ﴾ الآية [الأعراف: ٢٣] ، فهذه الآية هي المعنية بالكلمات في قول الحسن ، وسعيد بن جبير ، ومجاهد^(٢) ، وأخذ آدم من الله إلهامه إياه ، حتى أخذ بإلهامه .

وقال ابن عباس : الكلمات هي : أن آدم قال : يا رب ألم تخلقني بيدك ؟ قال : بلى ، قال : ألم تنفخ في من روحك ؟ قال : بلى ، قال : ألم تسبق رحمتك لي غضبك ؟ قال : بلى ، قال : ألم تسكني جنتك ؟ قال : بلى ، قال : فلم أخرجتني منها ؟ قال : بشؤم معصيتك ، قال : يا رب ، أرأيت إن تبت وأصلحت ، أراجعني أنت إلى الجنة ؟ قال : نعم ، قال : فهو الكلمات^(٣) .

(آدم) هو الذي تلقى الكلمات ؛ لأنه هو قبلها ودعا بها ، وعمل بها ، فتاب الله عليه ، فهو الفاعل لقبول الكلمات » ، الكشف ١/ ٢٣٧ ، وانظر : حجة القراءات لابن زنجلة ٩٥ ، والحجة لابن خالويه : ٧٥ .

(١) وكذا قال أبو الليث في تفسيره ١/ ١١٢ ، وقال ابن قتيبة : كأن الله أوحى إليه أن يستغفره ويستقبله بكلام من عنده . غريب القرآن ٣٨ ، وقال ابن جرير : « . . . كأنه استقبله ، فتلقيه بالقبول حين أوحى إليه وأخبره . . . » . تفسير الطبري ١/ ٢٤٢ ، ٢٤٣ ، فهو وحي ، انظر : تفسير ابن عطية ١/ ٢٦٠ ، ٢٦١ ، وزاد المسير ١/ ٦٩ .

(٢) أخرجه ابن جرير في تفسيره عن مجاهد وقادة وابن زيد والحسن وأبي العالية ١/ ٢٤٣ ، ٢٤٤ ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عن مجاهد وسعيد بن جبير والحسن وقادة ومحمد بن كعب وخالد بن معدان وعطاء الخرساني ، والربيع ، ١/ ٩٠ ، ٩١ ، وأخرجه الثعلبي في تفسيره بسنده عن ابن عباس قال : وكذلك قال مجاهد والحسن ، ١/ ٦٦ أ . وانظر : زاد المسير ١/ ٦٩ ، وتفسير ابن كثير ١/ ٨٦ ، ٨٧ ، ورجح ابن جرير هذا القول ، قال : « والذي يدل عليه كتاب الله أن الكلمات التي تلقاها آدم من ربه هن الكلمات التي أخبر الله عنه أنه قالها متصلاً بقبلها إلى ربه ، معترفاً بذنبه ، وهو قوله : ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [الأعراف: ٢٣] ، وليس ما قاله من خالف قولنا هذا - من الأقوال التي حكيناها - بمدفوع قوله ، ولكنه قول لا شاهد عليه من حجة يجب التسليم لها ، فيجوز لنا إضافته إلى آدم . . . » ، تفسير الطبري ١/ ٢٤٤ .

(٣) أخرجه ابن جرير عن ابن عباس بنحوه من طرق عدة ، وأخرج نحوه عن أبي العالية والسدي في تفسيره ١/ ٢٤٣ ، وأخرج ابن أبي حاتم في تفسيره عن ابن عباس نحوه ، قال المحقق : في سنده ضعف =

قال أبو إسحاق : وفي الآية تعريف للمذنب ، كيف السبيل إلى التنصل من الذنوب ، وأنه لا ينفع إلا الاعتراف^(١) . وسئل بعض السلف عما يقوله المذنب ، فقال : يقول ما قال أبوه : ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا ﴾ [الأعراف: ٢٣] ، وما قاله^(٢) موسى : ﴿ ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي ﴾ [القصص: ١٦] ، وما قاله^(٣) يونس : ﴿ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ [الأنبياء: ٨٧] ، وما قالته الملكة : ﴿ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ ﴾ [النمل: ٤٤]^(٥) .

وقوله تعالى : ﴿ فَتَابَ عَلَيْهِ ﴾ . معنى التوبة في اللغة : الرجوع . وفي الشريعة : رجوع العبد من المعصية إلى الطاعة^(٦) ، فالعبد يتوب إلى الله ، والله يتوب عليه ، أي يرجع عليه^(٧) بالمغفرة ، [والعبد تواب إلى الله ، أي راجع إليه بالندم ، والله

= وانقطاع ، ٣١١ / ١ ، وأخرج الحاكم في مستدركه عن ابن عباس نحوه ، وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي ، المستدرک ٥٤٥ / ٢ ، وذكره الثعلبي ، ٦٥ / ١ ، وذكره ابن كثير في تفسيره ، وفي الهامش قال المحقق : «سند حسن من أجل الحسن بن عطية . . . وهذا الأثر كغيره من الآثار المتلقاة عن أهل الكتاب التي لا يجوز الاعتماد عليها في تفسير كتاب الله» ، ١٤٩ / ١ . ذكر الواحدي أشهر الأقوال في المراد بالكلمات ، وفيها أقوال أخرى ، انظر : تفسير ابن جرير ٢٤٣ / ١ ، ٢٤٤ ، تفسير ابن أبي حاتم ٩٠ / ١ ، ٩١ ، تفسير الثعلبي ٦٥ / ١ ، وتفسير ابن عطية ٢٦١ / ١ ، وزاد المسير ٦٩ / ١ ، وتفسير ابن كثير ٨٧ / ١ ، وتفسير الرازي ١٩ / ٣ .

(١) معاني القرآن للزجاج ٨٥ / ١ .

(٢) في (ب) : (وما قال) .

(٣) في (ج) : (وما قال) .

(٤) قوله (لا إله إلا أنت) ساقط من (ب) .

(٥) الأثر أورده أبو حيان في البحر ١٦٥ / ١ .

(٦) التوبة في الشرع : ترك الذنب ، والندم على ما فات ، والعزيمة على عدم العودة إليه ، وتدارك ما أمكنه من عمل الصالحات ، فهذه أركان التوبة وشرائطها . مفردات الراغب ٧٦ . وانظر : شرح أسماء الله للزجاج ٦١ ، وتهذيب اللغة (تاب) ٤١٦ / ١ ، ٤١٧ ، تفسير الطبري ٢٤٦ / ١ ، وتفسير ابن عطية ٢٦١ / ١ ، ٢٦٢ ، تفسير القرطبي ٢٧٧ / ١ ، ٢٧٨ ، زاد المسير ٧٠ / ١ ، والبحر ١٦٦ / ١ .

(٧) في (ب) : (إليه) .

تواب يعود عليه بالكرم^(١) والعبد تواب إلى الله بالسؤال ، والله تواب عليه بالنوال^(٢) .

فمعنى قوله : ﴿فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ ، أي عاد عليه بالمغفرة^(٣) ، ولا يحتاج إلى ذكر المغفرة ؛ لأن هذا اللفظ وضع لرجوع العبد إلى الله بالطاعة والندم ، ورجوع الله عليه بالعفو والمغفرة ، وكما لا يحتاج^(٤) إذا قلت : تاب الله عليه ، إلى أن تقول بالندم أو بالطاعة ، فكذلك لا تحتاج في قولك : (تاب الله عليه) إلى شيء آخر^(٥) . وقوله تعالى : ﴿إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾^(٦) . أي يتوب على عبده بفضله إذا تاب إليه من ذنبه .

٣٨ . وقوله تعالى : ﴿قُلْنَا أَهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا﴾ . إعادة الأمر بالهبوط يشمل وجهين ، أحدهما : أنه أراد بالأول هبوطاً من الجنة إلى السماء . وبالثاني هبوطاً من السماء إلى الأرض^(٧) ، والثاني : أنه كرر للتأكيد^(٨) .

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ب) .

(٢) ذكر الأزهري نحوه عن الليث ، تهذيب اللغة (تاب) ١ / ٤١٦ ، ٤١٧ .

(٣) (تاب عليه) أي وفقه للتوبة وقبلها منه ، وعاد عليه بالمغفرة ، انظر : تفسير الطبري ١ / ٢٤٦ ، وتفسير

ابن عطية ١ / ٢٦٢ ، وزاد المسير ١ / ٧٠ ، وتفسير ابن كثير ١ / ٨٧ .

(٤) في (ب) : (يحتاج) في الموضعين .

(٥) انظر : تفسير البضاوي ١ / ٢٢ ، وتفسير النسفي ، تفسير الرازي ٣ / ٢٢ .

(٦) (إنه) ساقط من (ب) .

(٧) ذكره ابن عطية عن النقاش في تفسيره ١ / ٢٦٢ ، ٢٦٣ ، والقرطبي في تفسيره ١ / ٢٧٩ ، والبحر

١ / ١٦٧ ، وضعف أبو حيان هذا الوجه ؛ لأن الله قال في الهبوط الأول : ﴿وَلَكُرْ فِي الْأَرْضِ مَسْقَرٌ﴾ ،

ولم يحصل الاستقرار على هذا القول إلا بالهبوط الثاني فكان ينبغي أن يذكر الاستقرار فيه ، وقال في

الهبوط الثاني : ﴿قُلْنَا أَهْبِطُوا مِنْهَا﴾ ، وظاهر الضمير أنه يعود إلى الجنة .

(٨) المراجع السابقة ، وذكر الماوردي وجهاً ثالثاً : وهو أنه كرر الهبوط ؛ لأنه علق بكل واحد منها حكماً غير الحكم الآخر ، فعلق بالأول العداوة ، وعلق بالثاني إتيانه الهدى ، تفسير الماوردي ١ / ٢٦٢ .

وقوله تعالى: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ﴾ . قال أبو إسحاق^(١): (إما) في [هذا]^(٢) الموضوع بمعنى حرف الشرط والجزاء ، إلا أن الجزاء إذا جاء معها^(٣) (النون الثقيلة) لزمتهما (ما)^(٤) ، وإنما يلزمها لأجل التأكيد ، وكذلك دخل (النون) في الشرط لأجل التأكيد . وجواب الجزاء في (الفاء) مع الشرط الثاني وجوابه ، وهما جملة جواب للشرط في (إما)^(٥) . فعلى هذا أصل (إمّا) (إن) التي للشرط ، ألحق بها (ما)^(٦) التأكيد^(٧) .

(١) معاني القرآن ٨٦/١ .

(٢) (هذا) ساقط من (ب) . ولفظ الزَّجَّاج في المعاني : «إعراب (إمّا) في هذا الموضوع إعراب حروف الشرط والجزاء . . . » ، ٨٦/١ .

(٣) في معاني القرآن : (معه) ، ٨٦/١ ، وهو الأولى .

(٤) (ما) ساقطة من (ب) . والزَّجَّاج بهذا يرى أن فعل الشرط الواقع بعد (إن) الشرطية المؤكدة بـ (ما) يجب تأكيده بالنون ، وهذا ما يوضح معنى قوله : «إلا أن الجزاء إذا جاء معها النون الثقيلة لزمتهما (ما)» ؛ أي إن (إن) الشرطية إذا اتصل فعل الشرط معها بـ (نون التوكيد) وجب زيادة (ما) معها ، وبهذا قال المبرّد ، قال السمين : ليس في كلامها ما يدل على لزوم (النون) غاية ما فيه أنها شرطاً في صحة تأكيده بالنون زيادة (ما) ، الدر المصون ١/ ٣٠٠ ، ٣٠١ ، وقال سيبويه والفارسي وطائفة : لا يلزم تأكيده ، وسيأتي رد الفارسي على الزَّجَّاج ، انظر : المقتضب ٣/ ١٣ ، وتفسير ابن عطية ١/ ٢٦٢ ، ٢٦٣ ، البحر ١/ ١٦٧ .

(٥) في معاني القرآن : «جواب الشرط في (الفاء) مع الشرط الثاني وجوابه وهو ﴿فَمَنْ يَتَّبِعْ هَذَا﴾ وجواب ﴿فَمَنْ يَتَّبِعْ هَذَا﴾ قوله : ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾» ، معاني القرآن للزَّجَّاج ٨٦/١ ، وما أخذ به الزَّجَّاج في جواب الشرط : هو قول سيبويه كما ذكر ابن عطية ، وقال : وحكي عن الكسائي أن قوله : ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ جواب الشرطين جميعاً . . . ، قال ابن عطية : (حكي هذا وفيه نظر . . .) . تفسير ابن عطية ١/ ٢٦٤ ، وقيل جواب الشرط الأول محذوف تقديره : فإما يأتينكم مني هدى فاتبعوه وقوله : ﴿فَمَنْ يَتَّبِعْ﴾ جملة مستقلة ، قال السمين : وهو بعيد ، انظر : الدر المصون ١/ ٣٠١ .

(٦) (ما) ساقطة من (أ) و(ج) ، وأثبتها كما في (ب) لاقتضاء السياق لها .

(٧) قوله : (التأكيد) كذا في النسخ جميعها ، ولعل الصواب (للتأكيد) ، انظر : مشكل إعراب القرآن ١/ ٣٩ ، والبيان في غريب إعراب القرآن ١/ ٧٦ .

قال أبو بكر بن السراج : الشرط وجوابه نظير المبتدأ والخبر ، إذ كان الشرط لا يتم إلا بجوابه ، ولك أن تجعل خبر المبتدأ جملة ، هي أيضاً مبتدأ وخبر ، نحو قولك : (زيد أبوه منطلق) كذلك في الشرط ^(١) لك أن تجيبه بجملة ^(٢) هي جزء وجواب ، نحو قولك : (إن تأتني فمن يكرمني أكرمه) ، كذلك قوله : ﴿فَأَمَّا يَا أَيُّنَّكُمْ مَتَى هُدَى﴾ الآية ^(٣) . وهذا الذي ذكره ابن السراج بيان ما أجمله أبو إسحاق .

قال أبو علي ^(٤) : قول أبي إسحاق : الجزء إذا جاء في الفعل معه النون الثقيلة أو ^(٥) الخفيفة لزمه (ما) ^(٦) يوهم ^(٧) أن (ما) لزم لدخول (النون) ، وأن سبب لحاق (ما) لحاق (النون) .

والأمر بعكس ذلك وخلافه ؛ لأن السبب الذي دخلت (النون) الشرط في قوله : ﴿فَأَمَّا يَا أَيُّنَّكُمْ﴾ و﴿فَأَمَّا تَرِينَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا﴾ [مريم: ٢٦] ، ﴿وَأَمَّا تُعْرِضَنَّ﴾ [الإسراء: ٢٨] ، ونحو ذلك عند النحويين إنما هو لحاق (ما) أول الفعل بعد (إن) فلذلك صار موضعاً للنونين ^(٨) ، بعد أن لم يكن لهما موضع . وإنما كان كذلك

(١) (لك) ساقطة من (ب) .

(٢) (بجملة) ساقط من (ب) .

(٣) كلمة (الآية) ساقطة من (ب) . لم أقف على كلام ابن السراج بهذا النص ، ولكن انظر : معناه في كتابه الأصول في النحو ١٥٨ / ٢ .

(٤) ورد كلام أبي علي في كتاب الإغفال في ما أغفله الزجاج من المعاني متعباً فيه الزجاج ، وقد نقل عنه الواحدي طويلاً ، انظر : الإغفال ١٠٣ ، ١١٣ .

(٥) في (ب) : (والخفيفة) بالواو ، ومثله في الإغفال ١٠٤ .

(٦) في (ب) : (أن) .

(٧) في الإغفال : (نوهم) ، ١٠٤ .

(٨) أي نون التوكيد الثقيلة ، ونون التوكيد الخفيفة .

عند سيبويه^(١) وأصحابه لمشابهة فعل الشرط ، بلحاق (ما) به بعد (إن) ، الفعل المقسم عليه .

وجهة المشابهة : أن (ما)^(٢) حرف تأكيد كما أن (اللام)^(٣) تكون تأكيداً ، والفعل وقع بعد (ما) كما^(٤) وقع في القسم بعد (اللام) . فلما شابهت (اللام) في ذلك ، لزم الفعل مع (ما)^(٥) في الشرط (النون) ، كما لزمته^(٦) في (ليفعلن) ، فسبب^(٧) لحاق (النون) دخول (ما) على ما يذهب إليه النحويون^(٨) . قال أبو إسحاق : وفتح ما قبل النون ﴿يَأْتِيَنَّكُمْ﴾ لسكونه^(٩) ، وسكون النون الأولى .

قال أبو علي : لا يخلو^(١٠) حركة (الياء) بالفتح من أن يكون لالتقاء الساكنين ، كما ذكر أبو إسحاق ، أو يكون حركة بُني الفعل عليها ، لانضمام الحرف إليه .

(١) انظر : الكتاب ٣ / ٥١٤ ، ٥١٥ .

(٢) (ما) ساقطة من (ب) .

(٣) أي لام القسم في مثل (لتفعلن) . قال سيبويه : « . . . ومن مواضعها أي نون التوكيد حروف الجزاء إذا وقعت بينها وبين الفعل (ما) للتوكيد ، وذلك لأنهم شبهوا (ما) بـ (اللام) التي في (لتفعلن) لما وقع التوكيد قبل الفعل ألزموا (النون) آخره كما ألزموا هذه (اللام) . . . » ، الكتاب ٣ / ٥١٤ ، ٥١٥ .

(٤) في (ب) : (كان) .

(٥) في (ب) : (لزم الفعل معها في الشرط) .

(٦) في (ب) : (لزمه) .

(٧) في (ج) : (بسبب) .

(٨) الإغفال ١٠٤ ، وانظر : الكتاب ٣ / ٥١٥ .

(٩) في معاني القرآن : « لسكون الياء وسكون النون الأولى » ، معاني القرآن ١ / ٨٦ . يذكر الزّجاج هنا أن الفعل المؤكد بنون التوكيد في قوله : ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ﴾ يفتح ما قبل النون لتفادي التّقاء ساكنين (الياء) التي هي آخر الفعل ، والنون الأولى من نون التوكيد المشددة . وهذا التعليل غير كاف عند بعض النحويين ، بل يرون أن الفعل المضارع الذي لم يتصل بضمير رفع ساكن إذا أكد بالنون عُذَّ معها مركباً ، وبني على الفتح ، وبهذا اعترض أبو علي على الزّجاج كما في كلامه الآتي الذي نقله الواحدي عن الإغفال ١١٤ .

(١٠) في (ب) : (لا تخلوا) (أن تكون) (أو تكون) بالتاء في المواضع الثلاثة ، ومثله في الإغفال ١١٤ ، وهذا أولى .

فلو كانت الحركة بالفتح لالتقاء الساكنين في ﴿يَأْتِيَنَّكُمْ﴾ ونحوه لما حرك به في (هل تضربن) ^(١) و(هل تذهبن) ^(٢) ونحوه من الصحيح .

ألا ترى أن الساكنين لا يلتقيان في هذا كما يلتقيان في المعتل . والتحرك بالفتح مع ^(٣) ذلك لازم له ، ولو كانت الحركة لالتقاء الساكنين ما لزمنا هنا .

وفي تحرك هذا الضرب بالفتح أعني : (الصحيح) ^(٤) ما يدل على أن المتحرك بالفتح في : ﴿يَأْتِيَنَّكُمْ﴾ ونحوه للبناء ، دون التقاء الساكنين ، فثبت بهذا فساد قوله .

ويدل أيضاً على فساد قوله قولهم : (قُولَنَّ) و(بيعَنَّ) ولا تخلو ^(٥) اللام في : (قولن) من أن تكون ^(٦) محركة لالتقاء الساكنين [أو لبناء الفعل مع الحرف بالفتح ، فالذي يفسد القول بأنها محركة لالتقاء ^(٧) الساكنين] ^(٨) ردك العين في : (قولن) و(بيعَنَّ) ، ألا ترى أن (اللام لو كانت حركتها) ^(٩) للساكنين لم يلزم رد العين . وأن حركتها لما كانت في : (قل الحق) و(بع الثوب) لالتقاء الساكنين لم يلزم رد العين فيه ، فردنا للعين ^(١٠) في : (قولن) ونحوه وحذفنا لها في : (قل الحق) دليل بين أن

(١) في (ج) : (هل تضربين) .

(٢) في (ج) : (هل تكرهين) .

(٣) في (ب) : (من ذلك) .

(٤) في الإغفال : (أعني : الذي لا ساكنين فيه . . . إلخ) ، ١١٥ .

(٥) في (ج) : (يخلو) .

(٦) من (ب) . وفي غيرها : (يكون) .

(٧) في الإغفال : (محركة للساكنين) ، ١١٦ .

(٨) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) و(ج) ، وأثبتته من (ب) ، وهو ثابت في الإغفال ١١٥ ، وصحة السياق تقتضيه .

(٩) في (ج) : (لو كانت لالتقاء الساكنين) .

(١٠) في (ب) : (العين) .

الحركة في (قولن) لبناء الفعل مع الحرف على الفتح ، إذ لو كانت لالتقاء الساكنين ما رُدَّت العين كما لم ترد في (قل الحق)^(١) ، وإنما لم ترد في (قل الحق)^(٢) لأن النية بحركتها السكون ، وما تحرك لها من الساكن الثاني غير لازم^(٣) .

ومعنى قوله : ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى﴾ ؛ أي فإن يأتكم مني شريعة ورسول وبيان ودعوة^(٤) . وقوله : ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَايَ﴾ أي قبل أمري واتبع ما أمر به ، فلا خوف عليه في الآخرة ولا حزن^(٥) .

والخطاب لآدم وحواء وذريتهما^(٦) ، أعلمهم أنه يبتليهم بالطاعة ويجازيهم بالجنة عليها ، وبالنار على تركها ، وأن هذا الابتلاء وقع عند الهبوط إلى الأرض^(٧) .

(١) في الإغفال : « . . . كما لم ترد في (قل الحق) لما كانت الحركة فيه لالتقاء الساكنين ، وإنما لم ترد (العين) المحذوفة للساكنين من (قل) ونحوه ، وإن تحركت اللام ، لأن النية بحركتها . . إلخ » ، الإغفال . ١١٦ .

(٢) قوله : (قل الحق) ساقط من (ب) .

(٣) انتهى ما نقله عن الإغفال بتصرف يسير في بعض الكلمات ، وانظر : بقية كلام أبي علي في الإغفال . ١١٩ ، ١١٦ .

(٤) انظر : تفسير الطبري ٢٤٦ / ١ ، وتفسير أبي الليث ١١٣ / ١ ، وتفسير ابن عطية ٢٦٣ / ١ ، ٢٦٤ ، تفسير ابن كثير ٨٧ / ١ ، ٨٨ .

(٥) قوله : (ولا هم يحزنون) . قال الطبري : « ولا هم يحزنون يومئذ على ما خلفوا بعد وفاتهم في الدنيا » . الطبري في تفسيره ٢٤٧ / ١ ، وبهذا قال أكثر المفسرين ، انظر : تفسير أبي الليث ١١٣ / ١ ، وتفسير ابن كثير ٨٨ / ١ ، وذكر ابن عطية في معنى الآية وجهاً آخر ؛ أي لا خوف عليهم يوم القيامة ، ولا هم يحزنون فيه . ٢٦٥٨ / ١ ، والأولى عموم الآية . والله أعلم .

(٦) ذكره ابن جرير ، وذكر وجهاً آخر : وهو أن الخطاب لمن أهبط من السماء وهم آدم وحواء وإبليس ، ورجح هذا الوجه ، انظر : تفسير الطبري ٢٤٦ / ١ ، ورجحه ابن عطية في تفسيره ٢٦٢ / ١ ، وبه قال ابن كثير في تفسيره ٨٧ / ١ .

(٧) انظر : معاني القرآن للزجاج ٨٥ / ١ .

وقوله تعالى: ﴿هُدَاىَ﴾ فتحت (الياء) فيه^(١)؛ لأنها أتت بعد ساكن، وأصلها الحركة التي هي الفتح، والأصل أن تقول: (غلامي) فتفتح^(٢) (الياء)؛ لأنها حرف في موضع اسم مضمّر^(٣) منع الإعراب فألزم الحركة، كما ذكرنا في قوله: ﴿إِنِّى أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠] في من^(٤) فتح (الياء).

وحذف الحركة^(٥) جائز لأن (الياء) من حروف المد واللين، وفي ﴿هُدَاىَ﴾ سكن ما قبلها، ولم^(٦) يكن بد من تحريكها، فجعل حظها ما كان لها في الأصل من الحركة وهو الفتح^(٧).

وروى ابن الأنباري أن النبي ﷺ قرأ ﴿فَمَنْ يَبْعَ هُدَاىَ﴾ قال^(٨): وهي لغة طيئ^(٩)، يقولون: هذه عصي ورحي^(١٠).

(١) من معاني القرآن للزجاج بتصرف ٨٦/١، ٨٧.

(٢) في (ج): (بفتح)، ومثله في معاني القرآن ٨٧/١.

(٣) أي إن (الياء) ضمير جاء على حرف واحد، فيأخذ حكم الحرف في أنه يفتح إذا جاء بعد ساكن، معاني القرآن ٨٧/١.

(٤) في (ج): (فمن).

(٥) في (ب): (الياء).

(٦) في (ب): (فلم).

(٧) معاني القرآن للزجاج ٨٧/١.

(٨) في (ب): (وقال).

(٩) لغة هذيل، انظر: المحتسب ٧٦/١، وتفسير ابن عطية ٢٦٤/١، وتفسير القرطبي ٢٨٠/١.

(١٠) ذكر هذه القراءة ابن جني في المحتسب، قال: «قراءة النبي ﷺ وأبي الطفيل، وعبدالله بن أبي إسحاق، وعاصم الجحدري، وعيسى بن عمر الثقفي (هُدَيَّ)». المحتسب ٧٦/١، ونحوه في البحر المحيط ١٦٩/١، وانظر: معاني القرآن للزجاج ٨٧/١، والبيان ٧٦/١، وتفسير ابن عطية ٢٦٤/١، وتفسير القرطبي ٢٨٠/١.

وقرأ ابن أبي إسحاق^(١): ﴿هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا عَلَيْهَا﴾^(٢) [طه: ١٨]. وقال أبو ذؤيب:

تَرَكُوا هَوِيَّ وَأَعْنَقُوا لَهَوَاهُمْ فَتَخَرَّمُوا وَلِكُلِّ جَنْبٍ مَصْرَعٌ^(٣)
وقال آخر^(٤):

يَطُوفُ بِي عِكَبٌ^(٥) فِي مَعَدٍّ وَيَطْعَنُ بِالصُّمْلَةِ فِي قَفِيَا
فَإِنْ لَمْ تَثَارُوا لِي مِنْ عِكَبٍ فَتَلَا أَرَوَيْتُمْ أَبَدًا صَدِيَا^(٦)

(١) هو عبدالله بن أبي إسحاق الحضرمي النحوي البصري، أخذ القراءة عن يحيى بن يعمر ويعمر ونصر بن عاصم، وتوفي سنة تسع وعشرين ومائة، انظر: غاية النهاية ١/ ٤١٠.

(٢) (هي) ساقطة من (ب).

(٣) البيت من قصيدة قالها أبو ذؤيب يرثي بنيه، فقد ذهبوا للجهاد، وكان هواه أن يقيموا معه، وأن يموت قبلهم، قوله: فَتَخَرَّمُوا: أخذوا واحداً واحداً، تخرمتهم المنية، ولكل جنب مصرع: أي كل إنسان يموت، انظر: شرح أشعار الهذليين ١/ ٧، والمحاسب ١/ ٧٦، والمفضليات ٤٢١، وشرح المفصل ٣/ ٣٣، وتفسير ابن عطية ١/ ٢٦٤، وتفسير القرطبي ١/ ٢٨٠، والبحر ١/ ١٦٩. والرواية للبيت في المصادر كلها (سبقوا) بدل (تركوا).

(٤) البيتان للمُنْخَلِ اليَشْكُري، وقال في الصحاح: (الْمُنْخَلُ اليَشْكُري)، وفي الهامش: اسم اليَشْكُري (المنخل)، وأما (المنتخل) فهو الهذلي، الصحاح ١/ ١٨٨، وكان من قصة المنخل أنه كان بينه وبين المتجردة امرأة النعنان بن المنذر علاقة، ولما علم النعنان دفعه إلى سجنانه واسمه (عكب) فقيده وعذبه. في (ب): (كعب) في الموضعين.

(٦) يروى البيت: (تثاران) و(فلا رَوَيْتُها) وقوله: (صَدِيَا): الصدى في زعم الجاهلية طائر يصيح إذا لم يثار بالقتول، وقيل هو اسم ماد، والصملة هي العصا. وشاهد (صديا) و(قفا) فقد استعملهما على لغة هذيل، الأبيات في المحاسب ١/ ٧٦، والخصائص ١/ ١٧٧، وشرح المفصل ٣/ ١٨٨، وترتيب الإصلاح ١/ ١٨٥، والبيت الأول في الصحاح (عكب) ١/ ١٨٨، واللسان (عكب) ٥/ ٣٠٥٤.

وقال أبو دوداد^(١) :

فَأَبْلُونِي بَلِيَّتِكُمْ^(٢) لَعَلِّي أَصَالِحُكُمْ وَأَسْتَدْرِجُ نَوِيًّا^(٣)

قال الفراء : وإنما فعلت طيئ هذا لأن العرب اعتادت كسر ما قبل (ياء)^(٤) الإضافة نحو قولهم : (غلامي) و(داري) ، فلما قالوا : (رحاي)^(٥) و(عصاي) طلبوا من الألف ذلك الكسر فقلبوها (ياء) وأدغموها في (ياء) الإضافة ، فجعلوا بدل كسرة ما قبل (ياء) الإضافة قلب الألف (ياء) ، إذ^(٦) كانت الألف لا يكسر^(٧) ما قبلها ، ولا تكسر هي^(٨) .

٣٩ . وقوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ الآية . الآيات جمع آية ، ومعنى الآية في اللغة : العلامة^(٩) ، ومنه قوله : ﴿تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا

(١) هو أبو دوداد الإيادي ، وكان قد جاور هلال بن كعب من تميم ، فلعب غلام له مع غلمان الحي في غدير فغطسوه في الماء ومات ، فعزم أبو دوداد على مفارقتهم وذم جوارهم ، وحاولوا إرضاءه فقال البيت وبيتاً قبله .

(٢) في (ج) : (بليكم) .

(٣) قوله : فأبلوني : يقال : أبلاه إذا صنع به جيلاً ، والبلية : الاسم ، وقيل : البلية : الناقة تربط على قبر صاحبها من دون طعام ولا شراب حتى تموت ، ونوياً : يريد (نوأي) وهي النية ، والمراد الوجه الذي يقصد ، انظر : معاني القرآن للفراء ١/ ٨٨ ، وتأويل مشكل القرآن ٥٦ ، والخصائص ١/ ١٧٦ ، ٢/ ٣٤١ ، ٤٢٤ ، مغني اللبيب ٢/ ٤٢٣ ، ٤٧٧ ، اللسان (علل) ٥٠/ ٣٠٨٢ .

(٤) (ياء) ساقطة من (ج) .

(٥) في (ج) : (راحاي) .

(٦) في (ب) : (إذا) .

(٧) في (أ) و(ج) : (لا تكسر) .

(٨) لم أجد للفراء ، وذكر ابن جني عن أبي علي نحوه في تخريج لغة هذيل ، انظر : المحتسب ١/ ٧٦ ، وذكر النحاس هذه العلة عن الخليل وسيبويه ، إعراب القرآن ١/ ١٦٦ ، وانظر : معاني القرآن للأخفش ١/ ٢٣٦ ، والزجاج في تفسيره ١/ ٧٨ .

(٩) انظر : تفسير الطبري ١/ ٤٧ ، ومعجم مقاييس اللغة (أبي) ١/ ١٦٨ ، والزاهر ١/ ١٧٢ ، ومفردات الراغب ٣٣ ، واللسان (أيا) ١/ ١٨٥ ، وفوائد في مشكل القرآن ٦٨ ، والبرهان في علوم القرآن ٢٦٦/١ .

وَمَآخِرَنَا وَمَآيَةً مِّنَكَ ﴿١١٤﴾ [المائدة: ١١٤] ، أي علامة منك لإجابتك دعاءنا ، فكل آية من الكتاب علامة ودلالة على المضمون فيها . وقال أبو عبيدة : معنى الآية : أنها علامة لانقطاع الكلام الذي قبلها ، وانقطاعه من الذي بعدها^(١) . ثعلب عن ابن الأعرابي : الآية : العلامة^(٢) .

الليث : الآية : العلامة ، والآية من آيات القرآن ، والجميع : الآي^(٣) ، ولم يزد على هذا . فالآية بمعنى العلامة في اللغة صحيحة^(٤) .
قال الأحوص^(٥) :

أَمِنْ رَّسَمِ آيَاتٍ عَفَوْنَ وَمَنْزِلٍ قَدِيمٍ تُعَفِّيهِ^(٦) الْأَعَاصِيرُ مُحُولٍ^(٧)

-
- (١) في المجاز لأبي عبيدة : «إنما سميت آية لأنها كلام متصل إلى انقطاعه ، انقطاع معناه قصة ثم قصة» ، ٥ / ١ ، وانظر : الزاهر ١ / ١٧٢ .
- (٢) لم أجده عند ابن الأعرابي ، ويظهر أن الواحدي نقل الكلام وما بعده من تهذيب اللغة ، ولم أجد بحث (آية) في المطبوع من تهذيب اللغة ، انظر : الغريبين للهروي ١ / ١١٦ ، ١١٧ ، اللسان (أيا) ١ / ١٨٥ .
- (٣) في الصحاح : جمع الآية : آي وآياي ، آيات . الصحاح (أيا) ٦ / ٢٢٧٥ ، وانظر : اللسان (أيا) ١ / ١٨٥ ، وقيل : آياي جمع الجمع .
- (٤) انظر : الصحاح (أيا) ٦ / ٢٢٧٥ ، ومقاييس اللغة (أبي) ١ / ١٦٨ ، ومفردات الراغب ٣٣ ، واللسان (أيا) ١ / ١٨٥ .
- (٥) هو الأحوص بن محمد بن عبدالله بن عاصم بن ثابت ، لشعره رونق وحلاوة أكثر في الغزل ، وكان يشب بنساء أشرف المدينة ، فنفاه سليمان بن عبد الملك إلى (دهلك) . انظر : الشعر والشعراء ٣٤٥ ، والخزانة ٢ / ١٦ .
- (٦) في (ج) : (يعفيه) .
- (٧) ورد البيت في الزاهر ١ / ١٧٢ ، ولم أجده في شعر الأحوص ، جمع (عادل سليمان جمال) ، والمُحُول : المنزل الذي رحل عنه أهله وتغير حاله ، انظر : اللسان (حول) ٢ / ١٠٦٠ .

قال ابن السكيت^(١) وحكاها لنا أبو عمرو^(٢) يقال^(٣) : خرج القوم بآيتهم ، أي بجماعتهم ، لم يدعوا وراءهم شيئاً^(٤) ، وقال بُرْج بن مُسْهَر^(٥) :

خَرَجْنَا مِنَ النَّقِيِّنَ لَا حَيٍّ مِثْلُنَا بِآيَتِنَا نُزْجِي اللَّقَاحَ الْمَطَافِلَا^(٦)

معناه : خرجنا بجماعتنا . فعلى هذا القول معنى الآية من كتاب الله جماعة حروف دالة على معنى مخصوص^(٧) . وبعض أصحابنا^(٨) يجوز على هذا القول أن يسمّى أقل من الآية آية ، لولا أن التوقيف ورد بها هي الآن معدودة آيات^(٩) .

(١) إصلاح المنطق ٣٠٤ ، وانظر : الزاهر ١ / ١٧٣ ، وغريب القرآن لابن قتيبة ٣٤ ، وزاد المسير ١ / ٧١ .

(٢) هو أبو عمرو وإسحاق بن مرار الشيباني ، جاور بني شيبان في الكوفة ونسب إليهم ، شهر بالغريب ، أخذ عنه ابن السكيت ، انظر : ترجمته في مقدمة تهذيب اللغة ١ / ٣٣ ، وطبقات النحويين واللغويين ١٩٤ .

(٣) في (ب) : (فقال) .

(٤) ذكر البغدادي في الخزانة : أن علي بن حمزة البصري رد قول ابن السكيت واستشهاده بكلام أبي عمرو الشيباني ، ورجح أن الآية : العلامة ، انظر : الخزانة ٦ / ٥١٥ .

(٥) في (ج) : (مرج بن شهر) . وهو البرج بن مُسْهَر بن جلاس الطائي ، شاعر معمر . قال ابن دريد : وفد إلى النبي ﷺ ، انظر : الاشتقاق لابن دريد ٣٨٢ ، والأعلام ٢ / ٤٧ .

(٦) قوله : نزجي : نسوق ، واللقاح : النوق ذوات اللبن ، والمطافل : النوق معها أولادها . ورد البيت في إصلاح المنطق ٣٠٤ ، والزاهر ١ / ١٧٢ ، ومقاييس اللغة (أبي) ١ / ١٦٩ ، وتفسير القرطبي ١ / ٥٧ ، وزاد المسير ١ / ٧١ ، والخزانة ٦ / ٥١٥ ، واللسان (أيا) ١ / ١٨٥ ، والدر المصون ١ / ٣٠٨ .

(٧) سبق ذكر رد علي بن حمزة البصري على هذا القول ، وانظر : غريب القرآن لابن قتيبة ٣٤ ، والزاهر ١ / ١٧٢ ، واللسان (أيا) ١ / ١٨٥ .

(٨) أي من علماء الشافعية .

(٩) انظر : البرهان في علوم القرآن ١ / ٢٦٧ ، والإتقان ١ / ٢٣٠ . قال الزنجشري : «هذا علم توقيفي لا مجال للقياس فيه كمعرفة السور» ، الكشف ١ / ١٠٥ .

قال ابن الأنباري : وفي الآية قول ثالث : وهو أن تكون^(١) سميت آية ؛ لأنها عجب ، وذلك أن قارئها إذا قرأها يستدل على مباينتها^(٢) كلام المخلوقين ، ويعلم أن العالم يعجزون عن التكلم بمثلها ، فتكون الآية العجب من قولهم : (فلان آية من الآيات) ، أي عجب من العجائب^(٣) فهذا هو القول في معنى الآية . فأما وزنها من^(٤) الفعل ، فقال الفراء^(٥) : إنما تركت العرب همز (ياء) آية ، كما يهزمون كل (ياء) بعد الألف ساكنة نحو : قائل وغائب^(٦) وبابه ؛ لأنها كانت في ما يرى^(٧) (آية) على وزن (فَعْلَة) فثقل عليهم التشديد فأبدلوه ألفاً ؛ لانفتاح ما قبل التشديد كما قالوا : أيماً [في (أَمَّا) ، وكما فعلوا بدینار وقيراط لما استثقلوا التشديد أبدلوا من الحرف الأول (ياء) لانكسار ما قبله^(٨) .

(١) في (أ) و(ج) : (يكون) ، واخترت ما في (ب) لأنه هو الصواب ، وموافق لكلام ابن الأنباري في الزاهر ١٧٣ / ١ .

(٢) في (أ) : (مباينتها) ، وما في (ب) و(ج) هو الصواب وموافق لما في الزاهر .

(٣) الزاهر ١٧٣ / ١ ، وانظر : زاد المسير ٧٢ / ١ ، وخلاصة القول في معنى الآية : أنها تطلق في اللغة على ١ - المعجزة ، ٢ - العلامة ، ٣ - العبرة ، ٤ - الأمر العجيب ، ٥ - الجماعة ، ٦ - البرهان والدليل .

(٤) (من) ساقطة من (ج) .

(٥) كلام الفراء ورده على الكسائي ذكره ابن منظور في لسان العرب عن كتاب المصادر للفراء ، ولعله نقله عن تهذيب اللغة ، ولم أجد مبحث (آية) في المطبوع من تهذيب اللغة ، انظر : اللسان (أيا) ١ / ١٨٥ . (والآية) وزنها من الفعل عند الفراء : (فَعْلَة) وعند الخليل (فَعْلَة) أصلها (آيَة) ، وعند الكسائي (فَاعِلَة) ، انظر : الزاهر ١ / ٣٤٢ ، وتفسير ابن عطية ٧١ / ١ ، ٧٢ ، المفردات في غريب القرآن ٣٣ ، وفوائد في تأويل المشكل ٦٨ ، والبرهان ١ / ٢٦٦ ، والدر المصون ١ / ٣٠٨ ، والخزانة ٦ / ١٧٥ ، وقد ذكر في أصلها ستة وجوه .

(٦) قائل وغائب مكانها بياض في (ج) .

(٧) في (ج) : (ترى) .

(٨) (دينار) و(قيراط) أصلهما (دَنَار) و(قَرَّاط) ، فاستثقلوا التشديد فأبدلوا من الحرف الأول (ياء) لانكسار ما قبله فصار : دينار وقيراط . انظر : الزاهر ١٧٣ / ١ . الصحاح (أيا) ٦ / ٢٢٧٥ .

وقال^(١) الكسائي: آية [وزنها (فَاعِلَةٌ)، أصلها آيَّة، فنقصت^(٢)].
الكسائي يقول: استثقلت الكسرة على الياء الأولى فسكنت، ثم حذفت لاجتماع الساكنين^(٣)، هذا معنى قوله: (فنقصت).

قال الفرّاء: ولو كانت (آية) فَاعِلَةٌ ما صَغَرُواها^(٤) آيَّة؛ لأن (فاعلة) تصغر (فُؤَيْعِلَةٌ). فقال الكسائي: قد صغروا عاتكة وفاطمة: عُتَيْكَة وفُطَيْمَة، فالآية مثلها.

فقال الفرّاء: العرب لا تصغر (فاعلة) (فُعَيْلَة) إلا أن يكون اسماً في مذهب (فلانة)، فيقولون: هذه فُطَيْمَة قد جاءت، إذا كان^(٥) اسمها^(٦)، فلو قلت: (هذه فاطمة ابنها) ثم صغرتها لم يحز إلا فويطمة^(٧)، ومثل: (هذا صُلَيْح قد جاء)، لرجل اسمه صالح، ولو قال قائل: كيف بُنِيْتُك^(٨)؟ قلت: صويلح ولم يحز صليح؛ لأنه ليس باسم له.

وكذلك رجل اسمه أسود يقول: هذا سويد [قد جاء، لأنه فلان، فإن كان نعتاً قلت: (أُسَيْد) و(أُسَيُود) ولا يجوز هذا رجل سُوَيْد^(٩)]. والفرق بين الحالين أن في الاسم العلم روعي التخفيف [فصغر تصغير الترخيم]^(١٠).

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ج).

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٣) انظر: الزاهر ١/ ٣٤٢.

(٤) في (أ): (ما صنعوها)، وما في (ب) و(ج) هو الصحيح، وفي اللسان: (ما صغرها).

(٥) في (ب): (كانت).

(٦) في اللسان (اسم) ١/ ١٨٥.

(٧) في اللسان: «إذا قلت هذه فُطَيْمَة ابنها، يعني فاطمة من الرضاع لم يحز»، اللسان (أيا) ١/ ١٨٥.

(٨) في اللسان: (بتتك).

(٩) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) و(ج)، وأثبتته من (ب)؛ لأن صحة السياق تقتضيه.

(١٠) في (ج): (الترخيم). وما بين المعقوفين ساقط من (ب).

وفي النعت صُغِرَ على الأصل ، فعلى قول الفراء آيات^(١) وزنها (فَعَلَات) ، وعلى قول الكسائي وزنها (فَاعَلَات)^(٢) . ومعنى آيات الله في هذه الآية : دلائله ، ويدخل فيها كتبه التي أنزلها على أنبيائه^(٣) .

فإن قيل : لم دخلت الفاء في سورة الحج : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾^(٤) [الحج: ٥٧] وسقطت هاهنا ؟

قيل : إنما دخل فيه (الفاء) من خبر الذي وأخواته مشبه^(٥) بالجزاء ، وما لم يكن^(٦) فيه (الفاء) فعلى أصل الخبر مثال ذلك من الكلام أن تقول : (مالي فهو لك) [على أن يكون (ما) بمعنى (الذي) . ولو أردت واحد الأموال لم يجز دخول الفاء ، كما لا تقول : غلامي فهو لك]^(٧) ، وهذه المسألة^(٨) يأتي بيانها في مواضع من هذا الكتاب إن شاء الله .

٤٠ . قوله تعالى : ﴿ يَنْبِئُ إِسْرَءِيلَ ﴾ . الكلام في (الابن) وأصله يذكر عند قوله : ﴿ يُدَيِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ ﴾ [البقرة: ٤٩]^(٩) . و(إسرائيل) هو يعقوب -عليه السلام-^(١٠) ولا ينصرف لاجتماع العجمة والمعرفة^(١١) ، وكل

(١) (آيات) ساقطة من (ب) .

(٢) في (ب) : (علامات) .

(٣) انظر : تفسير الطبري ١/ ٢٥٣ ، ٢٥٤ ، تفسير أبي الليث ١/ ١١٤ ، والبحر المحيط ١/ ١٧٠ .

(٤) في (ب) : (أولئك) ، تصحيف .

(٥) في (ج) : (شبه) .

(٦) في (ب) : (تكن) .

(٧) ما بين المعقوفين ساقط من (ب) .

(٨) انظر : شرح هذه المسألة في سر صناعة الإعراب ١/ ٢٥٨ .

(٩) وقد تكلم على (ابن) هناك وتوسع في البحث .

(١٠) انظر : تفسير الطبري ١/ ٢٥٤ ، وتفسير ابن عطية ١/ ٢٦٧ ، وزاد المسير ١/ ٧٢ .

(١١) أي العلمية .

اسم اجتمعتا فيه وزاد على ثلاثة أحرف لم ينصرف عند أحد من النحويين^(١). وذكر في التفسير وجوه في اشتقاق هذا الاسم^(٢)، والأصح عند أهل اللغة: أنه أعجمي لا اشتقاق له.

وقوله تعالى: ﴿اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾. أراد: نعمي^(٣)، فأوقع الواحد موقع الجماعة^(٤)، كقوله: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ﴾^(٥). وذلك أن الله تعالى فلق لهم البحر، وأنجاهم من فرعون، وظلل عليهم الغمام إلى سائر ما أنعم الله به عليهم^(٦)، وهو في قوله عز وجل: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَنْقُورِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ﴾ [المائدة: ٢٠].

وأراد بقوله: ﴿عَلَيْكُمْ﴾، أي على آبائكم وأسلافكم، وجعلها عليهم؛ لأن النعمة على آبائهم نعمة عليهم، ومثله في الكلام كثير، يفاخر الرجل الرجل، فيقول: هزمناكم يوم ذي قار، بمعنى^(٧): هزم أبائنا آباءكم^(٨).

(١) انظر: معاني القرآن للزجاج ٨٨/١، وإعراب القرآن للنحاس ١٦٧/١، والمشكل لمكي ٤١/١، والإملاء ٣٣/١، والدر المصون ٣١٠/١.

(٢) من هذه الوجوه: أنه مركب من (إسرا) وهو العبد، و(إيل) اسم من أسماء الله تعالى، فكأنه عبد الله، وقيل معنى: (إسرا) صفوة، و(إيل) الله تعالى، ومعناه: صفوة الله، وفيه وجوه أخرى ذكرها أبو حيان في البحر ١٧١/١، وقال بعدها: «وهذه أقاويل ضعاف». وانظر: تفسير الطبري ٢٤٨/١، ٢٤٩، تفسير الثعلبي ٦٦/١، والتعريف والأعلام للسهيلي ٢٠، وتفسير القرطبي ٢٨١/١، ٢٨٢.

(٣) في (ج): (أراد بالنعمة: نعمي).

(٤) ذكره الثعلبي في تفسيره ٦٧/١، وانظر: تفسير ابن عطية ٢٦٧/١، وتفسير البغوي ٦٦/١، وتفسير القرطبي ٢٨٢/١، وزاد المسير ٧٢/١.

(٥) [إبراهيم ٣٤]، و[النحل ١٨].

(٦) انظر: تفسير الطبري ٢٤٩/١، وتفسير الثعلبي ٦٧/١، قال ابن عطية بعد أن ذكر الأقوال في المراد بالنعمة: «وهذه الأقوال على جهة المثال، والعموم في اللفظة هو الحسن»، ٢٦٧/١.

(٧) في (أ) و(ج): (معناه).

(٨) انظر: معاني القرآن للزجاج ٩٠/١، وتفسير القرطبي ٢٨٢/١، وتفسير الثعلبي ٦٧/١، وتفسير ابن عطية ١٦٧/١، وزاد المسير ٧٣/١.

قال الفرزدق :

وَبَيْتَانِ : بَيْتُ اللَّهِ نَحْنُ وَلَا تُه
وَبَيْتُ بَاعِلِي إِبِلِيَاءَ مُشَرَّفُ^(١)
يريد : أن آباءه في القديم كانوا يلونها ، لا أنه كان يليه .

وقال آخر :

إِذَا افْتَخَرْتُ يَوْمًا تَمِيمٌ بِقَوْسِهَا^(٢)
فَخَارًا عَلَى مَا أَطَدْتُ مِنْ مَنَاقِبِ
فَأَنْتُمْ بِذِي قَارٍ أَمَالَتْ سِيُوفُكُمْ
عُرُوشَ الَّذِينَ اسْتَرَهَنُوا قَوْسَ حَاجِبِ^(٣)

أراد : آباؤكم فعلوا ذلك ؛ لأن المخاطبين بهذا البيت كانوا بعد ذي قار بدهر طويل .

فإن قيل : هذه النعم التي أنعم الله بها على اليهود هم^(٤) أبداً يذكرونها ويفخرون بها ، فلمَ ذُكِّروا ما لم ينسوه ؟ قيل : المراد بقوله : (اذكروا) اشكروا ،

(١) البيت في ديوان الفرزدق ٣٢ / ٢ ، ومعجم البلدان ٢٩٣ / ١ ، وإبلياء : بيت المقدس .

(٢) في (ج) : (نفوسها) .

(٣) البيتان لأبي تمام ، وقوله : (ذي قار) يوم من أيام العرب ، كان لهم على الفرس ، وحاجب : هو ابن زرارة بن عدس ، كان أرهن سيفه لكسرى ، انظر : ديوان أبي تمام مع شرحه ١٠٩ / ١ ، ومعجم البلدان ٢٩٤ / ٤ .

(٤) هم) ساقطة من (ب) .

وذكر النعمة شكرها ، وإذا لم يشكروها^(١) حق شكرها ، فكأنهم نسوها وإن أكثرها ذكرها^(٢) .

وقال ابن الأنباري : أراد : اذكروا ما أنعمت عليكم^(٣) في ما استودعتكم من علم التوراة ، وبينت لكم من صفة محمد ، وألزمتكم من تصديقه واتباعه^(٤) ، فلما بعث عليه السلام ولم يتبعوه كانوا كالناسين لهذه النعمة^(٥) .

والأجود في ﴿نِعْمَتِي الَّتِي﴾ فتح الياء^(٦) ، وكل (ياء) كانت من المتكلم ففيها^(٧) لغتان : الإرسال^(٨) والفتح ، فإذا لقيها ألف^(٩) ولام اختارت العرب اللغة التي حركت فيها الياء ، وكرهوا الأخرى ؛ لأن اللام ساكنة^(١٠) فلو لم يفتحوا لأشبه^(١١) أن تكون النعمة مجرورة على غير الإضافة^(١٢) ، فأخذوا بأوثق

(١) في (ب) : (يشكرها) .

(٢) انظر : الكشف ١/ ٢٧٥ ، وزاد المسير ١/ ٧٣ ، وتفسير البيضاوي ١/ ٢٣ ، وتفسير الخازن ١/ ١١٢ ، وتفسير النسفي ١/ ٤٠ ، وتفسير القرطبي ١/ ٢٨٢ .

(٣) في (ب) : (أنعمت به عليكم) .

(٤) ذكره ابن الجوزي وعزاه إلى ابن عباس ، زاد المسير ١/ ٧٣ . وانظر : تفسير القرطبي ١/ ٢٨٢ .

(٥) في (ب) : (النعم) .

(٦) أجمع القراء العشرة على فتح (الياء) في قوله تعالى : ﴿نِعْمَتِي الَّتِي﴾ في مواضعها الثلاثة في البقرة ، وقرأ بتسكينها الحسن وابن محيصن ، انظر : الإقناع ١/ ٥٤٢ ، والنشر ٢/ ١٦٢ ، والبدور الزاهرة ٣٠ ، والقراءات الشاذة للقاضي ٢٣ ، وقد سبق ذكر أصول القراء في يساءات الإضافة عند قوله تعالى : ﴿قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ﴾ [البقرة : ٣٠] ، ٣٤١ .

(٧) في (ب) : (فيه) .

(٨) قوله : (الإرسال) ، أي تسكينها ثم حذفها لالتقاء الساكنين ، وفي معاني القرآن للفرّاء : «وأما نصب الياء من (نعمتي) فإن كل ياء كانت من المتكلم ففيها لغتان : الإرسال والسكون ، والفتح» . ١/ ٢٩ .

(٩) (ألف) ساقط من (ب) .

(١٠) في معاني القرآن للفرّاء : «لأن اللام ساكنة فتسقط الياء عندها لسكونها فاستقبحوا أن يقولوا : (نعمتي التي) فتكون كأنها مخفوضة على غير إضافة» ، ١/ ٢٩ .

(١١) في (ب) : (الاشبه) .

(١٢) المراد : أن الياء من (نعمتي) لو سكنت لحذفت لالتقاء الساكنين ، فتبقى النعمة مجرورة من دون إضافة للياء ، فيقال : (نعمت) .

الوجهين وأبينهما^(١)؛ لأنه أدل على الأصل وأشكل بما يلزم في الاستثناف من فتح ألف الوصل^(٢).

وقد يجوز إسكانها مع الألف واللام أيضاً كقوله: ﴿يَعْبَادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾ [الزمر: ٥٣] قرئ بإرسال (الياء) وبنصبها^(٣)، وإنما اختير الإرسال هاهنا لأن الاختيار ألا تثبت^(٤) (ياء) الإضافة في النداء، نحو قولك: (يا غلام أقبل)، وإذا لم تثبت لم يكن سبيل إلى التحريك.

فأما قوله: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ۖ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ﴾ [الزمر: ١٧، ١٨]، الاختيار هاهنا الإرسال^(٥)؛ لأن (الياء) لا تثبت في الفواصل، وقوله: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ﴾ آخر الآية^(٦).

قال الزَّجَّاج: اختير فتح الياء مع اللام للقاء الساكنين، ويجوز أن تحذف^(٧) الياء في اللفظ للقاء الساكنين، والاختيار الفتح، فأما قوله: ﴿أَخِي ۖ أَشَدُّ﴾ [طه: ٣٠، ٣١] فلم يكسر القراء فتح هذه الياء^(٨)، وأكثرهم يفتحها مع

(١) في (ب): (وأبينها).

(٢) معاني القرآن للفرّاء ٢٩/١. وانظر: معاني القرآن للأخفش ٢٣٨/١، ومعاني القرآن للزَّجَّاج ٨٩/١، وإعراب القرآن للنحاس ١٦٧/١، وتفسير ابن عطية ١٦٧/١.

(٣) في (ب): (ونصبها). قرأ بسكون الياء حمزة والكسائي وأبو عمرو، ويعقوب وخلف، والبقية بالفتح، انظر: التيسير ٦٦، والإقناع ٥٤١/١، والنشر ١٧٠/٢.

(٤) (أ) و(ج): (يثبت) في المواضع الثلاثة، وأثبت ما في (ب)؛ لأنه أنسب للسياق.

(٥) قال الداني: «تفرد أبو شعيب بفتح الياء وإثباتها في الوقف ساكنة وحذفها الباقون في الحالين». يريد بقية السبعة ورواتهم، التيسير: ص ٦٧، وانظر: النشر ١٨٩/٢.

(٦) انظر: معاني القرآن للفرّاء ٢٩/١.

(٧) في (أ) و(ج): (يحذف)، وأثبتها بالتاء كما في (ب) ومعاني القرآن للزَّجَّاج ٨١/١.

(٨) قوله تعالى: (أخي أشدد) قرأ بفتح الياء أبو عمرو وابن كثير والبقية على إسكانها، انظر: التيسير ٦٧، والنشر ١٧١/٢، ٣٢٣.

الألف واللام ، ولعمري إن لام المعرفة أكثر استعمالاً ، ولكنني أقول : فتح الياء هاهنا كفتحها^(١) مع اللام ؛ لأن اجتماع الساكنين مع اللام وغيرها واحد .

وقوله تعالى : ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ ﴾ . أبو عبيد عن الكسائي وأبي عبيدة : وفيت بالعهد وأوفيت به سواء^(٢) . وقال شمر : يقال : وَفَى وَأَوْفَى ، فمن قال : (وَفَى) فإنه يقول : تَمَّ ، كقولك : وَفَى لَنَا فُلَانٌ ، أي تَمَّ لَنَا قَوْلُهُ وَلَمْ يَغْدِرْ ، وَوَفَى هَذَا الطَّعَامُ قَفِيزاً^(٣) ، أي تَمَّ .

قال : ومن قال : (أَوْفَى) فمعناه : أوفاني حقه ، أي أتمه ولم ينقص منه شيئاً ، وكذلك أَوْفَى الْكَيْلُ ، أي أتمه ولم ينقص منه شيئاً^(٤) . وقال أبو الهيثم في ما رد على شمر : الذي قال شمر^(٥) في (وَفَى) و (أَوْفَى) : باطل ، إنما يقال : أَوْفَيْتُ بِالْعَهْدِ وَوَفَيْتُ بِالْعَهْدِ ، وكل شيء في كتاب الله من هذا فهو بالألف . قال الله تعالى : ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ ﴾^(٦) [البقرة : ٤٠] وقال : ﴿ وَأَوْفُوا بِالْعُقُودِ ﴾ [المائدة : ١]^(٨) .

(١) في (ج) : (الفتحة مع اللام) ، وفي (ب) : (لفتح اللام) ، وقد نقل الواحدي كلام الزَّجَّاج بتصرف ، يقول الزَّجَّاج : «لعمري إن اللام المعرفة أكثر في الاستعمال ، ولكنني أقول : الاختيار (أخي اشد) بفتح الياء لالتقاء الساكنين ، كما فتحوا مع اللام ؛ لأن اجتماع ساكنين مع اللام وغيرها واحد . . . » . معاني القرآن ١ / ٨٩ .

(٢) تهذيب اللغة (وفا) ٤ / ٣٩٢٣ ، ٣٩٢٤ ، وانظر : اللسان (وفي) ٨ / ٥٨٨٥ .

(٣) في (أ) و (ج) : (قفيز) ، وفي (ب) : (فقيرا) .

(٤) تهذيب اللغة (وفا) ٤ / ٣٩٢٤ . وانظر : اللسان (وفي) ٨ / ٥٨٨٥ ، وقوله : (وكذلك أوفى الكيل . . .) غير موجود في التهذيب ضمن كلام شمر ومثبت في اللسان مع كلامه .

(٥) قوله : (الذي قال شمر) ساقط من (ب) .

(٦) (الواو) ساقطة من (أ) و (ج) .

(٧) في التهذيب مكان الآية قوله تعالى : ﴿ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ ﴾ [الإسراء : ٣٤] ، وفي اللسان آية البقرة .

(٨) كلام أبي الهيثم في تهذيب اللغة (وفا) ١٥ / ٨٨٦ ، وانظر : معاني القرآن للزَّجَّاج ١ / ٩١ ، واللسان (وفي) ٨ / ٤٨٨٤ .

وقال الشاعر^(١) في الجمع بين اللغتين :

أَمَّا ابْنُ طَوْقٍ فَقَدْ أَوْفَى بِذِمَّتِهِ كَمَا وَفَى بِقِلَاصِ النَّجْمِ حَدِيثًا^(٢)

قال ابن عباس : هذا العهد هو أن الله - عز وجل -^(٣) عهد إليهم في التوراة أنه باعث نبيًا يقال له : محمد ، فمن تبعه كان له أجران اثنان ، أجر باتباعه موسى وإيمانه بالتوراة ، وأجر باتباعه محمدًا وإيمانه بالقرآن ، ومن كفر به تكاملت أوزاره ، وكانت النار جزاءه^(٤) ، فقال الله عز وجل^(٥) : أوفوا بعهدي في محمد ، أوف بعهدكم وأدخلكم الجنة^(٦) .

وقوله تعالى : ﴿وَلِيَأْتِيَنَّ فَارَهِبُونَ﴾ . موضع (إيائي) نصب بإضمار فعل^(٧) تفسيره^(٨) المذكور بعده^(٩) كأنه قيل : (إيائي فارهبوا)^(١٠) فارهبون ، ولكنه يستغني

(١) هو طفيل الغنوي .

(٢) في الكامل (بيض) بدل (طوق) . وعند الزَّجَّاج (عوف) وهو رجل شهر بالوفاء ، وقلاص النجوم : هي كما تزعم العرب ، أن الدبران جاء خاطبًا للثريا وساق مهرها كواكب صغارا تسمى القلاص ، انظر : الكامل ١٨٧/٢ ، ومعاني القرآن للزَّجَّاج ٩١/١ ، والخصائص ٣٧٠/١ ، ٣١٦/٣ ، وشرح المفصل ٤٢/١ ، واللسان (وفي) ٤٨٨٤/٨ ، وزاد المسير ٧٣/١ ، وتفسير القرطبي ٣٢/٦ ، والدر المصون ٣١٢/١ .

(٣) في (ب) : (جل وعلى) .

(٤) في (ب) : (جزاؤه) .

(٥) في (ب) و(ج) : (عز وجل) .

(٦) ذكره الرازي في تفسيره عن ابن عباس ، ٣٥/٣ ، وابن كثير في تفسيره ولم يعزه ، ٨٨/١ ، وذكر نحوه الثعلبي في تفسيره عن الكلبي ٦٧/١ ب ، وأخرجه ابن جرير بسنده عن ابن عباس ونحوه ، وليس فيه قوله : فمن تبعه كان له أجران . . . ، الطبري في تفسيره ٢٥٠/١ ، وكذا ابن أبي حاتم في تفسيره بنحو رواية الطبري ، ٩٦/١ . انظر : الدر ١٢٤/١ .

(٧) قال مكِّي : «هذا هو الاختيار لأنه أمر ، ويجوز : أنا فارهبون على الابتداء والخبر» ، المشكل ٤٢/١ ، وانظر : إعراب القرآن للنحاس ١٦٧/١ .

(٨) في (ب) : (يفسره) ، وهو أولى .

(٩) في (ج) : (بعهده) .

(١٠) في (ب) : (فارهبون) .

عنه بما يفسره فلا يظهر ، وإن صح أنه مقدر ، ولا يجوز أن يعمل فيه المذكور ، لأنه مشغول بضمير^(١) .

وحذفت (الياء) من ﴿فَازْهَبُونَ﴾ لأنها فاصلة ، أي رأس آية ، ليكون النظم على لفظ متسق ، وسمى أهل اللغة أواخر الآي الفواصل ، وأواخر الأبيات^(٢) القوافي^(٣) . ومعناه : فخافوني في نقض العهد^(٤) .

٤١ . قوله تعالى : ﴿وَأَمِنُوا بِمَا آنَزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ﴾ . أي موافقاً للتوراة في التوحيد والنبوة^(٥) ، وهو حال من الهاء المحذوفة من (أنزلت) كأنه قيل : أنزلته مصدقاً^(٦) .

و^(٧) قوله تعالى : ﴿وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ﴾ ، قال الليث : الأول والأولى : بمنزلة (أفعل) و(فعل) ، وجمع الأول : أولون ، وجمع أولى : أوليات^(٨) .

(١) في (ب) : (بضميره) وهو أصح . الضمير هو (الياء) التي حذفت لأنها رأس آية ، انظر : معاني القرآن للزجاج ٣٣ / ١ ، ومعاني القرآن للأخفش ٢٤٦ / ١ ، وإعراب القرآن للنحاس ١٦٧ / ١ ، والمشكل لمكي ٤٢ / ١ ، والإملاء ٩٠ / ١ .

(٢) في (ب) : (الآيات) .

(٣) معاني القرآن للزجاج ٩٠ / ١ . وانظر : اللسان (فصل) ٣٤٢٤ / ٦ . وبعضهم فرق بين رأس الآية والفاصلة ، فكل رأس آية فاصلة ، وليس كل فاصلة رأس آية . انظر : المكتفي في الوقف والابتداء ١٤٠ ، والبرهان ٥٣ / ١ ، والإتقان ٢٨٤ / ٢ ، والفاصلة في القرآن لمحمد الحساوي ٢٦ .

(٤) تفسير الثعلبي ٦٧ / ١ ب ، وانظر : تفسير الطبري ٢٥١ / ١ ، وزاد المسير ٧٣ / ١ .

(٥) انظر : تفسير الطبري ٢٥١ / ١ ، وتفسير الثعلبي ٦٨ / ١ .

(٦) ذكره الطبري وعبر عن الحال بقوله : قطع من الهاء المتروكة في (أنزلته) من ذكر (ما) . ٢٥٢ / ١ ، وذكره مكي وقال : وإن شئت جعلته حالا من (ما) في (بها) ، المشكل ٤٢ / ١ . وانظر : تفسير ابن عطية ٢٦٩ / ١ ، والإملاء ٣٣ / ١ ، والبحر المحيط ١٧٧ / ١ .

(٧) (الواو) ساقطة من (ب) .

(٨) تهذيب اللغة (أول) ٢٣٠ / ١ ، واللسان (وأل) ٤٧٤٧ / ٨ ، وقوله : (وجمع أول : أولون) سقط من التهذيب ، وهو في اللسان ضمن كلام الليث .

قال الأزهري : وقد جمع (أَوَّل) على أول ، مثل أَكْبَر وكُبِر ، وكذلك الأَوَّلَى ، ومنهم من شدد الواو مجموعاً من (أَوَّل)^(١) .

واختلفوا في وزنه وتأليفه^(٢) . فذكر الليث فيه وجهين : أحدهما : أن تأليفه من : (همزة) و(واو) و(لام) ، وعلى هذا ينبغي أن يكون (أَفْعَل) منه (أَوَّل) بهمزتين^(٣) ، لأنك لو بنيت^(٤) (أَفْعَل) من (آب يؤوب) قلت : (أَأَوَّب) ، ثم قلبت إحدى^(٥) الهمزتين واواً ، ثم أدغمت في الواو الأخرى^(٦) ، وهذا الوجه اختيار الأزهري ، قال : إنه (أَفْعَل) من : (آل يؤول) و(أَوَّلَى) فُعْلَى منه ، قال : وأراه قول سيبويه^(٧) ، وكأنه من قولهم : (آل يؤول) إذا نجا وسبق ، ومثله : (وَأَل يئُل)^(٨) بمعناه ، فمعنى (الأول) السابق الذي هو الابتداء .

- (١) تهذيب اللغة (أول) ١/ ٢٣٠ ، واللسان (وَأَل) ٨/ ٤٧٤٧ ، وفيه : (ومنهم من شدد الواو من (أَوَّل) مجموعاً) .
- (٢) تأليفه) ساقط من (ب) .
- (٣) في (ج) : (همزتين) .
- (٤) في (ب) : (ثنيت) .
- (٥) في (ج) : (أحد) .
- (٦) قال مكّي : «(أَوَّل) اسم لم ينطق منه بفعل عند سيبويه ووزنه (أَفْعَل) فاؤه واو ، وعينه واو ، ولذلك لم يستعمل منه فعل لاجتماع الواوات . وقال الكوفيون : هو أفعل من (وَأَل) إذا لجأ ، فأصله (أَوَّل) ، ثم خففت الهمزة بأن أبدل منها واو ، وأدغمت الأولى فيها . . . ، وقيل : إن (أول) أَفْعَل من (آل يؤُل) ، فأصله : أَوَّل ، ثم قلب فردت الفاء في موضع (العين) ، فصار (أَوَّل) فصنع به من التخفيف والبدل والإدغام ما صنع بالقول الأول ، فوزنه بعد القلب (أعفل)» ، مشكل إعراب القرآن ١/ ٤٢ ، ٤٣ ، وانظر : البيان ١/ ٧٨ .
- (٧) قال سيبويه : «وأما (أَوَّل) فهو أَفْعَل ، يدل على ذلك قولهم : هو أول منه ومررت بأَوَّل منك ، والأولى» . الكتاب ٣/ ١٩٥ .
- (٨) في (ب) : (آل) بسقوط الواو .

الوجه الثاني^(١) : أن أصل تأسيسه : واوان ولام ، وأدغم إحدى الواوين في الأخرى وشدد ، والهمزة فيه ألف (أفعل)^(٢) .

وقال ابن دريد : (أَوَّل) فَوَعَلَ ، قال : وكان في الأصل : (وَوَوَّل)^(٣) فقلبت الواو الأولى همزاً ، وأدغمت إحدى الواوين في الأخرى ، فقيل : أَوَّل^(٤) .

وقال المبرّد في كتاب المقتضب : (أول) يكون على ضربين : يكون اسماً ، ويكون نعتاً [موصولاً به (من كذا) . فأما كونه نعتاً]^(٥) ، فكقولك : هذا رجل أَوَّل منك مجيئاً ، كما تقول أحسن منك وجهاً ، وجاءني زيد أَوَّل من مجيئك ، كما تقول : أسبق من مجيئك ، وجئتك أَوَّل من أمس .

وأما كونه اسماً فقولك : ما تركت أَوَّلاً ولا آخرأً ، كما تقول : ما تركت له قديماً ولا حديثاً ، وعلى أي الوجهين سميت به رجلاً انصرف في النكرة ؛ لأنه في باب الأسماء بمنزلة (أفكَل) ، وفي باب النعوت بمنزلة (أَحْمَر)^(٦) .

(١) عند الليث .

(٢) كلام الليث والأزهري في تهذيب اللغة (أول) ١ / ٢٣١ ، واللسان (وأل) ٨ / ٤٧٤٧ . وعبارة المؤلف أقرب إلى اللسان ، وهذا راجع إلى تقارب نسخة ابن منظور التي اعتمد عليها مع نسخة الواحدي ، والله أعلم .

(٣) في (ب) : (وَوَوَّل) وكذا في الجمهرة ، وما في (أ ، ج) ورد على الأصل بفك الإدغام .

(٤) الجمهرة ٢ / ١١٧٧ . والنص من تهذيب اللغة (أول) ١ / ٢٣٢ .

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من (ب) .

(٦) المقتضب ٣ / ٣٤٠ ، والتهذيب (أول) ١ / ٢٣٢ ، واللسان (وأل) ٨ / ٤٧٤٨ . قال محمد عزيمة في حاشية المقتضب : «والخلاصة أن (أول) لها استعمالات ثلاثة :

تكون أفعل تفضيل ذكرت معها (من) أو حذف ، على أن تقدرها في الكلام فتمنع من الصرف .

وتكون اسماً منصرفاً وذلك عند حذف (من) وعدم تقديرها .

وتكون ظرفاً منصوباً أو مبنياً على الضم كالغايات » . المقتضب ٣ / ٣٤ .

قال الفرّاء : ووحد الكافر ، وقبله جمع ، وذلك من كلام العرب فصيح جائز ، إذا جاء في الاسم المشتق من الفعل كالفاعل والمفعول به ، يريدون^(١) به : ولا تكونوا أول من يكفر به ، فيحذف^(٢) (من) ويقوم الاسم المشتق من الفعل مقامها^(٣) ، فيؤدي عن مثل ما أدت (من) عنه من التأنيث والجمع ، وهو في لفظ توحيد ، ولا يجوز في مثله من الكلام : (أنتم أَفْضَلُ رجل) ، ولا (أنتم خير رجل) ؛ لأن الرجل يثنى ويجمع ويفرد ، فيعرف واحده من جمعه ، واسم الفاعل قد يكون لـ (من) فيؤدي عنه^(٤) ، وهو موحد ، ألا ترى أنك تقول : الجيش [مقبل ، والجند منهزم ، فتوحد الفعل لتوحيده ، فإذا صرت إلى الأسماء قلت : الجيش]^(٥) رجال ، والجند رجال .

وقد قال الشاعر :

وَإِذَا هُمْ^(٦) طَعِمُوا فَأَلَامُ طَاعِمٍ
وَإِذَا هُمْ^(٧) جَاعُوا فَشَرُّ جِيَاعٍ^(٨)

فجمعه وتوحيده جائز حسن^(٩) .

(١) في المعاني : (يراد به) ، ٣٢ / ١ .

(٢) في المعاني : (فتحذف) .

(٣) في المعاني : (ويقوم الفعل مقامها) .

(٤) عبارة الفرّاء في المعاني : «و(القائم) قد يكون لشيء ، ولـ (من) فيؤدي عنها وهو موحد» ، ٣٣ / ١ .

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من (ب) .

(٦) في (ب) : (وهو اطعموا) .

(٧) في (ب) : (هموا) .

(٨) معاني القرآن للفرّاء ٣٣ / ١ ، وورد البيت مع بيتين قبله في نوادر أبي زيد ، وقال : قال رجل جاهلي .

٤٣٤ ، وذكره الطبري ٢٥٢ / ١ ، وابن عطية ٢٧٠ / ١ ، والدر المصون ٣١٨ / ١ .

(٩) معاني القرآن للفرّاء ٣٣ / ١ . وانظر : تفسير الطبري ٢٥٢ / ١ ، وإعراب القرآن للنحاس ١٦٨ / ١ ، ومعاني القرآن للزجاج ٩٢ / ١ ، وتفسير ابن عطية ٦٧٠ .

وقال البصريون في هذا : معناه : ولا تكونوا أول فريق كافر ، أو أول حزب ، أو أول قبيل كافر ، ثم حذف المنعوت ، وأقيم نعتة مقامه^(١) ، وهذا قول المبرّد .

وقوله : (به)^(٢) الأظهر أن الكناية عائدة^(٣) إلى (ما) في قوله : (بما أنزلت) وهو القرآن^(٤) . ويجوز أن يعود إلى (ما) في قوله : ﴿لَمَّا مَعَكُمْ﴾ ، والمراد به التوراة ، وذلك أنهم إذا^(٥) كتموا أمر النبي ﷺ من كتابهم ، فقد كفروا بكتابهم ، كما أنّ من كتم آية من القرآن فقد كفر به^(٦) .

وإذا قلنا : الكناية تعود إلى القرآن ، كان المعنى : ولا تكونوا أول كافر بالقرآن من أهل الكتاب لأن قريشاً كفرت قبلهم بمكة^(٧) .

(١) انظر : معاني القرآن للزجاج ٢٩/١ ، وإعراب القرآن للنحاس ١٦٨/١ ، والمشكل لمكي ٤٣/١ ، وتفسير ابن عطية ١٩٩/١ ، والبحر المحيط ١٧٧/١ ، وقال ابن عطية : «وسيبويه يرى أنها نكرة مختصرة من معرفة كأنه قال : (ولا تكونوا أول كافرين به)» ، ١٩٩/١ ، ونحوه قال أبو حيان في البحر ١٧٧/١ .

(٢) في (ب) : (والأظهر) .

(٣) في (ج) : (عائد) .

(٤) ذكره الطبري في تفسيره ورجحه ، ٢٥١/١ ، والزجاج في معاني القرآن ٩٢/١ ، وابن الجوزي في زاد المسير ٧٤/١ ، والقرطبي في تفسيره ٢٨٣/١ ، وأبو حيان في البحر ١٧٨/١ ، ورجّحه وضعّف الأقوال الأخرى .

(٥) (إذا) ساقط من (ب) .

(٦) ذكره الزجاج في معاني القرآن ٩٢/١ ، وانظر : تفسير ابن عطية ٢٦٩/١ ، وزاد المسير ٧٤/١ ، وتفسير القرطبي ٢٨٣/١ ، والبحر ١٧٨/١ ، وضعّفه ابن جرير ، وقال : لا معنى لقول من زعم أن العائد من الذكر في (به) على (ما) التي في قوله : (لما معكم) ؛ لأن ذلك ، وإن كان محتملاً ظاهر الكلام ، فإنه بعيد ، مما يدل عليه ظاهر التلاوة والتنزيل . إلخ ، تفسير الطبري ٢٥١/١ .

(٧) انظر : تفسير الطبري ٢٥٢/١ ، وتفسير أبي الليث ١١١٤/١ ، وتفسير ابن عطية ٢٦٩/١ ، وتفسير البغوي ٨٧/١ ، وتفسير القرطبي ٢٨٣/١ ، والبحر المحيط ١٧٧/١ ، وتفسير ابن كثير ٨٩/١ .

وحكي عن أبي العالية أنه قال : الكناية تعود إلى محمد ﷺ^(١) . وإنما قيل لهم : ﴿وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ﴾ ؛ لأن الخطاب لعلماء اليهود ، فإذا كفروا كفر معهم الأتباع^(٢) .

فإن قيل : ما في^(٣) (أن تكونوا أول كافر به) من العظم ، على ثانٍ كافر ؟ قيل : إنهم إذا كانوا أئمة في الضلالة كانت ضلالتهم أعظم^(٤) .

قال الزَّجَّاج : اللغة القُدَمَى : فتح الكاف من (كافر) ، والإمالة في الكاف -أيضاً- جيد^(٥) ، لأن (فاعلاً) إذا سلم من حروف الإطباق والحروف المستعلية كانت الإمالة فيه سائغة إلا في لغة أهل الحجاز ، والإمالة لغة تميم^(٦) ، وحروف الإطباق : (الطاء والظاء والصاد الضاد) فلا تجوز الإمالة^(٧) في : ظالم وطالب

(١) ذكره الطبري في تفسيره ٢٥٢/١ ، وكذا أبو حيان في البحر المحيط ١٧٨/١ ، وذكر أيضاً في تفسير أبي الليث ١١٤/١ ، وتفسير ابن عطية ٢٧١/١ ، وتفسير القرطبي ٢٨٣/١ .

(٢) معاني القرآن للزَّجَّاج ٩٢/١ ، وانظر : تفسير أبي الليث ١١٤/١ ، وتفسير الثعلبي ١٦٨/١ ، وتفسير البغوي ٨٧/١ .

(٣) في (ج) : (ما في قوله : وأن تكونوا) ولعله أولى .

(٤) انظر : تفسير الثعلبي ١٦٨/١ ، وتفسير البغوي ٨٧/١ ، وزاد المسير ٤٧/١ ، وتفسير الرازي ٤٢/١ ، والبحر المحيط ١٧٨/١ .

(٥) قال ابن الجزري في النشر : «انفرد صاحب المبهج عن أبي عثمان الضرير عن الدوري بإمالة (أول كافر به) فخالف سائر الرواة . . . » . النشر ٦٦/٢ ، وقال عبدالفتاح القاضي : «لا إمالة لأحد في ﴿أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ﴾» ، البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة ٣١ .

(٦) انظر : إعراب القرآن للنحاس ١٦٨/١ .

(٧) في (ب) : (لا في) .

وضابط وصابر، وحروف الاستعلاء: (الخاء، والغين، والقاف)^(١) لأنها من أعلى الحنك واللهاة، فلا تجوز الإمالة في: غافل وخادم وقاهر^(٢).

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِنِّي فَاتَقُون﴾. أي بيان صفة محمد ﷺ ونعته عرضاً يسيراً من الدنيا، وذلك أن رؤساء^(٣) اليهود كانت لهم مآكل يصيبونها من سفلتهم وعوامهم، فخافوا - إن هم بينوا صفة محمد ﷺ وتابعوه - أن تفوتهم تلك المآكل والرئاسة، فاختراروا الدنيا على الآخرة^(٤).

قال أبو علي: المعنى^(٥) (ذا ثمن) فهو من باب حذف المضاف؛ لأنه إنما يشتري ما هو ذو ثمن لا الثمن^(٦). ويجوز أن يكون معنى الاشتراء الاستبدال، فيكون المعنى: ولا تستبدلوا بآياتي ثمنًا قليلاً فيستغنى عن تقدير المضاف^(٧).

(١) ذكر سيبويه حروف الاستعلاء سبعة حروف هي المذكورة هنا، وأربعة منها فيها مع استعلائها إطباق، و(الخاء) و(الغين) و(القاف) لا إطباق فيها مع استعلائها، الكتاب ٤/ ١٢٨، وسر صناعة الإعراب ١/ ٦١، ٦٢.

(٢) معاني القرآن للزجاج ١/ ٩٣، ونقل الواحدي كلامه بتصرف.

(٣) في (ج): (راسا).

(٤) تفسير الثعلبي ١/ ٦٨، ونحوه ذكر الطبري ١/ ٢٥٣، وأبو الليث ١/ ١١٤.

قال ابن كثير، ١/ ٨٩: «يقول: لا تعتاضوا عن الإيمان بآياتي وتصديق رسولي بالدنيا وشهواتها فإنها قليلة فانية...». وقد ذكر ابن عطية أقوالاً في الثمن الذي نهوا أن يشتروه بالآيات، ١/ ١٧١، ١٧٢، وكذا أبو حيان في البحر ١/ ١٧٨.

(٥) (المعنى) ساقط من (ب).

(٦) قال الفراء: «وكل ما كان في القرآن من هذا قد نصب فيه الثمن وأدخلت الباء في المبيع أو المشتري، فإن ذلك أكثر ما يأتي في الشيتين ولا يكونان ثمناً معلوماً كالدينارين والدراهم... فإن جئت إلى الدراهم والدينارين وضعت الباء في الثمن...»، معاني القرآن ١/ ٣٠، ومعنى كلامه: أنه إذا لم يكن دينارين ولا دراهم في البيع صح أن يكون كل واحد من المبذول ثمناً ومثمناً. انظر: البحر ١/ ١٧٨، والدر المصون ١/ ٣١٩.

(٧) انظر: البحر ١/ ١٧٨، والدر المصون ١/ ٣١٩.

و(القليل) نقيض^(١) الكثير، قَلَّ الشيء يَقَلُّ قَلَّةً^(٢). ﴿وَإِنِّي فَأَتَّقُونَ﴾ :
فاخشون في أمر محمد، لا ما يفوتكم من الرئاسة^(٣).

٤٢. قوله تعالى: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾ الآية. يقال: لَبَسْتُ الأمر
أَلْبَسُهُ لَبْسًا، إذا خلطته وشبهته^(٤). وقال ابن دريد: لَبَسْتُ الأمر
وَلَبَسْتُهُ، إذا عُمِيتُهُ، ومنه ﴿وَلَلْبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَكَايِلَ سُورَتِ﴾ [الأنعام: ٩].
ويقال: في أمره لُبْسَةٌ، أي ليس بواضح^(٥).

قال ابن السكيت: يقال: (في أمره لُبْسٌ، أي اختلاط)^(٦). و(اللباس) ما
واريت به جسدك. هذا هو الأصل في اللباس^(٧)، ثم يقال: لَبَسْتُ فلاناً، أي
استمتعت به^(٨). قال:

وَحَقَّةٌ مِنْكِ مِنْ نِسَاءٍ لَبَسْتُهَا شَبَابِي وَكَأْسٍ بَاكَرْتَنِي شَمُوْهُلَهَا^(٩)
وفي فلان مَلْبَسٌ، إذا كان فيه مستمتع^(١٠).

(١) في اللسان: (القلة خلاف الكثرة). اللسان (قل) ٦/٣٧٢٦.

(٢) انظر: تهذيب اللغة (قلل) ٣/٣٠٣٦، واللسان (قل) ٦/٣٧٢٦.

(٣) الثعلبي في تفسيره ١/٦٨، ونحوه عند أبي الليث في تفسيره ١/١١٤، وقال ابن جرير: «(فاتقون)
في بيعكم آياتي بالخسيس من الثمن وشرائكم بها القليل من العرض، وكفركم بما أنزلت على رسولي
وجحدكم نبوة نبيي أن أحل بكم ما أحللت بأسلافكم...». ١/٢٥٤. وانظر: تفسير ابن كثير
١/٨٩.

(٤) انظر: تهذيب اللغة (لبس) ٤/٣٢٢٨، واللسان (لبس) ٧/٣٩٨٦.

(٥) الجمهرة ١/٢٨٩.

(٦) إصلاح المنطق ١١، وانظر: تهذيب اللغة (لبس) ٤/٣٢٢٨، والنص من التهذيب.

(٧) انظر: تهذيب اللغة (لبس) ٤/٣٢٢٨، ومجمل اللغة (لبس) ٣/٨٠١، واللسان (لبس) ٧/٣٩٨٦.

(٨) في التهذيب: «لَبَسْتُ امرأة، أي تمتعت بها زماناً، وَلَبَسْتُ قوماً، أي تمليت بهم دهرًا»، (لبس)
٤/٣٢٢٨.

(٩) البيت لعبدالله بن عجلان النهدي في الحماسة بشرح المرزوقي ٣/١٢٥٩، والكامل ٢/٢٩٢.

(١٠) في (ب): (مستمع). انظر: المجمل (لبس) ٣/٨٠٨، ومقاييس اللغة (لبس) ٥/٢٣٠، واللسان
(لبس) ٧/٣٩٨٦.

قال امرؤ القيس :

أَلَا إِنَّ بَعْدَ الْفَقْرِ لِلْمَرْءِ قِنَوَةً وَبَعْدَ الْمَشْيِبِ طُولَ عُمُرٍ وَمَلْبَسًا^(١)
و(الباطل) : الذاهب الزائل ، يقال : بطل الشيء يبطل بُطُولًا وبُطْلَانًا ،
و(البُطل) أيضاً مثل الباطل ، وأبطل الشيء جعله باطلاً ، وأبطل فلان جاء
بالكذب وادعى باطلاً^(٢) .

ومعنى الآية : لا تخطوا الحق الذي أنزلت عليكم من صفة محمد ﷺ بالباطل
الذي تكتبونه بأيديكم ، من تغيير صفته وتبديل نعتة^(٣) .

قال مقاتل : إن اليهود أقروا ببعض صفة محمد ﷺ وكتبوا بعضاً ليُصدَّقوا
في ذلك ، فقال الله عز وجل : ﴿ وَلَا تَلْسُؤُوا الْحَقَّ ﴾ الذي تُقرُّون به وتبينونه
﴿ بِالْبُطْلِ ﴾ ، يعني بما^(٤) تكتبونه ، فالحق بيانهم والباطل كتمانهم^(٥) .

(١) يقول : بعد الشدة رخاء ، وبعد الشيب عمر ومستمتع ، وهذا مثل ضربه لنفسه ، و(القِنِيَّةُ) ما اقتنيت
من شيء فاتخذته أصل مال . والمَلْبَسُ : المستمتع والمتنفع ، وفي الديوان وأكثر المصادر (بعد العدم) بدل
(الفقر) ، انظر : ديوان امرئ القيس ٨٧ ، وتهذيب اللغة (لبس) ٣٢٢٩ / ٤ ، ومجمل اللغة ٨٠١ / ٣ ،
ومقاييس اللغة ٢٣٠ / ٥ ، واللسان ٣٩٨٧ / ٧ ، وتفسير القرطبي ٢٩٠ / ١ .

(٢) انظر : تهذيب اللغة (بطل) ٣٥٠ / ١ ، واللسان ٣٠٢ / ١ ، وتفسير القرطبي ٣٤١ / ١ .

(٣) تفسير الثعلبي ٦٨ / ١ ب ، وانظر : تفسير ابن أبي حاتم ٩٨ / ١ ، ومعاني القرآن للزجاج ٤٩ / ١ ،
وتفسير ابن عطية ٢٧٢ / ١ ، وتفسير القرطبي ٢٩١ / ١ .

(٤) (بما) ساقط من (أ) و(ج) ، وأثبتها من (ب) ؛ لأن السياق يقتضيها ، وهي ثابتة في تفسير الثعلبي
٦٨ / ١ .

(٥) تفسير الثعلبي ٦٨ / ١ ، وذكره أبو الليث ولم يعزه إلى مقاتل ، ٣٣٨ / ١ . وفي الآية أقوال أخرى
منها : قيل : ﴿ وَلَا تَلْسُؤُوا الْحَقَّ بِالْبُطْلِ ﴾ : اليهودية والنصرانية بالإسلام ، انظر : تفسير الطبري
٢٥٥ / ١ ، وتفسير ابن أبي حاتم ٩٨ / ١ ، وتفسير ابن عطية ٢٧٣ / ١ .

وقوله تعالى: ﴿وَتَكْنُتُوا الْحَقَّ﴾. قال الفراء^(١): إن شئت جعلت ﴿وَتَكْنُتُوا﴾ في موضع جزم بالعطف^(٢)، وإن شئت جعلتها في موضع نصب^(٣) على (الصرف)، ومثله^(٤): ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا﴾ [البقرة: ١٨٨]، وقوله تعالى: ﴿لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا﴾ [الأنفال: ٢٧]، ومعنى (الصرف) أن تأتي^(٥) بالواو معطوفاً^(٦) على كلام في أوله حادث لا تستقيم^(٧) إعادتها في المعطوف^(٨)،

كقوله :

لَا تَنْهَ عَنْ خُلُقٍ وَتَأْتِي مِثْلَهُ^(٩)

- (١) معاني القرآن للفراء ١/ ٣٣.
- (٢) قوله: (بالعطف)، أي على (تلبسوا).
- (٣) قوله: في موضع نصب على (الصرف)، وبإضمار (أن) على رأي البصريين كما سيأتي.
- (٤) في (ج): (ومثله قوله).
- (٥) في (أ) و(ج): (يأتي)، وما في (ب) أصح في السياق وموافق لما في معاني القرآن ١/ ٣٤.
- (٦) في المعاني: (معطوفة).
- (٧) في (ب) و(ج): (لا يستقيم).
- (٨) ذكره الطبري في تفسيره ١/ ٢٥٥، وقد عرف أبو البركات بن الأنباري الصرف عند الكوفيين: بأنه ما كان الثاني مخالفاً لأول، ولا يحسن معه تكرار العامل الذي ورد مع الأول، الإنصاف ١/ ٥٥٦.
- (٩) صدر بيت وعجزه:

عَارٌّ عَلَيْكَ إِذَا فَعَلْتَ عَظِيمُ

وقد اختلف في نسبته، فنسبه سيبويه إلى الأخطل، ونسبه بعضهم إلى أبي الأسود الدؤلي، ونسبه بعضهم إلى المتوكل الكناني، وبعضهم إلى حسان، وبعضهم إلى الطرماح بن حكيم، وإلى سابق البربري، والبيت ورد في أغلب كتب النحو. ورد في الكتاب ١/ ٤٢، والمقتضب ٢/ ٢٥، ومعاني القرآن للفراء ١/ ٣٤، وتفسير الطبري ١/ ٢٥٥، والإيضاح العضدي ١/ ٣١٤، والجمال للزجاجي ١٨٧، والأزهية ٢٣٤، والرصف ٤٨٦، وشرح المفصل ٧/ ٢٤، والخزانة ٨/ ٥٦٤، وشرح شذور الذهب ٣٦٠، ومغني اللبيب ٢/ ٣١٦، وأدب الدنيا والدين ٣٩، وشرح ابن عقيل ٢٣٣، وأوضح المسالك ٤/ ١٨١، وغيرها كثير.

ألا ترى أنه لا يجوز إعادة (لا) في و(تأتي)، ولذلك سمي صرفاً إذ^(١) كان معطوفاً^(٢) ولم يستقم أن يعاد فيه الحادث الذي في ما^(٣) قبله. ومثله من الأسماء التي نصبتها العرب وهي معطوفة على مرفوع، قولهم: لو تُرُكَّتْ والأسدَ لأُكَلِّك^(٤)، ولو خُلِّيتَ ورَأَيْكَ لضللت، لما لم يحسن في الثاني أن تقول^(٥): لو تركت وترك^(٦) رأيك، تهييوا أن يعطفوا حرفاً لا يستقيم فيه ما حدث في الذي قبله، على الذي قبله، فنصبوا^(٧).

ومذهب البصريين أن جميع ما انتصب في هذا الباب فيأضمار (أن)، كأنه قيل: لا يكن منكم لبس للحق وأن تكتموه^(٨).

وقوله: ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾. أكثر المفسرين على أن المعنى: وأنتم تعلمون أنه الحق، أنه نبي مرسل قد أنزل عليكم ذكره في كتابكم، فليس بمشتبه عليكم شيء من أمره ونسبه، وعلى هذا إنما كفروا لأنهم جحدوا نبوته فلم ينفعهم علمهم^(٩).

-
- (١) في (ب): (إذا).
 - (٢) في (ج): (مطوفاً).
 - (٣) كذا في النسخ جميعها. وفي معاني القرآن للقرّاء: (الحادث الذي قبله)، ٣٤ / ١.
 - (٤) في (ج): (لا كان).
 - (٥) في (أ) و(ج): (يقول)، وما في (ب) أولى وموافق لما في المعاني ٣٤ / ١.
 - (٦) في (ج): (ويترك).
 - (٧) انتهى من معاني القرآن للقرّاء ٣٣ / ١، ٣٤، بتصرف. وانظر: تفسير الطبري ٢٥٥ / ١.
 - (٨) معاني القرآن للزجاج ٩٤ / ١، وانظر: تفاصيل الخلاف في هذه المسألة في الإنصاف ٤٤٢، وقد ذكر قولاً ثالثاً لأبي عمر الجرمي، وهو أن (الواو) هي الناصبة بنفسها؛ لأنها خرجت عن باب العطف، وانظر: البحر المحيط ١٧٩ / ١.
 - (٩) انظر: تفسير الطبري ٢٥٦ / ١، وتفسير ابن كثير ٩٠ / ١، وتفسير القرطبي ٢٩١ / ١، والبحر ١٨٠ / ١.

والأمة اجتمعت^(١) على أن جاحد النبوة كافر ، فإذا علموا بقلوبهم ، ولم يكن لنا سبيل إلى أن نعلم أنهم علموا^(٢) ، وظهر منهم جحود ، أجمعنا على أنهم كفار .

وقال الزَّجَّاج في قوله : ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ، أي تأتون لبسكم الحق وكتمانه على علم منكم وبصيرة أنكم تلبسون الحق^(٣) .

٤٣ . قوله تعالى : ﴿وَأَقِمْوُا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ . الزكاة^(٤) : تطهير للمال وإصلاح له ، وشمير ونماء ، كل ذلك قد قيل^(٥) .

والأظهر أن أصلها من الزيادة ، يقال : زكا الزرع يزكو زكاء ، ممدود وكل شيء يزداد فهو يزكو زكاء^(٦) . قال النابغة^(٧) :

وَمَا أَخْرَتْ مِنْ دُنْيَاكَ نَقْصٌ وَإِنْ قَدَّمْتَ عَادَ^(٨) لَكَ الزَّكَاءُ^(٩)

(١) في (ب) : (اجتمعت) .

(٢) حتى ولو علمنا أنهم علموا ، فكفرهم كفر عناد ، انظر : تفسير القرطبي ١ / ٢٩١ .

(٣) معاني القرآن للزَّجَّاج ١ / ٩٤ ، وانظر : تفسير أبي الليث ١ / ١٥٥ ، والكشاف ١ / ٢٧٧ ، وابن كثير في تفسيره ١ / ٩٠ ، وقال : ويجوز أن يكون المعنى : «وأنتم تعلمون ما في ذلك من الضرر العظيم على الناس ، من إضلالهم عن الهدى المفضي بهم إلى النار» .

(٤) (الزكاة) ساقط من (ب) و(ج) .

(٥) انظر : تهذيب اللغة (زكا) ٢ / ١٥٤٢ ، وتفسير الطبري ١ / ٢٥٧ ، واللسان (زكا) ٣ / ١٨٤٩ .

(٦) تهذيب اللغة (زكا) ٢ / ١٥٤٢ ، وانظر : الزاهر ٢ / ١٨٧ .

(٧) هو نابغة بني شيبان ، انظر : الزاهر ٢ / ١٨٧ .

(٨) في (ج) : (كان اعاد) .

(٩) ورد البيت في الزاهر ٢ / ١٨٧ ، وشمس العلوم ٢ / ٢٢٣ .

أراد بالزكاء : الزيادة ، وهو حرف ممدود ، فإذا قصر فقليل : (زكا) فمعناه الزوج^(١) . والعرب تقول للفرد : خسا ، وللزوجين^(٢) : اثنين : زكا ، قيل لهما : زكا ؛ لأن الاثنين أكثر^(٣) من الواحد^(٤) ، قال الشاعر :

إِذَا نَحْنُ فِي تَعْدَادِ خَصْلِكَ لَمْ نَقُلْ
خَسَا وَزَكَ أَعْيَيْنَ مِنَّا الْمَعْدَدَا^(٥)

و(الزكاة) : الصلاح^(٦) ، وأصله أيضاً من زيادة الخير ، يقال : رجل زَكِيٌّ ، أي زائد الخير^(٧) من قوم أزكياء ، وَزَكَّى القاضي الشهود إذا بين زيادتهم في الخير ، وسمي ما يخرج من المال للمساكين بإيجاب الشرع زكاة ؛ لأنها تزيد في المال الذي تخرج منه وتوفره وتقويه الآفات^(٨) .

وقوله تعالى : ﴿وَأَزْكُوا مَعَ الزَّكَاةِ﴾ . أصل الركوع في اللغة الانحناء ، وكل شيء ينكب لوجهه وتمس ركبته الأرض أو لا تمسها بعد أن يخفض^(٩) رأسه فهو راکع ، ويقال للشيخ إذا انحنى^(١٠) من الكبر : قد ركع^(١١) .

(١) الزاهر ١٨٧/٢ ، وانظر : تهذيب اللغة (زكا) ١٥٤٣/٢ .

(٢) في (ب) : (للزوج) .

(٣) في تهذيب اللغة (زكا) ١٥٤٢/٢ .

(٤) تهذيب اللغة (زكا) ١٥٤٢/٢ ، وانظر : تفسير الطبري ٢٥٧/١ ، واللسان (زكا) ١٨٤٩/٣ .

(٥) في (ب) : (المعواد) . ورد البيت في الزاهر ١٨٧/٢ ، وفي شعر الكميت جمع دواد سلوم ١٦٢/١ ، وفيه : (إذا نحن في تكرار وصفك . . .) .

(٦) تهذيب اللغة (زكا) ١٥٤٢/٢ .

(٧) في (أ) : (الخبر) ، وما في (ب) و(ج) هو الصواب .

(٨) (الآفات) ساقط من (ب) . انظر : الزاهر ١٨٧/٢ ، وانظر : الطبري ٢٥٧/١ .

(٩) في (ج) : (ينخفض) .

(١٠) في (ب) : (حنا) .

(١١) انظر : تهذيب اللغة (ركع) ١٤٦٢/١ ، والزاهر ١٤٠/١ ، ومقاييس اللغة (ركع) ٤٣٤/٢ ، واللسان (ركع) ١٧١٩/٣ .

قال لبيد :

أَدَبٌ كَأَنِّي كُلَّمَا قُمْتُ رَاكِعٌ^(١)

فالراكي : المنحني في قول لبيد . وقال^(٢) آخر :

وَلَكِنِّي أَنَصُّ الْعِيسَ تَدْمَى أَظْلَتُهَا^(٣) وَتَرَكَعُ بِالْحُزُونِ^(٤)
أي تنكب لوجوهها .

قال المفسرون : معناه^(٥) : وصلوا مع المصلين محمد وأصحابه ، فعبر بالركوع عن جميع الصلاة ، إذ كان ركناً من أركانها ، كما عبر باليد عن الجسد^(٦) في قوله : ﴿ ذَلِكِ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَاكَ ﴾ [الحج : ١٠] .

(١) عجز بيت ، صدره :

أُخْبِرُ أَخْبَارَ الْقُرُونِ الَّتِي مَضَتْ

ورد في الزاهر ١ / ١٤٠ ، وتهذيب اللغة (ركع) ١ / ١٤٦٢ ، وتفسير الثعلبي ١ / ٦٨ ب ، والمجمل (ركع) ٢ / ٣٩٧ ، ومقاييس اللغة ٢ / ٤٣٥ ، وتفسير ابن عطية ١ / ٢٧٥ ، وتفسير القرطبي ١ / ٢٩٣ ، وديوان لبيد مع شرحه ١٧١ .

(٢) في (ج) : (وقا) .

(٣) في (ج) : (اضلعها) .

(٤) البيت للطرماح ، ويروى :

وَلَكِنِّي أَسِيرُ الْعُنُسِ يَدْمَى أَظْلَاهَا ...

العيس : الإبل ، الأظَل : باطن منسَم الناقة والبعير ، ويدمى أظلاها من شدة السير ، الحزون : جمع حزن ، ما غلظ من الأرض في ارتفاع وخشونة ، فهي تعثر وتقع في الحزون : فقال : تركع على التشبيه ، انظر : العين ١ / ٢٢٧ ، والأضداد لابن الأنباري ٢٩٦ ، وديوان الطرماح ٥٣٢ .

(٥) معناه) ساقط من (ب) .

(٦) ذكره الثعلبي في تفسيره ١ / ٦٨ ب ، وانظر : تفسير أبي الليث ١ / ١١٥ ، وتفسير ابن عطية ١ / ٢٧٤ ، وتفسير البغوي ١ / ٨٨ ، وزاد المسير ١ / ٧٥ ، وتفسير القرطبي ١ / ٢٩٣ .

وقيل : إنما عبر بالركوع عن الصلاة ؛ لأنه أول ما يشاهد مما يدل على أن الإنسان في صلاة ، وإنما قال : (واركعوا) بعد قوله : (وأقيموا الصلاة) ، وكان الركوع داخلًا في الصلاة ؛ لأنه أراد الحث على إقامة الصلاة جماعة^(١) .

وقيل : لأنه لم يكن في دين اليهود ولا في صلاتهم ركوع ؛ فذكر ما اختص بشريعة الإسلام ، والآية خطاب لليهود^(٢) .

٤٤ . قوله تعالى : ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ ﴾ الآية . نزلت في علماء اليهود ؛ لأنهم كانوا يقولون لأقربائهم من المسلمين : اثبتوا على ما أنتم عليه ، ولا يؤمنون^(٣) . و(الألف) للاستفهام^(٤) ، ومعناه : التوبيخ والتهديد^(٥) ، كأنه قيل لهم : أنتم على هذه الطريقة^(٦) . والمراد بالبر : الإيمان بمحمد ﷺ^(٧) .

-
- (١) انظر : تفسير ابن عطية ٢٧٥ / ١ ، والكشاف ٢٧٧ / ١ ، وتفسير البغوي ٨٨ / ١ .
- (٢) انظر : تفسير ابن عطية ٢٧٤ / ١ ، ٢٧٥ ، الكشاف ٢٧٧ / ١ ، وتفسير البغوي ٨٨ / ١ ، وزاد المسير ٧٥ / ١ ، وتفسير القرطبي ٢٩٣ / ١ . وفسر الطبري الركوع : بالخضوع لله بالطاعة ، فهو أمر لبني إسرائيل بالخضوع لله بالطاعة ، وذكر نحوه الزمخشري ، ٢٧٧ / ١ .
- (٣) ذكره الثعلبي في تفسيره ٦٨ / ١ ب ، وذكره الواحدي في أسباب النزول من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس ، ٢٧ ، وذكره السيوطي في لباب النقول ١٩ ، وابن الجوزي في زاد المسير ٧٤ / ١ ، وأخرج الطبري بمعناه عن ابن عباس ، تفسير الطبري ٢٥٨ / ١ ، وفي الآية نهي عن أمرهم الناس بطاعة الله وهم يعصونه ، انظر : تفسير الطبري ٢٥٧ / ١ ، ٢٥٨ ، معاني القرآن للزجاج ٩٥ / ١ .
- (٤) في (ج) : (الاستفهام) .
- (٥) في (ب) : (التقرير) .
- (٦) معاني القرآن للزجاج ٩٤ / ١ ، وانظر : تفسير ابن عطية ٢٧٥ / ١ ، والكشاف ٢٧٧ / ١ ، وتفسير القرطبي ٣١١ / ١ .
- (٧) ذكره ابن جرير عن ابن عباس ، تفسير الطبري ٢٥٨ / ١ ، وابن الجوزي في زاد المسير ٧٥ / ١ ، وقيل : البر : أمرهم أتباعهم بالتمسك بالتوراة ، وقيل : أمرهم ببذل الصدقة وهم لا يفعلون . انظر : معاني القرآن للزجاج ٩٥ / ١ ، وتفسير ابن عطية ٢٧٥ / ١ ، وزاد المسير ٧٥ / ١ ، وتفسير ابن كثير ٩١ / ١ .

و(النسيان) هاهنا بمعنى الترك^(١) من قوله : ﴿تَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [التوبة: ٦٧] .
ويأتي بسط الكلام في النسيان ووجوهه عند قوله : ﴿مَا نَسَخَ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا﴾
[البقرة: ١٠٦]^(٢) إن شاء الله .

وقال أبو إسحاق : معنى الآية أنهم كانوا يأمرؤن أتباعهم بالتمسك بكتابهم ،
ويتركون هم التمسك به ؛ لأن جحدهم النبي ﷺ هو تركهم التمسك^(٣) . فالبر
على هذا القول : التمسك بالتوراة .

وقال بعضهم : إن اليهود كانوا يأمرؤن الناس بالإيمان بمحمد ﷺ قبل
ظهوره ، فلما ظهر كفروا به^(٤) ، فذلك قوله : ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿وَأَنْتُمْ نَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾ . أي تقرأون التوراة ، وفيها صفة
محمد ﷺ ونعته^(٥) . ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ أنه حق فتتبعونه^(٦) . وأصل التلاوة من
قولهم : تلاه يتلوه ، إذا تبعه ، والتلاوة اتباع الحروف^(٧) .

ويقال : عقل الرجل يعقل عقلاً ، إذا كان عاقلاً^(٨) ، وعقل الإنسان هو تمييزه
الذي به فارق جميع الحيوان ، سمي عقلاً لأنه يعقله ، أي يمنعه عن التورط^(٩) في

(١) انظر : تفسير الطبري ٢٥٩/١ ، وتفسير ابن عطية ٢٧٥/١ ، وزاد المسير ٧٥/١ .

(٢) انظر : البسيط ٢٣٧/١ ، ومن نسخة إستانبول .

(٣) معاني القرآن للزجاج ٩٥/١ ، وفيه (التمسك به . . .) .

(٤) ذكره الرازي ، وقال هو اختبار أبي مسلم . تفسير الرازي ٤٦/٣ .

(٥) تفسير الثعلبي ٦٨/١ ب ، وانظر : تفسير الطبري ٢٥٩/١ ، وتفسير البغوي ٨٨/١ .

(٦) في (ج) : (فتتبعونه) .

(٧) انظر : تهذيب اللغة (تلا) ٤٤٥-٤٤٦ ، ومفردات الراغب ٧٥ ، وتفسير القرطبي ٣١٥/١ .

(٨) ذكره الأزهري عن أبي عبيد عن الأصمعي ، تهذيب اللغة (عقل) ٢٥٢٥/٣ .

(٩) في (ب) : (التوريط) .

الهلكة ، كما يعقل العقل البعير عن ركوب رأسه . ومن هذا سميت الدية عقلاً ؛ لأنها إذا وصلت إلى ولي المقتول عقلته عن قتل ^(١) الجاني ، أي منعتة ^(٢) .

وقال الأصمعي : عقلَ الظبي يعقل عُقُولاً ، إذا امتنع ، ومنه سمي الوَعْل عاقلاً ، والحصن مَعْقِلاً . وعَقَلَ الدواءَ بَطْنَهُ إذا أمسكه بعد استطلاقه ^(٣) .

فأصل هذا الحرف من المنع ، ثم لما كان الإنسان يعرف الشيء بعقله ، سمي العلم عقلاً في ^(٤) بعض المواضع ، فيقال عقلت كذا ، أي علمته ^(٥) .

٤٥ . قوله تعالى : ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ الآية . قال أبو عبيد ^(٦) :

أصل الصبر الحبس ، وكل من حبس شيئاً فقد صبره ، ومنه الحديث في رجل أمسك رجلاً وقتله آخر ، فقال : (اقتلوا القاتل ، واصبروا الصابر) ^(٧) أي احبسوا الذي حبسه حتى يموت ، ومنه قيل للرجل يُقَدَّم فتضرب ^(٨) عنقه : قُتِلَ صبراً ، يعني أنه أمسك على الموت ،

(١) في (ب) : (عقل) .

(٢) تهذيب اللغة (عقل) ١/ ٢٥٢٤ ، وانظر : اللسان (عقل) ٥/ ٣٠٤٧ .

(٣) تهذيب اللغة (عقل) ١/ ٢٥٢٥ ، وانظر : مقاييس اللغة (عقل) ٤/ ٧٢ ، واللسان (عقل) ٥/ ٣٠٤٦ .

(٤) في (ب) : (وفي) .

(٥) انظر : مقاييس اللغة ٤/ ٦٩ .

(٦) في (ب) : (أبو عبيدة) . والصحيح : أبو عبيد ، انظر : غريب الحديث ١/ ١٥٥ .

(٧) الحديث ذكره أبو عبيد في غريب الحديث من دون سند ، وفي الهامش قال المحقق زاد في (ر) : قال :

«سمعت عبدالله بن المبارك يحدثه عن إسماعيل بن أمية يرفعه» ، غريب الحديث ١/ ١٥٥ ، وذكره

الثعلبي ١/ ٦٩ ، والأزهري في تهذيب اللغة عن أبي عبيد ٢/ ١٩٧٢ ، وهو في الفائق ٢/ ٢٧٦ ،

والنهاية في غريب الحديث ٣/ ٨ ، وغريب الحديث لابن الجوزي ١/ ٥٧٨ ، وذكره في كنز العمال عن

أبي عبيدة عن إسماعيل بن أمية مرسلًا ١٥/ ١٠ .

(٨) في (ج) : (فيضرب) وكذا في الغريب لأبي عبيد .

وكذلك لو حبسَ رجلٌ^(١) نفسه على شيء يريدُه ، قال : صبرتُ نفسي .
قال عنترَة :

فَصَبْرْتُ عَارِفَةً لِدَلِكْ حُرَّةً تَرُسُو إِذَا نَفْسُ الْجَبَانِ تَطَلَّعُ^(٢)
ومن هذا (يمين الصبر) ، وهو أن يحبس على اليمين حتى حلف بها^(٣) .

ومعنى الآية : استعينوا بالصبر على أداء الفرائض واجتناب المحارم ، واحتمل الأذى وجهاد العدو ، وعلى المصائب ، والصلاة^(٤) ؛ لأنها تنهى عن الفحشاء والمنكر . وقال مجاهد : الصبر في هذه الآية الصوم ، ويقال لشهر رمضان : شهر الصبر ، وللصائم صابر^(٥) .

(١) في (ب) : (رجلاً) .

(٢) يقول : صبرت عارفة ، أي حبست نفساً عارفة لذلك ، أي نفسه ، والعارفة : الصابرة ، ترسو ، أي تثبت وتستقر ، تطلع : تطلع نفس الجبان إلى حلقه من الفزع والخوف ، البيت في غريب الحديث لأبي عبيد ١/ ١٥٥ ، وتهذيب اللغة (صبر) ٢/ ١٩٧٢ ، ومقاييس اللغة (صبر) ٣/ ٣٢٩ ، وتفسير الثعلبي ١/ ٦٩أ ، واللسان (صبر) ٤/ ٢٣٩١ ، و(عرف) ٥/ ٢٨٩٩ ، وتفسير القرطبي ١/ ٣١٧ ، وفتح القدير ١/ ١٢٤ ، وديوان عنترَة ٢٦٤ .

(٣) انتهى كلام أبي عبيد ، غريب الحديث ١/ ١٥٥ ، وتهذيب اللغة (صبر) ٢/ ١٩٧٢ .

(٤) قال الثعلبي : واستعينوا على ما يستقبلكم من أنواع البلاء ، وقيل : على طلب الآخرة بالصبر على أداء الفرائض ، وبالصلاة على تحميص الذنوب ، تفسير الثعلبي ١/ ٦٨ ب ، وعند الطبري الاستعانة تكون بالصبر والصلاة ، ١/ ٢٥٩ . وانظر : معاني القرآن للزجاج ١/ ٩٥ ، وتفسير ابن عطية ١/ ٢٧٦ ، وتفسير البغوي ١/ ٨٩ ، وزاد المسير ١/ ٧٥ ، وتفسير ابن كثير ١/ ٩٢ ، ٩٣ .

(٥) انظر : تفسير الطبري ١/ ٢٥٩ ، وغريب القرآن لابن قتيبة ٣٨ ، وتفسير الثعلبي ١/ ٦٩أ ، وتفسير ابن عطية ١/ ٢٧٧ ، وتفسير البغوي ١/ ٨٩ ، وتفسير ابن كثير ١/ ٩٢ .

وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّهَا لَكَبِيرَةٌ﴾ . قال الحسن والضحاك: ثقيلة^(١) . والأصل في ذلك أن ما يكبر^(٢) يثقل على الإنسان حمله . فقليل لكل ما يصعب على النفس وإن لم يكن من جهة الحمل : يكبر عليها ، كقوله : ﴿كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا نَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾ [الشورى: ١٣] .

وقوله : (وإنها) ، ولم يقل : (وإنهما) بعد ذكر الصبر والصلاة ؛ لأنه كنى عن الأغلب والأفضل والأهم^(٣) ، وهو الصلاة ، كقوله : ﴿وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ أَذْهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا﴾ [التوبة: ٣٤]^(٤) ، وقال : ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا أَنْفَضُوا إِلَيْهَا﴾ [الجمعة: ١١] هذا قول المؤرِّج^(٥) .

وقال الأخفش^(٦) : الكناية راجعة إلى كل واحد منهما ، أراد : وإن كل خصلة منها لكبيرة ، كقوله : ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَ مَرْيَمَ وَآمَتُهَا آيَةً﴾ [المؤمنون: ٥٠] أراد : كل واحد منها . قال الشاعر^(٧) :

وَالْمُسْنِيُّ وَالصُّبْحُ^(٨) لَا فَلَاحَ مَعَهُ^(٩)

(١) أخرجه الطبري في تفسيره ١/ ٢٦١ ، وعن الضحاك في تفسيره ١/ ٢٦١ ، وذكره ابن الجوزي عن

الحسن والضحاك ، زاد المسير ١/ ٧٦ ، وانظر : تفسير ابن عطية ١/ ٢٧٨ ، وتفسير القرطبي ١/ ٣١٨ .

(٢) في (أ) و(ج) : (مما يكبر) ، وأثبت ما في (ب) لأنه هو الصواب .

(٣) في (ج) : (الأعم) .

(٤) في الآية رد الكناية إلى الفضة ، لأنها أعم وأغلب . تفسير الثعلبي ١/ ٦٩ أ .

(٥) كلام المؤرِّج أورده الثعلبي في تفسيره ١/ ٦٩ أ . المؤرِّج هو أبو فَيْدٍ مؤرِّج بن عمرو بن الحارث بن

ثور السدوسي النحوي البصري ، أخذ عن الخليل ، توفي سنة خمس وتسعين ومائة ، انظر : ترجمته في

طبقات النحويين واللغويين للزبيدي ٧٥ ، وتاريخ بغداد ١٣/ ٢٥٨ ، ووفيات الأعيان ٥/ ٣٠٤ ،

وإنباه الرواة ٣/ ٣٢٧ .

(٦) معاني القرآن للأخفش ١/ ٢٥٢ ، وتفسير الثعلبي ١/ ٦٩ أ .

(٧) هو الأضبط بن قريع السعدي .

(٨) في (ج) : (الصباح) .

(٩) سبق البيت وتخريجه في تفسير قوله تعالى : ﴿هُمُ الْمُنْفَلِحُونَ﴾ [البقرة: ٥] ، ٧٧ ، والشاهد قوله : (معه)

والمراد : (معهما) .

وقيل : رد الهاء إلى الصلاة ؛ لأن الصبر داخل في الصلاة ، كقوله : ﴿ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ ﴾ [التوبة: ٦٢] ؛ لأن رضى الرسول داخل في رضى الله تعالى^(١) . وقال حسان :

إِنَّ شَرَحَ الشَّبَابِ وَالشَّعْرِ الْأَسَدِ سَوَدِ مَا لَمْ يُعَاصَ كَانَ جُنُونًا^(٢)
ولم يقل : يعاصيا ؛ لأن الشعر الأسود داخل في الشباب^(٣) .

وقال الحسين بن الفضل : رد الكناية إلى الاستعانة ؛ لأن (استعينوا) يدل على المصدر^(٤) . والأصل في هذا وأمثاله أن العرب تذكر شيئين ، ثم تخبر عن أيهما شاءت ، فتكتفي بالخبر عن أحدهما عن الثاني ؛ لأن فيه دلالة على الثاني^(٥) كقوله تعالى : ﴿ فَأَنْظِرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ﴾ [البقرة: ٢٥٩] ، وقوله : ﴿ وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرَوْهَا بَرِيئًا ﴾ [النساء: ١١٢] . وقول الشاعر :

نَحْنُ بِمَا عِنْدَنَا وَأَنْتَ بِمَا
عِنْدَكَ رَاضٍ وَالرَّأْيُ مُخْتَلَفٌ^(٦)

(١) فلم يقل : (يرضوهما) ، الثعلبي ١/ ٦٩ أ .

(٢) قوله : شرح الشباب : أوله ، ما لم يعاص : أي ما لم يُعَصَّ .

ورد البيت في تفسير الثعلبي ١/ ٦٩ ب ، وتهذيب اللغة (شرح) ٢/ ١٨٥١ ، وتأويل المشكل ٢٨٨ ، ومجاز القرآن ١/ ٢٥٨ ، واللسان (شرح) ٤/ ٢٢٢٩ ، ومقاييس اللغة ٣/ ٢٦٩ ، وتفسير القرطبي ١/ ٣١٩ ، وفتح القدير ١/ ١٢٤ ، والبحر ١/ ١٨٥ ، والدر المصون ١/ ٣٣١ ، وديوان حسان ٢٥٢ .

(٣) انظر : تفسير الثعلبي ١/ ٦٩ أ ، ب ، وتأويل مشكل القرآن ٢٨٨ ، والبيان في غريب إعراب القرآن ١/ ٧٩ ، وتفسير القرطبي ١/ ٣١٩ ، والبحر ١/ ١٨٥ ، والدر المصون ١/ ٣٣٠ .

(٤) تفسير الثعلبي ١/ ٦٩ ب ، وتفسير البغوي ١/ ٨٩ . وانظر : البيان في غريب إعراب القرآن ١/ ٧٩ ، وتفسير القرطبي ١/ ٣١٩ .

(٥) انظر : مجاز القرآن ١/ ٣٩ ، وتأويل مشكل القرآن ٢٨٨ ، والبيان في غريب إعراب القرآن ١/ ٧٩ .

(٦) اختلف في نسبة هذا البيت ، فنسب إلى قيس بن الخطيم ، وهو في ملحقات ديوانه ١٧٣ ، ونسبه في الخزانة ٤/ ٢٧٥ إلى عمرو بن أمريئ القيس ، وكذا في جمهرة أشعار العرب ٢٣٧ ، ونسبه في الإنصاف

٨٥ إلى درهم بن زيد الأنصاري ، وورد البيت في الكتاب ١/ ٧٥ ، ومجاز القرآن ١/ ٣٩ ، وشرح =

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا عَلَى الْخَشِيعِينَ﴾. أصل الخشوع في اللغة: السكون^(١)، قال الله تعالى: ﴿وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ﴾ [طه: ١٠٨]، أي سكنت، ويقال: جدار خاشع، إذا تداعى واستوى مع الأرض^(٢).

قال النابغة:

وَنُؤْيٍ كَجِذْمِ الْحَوْضِ أَثْلَمُ خَاشِعٌ^(٣)

أبيات سيوييه لابن السرياني ٢٧٩ / ١، والمقتضب ١١٢ / ٣، وتهذيب اللغة ٣ / ٣٠٠٣، واللسان (فجر) ٦ / ٣٣٥١، و(قعد) ٦ / ٣٦٨٦، ومغني اللبيب ٢ / ٦٢٢، والهمع ٥ / ١٤٠، ومعاهد التنصيص ١ / ١٨٩، وتفسير القرطبي ٨ / ١٢٧، وشرح ابن عقيل ١ / ٢٤٤.

(١) انظر: تهذيب اللغة (خشع) ١ / ١٠٣٤. قال ابن فارس: «(الخاء والشين والعين) أصل واحد يدل على التظامن... وهو قريب من الخضوع»، ٢ / ١٢٨. ونحوه قال الطبري: «أصل الخشوع: التواضع والتذلل والاستكانة»، تفسير الطبري ١ / ٢٦١.

(٢) تهذيب اللغة (خشع) ١ / ١٠٣٤.

(٣) من قصيدة للنابغة الذبياني يمدح النعمان، وصدره:

رَمَادٌ كَكُحْلِ الْعَيْنِ لَأَيًّا أُبَيِّنُهُ

يقول من الآيات التي عرف بها الدار رماد ككحل العين، لَأَيًّا أُبَيِّنُهُ، أي بصعوبة وبطء أتبينه، و(النُّؤْيُ): حاجز حول البيت لئلا يدخله الماء، و(الجِذْمُ): أصل الشيء، (أثلم)، تثلم: تهدم، و(الخاشع): المطمئن اللاصق بالأرض، ورد البيت في تفسير الثعلبي ١ / ٦٩ ب، والتهذيب (خشع) ١ / ١٠٣٤، واللسان (خشع) ٢ / ١١٦٦، وتفسير القرطبي ١ / ٣٢٠، وديوان النابغة ٥٣.

ومنه الحديث : « كانت الكعبة خُشعة على الماء »^(١) ، أي ساكنة ، وهذا أصله في اللغة . ثم استعمل في أشياء تعود^(٢) إلى هذا الأصل ، فقليل : خشعت الأرض ، إذا لم تمطر ، فلم تهتز^(٣) بالنبات ، قال الله تعالى : ﴿ تَرَى الْأَرْضَ خُشْعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ ﴾^(٤) [فصلت : ٣٩] . وخشع السنام ، إذا ذهب شحمه وتطأطأ شرفه . وخشعت الأبصار ، إذا سكنت ونظرت في الأرض من غير التفات . وقيل للمطيع^(٥) المخبت : خاشع ، لسكونه إلى الطاعة^(٦) .

قال المفسرون وأصحاب المعاني : إن^(٧) جميع العبادات داخلة تحت قوله : ﴿ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ ﴾ ؛ لأنه أراد الصبر عليها^(٨) ، ولكن خصت الصلاة بالذكر

(١) أخرجه الأزرقى في أخبار مكة بسنده عن عطاء عن ابن عباس ، في رواية طويلة عن خلق الأرض وفيها : « . . . فبعث الله رجلاً هفاة فصفت الماء فأبرز خشفة في موضع هذا البيت . . . » . قال المحقق : (خشفة) في الأصول الأعلام جميعها ، ورواها ابن ظهيرة عن عمر بن شبة : (خشعة) ، أخبار مكة ٣٢ / ١ .

أخرجه الخطابي من طريق الأزرقى بنحوه ، غريب الحديث ٤٩٦ / ٢ ، وذكره الأزهرى في تهذيب اللغة ١ / ١٠٣٤ ، وابن الأثير في النهاية في غريب الحديث ٢ / ٣٥ .

(٢) في (ج) : (يعود) .

(٣) في (ب) : (فتهتز) .

(٤) وقد ورد سياق الآية في (أ) و(ج) : (وترى) ، وهو تصحيف في الآية ، وفي تهذيب اللغة وردت آية الحج : ﴿ وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ ﴾ [الحج : ٥] . انظر : تهذيب اللغة ١ / ١٠٣٤ ، والواحدي نقل الكلام عنه .

(٥) في (ج) : (للماصع) .

(٦) تهذيب اللغة (خشع) ١ / ١٠٣٤ ، وانظر : مقاييس اللغة (خشع) ٢ / ١٨٢ ، واللسان (خشع) ١١٦٦ / ٢ .

(٧) (إن) ساقطة من (ب) .

(٨) أكثر المفسرين على أن المراد الاستعانة بالصلاة مع الصبر ، لا الاستعانة بالصبر عليها ، وقد تقدم الكلام على ذلك ، وانظر : تفسير الطبري ١ / ٢٦٠ ، وتفسير ابن عطية ١ / ٢٧٨ ، والكشاف ١ / ٢٧٧ ، والقرطبي ١ / ٣١٧ .

تخصيصاً وتفضيلاً^(١)، كقوله: ﴿فِيهَا فَكَّهَةٌ وَنَحْلٌ وَرَمَانٌ﴾ [الرحمن: ٦٨] وقوله: ﴿وَمَلَأْنِي كَيْتَهُ وَرُسُلِهِ وَحَزِيرِيلَ وَمِيكَئِيلَ﴾ [البقرة: ٩٨].

وعلى قول من يقول: الصبر هو الصوم^(٢)، فإنما خص الصوم والصلاة؛ لأن القوم إنما كان يمنعهم عن الإسلام الشره وخوف ذهاب مأكلاتهم^(٣) وحب الرئاسة وخوف زوالها، فأمرُوا بالصوم الذي يذهب الشره^(٤)، وبالصلاة التي تورث الخشوع وتنفي الكبر والشرف^(٥). وأريد بالصلاة الصلاة التي معها الإيمان بمحمد ﷺ؛ لأنها كانت تكبر^(٦) على^(٧) الكفار^(٨). وعند أكثر أهل العلم أن الآية خطاب لأهل الكتاب^(٩)، وهو مع ذلك أدب لجميع العباد^(١٠). وقال بعضهم: يرجع هذا القول إلى خطاب المسلمين فأمرُوا أن يستعينوا على ما يطلبونه من رضى الله وثوابه ونيل^(١١) جنته بالصبر على أداء فرائضه، والقول الأول أظهر^(١٢).

- (١) خصت الصلاة بالاستعانة بها من بين سائر العبادات لفضلها ولما يتل فيها، انظر: معاني القرآن للزجاج ٩٥/١، والقرطبي ٣١٧.
- (٢) هو قول مجاهد كما سبق.
- (٣) في (ب): (مأكلاتهم)، ولعله أولى.
- (٤) في (ج): (الشر).
- (٥) (الشرف) كذا جاءت في النسخ جميعها، ولعل المراد حب الرئاسة والشرف المذموم. انظر: معاني القرآن للزجاج ٩٥/١، وتفسير ابن عطية ٢٧٨/١، وزاد المسير ٧٥/١، وتفسير الرازي ٤٩/٣.
- (٦) في (أ): (تكفر)، وما في (ب) و(ج) هو المثبت وهو الصواب.
- (٧) في (ب): (عن).
- (٨) معاني القرآن للزجاج ٩٥/١.
- (٩) انظر: تفسير الطبري ٢٦١/١، ومعاني القرآن للزجاج ٩٥/١، وزاد المسير ٧٥/١، وتفسير الرازي ٤٨/٣، وتفسير الخازن ١١٨/١، وتفسير ابن كثير ٩٣/١.
- (١٠) قال ابن كثير: «الظاهر أن الآية وإن كانت خطاباً في سياق إنذار بني إسرائيل فإنهم لم يقصدوا بها على سبيل التخصيص، وإنما هي عامة لهم ولغيرهم»، ٩٣/١.
- (١١) في (ج): (قبل).
- (١٢) انظر: تفسير الرازي ٤٨/٣، وتفسير الخازن ١١٨/١، والبحر ١٨٥/١.

٤٦. وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلْقُوا رَبَّهُمْ﴾ الآية. أبو عبيد^(١) عن أبي عبيدة قال: (الظن): يقين وشك^(٢)، وأنشد:

ظَنِّي بِهِمْ كَعَسَى وَهُمْ يَتَنَوَّفَ
يَتَنَازَعُونَ جَوَانِبَ الْأُمِّيَالِ^(٣)

البيت لابن مقبل، وفسر الظن فيه بالوجهين، فقال: أبو عبيدة يقول: اليقين فيهم كعسى، وعسى شك^(٤). وقال شمر عن أبي عمرو الشيباني: معناه ما يظن بهم من الخير فهو واجب، وعسى من الله واجب^(٥).

والعرب تقول لليقين: ظن، وللشك: ظن^(٦)؛ لأن في الظن طرفاً^(٧) من اليقين^(٨). قال الله تعالى: ﴿إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلْقٍ حِسَابِيَّةٍ﴾ [الحاقة: ٢٠]، وقال: ﴿وَرَأَى الْمَجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا﴾ [الكهف: ٥٣]، وقال^(٩): ﴿إِن ظَنَّا أَنَّ يُقِيمَا﴾ [البقرة: ٢٣٠] كل هذا بمعنى اليقين^(١٠).

(١) في (ب): (أبو عبيدة).

(٢) مجاز القرآن ١/ ٣٩، وتهذيب (ظن) ٣/ ٢٢٥٣، والأضداد لابن الأنباري ١٤، والأصمعي ٣٤، والسجستاني ٧٧، وابن السكيت ١٨٨، والصغاني ٢٣٨، وضمن ثلاثة كتب في الأضداد.

(٣) يروى البيت (ظن) و(ظنوا) بدل (ظني) وفي الجمهرة: (عهدي بهم) في موضع: (ظني بهم). وفي عدد من المصادر جوائز الأمثال، وفي الجمهرة: (جوائب)، ويروى (سوائر). ولم أجد رواية (جوانب الأميال). والتنوفاة: الفلاة، يتنازعون: يتجادلون، جوائز الأمثال: (الأمثال السائرة) في البلاد، وبمعناه: (جوائب الأمثال) من جاب يحوب. ورد البيت في الأضداد لابن الأنباري ٢٣، والأضداد للأصمعي ٣٥، والسجستاني ٩٥، وابن السكيت ١٨٨، وتهذيب اللغة (ظن) ٣/ ٢٢٥٣، واللسان ٢/ ٧٢٤، و(جوز)، ٥/ ٢٧٦٢، و(ظن)، ٥/ ٢٩٥٠، و(عسا)، الجمهرة ١/ ١٥٤، ٢/ ٩٣٥، والخزانة ٩/ ٣٣٣.

(٤) تهذيب اللغة (ظن) ٣/ ٢٢٥٣.

(٥) تهذيب اللغة (ظن) ٣/ ٢٢٥٣. وانظر: الأضداد لابن السكيت ١٨٨، والخزانة ٩/ ٣١٣.

(٦) قوله: (وللشك ظن) ساقط من (ب).

(٧) في (ج): (طرف).

(٨) انظر: تفسير الطبري ١/ ٢٦٢.

(٩) في (أ) و(ج): (وان ظنا) بسقوط (قال).

(١٠) انظر: تفسير الطبري ١/ ٢٦٢، وتهذيب اللغة (ظن) ٣/ ٢٢٥٣، والأضداد لابن الأنباري ١٤.

وقال دريد بن^(١) الصمة :

فَقُلْتُ لَهُمْ ظُنُّوا بِالْفَنِيِّ مُدَجَّجٍ سَرَاتُهُمْ فِي الْفَارِسِيِّ الْمُسَرَّدِ^(٢)
أَيُ أَيقِنُوا .

وحكى الزَّجَّاج عن بعض أهل اللغة : أن الظن يقع في معنى العلم [الذي لم تشاهده ، وإن كان قد قام في نفسك حقيقة^(٣) .

وقال أبو عباس : إذا كانت براهين العلم^(٤) أكثر من اعتراضات الشك ، كان الظن يقيناً وعلماً ، وإذا كانت اعتراضات الشك أكثر من اعتراضات اليقين كان الظن كذباً ، وإذا كانت اعتراضات اليقين واعتراضات الشك سواء كان ذلك ظناً ، أي كان الظن شكاً^(٥) .

(١) (بن) ساقط من (ج) . ودريد : مصغر أورد ، واسمه معاوية بن الحارث من هوازن ، كان شجاعاً شاعراً فحلاً ، قُتل في حنين مشركاً . انظر : ترجمته في الشعر والشعراء ٥٠٤ ، والخزانة ١١/١١٨ .

(٢) ظنوا : أيقنوا ، والمدجج : التام السلاح ، سَرَاتُهُمْ : خيائهم وأشرفهم ، الفارسي المسرد : الدروع . ورد البيت في تفسير الطبري ١/٢٦٢ ، والمجاز ١/٤٠ ، ومعاني القرآن للزَّجَّاج ١/٩٦ ، وتفسير الثعلبي ١/٦٩ ب ، والأصمعيات ١٩٩ ، والأضداد لابن الأنباري ١٤ ، والجمل للزَّجَّاجي ١٩٩ ، وجمهرة أشعار العرب ٢١١ ، واللسان (ظن) ٥/٢٧٦٢ ، وشرح المفصل ٧/٨١ ، والخزانة ١١/٢٧٩ ، وتفسير القرطبي ١/٣٢١ ، وفتح القدير ١/١٢٥ ، وديوان دريد ٤٧ .

(٣) معاني القرآن للزَّجَّاج ١/٩٦ ، وقال : وهذا مذهب ، إلا أن أهل اللغة لم يذكروا هذا . قال أبو إسحاق : وهذا سمعته من إسماعيل بن إسحاق القاضي — رحمه الله — رواه عن زيد بن أسلم .

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) و(ج) ، والعبارة في (أ) : (أن الظن يقع في معنى العلم أكثر من . . .) ، وفي (ج) : (يقع في معنى العلم اعتراضات العلم . . .) . وعدم استقامة السياق يدل على المحذوف ، وما في معاني القرآن للزَّجَّاج يدل على ما ذكر ، ١/٩٦ .

(٥) ذكره ابن الأنباري في الأضداد مع اختلاف العبارة ١٦ .

وقال الليث: الظن يكون^(١) اسماً ومصدرًا، تقول: ظننت ظناً، هذا مصدر، وتقول^(٢): ظني به حسن، وما هذه الظنون، لما صيرته اسماً جمعته، كقول النابغة^(٣):

أَتَيْتُكَ عَارِيًّا خَلَقًا ثِيَابِي عَلَى خَوْفٍ تُظَنُّ بِي الظُّنُونُ^(٤)

وحدُّ الظن: الشك الذي يرجح^(٥) فيه أحد النقيضين على الآخر، الظن: اليقين؛ لأنه يقوي أحد النقيضين بعد الشك حتى يصير إلى اليقين^(٦)، وقد أفصح عن ذلك أوس بن حجر في قوله:

الْأَلْمَعِيُّ الَّذِي يَظُنُّ لَكَ الظَّ نَّ كَمَنْ قَدْ رَأَى وَقَدْ سَمِعَا^(٧)

وذكر أبو القاسم الزجاجي حقيقة^(٨) الظن في اللغة، فقال: هو اعتقاد الشيء على طريقة التقدير والحدس، فإن أصاب في ما ظن صار يقيناً، وإن لم يصب كان مخطئاً في تقديره، ولهذا ذكر أهل اللغة هذه اللفظة في باب الأضداد،

(١) في (ج): (يكو).

(٢) في (أ) و(ج): (يقول) مع سقوط الواو.

(٣) هو الذيباني.

(٤) ورد البيت في الشعر والشعراء ٨٤، وفي تهذيب اللغة (عرا) ٣/٢٣٧٣، وفيه (على عجل) بدل (خوف)، وورد الشطر الأول في اللسان (عرا) ٥/٢٩٨، وهو في ديوان النابغة ٧٣، وفيه: (فجئتكَ).

(٥) في (ب): (ترجح).

(٦) انظر: الوجوه والنظائر لابن الجوزي ٤٢٤.

(٧) البيت من قصيدة لأوس بن حجر يرثي بها فضالة بن كعدة، ويروى البيت: (كأن) بدل (كمن)، وقوله: (الألَمعي): المتوفد ذكاء. ورد البيت في الخصائص ١١٢/٢، والمصون في الأدب ١٢٣، وعيون الأخبار ١/٩١، ومعاهد التنخيص ١/١٢٨، وديوان أوس ٥٣.

(٨) في (ج): (وحقيقة).

فقالوا : الظن : يقين وشك^(١) ، لأنه وضع لمعنى بالاعتبار يؤول^(٢) إلى أحدهما ، كما يقال : الظن يخطئ ويصيب ، فإن أصاب الظان في ما اعتقد وقدر ، عبر عن ذلك باليقين ؛ وإن^(٣) لم يصب كان ظنه شكاً^(٤) .

وسئل أبو عمرو بن العلاء عن الظن ، فقال : النظر في المطلوب بضرب من الأمارة ، بمعنى أن الأمارة لما كانت مترددة بين يقين وشك ، فتقرب^(٥) تارة^(٦) من طرف الشك وتارة من طرف اليقين ، صار^(٧) أهل اللغة يفسرونه بهما^(٨) .

وقال الأخفش في قوله : ﴿الَّذِينَ يُظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلْقُوا رَبِّهِمْ﴾ : إنما استعمل الظن بمعنى العلم في هذا الموضع لأمرين : أحدهما : أنه تنبيه أن علم أكثر الناس بالله في الدنيا بالإضافة إلى علمه به في الآخرة ، كالظن في جنب العلم . والثاني : أن العلم الحقيقي في الدنيا بأمور الآخرة لا يكاد يحصل إلا للنبين والصدّيقين .

(والملاقة) و (اللقاء) يحتمل معاني العيان والاجتماع والمحاذاة ، والمصير^(٩) . كقوله : ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾ [يونس : ٧] ، أي المصير إلينا ، وقال : ﴿قُلْ إِنْ أَلَمْتُ أَلَدَىٰ بَعْدِي فَلَيْسَ مِنِّي وَإِنِّي أَنذِرُ الْفَاسِقِينَ﴾ [الجمعة : ٨] ، أي مجتمع معكم وصائر

(١) انظر : الأضداد لابن الأنباري ١٤ ، والأضداد لقطرب ٧١ ، والأضداد للأصمعي ٣٤ ، وللسجستاني ٧٦ ، ولابن السكيت ١٨٨ ، والثلاثة الأخيرة ضمن ثلاثة كتب في الأضداد ، تهذيب اللغة (ظن) ٢٢٥٣ / ٣ ، واللسان (ظن) ٢٧٦٢ / ٥ .

(٢) في (ج) : (يو) .

(٣) في (أ) و (ج) : (فإن) ، وأثبت ما في (ب) ؛ لأنه أولى في السياق .

(٤) انظر : غريب الحديث للخطابي ٢٦ / ٣ ، واللسان (ظن) ٢٧٦٢ / ٥ .

(٥) في (أ) : (فنفرت) ، وفي (ج) : (فيقرب) ، وأثبت ما في (ب) .

(٦) تارة) ساقط من (ب) .

(٧) قوله : (اليقين صار) ساقط من (ب) .

(٨) انظر : مفردات الراغب ٣١٧ .

(٩) انظر : مقاييس اللغة (لقي) ٢٦١ / ٥ ، والفائق ٣ / ٣٢٥ ، ومفردات الراغب ٤٥٣ ، واللسان (لقا)

إليكم . قال ابن عباس : يريد الذين يستيقنون أنهم مبعوثون ، وأنهم محاسبون ، وأنهم راجعون إلى الله سبحانه^(١) .

و(اللقاء) و(الملاقاة) حيث ذُكر في القرآن يحمله المفسرون على البعث والمصير إلى الله ، كقوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ﴾ [يونس: ٧] ، وقوله : ﴿ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَفِرُونَ ﴾ [السجدة: ١٠] ، ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ﴾ [الفرقان: ٢١] .

ولا يمكن حمل الملاقاة في هذه الآية على المعاينة والرؤية^(٢) ؛ لأن أحداً لا يستيقن^(٣) أنه يرى ربه ويعاينه ، بل كل واحد منا يرجو ذلك من فضل الله أن يرزقه . وقد فسر الظن هاهنا بمعنى اليقين^(٤) ، فيحمل اللقاء على ما فسر ابن عباس^(٥) ، ورحمة الله^(٦) .

-
- (١) أورده الواحدي في الوسيط عن ابن عباس ، ولم أجده عند غيره في ما اطلعت عليه . والله أعلم ، وبمعناه عن السدي وابن جريج ، وانظر : تفسير الطبري ٢٦٣/١ ، وتفسير ابن أبي حاتم ١٠٣/١ .
- (٢) قال بعض المفسرين : إن المراد بالملاقاة في الآية : الرؤية . انظر : تفسير الثعلبي ٦٩/١ ب ، وتفسير ابن عطية ٢٧٩/١ ، وتفسير البغوي ٩٠/١ ، ولباب التفسير للكرماني ٢٢٧/١ ، والبحر ١٨٦/١ .
- (٣) في (ج) : (الاستيقان) .
- (٤) وعلى هذا أكثر المفسرين ، انظر : تفسير الطبري ٢٦٣/١ ، وتفسير ابن أبي حاتم ١٠٣/١ ، ومعاني القرآن للزجاج ٩٦/١ ، وتفسير الثعلبي ٦٩/١ ب ، تفسير ابن عطية ٢٧٩/١ ، وتفسير ابن كثير ٩٣/١ .
- (٥) أي إن المراد به البعث والرجعة إلى الله والجزاء على ما عملوا . انظر : تفسير أبي الليث ١١٦/١ ، وتفسير ابن عطية ٢٧٩/١ ، وتفسير البغوي ٦٩/١ ، وتفسير ابن كثير ٩٣/١ ، والبحر ١٨٦/١ .
- (٦) لفظ الجلالة غير موجود في (ب) .

وقال أبو علي : معنى قوله : ﴿مُلَقُّوْا رَبِّهَمْ﴾ : ملاقو ثواب ربهم^(١) ، خلاف مَنْ وصف^(٢) بقوله : ﴿لَا يَقْدِرُوْنَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا﴾ [البقرة: ٢٦٤] وقوله : ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا﴾ [النور: ٣٩] ، ومثله : ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَقُّوْهُ﴾ [البقرة: ٢٢٣] أي ملاقو جزائه إن ثواباً ، وإن عقاباً .

وأراد : (ملاقون ربهم) ؛ لأنه في ما يستقبل فتثبت^(٣) النون^(٤) ، لأنك تقول : هو ضارب زيداً ، إذا كان في ما يستقبل ، وإذا كان قد مضى حذفت التنوين^(٥) لا غير ، ويجوز حذفه أيضاً وإن كان لما يستقبل ، كقوله : ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾^(٦) و﴿إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ﴾ [الدخان: ١٥] ، و﴿إِنَّا مُنْجُوْكَ وَأَهْلَكَ﴾ [العنكبوت: ٣٣] نصبت^(٧) (وأهلك) على تقدير النون^(٨) .

(١) ذكر هذا التقدير بعض المفسرين مثل ابن عطية في تفسيره ٢٧٩/١ ، والقرطبي في تفسيره ٣٢١/١ ، وأبو حيان في البحر ١٨٦/١ . وإن كانت الآية محتملة له ، فالأولى عدم صرفها عن ظاهرها كما قال أبو حيان ، وقد قالت المعتزلة بنفي رؤية الله تعالى في الآخرة . وقالوا : لفظ اللقاء لا يفيد الرؤية ، وأولوا الآية على أن المراد : ملاقو ثواب ربهم ، كما قال الزمخشري في الكشف ٢٧٨/١ . فإن قصد بتأويل الآية على هذا نفي الرؤية فهو مردود ، انظر : تفسير ابن عطية ٢٧٩/١ ، وتفسير الرازي ٥١/٣ ، والبحر ١٨٦/١ .

(٢) في (ب) : (من وصفه) . والمعنى : يقول : إن المذكورين في قوله : ﴿مُلَقُّوْا رَبِّهَمْ﴾ لهم ثواب يلقونه ، أما الذين ذكرهم الله بقوله : ﴿لَا يَقْدِرُوْنَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا﴾ فليس لهم ثواب يلقونه .

(٣) في (ب) : (فيثبت) .

(٤) اسم الفاعل إذا كان بمعنى الماضي يضاف لما بعده وتحذف النون ، وإذا كان بمعنى الاستقبال أو الحال فعند البصريين لا يضاف ، ولهذا قالوا هنا : إن النون حذفت تخفيفاً ، ثم تتمكن به الإضافة ، وهي إضافة غير محضة . أما عند الكوفيين فيجوز إضافته ولو كان بمعنى الاستقبال ، انظر : معاني القرآن للأخفش ٢٥٤/١ ، وتفسير الطبري ٢٦٣/٣ ، ومعاني القرآن للزجاج ٩٧/١ ، وتفسير ابن عطية ٢٨٠/١ .

(٥) في (ب) : (النون) .

(٦) آل عمران : [١٨٥] ، والأنبياء : [٣٥] ، والعنكبوت : [٥٧] .

(٧) في (ب) : (نصب) .

(٨) أي على تقدير أن النون لم تحذف للإضافة ، وأهلك منصوب بالعطف على الكاف في (منجوك) ، وقيل : أهلك منصوب بفعل مقدر ، أي وننجي أهلك ، وهذا عند من جعل الكاف في موضع جرٍّ ، انظر : معاني القرآن للأخفش ٢٥٥/١ ، والبحر ١٥١/١ .

وإنما كان كذلك^(١) لأن الفعل الماضي لم يشابه^(٢) الاسم ، ولذلك^(٣) بني ، فالاسم الذي^(٤) بمعناه وجب أيضاً أن لا يزال عن أصله ، وأصل الأسماء أن تعمل إلا جراً ، فبقي اسم الفاعل إذا أريد به الماضي على أصله ، وإذا أريد به الحال والاستقبال حمل على المضارع لما^(٥) بينهما من الشبه ، وجاز الجر به إذا أريد به الاستقبال ، وإن استقرت مشابهته للفعل ؛ لأنه لم يخرج عن حكم الاسمية ، لأجل^(٦) كونه اسماً جاز أن يجر ما بعده ، ولأجل ما بينه وبين المضارع من الشبه جاز أن ينصب^(٧) .

وقوله تعالى : ﴿وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ . أي يصدقون بالبعث ولا يكذبون . ومعنى (إليه) : إلى أمره وإحيائه ومسأله^(٨) ؛ لأنهم لم يخرجوا عن قبضته قط وملكوته ، ومثله قوله : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ﴾ [الفرقان: ٤٥] ، أراد إلى أمر ربك^(٩) ، والمعنى في الجملة أنهم يقرون بالنشأة الثانية ، فجعل رجوعهم بعد الموت إلى المحشر رجوعاً إليه^(١٠) .

(١) قوله : وإنما كان كذلك . . . إلخ . هذا تعليل لإضافة اسم الفاعل إذا كان بمعنى الماضي ، وعدم إضافته إذا كان بمعنى الحال والاستقبال .

(٢) في (ب) : (يشابهه) .

(٣) في (ب) : (كذلك) .

(٤) أي اسم الفاعل الذي بمعنى الماضي .

(٥) في (أ) و(ج) : (إلى) ، وأثبت ما في (ب) لأنه الصواب .

(٦) في (ب) : (ولا جله) .

(٧) هذا التعليل على مذهب الكوفيين ، أما البصريون فيقولون : تحذف النون أو التنوين منه استثقلاً ، وهو المراد ، انظر : تفسير الطبري ١/ ٢٦٣ ، وتفسير ابن عطية ١/ ٢٨٠ .

(٨) وقيل : الضمير يرجع إلى الله تعالى . انظر : تفسير الطبري ١/ ٢٦٤ ، وتفسير ابن عطية ١/ ٢٨٠ ، والبيان ١/ ٨٠ ، وتفسير القرطبي ١/ ٣٢١ ، والبحر ١/ ١٨٧ .

(٩) قال ابن جرير : «ألم تر يا محمد كيف مد ربك الظل» ، ١٨/ ١٩ ، وقال البغوي : «ألم تر إلى مد ربك الظل» ، ٨٦/ ٦ .

(١٠) أخرج ابن جرير عن أبي العالية : قال : «يستيقنون أنهم يرجعون إليه يوم القيامة» . قال ابن جرير : =

وقال بعض أهل العلم : معنى الرجوع هاهنا العود^(١) إلى الحال الأولى ،
فمعنى : ﴿وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ أنهم يرجعون إلى أن لا يكون لهم مالك سواه ، يملك
نفعهم وضرهم ، كما كانوا في بدء^(٢) الخلق ؛ لأنهم في أيام حياتهم قد يملك
غيرهم الحكم عليهم^(٣) .

٤٧ . قوله تعالى : ﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ . (التفضيل) نقيض التسوية ،
يقال : فضله إذا أعطاه الزيادة ، وفضله إذا حكم له بالزيادة في الفضل ،
و(التفضل) لبس المفضل من الثوب ، وهو ما يتخفف به الإنسان في
بيته ، ورجل فضل متفضل^(٤) ، ومنه :

... إِلَّا لِبِسَةِ الْمُتَفَضِّلِ^(٥)

وذلك أن الثوب فضل على سائر الثياب التي تصان وتدخر . وهذا التفضيل^(٦)
هو ما ذكر في قوله : ﴿إِذْ جَعَلْ فِيكُمْ أَنْبِيََاءَ﴾ الآية [المائدة : ٢٠] . وأراد ب (العالمين)

= «وقال آخرون : أنهم إليه يرجعون بموتهم» ، ٢٦٤ / ١ ، وانظر : تفسير ابن عطية ٢٨٠ / ١ ، وتفسير
القرطبي ٣٢١ / ١ .

(١) في (ب) : (إلى العود) .

(٢) في (ب) : (بدو) ، وقد وردت هكذا في لباب التفسير للكرماني ٢٢٨ / ١ .

(٣) انظر : تفسير الرازي ٥١ / ٣ ، ولباب التفسير للكرماني ٢٢٨ / ١ ، والبحر ١٨٧ / ١ .

(٤) انظر : تهذيب اللغة (فضل) ٢٨٠١ / ٣ ، والصحاح (فضل) : ١٧٩١ ، واللسان (فضل)
٣٤٢٩ / ٦ - ٣٤٣٠ ، ومفردات الراغب ٣١٨ .

(٥) جزء من بيت لامرئ القيس يقول :

فَجِئْتُ وَقَدْ نَضْتُ لَنَوْمِ ثِيَابَهَا لَدَى السَّيْرِ إِلَّا لِبِسَةَ الْمُتَفَضِّلِ
(نضت) : نزعت ، (المتفضل) : اللابس ثوباً واحداً .

البيت في تهذيب اللغة (نضا) ٣٥٨٩ / ٤ ، واللسان (نضا) ٤٤٥٧ / ٧ ، وأوضح المسالك ١٠٥ ،
وشرح شذور الذهب ٢٨٦ ، والجمع ١٢٣ / ٣ ، ٩٤ / ٤ ، والخزانة ١٣٠ / ١٠ ، وديوان امرئ القيس
١١٤ .

(٦) انظر : تفسير الرازي ٥٢ / ٣ ، وتفسير ابن كثير ٩٤ / ١ .

عالمي زمانهم^(١) ، والخطاب للموجودين منهم في ذلك الوقت ، والمراد به سلفهم ، ولكن في تفضيل الآباء شرفاً للأبناء ، ولذلك قال لهم : ﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾^(٢) .

٤٨ . قوله تعالى : ﴿وَأَتَقُوا يَوْمًا لَا تَجْزَى﴾ الآية . لا تجزي معناه : لا تقضي ولا يغني^(٣) ، ومنه قوله ﷺ لأبي بردة بن نيار^(٤) : «ولا تجزي عن أحد بعدك»^(٥) ، معناه : ولا تقضي^(٦) ، ومنه أيضاً ما روي «أن رجلاً كان

(١) ذكره ابن جرير عن قتادة وأبي العالية ومجاهد وابن زيد ، وقال ابن جرير : أخرج مخرج العموم ويراد به الخصوص ١/ ٢٦٤ ، ٢٦٥ ، وكذا قال ابن قتيبة في غريب القرآن ٣٨ ، وانظر : تفسير الثعلبي ١/ ٦٩ ب ، وتفسير ابن عطية ١/ ٢٨١ ، وتفسير القرطبي ١/ ٣٢١ ، وزاد المسير ١/ ٧٦ ، وتفسير ابن كثير ١/ ٩٤ .

(٢) انظر : تفسير الطبري ١/ ٢٦٤ ، ومعاني القرآن للزجاج ١/ ٩٧ ، وتفسير ابن عطية ١/ ٢٨١ .

(٣) كذا في (أ) و(ج) ، وفي (ب) من دون إعجام ، وفي الوسيط : (لا يقضي ولا يغني) ، وفي الحاشية قال : في (أ) و(ب) : (لا تقضي ولا تعني) ، ١/ ٩٩ ، وفي تفسير الطبري : (لا تقضي ولا يغني) ، ١/ ٢٦٦ ، وانظر : تفسير الثعلبي ١/ ٦٩ ب ، وتهذيب اللغة (جزى) ١/ ٦٠١ .

(٤) هو أبو بردة بن نيار بن عمرو الأنصاري ، من حلفاء الأوس ، صحابي جليل شهد العقبة وبدراً والمشاهد النبوية الأخرى ، توفي سنة اثنتين وأربعين ، انظر : طبقات ابن سعد ٣/ ٤٥١ ، والإصابة ١٨/ ٤ ، ٣/ ٥٩٦ ، وسير أعلام النبلاء ٢/ ٣٥ .

(٥) قطعة من حديث في قصة أبي بردة بن نيار ، حينما ذبح قبل صلاة العيد ، فأذن له النبي ﷺ أن يضحي بالجدعة المعزى . أخرجه البخاري في عدة مواضع ، فأورده ٩٥٥ ، وكتاب : العيدين ، باب : الأكل يوم النحر . ٩٦٥ ، وباب : الخطبة بعد العيد ، ٩٦٨ ، وباب : التبرك إلى العيد ، ٩٨٣ ، وباب : كلام الإمام والناس في خطبة العيد . ٥٥٤٥ ، وكتاب : الأضاحي ، باب : سنة الأضحية ، ٥٥٥٦ ، وباب : قول النبي ﷺ لأبي بردة ضح بالجدع من المعز ، ٥٥٦٠ ، وباب : الذبح بعد الصلاة . ٥٥٦٣ ، وباب : من ذبح قبل صلاة وأعاد . أخرجه مسلم من طرق عدة ، ١٩٦١ ، وكتاب : الأضاحي ، وأخرجه أبو داود ، ٢٨٠٠ ، وكتاب : الأضاحي ، باب : ما يجوز من السنن في الضحايا ، وأحد في مسنده ٤/ ٢٨٢ ، ٢٩٨ ، ٣٠٣ كلهم عن البراء .

(٦) ذكره أبو عبيد عن الأصمعي . غريب الحديث ١/ ٤٣ . وانظر : تهذيب اللغة (جزى) ١/ ٦٠١ .

يُداين للناس ، وكان له كاتب ومُتجاز ، وكان يقول له : إذا رأيت الرجل معسراً فأَنْظِرْه ، فغفر الله له ^(١) ، فالمتجاذي : المتقاضي ^(٢) .

ومنه الجزية ؛ لأن معناها في كلام العرب : الخراج المَجْعُول على الذميِّ ، سُمِّيَ جزية لأنها قضاء منه ^(٣) . قال أهل ^(٤) العربية : وأصل هذا الحرف من الجزء الذي هو المكافأة ، ومقابلة الشيء بالشيء ، فيجزي بمعنى : يكفي ؛ لأنه يقابل فيه الشيء بمقداره ^(٥) .

(١) الحديث بهذا النص ذكره أبو عبيد في الغريب ، قال : «ومنه حديث يروى عن عبيد بن عمير : أن رجلاً كان يداين الناس» . غريب الحديث ٤٣ / ١ . ولم أجده بهذا اللفظ ، وقد أخرج البخاري عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : «كان تاجر يداين الناس فإذا رأى معسراً قال لفتيانه : تجاوزوا عنه لعل الله أن يتجاوز عنا ، فتجاوز الله عنه» ، ٢٠٧٨ ، وكتاب : البيوع ، باب : مَنْ أَنْظَرَ معسراً ، وأخرج مسلم ، ١٥٦٢ ، وكتاب : البيع ، باب : فضل إنظار المعسر . ذكره الألباني في صحيح الجامع الصغير ، وزيادته ٤٤٥٤ .

(٢) غريب الحديث لأبي عبيد ٤٣ / ١ ، والصحاح (جزى) ٢٣٠٢ / ٦ .

(٣) تهذيب اللغة (جزى) ٦٠٢ / ١ .

(٤) في (ب) : (وقال) و(أهل) ساقط .

(٥) قال الأزهري : «وبعض الفقهاء يقول : أجزى عنك بمعنى جزى ، أي قضى . وأهل اللغة يقولون : أجزأ بالهمز ، وهو عندهم بمعنى : كفى» . تهذيب اللغة (جزى) ٦٠١ / ١ ، وانظر : الصحاح (جزى) ٢٣٠٢ / ٦ ، واللسان (جزى) ٦٢١ / ٢ . قال الطبري في تفسيره : «وأصل (الجزء) في (كلام العرب) : القضاء والتعويض . . . ، وقال قوم من أهل العلم بلغة العرب : (يقال : أجزيت عنه كذا) : إذا أعتته عليه ، وجزيت عنك فلاناً : إذا كافأته . وقال آخرون منهم : بل (جزيت عنك) : قضيت عنك ، و(أجزيت) : كفيت ، وقال آخرون منهم : (بل هما بمعنى واحد . . .) ، وزعم آخرون أن (جزى) بلا همز : قضى . و(أجزأ) بالهمز : كافأ» ، تفسير الطبري ٢٢٦ / ١ ، وانظر : غريب القرآن لابن قتيبة ٣٨ ، ٣٩ .

ومعنى (لا تجزي نفس عن نفس)، أي لا يقابل مكروهاها بشيء يدرؤه عنها^(١). وموضع (لا تجزي) نصب؛ لأنه صفة ليوم^(٢). والعائد على اليوم محذوف من الآية، واختلف النحويون فيه، فقال الفراء^(٣): «التأويل: (لا تجزي فيه نفس عن نفس) ثم حذفت الصفة^(٤)»، ومثله قوله: ﴿وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَظِيمٍ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ﴾ [غافر: ١٨] والمعنى: ما للظالمين فيه من حميم^(٥)، وكذلك قوله: ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلَى عَنْ مَوْلَى شَيْئًا﴾ [الدخان: ٤١] أي فيه، وهذا أيضاً مذهب سيبويه^(٦).

وكان الكسائي لا يميز إضمار الصفة، ويقول: إن المحذوف هاهنا^(٧) (الهاء)، وتقديره كأنك قلت: (واتقوا يوماً لا تجزيه نفس عن نفس)، فجعل

(١) قال ابن جرير في تفسيره: «واتقوا يوماً لا تقضي نفس عن نفس شيئاً ولا تغني عنها غنى»، تفسير الطبري ٢٦٦/١، وتفسير أبي الليث ١١٦/١، وتفسير الثعلبي ٦٩/١ ب، وتفسير ابن عطية ٢٨٢/١، وتفسير البغوي ٩٠/١، وتفسير الرازي ٥٤/٣، وتفسير ابن كثير ٩٥/١.
(٢) انظر: مشکل إعراب القرآن ٤٤/١، والبيان ٨٠/١، والإملاء ٣٥/١. وقال النحاس: «قوله: (لا تجزي) في موضع نصب عند البصريين على نعت لليوم، وعند الكوفيين صلة»، إعراب القرآن ١٧١/١.

(٣) انظر: معاني القرآن الفراء ٣١/١.

(٤) مراده بالصفة حرف الجر، كما هو في اصطلاح الكوفيين، وهو هنا (في) المتصل بالضمير العائد على اليوم. انظر: معاني القرآن للفراء ٣١/١، والحجة لأبي علي ٤٤/٢، ٤٥.

(٥) انظر: الحجة ٤٥/٢.

(٦) وهو مذهب البصريين وجماعة من الكوفيين، انظر: معاني القرآن للزجاج ٨٩/١، وإعراب القرآن للنحاس ١٧١/١، ومعاني القرآن للأخفش ٢٥٨/١، والمشكل لمكي ٤٤/١، وتفسير ابن عطية ٢٨٢/١، والبحر ١٨٩/١، ١٩٠. قال أبو حيان: والوجهان، يعني تقديره: لا تجزي فيه ولا تجزيه، جائزان عند سيبويه والأخفش والزجاج، انظر: تفسير القرطبي ٣٢١/١، ٣٢٢.

(٧) في (ج): (هنا).

اليوم مفعولاً على السعة ، ثم ألقيت الهاء ، كما تقول : رأيت رجلاً أحبُّ ، تريد (أحبه) ^(١) وينشد على هذا ^(٢) :

قَدْ صَبَحَتْ صَبَحَهَا السَّلَامُ بِكَبِدِ خَالَطَهَا السَّنَامُ
فِي سَاعَةٍ يُحِبُّهَا الطَّعَامُ ^(٣)

يعني : يُحِبُّ فيها ، فجعل الظرف مفعولاً على السعة ، وهذا أيضاً مذهب الأخفش ^(٤) .

قال الكسائي : ولو أجزت إضمار الصفة هاهنا لأجزت : أنت الذي كلمت ، وأنا أريد : كلمت فيه ، وهذا رجل قصدت ، وأنا أريد : إليه ، وهذا رجل أرغب ، وأنا أريد : فيه ، ولم يجز إضمار حرف الصفة في هذه المواضع كذلك في الآية ^(٥) .

قال الفرّاء والزّجاج وجماعة النحويين : لا يلزم ما ذكره الكسائي ؛ لأن الصفة مع الظروف جائزة الحذف ، ألا ترى أنك تقول : أتيتك يوم الخميس [وفي يوم الخميس] ^(٦) فيكون المعنى واحداً ، وإذا قلت : كلمتك ، كان غير معنى

(١) انظر : معاني القرآن للفرّاء ٣٢ / ١ ، والزّجاج ٩٨ / ١ ، وإعراب القرآن للنحاس ١٧١ / ١ ، وتفسير الطبري ٢٦٥ / ١ ، والبيان ٨٠ / ١ ، وتفسير القرطبي ٣٢١ / ١ ، والبحر ١٩٠ / ١ .

(٢) في (ب) : (على هذا قال) .

(٣) الرجز لم ينسب ، والرواية في المصادر جميعها (سنام) ، ومعنى : (صبحت) : أتت بالصباح ، واستعمله في الطعام الذي أتته به مجازاً ، ويدعو لها بالخير : (صبحها السلام) ؛ لأنها أتته به على حاجة شديدة إلى الطعام . ورد الرجز في معاني القرآن للفرّاء ٣٢ / ١ ، وتفسير الطبري ٢٦٥ / ١ ، والكمال ٣٤ / ١ ، والحجة لأبي علي ٤٥ / ٢ ، والمخصص ٢٤٣ / ١٢ ، ٧٥ / ١٤ .

(٤) مذهب الأخفش جواز الوجهين كما سبق ، انظر : معاني القرآن للأخفش ٢٥٨ / ١ ، ٢٦٠ .

(٥) انظر : معاني القرآن للأخفش ٢٦٠ / ١ ، ومعاني الفرّاء ٣٢ / ١ ، وإعراب القرآن للنحاس ١٧١ / ١ ، وتفسير القرطبي ٣٢١ / ١ ، والبحر ١٩٠ / ١ .

(٦) (وفي يوم الخميس) ساقط من (أ) و(ج) ، والواو من قوله : (وفي) ساقطة من (ب) ، وثبوتهما يقتضيه السياق ، الجملة بهذا النص في معاني القرآن للفرّاء ٣٢ / ١ .

كلمت فيك ، فلما اختلف المعنى مع الأسماء التي لا تكون ظرفاً لم يجز إضمار الصفة معها . و(اليوم) من أسماء الزمان ، وأسماء الزمان يكون فيها ما لا يكون في غيرها^(١) .

قال أبو علي^(٢) : الظروف نوع من أنواع المفعولات المنتصبة عن تمام الكلام ، وهو زمان أو مكان^(٣) . فأما أسماء الزمان : فالفعل يتعدى إلى مختصه ومبهمه ومعرفته ونكرته وكل نوع منه ، كما يتعدى إلى المصدر ، وكل ضرب منه . وإنما كان كذلك لاجتماعهما^(٤) في دلالة الفعل عليهما .

ألا ترى أن في لفظ^(٥) الفعل دلالة على الزمان ، كما أن في لفظه دلالة على الحدث ؟ وأما أسماء المكان فإن الفعل يتعدى إلى المبهم منها بغير حرف الجر دون^(٦) المختص^(٧) .

ومعنى المبهم منها ما كان شائعاً ولم يكن له حدود معلومة نحو : خلف وقدام وسائر الجهات الست وعند . ألا ترى أنه لا حدود لهذه المسميات تقف عندها ؟ كما للمسجد والسوق^(٨) والبيت وبغداد والبصرة ، تقول : (قمت خلفك) فتعدي إليه الفعل ، و(قمت في المسجد) ، ولا تقول : (قمت المسجد) ، وإنما كان كذلك

(١) انظر : معاني القرآن للقرآء ٣٢ / ١ ، ومعاني الأخفش ٢٦٠ / ١ ، ومعاني الزجاج ٩٩ / ١ .

(٢) نقل الواحدي عن الإغفال : (ورسالة الماجستير) ، ١٧٤ .

(٣) في الإغفال : (أو مشبه بهما) ، ١٧٤ .

(٤) في (أ) و(ج) : (لاجتماعها) ، وأثبت ما في (ب) لأنه أصوب ، وموافق لما في الإغفال ١٧٤ .

(٥) في (ب) تكرر ، ونصها : «ألا ترى أن في لفظ الفعل دلالة الفعل عليهما ؟ ألا ترى أن في لفظ الفعل دلالة على الزمان» .

(٦) (دون) ساقط من (ب) .

(٧) ذكر كلام أبي علي بمعناه . الإغفال ١٧٥ ، وانظر : الكتاب ١٢ / ١ - ١٧٤ .

(٨) نص كلام أبي علي : « . . . ألا ترى أنه لا حدود لهذه المسميات تقف عندها فتحصرها بها ، كما تحصرها المختصة منها نحو : المسجد والسوق . . . » . الإغفال ١٧٤ ، وكلامه أوضح من عبارة الواحدي .

لأن الفعل لا يدل على ظروف المكان بلفظه وإنما يدل عليها بالمعنى كما يدل على المفعول ، والمفعول إذا تعدى الفعل إليه بحرف جر لا يجوز حذف حرف الجر منه إلا أن يسمع ذلك من العرب^(١) .

ألا ترى أنك تقول : مررت بزيد ، ولا يجوز أن تقول : مررت زيدا ؟ فكذلك كان القياس في جميع ظروف المكان أن يتعدى الفعل إليها^(٢) بحرف الجر ، إلا أن المبهمة جاز حذف الجر منها ؛ لأنها قد أشبهت ظروف الزمان ، وذلك أنه ليس لها خلق^(٣) كما أن الزمان لا خلق له ، فباين ظروف المكان بعضها بعضاً^(٤) .

فالخلف والقدام وهذه المبهمة يجوز أن تنقلب كلها فيصير الخلف قدماً ، والقدام خلفاً ، كما يجوز أن ينقلب ظرف^(٥) الزمان فيصير اليوم أمس .

فلما شبهت المبهمة من ظروف المكان بظروف الزمان عدّوا إليها الفعل من غير توسط حرف الجر . وأما المختصة كالدار والبيت والمسجد فلها خلق^(٦) كزيد وعمرو ، ألا ترى أنه لا يسمى كل بقعة مسجداً ولا داراً ؟ فلما جرت هذه الظروف مجرى زيد وعمرو ، وجب أن لا يعدى الفعل إليها إلا^(٧) بحرف جر ، فأما قولهم : (ذهبت الشام) يريدون إلى الشام ، فهو شاذ عند سيبويه ، وقولهم :

(١) الإغفال ١٧٤-١٧٥ ، ونقل كلامه بالمعنى .

(٢) (إليها) ساقط من (ب) .

(٣) أي ليس لها مدلول محسوس وحيز وهيئة ، إنما مدلولها معنوي ، كالقدام والخلف ، وهذه العبارة لم ترد في الإغفال .

(٤) في (أ) و(ج) : (بعضها بعضها) ، وأثبت ما في (ب) ؛ لأنه أصوب ، المراد أن ظروف المكان تختلف ، فظروف المكان غير المختصة لها حكم ظروف الزمان ، بخلاف ظروف المكان المختصة غير المبهمة فلا يتعدى الفعل إليها إلا بحرف الجر .

(٥) في (ب) : (تنقلب ظروف) .

(٦) في (ج) : (حلف) .

(٧) في (ب) : (إليها لا) .

(دخلت البيت) فهو -أيضاً- شاذ عنده^(١). وهو عند أصحابه مفعول به؛ لأنه ظرف صير مفعولاً، فهو عندهم بمنزلة: هدمت البيت^(٢). قال أبو علي^(٣): والجائز عندي من هذه الأقاويل التي قيلت في الآية قول من قال: إن (اليوم) جعل^(٤) مفعول (تجزي) على السعة، كقول الشاعر:

وَيَوْمَ شَهِدْنَاهُ^(٥) سُلَيْمًا وَعَامِرًا^(٦)

ثم حذفت (الهاء) من الصفة كما تحذف من الصلة، وحذف (الهاء) من الصفة كحذفها^(٧) من الصلة، وذلك أن الصفة تخصص الموصوف كما أن الصلة تخصص الموصول، ومرتبها أن تكون بعد الموصوف، كما أن مرتبة الصلة^(٨)

(١) انظر: الكتاب ١/ ٤١٤.

(٢) انظر: الإغفال ١٧٥، ١٧٦، نقل الكلام بمعناه.

(٣) الإغفال ١٧٦.

(٤) (جعل) ساقط من (ب).

(٥) في (ج): (شهدنا).

(٦) البيت لم يرد ضمن كلام أبي علي في هذا الموضع، وإنما ورد في كلام أبي إسحاق الزَّجَّاج، الذي نقله أبو علي، واستدرك عليه، انظر: الإغفال ١٧٢، ومعاني القرآن للزَّجَّاج ١/ ٩٨، والبيت من شواهد سيبويه ١/ ١٧٨، وورد في المقتضب ٣/ ١٠٥، والكمال ١/ ٣٣، ومغني اللبيب ٢/ ٥٠٣، وشرح المفصل ٢/ ٤٦، وجمع الهوامع ٣/ ١٦٦، وتفسير القرطبي ١/ ٣٢١. وقد نسب سيبويه إلى رجل من بني عامر، وعجزه:

قَلِيلَ سَوَى الطَّعْنِ النَّهَالِ نَوَافِلُهُ

ويروى البيت: (يوماً) و(يوم) مجرور برب المحذوفة، وسُلَيْمٌ وعامر: قبيلتان من قيس عيلان، وقليل: مجرورة صفة ليوم، والنَّهَال: المرتوية بالدم، والنوافل: الغنائم. والشاهد فيه نصب ضمير العائد على (يوم) بالفعل على التشبيه بالمفعول به اتساعاً ومجازاً.

(٧) في (أ) و(ب): (لحذفها)، وأثبت ما في (ب)؛ لأنه هو الصواب، وأقرب إلى عبارة أبي علي في الإغفال، ونص كلامه: «والجائز عندي من هذه الأقاويل التي قيلت في الآية قول من قال: إن اليوم جعل مفعولاً على السعة، ثم حذفت الهاء من الصفة، كما تحذف من الصلة، لأن حذفها منها في الكثرة والقياس كحذفها منها. أما القياس فلأن الصفة تخصص الموصوف...»، ١٧٦.

(٨) في (ج): (كما أن الصلة تكون كذلك).

كذلك ، وتتضمن الصفة ذكراً من موصوفها كما تتضمنه الصلة من موصولها ، فشدة مشابهتهما على^(١) ما تراه .

وقد كثر مجيء الصلة محذوفاً منها العائد ، كقولك : (الذي رأيت زيد) والصفة كالصلة على ما ذكرنا من المشابهة ، وإذا [قال]^(٢) كذلك حسن الحذف منها حسنه من الصلة .

فإن قال قائل : إذا جاز حذف الضمير المتصل من الصفة في نحو قولك : (هذا رجل ضربت) ، و(الناس رجлан : رجل أكرمت ورجل أهنت) ، فلم لا يجوز حذف الجار والمجرور من حيث جاز حذف الهاء ؟ قيل : إنما جاز حذف الضمير المتصل من الصفة^(٣) لمشابتها الصلة ، وقد كثر حذف ذلك في الصلة وحسن ، فلما كثر ذلك في الصلة وشابهتها الصفة شبّهت بها أيضاً في حذف الضمير منها . ولا اختلاف بين الجميع^(٤) في أن الضمير إذا خرج عن الفعل إلى الحرف فلم يتصل به لم يحذف من الصلة ، فمن قال : (الذي ضربت زيد) لم يقل : (الذي رغبت زيد) ، ولا (الذي مررت زيد)^(٥) ، إذا أراد (فيه) و(به) ، وإذا لم يحذف ذلك في الأصل الذي هو الصلة المشبه به الصفة ، كان في الصفة أبعد من الجواز^(٦) .

(١) في (ج) : (مشابتها كما تراه) .

(٢) كذا وردت في النسخ جميعها ، وهو تصحيف والنص في الإغفال : (فإذا كان كذلك) ، ١٧٧ ، وهذا هو الصواب .

(٣) في (ب) : (الصلة) .

(٤) في (ب) : (الجمع) ، وفي الإغفال : (. . . بين الجميع من البصريين . . .) ، ١٧٨ .

(٥) في (ج) : (زيدا) .

(٦) انتهى ما نقله عن أبي علي الفارسي من كتاب الإغفال ١٧٤-١٧٨ ، ورسالة ماجستير ، وقد نقل الواحدي كلام أبي علي بتصرف .

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ﴾ . قبول الشيء : تلقيه ، والأخذ به ، وخلاف الإعراض عنه ^(١) . اللحياني : يقال ^(٢) : قبلت الشيء أقبَلَه قَبُولاً وقُبُولاً ، وعلى فلان قَبُول ، أي تقبله العين ^(٣) ، ومثل ذلك قال ابن الأعرابي ^(٤) .

وقوله: ﴿شَفَعَةٌ﴾ ، قال المبرد وثعلب : الشفاعة : كلام الشفيع الملك ^(٥) في حاجة يسألها لغيره ^(٦) . وهو من الشفع الذي هو خلاف الوتر ، وكأنه سؤال من الشفيع يشفع سؤال المشفوع له ^(٧) .

قال أحمد بن يحيى : الشفعة ^(٨) من هذا ، ومعناها في اللغة كالزيادة ، وهو أن يُشَفَّعَكَ في ما تطلب ^(٩) حتى تضمه إلى ما عندك فتزيده ^(١٠) وتشفعه بها ، أي إنه كان وتراً فضم إليه ما زاده وشفعه به ^(١١) . ومن هذا يقال : شاة ^(١٢) شافع ، إذا كان معها ولدها ^(١٣) .

(١) بنصه في الحجة لأبي علي ٤٦/٢ .

(٢) في (ب) : (يقول) .

(٣) في (ج) : (ليس) .

(٤) تهذيب اللغة (قبل) ٢٨٧٥/٣ .

(٥) هكذا في النسخ جميعها ، وفي تهذيب اللغة ، واللسان : (للملك) .

(٦) تهذيب اللغة (شفع) ١٨٩٧/٢ ، وانظر : اللسان (شفع) ٢٢٨٩/٤ .

(٧) انظر : تفسير الطبري ٢٦٧/١ ، وتهذيب اللغة (شفع) ١٨٩٨/٢ ، واللسان (شفع) ٢٢٨٩/٤ .

(٨) في (ج) : (الشفاعة) .

(٩) في (ج) : (يطلب) .

(١٠) في (ج) : (فتزيده بها) .

(١١) تهذيب اللغة (شفع) ١٨٩٨/٢ ، وفيه : «قال المنذري وسمعت أبا العباس وسئل عن اشتقاق الشفعة

في اللغة فقال : الشفعة : الزيادة . . . » . وانظر : اللسان (شفع) ٢٢٩٠/٤ .

(١٢) قوله : (يقال شاة) ساقط من (ب) .

(١٣) ذكره أبو عبيدة في غريب الحديث ٢٥٧/١ ، وذكره عنه الأزهرى ، تهذيب اللغة (شفع) ١٨٩٨/٢ .

قال أصحاب المعاني : ليس معنى : ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ﴾ ^(١) أن هناك ^(٢) شفاعاة لا تقبل ، وإنما المعنى لا يكون شفاعاة فيكون لها قبول ، كما أن قوله : ﴿لَا يَسْتَلُوكَ النَّاسُ إِلَّا حَقًّا﴾ [البقرة: ٢٧٣] معناه : لا يكون منهم سؤال فيكون إلحاف ^(٣) ، ويقول امرؤ القيس :

عَلَى لَاحِبٍ لَا يَهْتَدِي لِمَنَارِهِ إِذَا سَافَهُ الْعَوْدُ الدِّيَافِي جَرَجَرًا ^(٤)
أي ليس هناك (منار) فيكون اهتداء ، وكقوله أيضاً :
وَلَا تَرَى الضَّبَّ بِهَا يَنْجَحِرُ ^(٥)

(١) في (ب) : (وأن هناك) .

(٢) في (ب) : (تكون) ، ومثله في الحجة لأبي علي ٤٧ / ٢ .

(٣) نقله عن أبي علي من الحجة ٤٦ / ٢ ، ٤٧ ، ولم أجده عند أحد من أهل المعاني في ما اطلعت عليه ، وظاهر كلام أبي علي نفى أصل الشفاعاة ، إذ قال بعده : «فأما قوله : ﴿وَكَمْ مِنْ مَلِكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَعَتُهُمْ شَيْئًا﴾ [النجم: ٢٦] ، فالعنى لا تغني شفاعتهم أن لو شفعا ، ليس أن هناك شفاعاة مثبتة . . . » ، الحجة ٤٨ / ٢ . ونفي أصل الشفاعاة هو مذهب المعتزلة ، كما قرره الزمخشري في الكشف في تفسير هذه الآية ، ورد عليه أحمد بن محمد بن المنير في كتاب الإنصاف في حاشية الكشف ٢٧٨ / ١ .

ومعنى الآية عند الجمهور : أنه وإن كان ظاهرها العموم فهي مخصوصة بمن مات على كفره غير تائب . انظر : تفسير الطبري ٢٦٨ / ١ ، وتفسير البغوي ٩٠٠ / ١ ، وتفسير ابن كثير ٩٥ / ١ . ولم ينبه الواحدي على كلام أبي علي الموهوم لنفي الشفاعاة ، مع أن الواحدي ذكر المعنى الصحيح في الآية في موضع آخر كما سيأتي .

(٤) يروي البيت في المصادر جميعها : (بمناره) ، وفي ديوان امرئ القيس : (النباطي) بدل (الديافي) . قوله : (على لَاحِبٍ) : اللاحب : الطريق البين الذي لحبته الخوافر ، ثم يستعمل لكل طريق بين وخفي ، و(لا يهتدي لمناره) : ليس فيه علم ولا منار يهتدى به ، سافه العود ، أي شمه المسن النجائب ، جرجرا : صوت الإبل ورغأؤه . ورد البيت في تهذيب اللغة (لحف) ١٥٩٨ / ٢ ، و(ساف) ١١٣٢ / ٢ ، و(داف) ، الحجة ٤٧ / ٢ ، وشرح أشعار الهذليين ٣٦ / ١ ، والخصائص ١٦٥ / ٣ ، ٣٢١ ، مقاييس اللغة ٣١٨ / ٢ ، واللسان (ديف) ١٤٦٦ / ٣ ، و(سوف) ٢١٥٣ / ٤ ، والخزانة ٢٥٨ / ١٠ ، وديوان امرئ القيس ٦٤ .

(٥) عجز بيت نسبه بعضهم إلى عمرو بن أحر ، وصدره :

لَا يُفْزَعُ الْأَرْبَبَ أَهْوَاهُ

أي ليس هناك (ضب) فيكون منه^(١) انجحار .

وقرئ قوله : ﴿وَلَا يَقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةً﴾ بالياء والتاء^(٢) ، فمن قرأ بالتاء قال : الاسم الذي أسند إليه هذا الفعل مؤنث ، فيلزم أن يلحق المسند^(٣) أيضاً علامة التأنيث ، ليؤذن لحاق العلامة^(٤) بتأنيث الاسم . ومما يقوي هذا أن كثيراً من العرب إذا أسند الفعل إلى المثنى أو المجموع ألحقوه علامة التثنية والجمع^(٥) ، كقوله :

أَلْفَيْتَا عَيْنَاكَ عِنْدَ الْقَفَا^(٦)

وقول آخر :

... يَعْصِرْنَ السَّلِيْطَ أَقَارِبُهُ^(٧)

يقول : ليس ثَمَّ هول تفزع منه الأرنب ، وليس هناك ضب فيكون منه انجحار . ورد البيت في شرح أشعار الهذليين ٣٦ / ١ ، والخصائص ١٤٦ / ٣ ، ٣٢١ ، الحجة لأبي علي ٤٧ / ٢ .

(١) في (ب) : (هناك) .

(٢) قرأ ابن كثير وأبو عمرو بالتاء ، وقرأ ابن عامر وهمة والكسائي ونافع بالياء ، وروي الوجهان عن عاصم . انظر : السبعة ١٥٥ ، والحجة ٤٣ / ٢ ، والتيسير ٧٣ .

(٣) في (ج) : (بالمسند) .

(٤) في (ب) : (علامة لحاق) .

(٥) هذا على اللغة المعروفة بلغة (أكلوني البراغيث) ، وهي لغة قليلة مشهورة . انظر : الأشموني مع حاشية الصبان ٤٧ / ٢ ، ٤٨ .

(٦) شطر البيت من قصيدة لعمرو بن ملقط ، أوردها أبو زيد ، وعجزه :

أَوَّلَى فَأَوَّلَى لَكَ ذَا وَقِيَّةٍ

وأورد صاحب الخزانة وشرحها . قوله : (أولى لك) : كلمة وعيد وتهديد ، و(الواقية) : بمعنى الوقاية (مصدرها) ، يصفه بالهروب ، ويقول : أنت ذو وقاية من عينك عند فرارك تحترس بهما ، ولكثرة تلفتك حيثنذ ، صارت عينك كأنها في قفاك . انظر : النواذر ٢٦٨ ، والحجة ٥١ / ٢ ، ومجمل اللغة ٤٨٣ / ١ ، والخزانة ٣١ / ٩ . والشاهد لحاق ألف التثنية في قوله : (أَلْفَيْتَا) .

(٧) قطعة من بيت من قصيدة للفرزدق يهجو عمرو بن عفراء الضبي ، وتامه :

وَلَكِنْ دِيَا فِي أَبْوهِ وَأَمُّهُ بِحَوْرَانَ يَعْصِرْنَ السَّلِيْطَ أَقَارِبُهُ

يقول : هو قروي من (دياف) ، قرية في الشام ، يعمل لإقامة عيشه ، وليس كما عليه العرب من الانتجاع والحرب ، و(السليط) : الزيت . ورد البيت في الكتاب ٤٠ / ٢ ، وشرح أبياته للسيرافي ٤٩١ / ١ ،

=

فكما ألحقوا هاتين العلامتين لتؤدنا بالثنية والجمع ، كذلك ألحقت علامة التأنيث الفعل لتؤذن بما في الاسم منه ، وكان لحاق هذه العلامة أولى من لحاق علامتي الثنية والجمع ، للزوم علامة التأنيث^(١) الاسم ، وانتفاء لزوم هاتين العلامتين الاسم ؛ لأنه إذا وحّد^(٢) زالت علامة الثنية والجمع . ولا يتوهم سقوط الهاء من الشفاعة^(٣) ، وبحسب لزوم المعنى تلزم^(٤) علامته^(٥) .

ومن قرأ بالياء ، فلأن التأنيث في الاسم ليس بحقيقي ، وإذا كان كذلك حمل على المعنى فذكر ، ألا ترى أن الشفاعة^(٦) والتشفع بمنزلة^(٧) ، كما أن الموعظة والوعظ ، والصيحة والصوت كذلك ، وقد قال : ﴿فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ [البقرة: ٢٧٥] ﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ﴾ [هود: ٦٧] فكما لم يلحق^(٨) العلامة هاهنا كذلك يحسن أن لا تلحق^(٩) في هذه الآية .

والخصائص ٢/ ١٩٤ ، والحجة ١/ ١٣٢ ، ٢/ ٥٢ ، والخزانة ٥/ ١٦٣ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٢٣٧ ، ٢٣٩ ، ٧/ ٣٤٦ ، ١١/ ٣٧٣ ، وشرح المفصل ٣/ ٨٩ ، ٧/ ٧ ، والهمع ٢/ ٢٥٧ ، واللسان (سلط) ٤/ ٢٠٦٥ ، و(ديف) ٣/ ١٤٦٦ ، وديوان الفرزدق ١/ ٤٦ ، والشاهد : لحاق نون الجمع في قوله (يعصرون) .

- (١) في (ج) : (الفعل الاسم) .
- (٢) في (ب) : (وجدو) .
- (٣) فإذا لزمّت علامة التأنيث في الاسم يحسن إلحاقه الفعل ، الحجة ٢/ ٥٢ .
- (٤) (أ) و(ج) : (يلزم) ، وما في (ب) موافق للحجة .
- (٥) من الحجة لأبي علي بنصه ٢/ ٥١ ، ٥٢ . وانظر : الحجة لابن خالويه ٧٦ ، والحجة لابن زنجلة ٩٥ ، والكشف لمكي ١/ ٢٣٨ .
- (٦) في (ب) : (الشفيع) .
- (٧) أي أن تأنيث الشفاعة ليس حقيقياً ، فلفظ (الشفاعة) وهو مؤنث مثل لفظ (التشفع) وهو مذكر ، انظر : الحجة لابن زنجلة ٩٥ .
- (٨) في الحجة : (لم تلحق) ، ٢/ ٥٢ ، وهو الأولى .
- (٩) في (أ) و(ب) : (يلحق) ، وأثبت ما في (ج) ؛ لأنه أصوب وموافق لما في الحجة .

ومما يقوي التذكير أنه فصل بين الفعل والاسم ، والتذكير يحسن مع الفصل كما حكي من قولهم : (حضر القاضي اليوم^(١) امرأة) ، فإذا جاء التذكير في^(٢) الحقيقي مع الفصل فغيره أجدر بذلك^(٣) .

قال أبو علي^(٤) : فأما ما قاله أحمد بن يحيى من أن التذكير أجود لقول ابن مسعود : (ذَكُرُوا القرآن)^(٥) فلا يجوز حمله على تذكير التأنيث ؛ لأنه لا يخلو إما أن أراد تذكير^(٦) التأنيث الحقيقي أو غير الحقيقي^(٧) .

ولا يجوز أن يريد تذكير الذي هو غير الحقيقي ؛ لأن ذلك قد جاء في القرآن ما لا يحصى كثرة ، كقوله : ﴿وَلَدَارُ الْآخِرَةُ﴾^(٨) [الأنعام: ٣٢] و﴿النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ﴾ [الحج: ٧٢] ، و﴿وَالْفَنَاءُ السَّاقِ بِالسَّاقِ﴾ [القيامة: ٢٩] ، و﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ﴾ [إبراهيم: ١٠] ، و﴿كَانَهُمْ أَعْمَارًا تَحُلِي حَاوِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٧] ، و﴿وَالنَّحْلُ بِاسِقَاتٍ﴾ [ق: ١٠] .

(١) (اليوم) ساقط من (ب) .

(٢) في (ب) : (يحسن في الحقيقي) .

(٣) كذا بنصه من الحجة ٥٢ / ٢ ، ٥٣ ، وذكر هذه الحجج ابن خالويه ٧٦ ، وابن زنجلة ٩٥ ، ومكي في الكشف ٢٣٨ / ١ ، وذكر مكي أربع علل ، وهي داخله في ما ذكر أبو علي ، والرابعة ما روي عن ابن مسعود : ذكروا القرآن . وهذه العلة ذكرها أبو علي ، ثم ردها كما سيأتي .

(٤) الحجة لأبي علي ٥٣ / ٢ .

(٥) ذكره مكي في الكشف قال : «ذكر أبو عبيد عن ابن مسعود أنه قال : ذَكُرُوا القرآن ، وإذا اختلفتم . . . إلخ فاجعلوها ياء» ، وذكر أن هذه اللفظة : وإذا اختلفتم . . . إلخ رواية عن ابن عباس ، الكشف ٢٣٨ / ١ ، وذكر ابن خالويه : وإذا اختلفتم . . . إلخ عن ابن مسعود ، الحجة ٧٦ .

وذكره في الفائق بلفظه في الحديث : (القرآن ذكر فذكروه) ولم يعزه . الفائق ١٣ / ٢ ، وفي النهاية في غريب الحديث قال : وفيه : (القرآن ذكر فذكروه) ؛ أي إنه جليل خطير فأجلوه . النهاية في غريب الحديث ١٦٣ / ٢ .

(٦) في (ب) : (أراد بتذكير) .

(٧) نص كلام أبي علي في الحجة : «لا يخلو من أن يريد به التذكير الذي هو خلاف التأنيث ، أو يريد معنى غير ذلك . فإن أراد به خلاف التأنيث فليس يخلو من أن يريد : ذكروا فيه التأنيث الذي هو غير حقيقي أو التأنيث الذي هو حقيقي . . . » ، ٥٣ / ٢ .

(٨) في (ج) : (والدار) . وهي آية الأعراف : [١٦٩] .

فإذا^(١) كان هذا النحو على الكثرة التي تراها، فلا يجوز أن يريد هذا. وإذا لم يجوز أن يريد هذا كان إرادة تذكير التأنيث الحقيقي أبعد، كقوله: ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ﴾ [آل عمران: ٣٥]، وقوله: ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ [التحریم: ١٢]، ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ﴾ [القصص: ١١].

فإن قلت: إنما يريد: [إذا]^(٢) احتمال الشيء التذكير والتأنيث، فاستعملوا التذكير وغلبوه. قيل: هذا - أيضاً - لا يستقيم، ألا ترى أن في ما تلونا: ﴿وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ﴾ و﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾، فأنت مع جواز التذكير فيه، يدل على ذلك في الأخرى: ﴿أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ﴾ [القمر: ٢٠]، وقوله: ﴿مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ﴾ [يس: ٨٠]، ولم يقل: الخضر^(٣) أو الخضراء، فهذه المواضع يعلم منها أن ما ذكر ليس بمراد ولا مذهب، فإذا لم يصح أن يريد به تذكير التأنيث كان معنى غيره. فمما^(٤) يجوز أن يصرف إليه، أنه يريد به الموعظة والدعاء إليه كما قال: ﴿فَذَكَّرْ بِالْقُرْآنِ﴾ [ق: ٤٥] إلا أنه^(٥) حذف الجار^(٦).

(١) في (ب): (وإذا).

(٢) (إذا) ساقطة من كل النسخ، وأثبتها كما في الحجة لاقتضاء السياق لها، والنص في الحجة: «فإن قلت: إنما يريد: إذا احتمال»، ٥٤/٢.

(٣) في (أ) و(ج): (والخضراء)، وأثبت ما في (ب) لأنه أولى، وفي الحجة: (الخضر ولا الخضراء)، ٤٥/٢.

(٤) في (ب): (فما لا يجوز).

(٥) في (ب): (أن).

(٦) وهذا قريب من المعنى الذي ذكره ابن الأثير في النهاية في غريب الحديث، قال: «وفيه القرآن ذكر فذكره، أي إنه جليل خطير فأجلوه»، ١٦٣/٢.

أو^(١) أراد : ذكروا الناس القرآن ، أي ابعثوهم على حفظه كيلا ينسوه^(٢) . ويمكن أن يكون المعنى قوله : (ذكروا القرآن) لا تجحدوه ولا تنكروه^(٣) ، كما أنكره من قال : ﴿إِلَّا أَسْطَرُ الْأَوَّلِينَ﴾^(٤) لإطلاقهم عليه لفظ التأنيث فهو لاء لم يُذكره لكنهم أنثوه بإطلاقهم التأنيث ، وما كان مؤنث^(٥) اللفظ عليه ، وهذا كقوله : ﴿إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنْتًا﴾ [النساء: ١١٧] ، فإناث جمع أنثى ، وإنما يعني به ما اتخذوه آلهة ، كقوله : ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّتَ وَالْعُزَّىٰ﴾ ﴿وَمَنْوَةَ الثَّالِثَةَ الْآخِرَىٰ﴾ [النجم: ١٩ ، ٢٠] .

وقال^(٦) العجاج :

وَكُلُّ أَنْثَى حَمَلَتْ أَحْجَارًا^(٧)

فسماها أنثى لتأنيثهم لفظها . وكذلك قول الفرزدق :

وَكُنَّا إِذَا الْجَبَّارُ صَعَّرَ خَدَّهُ ضَرْبَنَاهُ دُونَ الْأُنْثَيْنِ عَلَى الْكَرْدِ^(٨)

(١) في (ب) : (وأراد) .

(٢) وهذا المعنى : (ذكروا الناس القرآن ، أي ابعثوهم على حفظه) غير موجود في الحجة ، ولعله سقط من المطبوع لأن الكلام يدل عليه ، ٥٥ / ٢ .

(٣) في (ب) : (لا يجحدوه ولا ينكروه) .

(٤) الأنعام : [٢٥] ، والأفقال : [٣١] ، والنحل : [٢٤] ، والمؤمنون : [٨٣] ، والفرقان : [٥] ، والنمل : [٦٨] ، الأحقاف : [١٧] ، والقلم : [١٥] ، والمطففين : [١٣] .

(٥) في (أ) و(ج) : (يؤنث) ، وأثبت ما في (ب) ، لأنه أولى ، والنص في الحجة : «... لكنهم أنثوه بإطلاقهم التأنيث على ما كان مؤنث اللفظ كقوله ...» ٥٥ / ٢ .

(٦) في (ب) : (قال) بسقوط الواو .

(٧) الرجز في (الحجة) وقبله : أَوْرَدَ حُذًّا تَسْبِقُ الْأَبْصَارَ وليس متالين في (الديوان) ، بل بينهما أبيات ، وفيها يصف المنجنيق ، والحذُّ : السهام البُتْرُ ، وكل أنثى : يعني المنجنيق ، يقول : يُرْمَى بِالْمَنْجَنِيقِ فيخرج الحجر من بطن الجلد ، كما يقر بطن الحامل عن الولد . ورد في الحجة ٥٥ / ٢ ، والمخصص ١٣ / ١٨٩ ، واللسان (حجر) ٧٨٥ / ٢ ، وديوان العجاج ٤١٦ .

(٨) رواية البيت في ديوان الفرزدق وبعض المصادر :

وَكُنَّا إِذَا الْقَيْسِيُّ نَبَّ عَتُوْدَهُ ضَرْبَنَاهُ فَوْقَ ... =

أراد بالأنثيين : الأذنين^(١) . قلت : أطال أبو علي الكلام في تأويل قول ابن مسعود ، وهو ما ذهب إليه أحمد بن يحيى^(٢) ، وأراد ابن مسعود أنه إذا احتمل اللفظ التأنيث والتذكير ، ولا يحتاج في التذكير إلى تغيير الخط ومخالفة المصحف فذكر ، كقوله : ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ﴾ ، لست تحتاج إلى مخالفة الخط في التذكير ، ويدل على أنه أراد هذا ، وأن أصحاب عبدالله من قراء^(٣) الكوفة ، كحمزة والكسائي ذهبوا إلى هذا ، فقرأوا ما كان من هذا القليل بالتذكير ، مثل قوله : ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ﴾^{(٤)(٥)} [النور: ٢٤] ، و﴿يَغْشَى طَائِفَةٌ مِنْكُمْ﴾^{(٦)(٧)} [آل عمران: ١٥٤] وأشباههما بالتذكير ، هذا - الذي ذكرنا - كله في التأنيث غير الحقيقي .

ديوان الفرزدق ١٧٨/١ ، وله بيت آخر :

وَكُنَّا إِذَا الْقَيْسِيُّ صَعَرَ خَدَّهُ
ضَرَبْنَاهُ حَتَّى تَسْتَقِيمَ الْأَحَادُغُ

الديوان ١/٤٢٠ ، ويظهر أنه حصل خلط بين البيتين ، فكثرت الرواية فيها . قال ابن قتيبة في المعاني الكبير : ويروى لذي الرمة . وقوله : نَبَّ عَتُوْدُهُ : تكَبَّرَ ، والعَتُوْدُ : الجدي الذي بلغ السفاد ، صَعَرَ خَدَّهُ : أماله كبراً . الأنثيان : شحمتا الأذن ، والكُرْد : أصل العنق . انظر : المعاني الكبير ٢/٩٩٤ ، والحجة ٢/٥٦ ، وجهرة اللغة ٣/١٣٢٢ ، وإعراب ثلاثين سورة ٢٧٧ ، والمخصص ١/٨٢ ، ٥/١٩٠ ، ١٦/٢٠٣ ، والمجمل (أنث) ١/١٠٤ ، واللسان ٧/٤٣١٧ ، و(نَبَّ) ، ١/١٤٦ ، و(أنث) ، ٧/٣٨٤٩ ، و(كرد) ، ٧/٣٩٦١ ، و(كون) .

(١) انتهى ما نقله عن أبي علي من الحجة ٢/٥٣-٥٦ .

(٢) أي أن المراد بكلام ابن مسعود التذكير الذي هو خلاف التأنيث ، وبهذا أخذ ابن خالويه في الحجة ٧٦ ، ومكي في الكشف ١/٢٣٨ ، ومما يرجح هذا ما ورد في الرواية عن ابن مسعود : «فإذا اختلفتم في التاء والياء فاجعلوه بالياء» .

(٣) في (ب) : (قر) .

(٤) قرأ حمزة والكسائي (بالياء) ، وبقية السبعة (بالتاء) . انظر : السبعة ٤٥٤ ، والكشف ٢/١٣٥ ، والتيسير ١٦١ .

(٥) في (ج) : (تشهد) ، وفي (أ) و(ب) : (يشهد) على قراءة حمزة والكسائي .

(٦) قرأ حمزة والكسائي (بالتاء) وبقية السبعة (بالياء) . انظر : السبعة ٢١٧ ، والكشف ١/٦٣٠ والتيسير ٩١ .

(٧) في (ج) : (تغشى) بالتاء على قراءة حمزة والكسائي .

وأما الحقيقي : فهو ما يكون منه النسل ، ويقبح في مؤنثه لفظ التذكير^(١) ، لو قلت : قام جاريتك ونحر ناقتك ، كان قبيحاً ، وهو جائز على قبحه ؛ لأن الناقة والجارية تدلان على معنى التأنيث ، فاجتزئ بلفظهما عن تأنيث الفعل^(٢) . فأما الأسماء التي تقع للمذكرين^(٣) لو سميت بها مؤنثاً فلا بدّ فيها من علم التأنيث ؛ لأن الكلام للفائدة والقصد^(٤) به الإبانة^(٥) ، فلو سميت امرأة بقاسم لم يجوز أن تقول : جاءني قاسم ، فلا يعلم أمذكراً عنيت أم مؤنثاً ، وليس إلى حذف هذه التاء - إذا كانت فارقة^(٦) بين معنيين - سبيل ، كما أنه إذا جرى ذكر رجلين ، لم يجوز أن تقول : قد قام ، إلا أن تقول : قاما^(٧) ، فعلامة التأنيث في ما فيه اللبس كعلامة التثنية^(٨) هاهنا^(٩) .

-
- (١) نقل الواحدي عن الزّجاج من معاني القرآن ، والنص في المعاني : «وأما ما يعقل ويكون منه النسل والولادة نحو امرأة ورجل ، وناقة وجمال فيصح في مؤنثه لفظ التذكير ، ولو قلت قام جارتك ، ونحر ناقتك كان قبيحاً . . . إلخ» . والبقية بنصه ، المعاني ٩٩ / ١ . وقد تصرف الواحدي في عبارة الزّجاج . وقوله : (ويقبح في مؤنثه لفظ التذكير) ، أي فإنه يقبح في مؤنثه .
- (٢) المشهور عند النحويين أن المؤنث الحقيقي الذي لم يفصل عن فعله بفواصل يجب تأنيث الفعل له . انظر : شرح ابن عقيل ٨٨ / ٢ .
- (٣) في المعاني للزّجاج : «للمذكرين وأصحاب المؤنث فلا بد فيها من علم التأنيث . . .» ، ١٠٠ / ١ ، وعبارة الواحدي أوضح .
- (٤) في (ب) : (القصيدة) .
- (٥) في (ج) : (الابالة) .
- (٦) في (ج) : (ذار قعين) .
- (٧) في (ب) : (قد قاما) .
- (٨) في (ج) : (التثنية والجمع هاهنا) .
- (٩) معاني القرآن للزّجاج ١٠٠ / ١ .

وقوله تعالى : ﴿وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ . عَدْلٌ ^(١) الشيء وعدله : مثله ^(٢) ، قال الله تعالى : ﴿أَوْ عَدْلٌ ذَلِكَ صِيَامًا﴾ [المائدة: ٩٥] ، أي ما يماثله ^(٣) من الصيام ^(٤) ، قال كعب بن مالك ^(٥) :

صَبَرْنَا ^(٦) لَا نَرَى لِلَّهِ عَدْلًا عَلَى مَا نَابَنَا مُتَوَكِّلِينَ ^(٧)
أي لا نرى له مثلاً .

وذكر ^(٨) في التفسير أن العدل هاهنا : (الفداء) ^(٩) ، قال الله تعالى : ﴿وَإِنْ تَعَدَّلْ كُلَّ عَدْلٍ لَا يُؤْخَذُ مِنْهَا﴾ [الأنعام: ٧٠] ، قال يونس : العدل : الفداء ^(١٠) . [وسمي الفداء] ^(١١) عدلاً ؛ لأنه يعادل المفدي ويماثله ، وأصل هذا الباب المساواة والمماثلة .

-
- (١) (عدل) ساقط من (ب) .
(٢) (العَدْل) و(العَدْل) بمعنى المثل ومعناها سواء ، وقال الفرّاء : (العَدْل) : المثل ، (والعَدْل) : ما عادل الشيء من غير جنسه .
انظر : معاني القرآن للفرّاء ١/ ٣٢٠ ، وتفسير الطبري ١/ ٢٦٩ ، وتهذيب اللغة (عدل) ٣/ ٢٣٥٨ ، ومعاني الزّجاج ٢/ ٢٢٩ .
(٣) في (ج) : (ما ماثله) .
(٤) انظر : معاني القرآن للزّجاج ٢/ ٢٢٩ .
(٥) هو كعب بن مالك بن أبي كعب ، الأنصاري الخزرجي ، شاعر الرسول ﷺ وصاحبه ، وأحد الثلاثة الذين خلفوا ، قُتِبَ الله عليه ، ومات سنة خمسين ، وقيل : سنة أربعين ، وقيل : غير ذلك ، انظر : الاستيعاب ٣/ ٢٨٦ ، وحاشية على الإصابة ، سير أعلام النبلاء ٢/ ٥٢٣ ، والجرح والتعديل ٧/ ١٦٠ ، وتهذيب التهذيب ٣/ ٤٧١ .
(٦) في (ج) : (لا ترى) .
(٧) أورد الواحدي البيت في الوسيط ١/ ١٠٠ ، وهو من قصيدة لكعب يرد بها على ضرار بن الخطاب بن مرداس ، يوم الخندق ؛ أورد ابن هشام القصيدتين في السيرة ٣/ ٢٧٧ .
(٨) (وذكر) ساقط من (ب) .
(٩) ذكره الطبري ١/ ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، وابن أبي حاتم ١/ ١٠٥ ، وابن قتيبة في الغريب ٣٩ ، والثعلبي ١/ ٧٠ ، والبيهقي ١/ ٩٠ ، وابن كثير ١/ ٩٥ . وذكر ابن أبي حاتم عن علي وعمير بن هانئ : المراد : التطوع والفريضة ، تفسير ابن أبي حاتم ١/ ١٠٥ ، وابن كثير ١/ ٩٥ .
(١٠) ذكره الأزهرى ، قال : أخبرني ابن فهم عن محمد بن سلام عن يونس . تهذيب اللغة (عدل) ٣/ ٢٣٥٨ .
(١١) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) و(ج) .

يقال : فلان يعدل فلاناً ، أي يساويه ، ويقال : ما يعدلك عندنا شيء ، [أي ما يقع عندنا شيء] ^(١) موقعك ، ولا يساويك .

والْعَدْلُ : اسم جَمْل معدول [يُحْصَل] ^(٢) أي مسوى به ^(٣) . ونذكر ما قيل في الْعَدْلُ ، وَالْعَدْلُ عند قوله : ﴿ أَوْ عَدَلْ ذَلِكَ صِيَامًا ﴾ [المائدة : ٩٥] إن شاء الله .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ . قال المفسرون : أي ولا هم يمنعون من عذاب الله ^(٤) . ومعنى (النصر) في اللغة : المعونة ^(٥) ، وبينهما فرق ، وهو أن المعونة قد تكون على صناعة النصر لا تكون إلا مع منازعة . وانتصر بمعنى : انتقم ، معناه بلغ حال النصر ^(٦) .

قال المفسرون : نزلت ^(٧) الآية في اليهود ، وذلك أنهم كانوا يقولون : يشفع لنا آبأؤنا الأنبياء ، فأيسهم الله عن ذلك ^(٨) . والآية وإن عمت في نفي ^(٩) الشفاعة فمعناها الخصوص في من ^(١٠) مات على الكفر ، بدلالة الأخبار الصحيحة في الشفاعة ^(١١) ،

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ب) .

(٢) كذا في النسخ جميعها (يُحْصَل) ، والصواب (يُحْمَل) كما في التهذيب (عدل) ٢٣٥٨ / ٣ .

(٣) تهذيب اللغة (عدل) ٢٣٥٨ / ٣ ، وانظر : الطبري ٢٦٩ / ١ ، واللسان (عدل) ٢٨٣٩ / ٥ .

(٤) ذكره الثعلبي ١٧٠ / ١ ، والبغوي ٩٠ / ١ ، وابن الجوزي في زاد المسير ٧٧ / ١ ، وقال الطبري : لا ينصرهم ناصر ولا يشفع لهم شافع ، ولا يقبل منهم عدل ولا فدية ، ٢٦٩ / ١ ، ونحوه ذكر ابن كثير ، ٩٥ / ١ .

(٥) انظر : تهذيب اللغة (نصر) ٣٥٨٤ / ٤ ، والجمهرة ٧٤٤ / ٢ ، واللسان (نصر) ٤٤٣٩ / ٧ .

(٦) انظر : اللسان (نصر) ٤٤٣٩ / ٧ .

(٧) في (ب) : (هذه الآية) .

(٨) ذكره الطبري في تفسيره ٢٦٩ / ١ ، والثعلبي في تفسيره ١٧٠ / ١ ، والزجاج في معاني القرآن ٩٨ / ١ .

(٩) (نفي) ساقط من (ب) .

(١٠) في (أ) و(ج) : (فمن) ، وأثبت ما في (ب) ، لأنه الصواب .

(١١) انظر : تفسير الطبري ٢٦٨ / ١ ، وتفسير أبي الليث ١١٦ / ١ ، وتفسير ابن عطية ٢٨٣ / ١ ، وتفسير

البغوي ٩٠ / ١ ، وزاد المسير ٧٦ / ١ ، وهذا قول أهل السنة والجماعة في الشفاعة ، بخلاف قول المعتزلة الذين ينفون الشفاعة ، وقد نقل الواحدي قولهم في ما سبق وعزاه إلى أهل المعاني .

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ [الأنبياء: ٢٨]، وقوله: ﴿لَا تُغْنِي شَفَعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ﴾ [النجم: ٢٦] ^(١).

٤٩. قوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ الآية. (نجيناكم): أصله على النجوة، وهي ما ارتفع واتسع من الأرض، ثم يسمى ^(٢) كل فائز ناجياً، كأنه خرج من الضيق والشدة إلى الرخاء والراحة، ومنه قوله: ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِدَنِكَ﴾ [يونس: ٩٢]، أي نلقيك على نجوة ^(٣).

وقوله تعالى: ﴿مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ ^(٤). اختلف أهل العربية في (الآل)، واشتقاقه من اللغة، وأصله. فقال جماعة: أصله ^(٥) من ^(٦) الأول بمعنى الرجوع، فال رجل كأنه شيعته الذين يؤولون إليه ويؤول إليهم، ومن هذا سُمي السراب (آلا)، لأنه يتردد كأنه يرجع بعضه إلى بعض كالماء، وآل الرجل: شخصه، لأنه يتردد معه لا يفارقه، والآلة: الحالة ^(٧) في قول الخنساء ^(٨):

سَأَحِلُّ نَفْسِي عَلَى آلَةٍ فِيمَا عَلَيْهَا وَإِمَّا لَهَا ^(٩)

- (١) وفي (ج): ﴿لَا تُغْنِي عَنْ شَفَعَتِهِمْ شَيْئًا﴾، وهذه: [٢٣] من يس.
- (٢) في (ب): (سمى).
- (٣) تفسير الثعلبي ١/ ١٧٠، وانظر: تهذيب اللغة (نجا) ٤/ ٣٥١٠، وتفسير القرطبي ١/ ٣٢٥.
- (٤) في (ب): (وقوله: لال (اختلف ...)).
- (٥) في (أ) و(ج): (وأصله) بزيادة واو، وأثبت ما في (ب)؛ لأنه أصح في السياق.
- (٦) (من) مكررة في (ج).
- (٧) انظر: التهذيب (آل) ١/ ١٨٥، ومقاييس اللغة (أول) ١/ ١٥٩-١٦١، ونزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر ١٢٢، واللسان ١/ ١٧٥.
- (٨) في (ج): (الخنسي الخنساء). والخنساء هي: ثُمَاَضْر: بضم التاء وكسر الضاد، بنت عمرو بن الشريد بن سليم، قدمت على الرسول ﷺ مع قومها من بني سليم، وأسلمت معهم، شاعرة مشهورة، استحسّن النبي ﷺ شعرها، وانظر: ترجمتها في الشعر والشعراء ٢١٣، والإصابة ٤/ ٢٨٧.
- (٩) من قصيدة من غرر مراثيها في أخيها معاوية، وقيل: في رثاء صخر، وقولها: على آلة: على حالة وعلى خطة، فإما ظفرت وإما هلكت، انظر: شرح ديوان الخنساء ٨٤، ومقاييس اللغة (أول) ١/ ١٦٢.

لأنها تنقلب فتعود تارة إلى إنسان وتذهب تارة ، هذا معنى الآل في اللغة . ثم شبه
بآل الرجل أشياء تسمى بهذا الاسم ، وإن لم يكن فيه معنى الأول ، كعمد الخيمة^(١)
تسمى آلا ، تشبيهاً بآل الإنسان . وآل البعير : ألواحه^(٢) ، وقال^(٣) الشاعر :
تَعَلَّمْتُ بِأَجَادٍ^(٤) وَآلٍ مُرَامِرٍ وَسَوَّدْتُ أَثْرَابِي وَلَسْتُ بِكَاتِبٍ^(٥)
ومرامر : رجل وضع الهجاء ، فسَمَّى حروف الهجاء آل مرامر . ويقال
للحواميم : آل حم ، ومنه قول الكميت :
وَجَدْنَا لَكُمْ فِي آلٍ^(٦) حَمَ آيَةً فَأَوَّلَهَا^(٧) مِثْلَ تَقِيٍّ وَمُغْرِبٍ^(٨)
فعلى قول هؤلاء^(٩) تصغير الآل (أويل) ، حكاه الفراء عن الكسائي^(١٠) ،
وكان أصله همزتان ، فعوضت من أحدهما مدة .

- (١) انظر : مقاييس اللغة (أول) ١ / ١٦١ ، واللسان (أول) ١ / ١٧٤ ، ١٧٥ .
(٢) في (أ) و(ج) : (الوجه) ، وأثبت ما في (ب) لأنه موافق لما في كتب اللغة . قال ابن فارس : آل البعير
ألواحه وما أشرف من أقطار جسمه ، مقاييس اللغة (أول) ١ / ١٦١ ، وانظر : اللسان (أول) ١ / ١٧٣ .
(٣) (الواو) ساقطة من (ب) .
(٤) كذا في النسخ جميعها ، ومثله في معاني القرآن للفراء ١ / ٣٦٩ ، وفي اللسان (باجادا) ٧ / ١٧٨ .
(٥) مرامر بن مرة رجل من طيء ، قيل : إنه أول من وضع الهجاء ، وآل : حروف الهجاء ؛ لأنه شهر بها أو
لأنه سمى أولاده الثانية بأسماء جملها . ذكر البيت الفراء في معاني القرآن ، وقال : أنشدني الحارثي ،
١ / ٣٦٩ ، وهو في اللسان (مرر) ٧ / ١٧٨ .
(٦) كذا في النسخ جميعها ، وفي بعض المصادر : (حميم) .
(٧) في (ب) : (بأولها) ، والرواية المشهورة للبيت (تأولها) .
(٨) البيت في ذكر بني هاشم ، وكان الكميت متشيعاً ، يقول : وجدنا في سور (آل حميم) وهي التي أولها
(حم) والآية : ﴿ قُلْ لَا أَتْلُوهُ عَلَى أَحَدٍ إِلَّا الْوَدَّ فِي الْقُرْآنِ ﴾ [الشورى : ٢٣] ، يقول : من تأول هذه الآية
لم يسعه إلا التشيع لآل البيت ، على تقية ، أو على غير تقية ، والمغرب : المعلن لما في نفسه ، انظر :
الكتاب ٣ / ٢٥٧ ، والمقتضب ١ / ٢٣٨ ، ٣ / ٣٥٦ ، والحجة لابن خالويه ٣١٢ ، وتهذيب اللغة
(عرب) ٣ / ٢٣٧٩ ، و(طسن) ٣ / ٢١٩٢ ، والمخصص ١٧ / ٣٧ ، واللسان (عرب) ٥ / ٢٨٦٥ ،
و(حمم) ٢ / ١٠٠٦ ، ولم أجده في شعر الكميت .
(٩) أي على قول الذين قالوا : أصله (من آل يؤول أولاً) من الرجوع .
(١٠) تهذيب اللغة (آل) ١٥ / ٤٣٨ ، والمشكل لمكي ١ / ٤٦ ، والدر المصون ١ / ٣٤١ .

وقال أبو الفتح الموصلي : (آل)^(١) أصله : أهل ، ثم أبدلت الهاء همزة ، كما قيل : هَنَرْتُ الثوب^(٢) وَأَنْزَرْتُهُ ، وإِيَّاكَ وَهَيَّاكَ . فصار : (أأل) فلما توالى الهمزتان ، أبدلت الثانية ألفاً ، كما قالوا : آدم وآخر ، وفي الفعل : آمن ونحوه .

فالألف في (آل)^(٣) بدل من بدل^(٤) من الأصل^(٥) ، فجرت في ذلك مجرى التاء في القسم ، فلذلك لا يستعمل (آل) في كل موضع يستعمل فيه (أهل) ، فلا يقال : انصرف إلى آلك ، كما يقال : انصرف إلى أهلك ، وكذلك لا يقال : آلك والليل ، كما يقال : أهلك والليل ، وغير ذلك مما يطول ذكره . بل خصوا بالآل الأشرف والأخص من دون الشائع الأعم ، حتى لا يقال إلا في نحو قولهم : القراء آل الله ، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد^(٦) ، ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِّنْ آلِ إِبْرَاهِيمَ ﴾ [غافر: ٢٨] ، وكذلك ما أنشده أبو العباس للفرزدق :

نَجَوْتُ وَلَمْ يَمُنْ عَلَيَّكَ^(٧) طَلَاقَةً

سِوَى رَبِّدٍ^(٨) التَّقْرِيبِ مِنْ آلِ أَعْوَجَا^(٩)

(١) في (ب) : (ان) . أخذ كلام أبي الفتح من سر صناعة الإعراب ١/ ١٠١ .

(٢) في (ب) : (هيرت الثوب وإيرته) .

قوله : (هنرت الثوب وأنزرت وإيائك وهياك) ، ورد في سر صناعة الإعراب ٢/ ٥٥١ عند كلامه عن إبدال الهاء من الهمزة ومعنى (هنرت الثوب) : جعلت له علماً ، ثم قلبوا الهاء همزة ، فقالوا : أنرت الثوب . انظر : تهذيب اللغة (آل) ١٥/ ٤٣٨ ، والبيان ١/ ٣٧ .

(٣) في (ج) : (الال) .

(٤) (بدل من) ساقط من (ب) .

(٥) الألف في (آل) بدل من الهمزة ، والهمزة بدل من الهاء والهاء أصل ، انظر : سر صناعة الإعراب ١/ ١٠١ . وذهب أبو جعفر النحاس إلى أن (الألف) في (آل) بدل من الهاء مباشرة ، انظر : إعراب القرآن ١/ ١٧٢ ، ١٧٣٢ .

(٦) انظر : معاني القرآن للأخفش ١/ ٢٦٥ ، وتفسير الطبري ١/ ٣٧ .

(٧) في (ب) : (ومن يمن على) .

(٨) في (ب) : (زبد) .

(٩) في الديوان : (خرجت) بدل (نجوت) ، ومعنى (الرَّيْدُ) : المشي الخفيف ، (التقريب) : ضرب من =

لأن أعوج فيهم فرس^(١) مشهور ، فلذلك قال : آل أعوج ، ولا يقال : آل الخياط كما يقال : أهل الخياط ، ولا آل الإسكاف^(٢) كما يقال : أهل الإسكاف . كما أن التاء في القسم لما كانت بدلاً من بدل^(٣) وكانت فرع الفرع اختصت بأشرف الأسماء وأشهرها ، وهو الله^(٤) عزَّ اسمه . ولا يجوز أن يكون ألف (آل) بدلاً من الهاء ؛ لأن الهاء لم تقلب ألفاً في غير هذا الموضع ، فيقاس^(٥) هذا عليه ، وإنما تقلب الهاء همزة^(٦) كما ذكرنا^(٧) .

وهذا الذي ذكره أبو الفتح مذهب البصريين ، ويقولون في التصغير : (أَهْلِيل)^(٨) بالهاء . فمعنى (آل فرعون) أتباعه وأهل دينه^(٩) . (وفرعون) اسم

= السير يقارب فيه الخطو ، (أعوج) : فرس مشهور . ورد البيت في سر صناعة الإعراب ١ / ١٠٢ ، وديوان الفرزدق ١ / ١١٧ .

(١) في (ب) : (فرش) .

(٢) (الإسكاف) : من الصُّناع ، واسم لموضعين بنواحي النهروان من عمل بغداد ، انظر : القاموس (سكف) ٨٢٠ ، ومعجم البلدان ١ / ١٨١ .

(٣) قال أبو الفتح : « . . . فجرت في ذلك مجرى التاء في القسم ، لأنها بدل من الواو فيه ، والواو بدل من الباء . . . » . سر صناعة الإعراب ١ / ١٠٢ .

(٤) لفظ الجلالة غير موجود في (ب) .

(٥) في (ب) : (فقياس) .

(٦) ذكر أبو الفتح قلب الهاء همزة في سر صناعة الإعراب ٢ / ٥٥١ ، ونقل الواحدي عنه بعض الجمل في هذا الموضع .

(٧) هذا آخر ما نقله المؤلف عن أبي الفتح بتصرف ، سر صناعة الإعراب ١ / ١٠٠-١٠٢ . والخلاصة أن في (آل) ثلاثة أقوال :

١ . أصله (أهل) أبدلت الهاء همزة ، ثم أبدلت الهمزة ألفاً .

٢ . أصله : (أهل) ثم قلبت الهاء ألفاً من دون قلبها همزة ، وهو قول النحاس كما سبق .

٣ . وقيل : أصله : (أول) من (آل يؤل) . انظر : البيان ١ / ٨١ ، والإملاء ١ / ٣٥ ، والدر المصون ١ / ٣٤١ .

(٨) وقيل : يصغر على (أُوَيْل) . انظر : تفسير الطبري ١ / ٢٧٠ ، وسر صناعة الإعراب ١ / ١٠٥ ، وتهذيب اللغة ١٥ / ٤٣٨ ، والبيان ١ / ٨١ .

(٩) انظر : تفسير الطبري ١ / ٢٧٠ ، ومعاني القرآن للزجاج ١ / ١٠٠ .

للملوك العمالقة ، كما يقال لملك الروم : (قيصر) ، ولملك الفرس : (كسرى) ، ولملك الترك : (خاقان)^(١) .

وقال بعض أهل اللغة : فرعون بلغة القبط ، وهو التمساح^(٢) ، ويقال : تفرعن الرجل إذا تشبه بفرعون في سوء أفعاله^(٣) .

وقوله تعالى : ﴿يَسْؤُمُونَكَ﴾ . (السوم) أن تُجْشَمَ^(٤) إنساناً مشقةً وسوءاً أو ظلماً^(٥) . وقال شمر : ساموهم سوء العذاب ، أي أرادوهم به . وقيل : عرضوا عليهم من السوم الذي هو عرض السلعة على البيع^(٦) . وقال أبو عبيدة : يسومونكم : يولونكم ، يقال : سُمِّتَ الذل ، أي أوليته إياه^(٧) .

(١) انظر : تفسير الطبري ١/ ٢٧٠ ، والكشاف ١/ ٢٧٩ ، والقرطبي ١/ ٣٢٧ .

(٢) انظر : تهذيب اللغة ٣/ ٢٧٧٧ ، و(الرباعي من حرف العين) ، قال السهيلي عن المسعودي : ولا يعرف له تفسير بالعربية . التعريف والأعلام ٢١ ، وانظر : تفسير القرطبي ١/ ٣٢٧ .

(٣) انظر : الصحاح (فرعن) ٦/ ٢١٧٧ ، والكشاف ١/ ٢٧٩ .

(٤) في (ج) : (شجبتهم) .

(٥) ذكره الأزهري عن الليث ، وفيه (. . . أو سوءا . . .) تهذيب اللغة (سام) ٢/ ١٦٠٠ ، واللسان (سوم) ٤/ ٢١٥٨ .

(٦) تهذيب اللغة (سام) ٢/ ١٦٠٠ ، واللسان (سوم) ٤/ ٢١٥٧ .

(٧) مجاز القرآن ١/ ٤٠ ، وتفسير الغريب لابن قتيبة ٤٨ .

و﴿سَوْءَ الْعَذَابِ﴾ : ما ساءهم ، والسوء اسم جامع للآفات والدواء^(١) . قال الزَّجَّاج وغيره : سوء العذاب : شديد العذاب^(٢) ، وقد فسر به بقوله : ﴿يَذَّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ﴾ . وأصل الذبح في اللغة : الشق^(٣) ، ومنه :
فَأَرَاةَ مِسْكِ ذُبِحَتْ فِي سِكِّ^(٤)

وقال الهذلي^(٥) :

نَامَ الْخَلِيُّ وَبِتُ اللَّيْلُ مُشْتَجِرًا^(٦)
كَأَنَّ عَيْنِي فِيهَا الصَّابُ مَذْبُوحٌ^(٧)

- (١) ذكره الأزهري عن الليث ، التهذيب (ساء) ١٥٨٣/٢ ، وانظر : تفسير الطبري ٢٧١/١ .
(٢) معاني القرآن للزَّجَّاج ١/١٠٠ ، وانظر : تفسير الثعلبي ١/١٧٠ ، وتفسير أبي الليث ١/١١٧ ، والعمدة في غريب القرآن لمكي ٧٥ .
قال الطبري : وقد قال بعضهم : أشد العذاب ، ولو كان ذلك معناه لقل أسوأ العذاب . الطبري ٢٧١/١ .
(٣) تهذيب اللغة (ذبح) ١٢٦٧/٢ ، واللسان (ذبح) ١٤٨٨/٣ .
(٤) بيت من الرجز لمنظور بن مرثد الأسدي ، وقيله :
كَأَنَّ بَيْنَ فَكِّهَا وَالْفَكِّ
يصف طيب رائحة فم امرأة .
و(الفك) : عظم الحنك ، (فأرة المسك) : الإناء الذي يكون فيه المسك شُبَّهَ بالفأرة ، (ذبحت) : شقت . (في سك) : نوع من الطيب . ورد في التهذيب (ذبح) ١٢٦٨/٢ ، والمخصص ١١/٢٠٠ ، ٣٩/١٣ ، واللسان (ذبح) ١٤٨٦/٣ ، وشرح المفصل ٤/١٣٨ ، ٨/٩١ ، والخزانة ٧/٤٦٨ .
(٥) هو أبو ذؤيب .
(٦) في النسخ جميعها : (مستجراً) بالسین ، و(فيه) ، والتصحيح من مصادر التخریج .
(٧) (الخلي) : الذي ليس به هم . و(المشتجر) : الذي قد شجر نفسه ووضع يده تحت خده ورأسه لا ينام من الهم ، و(الشجر) : ملتقى اللحيين ، و(الصاب) : شجر يخرج منه سائل كاللبن ، إذا أصاب (العين) أحرقها ، (مذبوح) : مشقوق . انظر : شرح أشعار الهذليين ١/١٢٠ ، وتهذيب اللغة (ذبح) ١٢٦٨/٢ ، واللسان (ذبح) ١٤٨٨/٣ ، وشرح المفصل ١٠/١٢٤ ، والخزانة ٣/١٤٣ .

أي مشقوق . والذُّبَاح والذُّبَاح بالتخفيف والتشديد : تشقَّق^(١) في الرجل^(٢) .
ومن هذا سُمِّي الكوكب : (سعدُ الذابح) ؛ لأنه يطلع في وقت يحدث فيه الشقاق
في الرجل لأجل البرد^(٣) ، ولهذا تقول العرب : إذا طلع الذابح انجرح النابح .
وسمي فري الأوداج ذبحاً ؛ لأنه نوع شق ، والتفعل على التكثير^(٤) .

و(الأبناء) جمع ابن . قال الزَّجَّاج : وأصله : بَنَّا^(٥) أو بَنُو ، فهو يصلح أن
يكون (فعل) ، وبَنَّا أصله يكون بَنُو^(٦) ، وإنما صارت ألفاً ؛ لأنها سكنت لتحرك
ما قبلها ثم جررتها الفتحة التي قبلها فصيرتها ألفاً ، ومثله : قفا ورحا .

- (١) في (أ) : (تشق) و(ج) : (شق) ، وأثبت ما في (ب) ؛ لأنه أصوب ، وموافق لما في تهذيب اللغة .
- (٢) انظر : التهذيب (ذبح) ١٢٦٨/٢ ، واللسان (ذبح) ١٤٨٧/٣ .
- (٣) في التهذيب : (سمي ذابحاً لأن بحذائه كوكباً صغيراً كأنه قد ذبحه) ، ١٢٦٩/٢ ، والصحاح (ذبح) ٤٤/٢ .
- (٤) انظر : اللسان (ذبح) ١٤٨٥/٣ .
- (٥) في معاني القرآن للزَّجَّاج : (والأصل كأنه إنما جمع بني وبنو . . .) ، ١٠١/١ . وفي القاموس : أصله :
(بَنَى أو بَنُو) القاموس (بني) ١٢٦٤ .
- (٦) كذا ورد في (أ) و(ج) ، وفي (ب) : وقال الزَّجَّاج : «وأصله : بنا أو بنو فهو يصلح أن يكون (فعل) ،
ويصلح أن يكون أصله بنو . . .» . ونص كلام الزَّجَّاج في المعاني : «و(أبناءكم) جمع ابن ، والأصل كأنه
إنما جمع بني وبنو ، ويقال : ابن بين البنوة ، فهي تصلح أن تكون (فَعَلَ) و(فَعِلَ) كأن أصله بناية ، والذين
قالوا : (بنون) كأنهم جمعوا (بنا) وبنون ، فأبناء جمع (فَعَلَ) و(فَعِلَ) . . .» ، ١٠١/١ . وقال الأزهري
في تهذيب اللغة : «وقال الزَّجَّاج (ابن) كان في الأصل : (بَنُو) أو (بَنُو) . . . ويحتمل أن يكون أصله :
(بَنِيًا) . . .» ، تهذيب اللغة (بني) ٣٩٦/١ ، وانظر : الإغفال ١٨٧ ، والمخصص ١٩٢/١٣ .
وفي الأشموني مع الصبان : «أما ابن فأصله : بَنُو ، كقلم حذف لامة تخفيفاً ، وسكن أوله وأتي بالهمز
توصلاً وتعويضاً ، ودليل فتح فائه قولهم في جمعه : بَنُون ، وفي النسب : بَنُو يفتحها فيها . . . ودليل
كون لامة (واواً) لا (ياء) ثلاثة أمور :
أحدها : أن الغالب على ما حذف لامة الواو لا الياء .
ثانيها : أنهم قالوا في مؤنثه : بنت فأبدلوها (التاء) من اللام ، وإبدال التاء من الواو أكثر من إبدالها من الياء .
ثالثها : قولهم : البنوة . ونقل ابن الشجري في أماليه أن بعضهم ذهب إلى أن المحذوف (ياء) ، واشتقه
من بَنَى بامرأته يبنني ؛ لأن الابن مسبب عن بناء الأب بالأم . وهذا يدل على أن (الابن) لامة (ياء) . . .
وأجاز الزَّجَّاج الوجھين ، انظر : الأشموني مع حاشية الصبان ٢٧٥/٤ .

قال : فالذين قالوا : (بنون) كأنهم جمعوا (بنًا) ، والذين قالوا : (أبناء) كأنه جمع (بنو) ، مثل : حَنُوْا وأَحْنَأْ وَقِنُوْا وأَقْنَأْ^(١) .

قال أبو علي^(٢) : لا يجوز في (ابن) أن يكون وزنه (فَعْلًا) لأنه لا دلالة على أن الفاء منه مكسورة ، بل الدليل قد قام على أن الفاء مفتوحة ، وذلك قولهم : (بَنُوْنَ) فلو كان أصله : (بَنُوْ) لأن (أَفْعَال) لا تختص بجمع (فَعْل) ^(٣) بل تكون^(٤) -أيضاً- جمعاً لـ (فُعْل) و(فَعْل) و(فَعْل) و(فُعْل)^(٥) و(فَعْل) ، نحو : بُرْد^(٦) وأَبْرَاد ، وَقَتَب^(٧) وأَقْتَاب ، وَعَنْبٌ وَأَعْنَاب ، وَعَضُدٌ وَأَعْضَاد ، وَنَمِرٌ وَأَنْهَار ، فيلزمه أن يميز في أصله هذه الأبنية ؛ لأنها تجمع على (أَفْعَال) كما يجمع (فَعْل) ، فليس (أَفْعَال) بدليل على أن (ابن) أصله (فَعْل) .

فأما العين فالدليل على أنها مفتوحة -أيضاً- قولهم في جمعه : (أبناء)^(٨) ، و(أَفْعَال) بابه أن يكون لـ (فَعْل)^(٩) نحو : جَبَل . وليس يجب أن يعدل بالشيء عن أصله وبابه حتى يقوم دليل يسوغ ذلك ، ولم نعلم شيئاً دل على أن العين ساكنة من (ابن) ، وعلمنا أنه ينبغي أن تكون متحركة لقولهم : (أَفْعَال)^(١٠) .

(١) معاني القرآن للزجاج ١/ ١٠١ ، ونقل كلامه بتصرف ، انظر : التعليق السابق .

(٢) الإغفال ١٨٩ ، ونقل الواحدي عنه طويلاً ، وكلام أبي علي نقله ابن سيده في المخصص ١٣ / ١٩٢ .

(٣) في (ب) و(ج) : (تفتح) ، وفي (الحاشية) . وفي (ج) : (يفتح) ، ١٨٩ .

(٤) (فعل) ساقط من (ج) .

(٥) (فعل) ساقط من (أ) و(ج) ، وأثبتها كما في (ب) ، والأمثلة بعدها تدل على ثبوتها ، ولم ترد هذه الأوزان في كلام أبي علي ، وإنما ذكر بعضها ، قال : « . . . لزمه أن يميز في بنائه : (فعلاً) و(فعلاً) وغير ذلك . . . » ، الإغفال ١٨٩ .

(٦) البرد ، بالضم : ثوب مخطط ، جمعه أبراد ، وأبرد ، القاموس المحيط (برد) ٢٦٧ .

(٧) القَتَب ، والقَتَب : إكاف البعير ، اللسان (قتب) ٣ / ٢٨٨١ .

(٨) على وزن (أَفْعَال) .

(٩) في (ب) : (الفعل) .

(١٠) اختصر بعض كلام أبي علي ، انظر : الإغفال ١٩١ .

ولا دلالة في قولهم : (بنت) على أن (ابنا) وزنه (فعل) ، لأن (بنتاً) من (ابن) ليست كصعبة من صعب ، فيحكم بأن (الفاء) من ابن مكسورة كما كان^(١) في بنت مكسورة ، لأن هذا البناء أعني : بناء (بنت) صيغ للتأنيث على غير بناء التذكير ، فهو كحمرء من أحمر ، غير بناء التأنيث عما كان يجب أن يكون عليه في أصل التذكير ، وأبدل من الواو تاء ، وألحق الاسم بنكس^(٢) وجذع وما أشبه ذلك .

فأما بنات في جمع بنت فهو مما يدل على ما قلنا من أصل الفاء من (ابن) الفتح ، ورُدَّ في الجمع إلى أصل بناء المذكر ، كما رد (أخت) إلى أصل بناء المذكر ، فقليل : أخوات ؛ لأن أصل المذكر من كل واحد منهما (فعل) ، فكما ردوا الحرف الأصلي في جمع (الأخت) وهو الواو فقالوا : (أخوات) ، كذلك ردت الحركة التي كانت في أصل بناء المذكر في (ابن) ، وقالوا : بنات^(٣) .

قال أبو علي : والمحذوف من (ابن) (الواو) دون (الياء)^(٤) ، الدليل على ذلك : أن المحذوف إذا أريد أن يعلم ما هو ؟ نُظِرَ في التثنية أو الجمع^(٥) ، أو فعل مأخوذ من ذلك اللفظ ، أو جمعه المكسر ، فإن وُجد في أحد ذلك واو أو ياء ، حكم أن المحذوف هو ما يظهر في أحد هذه الأشياء . كما حكمت بـ (إخوة) أن المحذوف من (أخ) واو^(٦) ، وبـ (غدوت) أن المحذوف من (غد) واو ، وبـ (دَمَيَّان) أن المحذوف من (دم) ياء ، وبـ (يديين) أن المحذوف من (يد) ياء .

-
- (١) في (ب) : (أن) .
 (٢) النكس : السهم الضعيف ، الذي يُنكس ، أو ينكسر فوقه فيجعل أعلاه أسفله ، والنكس : الرجل الضعيف ، وأصله النكس من السهام ، اللسان (نكس) ٨ / ٤٥٤١ .
 (٣) الإغفال ١٩٣-١٩٥ . (بتصرف واختصار) ، وانظر : المخصص ١٣ / ١٩٣ .
 (٤) في الإغفال : «فأما قوله -أي الرَّجَّاج- في اللام المحذوفة من (ابن) إنه يحتمل عنده أن يكون واو أو ياء ، وأنها عنده متساويان في الحذف ، فليس الأمر -عندي- كما قال ، والمحذوف (الواو) من دون (الياء) . . . » . الإغفال ١٩٥ ، وانظر : المخصص ١٣ / ١٩٥ .
 (٥) في (ب) : (والجمع) .
 (٦) (واو) ساقطة من (ب) .

وليس في (الابن)^(١) شيء يستدل به على أن المحذوف (ياء) أو (واو) ، فوجب أن يحمل على نظيره ، ونظيره (أخت) ؛ لأنه صفة ألحقت في التأنيث بـ (قُفْل)^(٢) ، كما ألحقت (بنت) بـ (عَدْل) . والمحذوف من (أخت) الواو لقولهم : (إخوة)^(٣) كذلك ينبغي أن يكون المحذوف من (بنت) الواو .

وأيضاً فإن التاء في (بنت) ليست علامة للتأنيث^(٤) ، وإنما هي بدل من اللام ؛ لأنها لو كانت علامة للتأنيث لانفتح ما قبلها ، كما ينفتح ما قبلها في غير هذا الموضع ، نحو : طلحة وحمة وتمر ، فلما لم تنفتح^(٥) علمنا أنه بدل ، وإبدال التاء من الواو كثير ، كالتاء في أخت ، وكذلك في كلتا^(٦) ، وكذلك مثله سيبويه^(٧) بِشْرُوى . ونذكر الكلام في (كلتا) إذا انتهينا إليه إن شاء الله .

فإن قيل : لو كان الأمر على ما قلتم ، لقيل في جمع الأخت والبنت : أختات وبنات ، فلما حذفوا التاء في الجمع دل أنها للتأنيث ، وكذلك حذفهم إياها عند النسبة إليها يدل على أنها للتأنيث ، كما قالوا : طلحات وطلحي .

(١) في (ب) : (بن) .

(٢) في الإغفال (قُفْل) ١٩٦ ، وفي المخصص (قُفْل) ١٣ / ١٩٥ .

(٣) استدل بجمع التكسير على أن المحذوف من (أخت) واو .

(٤) في الإغفال : « وهذه التاء لا تخلو من أن تكون بدلاً من لام الفعل ، أو علامة للتأنيث ، فلو كانت علامة للتأنيث لانفتح ما قبلها . . . » ، ١٩٧ .

(٥) في (ب) : (يفتح) .

(٦) الأصل فيهما (كُلُوا) . انظر : سر صناعة الإعراب ١ / ١٤٩ .

(٧) انظر : الكتاب ٣ / ٣٦٤ ، وانظر : الإغفال ١٩٨ ، والمخصص ١٣ / ١٩٥ ، ١٩٦ .

قلنا : هذا البناء الذي وقع [إلحاق] ^(١) التاء ^(٢) فيه ، وإنما وقع في بناء المؤنث من دون بناء المذكر ، فصار البناء في الموضعين لذلك ، لا لأنه للتأنيث ، وغُيِّرَ البناء في هذين الموضعين ، وَرُدَّ إلى التذكير من حيث حذفت علامة ^(٣) التأنيث في هذين الموضعين ؛ لأن الصيغة قامت مقام العلامة ، فكما غُيِّرَتْ ^(٤) ما فيه علامة بحذفها ، كذلك غُيِّرَتْ هذه الصيغة بردها إلى المذكر ، وإذ ^(٥) كانت الصيغة قد قامت مقام العلامة ، فمن حيث وجب أن يقال : طَلَحَاتٍ وَطَلَحِيٍّ ، وجب أن يقال : أَخَوَاتٍ وَأَخَوِيٍّ .

وتعقب أبو الفتح هذه المسألة ^(٦) وزاد بياناً ، فقال : قد أبدلت التاء من الواو (لاماً) في أخت و بنت ، وأصلهما أخوة وبنوة ، فنقلوا ، ووزنهما ^(٧) : (فَعَل) إلى (فُعَل) و(فُعَل) وألحقوهما بالتاء ^(٨) المبدلة من لامهما ^(٩) بوزن (قُفَل) و(حُلَس) ، فقالوا : أخت و بنت ، وليست التاء فيهما بعلامة التأنيث كما يظن من لا خبرة له بهذا الشأن ، لسكون ما قبلها ، هكذا مذهب سيبويه ، وهو الصحيح ، وقد نص

(١) في (أ) : (الحاق) من دون إعجام ، وفي ب ، ج (الخوا) ، وفي الإغفال : «الجواب أن هذه التاء للإلحاق كما قلنا ، والدليل ما قدمنا ، وإنما حذف في الإضافة وهذا الضرب من الجمع ؛ لأن هذا البناء الذي وقع الإلحاق فيه ، وإنما وقع في بناء المؤنث من دون المذكر . . . » ١٩٩ ، والمخصص ١٣ / ١٩٦ .

(٢) في (ج) : (التاء) .

(٣) في الإغفال (علامات) ١٩٩ ، والمخصص ١٣ / ١٩٦ .

(٤) في الإغفال (غير) ١٩٩ ، ومثله في المخصص ١٣ / ١٩٦ .

(٥) في (ب) : (إذا) .

(٦) تكلم أبو الفتح بن جني على هذه المسألة في كتاب سر صناعة الإعراب في أثناء كلامه على إبدال التاء من الواو ، وقد تصرف الواحد في كلامه ، واستعمل منه ما يناسب هذا المبحث ، انظر : سر صناعة الإعراب ١ / ١٤٩ .

(٧) في (ب) : (ووزنها) . هكذا ورد في النسخ جميعها ، وفيه غموض ، والنص في سر صناعة الإعراب : « . . . فنقلوا أخوة وبنوة ، ووزنها (فُعَل) إلى (فُعَل) و(فُعَل) . . . » ، سر صناعة الإعراب ١ / ١٤٩ .

(٨) في (ب) : (المبدلة) .

(٩) في (ب) : (لامهما) وهو الثابت في صلب سر صناعة الإعراب ، وفي الحاشية (ب) : (لامهما) ، سر صناعة الإعراب ١ / ١٤٩ .

عليه في باب ما لا ينصرف ، فقال : لو سميت بهما رجلاً لصرفتهما معرفة ، ولو كانت للتأنيث لما انصرف الاسم ^(١) .

وعلاوة التأنيث في الأخت والبنت صيغتهما ^(٢) وهو بناؤهما على (فُعَل) و(فُعِل) ، وأصلهما (فَعَل) وإبدال الواو فيها لأمّاً ، وهذا عمل اختص به المؤنث ؛ لأنه لم يوجد إلا في هذين وفي كلتا ^(٣) ، ويدل أيضاً على إقامتهما (البنت) ^(٤) مقام ما فيه ^(٥) العلامة الصريحة ، وتعاقبهما على الكلمة الواحدة ، وذلك نحو : ابنة وبنت ، فالصيغة في (بنت) قامت مقام (الهاء) في ابنة ، فكما أن (الهاء) علم تأنيث لا محالة ، وكذلك صيغة (بنت) علم تأنيث لا محالة ، وليس (ابن) من (بنت) ، كصعب من صعبة ^(٦) ، إنما نظير صعبة من صعب ابنة من ابن . ويدل على أن (ابن) ^(٧) و(أخ) (فَعَل) مفتوحة ، جمعهم إياهما على أفعال نحو أبناء وآخاء ، حكى سيبويه ^(٨) (آخاء) عن يونس .

قال أبو إسحاق : والأخفش يختار أن يكون المحذوف من ابن (الواو) . قال ^(٩) : والبنوة ^(١٠) ليس بشاهد قاطع للواو ، لأنهم يقولون : الفتوة ، والتشية ^(١١) :

- (١) انظر : الكتاب ٣/ ٢٢١ ، ٣٦١-٣٦٤ ، وسر صناعة الإعراب ١/ ١٤٩ .
- (٢) هذا جواب سؤال أثاره أبو الفتح قال : (فلان قيل : فما علامة التأنيث في أخت وبنت ؟) ، فأجاب عنه بما نقله الواحدي هنا ، انظر : سر صناعة الإعراب ١/ ١٥٠ .
- (٣) قوله : (لأنه لم يوجد في هذين وفي كلتا) ليس من كلام أبي الفتح في سر صناعة الإعراب ١/ ١٥٠ .
- (٤) في سر صناعة الإعراب : (إقامتهما إياه مقام ...) ، ١/ ١٥٠ .
- (٥) في (ب) : (ما في) .
- (٦) في سر صناعة الإعراب : (وليس بنت من ابن كصعبة من صعب ...) ، سر صناعة الإعراب ١/ ١٥٠ .
- (٧) كذا في النسخ جميعها ، وفي سر صناعة الإعراب : (أن أخوا ابنا) ، وفي الحاشية : (في ش : أن أخ وابن) ١/ ١٥٠ .
- (٨) الكتاب ٣/ ٣٦٣ ، وسر صناعة الإعراب ١/ ١٥٠ .
- (٩) أي أبو إسحاق .
- (١٠) في (أ) و(ج) : (البنوة) ، وأثبت ما في (ب) ؛ لأنه موافق لما في معاني القرآن للزجاج ١/ ١٠٢ .
- (١١) (والواو) ساقطة من (ب) .

فتيان ، فـ (ابن) يجوز أن يكون المحذوف منه (الواو)^(١) و(الياء) ، وهما عندنا متساويان .

وأبو علي ينكر أن يكون المحذوف الياء دون الواو^(٢) ، وقد دل في ما ذكرنا من كلامه أن المحذوف هو الواو . فأما إدخال ألف الوصل في (ابن) ، فإنها أدخلت كما أدخلت في الاسم ، وقد فرغنا منه في أول الكتاب^(٣) .

قوله تعالى : ﴿وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾ . (يستحيون) : يستفعلون من الحياة ، ومعناه : يَسْتَبْقُون^(٤) ، ولا يقتلونهن^(٥) ، ومنه قوله عليه الصلاة والسلام : «اقتلوا شيوخ المشركين واستحيوا شرخهم»^(٦) .

واسم النساء يقع على الكبار والصغار ، وذلك أنهم كانوا يستبقون البنات^(٧) لا يقتلونهن . وقيل : سَمَّى البنات نساء على تقدير أنهن يكن نساء ، وقيل : جمع الكبار والصغار بلفظ النساء ، لأنهم كانوا يستبقون جميع^(٨) الإناث ، فجري

(١) في معاني للزجاج : (الواو) أو (الياء) ١/ ١٠٢ .

(٢) قال أبو علي : «ما أعلم الأخفش نص على هذه المسألة ، أن الاختيار عنده أن يكون (الواو) ، وأنه يجوز أن المحذوف الياء ...» ، الإغفال ٢٠٢ ، ٢٠٣ .

(٣) انظر : ما سبق في أول تفسير الفاتحة .

(٤) في (ب) : (يستبقوهن) .

(٥) انظر : تفسير الطبري ١/ ٣٧٢ ، والثعلبي ١/ ٧٠ ب ، وزاد المسير ١/ ٧٨ ، وذكر الطبري عن أبي العالية وضعفه : (يستحيون) يسترقون ، الطبري ١/ ٣٧٢ .

(٦) أخرجه أبو داود عن سمرة بن جندب ، وفيه (استبقوا) بدل (استحيوا) ، انظر : سنن أبي داود ٢٦٧٠ ، وكتاب : الجهاد ، باب : (في قتل النساء) ، والترمذي ١٥٨٣ ، وأبواب : (السير) ، باب : (ما جاء في النزول عن الحكم) ، وفيه : الشرح : الغلمان الذين لم ينبؤوا . قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح غريب . عارضه الأحوزي وأخرجه أحمد في مسنده ١٢/ ٢٠ . ورمز السيوطي له بالصحة في الجامع الصغير ، انظر : فيض القدير شرح الجامع ٢/ ٧٦ .

(٧) في (ب) : (جميع البنات) .

(٨) (جميع) ساقط من (ب) .

اللفظ على التغليب كما يطلق الرجال على الذكور وإن كان فيهم صغار^(١) . فإن قيل : فما في استحياء النساء من سوء العذاب ؟

قيل : إن استحياء النساء على ما كانوا يعملون بهن أشد في المحنة من قتلهن ؛ لأنهن يستعبدن وينكحن على الاسترقاق ، والاستبقاء للإذلال استبقاء محنة^(٢) .

قوله تعالى : ﴿ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾ . البلاء : اسم ممدود من البلو ، وهو الاختبار والتجربة^(٣) . يقال : بَلَاه يَبْلُوهُ بَلْواً إذا جَرَّبَهُ ، وَبَلَاه يَبْلُوهُ بَلْواً إذا ابتلاه الله ببلاء^(٤) .

قال أبو الهيثم : البلاء يكون حسناً ويكون سيئاً ، وأصله : المحنة ، والله - عز وجل - يبلو عباده بالصنيع الحسن ، ليمتحن شكرهم عليه ، ويبلوهم بالبلوى التي يكرهون ، ليمتحن صبرهم ، فقليل للحسن : بلاء ، وللسيئ : بلاء^(٥) لأن أصلهما : المحنة ، ومنه قوله : ﴿ وَبَلَوْنَهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ ﴾ [الأعراف : ١٦٨] ، وقال : ﴿ وَبَلَّوْكُمْ بِالْشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً ﴾^(٦) [الأنبياء : ٣٥] ، وقال في الخير : بلاءه الله ، وأبلاه^(٧) .

(١) واختار هذا الوجه ابن جرير في تفسيره ١/ ٢٧٤ ، وانظر : تفسير ابن عطية ١/ ٢٨٦ ، والقرطبي ١/ ٣٣٠ ، والبحر ١/ ١٦٤ .

(٢) انظر : تفسير ابن عطية ١/ ٢٨٦ ، وزاد المسير ١/ ٧٨ ، والرازي ١/ ٦٨ ، والبحر ١/ ١٩ .

(٣) انظر : التهذيب (بلا) ١/ ٣٧٩ ، واللسان (بلا) ١/ ٣٥٥ .

(٤) ذكره الأزهرى عن الأصمعي . التهذيب (بلا) ١/ ٣٧٩ .

(٥) ذكره الهروي عن أبي الهيثم ، ولفظه : (يبلو عبده) بلفظ المفرد ، الغريين ١/ ٢٠٩ ، ٢١٠ ، وذكره القرطبي في تفسيره عن الهروي ١/ ٣٣٠ .

(٦) (الواو) ساقطة من (ب) .

(٧) انظر : تفسير الطبري ١/ ٢٧٥ ، والصحاح (بلا) ٦/ ٢٢٨٥ .

قال زهير^(١) :

جَزَى اللَّهُ بِالْإِحْسَانِ مَا فَعَلَ بِكُمْ
وَأَبْلَاهُمَا خَيْرَ الْبَلَاءِ الَّذِي يَبْلُو^(٢)

أي صنع بهما خير الصنيع الذي يبلو به عباده^(٣) .

قال الليث : ويقال من الشر أيضاً : يُبْلِيهِ إِبْلَاءً^(٤) . والذي في هذه الآية يحتمل الوجهين ، فإن حملته على الشدة ، كان معناه : في استحياء البنات للخدمة وذبح البنين بلاء ومحنة^(٥) . وهو قول ابن عباس من رواية عطاء والكلبي^(٦) .

وإن حملته على النعمة ، كان المعنى : وفي^(٧) تنجيتكم من هذه المحن نعمة عظيمة ، وهو قول مجاهد والسدي^(٨) ، ومثل هذا في احتمال الوجهين ، قوله في قصة إبراهيم : ﴿ إِنَّكَ هَذَا لَهُوَ الْبَلْتَوُا الْمُبِينُ ﴾ [الصافات: ١٠٦] .

(١) في (ج) : (زهير بن جناب) .

(٢) من قصيدة لزهير يمدح سنان بن أبي حارثة ، ويروى بالديوان : (رأى الله) .
ورد البيت في : معاني القرآن للزجاج ١/ ١٠٢ ، والتهذيب (بلا) ١/ ٣٧٩ ، والصاحح (بلا) ٦/ ٢٢٨٥ ، واللسان (بلا) ١/ ٣٥٥ ، والخصائص ١/ ١٣٧ ، والقرطبي ١/ ٣٣٠ ، والرازي ٣/ ٧٠ ، وابن كثير ١/ ٩٦ ، والدر المصون ١/ ٣٤٨ ، وفتح القدير ١/ ١٣١ ، وشرح ديوان زهير ١٠٩ .

(٣) تهذيب اللغة (بلا) ١/ ٣٧٩ .

(٤) في تهذيب اللغة عن الليث : (الله يبلي العبد بلاءً حسناً ، ويبليه بلاءً سيئاً ، (بلا) ١/ ٣٧٩ ، وقال الطبري : الأكثر في الشر أن يقال : (بلوته أبلوه بلاء) ، وفي الخير : (أبليته أبليه إِبْلَاءً وَبَلَاءً) .

(٥) ذكره أبو الليث في تفسيره ١/ ١١٧ ، وابن الأثير في الزاهر ١/ ٣٤٨ ، والثعلبي ١/ ٧٠ ب ، والزمخشري في الكشف ١/ ٢٧٩ ، والبغوي ١/ ٩١ ، وابن الجوزي في زاد المسير ١/ ٧٨ ، والرازي ٣/ ٧٠ ، والقرطبي ١/ ٣٣٠ ، ونسبه إلى الجمهور ، وابن كثير ١/ ٩٧ ، والبيضاوي ١/ ٢٥ ، والنسفي ١/ ٤٣ ، والحاظن ١/ ١٢١ .

(٦) أخرج الطبري في تفسيره بسنده عن عكرمة عن ابن عباس نحوه ١/ ٢٧٢ ، ولم أجده من طريق عطاء والكلبي .

(٧) (الواو) ساقطة من (ب) .

(٨) ذكره ابن جرير بسنده عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ، وعن السدي ، وعن مجاهد ، وعن ابن =

٥٠. قوله تعالى: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ﴾. وذلك^(١) أن الله تعالى فرق البحر اثني عشر طريقاً، حتى خاض بنو إسرائيل، وكان^(٢) ذلك فرقاً بهم؛ لأنهم كانوا حشو البحر، والماء منفصل بعضه عن بعض، وهم يمرون في ما بينه^(٣).

جريح . تفسير الطبري ٢/ ٢٧٤، وابن أبي حاتم ١/ ١٠٦، والزجاج في معاني القرآن ١/ ١٠٢، وابن قتبية في الغريب ٤٠، ورجح هذا القول الرازي في تفسيره ٣/ ٧٠. انظر: تفسير القرطبي ١/ ٣٣٠، وابن كثير ١/ ٩٦.

(١) في هوامش نسخة (أ) زيادة من الكاتب صدرها بقوله: (ش من ك)، أي شرح من الكاتب، وهي في المواضع جميعها منقولة بنصها من الكشف للزخشري، وأثبت ما ذكره في هذا الموضع للاطلاع والفائدة:

(ش من ك). فرقنا: فصلنا بين بعضه وبعض، حتى صار فيه مسالك لكم، وقرئ (فرقنا) بمعنى: فصلنا. يقال: فرق بين الشيئين، وفرق بين الأشياء، لأن المسالك كانت اثني عشر، على عدد الأسباط.

وأما (بكم) ففيه أوجه: أن يراد كانوا يسلكونه ويتفرق الماء عند سلوكهم، فكأنما فرق بهم كما يفرق بين الشيئين بما يوسط بينهما. وأن يراد فرقناه بسببكم وبسبب إنجائكم. وأن يكون في موضع الحال، بمعنى: فرقناه ملتبساً بكم كقوله:

تدوس بنا الجمجم والتريبا

أي تدرسها ونحن راكبوها.

انتهى تعليق الكاتب، والكلام بنصه في الكشف ١/ ٢٨٠.

قوله: وقرئ (فرقنا): بها قرأ الزهري، انظر: تفسير ابن عطية ١/ ٢٨٨، والقرطبي في تفسيره ١/ ٣٣٠، والبحر ١/ ١٩٧.

وقوله: (تدوس بنا الجمجم والتريبا): البيت للمتنبي، وصدده:

فَمَرَّتْ غَيْرَ نَافِرَةٍ عَلَيْهِمْ

و(التريبا): لغة في التراب. انظر: ديوان المتنبي شرح العكبري ١/ ١٣٨، والكشاف ١/ ٥٠٦، والبحر ١/ ١٢٧، والدر المصون ١/ ٣٤٩.

(٢) (كان) ساقط من (ج).

(٣) انظر: تفسير الطبري ١/ ٢٧٥، وتفسير أبي الليث ١/ ١١٧، ومعاني القرآن للزجاج ١/ ١٠٣، وتفسير ابن عطية ١/ ٢٢٨.

وأما (البحر) فقال الليث : سمي بحراً لاستبحاره ، وهو سعته وانبساطه ، ويقال : استبحر فلان في العلم ، إذا اتسع فيه ، وتبحر الراعي في رعي كثير ، وتبحر فلان في المال^(١) . وقال غيره : سمي البحر بحراً ؛ لأنه شق في الأرض ، والبحر : الشق^(٢) ، ومنه البحيرة^(٣) . أبو عبيد ، عن الأموي^(٤) : أن البحر : هو الملح^(٥) ، ويقال : أبحر الماء ، أي صار ملحاً^(٦) .

قال نُصَيْبُ^(٧) :

وَقَدْ عَادَ مَاءُ الْأَرْضِ بَحْرًا فَرَدَّنِي
إِلَى مَرَضِي أَنْ أَبْحَرَ الْمُشْرَبُ الْعَذْبُ^(٨)

- (١) تهذيب اللغة (بحر) ٢٨٢ / ١ .
- (٢) ذكره الأزهري ، تهذيب اللغة (بحر) ٢٨٢ / ١ .
- (٣) قال الأزهري : « قال أبو إسحاق النحوي : وأثبت ما روينا عن أهل اللغة في البحيرة : أنها الناقة ، كانت إذا نتجت خمسة أبطن فكان آخرها ذكراً ، بحروا أذنّها ، أي شقوها ، وأعفوا ظهرها من الركوب والحمل والذبح ، ولا تحلّأ عن ماء ترده ، ولا تمنع من مرعى ، وإذا لقيها المعني المنقطع به لم يركبها » . تهذيب اللغة (بحر) ٢٨٢ / ١ ، وانظر : اللسان (بحر) ٢١٥ / ١ .
- (٤) هو عبدالله بن سعيد بن أبان بن سعيد بن العاص ، القرشي ، الأموي ، كان متمكناً في علم النحو واللغة ، وكان ثقة ، حكى عنه أبو عبيد كثيراً ، مات بعد سنة ثلاث ومئتان . انظر : تاريخ بغداد ٩ / ٤٧٠ ، والأنساب ١ / ٣٥٠ ، وإنباه الرواة ٢ / ١٢٠ .
- (٥) في (ب) : (إن الماء البحر) وفي تهذيب اللغة (والماء البحر هو الملح) ٢٨٢ / ١ .
- (٦) تهذيب اللغة (بحر) ٢٨٢ / ١ ، وانظر : الغريبين ١ / ١٣٤ .
- (٧) هو نُصَيْبُ بن رباح مولى عبدالعزيز بن مروان ، شاعر من فحول الشعراء الإسلاميين ، انظر : ترجمته في الشعر والشعراء ٢٦٠ ، ومعجم الأدباء ١٩ / ٢٢٨ .
- (٨) ورد البيت في تهذيب اللغة (بحر) ٢٨٢ / ١ ، والصحاح (بحر) ٥٨٥ / ٢ ، ومقاييس اللغة (بحر) ١ / ٢٠١ ، والغريبين ١ / ١٣٤ ، ومفردات الراغب ٣٧ ، واللسان (بحر) ١ / ٢١٥ ، وفتح القدير ١ / ١٣٢ ، وفي أكثر المصادر : (فزادني) بدل : (فردني) .

وقوله تعالى : ﴿وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ﴾ . ولم يذكر غرق فرعون نفسه ؛ لأنه قد ذكره في مواضع كقوله : ﴿فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا﴾ [الإسراء: ١٠٣] . ويجوز أن يريد بآل فرعون نفسه^(١) ، وبيان هذا^(٢) يذكر عند قوله : ﴿مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ﴾ [البقرة: ٢٤٨] إن شاء الله .

وقوله تعالى : ﴿وَأَنْتُمْ تُنْظَرُونَ﴾ . وذلك أنهم لما خرجوا من^(٣) البحر رأوا انطباق البحر على فرعون وقومه . وقال محمد بن جرير : (وأنتم تنظرون) إلى فرق الله البحر وإنجائكم من عدوكم^(٤) .

٥١ . قوله تعالى : ﴿وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ الآية . يقال : وَعَدْتُهُ وَعْدًا وَعْدَةً^(٥) وَمَوْعِدًا وَمَوْعِدَةً^(٦) ، قال الله : ﴿إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ﴾ [التوبة: ١١٤] ، وقال : ﴿وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا﴾ [الكهف: ٥٩] . ويقال : وعدني الخير والشر^(٧) ، قال الله تعالى : ﴿أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا﴾ [طه: ٨٦] وقال : ﴿النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الحج: ٧٢] .

-
- (١) في (ب) : (عن نفسه) . أو يدخل معهم ، ووجوده معهم مستقر ومعلوم . انظر : تفسير أبي الليث ١١٧/١ ، وزاد المسير ٧٨/١ ، والبحر ١٩٨/١ .
- (٢) أي إنه يطلق (آل فرعون) ، ويراد به نفسه كما في (آل موسى) .
- (٣) في (ب) : (عن) .
- (٤) وهذا على تفسير (النظر) هنا بالمشاهدة ، وقد قال بعضهم : إنه بمعنى العلم ، كالفرء ، ورد عليه ابن جرير هذا ، انظر : الطبري ٢٧٨/١ ، ومعاني القرآن للفرء ٣٦/١ ، وتفسير أبي الليث ١١٨/١ ، ومعاني القرآن للزجاج ١٠٣/١ .
- (٥) في (أ) : (وعده) ، وأثبت ما في (ب) و(ج) لأنه الصواب .
- (٦) الكلام عن لفظ (وعد) واشتقاقه واستعمالاته نقله عن الحجة لأبي علي ٥٦/٢ ، وانظر : تهذيب اللغة (وعد) ٣٩١٥/٤ ، واللسان ٤٨٧١/٨ .
- (٧) انظر : تهذيب اللغة (وعد) ٣٩١٥/٤ .

فأما الإيعاد فهو في التهديد . قال الشاعر :

أَوْعَدَنِي بِالسَّجْنِ وَالْأَدَاهِمِ^(١)

والوعيد كالإيعاد ، قال الله تعالى : ﴿ ذَلِكُمْ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴾ [إبراهيم: ١٤] ، وأكثر ما يستعمل الإيعاد بالباء^(٢) ، فيقال : أوعدته بالشر ، ويجوز أن تقول^(٣) أوعدته ، من غير ذكر الشر ، ولا يكون إلا في الشر^(٤) .

والميعاد من : الوعد^(٥) [لأنه لم يرد في الخير]^(٦) ، ولذلك قلنا : ﴿ إِنَّكَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ أَلْمِيعَادَ ﴾ [آل عمران: ٩٠]^(٧) ويجوز أن يخلف الوعيد فيكون ذلك منه كرمًا^(٨) . و(الوعد)^(٩) يتعدى إلى مفعولين ، ويجوز أن يقتصر على أحدهما كأعطيت ، وليس

(١) في (ب) : (الاداهمى) . البيت لعدئيل بن الفرخ ، وبعده :

رَجُلِي وَرَجُلِي شَتْنَةُ النَّاسِ

الأداهم : جمع أدهم ، وهو القيد ، شتنة : غليظة ، الناسم : طرف خف البعير استعارة للإنسان . ورد البيت في الحجة لأبي علي ٥٧/٢ ، وفي كتب اللغة مادة (وعد) في تهذيب اللغة ٣٩١٥/٤ ، والصحاح ٥٥١/٢ ، والمحكم ١٣٧/٢ ، ومقاييس اللغة ١٣٤/٣ ، واللسان ٤٨٧١/٨ ، وفي معاني القرآن للفرّاء ١٩٧/١ ، والحروف لابن السكيت ٩٧ ، والهمع ٢١٧/٥ ، وشرح المفصل ٧٠/٣ ، وشرح ابن عقيل ٢٥١/٣ ، والخزانة ١٨٨/٥ ، وشرح شذور الذهب ٥٢٤ .

(٢) في (ب) و(ج) : (بالياء) .

(٣) في (أ) و(ج) : (يقول) ، وما في (ب) أنسب للسياق .

(٤) ذكره أبو علي عن أحمد بن يحيى ، الحجة ٥٧/٢ ، وانظر : تهذيب اللغة (وعد) ٣٩١٥/٤ .

(٥) في (ب) : (الوعيد) .

(٦) في (أ) : (الخبر) ، وما في (ب) و(ج) هو الصواب .

(٧) ما بين المعقوفين ساقط من (ب) .

(٨) اختصر كلام أبي علي ، انظر : الحجة ٥٧/٢ ، ٥٨ ، وسياق أبي علي أوضح .

(٩) في (ب) : (الوعيد) ، وفي الحجة : (وعدت) فعل يتعدى إلى مفعولين . . . ٥٩/٢ .

كظننت ، قال الله تعالى : ﴿وَوَعَدْنَاكَ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ﴾ [طه : ٨٠] ف (جانب) مفعول ثانٍ ، ولا يكون ظرفاً لاختصاصه^(١) ، والتقدير : وعدناكم إتيانه أو مكثاً^(٢) فيه .

[وقوله : ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ﴾ [المائدة : ٩]]^(٣)
 وقوله : ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾^(٤)
 [النور : ٥٥] ، فإن الفعل لم يعد منه^(٥) إلى مفعول ثانٍ ، وقوله : ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ﴾
 و﴿لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ﴾ تفسير للوعد وتبيين له كقوله : ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلَّذِ كَرِ مِثْلَ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ﴾ [النساء : ١١] فقوله : ﴿لِلَّذِ كَرِ﴾ تبيين للوصية ، وليس بمفعول ثانٍ ، وقوله^(٦) : ﴿أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدًا حَسَنًا﴾ [طه : ٨٦] وقوله : ﴿إِنِّي أَنذَرْتُكُمْ وَعَدَ الْحَقِّ﴾ [إبراهيم : ٢٢] ، فإن هذا ونحوه يحتمل أمرين : يجوز أن يكون انتصاب الوعد بالمصدر . ويجوز أن يكون انتصابه بأنه المفعول الثاني . وسمي الموعود به وعداً^(٧) ، كما سمي المخلوق خلقاً .

(١) ولا يسمى ظرفاً في اصطلاح النحويين ، وإنما يسمى اسم مكان فقط ؛ لأن الظرف الاصطلاحي : هو الذي يتضمن معنى : لفظاً أو تقريراً ، فالوعد وقع على الجانب ولم يقع فيه ، بمعنى الموعود به هو الجانب نفسه لا شيء آخر يكون فيه ، وهذا يسمى مفعولاً به ولا يسمى ظرفاً على الراجح . انظر : الأشموني مع حاشية الصبان ١٢٦ / ٢ . والظرف المختص من المكان ما له صورة وحدود محصورة نحو الدار والمسجد ، والظرف غير المختص من المكان وهو المبهم ، ما ليس كذلك نحو الجهات الست . انظر : حاشية الصبان على الأشموني ١٢٩ / ٢ ، وحاشية الخضري على شرح ابن عقيل ١٩٨ / ١ .

(٢) في (ج) : (سكنا) .

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (ب) .

(٤) (منكم) سقط من (أ) و(ج) .

(٥) كذا في النسخ جميعها ، وفي الحجة (فيه) ٦٠ / ٢ .

(٦) في الحجة : وأما قوله : ﴿أَلَمْ يَعِدْكُمْ﴾ ٦٠ / ٢ .

(٧) في الحجة (الوعد) ٦٠ / ٢ .

وقوله^(١): ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ﴾ [الأنفال: ٧]، ف ﴿إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ﴾ في موضع نصب بأنه المفعول الثاني و ﴿أَنَّهَا لَكُمْ﴾ بدل منه ، والتقدير : وإذ يعدكم الله ثبات إحدى الطائفتين أو ملكها^(٢) .

فأما قوله : ﴿وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾^(٣) فتعلق (الأربعين) بالوعد على أنه المفعول الثاني لا بالظرف ؛ لأن الوعد لم يكن في جميع الأربعين كلها ، ولا في بعضها ، وإنما الوعد تقضي الأربعين ، والتقدير : وعدنا موسى انقضاء أربعين ليلة أو تنمة أربعين ليلة ، فحذفت المضاف ، كما تقول : اليوم خمسة عشر من^(٤) الشهر ، أي تمامه^(٥) .

ويكون في الكلام محذوف به يتم^(٦) المعنى ، كأنه قال : وعدناه انقضاء أربعين ليلة للتكلم^(٧) معه ، أو لإيتائه التوراة أو ما أشبه هذا .

واختلف القراء في قوله تعالى : ﴿وَعَدْنَا﴾ فقرأ أكثرهم^(٨) بالالف من المواعدة ؛ لأن ما كان من موسى من قبول الوعد والتحري لإنجازه والوفاء به يقوم مقام

(١) في الحجة : (وأما قوله : ٦١ / ٢ . . .) .

(٢) الحجة ٦١ / ٢ .

(٣) في (ب) : (وعدنا) .

(٤) في (ج) : (ض) .

(٥) الحجة ٦٤ / ٢ ، ٦٥ ، وانظر : معاني القرآن للأخفش ١ / ٢٦٤ ، والمشكل لمكي ١ / ٤٧ ، والإملاء ١ / ٣٦ ، والبحر ١ / ١٩٩ ، وقد ذكر الطبري هذا القول ، ثم رده ، ورجح : أن الأربعين كلها داخلة في الميعاد ، قال : «وقد زعم بعض نحويي البصرة : أن معناه : وإذ واعدنا موسى انقضاء أربعين ليلة ، أي رأس الأربعين . . . » ، ثم قال : «وذلك خلاف ما جاءت الرواية عن أهل التأويل ، وخلاف ظاهر التلاوة . . . » ، الطبري ١ / ٢٨٠ . ونحوه قال ابن عطية : «وكل المفسرين على أن الأربعين كلها ميعاد» ، تفسير ابن عطية ١ / ٢٩٢ ، وانظر : القرطبي ١ / ٣٣٧ .

(٦) في (ب) : (تم) .

(٧) في (ب) : (للمتكلم) .

(٨) قرأ أبو عمرو وغير ألف ، ووافقه من العشرة أبو جعفر ويعقوب ، والباقون بالالف انظر : السبعة ١٥٥ ، والحجة لأبي علي ٢ / ٥٦ ، والتيسير ٧٣ ، والتبصرة ٢٥ ، والغاية ١٠١ ، والنشر ٢ / ٢١٢ ، وتحرير التيسير ٨٧ .

الوعد ، وإذا كان كذلك حسن القراءة بـ (واعدنا) لثبات التواعد من الفاعلين ، كما قال : ﴿وَلَكِنْ لَا تَوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا﴾^(١) [البقرة: ٢٣٥] ، وأيضاً فإن المفاعلة قد تقع من الواحد ، كسافر ، وعافاه الله^(٢) ، وقد مر^(٣) .

وقرأ أبو عمرو^(٤) : (وعدنا) لكثرة ما جاء في القرآن من هذا القبيل بغير ألف ، كقوله : ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا﴾^(٥) ، ﴿أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ﴾ [طه: ٨٦] ، ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ﴾ [الأنفال: ٧] ، ﴿إِنَّكَ اللَّهُ وَعَدُكُمْ وَعَدَ الْحَقِّ﴾ [إبراهيم: ٢٢] ، ﴿وَعَدَكُمْ اللَّهُ مَغَانِمَ﴾ [الفتح: ٢٠] فرد المختلف فيه إلى المتفق عليه^(٦) .

وأما (أربعين) فقال أبو الفتح الموصلي^(٧) : إن العقود من (عشرين) إلى (تسعين) كأن (عشرين) جمع (عشر) ، و(ثلاثين) جمع (ثلاث) ، و(أربعين) جمع (أربع) . وليس الأمر كذلك ؛ لأن (العشر) غير معروف إلا في أظاء الإبل^(٨) ،

(١) (لكن) ساقط من (أ) و(ج) ، تصحيف في الآية .

(٢) قال أبو علي : « . . . فإذا كان الوعد من الله سبحانه ، ولم يكن من موسى ، كان من هذا الباب » ، الحجة ٦٧ / ٢ .

(٣) مر في تفسير قوله تعالى : ﴿يُخَذِّعُونَ اللَّهَ وَلَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يُخَذِّعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ٩] ، وانظر : الحجة لأبي علي ٦٦ / ٢ ، وحجة القراءات لابن زنجلة ٩٦ ، والحجة لابن خالويه ٧٧ ، والكشف لمكي ٢٤٠ / ١ .

(٤) في (ب) : (أبو عمر) .

(٥) المائدة : [٩] ، والنور : [٥٥] ، والفتح : [٢٩] .

(٦) الحجة لأبي علي ٦٧ / ٢ . وقال ابن زنجلة : وحجته أن المواعدة إنما تكون بين آدميين . حجة القراءات ٩٦ ، وانظر : الحجة لابن خالويه ٧٧ ، والكشف لمكي ٢٣٩ / ١ ، وقال الطبري : « . . . والصواب عندنا في ذلك من القول : إنها قراءتان قد جاءت بهما الأمة ، وقرأت بهما القراءة ، وليس في القراءة بأحدهما إبطال معنى الأخرى . . . » ، ثم رد على من قال : إنما تكون المواعدة بين البشر ، تفسير الطبري ٢٧٩ / ١ .

(٧) سر صناعة الإعراب ٦٢٦ / ٢ .

(٨) (العشر) بكسر العين خاص بورود الإبل اليوم العاشر أو التاسع . انظر : القاموس (عشر) ٤٤٠ .

ولو كان (ثلاثون) جمع (ثلاثة)^(١) لوجب أن يستعمل في (تسعة) وفي (اثني عشر) وفي كل عدد الواحد من تثليثها (ثلاث)^(٢).

وكذلك القول في (أربعين) و(خمسين) إلى (التسعين)، فقد ثبت بهذا أن (أربعين) ليس جمع (أربع)، وكذلك سائر العقود، ولكنه جار مجرى (فلسطين) و(قنّسرين)^(٣) في أنه اسم واحد لهذا العدد المخصوص^(٤)، ولكنه أشبه في الظاهر أنه جمع (أربع)، ولو اعتقد له واحد مفرد - وإن لم يجز به استعمال - كان (أربعاً)، (أربع) جماعة فكأنه قد كان ينبغي أن يكون فيه (الهاء) فعوض من ذلك^(٥) الجمع بالواو والنون، وعاد الأمر فيه إلى قصة (أرض) و^(٦) (أرضون)^(٧)، وقد ذكرنا الكلام فيه^(٨).

(١) في سر صناعة الإعراب (ثلاث) ٦٢٦/٢.

(٢) في سر صناعة الإعراب: «... لوجب أن يستعمل في (تسعة) وفي (اثني عشر) وفي (خسة عشر) وكذلك إلى (سبعة)، ولجاز أن يتجاوز به إلى ما فوق الثلاثين من الأعداد التي الواحد من تثليثها فوق العشرة...»، ٦٢٦/٢.

(٣) (قنّسرين) بكسر أوله وفتح ثانيه وتشديده، مدينة بالشام، انظر: معجم البلدان ٤٠٣/٤.

(٤) نص عبارة أبي الفتح: «فقد ثبت بهذا أن (ثلاثين) ليس جمع (ثلاث)، وأن (أربعين) ليس جمع (أربع)، ولكنه جرى مجرى (فلسطين) في أن اعتقد له واحد مقدر وإن لم يجز به استعمال، فكأن (ثلاثين) جمع (ثلاث) و(ثلاث) جماعة فكأنه قد كان ينبغي أن تكون فيه (الهاء)»، سر صناعة الإعراب ٦٢٦/٢.

(٥) في (ب): (هذا).

(٦) (الواو) ساقطة من (ب).

(٧) انتهى ما نقله عن أبي الفتح بن جني الموصلي بتصرف، انظر: سر صناعة الإعراب ٦٢٦/٢، ٦٢٧. ورأي أبي الفتح أن (أربعين) يجري مجرى جمع المذكر السالم فيعرب بالحروف، وهذا قول بعض النحويين، ومنهم من قال: يعرب بالحركات، انظر: المقتضب ٣/٣٣٢، والخزانة ٨/٦٧، والدر المصون ١/٣٥٣.

(٨) (فيه) ساقط من (ج). والكلام في: (أرض) و(أرضون) ذكره في تفسير قوله تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا﴾ [البقرة: ٢٢].

وقال غيره : إنما جمعوا^(١) بالواو والنون ، لأنه يقع على ما يعقل وعلى ما لا يعقل ، وإذا اجتمعا فالذي يعقل أولى بالغلبة ، فجمعه جمع ما يعقل .

وقوله تعالى : ﴿لَيْلَةً﴾^(٢) ولم يقل : (يوماً) لأن عدد الشهور^(٣) يحسب من لياليها ، وشهور العرب وضعت على سير القمر ، والهلل يهل بالليل^(٤) .

وقوله^(٥) تعالى : ﴿ثُمَّ أَخَذْتُمُ الْعَجَلَ﴾ . يقال : اتَّخَذَ يَتَّخِذُ ، وَتَخَذَ يَتَخَذُ^(٦) ، قال الله تعالى : ﴿لَوْ شِئْتُ لَنَخَذْتُ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ [الكهف: ٧٧]^(٧) . قال الشاعر^(٨) :

وقد تَخَذْتُ رجلي إلى جَنْبِ غَرْزِهَا
نَسِيفًا كَأَفْحُوصِ^(٩) القِطَاةِ المِطْرِقِ^(١٠)

(١) في (ب) : (واجمعوا) .

(٢) (ليلة) ساقط من (ج) .

(٣) في (ج) : (الشهر) .

(٤) تفسير الثعلبي ٧٠ / ١ ب . وانظر : تفسير ابن عطية ٢٩١ / ١ ، وتفسير البغوي ٩٤ / ١ ، وزاد المسير ٨٠ / ١ ، وتفسير القرطبي ٣٣٧ / ١ .

(٥) في (ج) : (له تعالى) .

(٦) (يتخذ) بسكون التاء ، وفتح الخاء ، كذا في تهذيب اللغة (أخذ) ٥٣٠ / ٧ ، ومجالس العلماء للزجاجي ٣٣٣ ، واللسان (أخذ) ٣٧٤ / ٣ ، وانظر : الحجة لأبي علي ٦٨ / ٢ .

(٧) الكهف ٧٧ ، والاستشهاد بالآية ورد في الحجة على قراءة أبي عمرو وابن كثير (لتخذت) كما هنا ، انظر : الحجة ٦٨ / ٢ ، والسبعة لابن مجاهد ٣٩٦ ، وتهذيب اللغة (أخذ) ١٢٩ / ١ .

(٨) هو الممزق العبدى ، واسمه شأس بن نهار .

(٩) في (ج) : (كما نحوص) .

(١٠) قوله : غَرْزِهَا : الغرز للناقة كالحزام للفرس ، و(النسيف) : أثر ركض الرجل بعجني البعير ، و(الأفحوص) : المبيض ، و(المطرّق) : وصف للقطاة ، إذا حان خروج بيضها . ورد البيت في الحجة ٦٨ / ٢ ، والأصمعيات ١٦٥ ، وتهذيب اللغة (نسف) ٣٥٦٢ / ٤ ، والخصائص ٢٨٧ / ٢ ، ومجالس العلماء للزجاجي ٣٣٣ ، والمخصص ٢١ / ١ ، ١٢٥ / ٨ ، ١٢٢ / ١٢ ، ٩٧ / ١٦ ، ١٣٤ / ١٧ ، ٢٢ / ١٧ ، والتكملة ١١٧ ، واللسان (حدب) ٧٩٦ / ٢ ، و(فحص) ٣٣٥٦ / ٦ ، و(طرق) ٢٦٦٦ / ٥ ، و(نسف) ٤٤١١ / ٧ .

و(تخذ)^(١) من (اتخذ)، مثل تقي من اتقى، وقد مر^(٢). وأما (اتخذ) فإنه على ضربين^(٣): أحدهما: أن يتعدى إلى مفعول واحد. والثاني: أن يتعدى إلى مفعولين.

فأما تعديه إلى واحد كقوله: ﴿يَلْتَمِزْنِي أَخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَيْلًا﴾ [الفرقان: ٢٧]، و﴿أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ﴾ [الزخرف: ١٦]، وقوله: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً﴾ [الفرقان: ٣]^(٤)، ﴿لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهُمْ آلًا تَخَذَهُ مِنْ لَدُنَّا﴾ [الأنبياء: ١٧].

وأما تعديه إلى مفعولين، فإن الثاني منهما هو الأول في المعنى، كقوله: ﴿اتَّخَذُوا أَيْمَنَهُمْ جُنَّةً﴾^(٥) وقال: ﴿لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ [المتحنة: ١]، ﴿فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سُخْرِيًّا﴾ [المؤمنون: ١١٠].

ونظير (اتخذت) في تعديه إلى مفعول واحد مرة، وإلى مفعولين: (الجعل)^(٦) قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ [الأنعام: ١] أي خلقهما^(٧)، فإذا تعدى إلى مفعولين كان الثاني الأول في المعنى، قال: ﴿وَأَجْعَلُوا يُبُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾ [يونس: ٨٧]، ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً﴾ [القصص: ٤١].

(١) قال أبو علي: «(اتخذ): افتعل، فعلت منه: اتخذت...، ولم أعلم (تخذت) تعدى إلا إلى مفعول واحد». الحجة ٦٨/٢. قال ابن عطية: اتخذ وزنه: افتعل من الأخذ، وقال أبو علي: هو من اتخذ لا من أخذ ٢١٦/١، وانظر: تفسير القرطبي ٣٣٨/١، ٣٣٩، الدر المصون ٣٥٤/١.

(٢) مر في تفسير قوله تعالى: ﴿هَذِي لَتَنفَيْنَ﴾ [البقرة: ٢].

(٣) نقله من الحجة لأبي علي ٦٨/٢. وانظر: البحر ٢٠٠/١، والدر المصون ٣٥٤/١.

(٤) وفي الحجة ذكر قوله تعالى: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً﴾ [مریم: ٨١]، [يس: ٧٤].

(٥) المجادلة ١٦، والمنافقون ٢.

(٦) في (ب): (أنجعل)، وفي الحجة: (جعلت). ٦٩/٢.

(٧) في (ب): (خلقها). والمؤلف يشير بقوله (خلقها) إلى أن (جعل) التي تتعدى إلى مفعول واحد هي التي بمعنى: خلق، أو أوجب، أو وجب، وهي تتعدى إلى مفعول واحد بنفسها. وإلى الثاني بحرف الجر. وأما التي تتعدى إلى مفعولين فهي التي بمعنى: (اعتقد) و(صير)، انظر: الأسموني مع حاشية الصبان ٢٣/٢.

فأما قوله : ﴿ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ﴾ [البقرة: ٥١] وقوله : ﴿يَاتَّخَذِكُمُ الْعِجْلَ﴾ [البقرة: ٥٤] ، وقوله : ﴿اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٨] ، وقوله : ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ﴾ [الأعراف: ١٥٢] فالتقدير في هذا كله : (اتخذوه إلهاً) فحذف المفعول الثاني^(١) . الدليل على ذلك أنه لو كان على ظاهره ، لكان من صاغ عجلاً ، أو نجره ، أو عمله بضرب من الأعمال ، استحق الغضب من الله^(٢) ، لقوله : ﴿سَيَنَآهُمْ غَضَبٌ﴾ [الأعراف: ١٥٢] .

و(الاتخاذ) أصله : (اتخاذ)^(٣) ، فلما التقت الهمزة التي هي الفاء مع همزة الوصل لينت فصارت (ياء) لانكسار ما قبلها ، فأدغمت في (تاء)^(٤) الافتعال كقولهم : اتسروا الجزور^(٥) ، وإنما هو من الميسر واليسر^(٦) .

(١) في (ب) : (لي الثاني) .

(٢) تابع الواحدي أبا علي في قوله : « . . أنه لو كان على ظاهره ، لكان من صاغ عجلاً ، أو نجره ، أو عمله بضرب من الأعمال ، استحق الغضب من الله » ، وكأن فاعل ذلك لا يستحق العقوبة على تصوير المجسمات من ذوات الأرواح ، الذي هو محرم عند جمهور العلماء ، وإنما وقع الخلاف بينهم في الصور غير المجسمة . أما أبو علي فلا يرى تحريم ذلك كله ، ويحمل الأحاديث الواردة في وعيد المصورين على المشبهة - حسب زعمه - قال في الحجة ٧١ / ٢ : « . . قيل : يعذب المصورون ، يكون على من صور الله تصوير الأجسام ، وأما الزيادة فمن أخبار الآحاد التي لا توجب العلم » . وقد تعقبه ابن حجر ورد عليه قوله ، انظر : فتح الباري ٣٨٤ / ١٠ .

(٣) (الاتخاذ) ساقط من (ب) ، وفي (ج) : (اتخاذ) .

(٤) في (ب) : (ياء) .

(٥) اتسروا الجزور : إذا نحروها واقتسموها . القاموس (يسر) ٥٠٠ .

(٦) أورد أبو علي هذا القول ورده ، لأن أصله عنده (تخذ) لا (اخذ) . انظر : الحجة ٧١ / ٢ ، وتفسير ابن عطية ٢٩٢ / ١ ، وتفسير القرطبي ٣٣٩ / ١ ، والدر المنثور ٣٥٤ / ١ .

وباب (الاتخاذ) يجوز أنه يكون أصله الواو كالإتزان والالتقاء^(١) والاتصاح ؛ لأن الأخذ قد جاء فيه لغتان^(٢) ، كما قالوا : أكدت ووكدت ، وأوصدت وآصدت^(٣) ، وقد مر هذا مشروحاً في قوله : ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢] .

واختلف القراء في هذا الحرف ، فقرأ بعضهم بالإظهار^(٤) ؛ لأن (الذال) ليس من مخرج (التاء)^(٥) إنما هي من مخرج (الطاء) ، و(الثاء) فتفاوت ما بينهما ، إذ كان لكل واحد من الذال والتاء مخرج غير مخرج الآخر^(٦) . وأما من^(٧) أدغم فحجته : أن هذين الحرفين لما تقاربا فاجتمعا في أنهما^(٨) من طرف اللسان وأصول الثنايا ، حُسِّن الإدغام ، لقرب حيز كل واحد منهما من الحيز^(٩) الآخر .

فأما معنى الآية : فإن الله تعالى نبههم بهذه الآية على أن كفرهم بمحمد ﷺ ليس بأعجب من كفرهم وعبادتهم العجل^(١٠) ، وأراد به كفر سلفهم ، وخاطبهم بهذا على ما بينا قبل^(١١) . قال المفسرون : إن الله تعالى لما أنجى موسى وبني إسرائيل

(١) (الواو) ساقطة من (ج) .

(٢) ذكره أبو علي في الحجة ، فقد قال : «(أخذ) قد جاء فيه لغتان في (الفاء) : الواو والهمز ، كما جاء : أكدت ووكدت . . . » . الحجة ٧٣/٢ ، ٧٤ .

(٣) في (ب) : (ووصدت) .

(٤) قرأ بالإظهار ابن كثير وعاصم في رواية حفص ، انظر : السبعة ١٥٥ ، والحجة لأبي علي ٦٧/٢ التيسير ٤٤ .

(٥) في الحجة : (ليس من مخرج التاء والطاء) ، ٧٥/٢ .

(٦) الحجة لأبي علي ٧٥/٢ . وانظر : الحجة لابن خالويه ٧٧ . الكشف لمكي ١٦٠/١ .

(٧) قرأ بالإدغام بقية السبعة عدا ابن كثير وعاصم في رواية حفص ، انظر : السبعة ١٥٥ ، والحجة لأبي علي ٦٧/٢ ، والتيسير ٤٤ ، والكشف ١٦٠/١ .

(٨) في (ب) : (فاجتمع أنهما) .

(٩) في (ب) : (حيز) . الحجة لأبي علي ٧٥/٢ . وانظر : الحجة لابن خالويه ٧٧ ، والكشف ١٦٠/١ ، وقال مكي : إنها (اعتدلا في القوة والضعف) .

(١٠) انظر : تفسير الطبري ٢٨١/١ ، ومعاني القرآن للزجاج ١٠٤/١ .

(١١) يريد ما سبق في تفسير قوله تعالى : ﴿يَبْنَئِ إِسْرَءِيلُ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: ٤٠] ، =

وأغرق فرعون ، وآمن بنو إسرائيل من عدوهم ودخلوا مصر ، لم يكن لهم كتاب ولا شريعة ممهدة ، فوعد الله موسى أن يؤتیه الكتاب ، فيه بيان ما يأتون^(١) وما يذرون ، وأمره أن يصوم ثلاثين يوماً ، فصامه وصلاً ، ولم يطعم شيئاً ، فتغيرت رائحة فمه ، فعمد إلى لحاء شجرة فمضغها ، فأوحى الله إليه : أما علمت أن خلوف فم الصائم أطيب عندي من ريح المسك ، وأمره أن يصل بها عشراً ، فتم ميقات ربه أربعين ليلة ، وخرج موسى من بين^(٢) بني إسرائيل تلك الأيام ، فاتخذ السامري عجلاً ، وقال لبني إسرائيل : هذا إلهكم وإله موسى ، فافتتن بالعجل ثمانية آلاف رجل منهم ، وعكفوا عليه يعبدونه^(٣) ، وسنذكر طرفاً من هذه القصة في موضعها^(٤) ، إن شاء الله .

وقوله تعالى : ﴿ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ﴾ ، أي ضارون لأنفسكم ، وواضعون العبادة في غير موضعها^(٥) . وقيل : وأنتم ظالمون اليوم بمخالفة محمد ﷺ^(٦) .

= فجعل النعمة على آبائهم نعمة عليهم ، وهذا يجري في (كلام العرب) كثيراً . وانظر : معاني القرآن للزجاج ٩٧/١ ، ١٠٤ .

(١) في (ج) : (ما يؤتون) .

(٢) (بين) ساقط من (ج) .

(٣) بنحو هذا السياق ذكره الثعلبي في تفسيره من دون قوله : (وأمره أن يصوم ثلاثين يوماً . . .) .

١/ ٧١أ ، وأخرج الطبري في تفسيره مقاطع منه في آثار عدة ، ١/ ٢٨٣ ، وانظر : تفسير ابن عطية

١/ ٢٩٤ ، وتفسير البغوي ١/ ٩٥ ، وتفسير ابن كثير ١/ ٩٨ .

(٤) في (ب) : (موضعها) .

(٥) تفسير الثعلبي ١/ ٧١ب ، وانظر : تفسير الطبري ١/ ٢٨٤ . وتفسير البغوي ١/ ٩٥ ، ولباب التفسير

١/ ٢٣٩ ، وتفسير الرازي ٣/ ٧٦ ، والبحر المحيط ١/ ٢٠١ ، وتفسير البيضاوي ١/ ٢٥ ، وتفسير

النسفي ١/ ٤٣ ، وتفسير الخازن ١/ ١٢٥ .

(٦) لم أجد من ذكر هذا القول في ما اطلعت عليه ، ومعناه يرجع إلى القول الأول ، والله أعلم .

٥٢. قوله تعالى: ﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ ، قال الليث : كل من استحق عقوبة فتركته^(١) فقد عفوت عنه^(٢) . فكأن معنى العفو عنده : الترك ، ومنه قوله : ﴿فَمَنْ عَفَىٰ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ﴾ [البقرة: ١٧٨] ، أي ترك^(٣) .

وقال ابن الأنباري : أصل ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ﴾ [التوبة: ٤٣] : محَا الله عنك ، مأخوذ من قولهم : عفت الرياح الآثار ، إذا درستها ومحتها ، فعفت تعفو عُفُوًّا ، لفظ^(٤) اللازم والمتعدي سواء^(٥) إلا في المصدر^(٦) . فعفو الله تعالى : محو الذنوب عن العبيد^(٧) .

وقال بعض أصحاب المعاني : العفو في اللغة : ما فضل عن الكفاية ، وسهلت النفس ببذله^(٨) ، ومنه قوله تعالى : ﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ أَلْعَفْوُ﴾^(٩) [البقرة: ٢١٩] ، أي ما فضل عن^(١٠) القوت ، ثم كثر ذلك وطال

-
- (١) في (ب) : (فتركة عنه) ، وفي تهذيب اللغة (عفا) ٢٤٨٩ / ٣ .
 (٢) تهذيب اللغة (عفا) ٢٤٨٩ / ٣ . وانظر : تفسير أسماء الله للزجاج ٦٢ ، واشتقاق أسماء الله للزجاجي ١٣٤ .
 (٣) وقيل : إن معنى (فمن عفى) : فمن فضل له فضل ، انظر : تفسير الطبري ١٠٧-١٠٩ ، وانظر : كلام الأزهري على الآية في تهذيب اللغة (عفا) ٢٢٦ / ٣ .
 (٤) في (ب) : (اللفظ) .
 (٥) تهذيب اللغة (عفا) ٢٤٨٩ / ٣ ، واللسان (عفا) ٣٠١٨ / ٥ ، وانظر : الأضداد لابن الأنباري ٨٦ ، والزاهر ١ / ٥٣٥ .
 (٦) قوله : (إلا في المصدر) لم يرد ضمن كلام ابن الأنباري في تهذيب اللغة ، قال الأزهري وقرأت بخط شمر لأبي زيد : عفا الله عن العبد عفواً ، وعفت الرياح الأثر عفاء ، فعفا الأثر عفواً ، تهذيب اللغة (عفا) ٢٤٨٩ / ٣ .
 (٧) انظر : اشتقاق أسماء الله للزجاجي ١٣٤ ، وتهذيب اللغة (عفا) ٢٤٨٩ / ٣ .
 (٨) انظر : تهذيب اللغة (عفا) ٢٤٩١ / ٣ .
 (٩) الواو ساقطة من (أ) و(ج) .
 (١٠) في (ب) : (من) .

ترداده حتى صار على التدريج والتراخي : الصفح^(١) عن الشيء والإعراض عن المؤاخذه به .

قال المفسرون : والمراد بالعفو في هذه الآية : قبوله التوبة من عبدة العجل ، وأمره برفع السيف عنهم^(٢) . وقوله تعالى : ﴿مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ ، أي من بعد عبادة العجل^(٣) . وإنما وُحِدَ والخطاب^(٤) للجميع ؛ لاتصال الخطاب بذا وهو مبهم ، فمرة يجمع على الأصل في مخاطبة الجميع ، ومرة يوحد على مشاكلة اللفظ ، إذا^(٥) كان لفظ المبهم على الواحد ، وإن كان معناه على الجمع^(٦) .

وقوله تعالى : ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ إنما ذكرت هاهنا وفي سائر المواضع من القرآن نحو : ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ٥٣] والله - عز وجل - يعلم أيشكرون أم لا ، على ما يفعل^(٧) العباد ويتخاطبون به ؛ أي أن هذا يرجى به الشكر^(٨) ، وقد ذكرنا هذا في ما تقدم^(٩) .

(١) في (ب) : (والصفح) .

(٢) انظر : تفسير أبي الليث ٣٥٣ / ١ ، وتفسير الثعلبي ، ١ / ٧٢ ، وقال ابن جرير : المراد بالعفو : ترك معاجلتهم بالعقوبة ، تفسير الطبري ١ / ٢٨٤ .

(٣) انظر : تفسير الطبري ١ / ٢٨٤ ، وتفسير الثعلبي ١ / ٧٢ ، وتفسير القرطبي ١ / ٣٣٨ .

(٤) في (ب) : (وجد الخطاب) .

(٥) في (أ) و(ج) : (إذ) ، وأثبت ما في (ب) لأنه أنسب للسياق .

(٦) انظر : معاني القرآن للزجاج ١ / ٢٨٦ .

(٧) في (أ) و(ب) : (يعقل) ، وما في (ج) أولى ، وموافق لما في معاني القرآن للزجاج ، والكلام منقول منه .

(٨) معاني القرآن للزجاج ١ / ١٠٥ ، وأكثر المفسرين على أن (لعل) تفيد الإيجاب ، وقيل : هي بمعنى (كي) .

انظر : تفسير الطبري ١ / ١٦١ ، ١ / ٢٨٤ ، وتفسير ابن عطية ١ / ٢٩٦ ، وتفسير القرطبي ١ / ٣٣٦ .

(٩) ذكر الوجه الذي تأتي عليها (لعل) في تفسير قوله ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١] .

ومعنى الشكر في اللغة : عرفان الإحسان ونشره ، وهو الشكور ^(١) أيضاً ^(٢) .
وقال بعض أهل اللغة : معنى الشكر إظهار النعمة بالاعتراف بها ، ومن هذا
يقال : دابة شكور ^(٣) ، إذا أظهرت السمن فوق ^(٤) ما يعلف ^(٥) . وقد ذكرنا أقسام
الشكر في ابتداء الفاتحة . وأما معنى الشكور في وصف الله تعالى فمذكور وفي
موضعه .

٥٣ . قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ ﴾ الآية . الفرقان :
مصدر فرقت بين الشيئين أفرق فرقا وفرقانا ، كالرجحان والنقصان ،
هذا هو الأصل ^(٦) . ثم يسمى كل فارق : فرقانا ، كتسميتهم الفاعل
بالمصدر ، كما سمي كتاب الله الفرقان لفصله بحججه وأدلته بين
المحق والمبطل ، وسمى الله تعالى يوم بدر : يوم الفرقان في قوله : ﴿ يَوْمَ
الْفُرْقَانِ يَوْمَ النِّقْيِ الْجَمْعَانِ ﴾ [الأنفال : ٤١] ؛ لأنه فرق في ذلك اليوم بين
الحق والباطل ، فكان ذلك اليوم يوم الفرقان ^(٧) .

وقوله تعالى : ﴿ إِنْ تَنْقُؤْا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا ﴾ [الأنفال : ٢٩] ، أي يفرق بينكم
وبين ذنوبكم ، أو بينكم وبين ما تخافون ^(٨) .

(١) في (ب) : (الشكور) .

(٢) ذكره الأزهري عن الليث . تهذيب اللغة (شكر) ١٩١١ / ٢ ، وانظر : اللسان (شكر) ٢٣٠٥ / ٤ .

(٣) في (ب) : (شكورا) .

(٤) في (ب) : (من الثمن فوق ما علفت) .

(٥) انظر : التهذيب (شكر) ١٩١١ / ٢ ، واللسان ٢٣٠٦ / ٤ ، وتفسير الثعلبي ٧٢ / ١ .

(٦) انظر : الصحاح (فرق) ١٥٤٠ / ٤ ، واللسان (فرق) ٣٣٩٩ / ٦ .

(٧) انظر : تفسير الطبري ٤٣ / ١ ، ٤٤ / ١ ، ٢٨٥ / ١ ، ومعاني القرآن للزجاج ٤٦١ / ٢ ، وتهذيب اللغة (فرق)

٣ / ٢٧٧٩ ، والصحاح (فرق) ١٥٤١ / ٤ ، واللسان (فرق) ٣٣٩٩ / ٦ .

(٨) ذكر الطبري في المراد بالفرقان ثلاثة أقوال : مخرجها ، أو نجاة ، أو فصلاً ، ٤٨٨ / ١٣ .

فأما^(١) معنى الفرقان في هذه الآية : فقال مجاهد : هو بمعنى الكتاب ، وهما شيء واحد^(٢) . وهو اختيار الفراء^(٣) . قال : العرب تكرر الشيء إذا اختلفت^(٤) ألفاظه ، قال عدي بن زيد :

وَأَلْفَى قَوْلَهَا كَذِبًا وَمِينًا^(٥)

وقال عنتره :

أَقْوَى وَأَقْفَرُ بَعْدَ أُمِّ الْهَيْثِمِ^(٦)

وارتضى الزَّجَّاج هذا القول ، قال^(٧) : «لأن الله تعالى ذكر لموسى الفرقان في غير هذا الموضع ، وهو قوله : ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ﴾ [الأنبياء : ٤٨] . فعلى هذا الفرقان هو الكتاب ، والكتاب هو الفرقان ، ولكن ذكر بلفظين مختلفين نحو ما ذكرنا» .

(١) في (ب) : (وأما) .

(٢) ذكره الطبري في تفسيره عن مجاهد وعن ابن عباس وأبي العالية ، ورجحه ٧٠ / ٢ ، ٧١ ، وكذا تفسير ابن أبي حاتم ٣٥٠ / ١ ، والنحاس في إعراب القرآن ٢٢٥ / ١ ، وتفسير الثعلبي ١ / ٧٣ ، وانظر : تفسير ابن عطية ٢١٦ / ١ ، والبغوي في تفسيره ٧٣ / ١ ، وابن الجوزي في زاد المسير ٨١ / ١ ، وتفسير ابن كثير ٩٧ / ١ .

(٣) ذكره الثعلبي في تفسيره ١ / ٧٣ ، وذكر الفراء في المراد بالفرقان عدة أقوال ، والقول المذكور هنا أحد الأقوال ، انظر : معاني القرآن ٣٧ / ١ .

(٤) في (ب) : (اختلف) .

(٥) سبق البيت وتخريجه ، والشاهد هنا قوله : (كذباً وميناً) فعطف المين على الكذب ، وهو بمعناه .

(٦) البيت من معلقة عنتره المشهورة وصدده :

حَيَّتْ مِنْ طَلَلٍ تَقَادَمَ عَهْدُهُ

(الطلل) : ما شَخَصَ من الدار من وتد وغيره ، (تَقَادَمَ) : طال عهده بأهله فتغير ، (أقوى) : خلا من أهله ،

ورد البيت في تهذيب اللغة (شرع) ١٨٥٧ / ٢ ، واللسان (شرع) ٢٢٣٨ / ٤ ، وتفسير الثعلبي ١ / ٧٣ ،

وتفسير القرطبي ٣٤١ / ١ ، والدر المصون ٣٥٨ / ١ ، وفتح القدير ١٣٥ / ١ ، وديوان عنتره ١٨٩ .

(٧) معاني القرآن للزَّجَّاج ١ / ١٠٥ .

قال الزَّجَّاجُ : ويجوز أن يريد بالفرقان انفراق البحر^(١) ، وهو من عظيم الآيات ، كأنه قيل : آتيناه فرق البحر وهذا قول يمان بن رباب^(٢) . وقال ابن عباس : أراد بالفرقان النصر على الأعداء^(٣) ؛ لأن الله - عز وجل - نصر^(٤) موسى وقومه . وقال حسان يذكر ذلك ، يخاطب^(٥) النبي ﷺ :

فَثَّبْتَ اللَّهُ مَا أَتَاكَ^(٦) مِنْ حَسَنٍ تَثَبَّتَ مُوسَى وَنَصَرَ أَكَاذِي نَصْرُوا^(٧)

فعلى هذا سمي نصره على فرعون وقومه فرقاناً ؛ لأن في ذلك فرقاً بين الحق والباطل . وقال الكسائي : الفرقان نعت للكتاب ، يريد : وإذ آتينا موسى الكتاب الفرقان ، أي^(٨) : الفارق بين الحلال والحرام ، ثم زيدت الواو كما تزداد في النعوت فيقال : فلان حسن وطويل وسخي^(٩) ، وأنشد :

إِلَى الْمَلِكِ الْقُرْمِ وَأَبْنِ الْهَمَامِ وَلَيْثِ الْكَتِيبَةِ فِي الْمُرْدَحَمِ^(١٠)

(١) لم أجد هذا القول في معاني القرآن للزَّجَّاجِ ، ومن نسبته إلى الزَّجَّاجِ ابن الجوزي في زاد المسير ٨١ / ١ ، وهذا القول ذكره الفراء في المعاني ٣٧ / ١ ، وأبو الليث في تفسيره ٣٥٤ / ١ ، وانظر : تفسير ابن عطية ونسبه إلى ابن زيد ٢٩٥ / ١ ، وانظر : تفسير القرطبي ٣٤١ / ١ .

(٢) ذكره الثعلبي في تفسيره ١٧٣ / ١ ، والبغوي في تفسيره ٧٣ / ١ .
(٣) ذكره الثعلبي في تفسيره ١٧٣ / ١ ، وابن الجوزي في زاد المسير عن ابن عباس وابن زيد ٨١ / ١ ، وذكر الطبري نحوه عن ابن زيد ٢٨٥ / ١ ، وذكره أبو الليث في تفسيره ولم يعزه ٣٥٤ / ١ ، وكذا ابن عطية في تفسيره ٢٩٥ / ١ .

(٤) (نصر) ساقط من (ب) .
(٥) في (ج) : (مخاطب) .
(٦) في (ب) : (ما أتاك الله ما أتاك) .

(٧) البيت ليس لحسان ، وإنما هو لعبدالله بن رواحة كما في ديوانه ١٥٩ ، وكذلك ورد في طبقات ابن سعد ٣ / ٥٢٨ ، وسيرة ابن هشام ٣ / ٤٢٨ ، وسير أعلام النبلاء ١ / ٢٣٤ ، والاستيعاب ٣ / ٣٥ ، والدر المصون ١ / ٥٩١ ، والبحر المحيط ٢ / ٣١١ ، ٢٢٧ ، ٨٤ / ٦ .

(٨) في (أ) : (أن) ، وفي (ج) : (إذ) .
(٩) ذكره الثعلبي في تفسيره ١٧٣ / ١ ، وانظر : تفسير البغوي ٧٣ / ١ ، والكشاف ١ / ٢٨١ ، وذكره أبو حيان في البحر ، وقال : هو ضعيف ١ / ٢٠٢ ، وذكر الفراء نحوه ولم يعزه إلى الكسائي ، معاني القرآن ١ / ٣٧ .
(١٠) سبق البيت ، وتخرجه في تفسير قوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾ .

وقال قطرب : أراد بالفرقان : القرآن ، وفي الآية إضمار معناه : وإذ آتينا موسى الكتاب ومحمداً الفرقان ، لعلكم تهتدون بهذين الكتابين ، فترك أحد الاسمين^(١) ، كقوله :

تَرَاهُ كَأَنَّ اللَّهَ يَجْدَعُ أَنْفَهُ وَعَيْنَيْهِ إِنَّ مَوْلَاهُ ثَابَ لَهُ وَفُرُ^(٢)

أراد : ويفقأ عينيه ، فاكتفى بـ (يجدع) من يفقأ^(٣) . قال ابن الأنباري : هذا البيت لا يشاكل ما احتج به ؛ لأن الشاعر اكتفى بفعل من فعل ، وعلى ما ذكر في الآية اكتفى من اسم باسم^(٤) ، ولكنه يصح قول قطرب عندي من وجه آخر ، وهو^(٥) أنه لما ذكر الفرقان وهو اسم للقرآن ، دل على محمد ﷺ ، فحذف اتكالا على علم المخاطبين^(٦) .

٥٤ . وقوله تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ﴾ يعني^(٧) : الذين عبدوا العجل . (يا قوم) نداء مضاف حذفت منه الياء ؛ لأن النداء باب حذف ، ألا ترى أنه يحذف فيه^(٨) التنوين ، ويحذف بعض الاسم للترخيم^(٩) ؟

(١) الثعلبي في تفسيره ١/ ١٧٣ ، وذكره الزَّجَّاج في المعاني ١/ ١٠٤ ، ١٠٥ ، وهو قول للفرء كما في المعاني ١/ ٣٧ ، وانظر : أمالي المرتضى ٢/ ٢٥٩ ، وتفسير ابن عطية ١/ ٢٩٦ ، وزاد المسير ١/ ٨١ ، والبحر المحيط ١/ ٢٠٢ .

(٢) البيت ينسب إلى خالد بن الطيفان ، ونسبه بعضهم إلى الزبرقان بن بدر ، ورد البيت في الزاهر ١/ ١١٩ ، وأمالي المرتضى ٢/ ٢٥٩ ، ٣٧٥ ، تفسير الثعلبي ١/ ١٧٣ ، والخصائص ٢/ ٤٣١ ، والإنصاف ١/ ٤٠٦ ، واللسان (جدع) ١/ ٥٦٧ . والوفر : المال الكثير الوافر .

(٣) في (ج) : (فاكتفى يجدع من تفقأ) .

(٤) في (ب) و(ج) : (باسم من اسم) . وقول ابن الأنباري ذكره المرتضى في أماليه ٢/ ٢٦٠ .

(٥) (وهو) ساقط من (ب) .

(٦) ذكر المرتضى في أماليه نحوه رداً على قول ابن الأنباري السابق ، أمالي المرتضى ٢/ ٢٦٠ .

(٧) بعد سياق الآية كاملة في (ب) ، كما هو النهج في هذه النسخة : ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ﴾ يعني ...

(٨) في (ج) : (منه) .

(٩) انظر : معاني القرآن للزَّجَّاج ١/ ١٠٥ ، وإعراب القرآن للنحاس ١/ ٢٢٦ .

والمنادى إذا أصفته إلى نفسك^(١) جاز فيه ثلاث لغات^(٢) حذف الياء ، وإثباتها^(٣) وفتحها^(٤) ، فحذف الياء كقوله : ﴿يَقَوْمٍ﴾ والإثبات كقوله : ﴿يَعْبَادِ فَاتَّقُونِ﴾^(٥) [الزمر: ١٦] ، والفتح كقوله : ﴿يَعْبَادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾ [الزمر: ٥٣] على قراءة من فتح^(٦) الياء . والأجود الحذف والاجتزاء بالكسرة^(٧) ، والعرب تفعل ذلك كثيراً في الموضع^(٨) الذي يكون^(٩) الياء فيه أصلاً ، وكما أنشده^(١٠) سيبويه :

وَطِرْتُ بِمَنْصُلِي^(١١) فِي يَعْمَلَاتٍ دَوَامِي الْأَيْدِ يَخْبِطُنَ السَّرِيحَا^(١٢)

- (١) أي إلى ياء المتكلم .
- (٢) انظر : الكتاب ٢/ ٢٠٩ ، وذكر الزَّجَّاج في المنادى المضاف إلى ياء المتكلم أربع لغات ، انظر : معاني القرآن ١/ ١٠٥ ، وذكر النحاس ست لغات ، إعراب القرآن ١/ ٢٢٦ ، وكذا أبو حيان في البحر ١/ ١٠٦ ، والسمين في الدر ١/ ٣٥٩ ، وهذا في غير القرآن .
- (٣) يعني إثباتها ساكنة .
- (٤) في (ب) : (وحذفها) .
- (٥) في (ج) : (عباد) وهي قراءة السبعة .
- (٦) في (ب) : (حذف) . قرأ بالفتح نافع وابن كثير وابن عامر وعاصم ، وأبو جعفر من العشرة ، والبقية على الإسكان في الوقف ، وحذفها في الوصل . انظر : التيسير ١٩٠ ، وتبجيز التيسير ١٧٤ .
- (٧) قال الزَّجَّاج : «فأما في القرآن فالكسر وحذف الياء لأنه أجود الأوجه ، وهو إجماع القراء» ، ١/ ١٠٥ . وانظر : إعراب القرآن للنحاس ١/ ١٧٥ ، والبحر المحيط ١/ ٢٠٦ .
- (٨) في (ب) : (المواضع) .
- (٩) في (ب) : (تكون) .
- (١٠) في (ب) : (أنشد) .
- (١١) في (أ) و(ج) : (لمنصلي) ، وما في (ب) موافق لرواية البيت في أكثر المصادر .
- (١٢) البيت غير منسوب في الكتاب ، ونسبه في اللسان إلى مضر بن ربيعي . (المنصل) : السيف ، و(اليعملات) : جمع يعمل ، وهي الناقة القوية على العمل ، و(السريح) : جلود أو خرق تشد على أخفاف الناقة إذا حفيت من شدة السير ، ورد البيت في الكتاب ١/ ٢٧ . ٤/ ١٩٠ ، والمنصف ٢/ ٧٣ ، والخصائص ٢/ ٢٦٩ . ٣/ ١٣٣ ، والإنصاف ٢/ ٤٢٩ ، والخزانة ١/ ٢٤٢ ، واللسان (جزز) ١/ ٦١٥ ، و(خبط) ١٠٩٣ ، و(ثمن) ١/ ٥٩ و(يدى) ٨/ ٤٩٥١ .

يريد : الأيدي^(١) . وأنشد أيضاً :

وَأَخُو الْغَوَانِ مَتَى يَشَأْ يَصْرِ مِنْهُ وَيَكُنَّ أَعْدَاءَ بُعَيْدٍ وَدَادٍ^(٢)

يريد : الغواني ، فاجتزأ بالكسرة من الياء ، والنداء بهذا أولى لأنه باب حذف .

وقوله تعالى : ﴿إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ ، أي نقصتم حظ أنفسكم باتخاذكم العجل إلهاً^(٣) ، فحذف أحد المفعولين ، وقد مضى بيانه^(٤) . ﴿فَتَوَبُّوا إِلَىٰ بَارِيكُمْ﴾ خالقكم ، يقال : برأ الله الخلق ، أي خلقهم^(٥) ، وكان أبو عمرو يختلس حركة الهمزة في باريكم كأنه مخفف الحركة ويقربها من الجزم^(٦) ، وحجته في ذلك : أن الحركات على ضربين^(٧) : حركة بناء ، وحركة إعراب ، فحركة البناء يجوز تخفيفه ، وذلك نحو : سَبُعٌ وَإِبِلٌ وَضُرِبَ وَعَلِمَ . يقول^(٨) في التخفيف : سَبُعٌ

(١) فحذف (الياء) لضرورة الشعر وبقيت الكسرة تدل عليها . انظر : الكتاب ٢٧ / ١ .

(٢) في (ب) : (واداد) . البيت للأعشى (قيس من ميمون) ، وفيه يصف النساء بالغدر وقلة الوفاء والصبر ، يقول : من كان مشغولاً بهن مواصلاً هن ، إذا تعرض لما يسبب صرمهن سارعن إليه لتغير أخلاقهن . البيت من شواهد سيبويه ٢٨ / ١ ، وورد في النصف ٧٣ / ٢ ، والإنصاف ٣٢٩ ، ٤١٩ ، والهمع ٥ / ٣٤٤ ، والخزانة ١ / ٢٤٢ ، واللسان (غنا) ٦ / ٣٣١٠ ، وديوان الأعشى ٥١ .

(٣) انظر : الثعلبي في تفسيره ٧٣ / ١ ب ، والبيهقي في تفسيره ٧٣ / ١ .

(٤) مضى في تفسير قوله تعالى : ﴿ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ﴾ [البقرة : ٥١] .

(٥) انظر : غريب القرآن للزبيدي ١ / ٧٠ ، والطبري في تفسيره ٧٨ / ٢ ، ومعاني القرآن للزجاج ١ / ١٠٦ ، وتفسير الثعلبي ٧٣ / ١ ب .

(٦) هذا على رواية العراقيين عنه باختلاس ، وروي عنه إسكان الهمزة ، وبقيّة السبعة على كسر الهمزة من غير اختلاس ولا تخفيف ، انظر : السبعة ١٥٥ ، والحجة لأبي علي ٧٦ / ٢ ، والتيسير ٧٣ ، والكشف ١ / ٢٤٠ .

(٧) أخذه عن الحجة ٧٨ / ٢ . قال أبو علي : «حروف المعجم على ضربين : ساكن ومتحرك ، والساكن على ضربين : أحدهما : ما أصله في الاستعمال السكون . . . ، والآخر : ما أصله الحركة في الاستعمال فيسكن عنها ، وما كان أصله الحركة يسكن على ضربين : أحدهما أن تكون حركته حركة بناء ، والآخر : أن تكون حركته حركة إعراب . . . » . وانظر : حجة القراءات لابن زنجلة ٩٧ ، والحجة لابن خالويه ٧٨ ، والكشف ١ / ٢٤١ .

(٨) في الحجة : (يقول من يخفف) ، ٧٩ / ٢ .

وَفَخَذُ وَعَلِمَ وَضُرِبَ ، وقد خفف من كلمتين على هذا المثال تشبيهاً للمنفصل^(١) بالمتصل ، وذلك نحو ما أنشده أبو زيد :

قَالَتْ سُلَيْمَى اشْتَرَى لَنَا دَقِيقًا^(٢)

[فَنَزَّلَ]^(٣) مثل كتف ، ولا خلاف في تجويز إسكان حركة البناء عند النحويين . وأما حركة الإعراب فمختلف في تجويز إسكانها ، فمن النحويين من يقول : إن إسكانها لا يجوز ، لأنها علم الإعراب ، وسيبويه يجوز ذلك^(٤) ، ولا يفصل بين القبيلين^(٥) في الشعر .

وقد روي ذلك عن العرب ، وإذا جاءت الرواية لم ترد بالقياس^(٦) ، فمما أنشده في ذلك قوله^(٧) :

وَقَدْ بَدَأَ^(٨) هُنْكَ مِنَ الْمُنْزَرِ^(٩)

- (١) أي شبهوا المنفصل في كلمتين بالمتصل في كلمة .
- (٢) الرجز لرجل من كندة يقال له : (العذافر الكندي) ، وسبق تخريجه في تفسير قوله تعالى : ﴿وَهُوَ يَكْلَأُ شَيْءًا عَالِمًا﴾ [البقرة: ٢٩] .
- (٣) في النسخ جميعها : (فترك) ، وفي الحجة : (فنزّل) وهذا أقرب ، والمعنى : أن (اشترى) سكن آخره ونزل منزلة المتصل مثل (كتف) . انظر : الحجة ٧٩ / ٢ ، والنوادر لأبي زيد ١٧٠ ، والخصائص ٧٣ / ١ - ٧٥ .
- (٤) انظر : الكتاب ٢٠٣ / ٤ ، وانظر : الخصائص ٧٣ / ١ - ٧٥ .
- (٥) في (ب) : (القبيلتين) .
- (٦) وكأنه يشير إلى رد أبي العباس المبرد لهذه المسألة ، انظر : الخصائص ٧٥ / ١ ، وتفسير ابن عطية ٢٩٧ / ١ ، والخزانة ٤٨٤ / ٤ .
- (٧) (قوله) ساقط من (ب) .
- (٨) في (ب) : (زيد) .
- (٩) البيت للأقشير الأسدي ، وصدره :

رُحْتُ وَفِي رَجْلَيْكَ مَا فِيهِمَا

قاله يخاطب زوجته حين لامته لما شرب الخمر وبدت عورته ، وقوله : (ما فيها) : من الاضطراب ، =

وقوله :

فَالْيَوْمَ أَشْرَبُ غَيْرَ مُسْتَحْقِبٍ^(١) . . . البيت .

وقول جرير :

سِيرُوا بَنِي الْعَمِّ فَلَا هَوَازُ^(٢) مَنَزْلُكُمْ
وَنَهْرٌ تِيرَى وَلَا تَعْرِفُكُمْ^(٣) الْعَرَبُ^(٤)

وجاز إسكان حركة الإعراب كما جاز إسكان^(٥) حركة البناء في نحو ما ذكرنا . والذي ذهب إليه أبو عمرو هو إسكان حركة الإعراب^(٦) .

(١) والهن) كناية عن كل ما يقبح ذكره ، وهو هنا كناية عن (الفرج) . البيت من شواهد سيبويه ٢٠٣ / ٤ ، وفي الحجة لأبي علي ٨٠ / ٢ ، والخصائص ٧٤ / ١ ، ٩٥ / ٣ ، والهمع ١٨٧ / ١ ، وشرح الفصل ٤٨ / ١ ، والخزانة ٤٨٤ / ٤ ، ٤٨٥ ، ٣٥١ / ٨ ، وتفسير ابن عطية ٢٩٨ / ١ .

(١) سبق تخريجه .

(٢) (ج) : (فالهواني) .

(٣) في (أ) و(ج) : (لا يعرفكم) ، وما في (ب) موافق للحجة ، والمصادر الأخرى التي ورد فيها البيت .

(٤) (الأهواز) : مكان معروف في بلاد الفرس ، وهو اسم للكرة بأسرها ، ثم غلب على سوقها الذي أصبح مدينة بعينها ، وفي الأهواز (نهر تيرى) المذكور في البيت ، انظر : معجم البلدان ١ / ٢٨٤ ، ٣١٩ / ٥ ، ورد البيت في الحجة ٨٠ / ٢ ، والخصائص ٧٤ / ١ ، ٣١٧ / ٢ ، والمخصص ١٨٨ / ١٥ ، وتفسير ابن عطية ٢٩٨ / ١ ، ومعجم البلدان ٣١٩ / ٥ ، والخزانة ٤٨٤ / ٤ ، وديوان جرير ٤٥ . والشاهد (ولا تعرفكم) بالضم فأسكن الشاعر مضطراً ، انظر : الخصائص ٧٤ / ١ ، ٣١٧ / ٢ .

(٥) (إسكان) ساقط من (ب) . وعبرة أبي علي : «وجاز إسكان حركة الإعراب ، كما جاز تحريك إسكان البناء . . .» . الحجة ٨١ / ٢ .

(٦) أو اختلاسها كما سبق ، قال أبو علي : «ذهب سيبويه إلى أن أبا عمرو اختلس الحركة ولم يشبعها فهو بزنة حرف متحرك ، فمن روى عن أبي عمرو الإسكان في هذا النحو ، فلعله سمعه يختلس فحسبه لضعف الصوت به والخفاء إسكاناً» ٨٤ / ٢ ، وانظر : معاني القرآن للزجاج ١٠٧ / ١ ، والحجة لابن خالويه ٧٨ .

فأما من زعم أن حذف هذه الحركة لا يجوز من حيث كانت علماً للإعراب ، فليس قوله بمستقيم ، وذلك أن حركات^(١) الإعراب قد تحذف لأشياء^(٢) ، ألا ترى أنها تحذف للوقف ، وتحذف من الأسماء والأفعال المعتلة . فإذا جاز حذفها في هذه المواضع ، جاز حذفها في ما ذهب إليه سيبويه ، وهو التشبيه بحركة البناء ، والجامع بينهما أنها جميعاً زائدتان ، وأن حركة الإعراب قد تسقط في الوقف والاعتلال ، كما تسقط التي للبناء للتخفيف .

واعلم أن الحركات التي تكون للبناء والإعراب يستعملون في الضمة والكسرة منهما على ضربين : أحدهما : الإشباع والتمطيط ، والآخر : الاختلاس والتخفيف .

وهذا الاختلاس والتخفيف ، إنما يكون في الضمة والكسرة ، وأما الفتحة^(٣) فليس فيها إلا الإشباع ، ولم تخفف الفتحة بالاختلاس ، كما لم تخفف بالحذف^(٤) من نحو : جَلَّ وجَبَل ، كما حذف^(٥) من نحو : سَبَّعَ وكَتَفَ ، وكما^(٦) لم يحذفوا الألف في الفواصل من حيث حذفت الياء والواو منها ، نحو : ﴿وَالَيْلُ إِذَا يَسَّرَ﴾ [الفجر : ٤] . وكما لم يبدل الأكثر من التنوين الياء والواو في الجر والرفع كما أبدلوا^(٧) منه في النصب ، فهذا الاختلاس وإن كان الصوت فيه أضعف من التمطيط وأخفى ، فإن الحرف المختلس حركته بزنة المتحرك ، وعلى هذا حمل سيبويه قول

(١) في (ب) : (حركة) .

(٢) في (ب) : (الأشياء) .

(٣) في (ب) : (فأما الضمة) .

(٤) في (أ) و(ج) : (بالمحذوف) ، وما في (ب) أولى ، وموافق لما في الحجة ٨٣ / ٢ .

(٥) في الحجة : (خفف) ، وهو أولى .

(٦) (الواو) ساقطة من (ب) .

(٧) في الحجة : (كما أبدلوا الألف في النصب) ، ٨٣ / ٢ .

أبي عمرو: ﴿إِلَىٰ بَارِيكُمْ﴾ فذهب إلى أنه اختلس الحركة ولم يشبعها، فهو بزنة حرف متحرك^(١).

وفي الآية إضمار واختصار، كأنه لما قال لهم: ﴿فَتَوْبُوا إِلَىٰ بَارِيكُمْ﴾ قالوا: كيف؟ فقال^(٢): ﴿فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾^(٣). قال أبو العباس: أصل القتل: إماتة الحركة^(٤). ومنه يقال: قتل الخمر إذا^(٥) مزجتها بالماء، لأنك كسرت شدتها، كأنك قتلت حركتها، قال حسان:

إِنَّ الَّتِي نَاوَلْتَنِي فَرَدَدْتُهَا قُتِلَتْ فَهَاتِهَا^(٦) لَمْ تُقْتَلِ^(٧)
وتقول^(٨): قتله علماً: إذا أتقنته وتحققته، وذلك أنك أزلت اضطرابه في نفسك. وقلب مُقْتَل: إذا ذلل بالعشق^(٩)، ومنه قوله:

... أَعْشَارِ^(١٠) قَلْبِ مُقْتَلِ^(١١)

(١) انتهى من الحجة لأبي علي الفارسي، ٢/ ٧٨-٨٣، مع التصرف اليسير باختصار بعض المواضع.

(٢) في (ب): (قال).

(٣) انظر: الثعلبي في تفسيره ١/ ٧٣ ب، والبغوي في تفسيره ١/ ٧٣.

(٤) نحوه في التهذيب عن الليث (قتل) ٣/ ٢٨٨٤، وانظر: الصحاح (قتل) ٥/ ١٧٩٧، واللسان (قتل) ٦/ ٣٥٢٨.

(٥) في (ج): (أو).

(٦) في (أ) و(ج): (هاتها)، وما في (ب) موافق لما في ديوان حسان، والمصادر الأخرى التي ذكر فيها البيت.

(٧) ورد البيت في الصحاح (قتل) ٥/ ١٧٩٧، واللسان ٦/ ٣٥٣٠، وديوان حسان ١٨١، والخزانة ٤/ ٣٨٥، ٣٩٠.

(٨) في (ج): (ويقول).

(٩) انظر: التهذيب (قتل) ٣/ ٢٨٨٤، والصحاح (قتل) ٥/ ١٧٩٧، ١٧٩٨، المحكم (قتل) ٦/ ٢٠٤، ٢٠٥.

(١٠) في (ب): (في أعشار).

(١١) البيت لامرئ القيس، وسبق تحريجه وشرحه في مقدمة المؤلف.

وكذلك المقتل من الدواب : المذلل بكثرة العمل^(١) .

قال زهير :

كَأَنَّ عَيْنِي فِي غَرْبِي مُقْتَلَةٌ مِنَ النَّوَاضِحِ تَسْقِي جَنَّةً^(٢) سُحْقًا^(٣)
[قوله : جنة سُحْقًا ، قال أبو علي^(٤) : أراد نخيل جنة ، لأن السحق يكون من
صفة النخيل لا من صفة الجنة ، وهي التي بسقت فطالت]^(٥) .

ومعنى قوله : ﴿فَأَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ أي ليقتل البريء المجرم^(٦) ، وجاز هذا ؛ لأن
من قتل أخاه وأباه^(٧) وجاره وحليفه^(٨) فكأنه قتل نفسه ، ومنه قوله : ﴿فَإِنْ قَتَلْتُمْ
فَأَقْتُلُوهُمْ﴾^(٩) [البقرة : ١٩١] ، أي قتلوا منكم بعضهم الذين هم كأنفسكم^(١٠) .

(١) انظر : تهذيب اللغة (قتل) ١ / ٢٨٨٤ ، المحكم (قتل) ٦ / ٢٠٥ .

(٢) في (ب) : (جنها) .

(٣) قوله : (غربي) . الغرب : الدلو الكبير من جلد ثور ، وجمعه غروب ، و(المقتلة) : التي ذلت بكثرة
العمل ؛ لأنها ماهرة تخرج الدلو ملاً فتسيل من نواحيها ، (الجنة) : البستان ، وأراد النخل .
(السحق) : الواحد (سحوق) ، النخلة التي ذهبت جريدتها ، وطالت ، ورد البيت في المجمل (جنن)
١ / ١٧٥ ، ومقاييس اللغة ١ / ٤٢١ ، والمخصص ١١ / ١١١ ، واللسان (سحق) ٤ / ١٩٥٦ ، و(قتل)
٦ / ٣٥٣٠ . و(جنن) ٢ / ٧٠٥ .

(٤) انظر : المخصص ١١ / ١١١ .

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من (ب) .

(٦) الثعلبي في تفسيره ١ / ٧٣ ب ، وانظر : تفسير أبي الليث ١ / ٣٥٥ ، والبغوي في تفسيره ١ / ٧٣ ،
والخازن في تفسيره ١ / ١٢٦ ، وقيل : ليقتل بعضهم بعضاً ، انظر : غريب القرآن لابن قتيبة ٤٩ .
وتفسير الطبري ٢ / ٧٣ ، ومعاني القرآن للزجاج ١ / ١٠٨ ، والكشاف ١ / ٢٨١ ، وزاد المسير
١ / ٨٢ ، والبحر ١ / ٢٠٧ . تفسير ابن كثير ١ / ٩٨ .

(٧) (وأباه) ساقط من (ب) .

(٨) في (ج) : (خليفه) .

(٩) كذا في (أ) : (قتلوكم) بغير ألف ، وهي قراءة حمزة والكسائي ، وفي (ب) و(ج) : (قاتلوكم) بالألف
على قراءة بقية السبعة . انظر : السبعة لابن مجاهد ١٧٩ .

(١٠) انظر : تأويل مشكل القرآن ١٥٢ ، وتفسير أبي الليث ١ / ٣٥٥ ، وتفسير الرازي ٣ / ٨١ .

وقال بعض أهل المعاني : معنى (فاقتلوا أنفسكم) ، أي استسلموا للقتل ، فجعل استسلامهم للقتل قتلاً منهم لأنفسهم على التوسع^(١) ، فعلى هذا لا يحتاج إلى تأويل الأنفس .

وقوله تعالى : ﴿ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ﴾ أي توبتكم خير لكم عند باريكم من إقامتكم على عبادة العجل^(٢) ، والإشارة في ذلك تعود إلى القتل^(٣) ، وهو توبتهم ، وقيل^(٤) : معناه : توبتكم خير لكم ، أي فعل خير ، لأنه يشيكم عليه ، وليس (خير) على طريق المبالغة والتفضيل^(٥) ، وذلك أن خيراً يستعمل بمعنيين : أحدهما : التفضيل ، وقال : فلان خير من فلان ، أي أفضل ، وهذا يحتاج معه إلى من .

والثاني : بمعنى الفاضل ، يقال أردت خيراً ، أو فعلت خيراً^(٦) . قال ابن عباس : أبى الله - عز وجل - أن يقبل توبة عبدة العجل إلا بالحل التي كرهها من لم يعبد العجل ، وذلك أنهم كرهوا أن يقاتلوا عبدة العجل على عبادة العجل ، فجعل الله توبتهم أن يقتلهم هؤلاء الذين كرهوا قتالهم^(٧) ، والقصة في ذلك

(١) ذكره الماوردي عن أبي إسحاق ٣٢٧/١ ، وكذا الرازي في تفسيره ٨٢/٣ ، وأبو حيان في البحر ٢٠٧/١ .

(٢) أو المعنى (توبتكم) خير لكم من إقامتكم على المعصية ، ولو سلمتم من القتل . انظر : تفسير الطبري ٢٠٩/١ ، وتفسير أبي الليث ٣٥٥/١ ، والنسفي في تفسيره ١٢٦/١ ، والبحر المحيط ٢٠٩/١ ، والدر المصون ٣٦٦/١ .

(٣) وقيل : تعود إلى التوبة ، وقيل : إلى القتل والتوبة ، فأوقع المفرد موقع التثنية . انظر : تفسير الثعلبي ٧٣/١ ، والبغوي في تفسيره ٧٣/١ ، والبيان في غريب إعراب القرآن ٨٣/١ ، وزاد المسير ٨٢/١ ، والبحر المحيط ٢٠٩/١ ، والدر المصون ٣٦٦/١ .

(٤) (وقيل) ساقط من (ب) .

(٥) انظر : البحر المحيط ٢٠٩/١ .

(٦) انظر : البحر المحيط ٢٠٩/١ ، والدر المصون ٣٦٦/١ .

(٧) ذكره الثعلبي في تفسيره ٧٣/١ ، وذكره الطبري في تفسيره عن السدي ٢٨٦/١ ، وتفسير الماوردي عن جريج ٣٢٧/١ .

معروفة مشهورة . وقوله تعالى : ﴿فَنَابَ عَلَيْكُمْ﴾ في الآية اختصار ، تقديره : ففعلتم ما أمرتم به ^(١) ، فتاب عليكم ^(٢) .

٥٥ . قوله تعالى : ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَمُوسَىٰ لَنْ نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً﴾ ، قال ابن عباس : حتى نراه علانية ^(٣) ، وقال قتادة : عياناً ^(٤) . وقد تكون الرؤية غير جهرية كالرؤية في النوم ^(٥) ، وكروية القلب ، فإذا قيل ^(٦) : رآه جهرية ، لم يكن إلا على رؤية العين على التحقيق من دون التخيل ^(٧) .

قال أهل اللغة : معنى قوله : جهرية ، أي غير مستتر عناً بشيء ، وأصل الجهر في اللغة : الكشف والإظهار ، يقال : جهرت البئر ، إذا كشفت الطين عن الماء ليظهر الماء ^(٨) ، قال :

إِذَا وَرَدْنَا آجِنًا جَهْرَنَاهُ أَوْ خَالِيًا مِنْ أَهْلِهِ عَمَرَنَاهُ ^(٩)

-
- (١) في (ب) : (فعلتم ذلك) .
 (٢) الثعلبي في تفسيره ١/ ٧٤أ ، وانظر : تفسير الطبري ١/ ٢٨٨ ، وتفسير ابن عطية ١/ ٢٩٩ ، وتفسير البغوي ١/ ٧٤ ، والبحر المحيط ١/ ٢٠٩ .
 (٣) أخرجه الطبري في تفسيره ٢/ ٨١ ، وابن أبي حاتم في تفسيره ١/ ٣٥٥ ، وذكره القرطبي في تفسيره ١/ ١٣٦ ، وابن كثير في تفسيره ١/ ١٧٠ ، والسيوطي في الدر ١/ ٧٠ .
 (٤) أخرجه الطبري في تفسيره ١/ ٢٨٩ ، وابن أبي حاتم في تفسيره ١/ ٣٥٦ .
 (٥) بياض في (ب) .
 (٦) في (ب) : (قال) .
 (٧) انظر : الغريب لابن قتيبة ٤٩ ، وتفسير البغوي ١/ ٧٤ ، والبحر المحيط ١/ ٢١٠ ، وتفسير القرطبي ١/ ٣٤٤ ، ٣٤٥ .
 (٨) انظر : معاني القرآن للأخفش ١/ ٢٦٧ ، وتهذيب اللغة (جهر) ١/ ٦٧٦ ، ومقاييس اللغة (جهر) ١/ ٤٨٧ ، والصحاح (جهر) ٢/ ٦١٨ .
 (٩) الرجز ذكره أبو زيد في النوادر ، قال : أنشدتني شماء ، وهي أعرابية فصيحة من بني كلاب . تقول : إنهم من كثرتهم نرفوا مياه الآبار الآجنة من كثرة المكث ، وعمروا المكان الخالي . نوادر أبي زيد ٥٧٤ ، والبيتان في تهذيب اللغة (جهر) ١/ ٦٧٦ ، والصحاح (جهر) ٢/ ٦١٨ ، واللسان (جهر) ٢/ ٧١١ .

أبو زيد : يقال : جهرت بالقول أجهر به ، إذا أعلنته ، وجاهرني فلان جهاراً ، أي^(١) : عَالَنَنِي ، والجهر : العلانية^(٢) . والجَهَارَةُ : ظهور الجَمَال^(٣) وانكشافه بياض اللون^(٤) ، قال الأعشى :

وَسَبَّكَ حِينَ تَبَسَّمْتَ بَيْنَ الْأَرِيكََةِ وَالسَّتَارَةِ
بِقَوَامِهَا الْحَسَنِ الَّذِي جَمَعَ الْمَدَادَةَ^(٥) وَالْجَهَارَةَ^(٦)
فالجهره في هذه الآية : فعلة من الجهر ، وهو مصدر يراد به المفعول^(٧) .

وقوله تعالى : ﴿ فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ ﴾ يعني ما تصعقون منه ، أي تموتون ، لأنه قال : ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ ﴾ [البقرة: ٥٦] . وقال مقاتل : الصاعقة : الموت^(٨) ، ومضى الكلام في الصاعقة^(٩) .

(١) (أي) ساقط من (ب) .

(٢) تهذيب اللغة (جهر) ٦٧٧/١ .

(٣) في (ج) : (الحال) .

(٤) في (ب) : (المال) . انظر : الصحاح (جهر) ٦١٩/٢ ، واللسان ٧١١/٢ .

(٥) في (ب) و(ج) : (المدارة) .

(٦) قوله : (الأريكة) : سرير منجد مزين ، و(المداد) : طول القامة ، والبيتان من قصيدة للأعشى يهجو بها شيبان بن شهاب ، انظر : ديوانه ١٥٣ ، والبيت الأول في الزاهر ٥٦٢/١ ، والخزانة ٣١١/٣ ، وروايته في الزاهر : (وسبتك يوم تزينت) .

(٧) قوله : (يراد به المفعول) ، لم أجده في ما اطلعت عليه ، قال القرطبي : (جهره : مصدر في موضع الحال) . تفسير القرطبي ٣٤٥/١ ، وانظر : فتح القدير ١٣٧/١ ، وفي الفتوحات الإلهية قال : «إنه مفعول مطلق ؛ لأن الجهره نوع من مطلق الرؤية فيلاقي عامله في المعنى» . ٥٥/١ . والجهره : قد تكون من صفات الرؤية ، فهو مصدر من جهر أي عياناً ، ويحتمل : أن تكون من صفة الرائي ، أي ذوي جهره ، أو مجاهرين بالرؤية ، ويحتمل : أن تكون راجعة إلى معنى القول أو القائلين ، أي قولاً جهره أو جاهرين بذلك . انظر : البحر المحيط ٢١٠/١ ، ٢١١ .

(٨) أخرج ابن جرير عن قتادة والربيع نحوه ٨٢/٢ ، وكذا تفسير ابن أبي حاتم ٣٥٦/١ ، وانظر : الدر ٧٠/١ . بعضهم فسر الصاعقة : بالموت ، وبعضهم قال : هي سبب الموت ، ثم اختلفوا فيها : هل هي نار أو صيحة أو جنود من السماء ؟ . انظر : تفسير الرازي ٨٦/٣ .

(٩) عند تفسير آية [١٩] من سورة البقرة .

قال المفسرون : إن الله تعالى أمر موسى أن يأتيه في ناس من بني إسرائيل يعتذرون إليه^(١) من عبادة العجل ، فاختار موسى سبعين رجلاً من خيارهم ، وخرج بهم إلى طور سيناء ، وسمعوا كلام الله ، وكان موسى إذا كلمه ربه وقع على وجهه نور ساطع ، لا يستطيع أحد من بني آدم^(٢) أن ينظر إليه ، ويغشاه عمود من غمام .

فلما فرغ موسى وانكشف الغمام^(٣) ، قالوا له : لن نؤمن لك ، أي لن نصدقك ، حتى نرى الله جهرة ، فأخذتهم الصاعقة ، وهي نار جاءت^(٤) من السماء فأحرقتهم^(٥) جميعاً . ﴿وَأَنْتُمْ نَنْظُرُونَ﴾ يريد : نظر بعضهم إلى بعض عند نزول الصاعقة^(٦) ، قاله^(٧) ابن زيد .

وإنما أخذتهم الصاعقة ؛ لأنهم امتنعوا من الإيمان بموسى بعد ظهور معجزته حتى يريهم ربهم جهرة ، والإيمان بالأنبياء واجب بعد ظهور معجزتهم ، ولا يجوز

(١) (إليه) ساقط من (ج) .

(٢) في (ب) : (بني إسرائيل) .

(٣) (الغمام) ساقط من (ب) .

(٤) (جاءت) ساقط من (ب) .

(٥) في (أ) و(ج) : (فأحرقهم) ، وما في (ب) أولى للسياق ، وموافق لما عند الثعلبي في تفسيره ، والكلام أخذه ملخصاً عن الثعلبي في تفسيره ١ / ٧٤ ، وأخرج الطبري نحوه عن محمد بن إسحاق وعن السدي ، ١ / ٢٩١ ، ٢٩٢ . ثم قال الطبري في تفسيره بعد أن ذكر بعض الآثار : «فهذا ما روي في السبب الذي من أجله قالوا لموسى : ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾ ولا خبر عندنا بصحة شيء مما قاله من ذكرنا قوله في سبب قيلهم لموسى تقوم به حجة فيسلم له ، وجائز أن يكون ذلك بعض ما قالوه» ، ١ / ٨٩ ، وانظر : تفسير أبي الليث ١ / ٢٩٣ ، وتفسير ابن عطية ١ / ٣٠١ ، وتفسير ابن كثير ١ / ٩٩ .

(٦) ذكره الطبري ولم يعزه ١ / ٢٩٠ ، وانظر : تفسير البغوي ١ / ٧٤ ، وزاد المسير ١ / ٨٣ ، وتفسير القرطبي ١ / ٣٤٥ ، وتفسير ابن كثير ١ / ٩٩ .

(٧) في (ب) : (قال) .

لهم اقتراح المعجزات عليهم ، فلهذا^(١) عاقبهم الله^(٢) ، ولما كان سؤال موسى إيماناً منه وتصديقاً واشتياًقاً لم يعاقب عليه ، وهؤلاء سألوه^(٣) شاكين منكربين متعنتين فعوقبوا عليه .

وقال بعضهم : إن أصحاب موسى اعتقدوا إحالة الرؤية^(٤) على الله ، فعلقوا إيمانهم على الرؤية^(٥) : ومرادهم : لن نؤمن لك قط ، كقوله : ﴿ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ﴾ [الأعراف: ٤٠] ، فلهذا عاقبهم الله عليه . وهذه الآية تتضمن التوبيخ لهم على مخالفة الرسول - عليه السلام - مع قيام معجزته ، كما خالف أسلافهم [موسى مع ما أتى به من الآيات الباهرة ، والتحذير لهم أن ينزل بهم كما نزل بأسلافهم]^(٦) .

٥٦. قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَاكَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ . (البعث) في كلام العرب على وجهين ، أحدهما : الإرسال كقوله : ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى ﴾^(٧) [الأعراف: ١٠٣ ، يونس: ٧٥] .

(١) في (ج) : (فهكذا) .

(٢) انظر : تفسير الرازي ٨٦/٣ ، وتفسير القرطبي ٣٤٤/١ ، وتفسير النسفي ١٢٨/١ ، والبحر المحيط ٢١١/١ ، ٢١٢/١ .

(٣) في (ب) : (يسألوه) .

(٤) في (ج) : (الرؤيا) .

(٥) المعتزلة هي التي تقول بإحالة الرؤية ، وقد تمسكوا بمثل هذه الآية . قال الزمخشري : « وفي هذا الكلام دليل على أن موسى - عليه الصلاة والسلام - رآهم القول ، وعرفهم أن رؤية ما لا يجوز عليه أن يكون في جهة محال . . . » . الكشف ٢٨٢/١ ، وردَّ عليه صاحب الإنصاف في حاشية على الكشف بها بطل زعمه ، كما رد عليه الرازي في تفسيره ٨٥/٣ ، وانظر : تفسير القرطبي ٣٤٤/١ ، ٣٤٥ ، البحر المحيط ٢١١/١ .

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من (ب) . انظر : تفسير الطبري ٢٩٠/١ ، وتفسير الرازي ٨٣/٣ .

(٧) في (ب) : (من بعد) . تصحيف في الآية .

والثاني : إثارة بارك أو قاعد ، يقال : بعثت البعير عن مبركه ، وبعثت النائم ، ونشر الميت : بعث ؛ لأنه كبعث النائم ، وذلك إثارته عن مكانه ^(١) .

قال قتادة : بعثهم الله ليستوفوا بقية آجالهم وأرزاقهم ^(٢) ، ولو ماتوا بآجالهم لم يبعثوا ، ولكنه كان ذلك الموت عقوبة لهم على ما قالوا .

وقال ابن الأنباري : كل موت حصل البعث بعده في الدنيا كهذا ، وكقوله : ﴿ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَخْيَلَهُمْ ﴾ [البقرة: ٢٤٣] يكون حكمه حكم النوم ، ويجري مجرى موت النائم ؛ لأن الله تعالى أثبت للخلق الإماتة في دار الدنيا مرة واحدة ^(٣) ، وهو قوله : ﴿ قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ ﴾ ^(٤) [الجن: ٢٦] .

قال الزَّجَّاج : والآية احتجاج على مشركي العرب الذين كفروا بالبعث ، واحتج النبي ﷺ بإحياء مَنْ بُعث بعد موته في الدنيا في ما يوافقه اليهود والنصارى ^(٥) .

وقوله تعالى : ﴿ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ أي نعمة البعث ^(٦) ، وقيل : تأويله : لعلكم تؤمنون ؛ لأن الشكر من فعل المؤمنين وصفاتهم ، وأظهر الآيات الموجبة للإيمان بعثهم بعد موتهم .

(١) تهذيب اللغة (بعث) ١/ ٣٥٤ ، وانظر : اللسان (بعث) ١/ ٣٠٧ .

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره ١/ ٢٩٢ ، وابن أبي حاتم ١/ ٣٥٨ ، وانظر : تفسير الثعلبي ١/ ٧٤ ب ، وانظر : تفسير ابن عطية ١/ ٣٠٢ ، والبغوي ١/ ٧٥ ، وتفسير ابن كثير ١/ ١٠٠ ، والدر المنثور ١/ ١٣٦ .

(٣) قول جمهور المفسرين أنه موت حقيقي ، لكنها غير الموتة التي كتبت عليهم في الدنيا ، انظر : تفسير الطبري ١/ ٢٩١ ، وتفسير الثعلبي ١/ ٧٤ ب ، وقال ابن العربي : ميتة العقوبة بعدها حياة ، وميتة الأجل لا حياة بعدها ، انظر : أحكام القرآن لابن العربي ٢/ ٢٢٨ ، وزاد المسير ١/ ٨٥ ، وتفسير القرطبي ١/ ٣٤٥ ، ٣/ ٢٣١ ، وتفسير الرازي ٣/ ٨٦ .

(٤) في (أ) : (يبعثكم) تصحيف .

(٥) معاني القرآن للزَّجَّاج ١/ ١٠٩ ، ونقله بمعناه .

(٦) أي البعث بعد موتهم بالصاعقة ، انظر : تفسير الطبري ١/ ٢٩١ ، ومعاني القرآن للزَّجَّاج ١/ ١٠٩ ، =

٥٧. قوله تعالى: ﴿وَضَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ﴾ الآية . معناه : سترناكم عن الشمس بالغمام^(١) . والظل^(٢) في اللغة ، معناه الستر ، يقال : لا أزال الله عنا ظل^(٣) فلان ، أي ستره ، وظل الشجرة : سترها ، ويقال لظلمة^(٤) الليل : ظل^(٥) ؛ لأنها تستر الأشياء^(٦) . ومنه قوله^(٧) : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ﴾ [الفرقان : ٤٥] . قال ذو الرمة :

قَدْ أَعْسَفُ النَّازِحِ الْمَجْهُولُ^(٨) مَعْسِفُهُ
فِي ظِلٍّ أَخْضَرَ يَدْعُو هَامَهُ الْبُومُ^(٩)

= وتفسير أبي الليث ٣٥٧/١ ، والكشاف ٢٨٣/١ ، وتفسير القرطبي ٣٤٥/١ ، وتفسير البياضوي ٢٦/١ ، وتفسير النسفي ١٢٨/١ ، والبحر المحيط ٢١٣/١ .

(١) انظر : تفسير أبي الليث ٣٥٧/١ ، وتفسير الثعلبي ٧٤/١ ب ، وتفسير البغوي ٧٥/١ ، وتفسير القرطبي ٣٤٦/١ .

(٢) في (ب) : (الظل) .

(٣) في (ب) : (ظل) .

(٤) في (ب) : (الظلمة) .

(٥) في (ج) : (ستر ظل) .

(٦) انظر : تهذيب اللغة (ظل) ٢٢٤٦/٣ ، والصحاح (ظل) ١٧٥٥/٥ ، ومقاييس اللغة (ظل) ٤٦١/١٣ .

(٧) قوله ساقط من (ب) .

(٨) في (ب) : (المعسوف) .

(٩) ورد في مفردات الراغب : (المجهود) بدل (المجهول) ، وفي الديوان وبعض المصادر (في ظل أغضف) ، وقوله : (أعسف) : أخذ في غير هدى ، و(النازح) : الخرق البعيدة ، وهي الأرض القفر الواسعة ، (في ظل أخضر) في ستر ليل أسود ، (يدعو هامة اليوم) : يتجاوب هامة وبومه ، والهام ذكر البوم . ورد البيت في التهذيب (خضر) ١٠٤٦/١ ، والصحاح (ظلل) ١٧٥٥/٥ ، و(هيم) ٢٠٦٣/٥ ، ومقاييس اللغة (بوم) ٢٢٣/١ ، و(ظلل) ٤٦١/٣ ، و(عسف) ٣١١/٤ ، و(غضف) ٤٢٦ ، والأضداد لابن الأنباري ٣٤٨ ، ومفردات الراغب ١٥٠ ، وشرح العكبري لديوان المتنبي ١٥٣/٢ ، والخزانة ١٠٠/٧ ، واللسان (خضر) ١١٨٥/٢ ، و(عسف) ٢٩٤٣/٥ ، و(ظلل) ٢٧٥٤/٥ ، و(هوم) ٢٧٢٤/٨ ، وديوان ذي الرمة ٤٠١/١ .

يريد بالأخضر^(١) : الليل . قال الفرّاء : والظلة : ما سترك من فوق ، ويقال : أظل يومنا ، إذا كان ذا سحب ؛ لأنه يستر الشمس^(٢) . الغمام جمع غمامة ، وهي السحاب سمي غماماً لأنه يغمُّ السماء ، أي يسترها ، وكل ما ستر شيئاً فقد غمّه^(٣) . قال الحطيئة :

إِذَا غَبَّتْ عَنَّا^(٤) غَابَ عَنَّا رَبِّيعُنَا
وَنُسْقَى^(٥) الْغَمَامَ الْغُرَّ حِينَ تَوُوبُ^(٦)

قال شمر : يجوز أن يسمى غماماً لتغمغمه^(٧) ، وهو صوته^(٨) . وقيل : سمي غماماً ، لأنه يغمُّ الماء في جوفه ، أي يستره .

قال المفسرون : هذا كان حين أبوا على موسى دخول بلقاء^(٩) مدينة الجبارين ، فتأهوا في الأرض ثم ندموا على ذلك^(١٠) .

-
- (١) في (ب) و(ج) : (الأخضر) بسقوط الباء .
 (٢) انظر : تهذيب اللغة (ظل) ٢٢٤٦/٣ ، واللسان (ظلل) ٢٧٥٤/٥ .
 (٣) انظر : تفسير الطبري ٣٩٢/١ ، وتفسير الثعلبي ٧٤/١ ، ومفردات الراغب ٣٦٥ ، وتفسير القرطبي ٣٤٦/١ ، واللسان (غمم) ٣٣٠٣/٦ .
 (٤) (عنا) ساقطة من (ب) .
 (٥) في (ب) : (تسقى) .
 (٦) قاله الحطيئة يمدح سعيد بن العاص بن أمية ، ورد في اللسان (غمم) ٣٣٠٣/٦ ، وفي ديوان الحطيئة ٢٤٨ .
 (٧) في (ب) : (لتغممه) .
 (٨) في (ج) : (صونه) .
 (٩) (البلقاء) كورة من أعمال دمشق بين الشام ووادي القرى ، وفيها قرى كثيرة ومزارع ، قال ياقوت : ومن البلقاء قرية الجبارين ، معجم البلدان ٤٨٩/١ ، وذكر ابن جرير في هذه الآية عن السدي أنها (أريحا) . وفي القرية التي أمروا بدخولها خلاف يأتي في الآية بعدها .
 (١٠) انظر : تفسير الطبري ٢٦٩/١ ، وتفسير أبي الليث ٣٥٧/١ ، وتفسير الثعلبي ٧٤/١ ، تفسير البغوي ٧٥/١ ، وتفسير القرطبي ٤٠٦/١ .

وكانت العزيمة^(١) من الله أن يحبسهم في التيه، فلما ندموا لطف الله لهم^(٢) بالغمام والمن والسلوى كرامة لهم ومعجزة لنبيهم. والمن: الصحيح أنه الترنجيبين^(٣)، وكان كالعسل الجامس^(٤) حلاوة، كان يقع على أشجارهم^(٥) بالأسحار عفواً بلا علاج منهم، ولا مقاساة مشقة^(٦)، ومنه قوله ﷺ: «الكماء من المن»^(٧).

- (١) هكذا في النسخ جميعها، وهذا اللفظ فيه تحوُّز، إذ لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه من الصفات الذاتية الفعلية، ثم نحن لا نعرف ما إرادة الله بنبي إسرائيل. والله أعلم.
- (٢) في (ب): (هم).
- (٣) ذكره الطبري ٢٩٣/١، والزجاج في المعاني ١٠٩/٢، والأزهري في التهذيب (من) ٣٤٥٩/٤، وقال ابن قتيبة (الطرنجيبين)، غريب القرآن ٤٩، وقال الجوهري: شيء حلو كالطرنجيبين، الصحاح (من) ٢٢٠٧/٦، وقد قيل في المن أقوال كثيرة، ذكر الطبري في تفسيره بعضها، منها: قيل: إنه شراب كالعسل، وقيل: هو العسل، وقيل: الخبز الرقائق، وقيل: الزنجبيل، وقيل: هو ما يسقط على الشجر، انظر: الآثار في الطبري ٢٩٣/١-٢٩٥، وانظر: الثعلبي في تفسيره ٧٤/١ ب، زاد المسير ٨٤/١، وقال ابن كثير بعد أن ذكر الأقوال: «والغرض أن عبارات المفسرين متقاربة في شرح المن، فمنهم من فسره بالطعام، ومنهم من فسره بالشراب، والظاهر والله أعلم: أنه كل ما امتن الله به عليهم من طعام وشراب وغير ذلك، مما ليس لهم فيه عمل ولا كد...»، ابن كثير ١٠١/١-١٠٢.
- (٤) الجامس: الجامد، اللسان (جس) ٦٧٧/٢، وفي تهذيب اللغة (الجامس) بالخاء، (من) ٣٤٥٩/٤، وكذا في اللسان (من) ٤٢٧٩/٧. وفي الوسيط (الجامس) ١١٢/١.
- (٥) في (أ) و(ج): (أسحارهم)، وما في (ب) هو الصواب.
- (٦) ذكره الأزهري في تهذيب اللغة عن الليث (من) ٣٤٥٩/٤، وانظر: اللسان (من) ٤٢٧٩/٧.
- (٧) الحديث أخرجه البخاري (٤٤٧٨)، كتاب: (التفسير)، تفسير سورة البقرة، باب: ﴿وَلَلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ﴾ عن سعيد بن زيد قال: قال رسول الله ﷺ: «الكماء من المن وماؤها شفاء للعين». الفتح ٤٦٣٩، وفي تفسير سورة الأعراف، باب (المن والسلوى)، ٥٧٠٨، وكتاب: (الطب)، باب: (المن شفاء للعين)، وأخرجه مسلم (٢٠٤٩)، كتاب: (الأشربة)، (فضل الكماء) عن سعيد بن زيد من طرق عدة، والترمذي، ٢٠٦٦، ٢٠٦٧، ٢٠٦٨، وأبواب: (الطب)، باب: (الكماء والعجوة) عن أبي سعيد وجابر وسعيد بن زيد وأبي هريرة. عارضة الأحوذني بشرح الترمذي، وابن ماجة في كتاب الطب، باب الكماء والعجوة عن أبي سعيد وجابر وسعيد بن زيد وأبي هريرة وأحمد في مسنده عن سعيد بن زيد ١٨٧/١، ١٨٨، وعن أبي هريرة ٣٠١/٢، ٣٠٥، ٣٢٥، ٣٥٦، ٣٥٧، ٤٢١، ٤٨٨، ٤٩٠، ٥١١، وقد جمع طرقه ابن كثير في تفسيره.

قال أبو عبيدة^(١): «إنما شبهها بالمن الذي كان يسقط على بني إسرائيل؛ لأنه كان ينزل عليهم عفواً بلا علاج، إنما يصبحون وهو بأفئيتهم فيتناولونه، وكذلك الكمأة لا مؤنة فيه بذر ولا سقي».

قال أبو إسحاق: جملة المن ما يمن الله به مما لا تعب فيه ولا نصب^(٢)، وأما السلوى، فقال المفسرون: إنه طائر كالسماني^(٣). قال الليث: الواحدة سلواة^(٤) وأنشد:

كَمَا اتَّفَضَ السَّلْوَاةُ مِنْ بَلَلِ الْقَطْرِ^(٥)

- (١) في (أ) و(ج): (أبو عبيد)، والكلام لأبي عبيدة كما في تهذيب اللغة (من) ٣٤٥٩/٤.
- (٢) معاني القرآن للزجاج ١/١١٠، وانظر: تهذيب اللغة (من) ٣٤٥٩/٤.
- (٣) في (أ) (السمان). ذكره ابن جرير عن ابن عباس، والسدي، وقتادة، ومجاهد، ووهب، وابن زيد، والربيع بن أنس، وعامر، والضحاك، الطبري في تفسيره ١/٢٩٣-٢٩٥، نحوه في تفسير ابن أبي حاتم ١/٣٦٥، وانظر: معاني القرآن للزجاج ١/١١٠، وتفسير الثعلبي ١/٧٥، انظر: تفسير ابن عطية ١/٣٠٥.
- (٤) تهذيب اللغة (سلا) ١٧٢٦/٢، وانظر: اللسان (سلا) ٢٠٨٥/٤، وقال الأخفش: لم يسمع له بواحد، وهو شبيه أن يكون واحده (سلوى) مثل جماعته، معاني القرآن للأخفش ١/٢٦٨، وكذا قال الفراء، انظر: معاني القرآن ١/٣٨.
- (٥) في (ج): (تلك).
- (٦) صدره:

وَإِنِّي لَتَعْرُوْنِي لِذِكْرِكَ هَزَّةٌ.

وورد في تهذيب اللغة (سلا) ١٧٢٦/٢، واللسان (سلا) ٢٠٨٥/٤، والوسيط للمؤلف ١/١١٢، وتفسير القرطبي ١/٤٠٨، والبحر المحيط ١/٢٠٥، والدر المصون ١/٣٠٧، وهو غير منسوب في هذه المصادر.

وهذا قول أكثرهم . وقال بعضهم : السلوى : العسل بلغة كنانة^(١) ، ومثله قال أبو عبيدة^(٢) ، وأنشد لخالد بن زهير الهذلي :

وَقَاسَمَهَا^(٣) بِاللَّهِ جَهْدًا لَّا تَنْتُمْ أَلْذُّ مِنَ السَّلْوَى إِذَا مَا نَشُورُهَا^(٤)

قال أبو علي الفارسي : قرئ على أبي إسحاق في مصنف القاسم^(٥) : السلوى : العسل ، مع بيت خالد بن زهير . فقال لنا أبو إسحاق : السلوى طائر ، وغلط خالد بن زهير ، وظن أنه العسل^(٦) ، قال أبو علي : والذي عندي في ذلك : أن السلوى كأنه ما يسلي عن غيره لفضيلة [فيه ، من فرط طيبه ، أو قلة علاج ومعاناة ، العسل^(٧) لا يمتنع أن يسمى سلوى لجمعه الأمرين كما يسمى الطائر]^(٨) الذي كان يسقط مع المن به . قلت : والسلوى بمعنى العسل صحيح

(١) ذكره الثعلبي في تفسيره عن المؤرج السدوسي ١/ ١٧٥ ، وعن ابن الأعرابي : السلوى : طائر ، وهو في غير القرآن : العسل ، ونحوه عن ابن الأنباري التهذيب (سلا) ٢/ ١٧٢٦ .

(٢) في (ب) : (أبو عبيدة) . وكلام أبي عبيد في تهذيب اللغة (سلا) ٢/ ١٧٢٦ ، وانظر : اللسان (سلا) ٤/ ٢٠٨٥ .

(٣) في (ب) : (وقاسمها) .

(٤) البيت من قصيدة لخالد بن زهير يخاطب أبا ذؤيب الهذلي ، في قصة حصلت بينهما حول امرأة كانا يترددان عليها ، ذكرها السكري في شرح أشعار الهذليين . و(السلوى) هاهنا : العسل ، و(الشور) : أخذ العسل من مكانه . ورد البيت في شرح أشعار الهذليين ١/ ٢١٥ ، وتهذيب اللغة (سلا) ٢/ ١٧٢٦ ، وتفسير الطبري ٨/ ١٤١ ، والصحاح (سلا) ٦/ ٢٣٨١ ، وتفسير الثعلبي ١/ ١٧٥ ، والمخصص ٥/ ١٥ ، ١٤/ ٢٤١ ، واللسان (سلا) ٤/ ٢٠٨٦ ، وتفسير القرطبي ١/ ٣٤٧ ، والبحر المحيط ١/ ٢٠٥ ، ٤/ ٢٧٩ ، والدر المصون ١/ ٣٧٠ ، وفتح القدير ١/ ١٣٨ ، والخزانة ٥/ ٨٢ ، وزاد المسير ١/ ٨٤ .

(٥) في (ب) : (بالقاسم) . والقاسم : هو أبو عبيد القاسم بن سلام ، وكتابه هو (الغريب المصنف) من أجل كتب اللغة . انظر : طبقات النحويين واللغويين ٢٠١ ، وإنباه الرواة ٣/ ١٤ .

(٦) وقد غلط كذلك ابن عطية في تفسيره ١/ ٣٠٦ ، وانظر : تفسير القرطبي ١/ ٣٤٨ .

(٧) كذا ورد في (ب) ، ولعل الصواب (والعسل . . .) .

(٨) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) و(ج) .

في اللغة^(١)، وإن أنكره أبو إسحاق، ولكن الذي في الآية المراد به الطائر، لإجماع أهل التفسير عليه.

قال أبو العالية ومقاتل: بعث الله - عز وجل - سحابة فمطرت^(٢) السمان في عرض ميل، وقدر طول رمح في السماء، بعضه على بعض^(٣).

وقوله تعالى: ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ﴾ أي وقلنا لهم^(٤): كلوا من طيبات، أي حلالات^(٥)، فالطيب: الحلال، لأنه طاب، والحرام يكون خبيثاً، وأصل الطيب: الطاهر، فسمى الحلال طيباً؛ لأنه طاهر لم يتدنس بكونه حراماً^(٦).

﴿وَمَا ظَلَمُونَا﴾: يابأئهم على موسى دخول هذه القرية، ولكنهم ظلموا أنفسهم حين تركوا أمرنا فحبسناهم في التيه، فكانوا إذا أصبحوا وجدوا أنفسهم حيث ارتحلوا منذ أربعين سنة^(٧).

(١) ونحوه قال القرطبي في تفسيره في معرض رده على ابن عطية في تخطئته للهذلي: «وما ادعاه من الإجماع لا يصح، وقد قال المؤرج أحد علماء اللغة والتفسير: إنه العسل... وقال الجوهري: السلوى: العسل، وذكر بيت الهذلي...». القرطبي ١/٣٤٧، ٣٤٨، وقد مر قريباً كلام المؤرج وأبي عبيد أنه بمعنى: العسل، انظر: الصحاح (سلا) ٦/٢٣٨١.

(٢) قوله: (سحابة فمطرت) ساقط من (ب).

(٣) تفسير الثعلبي ١/٧٥ ب، وانظر: تفسير البغوي ١/٧٥، والبحر المحيط ١/٢١٤.

(٤) انظر: تفسير الطبري، انظر: تفسير ابن عطية ١/٣٠٦، وتفسير القرطبي ١/٣٤٨.

(٥) في (ب): (حلالات).

(٦) انظر: معاني القرآن للزجاج ١/١١٠، وتفسير أبي الليث ١/٣٩٥، وانظر: تفسير ابن عطية ١/٣٠٦، والبغوي في تفسيره ١/٧٥، ورجح ابن جرير أن المعنى: كلوا من شهيوات الذي رزقناكموه، قال: «لأنه وصف ما كان فيه القوم من هانئ العيش الذي أعطاهم، فوصف ذلك بـ (الطيب) الذي هو بمعنى اللذة أخرى من وصفه بأنه حلال مباح».

(٧) نحوه في البحر المحيط ١/٢١٥، وجمهور المفسرين على عموم المعنى، قالوا: وما ظلمونا بفعلهم المعصية وعدم شكرهم تلك النعم، ولكن كانوا أنفسهم يظلمون. انظر: تفسير الطبري، وانظر: تفسير ابن عطية ١/٣٠٦، والكشاف ١/٢٨٣، وزاد المسير ١/٤٨، وتفسير القرطبي ١/٣٤٨، وتفسير البيضاوي ١/٢٦، وتفسير النسفي ١/١٢٩، وتفسير ابن كثير ١/١٠٤.

وقال جماعة من المفسرين : ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ ، أي كلوا من الوجه الذي أمرتم وأحل لكم ، وذلك أنهم نُهوا أن يدخروا لغد ؛ لأن الله تعالى كان يجدد لهم كل يوم من المن والسلوى إلا يوم السبت ، فكانوا يأخذون يوم الجمعة ما يكفيهم ، فتعدوا وادخروا وقددوا وملحوا ، فعصوا ، فقال الله تعالى : ﴿وَمَا ظَلَمُونَا﴾ ، أي ما نقصونا بالمعصية ، ولكن نقصوا حظ أنفسهم باستيجابهم عذابي^(١) . وقيل : معناه : وما ضررنا ولم يعد ضرر ظلمهم^(٢) إلينا وإنما عاد إليهم . وابن عباس في رواية عطاء جعل قوله تعالى : ﴿وَمَا ظَلَمُونَا﴾ إخباراً عن الموجودين في زمن النبي ﷺ ، لأنه قال : [٣] ﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ ، يريد حيث كذبوا نبيي وكفروا نعمتي ، وخالفوا ما أنزلت في التوراة والإنجيل ، ونقصوا عهدي^(٤) .

٥٨ . وقوله تعالى : ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ﴾ الآية . قال الليث : هي القرية ، والقرية لغتان^(٥) ، المكسورة يمانية ، ومن ثم اجتمعوا في جمعها على القرى ، فحملوها على لغة من يقول : كِسوة وكَسَى^(٦) .

وقال غيره^(٧) : القرية بالفتح لا غير ، وكسرهما خطأ ، وجمعها قرى جاءت نادرة^(٨) . ابن السكيت : ما كان من جمع فعلة من الياء والواو على فعال كان

(١) ذكره الثعلبي في تفسيره ١/ ٧٥ ، وانظر : تفسير أبي الليث ١/ ٣٦٠ ، وتفسير البغوي ١/ ٧٥ ، والبحر المحيط ١/ ٢١٥ ، وتفسير الخازن ١/ ١٢٩ .

(٢) في (ج) : (ظلمهم) .

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (ب) .

(٤) لم أجده عن ابن عباس في ما اطلعت عليه ، والله أعلم .

(٥) لغتان ساقط من (ب) .

(٦) تهذيب اللغة (قرا) ٣/ ٣٩١١ ، وانظر : جهرة أمثال العرب ٢/ ٤١١ ، واللسان ٦/ ٣٦١٧ .

(٧) في (ب) : (عكرمة) .

(٨) انظر : تهذيب اللغة (قرا) ٣/ ٣٩١١ ، واللسان ٦/ ٣٦١٧ .

ممدوداً ، مثل : رَكْوَةٌ وَرَكَاءٌ وَشَكْوَةٌ وَشَكَاءٌ ، ولم يسمع في شيء من هذا القصر إلا كَوَّةٌ وَكُوءٌ وَقَرْيَةٌ وَقَرْىٌ جاءتا على غير قياس^(١) .

وقال أصحاب الاشتقاق : اشتقاق القرية من قرية ، أي جمعت ، والمقراة : الحوض يجمع فيه الماء ، والقَرْيُ : مسيل يجتمع الماء إليه^(٢) ، ويقال لبيت النمل : قرية ، لأنه يجمع النمل^(٣) . قَالَ :

كَأَنَّ قَرْىَ نَمْلٍ عَلَى سَرَوَاتِهَا يُلَبِّدُهَا^(٤) فِي لَيْلٍ سَارِيَةٍ قَطْرُ^(٥)
فالقرية تجمع أهلها ، ومنه يقال للظهر : القرى ، لأنه مجتمع^(٦) القوى .

قال المفسرون : إن بني إسرائيل لما خرجوا من التيه ، قال الله^(٧) لهم : ادخلوا هذه القرية^(٨) . قال ابن عباس : هي أريحا^(٩) . وقال ابن كيسان : هي الشام^(١٠) . وقال قتادة والسدي والربيع : هي بيت المقدس^(١١) .

(١) قال الأزهري : أخبرني المنذري عن الحارثي عن ابن السكيت ثم ذكره ، تهذيب اللغة (قرا) ٣ / ٣٩١١ ، وانظر : اللسان (قرأ) ٦ / ٣٦١٧ .

(٢) انظر : الزاهر ٢ / ١٠٧ ، وجمهرة أمثال العرب ٢ / ٤١١ ، وتهذيب اللغة (قرأ) ٣ / ٣٩١١ ، ومقاييس اللغة (قري) ٥ / ٧٨ ، والمحكم ٦ / ٣٠٧ .

(٣) قال ابن سيده : قرية النمل : ما تجتمع من التراب ، المحكم ٦ / ٣٠٧ ، وانظر : اللسان (قرأ) ٦ / ٣٦١٧ . والبيت الذي ذكره يؤيد قول ابن سيده .

(٤) في (ج) : (يلرها) .

(٥) لم أعثر عليه ، ولم أعرف قائله .

(٦) في (ب) : (مجتمع) ، وفي (ج) : (يجمع) .

(٧) في (ج) : (قالهم الله) .

(٨) انظر : تفسير أبي الليث ١ / ٣٦١ ، وتفسير الثعلبي ١ / ٧٥ ب ، تفسير ابن عطية ١ / ٣٠٦ ، وزاد المسير ١ / ٨٤ ، وتفسير ابن كثير ١ / ١٠٤ .

(٩) ذكره الطبري عن ابن زيد ١ / ٢٩٩ ، وأبو الليث عن الكلبي ١ / ٣٦٠ ، وقال ابن كثير بعد أن ذكره عن ابن عباس وابن زيد : «وهذا بعيد ، لأنها ليست على طريقهم وهم قاصدون بيت المقدس» ، ١ / ١٧٧ .

(١٠) ذكره الثعلبي في تفسيره ١ / ٧٥ أ ، والبغوي في تفسيره ١ / ٧٦ .

(١١) ذكره الطبري في تفسيره عنهم ١ / ٢٩٩ وابن أبي حاتم في تفسيره ١ / ٣٦٨ ، وذكره الثعلبي في تفسيره عن مجاهد ١ / ٧٥ ب .

وقوله تعالى: ﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾. هي فَعْلَةٌ من الحَطِّ، وضع الشيء من أعلى إلى أسفل، يقال: حط الحمل عن الدابة، والسيل يحط الحجر عن الجبل^(١)، قال^(٢):

كَجَلْمُودٍ صَخِرَ حَطَّهُ^(٣) السَّيْلُ مِنْ عَلٍ^(٤)

ويقال في الدعاء: حطَّ الله عنك وزرك؛ أي وضعه عنك، فالحِطَّة من الحَطِّ مثل الرِّدَّة من الرِّدِّ، يجوز أن يكون اسماً، ويجوز أن يكون مصدرًا^(٥).

- = قال ابن عطية: هي بيت المقدس في قول الجمهور ٣٠٦/١، وانظر: زاد المسير ٨٤/١، وتفسير القرطبي ٣٤٩/١، والبحر المحيط ٢٢٠/١، وتفسير ابن كثير ١٠٤/١.
- (١) انظر: تفسير الطبري ٣٠٠/١، وتهذيب اللغة (حط) ٨٥٣/١، ومقاييس اللغة ١٣/٢، ومفردات الراغب ١٢٢، واللسان (حطط) ٩١٤/٢.
- (٢) هو امرؤ القيس.
- (٣) (حطه) ساقط من (ب).
- (٤) صدره:

مَكْرٌ مَفْرٌ مَقْبَلٌ مَدْبِرٌ مَعًا.

- يصف الفرس يقول: إذا أردت الكر والفر على العدو فهو كذلك، والمقبل: هو المكر، والمدبر: هو المفر، ثم وصف سرعته وصلابته بالجلمود الساقط من علو، والبيت من الشواهد العربية والنحوية، ورد في الكتاب ٢٢٧/٤، وشرح أبياته للسيرافي ٣٣٩/٢، وتهذيب اللغة (حط) ٨٥٣/١، والمخصص ٢٠٢/١٣، واللسان (حطط) ٩١٤/٧، (علا) ٨٤/١٥، وشرح المفصل ٨٩/٤، وشرح شذور الذهب ١٠٧، ومغني اللبيب ١٥٥/١، والهمع ١٩٦/٣، والخزانة ٣٩٧/٢، ١٥٨/٣، ٢٤٢، ٥٠٦/٦، وديوان امرئ القيس ١١.
- (٥) انظر: تفسير الطبري ٣٠٠/١، وتهذيب اللغة (حط) ٨٥٣/١، واللسان (حطط) ٩١٤/٢. قال أبو عبيدة: هي مصدر من حط عنا ذنوبنا، المجاز ٤١/١، وعلى حاشية (أ) إضافة من الكتاب، صدرها بـ (ش ك)؛ أي شرح من الكاتب وأذكرها للفائدة. «حطة: فَعْلَةٌ من الحَطِّ، كالجلسة والركبة، وهي خبر مبتدأ محذوف، أي مسألتنا حطة، أو أمرك حطة، والأصل: النصب بمعنى حط عنا ذنوبنا حطة، وإنما رفعت لتعطي معنى الثبات كقوله: صبر جميل فكلانا مبتلى. والأصل: صبراً علي، اصبر صبراً، وقرأ ابن أبي عبيدة بالنصب على الأصل، وقيل معناه: أمرنا حطة؛ أي أن نحط في هذه القرية ونستقيم فيها، وهل يجوز أن ينصب (حطة في قراءة من نصبها بـ (قولوا)، على معنى: قولوا هذه الكلمة؟ فاجواب: لا يبعده والأجود أن ينصب بإضمار فعلها، ويتنصب محل ذلك المضمرب (قولوا)، وقرئ (يُغفر لكم خطاياكم) على البناء للمفعول بالياء والتاء». وهو منقول بنصه من الكشاف ٢٨٣/١.

قال ابن عباس في رواية سعيد بن جبير في قوله : ﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾ ؛ أي مغفرة ، فقالوا : حنطة^(١) . وقال مقاتل : إنهم أصابوا خطيئةً بإبائهم على موسى دخول الأرض التي فيها الجبارون ، فأراد الله أن يغفرها لهم ، فقليل لهم : قولوا حطة .

قال أبو إسحاق معناه : قولوا : مسألتنا حطة ، أي حط ذنوبنا عنا ، والقراءة بالرفع على هذا التأويل . قال : ولو قرئت حطة^(٢) كان وجهاً في العربية ، كأنه قيل لهم : قولوا^(٣) : احطط عنا ذنوبنا حطة^(٤) .

وقال الليث : بلغنا أن بني إسرائيل حين قيل لهم : وقولوا حطة ، إنما قيل لهم ذلك حتى يستحطوا بها أوزارهم فتَحَطَّ عنهم^(٥) . وقال عكرمة : وقولوا حطة ، أي كلمة يحط^(٦) بها عنكم خطاياكم ، وهي : لا إله إلا الله ؛ لأنها تحط الذنوب^(٧) .

(١) أخرجه الطبري ١/ ٣٠٠، ٣٠٣، ٣٠٤، وابن أبي حاتم في تفسيره ١/ ٣٧٢، والحاكم في المستدرک، وقال : على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي ٢/ ٢٦٢، وانظر : إعراب القرآن للنحاس ١/ ١٧٨، وتفسير القرطبي ١/ ٣٥٠، وتفسير ابن كثير ١/ ١٠٥، والرواية بنصبها في تهذيب اللغة (حط) ١/ ٨٥٣ .

(٢) قراءة النصب شاذة، وهي قراءة ابن أبي عجلة . انظر : تفسير ابن عطية ١/ ٣٠٧، والكشاف ١/ ٢٨٣، والبحر المحيط ١/ ٢٢٢ .

(٣) (قولوا) ساقط من (ب) .

(٤) معاني القرآن للزجاج ١/ ١١٠، وانظر : تهذيب اللغة (حط) ١/ ٨٥٣ .

(٥) تهذيب اللغة (حط) ١/ ٨٥٣ .

(٦) في (ب) : (تحط) .

(٧) أخرج الطبري في تفسيره بسنده عن عكرمة : قال قولوا : (لا إله إلا الله) ١/ ٣٠١، ٣٠٠، ونحوه في تفسير ابن أبي حاتم ١/ ٣٨٢، وذكره السيوطي في الدر ، وعزاه إلى عبد بن حميد والطبري في تفسيره وابن أبي حاتم في تفسيره ١/ ٢٨٥ .

قال الفرّاء : فإن يك كذلك فينبغي أن يكون حطة منصوبة^(١) في القراءة ، لأنك^(٢) تقول : قلت : لا إله إلا الله ، فيقول السامع : قلت كلمة صالحة ، وإنما يكون الرفع والحكاية إذا صلح قبلها إضمار ، فإذا لم يصلح كان منصوباً ، كما تقول^(٣) : قلت كلاماً حسناً^(٤) . وقوله تعالى : ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ ﴾ [الكهف: ٢٢] هو رفع ، لأن قبله ضمير أسمائهم ، المعنى : هم ثلاثة ، وقوله : ﴿ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ ﴾ [النساء: ١٧١] أي ولا تقولوا الآلهة ثلاثة^(٥) .

وقال ابن الأنباري : إذا جاء بعد القول حرف مفرد يجوز أن يكون نعتاً للقول نصبه كقولك : قلت حقاً ؛ لأنه يحسن أن يقال : قلت قولاً حقاً ، وكذلك : قلت صواباً وقلت خطأ ، وإذا جاء حرف مفرد لا يجوز أن يكون نعتاً للقول رفعت ، كقوله : ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ ﴾ ، معناه : سيقولون هم ثلاثة ، ولا وجه للنصب^(٦) .

وقوله : ﴿ وَقُولُوا حِطَّةٌ ﴾^(٧) فحوى الكلام ، وإجماع القراء على رفعها ، دليل على أنهم أمروا بهذه اللفظة بعينها^(٨) . فإن كانوا لم يؤمروا بهذه اللفظة بعينها

(١) نص كلام الفرّاء : قال : « وبلغني أن ابن عباس قال : أمروا أن يقولوا : نستغفر الله ، فإن يك كذلك فينبغي أن تكون (حطة) منصوبة » المعاني ٣٨ / ١ . قال الطبري في تفسيره : « وأما على تأويل قول عكرمة فإن الواجب أن تكون القراءة بالنصب في (حطة) . . . » ، ثم قال : « وفي إجماع القراء على رفع (الحطة) بيان واضح على خلاف الذي قاله عكرمة من التأويل في قوله : (وقولوا حطة) . . . » ١٠٨ / ٢ .

(٢) (لأنك) ساقط من (ب) .

(٣) في (أ) و(ج) : (يقول) ، وما في (ب) . موافق لما في معاني القرآن ٣٨ / ١ ، وهو الأنسب للسياق .

(٤) في المعاني : « وإنما تكون الحكاية إذا صلح قبلها إضمار ما يرفع أو ينخفض أو ينصب ، فإذا ضمنت ذلك كله فجعلته كلمة ، كان منصوباً بالقول كقولك : مررت بزيد ، ثم تجعل هذا كلمة ، فتقول : قلت كلاماً حسناً . . . » ٣٨ / ١ .

(٥) معاني القرآن للفرّاء ٣٩ / ١ .

(٦) انظر : معاني القرآن للفرّاء ٣٨ / ١ ، وتفسير الطبري ٣٠١ / ١ .

(٧) في (ب) : (وقولوا) .

(٨) ذكر الطبري في الوجه الذي رفعت من أجله (حطة) أقوالاً عدة : فقيل : رفعت على معنى : (قولوا) =

فنصبها جائز على معنى : قولوا قولاً حاطاً لذنوبكم . ويجوز نصبها أيضاً وإن كانوا قد أمروا بها على معنى : وقولوا : احطط عنا يا ربنا ذنوبنا حطة^(١) ، مثل قراءة من قرأ : ﴿قَالُوا مَعْذَرَةٌ﴾^(٢) [الأعراف: ١٦٤] بالنصب . وإذا جاء بعد القول جملة من الكلام ، لم يكن للقول فيها عمل ، كقولك : قلت : عبد الله عالم ، فهو عامل^(٣) في موضع الجملة ؛ لأنها مجعولة في موضع الكلام ، ولو قلت : قلت^(٤) كلاماً ، نصبت . وسنذكر بياناً لهذا زائداً عند قوله : ﴿قُلِ الْغَفْوُ﴾ [البقرة: ٢١٩] إن شاء الله . والأصح والذي عليه الجمهور : أنهم أمروا بهذه اللفظة بعينها ، وقد روي لنا عن الأزهري^(٥) ، عن المنذري عن ابن فهم^(٦) ، عن محمد بن سلام^(٧) ، عن يونس قال : قوله : ﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾^(٨) هذه حكاية ، هكذا أمروا^(٩) .

ليكن منك حطة لذنوبنا . وقيل : هي كلمة مرفوعة أمروا بقولها كذلك ، وهذان القولان لنحويي البصرة . وقيل : رفعت بتقدير : هذه حطة . وقيل : رفعت بضمير معناه الخبر ، كأنه قال : قولوا ما هو حطة فتكون حطة خبر (ما) ونسب هذين القولين لنحويي الكوفة . الطبري في تفسيره ٣٠٠/١ ، وانظر : مجاز القرآن لأبي عبيدة ٤١/١ ، وإعراب القرآن للنحاس ١٧٨/١ ، وتفسير الغريب لابن قتيبة ٥٠ ، ومشكل إعراب القرآن ٤٨/١ .

- (١) انظر : معاني القرآن للفرأء ٣٨/١ ، والأخفش ٢٦٩/١ ، والزجاج ١١٠/١ .
- (٢) قراءة خفض عن عاصم بالنصب وبقية السبعة بالرفع ، انظر : السبعة لابن مجاهد ٢٩٦ ، والتيسير ١٤٤ .
- (٣) في (ب) : (عالم) .
- (٤) (قلت) ساقط من (ب) .
- (٥) في (ب) : (الزهري) .
- (٦) هو الحافظ العلامة ، أبو علي الحسين بن محمد بن فهم بن محرز البغدادي ، روى عن محمد بن سلام وغيره ، قال الدار قطني : ليس بالقوي ، وفاته سنة تسع وثمانين ومئتان . انظر : تاريخ بغداد ٩٢/٨ ، وسير أعلام النبلاء ٤٢٧/١٣ ، وتذكرة الحفاظ ٦٨٠/٢ .
- (٧) هو محمد بن سلام بن عبيد الله بن سالم ، أبو عبد الله الجمحي ، البصري ، مولى قدامة بن مظعون ، كان من أهل اللغة والأدب ، روي عنه الجمل الغفير ، مات سنة اثنتين وثلاثين ومئتان . انظر : طبقات اللغويين والنحويين ١٨٠ ، وتاريخ بغداد ٣٢٧/٥ ، وإنباه الرواة ١٤٣/٣ .
- (٨) (الواو) ساقطة من (ب) .
- (٩) تهذيب اللغة (حط) ٨٥٣/١ ، وذكره الأخفش عن يونس في معاني القرآن ٢٧٠/١ ، ونحوه عند أبي عبيدة في مجاز القرآن ٤١/١ ، وذكر هذا القول الطبري في تفسيره ٣٠١/١ ، وانظر : تفسير أبي الليث ٣٦٢/١ .

وقوله تعالى: ﴿وَأَدْخُلُوا الْبَابَ﴾^(١). يعني: باباً من أبوابها^(٢). ﴿سُجَّدًا﴾: قال ابن عباس: ركعاً^(٣)، وهو شدة الانحناء، والمعنى: منحنين متواضعين^(٤).

قال مجاهد: هو باب حطة من بيت المقدس، طُوطئ لهم الباب؛ ليخفصوا رؤوسهم، فلم يخفصوا ولم يركعوا، ودخلوا متزحفين على استأهمهم^(٥). قال الحسين بن الفضل: لو لم يسجدوا لذكر الله ذلك منهم، وذمهم به كما ذمهم بتبديل الكلمة لما قالوا خلاف ما أمروا به^(٦). والله أعلم.

وقوله تعالى: ﴿تَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ﴾، أصل الغفر: الستر والتغطية، وغفر الله ذنوبه، أي سترها، كل شيء سترته قد غفرته. والمغفر يكون تحت بيضة

(١) في (ب): (سجدا).

(٢) أي أبواب القرية. انظر: الثعلبي في تفسيره ١/ ٧٥ ب.

(٣) أخرجه الطبري ١/ ٣٠٠، وابن أبي حاتم في تفسيره ١/ ٣٧٠، وأخرجه الحاكم في المستدرك، وقال: صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه ووافقه الذهبي. المستدرك ٢/ ٢٦٢، وذكره السيوطي في الدر، وعزاه إلى ابن جرير، والحاكم وابن أبي حاتم ووكيع والفريابي، وعبد بن حميد وابن المنذر، الدر ١/ ١٣٨.

(٤) انظر: الثعلبي في تفسيره ١/ ٧٥ ب، وانظر: تفسير ابن عطية ١/ ٣٠٧.

(٥) في (ب): (استأهم). أخرجه الطبري في تفسيره ١/ ٣٠٠، ٣٢٥، وانظر: تفسير ابن أبي حاتم ١/ ٣٧٥، وتفسير الثعلبي ١/ ٧٥ ب، والدر المنثور ١/ ١٣٨. وقد ورد عن ابن عباس نحوه في روايات كثيرة، انظر: تفسير الطبري ١/ ٣٠٤. كما ورد بهذا المعنى حديث مرفوع عن أبي هريرة، أخرجه البخاري، انظر: الفتح ٨/ ١٦٤، وتفسير الطبري ١/ ١٣٨.

(٦) قول الحسين لم أجده في ما اطلعت عليه، والله أعلم. والحديث الصحيح، والآثار ترد قوله، ففي البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، قال: «قيل: لبني إسرائيل: (ادخلوا الباب سجداً وقولوا حطة) فدخلوا يزحفون على استأهمهم، فبدلوا»، وقالوا: حطة حبة في شعرة. الفتح ٨/ ١٦٤، وكذا الآثار عن ابن عباس ومجاهد في هذا المعنى كلها ترد قول الحسين بن الفضل، انظر: تفسير الطبري ١/ ٣٠١.

(٧) بالياء على قراءة نافع، انظر: السبعة ١٥٧.

الحديد يغفر الرأس^(١). قال ابن شميل : هي حَلَقٌ تُجَعَلُ أسفل البيضة تسبغ على العنق فتقيه ، وربما جعل من ديباج وخز أسفل البيضة .

الأصمعي : غفر الرجل متاعه يغفر غفراً : إذا أوعاه . ويقال : اصبغ ثوبك فإنه أغفر للوسخ ، أي أعطى له^(٢) . والغفارة : خرقة تستر رأس المرأة تقي بها الخمار من الدهن^(٣) ، وكل ثوب يغطي به شيء فهو غفارة ، ومنه غفارة البزبون^(٤) يغشى بها الرجال^(٥) .

وأجمع القراء على إظهار الراء عند اللام ، إلا ما روي عن أبي عمرو من إدغامه الراء عند اللام^(٦) . قال الزَّجَّاج : وهو خطأ فاحش ، وأحسب الذين رَوَوْا^(٧) عن أبي عمرو غالطين^(٨) ، ولا يدغم الراء في اللام إذا قلت : مر لي بشيء ؛ لأن

(١) تهذيب اللغة (غفر) ٣/٢٦٧٩ ، وانظر : تفسير الطبري ١/٣٠٢ ، والزاهر ١/١٩٢ ، والصحاح (غفر) ٢/٧٧٠ ، ومقاييس اللغة (غفر) ٤/٣٨٥ ، واللسان (غفر) ٦/٣٢٧٢ .

(٢) كلام ابن شميل والأصمعي ذكره الأزهري في تهذيب اللغة (غفر) ٣/٢٦٧٩ ، وانظر : الزاهر ١/١٠٩ .

(٣) ذكره الأزهري عن أبي عبيد عن أبي الوليد الكلابي ، تهذيب اللغة (غفر) ٣/٢٦٧٩ .

(٤) (البزبون) كذا ورد في تهذيب اللغة ٣/٢٦٧٩ ، وفي اللسان (الزنون) ١/٢٧٧ ، وقال في الصحاح : (البزبون) بالضم السندس (بزن) ٥/٢٠٧٨ ، وأورد صاحب اللسان ١/٢٧٨ كلام الجوهري ، ثم قال : وقال ابن بري : هو رقيق الديباج .

(٥) في (ب) : (الرجال) . والكلام ذكره الأزهري عن أبي عبيد عن الأموي ، تهذيب اللغة (غفر) ٣/٢٦٧٩ ، وانظر : اللسان (غفر) ٦/٣٢٧٤ .

(٦) نقل بعضهم عن أبي عمرو إدغام الراء من دون اختلاف ، بعضهم نقل عنه باختلاف . انظر : السبعة ١٢١ ، والتيسير ٤٤ ، والكشف ١/١٥٧ ، والنشر ٢/١٢ .

(٧) في (ب) : (رووا ذلك) ، والزيادة ليست في المعاني للزَّجَّاج ١/٤٠٠ .

(٨) وعلى نهجه سار الزخشي في تفسير قوله تعالى : ﴿ فَيَعْفُورُ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ قال : «إِنْ قلت : كيف يقرأ الجازم ؟ قلت : يظهر الراء ؛ ويدغم الباء ، ومُدغم الراء في اللام لاحتِ مَخْطِئُ خطأ فاحشاً ، وراويهِ عن أبي عمرو مَخْطِئُ مرتين ؛ لأنه يلحن وينسب إلى أعلم الناس بالعربية ما يؤذن بجهل عظيم ، والسبب في نحو هذه الروايات قلة ضبط الرواة ، والسبب في قلة الضبط قلة الدراية ، ولا يضبط نحو هذا إلا أهل النحو» ، الكشف ١/٤٠٧ ، وانظر : البيان ١/٨٣ ، ومذهب سيويهِ وأصحابه : =

الراء حرف مكرر ، ولا يدغم الزائد في الناقص^(١) للإخلال به ، فأما اللام فيجوز إدغامه في الراء ، ولو أدغمت الراء في اللام لذهب التكرير من الراء ، وهذا إجماع النحويين^(٢) .

وقال أبو الفتح الموصلي : الراء لما فيها من التكرير لا يجوز إدغامها في ما يليها من الحروف ؛ لأن إدغامها في غيرها يسلبها ما فيها من التكرير . وأما قراءة أبي عمرو (نغفر لكم)^(٣) بإدغام الراء في اللام فمدفوع عندنا [وغير معروف عند أصحابنا ، وإنما هو شيء رواه القراء ، ولا قوة له في القياس^(٤) .

والخطايا : جمع خطيئة^(٥) [٥٦] ، وهي^(٦) الذنب على عمد ، قال أبو الهيثم : يقال : خطي : ما صنعه عمداً ، وهو الذنب ، وأخطأ : ما صنعه خطأً غير عمد^(٨) . ويأتي بيان هذا مشروحاً عند قوله : ﴿وَأَخْطَأْتُ بِهِ خَطِيئَتَهُ﴾ [البقرة : ٨١]^(٩) . قال

= أنه لا يجوز إدغام الراء في اللام ، كما في الكتاب ٤/ ٤٤٨ ، والكشف ١/ ١٥٧ . لكن هذا لا يلزم منه رد قراءة سبعية ، وهي مسألة خلافية ، فقد ذكر أبو حيان في البحر أن الكسائي والفرّاء أجازا ذلك وحكياه سماعاً ، وقد تصدى أبو حيان للرد على الزمخشري وأجاد في ذلك ، انظر : البحر المحيط ٢/ ٣٦١ ، ٣٦٢ ، وانظر : تعليق عضيمة على المقتضب ١/ ٣٤٧ .

(١) قوله : (ولا يدغم الزائد في الناقص للإخلال به) ليس في المعاني ١/ ٤٠٠ .

(٢) انظر : كلام الزّجاج في المعاني ١/ ٤٠٠ . عند تفسير قوله تعالى : ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ .

(٣) البقرة : [٥٨] ، الأعراف : [١٦١] ، وفي سر صناعة الإعراب : ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ من دون واو ، جزء من آية في الأحقاف : [٣١] ، الصف : [١٢] ، ونوح : [٤] .

(٤) سر صناعة الإعراب لأبي الفتح بن جني ١/ ١٩٣ ، والرواية إذا ثبتت فهي أقوى من القياس ، وانظر : التعليق السابق على كلام الزّجاج .

(٥) ذهب بعض الكوفيين إلى أنه : جمع (خطية) من دون همز ، واختاره الطبري ، ١/ ٣٠٢ ، وانظر : تفسير ابن عطية ١/ ٣٠٨ ، وتفسير القرطبي ١/ ٣٥٣ ، ٣٥٤ .

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) و(ج) .

(٧) في (ب) : (وهو) .

(٨) نص الكلام في التهذيب (خطئت) لما صنعه عمداً وهو الذنب ، (أخطأت) لما صنعه خطأً غير عمد ، تهذيب اللغة (خطي) ١/ ١٠٦١ ، وانظر : اللسان (خطأ) ١/ ١٠٦١ .

(٩) وهناك بين الواحدي الفرق بين (أخطأ) و(خطي) .

الزَّجَّاج : الأصل في خطايا كان خطايؤ^(١) مثل خطائع ؛ لأنها جمع خطيئة ، فأبدل من هذه الياء همزة ؛ فصارت [خطائي]^(٢) مثل خطائع .

قلت : وإنما أبدلت هذه^(٣) الياء همزة ؛ لأن هذه الياء إذا وقعت في الجمع صارت همزة ، مثل : ترائب وسحائب ، وعلة ذلك نذكرها في قراءة من قرأ : معائش^(٤) بالهمزة^(٥) . رجعنا إلى كلام الزَّجَّاج : فاجتمعت همزتان ، فقلبت الثانية ياء فصار خطائي مثل خطاعي ، ثم قلبت الياء والكسرة إلى الفتحة والألف ، فصار خطاءً ، مثل خطاعاً^(٦) فأبدلت الهمزة ياء ، لوقوعها بين ألفين ، وإنما أبدلت الهمزة حين وقعت بين ألفين ؛ لأن الهمزة مجانسة للألفات ، فاجتمعت ثلاثة أحرف من جنس واحد ، فأبدلت الهمزة ياء فصارت خطايا^(٧) . وقوله

(١) كذا وردت في (أ) و(ج) ، وفي (ب) : (كل خطايا) وهو خطأ ، وفي معاني القرآن للزَّجَّاج رسمت (خطائي) ، وكلامه يدل على أن المراد خطائي ، فلم يذكر أصل الكلمة خطايي كما في تهذيب اللغة ، انظر : معاني القرآن للزَّجَّاج ١/١١١ ، وتهذيب اللغة (خطي) ١/١٠٦٠ ، ١٠٦١ .

(٢) في (أ) و(ج) : (خطايو) ، وفي (ب) : (خطاي) ، وما أثبت هو المثبت في تهذيب اللغة ١/١٠٦٠ ، ١٠٦١ ، وقريب مما في (ب) ، وفي اللسان : (خطائي) . اللسان (خطأ) ٢/١١٩٣ .

(٣) في (ج) : (همزة) .

(٤) الأعراف : [١٠] ، والحجر : [٢٠] .

(٥) الجمهور على القراءة بالياء ، وقرأ الأعرج وزيد بن علي والأعمش وخارجة عن نافع وابن عامر في رواية بالهمز ، والقياس القراءة من دون همز ؛ لأن الياء التي في المفرد إذا كانت أصلاً فلا تهمز مثل معائش ، وإذا كانت زائدة همزت مثل : صحيفة وصحائف ، قال أبو حيان : لكن رواه ثقات فوجب قبوله . انظر : البحر المحيط ٤/٢٧١ ، وانظر هذه المسألة في : معاني القرآن للفرّاء ١/٣٧٣ ، والزَّجَّاج ٢/٣٥٣ ، وتفسير ابن عطية ١/٣٠٩ .

(٦) في تهذيب اللغة (خطاي) مثل (خطي) ١/١٠٦١ ، والمثبت هنا مثل ما في معاني القرآن ١/١١١ ، وكذا في اللسان ١/١١٩٣ .

(٧) معاني القرآن للزَّجَّاج ١/١١١ ، والنص من التهذيب (خطي) ١/١٠٦١ ، واللسان (خطأ) ٢/١١٩٣ ، وانظر : إعراب القرآن للنحاس ١/١٧٩ ، وانظر : تفسير ابن عطية ١/٣٠٩ ، والبيان ١/٨٤ والقرطبي في تفسيره ١/٣٥٣ .

تعالى: ﴿وَسَزَيْدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ . أي الذين لم يكونوا من أهل تلك الخطيئة إحساناً وثواباً^(١) .

٥٩ . قوله تعالى: ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾ . (التبديل)
معناه : التغيير إلى بدل ، وذكرناه مستقصى عند قوله : ﴿بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا
غَيْرَهَا﴾ [النساء : ٥٦] ، والمعنى : أنهم غيروا تلك الكلمة التي أمروا بها ،
وقالوا بدل حطة : حنطة ، وهذا^(٢) قول ابن عباس ومجاهد وسعيد بن
جبير والمفسرين^(٣) .

وقال أبو إسحاق : حَرَّفُوا وقالوا كلمة غير هذه التي أمروا بها ، وجملة ما
قالوا إنه أمر عظيم سباهم الله به فاسقين^(٤) .

-
- (١) وقيل : المراد العموم من أهل الخطيئة وغيرهم ، فمن كان محسناً زيد في إحسانه ، ومن كان مخطئاً غفر له خطيئته . انظر : تفسير الطبري ١/ ٣٠٢ ، وتفسير ابن عطية ١/ ٣٠٩ ، والبحر المحيط ١/ ٢٢٤ .
- (٢) في (ب) : (وهو) .
- (٣) انظر : الآثار عنهم في الطبري في تفسيره ١/ ٣٠٢-٣٠٥ ، وكذا في تفسير ابن أبي حاتم ١/ ٣٧٥ ، ولم يرد عندهما عن سعيد ، انظر : زاد المسير ١/ ٨٦ ، وتفسير ابن كثير ١/ ١٠٦ .
- (٤) معاني القرآن للزجاج ١/ ١١٠ .

وقوله تعالى: ﴿فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ . أظهر الكناية هاهنا تأكيداً^(١)، وكُنِّي في سورة الأعراف، فقال: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ﴾ [الأعراف: ١٦٢]. والعرب تظهر الكنايات تأكيداً، قال:

لَا^(٢) أَرَى الْمَوْتَ يَسْبِقُ الْمَوْتَ شَيْءً
نَغْصُ الْمَوْتُ ذَا الْغِنَى وَالْفَقِيرَ^(٣)

أراد: لا أرى الموت يسبقه شيء، فأظهر الكناية. وأنشد ابن الأنباري:

فَيَا رَبَّ لَيْلَى أَنْتَ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ
وَأَنْتَ الَّذِي فِي رَحْمَةِ اللَّهِ أَطْمَعُ^(٤)

أراد: في رحمته أطمع، فأظهر الهاء.

(١) قال الزمخشري: «وفي تكرير (الذين ظلموا) زيادة في تقييح أمرهم وإيذان بأن إنزال الرجز عليهم لظلمهم، وقد جاء في سورة الأعراف بالإضمار»، الكشف ٢٨٣/١، وانظر: تفسير القرطبي ٣٥٤/١، والدر المصون ٣٨١/١.

(٢) في (ج): (ألا ترى).

(٣) البيت نسب إلى عدي بن زيد، ونسبه بعضهم إلى سواد بن عدي، وبعضهم إلى أمية بن أبي الصلت. وهو من شواهد سيبويه ٦٢/١، وانظر: شرح شواهد سيبويه للسيرافي ١٢٥/١، والخصائص ٥٣/٣، والإملاء ٤٥/١، وتفسير القرطبي ٣٥٥/١، ومغني اللبيب ٥٠٠/٢، والخزانة ٣٧٨/١، ٣٧٩، ٩٠/٦، ٣٦٦/١١، واللسان (نغص) ٤٤٨٨/٨، والدر المصون ٣٨١/١، وفتح القدير: ١٤١/١.

(٤) ورد البيت في همع الهوامع ٣٠١/١، والدر اللوامع على همع الهوامع، وشرح شواهد المغني للسيوطي: قال: قيل: إنه لمجنون ليلي، وبحث عنه في شعر مجنون ليلي، الذي جمعه عبدالستار أحمد فرج، ولم أجده، والله أعلم.

والرجز : العذاب^(١) ، [قال رؤبة]^(٢) :

كَمْ رَامَنَا مِنْ ذِي عَدِيدٍ مُبْزٍ^(٣)
حَتَّى وَقَمْنَا كَيْدَهُ بِالرَّجْزِ^(٤)

وقال الله تعالى : ﴿لَيْسَ كَشَفَتْ عَنَّا الرِّجْزَ﴾ [الأعراف: ١٣٤] ، أي العذاب ، ثم يسمى كيد الشيطان رجزاً ؛ لأنه سبب العذاب ، قال الله تعالى : ﴿وَيَذْهَبَ عَنْكُمُ رِجْزَ الشَّيْطَانِ﴾^(٥) [الأفقال: ١١] ، وقوله : ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ [المدثر: ٥٠] قيل : إنه عبادة الأوثان ؛ لأنه سبب العذاب^(٦) .

قال أهل اللغة : وأصل الرجز في اللغة : تتابع الحركات ، ومن ذلك قولهم : ناقة رجزاء إذا كانت قوائمها ترتعد عند قيامها ، ومن هذا رجز الشعر ؛ لأنه أقصر أبيات الشعر ، فالانتقال من بيت إلى بيت سريع^(٧) أو لأن الرجز في الشعر متحرك وساكن ثم متحرك وساكن في كل أجزائه ، فهو كالرعدة في رجل الناقة تتحرك ثم تسكن ، وتستمر^(٨) على ذلك^(٩) .

(١) انظر : غريب القرآن لليزيدي ٧٠ ، وغريب القرآن لابن قتيبة ٤٣ ، والعمدة في غريب القرآن لمكي ٧٦ .

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) و(ج) .

(٣) في (ج) : (رجز) .

(٤) الرجز ورد في الزاهر ٢/ ٢١٤ ، ومعاني القرآن للزجاج ١/ ١١١ ، وورد الثاني في تهذيب اللغة ، وبعده بيت آخر (رجز) ١/ ٥٨٠ ، وكذا في اللسان (رجز) ١/ ٥٩٧ ، وفي زاد المسير ١/ ٨٦ ، والبحر المحيط ١/ ٢١٨ ، وفي ديوان رؤبة ٦٤ . ومعنى (مبزي) أي متفاخر ، (وقمنا) : رددنا كيده .

(٥) في (أ) و(ج) : (وليذهب) تصحيف .

(٦) انظر : الوسيط ١/ ١١٥ ، ومفردات الراغب ١٨٨ .

(٧) ذكره الأزهري عن الليث ، تهذيب اللغة (رجز) ٢/ ١٣٥٦ ، وانظر : مفردات الراغب ١٨٧ .

(٨) في (ج) : (ويستمر) .

(٩) انظر : اللسان (رجز) ٣/ ١٥٨٨ .

فحقيقة معنى الرجز : أنه العذاب المقلقل لشدته ^(١) قلقلة شديدة متتابعة ^(٢) .
قال الضحاك : أرسل الله عليهم ظلمةً وطاعوناً فهلك منهم في ساعة واحدة
سبعون ألفاً ، عقوبة لهم بتبديلهم ما أمروا ^(٣) به .

٦٠ . قوله تعالى : ﴿وَإِذْ أَسْتَسْقَى﴾ الآية . قال المفسرون : عطش بنو إسرائيل
في التيه ، فقالوا : يا موسى ، من أين لنا الشراب ؟ فاستسقى لهم
موسى ، فأوحى الله - عز وجل - إليه : أن اضرب بعصاك الحجر ^(٤) .

قال ابن عباس : كان حجراً خفيفاً مربعاً مثل رأس الرجل ، أمر أن يحمله ،
فكان يضعه في مخلاته ^(٥) ، فإذا احتاجوا إلى الماء وضعه وضربه بعصاه ^(٦) ، فعلى
هذا الألف واللام فيه للتعريف ^(٧) .

-
- (١) في (ب) : (لشدة) .
(٢) قال الأزهري : «قال أبو إسحاق : ومعنى الرجز في العذاب : وهو العذاب المقلقل» . التهذيب
(رجز) ٢ / ١٣٦٥ ، واللسان (رجز) ٣ / ١٥٨٨ .
(٣) ذكره الثعلبي في تفسيره ولم يعزه ١ / ٧٥ ب ، وكذا البغوي في تفسيره ١ / ٧٦ ، ولم أجده منسوباً إلى
الضحاك في ما اطلعت عليه ، والله أعلم . قال ابن جرير بعد أن ذكر الآثار في معنى الآية : «وقد
دللنا على أن تأويل (الرجز) العذاب ، وعذاب الله - جل ثناؤه - أصناف مختلفة . وقد أخبر الله - جل
ثناؤه - أنه أنزل على الذين وصفنا أمرهم الرجز من السماء ، وجائز أن يكون طاعوناً ، وجائز أن يكون
غيره ، ولا دلالة في ظاهر القرآن ولا في أثر عن الرسول ثابت ، أي الأصناف ذلك كان» ، الطبري في
تفسيره ١ / ٣٠٦ ، وانظر : البحر المحيط ١ / ٢٢٥ .
(٤) ذكره الثعلبي في تفسيره ١ / ٧٦ أ ، وانظر : تفسير أبي الليث ١ / ٣٦٤ ، وورد بهذا المعنى آثار عن
السلف ساقها ابن جرير في تفسيره ١ / ٣٠٦ ، ٣٠٧ .
(٥) المخلّاة : ما يوضع فيه الشيء ، سميت بذلك لأنه يوضع بها الحشيش الذي يختل من الربيع ، أي
يمش . اللسان (خلا) ٢ / ١٢٥٨ .
(٦) ذكره الثعلبي في تفسيره ١ / ٧٦ أ ، والبغوي ١ / ٧٧ ، ونحوه عند الطبري في تفسيره عن ابن عباس
١ / ٣٠٧ ، وابن أبي حاتم في تفسيره ١ / ٣٧٧ ، وفي تفسير أبي الليث ولم يعزه ، وانظر : زاد المسير
١ / ٨٧ ، وتفسير ابن كثير ١ / ١٠٧ .
(٧) أي إن (ال) للعهد ، فهو حجر معهود لدى موسى .
انظر : تفسير الثعلبي ١ / ١٧٦ أ ، والكشاف ١ / ٢٨٤ ، والبحر المحيط ١ / ٢٧٧ .

وقال وهب: كان موسى -عليه السلام- يقرع لهم أقرب^(١) حجر من عرض الحجارة بعصاه، فينفجر عيوناً لكل سبط عين^(٢)، والألف واللام على هذا للجنس^(٣).

وقوله تعالى: ﴿فَأَنْفَجَرْتُمْ﴾، معناه: فضرب فانفجرت، وعرف بقوله: ﴿فَأَنْفَجَرْتُمْ﴾ أنه قد ضرب، ومثله: ﴿أَنْ أَضْرِبَ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَأَنْفَلَقَ﴾ [الشعراء: ٦٣]. قال الفرّاء: ومثله في الكلام: أمرتك بالتجارة فاكْتَسَبت الأموال، والمعنى: فاتجرت فاكْتَسَبت^(٤).

ومعنى انفجرت: انشقت^(٥)، والانفجار: الانشقاق، وأصل الفجر في اللغة: الشق، وفَجَرُ السَّكْرِ: بَثُّهُ^(٦). وسمي فجر النهار لانصداعه، أو^(٧) لشقه ظلمة الليل، ويقال انفجر الصبح، إذا سال ضوؤه في سواد الليل، كانفجار الماء في النهر، ويقال: فَجَرَ وَأَفْجَرَ ينبوعاً من ماء، أي شقّه وأخرجه.

(١) (أقرب) ساقط من (ج).

(٢) الثعلبي في تفسيره ٧٦/١ ب، والبيهقي ٧٧/١، وذكره الزمخشري عن الحسن في الكشف ٢٨٤/١، وفي البحر عن وهب والحسن ٢٢٧/١، وانظر: زاد المسير ٧٨/١.

(٣) في (ب): (الجنس).

ذكره الزمخشري، وقال: وهذا أظهر في الحجة وأبين في القدرة، الكشف ٢٨٤/١، وانظر: البحر المحيط ٢٢٧/١، وتفسير ابن كثير ١٠٧/١.

(٤) معاني القرآن للفرّاء ٤٠/١، وقوله: (معناه) إلخ من كلام الفرّاء. وانظر: تفسير الطبري ٣٠٦/١، وزاد المسير ٧٨/١، والبيان ٨٥/١.

(٥) وقيل: سألت، وقيل: هي بمعنى انبجست، فهما بمعنى واحد، وقيل: الانشقاق أوسع من الانبجاس. انظر: تفسير ابن عطية ٣١٢/١، والقرطبي ٣٥٨/١، وتفسير النسفي ١٣١/١، وتفسير الخازن ١٣١/١، والبحر المحيط ٢٢٨/١.

(٦) في (ب)، (ج): (شقّه). (السَّكْر): ما يُسَدُّ به النهر ونحوه، انظر: اللسان (سكر) ٢٠٤٧/٤-٢٠٤٩.

(٧) في (ب): (ولشقّه) بالواو.

الليث : والمَفَجَر الموضع الذي يُفَجَر منه^(١) . وقال ابن الأعرابي : تَفَجَّر الرجل بعطائه ، ورجل ذو فَجَر ، وأتيناها فأفجرناه ، أي وجدناه فاجراً ، أي معطياً^(٢) . قال ابن مقبل :

إِذَا الرَّفَاقُ أَنَاخُوا حَوْلَ مَنْزِلِهِ حَلُّوا بِذِي فَجَرَاتٍ زَنْدُهُ وَارِي^(٣)

أي برجل كثير العطايا ، كأنه يتشقق بما عنده فيجود ولا يمسك كتفجر الماء . والفجور الذي هو المعصية من هذا ؛ لأن الفاجر شقَّ أمر الله أو شقَّ العصا بخروجه إلى الفسق^(٤) .

وقوله تعالى : ﴿ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ﴾ قال الليث : اثنان^(٥) اسمان قرينان ، لا يُفَرَّدان ، لا يقال لأحدهما : اثن ، كما أن الثلاثة^(٦) أسماء مقترنة لا تفرق^(٧) .

(١) انظر : تهذيب اللغة (فجر) ٣/ ٢٧٤٣ ، ٢٧٤٤ ، الصحاح (فجر) ٢/ ٧٧٨ ، والمحكم (فجر) ٧/ ٢٧٥ ، واللسان (فجر) ٦/ ٣٣٥١ ، ٣٣٥٣ .

(٢) تهذيب اللغة (فجر) ٣/ ٢٧٤٣ ، ٢٧٤٤ ، وانظر : المراجع السابقة .

(٣) ورد البيت في ديوان ابن مقبل ١١٦ ، والعمدة في صناعة الشعر لابن رشيق ٢/ ١٨٠ . قوله : (الرفاق) : يريد الرفقة المسافرين معه ، (ذو فجرات) : ذو عطايا ، يتفجر بالسخاء ، (زندة واري) : كناية عن الكرم والنجدة .

(٤) انظر : تهذيب اللغة (فجر) ٣/ ٢٧٤٣ ، ٢٧٤٤ ، المحكم (فجر) ٧/ ٢٧٦ .

(٥) اثنان) ساقط من (ب) .

(٦) في (ج) : (ثلاثه) .

(٧) في (أ) و(ج) : (يفرق) بالياء ، وأثبت ما في (ب) لأنه أنسب للسياق ، ومثله ورد في تهذيب اللغة (اثنى) ١/ ٥٠٨ .

يقال في التأنيث : اثنتان ولا يفردان^(١) . والألف في اثني واثنتي^(٢) ألف وصل ، لا تظهر في اللفظ . والأصل فيها^(٣) : ثني^(٤) ، وربما قالوا للاثنتين : الثنتان^(٥) ، كما قالوا : هي ابنة فلان ، وهي بنته ، والألف في الابنة ألف وصل أيضاً فإن جاءت هذه الألف مقطوعة في الشعر^(٦) فهو شاذ كما قال :

إِذَا جَاوَزَ الْإِثْنَيْنِ سِرًّا فَإِنَّهُ
بَنَتْ وَتَكْثِيرُ الْوُشَاةِ قَمِينٌ^(٧)

انتهى كلامه^(٨) . والعلة في إدخال ألف الوصل في اثنين واثنتين كالعلة في إدخالها في (الاسم) ، وقد ذكرنا^(٩) .

(١) في تهذيب اللغة : (ولا تفردان) .

(٢) في (ب) : (اثنتا) ، وفي تهذيب اللغة (اثنين) و(اثنتين) ٥٠٨/١ .

(٣) (فيها) كذا في النسخ جميعها ، وفي تهذيب اللغة : (فيها) .

(٤) (ثني) كذا ورد في تهذيب اللغة ٥٠٨/١ ، وكذا في اللسان (ثني) ٥١٥/١ ، وفي القاموس : (وأصله : ثني) لجمعهم إياه على أثناء ، القاموس (ثني) ١٢٦٧ .

(٥) في (ب) : (الثنيان) . (ثنتان) بحذف ألف الوصل ؛ لأنها إنما اجتلبت لسكون الثاء ، فلما تحركت ، سقطت ، وتاؤه مبدلة من ياء ، لأنه من ثنيت ، انظر : القاموس (ثني) ١٢٦٧ .

(٦) في (أ) و(ج) : (شعر) ، وما في (ب) موافق لما في تهذيب اللغة ، وهو ما أثبتته .

(٧) البيت لقيس بن الخطيم ، ونسبه في الكامل إلى جميل بن معمر ، والصحيح أنه لقيس ، ويروى البيت : إِذَا ضَيَّعَ الْإِثْنَانِ سِرًّا فَإِنَّهُ بَنَشْرَ وَتَضْيِيعَ الْوُشَاةِ قَمِينٌ وقوله : (بَنَتْ) : (النَّث) بالنون والثاء : مصدر نَثَّ الحديث ، أي أَفْشَاهُ ، و(قَمِين) : حقيق ، ورد البيت في نواذر أبي زيد ٥٢٥ ، والكامل ٣١٣/٢ ، ومعاني القرآن للأخفش ١٩٥/١ ، وحماسة البحتري ١٤٧ ، وتهذيب اللغة (قمن) ٣٤٩/٣ ، و(ثني) ٥٠٨/١ ، والصحاح (ثني) ٢٢٩٥/٦ ، واللسان (نث) ٤٣٣٩/٧ ، و(قمن) ٣٧٤٥/٦ ، و(ثني) ٥١٢/١ ، وشرح المفصل ١٩/٩ ، ١٣٧ ، المجمع ٢٢٤/٦ ، ودويان قيس بن الخطيم ١٠٥ . والشاهد قطع همزة (الاثنين) وهذا لا يجوز إلا في ضرورة الشعر ، وبعضهم يرويه (إذا جاوز الخلين) ليتخلصوا من هذه الضرورة .

(٨) أي كلام الليث ، والكلام الآتي بعده كذلك لليث كما سيأتي ، انظر : تهذيب اللغة (ثني) ١٤٢/١٥ ، واللسان (ثني) ٥١٢/١ ، ونحوه في الصحاح ٢٢٩٥/٦ .

(٩) ذكره عند شرح (الاسم) في البسملة ، إذ قال : «اجتلبت ألف الوصل ليتمكن الابتداء به . . . إلخ» .

وأصل هذا الحرف في اللغة من الثني وهو ضم واحد إلى واحد ، والثني الاسم . ويقال : ثَنِي الثوب لما كف من أطرافه ، وأصل الثَّني في جميع^(١) أبنيته : الكف^(٢) والرجُّ والعطف والطبي والحنو ، وكلها متقارب . وكل شيء عطفته فقد ثنيته ، ومنه قوله تعالى : ﴿ يَتَنَوَّنْ صُدُورُهُمْ ﴾ [هود: ٥٠] ، أي يحنونها ويطوون^(٣) ما فيها ، لئسروا عداوة محمد ﷺ^(٤) . وَثْنِيَا الحبل : طرفاه ، واحده ثَنِي^(٥) ، وقال طرفه :

... وَثْنِيَاهُ بِالْيَدِ^(٦)

أراد : الطرف المثني في الرسغ ، فلما انثنى جعله ثنين ، أي لأنه عقد بعقدين ، ويقال : حلف^(٧) فلان يمينا ليس فيها ثُنْيَا ولا^(٨) ثَنَوِي ولا ثَنِيَّة ولا مَثْنَوِيَّة ولا استثناء ، كله واحد ، لأن الخالف إذا قال : والله لأفعلن كذا إلا أن يشاء الله غيره ، فقد رد ما قاله بمشيئة الله غيره ، وصرفه^(٩) ، والحبل إذا عطفته وصرفته

(١) في (ب) : (جمع) .

(٢) بهذا انتهى كلام الليث كما في تهذيب اللغة (ثني) ٥٠٨ / ١ .

(٣) في (ب) : (يطيون) .

(٤) انظر : معاني القرآن للقرآء ٣ / ٢ ، وتهذيب اللغة (ثني) ٥٠٤ / ١ .

(٥) تهذيب اللغة (ثني) ٥٠٥ / ١ ، وانظر : اللسان (ثني) ٥١٥ / ١ .

(٦) جزء من بيت معلقة طرفة وتامة :

لَعَمْرُكَ إِنَّ الْمَوْتَ مَا أَخْطَأَ الْفَتَى لَكَالطُّوَلِ الْمَرْخَى وَثْنِيَاهُ بِالْيَدِ

وقوله (الطُّوَل) : الحبل ، ورد البيت في شرح القصائد المشهورات للنحاس ٨٤ ، والمعاني الكبير

٣ / ١٢٠٧ ، وتهذيب اللغة (ثني) ٥٠٥ / ١ المجلد (طول) ٥٩٠ / ٢ ، و(مهي) ٨١٧ / ٣ ، والمخصص

١٥ / ٨٢ ، ومقاييس اللغة (طول) ٤٣٤ / ٣ ، و(مهي) ٢٧٩ / ٥ ، واللسان (طول) ٢٧٢٧ / ٥ ،

و(ثني) ٥١٦ / ١ ، و(مها) ٤٢٩٢ / ٧ .

(٧) في (ب) : (خلف) .

(٨) في (ب) : (ليس فيها ثنوا ولا ثنيا) .

(٩) تهذيب اللغة (ثني) ٥٠٥ / ١ ، وغير قوله : (وصرفه) ، وكذا ورد في اللسان ٥١٦ / ١ .

فقد جعلته ثنين^(١) . وأثناء الحية : مطاويها ، جمع ثني ، وما كان من نضد هذه الحروف فهو من هذا المعنى ، ولا يمكن ذكر الجميع^(٢) .

وقوله تعالى : ﴿عَشْرَةَ﴾ ، العَشْرُ عدد المؤنث ، والعَشْرَةُ عدد المذكر ، تقول : عَشْرُ نِسوة وعَشْرَةُ رجال ، فإذا جاوزت ذلك قلت في المؤنث : إحدى عَشْرَةَ ، ومن العرب من يكسر الشين فيقول : عَشْرَة ، ومنهم من يُسكن الشين فيقول : إحدى عَشْرَة .

وكذلك اثنتي^(٣) عَشْرَة واثنتي عَشْرَة واثنتي عَشْرَة ، ثلاث لغات^(٤) ، والقراءة^(٥) بسكون الشين^(٦) . فمن فتح الشين فهو أصل البناء ، ومن سكن تحرى التخفيف ، ثم دخلت الكسرة على مذهب من يكسر ذهاباً إلى أن الساكن يحرك بالكسر^(٧) .

(١) في (ب) : (ثنتين) .

(٢) انظر : تهذيب اللغة (ثني) ١ / ٥٠٥ الصحاح (ثني) ٦ / ٢٢٩٣ ، ومقاييس اللغة ١ / ٣٩١ ، واللسان (ثني) ١ / ٥١٦ .

(٣) في (أ) و(ج) : (اثنتا) في المواضع الثلاثة ، وما في (ب) موافق لما في تهذيب اللغة ، وهو الصواب .

(٤) انتهى ملخصاً من كلام الليث كما في تهذيب اللغة (عشر) ٣ / ٢٤٤٥ ، وانظر : معاني القرآن للزجاج ١ / ١١٢ ، واللسان (عشر) ٥ / ٢٩٥٢ ، والكسر لغة تميم ، والإسكان لغة أهل الحجاز ، انظر : معاني القرآن للأخفش ١ / ٢٧١ ، وإعراب القرآن للنحاس ١ / ١٨٠ .

(٥) من قوله : (ومن العرب) إلى قوله : (والقراءة) فيه تقديم وتأخير وتكرار في (ج) .

(٦) القراءة بالسكون قراءة جمهور القراء ، وقرأ مجاهد ، وطلحة ، وعيسى ، ويحيى بن وثاب ، وابن أبي ليلى ، ويزيد بكسر الشين ، ورواية عن أبي عمرو والمشهور عنه الإسكان ، وقرأ ابن الفضل الأنصاري والأعمش بفتح الشين . انظر : إعراب القرآن للنحاس ١ / ١٨٠ ، وتفسير ابن عطية ١ / ٣١٢ ، ٣١٣ ، تفسير القرطبي ١ / ٣٥٨ ، والبحر المحيط ١ / ٢٢٩ .

(٧) انظر : تفسير الثعلبي ٦٧ / ١٠٢ ، والمخصص ١٧ / ١٠٢ .

قال ابن الأنباري: تقول في المؤنث: إحدى عشرة جارية، واثننا عشرة، قال: وبنو تميم يكسرون الشين^(١)، فهما لغتان وقرأ بهما القراء.

قال: وأهل اللغة والنحو لا يعرفون عشرة بفتح مع النيف، قال: وروي عن الأعمش^(٢) أنه قرأ: اثنتا^(٣) عشرة بفتح الشين^(٤)، وأهل اللغة لا يعرفونه^(٥).

والعشرة اسم موضوع^(٦) لهذا العدد المخصوص، وانتصابها في هذه الآية يجعلها مع اثنتي اسماً واحداً، فلما جعل اسماً واحداً، منع الإعراب والتنوين^(٧).

(١) قوله: (وبنو تميم يكسرون الشين، أي مع المؤنث، أما مع المذكر فالشين مفتوحة، وقد تسكن عين (عشرة) لتوالي الحركات). انظر: الأشموني مع الصبان ٧٦/٤.

(٢) هو الإمام سليمان بن مهران، أبو محمد الأسدي الكاهلي بالولاء، أصله من أعمال الري، أقرأ الناس، ونشر العلم دهرًا طويلاً، وتوفي سنة ثمان وأربعين ومائة، انظر: طبقات ابن سعد ٦/٣٤٢، وتاريخ بغداد ٩/٢٣، ومعرفة القراء الكبار ١/٧٨، وغاية النهاية ١/٣١٥.

(٣) في (ب): (ثنتي) تصحيف.

(٤) ذكر ابن الأنباري القراءة بسنده عن الأعمش وعن العباس بن الفضل الأنصاري، المذكر والمؤنث ٣١٥/١.

(٥) انتهى كلام ابن الأنباري ملخصاً من المذكر والمؤنث ٦٣٢، ٦٣٣، انظر: المخصص ١٧/١٠٢، واللسان ٥/٢٩٥٢. قال ابن عطية عن لغة الفتح: وهي لغة ضعيفة ١/٣١٣، وانظر: الكشف ١/٢٨٤، والإملاء ١/٣٩، وقد مر كلام الليث قريباً.

(٦) في (ج): (موضوع).

(٧) ظاهر كلام الواحدي أن (اثنتي) مبني، قال أبو حيان: وفي محفوطي أن ابن درستويه ذهب إلى أن (اثنا) و(اثنتا) مع عشر مبني، ولم يجعل الانقلاب دليل الإعراب، البحر ١/٢٢٩. وما ذهب إليه الواحدي وابن درستويه مخالف لقول جمهور العلماء، فقد قالوا: إن (اثنتي عشر) معرب من بين سائر الأعداد من أحد عشر إلى تسعة عشر، وأما (عشر) فهي مبنية، واختلفوا في علة بنائها، انظر: المسائل الحلييات لأبي علي ٣٠٨-٣٢٣، المذكر والمؤنث لابن الأنباري ٦٣١، والمخصص ١٤/٩١، وإعراب القرآن للنحاس ١/١٨٠، وانظر: تفسير ابن عطية ١/٣١٢. قال الصبان في حاشية الأشموني: وما ذكره من إعراب صدر اثني عشر واثنتي عشرة هو الصحيح. والقول ببناؤه مردود باختلافه باختلاف العوامل، وذلك علامة إعرابه، انظر: حاشية الصبان على الأشموني ٤/٦٨، ٦٩.

قال أبو إسحاق : وذلك أن معنى قولك : اثنتا عشرة : اثنتان وعشرة ، فلما حذفت الواو ، وهي مرادة ، تضمن الاسمان معنى الواو ، وكل اسم تضمن معنى حرف بُني كما بُني^(١) الحروف ، ولم يك أحدهما بالبناء أولى من الآخر ، إذ كانت الواو تُدخل ما بعدها في حكم ما قبلها ، فصارت تعلق الاسمين بالواو تعلقاً واحداً ، فاستحقا البناء ، ووجب أن يبنيا على حركة ، لأن لهما^(٢) قبل حال البناء حال إعراب ، والاسم إذا كان معرباً ثم دخلت عليه علة أوجب له البناء ، ووجب أن يبنى على حركة ، وجعل الاسمين اسماً واحداً مستثقل^(٣) ، فاختر له أخف الحركات^(٤) .

وأدخلت الهاء في (عشرة) مع النيف لما جعلنا اسماً واحداً في عدد المؤنث ، وإن لم يدخل دون النيف ، لأنها لما صاروا اسماً واحداً ثبتت الهاء في (عشرة) علامة للتأنيث ، فإنك تقول : ثلاث عشرة ، وأربع عشرة^(٥) إلى عشرين ، فتدخل علامة التأنيث في عشرة^(٦) .

فإن قيل : قد قلت : إن اثنتي عشرة ، وإحدى عشرة اسمانُ جعلنا اسماً واحداً ، والاسم الواحد لا يكون فيه علامتان للتأنيث .

(١) في (ج) : (بني) .

(٢) في (ج) : (لها) .

(٣) في (ب) : (مستقل) .

(٤) وأخف الحركات الفتحة ، هذا الكلام لم أجده عند أبي إسحاق ، وقد ذكر نحوه أبو علي الفارسي ، وابن الأنباري ، وابن سيده . وكلامهم جميعاً عن العدد من (أحد عشر إلى تسعة عشر غير اثني عشر ؛ لأن صدرها معرب كما سبق ، ولكن نجد الواحد جعل الكلام عليها ، انظر : المسائل الحلييات ٢٠٨-٣٢٣ ، وانظر : المذكر والمؤنث ٦٣٢ ، والمخصص ٩١/١٤ ، ١٠٠/١٧ ، ١٠١ .

(٥) في (ج) : (عشر) .

(٦) انظر : المذكر والمؤنث لابن الأنباري ٦٤٥ ، والمخصص ١٧/١٠١ .

قلنا : اثنتا^(١) عشرة اسمان من وجه ، واسم واحد من وجه ، فكونهما اسماً واحداً هو^(٢) أن الواقع تحتها عدد مخصص متميز عن^(٣) غيره ، فهما كأحد عشر ، ووجه كونها اسمين ، هو أنها لو^(٤) كانا اسماً واحداً لحذفت الألف من (اثنتا) ، إذ إن إعراب الاسم يكون في آخره لا في حشوه ، فلما^(٥) ثبتت الألف ، وكانت علامة للإعراب^(٦) ، دل أنه اسم من دون عشرة ، فوجب الحكم عليهما بأنهما اسمان من هذا الوجه ، وإذا كان كذلك ، جاز إدخال علامة التأنيث على كل واحد منهما ، وأما إحدى عشرة فلم يجتمع فيهما علامتا تأنيث من جنس واحد ، وإذا اختلف الجنسان جاز اجتماعهما كالياء في حبيبات مع التاء^(٧) .

فإن قيل : لم حذفت نون التثنية من اثنتا^(٨) عشرة ، ولا إضافة هاهنا لأنكم جعلتموهما^(٩) اسماً واحداً ؟ قيل : نون التثنية في الأصل^(١٠) عوض من التنوين ، والتنوين للتمكن ، وما عرض فيه من معنى البناء أزال التمكن فزال علمه ، ولم تحذف الألف وإن كانت دلالة إعراب^(١١) لأنها علم التثنية ، فلو حذفت لبطلت ،

(١) في (ب) : (اثنتي) .

(٢) في (ب) : (وهو) .

(٣) في (ب) : (من) .

(٤) في (ب) : (لما كانا) .

(٥) في (ب) : (فإذا) .

(٦) وهذا يخالف ما ذكره في ما سبق أنه مبني .

(٧) انظر : تفسير ابن عطية ٣١٢ / ١ ، وحاشية الصبان على الأشموني ٦٨ / ٤ .

(٨) في (ب) : (اثنتي) وهو أولى ، لأنه مثني مجرور .

(٩) في (ج) : (جعلتموها) .

(١٠) في (ب) : (أصل) .

(١١) اختلف النحويون في ألف التثنية ، فذهب سيبويه إلى أن الألف حرف إعراب ، وأن الياء في الجر والنصب حرف إعراب كذلك ، ولا تقدير إعراب فيها وإلى هذا ذهب جماعة ، منهم : أبو إسحاق وابن كيسان وأبو علي . وقال أبو الحسن : إن الألف ليست حرف إعراب ، ولا هي إعراب وإنما هي دليل إعراب ، انظر : سر صناعة الإعراب ٦٩٥ / ٢ .

فللضرورة أبقيت ، ولا ضرورة في النون^(١) ، فهذا طرف من الكلام في علل الحساب احتجنا إليه ، وهو باب طويل .

وقوله تعالى : ﴿عَيْنًا﴾ انتصب على التمييز ، قال أبو إسحاق : جميع ما ينتصب على التمييز في العدد على معنى دخول التنوين^(٢) ، وذلك أن حذف التنوين من اثنتا عشرة إنما كان للبناء فصار حكمه مراعى حتى انتصب ما بعده على تقدير تنوينه ، ولم يحذف التنوين للإضافة حتى يبطل حكمه . وإذا^(٣) كان كذلك انتصب ما بعده انتصاب قولك : هو ضاربٌ زيداً وقاتل عمرأ ، وحكي عن أحمد بن يحيى أنه قال : إنما انتصب المعدود لوقوعه موقع المصدر ، فأجري عليه إعرابه ، بيان ذلك : أن قولك : أحد عشر رجلاً في موضع معدود عدداً ، فأحد^(٤) عشر في موضع معدود ، إذ هو العدد الذي يعدُّ ، ورجلاً في موضع قولك : عدداً .

قال أبو إسحاق : وإنما وجب أن يكون التمييز بواحد ، لأنك إذا ذكرت العدد فقد أثبت^(٥) بمقداره المعدود^(٦) ، وإنما يجب عليك تبين النوع ، والواحد

(١) قال أبو علي الفارسي : «ومن الدليل على أن (عشراً) من (اثني عشر) ليس كسائر هذه الأعداد ، أنها عاقبت النون فلم تجتمع معه ، فلما عاقبتها علم أنها بدل منها ، إذ ليس هنا إضافة توجب حذف النون لها ، فهذه النون إنما تحذف للإضافة» ، المسائل الحلييات ٣٠٨ ، وانظر : المخصص ٩١ / ١٤ .

(٢) نص كلام الزَّجَّاج : «و(عينا) نصب على التمييز ، وجميع ما نصب على التمييز في العدد على معنى دخول التنوين ، وإن لم يذكر في (عشرة) ؛ لأن التنوين حذف ها هنا مع الإعراب» ، معاني القرآن ١١٢ / ١ .

(٣) في (ب) : (فإذا) .

(٤) في (ب) : (فإحدى) .

(٥) في (ب) : (اتبث) .

(٦) في (ب) : (المعدوده) .

المنكور يدل على النوع . وهو أخف من لفظ المعرفة ولفظ الجمع ، فلهذا وجب استعماله^(١) .

قال^(٢) : وجملة قول الناس : عشرون درهماً : عشرون^(٣) من الدراهم ، فحذف هذا التطويل ، وأقيم الواحد المنكور مقامه .

وإنما وجب أن يكون الأصل : عشرون من الدراهم ؛ لأن العشرين^(٤) بعض الدراهم ، فيجب أن يكون المذكور بعدها لفظ الجمع حتى يصح معنى التبويض ، ولو قدرت أن الأصل : الواحد لاستحال ، ألا ترى أنك إذا قدرت الكلام بقولك : عشرون من درهم جاز أن يتوهم أن العشرين بعض الدرهم ، فلذلك قلنا : إن الأصل : عشرون من الدراهم ، ثم حذف لما ذكرنا من طلب الحقة^(٥) .

وقوله تعالى : ﴿ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ﴾ . أراد : كل أناس منهم ، فحذف للعلم^(٦) . والمشرَب يجوز أن يكون مصدراً ، ويجوز أن يكون موضعاً^(٧) .

(١) لم أجده عند أبي إسحاق ، وبمعناه عند ابن سيده في المخصص ١٧ / ١٠١ .

(٢) في معاني القرآن : « ومعنى قول الناس : عندي عشرون درهماً ، معناه : عندي عشرون من الدراهم ... إلخ » . ١١٣ / ١ ، وذكر الواحدي كلامه بمعناه .

(٣) (عشرون) ساقط من (ب) .

(٤) في (ج) : (عشرين) .

(٥) في (أ) : (الحقة) .

(٦) انظر : تفسير الطبري ٣٠٦ / ١ .

(٧) إما أن يكون المشروب نفسه فيكون مصدراً واقعاً موقع المفعول به ، أو موضع الشرب ، انظر : تفسير الثعلبي ٧٦ / ١ ب ، وتفسير ابن عطية ٣١٣ / ١ ، والبحر المحيط ٢٢٩ / ١ ، والدر المنصور ٣٨٧ / ١ .

قال الفرّاء وأبو روق : كان في ذلك الحجر اثنتا عشرة حفرة ، [فكانوا إذا نزلوا وضعوا الحجر وجاء كل سبط إلى حفرتة]^(١) فحفروا الجداول إلى أهلها ، فذلك قوله : ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرِيبَهُمْ﴾^(٢) .

وقوله تعالى : ﴿كُلُوا﴾ أي وقلنا لهم : ﴿كُلُوا﴾ من المن والسلوى . ﴿وَأَشْرَبُوا﴾ من الماء ، فهذا كله من رزق الله الذي يأتيكم بلا مشقة ولا مؤونة^(٣) . ﴿وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ﴾^(٤) . القراء كلهم قرؤوه بفتح الثاء من عَثِيَ يَعْتِي عُثُوا ، وهو أشد الفساد . وفيه لغتان أخريان : عَثَا يَعْتُو ، مثل سما يسمو ، قال ذلك الأخفش وغيره^(٥) . وَعَاثَ يَعِثُ ، ولو قرئ بهذا^(٦) لقليل^(٧) : وَلَا تَعِثُوا ، قال ذلك ابن الأنباري .

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ب) .

(٢) انظر : كلام الفرّاء في معاني القرآن ١ / ٤١ ، وكلام أبي روق في تفسير الثعلبي ١ / ٧٦ أ ، وانظر : تفسير الطبري ١ / ٣٠٧ .

(٣) الثعلبي ١ / ١٧٧ ، وانظر : تفسير الطبري ١ / ٣٠٨ ، وتفسير أبي الليث ١ / ٣٦٧ ، وانظر : تفسير ابن عطية ١ / ٣١٣ .

(٤) في (ب) : ﴿وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ .

(٥) الكلام بنصه في تهذيب اللغة (عثا) ٣ / ٢٣٢٥ ، وانظر : معاني القرآن للأخفش ١ / ٢٧٢ ، والطبري ١ / ٣٠٨ ، ومعاني القرآن للزجاج ١ / ١١٣ ، وتفسير الثعلبي ١ / ١٧٧ .

(٦) أي على لغة (عاث يعيث) . وفي تهذيب اللغة : « . . وفيه لغتان أخريان لم يقرأ بواحدة منهما ، عثا يعثو ، مثل : سما يسمو ، قال ذلك الأخفش وغيره ، ولو جازت القراءة بهذه اللغة لقرئ (ولا تَعْتُوا) ولكن القراءة سنة ، ولا يقرأ إلا بها قرأ به القراء . واللغة الثالثة عَاثَ يَعِثُ » ، تهذيب اللغة (عثا) ٣ / ٢٣٢٥ ، وانظر : تفسير الطبري ١ / ٣٠٨ .

(٧) في (ج) : (القليل) .

وقال الفرّاء في كتاب المصادر : قوله تعالى : ﴿وَلَا تَعْنُوا﴾ مصدره عثاً مقصور ، ومن قال عَثَوْتُ ، قال : عُثُوًّا^(١) ، ومن قال : عَاثَ يَعِثُ ، قال في المصدر : عَيْثًا وَعُيُوثًا وَمَعَاثًا وَعَيْثَانًا^(٢) .

قال ابن الرقاع^(٣) في اللغة الثانية :

لَوْلَا الْحَيَاءُ وَأَنْ رَأْسِي قَدْ عَاثَا فِيهِ الْمَشِيبُ لَزُرْتُ أُمَّ الْهَيْثِمِ^(٤)

وقال كثير في اللغة الثالثة :

وَذِفْرِي كَكَاهِلِ ذِيخِ الْخَلِيفِ أَصَابَ فَرِيقَةَ لَيْلٍ فَعَاثَا^(٥)

٦١ . قوله تعالى : ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَمْوِسُ لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ﴾ . قال سعيد بن المسيب : ملوا عيشهم^(٦) . وقال قتادة : ذكر القوم عيشاً كان لهم بمصر ،

(١) عند الطبري : (عَثَوْتُ أَعُثُو) ، ٣٠٨ / ١ .

(٢) في (ب) : (عَيْثَانًا) . ذكر الطبري في تفسيره هذه المصادر ٣٠٨ / ١ ، وانظر : تهذيب اللغة (عثا) و(عاث) ٢٢٦٣ / ٣ ، والمحكم ١٦٥ / ٢ ، ٢٤٢ ، تفسير الثعلبي ١٧٧ / ١ ، واللسان (عيث) ٣١٨٤ ، و(عثا) ٢٨١١ / ٥ .

(٣) هو عدي بن الرقاع ، من (عاملة) حي من قضاة ، كان شاعراً مجيداً مدح خلفاء بني أمية ، انظر : ترجمته في طبقات فحول الشعراء للجهمي ٦٩٩ / ٢ ، والشعر والشعراء ٤١٠ .

(٤) يروى (أم القاسم) بدل (أم الهيثم) ، ورد البيت في الشعر والشعراء ٤١١ / ٢ ، وغريب القرآن لابن قتيبة ٤١ ، والكامل ، وفيه (عسا) بدل (عثا) فلا شاهد فيه ، تفسير الثعلبي ١٧٧ / ١ ، وتهذيب اللغة (عثا) ٢٣٢٦ / ٣ ، وأمالي المرتضى ٥١١ / ١ ، واللسان (عثا) ٢٨١١ / ٥ ، وزاد المسير ٨٧ / ١ ، والبحر المحيط ٢١٩ / ١ .

(٥) (الذِفْرِي) : العظم الشاخص خلف الأذن ، (الذَّيْخ) : ذكر الضباغ ، (الْخَلِيف) : الطريق بين الجبلين ، ويروى مكانه : (الرفيض) : وهو قطعة من الجبل ، (فريقة ليل) : هي الغنم الضالة . ورد البيت في المعاني الكبير ١ / ٢١٤ ، وتهذيب اللغة (عاث) ٢٢٦٣ / ٣ ، و(فرق) ٢٧٧٨ / ٣ ، ومجمل اللغة (فرق) ٧١٨ / ٣ ، ومقاييس اللغة ٤ / ٤٩٤ ، واللسان (عيث) ٣٧٨٤ / ٥ ، و(خلف) ١٢٤٢ / ٢ ، و(فرق) ٣٤٠٠ / ٦ ، وشعر كثير ٢٥٠ .

(٦) لم أجده عند سعيد في ما اطلعت عليه ، وأخرج الطبري نحوه عن قتادة تفسير الطبري ٣٠٩ / ١ ، وتفسير ابن أبي حاتم ٣٨١ / ١ .

فقالوا لموسى : ﴿أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ﴾^(١) الآية ، و (الطعام) : اسم جامع لما يؤكل ، وإنما قالوا : طعام واحد ، وكان طعامهم المن والسلوى ؛ لأنهم كانوا يأكلون المن^(٢) بالسلوى ، فكان طعاماً واحداً كالخبيص ، لون واحد وإن اتخذ من أطعمة شتى^(٣) .

قال ابن زيد : كان^(٤) طعامهم المن ، وشرابهم السلوى ، فكانوا يجمعون بينهما فيأكلونه طعاماً واحداً^(٥) . وقال أصحاب المعاني : لما كان غذاؤهم في كل يوم لا يتغير ، قيل : طعام واحد ، كما يقال لمن يدوم على الصوم والصلاة : هو على أمر واحد ، لملازمته لذلك لا يتغير عنه^(٦) .

وقوله تعالى : ﴿فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ﴾ . معنى الدعاء : الطلب^(٧) ممن يملك النفع والضرر . وقال ابن السراج : أصله النداء وإنما قال للمسألة : دعاء ؛ لأن السائل

(١) أخرجه الطبري ٣٠٩/١ ، وابن أبي حاتم في تفسيره ٣٨١/١ ، وذكره السيوطي في الدر ، وعزاه إلى عبد بن حميد وابن جرير ٢٨٩/١ .

(٢) في (ب) : (والسلوى) .

(٣) انظر : تفسير الثعلبي ١/٧٧ ، وتفسير ابن عطية ١/٣١٤ ، وتفسير البغوي ١/٧٨ ، وزاد المسير ١/٨٨ ، وتفسير القرطبي ١/٣٦٠ ، والبحر المحيط ١/٢٣٢ .

(٤) (كان) ساقط من (ب) .

(٥) أخرجه ابن جرير ١/٣١٠ ، وذكره الثعلبي في تفسيره ١/٧٧ ، والبغوي في تفسيره ١/٧٨ ، وأبو حيان في البحر ١/٢٣٢ . والقول بأن السلوى شراب يخالف ما عليه جمهور المفسرين .

(٦) انظر : تفسير ابن عطية ١/٣١٤ ، والكشاف ١/٢٨٤ ، وتفسير الرازي ٣/٩٩ ، وتفسير القرطبي ١/٣٦٠ ، وتفسير ابن كثير ١/١٠٧ ، والبحر المحيط ١/٢٣٢ .

(٧) (الطلب) ساقط من (ب) .

يقول : يا رب ، فينادي ربه عز وجل ^(١) . وجاء الدعاء بلفظ الماضي تفاؤلاً ^(٢) بأن ^(٣) ذلك قد كان ، كقولك : أحسن الله جزاءه ^(٤) .

وقوله تعالى : ﴿يُخْرِجْ لَنَا﴾ المعنى : سلّه وقل له : أخرج ^(٥) يُخرج ، وكذلك قوله : ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [الإسراء: ٥٣] ، المعنى لهم : قولوا ^(٦) التي هي أحسن يقولوا . ومثله : ﴿قُلْ لِعِبَادِي الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ [إبراهيم: ٣١] ، أي قل لهم : أقيموا يقيموا ، فجعل هذه كلها بمنزلة جواب الأمر ، لأن قبله : ادع وقل ^(٧) .

وقوله تعالى : ﴿مِنْ بَقْلِهَآ﴾ . (البقل) : كل نبات لا يبقى له ساق إذا رعته الماشية ^(٨) . وأما (الفوم) : فقد اختلف أهل اللغة فيه ، فقال الفراء : الفوم في ما يذكرون لغة قديمة ، وهي الحنطة والخبز جميعاً قد ذكرا ، قال : وقال بعضهم : سمعت العرب من أهل اللغة يقولون : فَوِّمُوا لنا بالتشديد ، يريدون : اختبزوا .

(١) انظر : تهذيب اللغة (دعاء) ١ / ١١٨٨ ، واللسان (دعا) ٣ / ١٣٨٥ .

(٢) في (ب) : (مقالا) ، وفي (ج) : (نقالا) .

(٣) في (ج) : (باذن) .

(٤) في (ج) : (جزاء) .

(٥) في (أ) و(ج) : (ويخرج) زيادة (واو) ، والأصوب حذفها كما في (ب) ، ومثله في معاني القرآن للزجاج ١١٣ / ١ .

(٦) في (ج) : (يقولوا) .

(٧) معاني القرآن للزجاج ١ / ١١٤ ، وقوله : (يخرج) مجزوم . قال بعضهم : بما تضمنه الأمر من معنى الجزاء ، وقيل : بنفس الأمر ، وقيل مجزوم بلام الطلب المضمرة ، أي ليخرج . انظر : إعراب القرآن للنحاس ١ / ١٨٠ ، وتفسير ابن عطية ١ / ٣١٤ ، وتفسير القرطبي ١ / ٣٦١ ، والبحر المحيط ٢٣٢ / ١ .

(٨) ذكر الأزهري عن الليث (بقيل) ٩ / ١٧١ ، وقال ابن عطية : البقل كل ما تنبتة الأرض من النجم ١ / ٣١٥ ، وانظر : تفسير القرطبي ١ / ٣٦١ .

وقال أُحَيِّحَةَ بن الجلاح^(١) :

قَدْ كُنْتُ أَحْسِبُنِي كَأَغْنَى وَاحِدٍ قَدِمَ^(٢) الْمَدِينَةَ فِي زِرَاعَةِ فُومٍ^(٣)

قال الفرّاء : وهي في قراءة عبدالله : (وثومها) بالثاء ، وكأنه أشبه المعنيين بالصواب ؛ لأنه مع ما^(٤) يشاكله من العدس والبصل ، والعرب تبدل الفاء ثاء ، فيقول : جدث وجدف ، ووقع في عاثور شرّ وعافور شرّ ، والمغافير^(٥) والمغاثير^(٦) .

فذكر الفرّاء قولين في الفوم ، واختار الثاني ، وهو أنه بمعنى الثوم^(٧) الذي يذكر مع البصل ، وهذا القول - أيضاً - اختيار الكسائي^(٨) . وقال الزّجاج : الفوم : الحنطة ، ويقال : الحبوب ، لا اختلاف بين أهل اللغة أن الفوم : الحنطة . قال : وسائر الحبوب التي تختبز يلحقها اسم الفوم . قال : ومن قال : الفوم هاهنا : الثوم^(٩) فإن هذا لا يعرف ، ومحال أن يطلب القوم طعاماً لا بُر فيه ، وهو أصل

(١) في (ب) : (الحلاج) . هو أُحَيِّحَةُ بن الجلاح بن الحرث بن الأوس ، كان سيد الأوس في الجاهلية وكان شاعراً ، انظر : الاشتقاق لابن دريد ٤٤١ ، والخزانة ٣/٣٥٧ .

(٢) في (ج) : (قد قدم) .

(٣) نسب البيت بعضهم إلى أبي محجن الثقفي ، والبيت برواية الثعلبي والطبري :
قَدْ كُنْتُ أَغْنَى النَّاسَ شَخْصاً وَاحِداً وَرَدَ الْمَدِينَةَ عَنْ زِرَاعَةِ فُومٍ
انظر : تفسير الطبري ١/٣١١ ، وتفسير الثعلبي ١/١٧٧ ، وتفسير ابن عطية ١/٣١٥ ، والهمع ٢/٢٤٠ ، واللسان (فوم) ٦/٣٤٩١ ، وتفسير القرطبي ١/٣٦٢ ، وتفسير ابن كثير ١/١٠٨ ، والبحر المحيط ١/٢١٩ ، وفتح القدير ١/١٤٤ .

(٤) (ما) ساقط من (ب) .

(٥) المغافير شيء حلو يشبه العسل . انظر : اللسان (غفر) ٦/٣٢٧٦ .

(٦) انتهى كلام الفرّاء ، ولم يرد عنده بيت ابن الجلاح ، معاني القرآن ١/٤١ ، وانظر : تفسير الطبري ١٠/٣١٢ ، وقد نقل كلام الفرّاء ، ولم يعزه إليه ، انظر : تفسير ابن عطية ١/٣١٥ ، وتفسير ابن كثير ١/١٠٧ .

(٧) قال ابن قتيبة : وهذا أعجب الأقاويل إليّ ، تفسير غريب القرآن ١/٤٤ .

(٨) ذكره الثعلبي في تفسيره ١/١٧٧ ، وابن الجوزي في زاد المسير ١/٨٩ .

(٩) وهذا اختيار الفرّاء والكسائي كما سبق .

الغذاء^(١). وقال اللحياني: هو الفوم والثوم^(٢)، للحنطة^(٣). [الأزهري: وقراءة ابن مسعود إن صح بالثاء، فمعنى الفوم وهو الحنطة.]^(٤).

وقال ابن دريد: أزد السراة يسمون السنبيل فُوماً^(٥). وهذا القول اختيار المبرّد. ومفعول (يخرج) محذوف من الكلام، تقديره: يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها شيئاً^(٦). ومثله مما حذف^(٧) منه المفعول قوله: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ﴾ [إبراهيم: ٣٧] أي ناساً أو فريقاً.

وقوله تعالى: ﴿أَسْتَبْدِلُوكَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى﴾، يحتمل أن يكون ﴿أَدْنَى﴾ أفعال من الدنو، ومعناه: أستبدلون الذي هو أقرب وأسهل متناً، يشارككم في وجدانه^(٨) كل أحد بالرفيع الجليل الذي خصكم الله، وبين الأثرة لكم به

(١) معاني القرآن للزجاج ١/ ١١٥، والنص من تهذيب اللغة (فام) ٣/ ٢٧٢٧، وذكره الطبري في تفسيره عن بعض السلف ٣١٠٨، وانظر: تفسير الثعلبي ١/ ١٧٧، وتفسير ابن عطية ١/ ٣١٥، وزاد المسير ٨٨/ ١.

(٢) في (ب): (الفوم).

(٣) في (ب): (الحنطة). كلام اللحياني في تهذيب اللغة (فام) ٣/ ٢٧٢.

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (ب)، ونص كلام الأزهري في تهذيب اللغة: وإن كان يقرأ ابن مسعود بالثاء فمعناه: الفوم، وهو الحنطة، التهذيب (فام) ١/ ٢٧٢٧.

(٥) جمهرة أمثال العرب ٣/ ١٦٠، وانظر: مجاز القرآن ١/ ٤١، وفي اللسان: (أزد الشراة)، (فوم) ٦٠/ ٣٤٩١.

(٦) أي إن مفعول (يخرج) محذوف، تقديره: (شيئاً)، وهذا قول الطبري في تفسيره ١/ ٣١٠، والنحاس في إعراب القرآن ١/ ١٨٠، وغيرهما. وذهب الأخفش ومكي إلى أن (من) زائدة، والمفعول (ما). انظر: معاني القرآن للأخفش ١/ ٢٨٢، والمشكل ١/ ٤٩، وقولهما مردود عند كثير من المفسرين؛ لأنه يخالف مذهب سيويه: أن (من) لا تزداد في الموجب، أي المثبت، انظر: الكتاب ١/ ٣٨، وتفسير ابن عطية ١/ ٣١٦، والبيان ١/ ٨٥، ٨٦، البحر المحيط ١/ ٢٣٢.

(٧) في (ب): (ومنه مما يحذف).

(٨) في (ب): (وجدنه).

على جميع الناس^(١). ويجوز أن يكون معنى الدنو في قرب القيمة^(٢)، يقول :
 أتستبدلون الذي هو أقرب في القيمة^(٣)، أي أقل قيمة، أو أدنى في الطعم
 واللذة، أي أقل لذة وأبشع طعماً بالذي هو خير في الطعم واللذة والقيمة^(٤).
 ويجوز أن يكون أفعل من الدناءة، وترك همزه؛ لأن العرب تقول : إنه لدنيٌّ
 يُدني في الأمور، غير مهموز، أي يتتبع خسيسها وأصاغرها، على أنه قد حكى
 الفرّاء^(٥) عن زهير الفرقي^(٦) : أنه يقرأ (أدناً) بالهمز^(٧)، وهذا قول الفرّاء : إن
 معنى أدنى من الدناءة^(٨). والأول^(٩) اختيار الزّجاج^(١٠).

(١) انظر : تفسير الطبري ٣١٢/١، ومعاني القرآن للزّجاج ١١٥/١، وإعراب القرآن للنحاس ١٨١/١.

(٢) في (ب) : (القيامة).

(٣) في (ب) : (القيامة).

(٤) وهذا القول راجع لمعنى القول السابق، فجمع الزّجاج بين المعنيين، إذ قال : فمعناه أقرب وأقل قيمة ١١٥/١. والخلاصة في معنى (أدنى) قولان : أحدهما : أنه من الدنو من غير همز، وهذا الدنو يدخل فيه معان عدة، فهو دنو في القيمة، واللذة، والكلفة، والحل، وامتنال الأمر، وغير ذلك مما ذكره المفسرون. انظر : إعراب القرآن للنحاس ١٨١/١، وتفسير الثعلبي ٧٧/١، وتفسير ابن عطية ٣١٦/١، والكشاف ٢٨٥/١، والبحر المحيط ٢٣٤/١، والقول الثاني : أنه من الدناءة بالهمزة، وهو ما سيأتي ذكره.

(٥) معاني القرآن للفرّاء ٤٢/١، والكلام قبله كله عن الفرّاء، وذكره الطبري في تفسيره ٣١٢/٢، ولم يعزه إليه، وانظر : تفسير الثعلبي ٧٧/١، والكشاف ٢٨٥/١، والبحر ٢٣٣/١.

(٦) في (ب) : (الفرقي). زهير الفرقي أحد القراء، نحوي، ويعرف بالكسائي، له اختيار في القراءة، يروى عنه، عاش في زمن عاصم.
 انظر : غاية النهاية ٢٩٥/١.

(٧) في (ب) : (بالهمزة). وهذه القراءة من الشواذ.

(٨) معاني القرآن للفرّاء ٤٢/١، وهو قول الطبري في تفسيره ٣١٢/١، وذكره الزّجاج في المعاني ١١٥/١، وذكره النحاس، واختار غيره ١٨١/١، وانظر : تفسير ابن عطية ٣١٦/١، وتفسير القرطبي ٣٦٤/١، والبحر المحيط ٢٣٤/١.

(٩) (الواو) ساقطة من (ب).

(١٠) اختيار الزّجاج : أن (أدنى) غير مهموز بمعنى الذي هو أقرب وأقل قيمة. المعاني ١١٥/١.

وقال بعض النحويين : (أدنى) هاهنا بمعنى أدون ؛ أي أوضع وأخس ،
فقدمت النون وحولت الواو ألفاً^(١) ، وهذا خطأ ، فقد أجمعوا على أنه لا يشتق
فعل^(٢) من دون إذا كان بمعنى أخس كقولهم : فلان دونك في الشرف .

قوله تعالى : ﴿ أَهْبِطُوا مِصْرًا ﴾ جائز أن يكون هذا من كلام موسى لهم^(٣) ،
وجائز أن يكون من قول الله تعالى لهم ، ويكون في الآية إضمار ، كأنه قال :
فدعا موسى فاستجبنا له ، وقلنا لهم : اهبطوا مصرًا [من الأمصار ، فإن الذي
سألتم لا يكون إلا في القرى والأمصار ، ولهذا نون مصر]^(٤) لأنه لم يُرد بلدة
بعينها^(٥) ، وجائز أن يكون أراد مصر بعينها ، وصرفها لخفتها وقلة حروفها^(٦) .
قال الزَّجَّاج : صرف ؛ لأنه مذكر سمي به مذكر^(٧) ، فهو مثل جُمْل ودَعْد وهند في
جواز إجرائها^(٨) .

(١) ذكره الثعلبي في تفسيره ١/٧٧ ب ، وانظر : المشكل لمكي ١/٥٠ ، وتفسير ابن عطية ١/٢٣٧ ،
والبيان ١/٨٦ ، والإملاء ٣٩ ، وتفسير القرطبي ١/٣٦٤ ، والبحر المحيط ١/٢٣٤ ، والدر المصون
١/٣٩٥ ، والفتوحات الإلهية ١/٦٠ .

وقوله : (وحولت الواو ألفاً) ؛ أي لما تحركت الواو وانفتح ما قبلها قلبت ألفاً .
(٢) (فعل) هكذا في النسخ جميعها ، ولعلها (أفعل) . قال أبو البركات بن الأنباري : «ولا يجوز أن يكون
(أدنى) أفعل من الدناءة ؛ لأن ذلك يوجب أن يكون مهموزاً» ، البيان ١/٨٧ .

(٣) انظر : تفسير البضاوي ١/٢٧ ، والخازن ١/١٣٣ .

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (ب) ، والنص فيها : «... اهبطوا مصرًا ؛ أي انزلوا مصرًا لأنه لم
يرد ...» .

(٥) انظر : تفسير الطبري ١/٣١٤-٣١٥ ، ومعاني القرآن للفرّاء ١/٤٣ ، وللأخفش ١/٢٧٣ ،
وللزَّجَّاج ١/١١٥ ، وتفسير أبي الليث ١/٣٦٩ ، وتفسير الثعلبي ١/٧٧ ب ، وتفسير ابن عطية
١/٢٣٨ ، والبحر المحيط ١/٢٣٤ .

(٦) انظر : المراجع السابقة .

(٧) قوله : (سمى به مذكر) ساقط من (ب) . وبهذا انتهى ما نقله عن الزَّجَّاج ، معاني القرآن ١/١١٦ .

(٨) الإجراء : هو الصرف في اصطلاح الكوفيين ، فالجاري : المنصرف ، وغير الجاري : الممنوع من
الصرف . وقوله : (جُمْل ودعد وهند) صرفت لأنها على ثلاثة أحرف أو سطها ساكن ، فصرفت لخفتها
وإلا فهي مؤنثة . انظر : معاني القرآن للفرّاء ١/٤٢ ، والبيان ١/٨٧ .

والفرء يختار ترك الإجراء ، ويفرق بين هذا وبين أسماء النساء ، قال : إنها^(١) إذا خفت وكانت على^(٢) ثلاثة أحرف ، أو سطها ساكن ، انصرفت ، لأنها تكثر بها التسمية فتخف لكثرتها ، واسم البلد لا يكاد يكثر . فاجعل^(٣) الألف التي في (مصر) ألفاً يوقف عليها ، فإذا وصلت لم تنون كما كتبوا : سلاسل^(٤) وقوارير^(٥) بالألف ، وأكثر القراء على ترك الإجراء فيها^(٦) . ويختار قراءة من قرأ مصر بغير تنوين^(٧) ، وهي قراءة مهجورة^(٨) ، والوجه ما ذكرنا قبل ، أنه صرف لخفته^(٩) .

(١) أي أسماء النساء ، كما هي عبارة الفرء في المعاني ٤٢ / ١ .

(٢) (على) ساقط من (ج) .

(٣) في المعاني للفرء : « . . . فإن شئت جعلت الألف التي في (مصر) ألفاً يوقف عليها . . . ، وإن شئت جعلت (مصر) غير المصر التي تعرف . . . » ٤٣ / ١ .

(٤) من (ب) ، وفي غيرها : (سلاسل) ، آية ٤ من سورة الإنسان .

(٥) في (أ) : (قوارير) ، آية ١٥ ، ١٦ من سورة الإنسان .

(٦) في المعاني : (فيها) ، أي (سلاسل) و(قوارير) . أما (سلاسل) فقرأ نافع والكسائي وأبو بكر وهشام ورويس في رواية بالتنوين ، ووقفوا بالألف عوضاً منها ، والباقون بغير تنوين . وأما (قوارير) فقرأ نافع والكسائي وأبو بكر بالتنوين ، ووقفوا عليها بالألف في الموضعين ، ووافقه ابن كثير في الأول ، والباقون بغير تنوين مع اختلاف في الوقف . انظر : التيسير ٢١٧ ، وانظر : النشر ٣٩٥ / ٤ .

(٧) إذ قال : (والوجه الأول أحب إلي) ؛ لأنها في قراءة عبدالله اهبطوا مصر (بغير ألف . . .) ، معاني القرآن للفرء ٢٣٤ / ١ .

(٨) قال الطبري : ولم يقرأ بترك التنوين فيه وإسقاط الألف منه ، إلا من لا يجوز الاعتراض به على الحجة ١٣٦ / ٢ ، والقراءة بغير تنوين قراءة الحسن ، وطلحة ، والأعمش ، وأبان بن تغلب ، وهي كذلك في مصحف أبي ، وعبدالله ، وبعض مصاحف عثمان ، انظر : تفسير ابن عطية ٣١٨ / ١ ، ٣١٩ ، تفسير القرطبي ٣٦٥ / ١ ، والبحر المحيط ٢٣٤ / ١ .

(٩) قال النحاس : وهذا خطأ على قول الخليل وسيبويه والفرء ، إعراب القرآن ١٨٢ / ١ ، وكذا رده أبو حيان ، انظر : البحر المحيط ٢٣٥ / ١ ، وقد ذكر ابن جرير الطبري الحجج لمن رأى أن المراد مصر من الأمصار ، ولمن قال : إنها مصر المعروفة ، وتوقف في ترجيح قول على الآخر ٣١٤ / ١ . أما ابن كثير فرجح أن المراد مصر من الأمصار ١٠٩ / ١ ، وانظر : البحر المحيط ٢٣٥ / ١ .

وقال الكسائي: العرب الفصحاء^(١) لا يبالون أن يجروا ما لا يجري، ولا يرون به بأساً، ولولا أن ذلك مستقيم لهم ما جاز لهم أن يجروه في الشعر، فلا تهابن أن تجري شيئاً مما لا يجري أبداً، إلا قولهم: أَفَعَلَ مِنْكَ فَإِنَّهُ مِمَّا لَمْ أَسْمَعْ العرب تجربيه في شعر ولا في^(٢) غيره.

والمصري في اللغة: الحاجز بين الشيئين^(٣). قال عدي بن زيد^(٤):

وَجَعَلَ الشَّمْسُ مَضْرّاً خَفَاءَ بِهِ بَيْنَ النَّهَارِ وَيَيْنَ اللَّيْلِ قَدْ فَصَلَا^(٥)

أي حدّاً، ومُضَوَّر الدار: حدودها، فالمصر: القطعة التي بانَتْ بعمارتها عما سواها وانتهت إليه البرية^(٦).

وقوله تعالى: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ﴾ أي ألزموها إلزاماً لا تبرح عنهم، يقال: ضرب عليه^(٧) كذا، إذا ألزمه، وأصله من ضرب الشيء على الشيء، كما يضرب المسمار على الشيء فيلزمه، فيقال^(٨) لكل من ألزم شيئاً: ضرب عليه، يقال: ضرب

(١) بياض في (ب).

(٢) (في) ساقط من (ب). وكلام الكسائي أورده النحاس في إعراب القرآن ١/ ١٨٢.

(٣) ذكر الأزهري عن الليث، تهذيب اللغة (مصر) ٤/ ٣٤٠٦، وانظر: تفسير الثعلبي ١/ ٧٨ أ، تفسير القرطبي ١/ ٣٦٦.

(٤) نسبه بعضهم إلى أمية بن أبي الصلت، وبعضهم إلى عدي.

(٥) يروى البيت (جاعل)، ورد في تهذيب اللغة (مصر) ٤/ ٣٤٠٦، والصحاح (مصر) ٢/ ٨١٧، والمخصص ١٣/ ١٦٤، واللسان (مصر) ٧/ ٥/ ٤٢، وتفسير الثعلبي ١/ ٧٨ أ، ومفردات الراغب ٤٦٩، وزاد المسير ١/ ٨٩، وتفسير القرطبي، البحر المحيط ١/ ٢٢٠، والدر المصون ١/ ٣٩٦.

(٦) (البرية) ساقط من (أ) و(ج). انظر: تهذيب اللغة (مصر) ٤/ ٣٤٠٥، ٣٤٠٦، تفسير الثعلبي ١/ ٧٨ أ، القرطبي ١/ ٣٦٦، واللسان (مصر) ٧/ ٤٢١٥.

(٧) في (ب): (عليهم).

(٨) في (ب): (أن يقال).

فلان على عبده ضريبة ، وضرب السلطان على التجار ^(١) ضريبة ، أي ألزمهم ^(٢) .
ويقال للشيء الدائم : ضربة لازم ولازب ^(٣) . ومنه قول النابغة :

و^(٤) لَا يَحْسِبُونَ الشَّرَّ ضَرْبَةً لِأَزْبِ^(٥)

والذلة : الذل . أبو عبيد عن الكسائي : فرس ذلول بين ^(٦) الذل ، وهو ضد الصعوبة ، ورجل ذليل بين الذلة والذل ^(٧) .

والمسكنة مفعلة من السكون ، قال الليث : المسكنة مصدر فعل المسكين ، وإذا اشتقوا منه فعلاً قالوا : تَمَسَّكَنَ إذا صار مَسْكِيناً ^(٨) . قال ابن الأنباري : المسكنة : الأمور التي تسكن صاحبها وتمنعه من الحركة ، ومن هذا أخذ المسكين ، توهُمَا أن الميم من أصل الكلمة ، كما قالوا : تمكن من المكان ، وهو مفعول من الكون ،

(١) في (ب) : (التجارة) .

(٢) انظر : تفسير الطبري ٣١٥/١ ، وتفسير الثعلبي ١٧٨/١ ، تفسير ابن عطية ٣١٩/١ ، وتفسير القرطبي ٣٦٦/١ .

(٣) قال ابن الأنباري : «ما هذا بضربة لازب ، أي ما هو بضربة سيف لازب ، واللازب : اللازم» . انظر : الزاهر ٦٠٩/١ ، وتهذيب اللغة (لزب) ٣٢٥٨/٤ ، واللسان (لزب) ٤٠٢٥/٧ ، ٤٠٢٦ .

(٤) (الواو) ساقطة من (ب) .

(٥) شطره الأول :

وَلَا يَحْسِبُونَ الْخَيْرَ لَا شَرَّ بَعْدَهُ

ورد البيت في الزاهر ٦٠٩/١ ، وتهذيب اللغة (لزب) ٤٠٢٦/٧ ، والمخصص ٦٨/١٢ ، ومقاييس اللغة (لزب) ٢٤٥/٥ ، واللسان (لزب) ٤٠٢٦/٧ ، وديوان النابغة الذبياني ٣٣ .

(٦) في تهذيب اللغة : (من) . وليس فيه قوله : (وهو ضد الصعوبة) .

(٧) تهذيب اللغة (ذل) ١٢٩٠/٢ ، وانظر : اللسان (ذلل) ١٥١٣/٣ ، ١٥١٤ .

(٨) تهذيب اللغة (سكن) ١٧٢٤/٢ ، ١٧٢٥ ، وانظر : تفسير الطبري ٣١٥/١ ، واللسان (سكن) ٢٠٥٧-٢٠٥٤ .

ويقال : تسكن الرجل وتمسكن إذا ظهرت^(١) عليه أمور المساكين وتشبه بهم . كما يقال : تدرع وتمدرع ، إذا لبس المدرعة^(٢) .

فأما معنى الآية ، فإن جماعة من المفسرين قالوا : في هذا ما دل على أن قوله : ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ﴾^(٣) إخبار عما كانوا^(٤) في عصر موسى . وبعضهم قال : ما يدل على أن ضرب الذلة حصل على من كان في عهد النبي ﷺ .

قال كثير من المفسرين : ضربت عليهم يومئذ الذلة والمسكنة ، وهو أثر البؤس وزئ الفقر ، وذلك لعلم الله فيهم أنهم سيقتلون النبيين ويفعلون ويفعلون ، ثم أعقابهم يتوارثون ذلك الذل والمسكنة ، وهذا قول الكلبي^(٥) . وإلى هذا القول مال ابن الأنباري ، لأنه قال : قوله : ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ﴾^(٦) منسوق على محذوف ، دل الكلام عليه ، وتلخيصه : اهبطوا مصرًا فإن لكم ما سألتهم ، فهبطوا فعثوا وأفسدوا ، وضربت عليهم الذلة ، فلما عرف معنى المراد حذف ، وجرى مجرى الظاهر في حسن العطف عليه ، وقال الحسن وقتادة : ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ﴾ يعطون الجزية عن يد وهم صاغرون^(٧) .

(١) في (ب) : (ظهر) .

(٢) انظر : الزاهر ١/ ٢٢٤ ، وتهذيب اللغة (سكن) ٢/ ١٧٢٣-١٧٢٥ ، والصاحح (سكن) ٥/ ٢١٣٧ ، واللسان (سكن) ٤/ ٢٠٥٤-٢٠٥٧ .

(٣) في (ج) : (والمسكنة) .

(٤) في (ب) : (كان) .

(٥) ذكر أبو الليث عن الكلبي : «يعني الرجل من اليهود وإن كان غنياً ، يكون عليه زي الفقراء» . تفسير أبي الليث ١/ ٣٧٠ ، وانظر : تفسير الرازي ٣/ ١٠٢ ، والبحر المحيط ١/ ٢٣٦ . والكلبي هو محمد بن السائب ، ضعفه ، واتهمه بعضهم بالكذب ، توفي سنة ست وأربعين ومائة ، انظر : تهذيب التهذيب ٣/ ٥٦٩ ، وطبقات المفسرين للدوادري ٢/ ١٤٩ .

(٦) في (ج) : (والمسكنة) .

(٧) ذكره الطبري بسنده عنها ١/ ٣١٥ ، وكذا تفسير ابن أبي حاتم ١/ ٣٨٥ ، وانظر : تفسير أبي الليث ١/ ٣٦٩ ، وتفسير ابن عطية ١/ ٣١٩ ، وتفسير القرطبي ١/ ٣٦٦ ، وتفسير ابن كثير ١/ ١٠٩ .

وقال عطاء بن السائب^(١): هو [الكُستيج]^(٢) وزي اليهودية ، والمسكنة زي الفقر ، فترى المثري منهم يتبأس مخافة أن يضاعف عليه الجزية^(٣) . وهذا يدل على أن هذا الضرب وهذا الأثر حصل على المتأخرين منهم ؛ لأنهم قبل الإسلام لم يعطوا الجزية ولم يوسموا^(٤) بالغيار^(٥) .

فإن قيل : نحن نرى اليهودي يملك المال الواسع ، والفاخر من الثياب ، والرفيع من العقار ، ومن ملك بعض هذا لم يكن مسكيناً . قيل : الذلة الجزية ، والمسكنة فقر القلب والنفس ، وغير ظاهر آثارهما ، ولا يوجد يهودي غني النفس^(٦) . ويجوز أن يكون هذا من العموم الذي أريد بها الخصوص .

-
- (١) هو الإمام الحافظ ، أبو السائب ، كان من كبار العلماء ، ولكنه ساء حفظه قليلاً آخر عمره ، مات سنة ستة وثلاثين ومائة طبقات ابن سعد ٣٣٨ / ٦ ، وطبقات خليفة ١٦٤ ، وسير أعلام النبلاء ١١٠ / ٦ .
- (٢) في (أ) و (ج) : (الكستينج) ، وفي (ب) : (الكستينج) ، وما أثبتته هو الصواب وهو الوارد عند الواحددي في الوسيط ١١٨ / ١ ، والبغوي ٧٨ / ١ ، وفي غيرهما . قال في القاموس : الكُستيج بالضم : خيط غليظ يشده الذمي فوق ثيابه من دون الزنار ، مُعَرَّبٌ : كُستِي . القاموس ١٣٢٨ .
- (٣) ذكره الثعلبي ٧٨ / ١ ، والبغوي ٧٨ / ١ ، وانظر : البحر المحيط ٢٣٦ / ١ .
- (٤) في (ب) : (يرسموا) .
- (٥) ذكره الرازي ١٠٢ / ٢ ، وقال أبو حيان : المضروب عليهم الذلة والمسكنة اليهود المعاصرون لرسول الله ﷺ قاله الجمهور ، البحر ٢٣٦ / ١ . وقيل : لا يلزم هذا فإنهم أذلوا قبل المسلمين ، فقد ذكر ابن كثير عن الحسن قال : أذهم الله فلا منعة لهم وجعلهم تحت أقدام المسلمين ، ولقد أدركتهم هذه الأمة ، وإن المجوس لتجبيهم الجزية ، انظر : تفسير ابن كثير ١٠٩ / ١ .
- (٦) انظر : تفسير الثعلبي ٧٨ / ١ ، وتفسير البغوي ٧٨ / ١ ، وتفسير ابن عطية ٣١٩ / ١ ، وتفسير القرطبي ٣٦٦ / ١ ، والبحر المحيط ٢٣٦ / ١ .

وقوله تعالى: ﴿وَبَاءٌ وَيُوءٌ بَوَاءٌ وَبَوَاءٌ﴾ ، أي رجعوا^(١) في قول الفرّاء^(٢) .
وقال الكسائي: انصرفوا به^(٣) ، ولا يكون أبداً باؤوا إلا بشيء إما بخير وإما
بشر ، يقال: بَاءٌ يَبُوءُ بَوَاءً [وَبَوَاءً]^(٤) ولا يكون باء بمعنى مطلق الانصراف^(٥) .

قال ابن الأنباري: وجاء في الحديث: «باء طلحة بالجنة»^(٦) أي انصرف بها .
وقال أبو عبيدة: باؤوا بغضب: احتملوه^(٧) ، ونحو ذلك قال الزّجاج في قوله:
﴿وَبَاءٌ وَيُغْضِبُ مِنَ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٩٠] . قال: باؤوا في اللغة: احتملوا ، يقال: قد
بؤت بهذا الذنب ؛ أي احتملته^(٨) . ومنه قوله: ﴿أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ﴾ [المائدة: ٢٩] .

(١) في (ب): (ارجعوا) .

(٢) لم أجده للفرّاء ، وبه قال الأخفش في معاني القرآن ٩٧٣/١ ، وابن قتيبة في الغريب ٥١ ، وهو قول الكسائي كما سيأتي .

(٣) في تفسير الثعلبي: (رجعوا في قول الكسائي وغيره) ، ١٧٨/١ ، ونحوه في الماوردي ٣٤٦/١ ، وكذا في البحر ٢٢٠/١ . قال النحاس في شرح القصائد المشهورات: «والكسائي يذهب إلى أن (بؤت) من باء يَبُوءُ إذا رجع» ، ١٧٠ .

(٤) في (أ) و(ج): (بسوا وبؤا) ، وفي (ب): (بَاءٌ يَبُوءُ بَوَاءً وَبَوَاءً) ، وفي معاني القرآن للفرّاء: (باءٌ يَبُوءُ بَوَاءً) ، وفي الطبري: (بَاءٌ فَلانٌ بذنبه يَبُوءُ به بَوَاءً وَبَوَاءً) ، ٣١٦/١ ، ونحو ذلك في معاني القرآن للأخفش ٢٧٣/١ ، وتهذيب اللغة (باء) ٢٤٦-٢٤٨ .

(٥) انظر: تفسير الطبري ٣٠٦/١ .

(٦) لم أجده بهذا اللفظ ، وفي مسند أحمد وغيره: «عن الزبير قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول يومئذ: أوجب طلحة ، حين صنع بر رسول الله ﷺ ما صنع . . . الحديث» ، قال أحمد شاكر: إسناده صحيح ، وقال: الحديث في سيرة ابن هشام عن ابن إسحاق ، ورواه ابن سعد مختصراً ، والترمذي مطولاً . مسند أحمد بتحقيق أحمد شاكر ١٤١٧/٣ . وانظر: الترمذي مع عارضة الأحوذى ١٧٨/١٣ ، وانظر: سيرة ابن هشام ٣٥/٣ ، وطبقات ابن سعد ٢١٨/٣ .

(٧) مجاز القرآن ٤٢/١ .

(٨) معاني القرآن للزّجاج ١٤٨/١ .

واختلف أصحاب الاشتقاق في أصل هذا الحرف : فمذهب أبي العباس أنه من الباء والمباءة ، وهو منزل القوم حيث ^(١) يتبوؤون ^(٢) . فمعنى باء بالذنب ؛ أي نزل منزلة المذنبين ، وبأؤوا بغضب ؛ أي نزلوا منزلة من يلحقهم الغضب ، ومن هذا يقال : أبأت فلاناً بفلان ، إذا قبلته به ، كأنك جعلته ^(٣) في منزلته وفي محله ، وفلان بواء بفلان من هذا ، والكلام يتصرف فيقع بعضه محمولاً على بعض ، هذا هو الأصل ، ثم يفسر : باء بالشيء إذا احتمله ورجع به وانصرف به ، وأقرّ به . وهذه كلها معان ترجع إلى أصل واحد ، وهو الحلول في ذلك المحل ^(٤) .

قال الفرزدق لمعاوية :

فَلَوْ كَانَ هَذَا الْأَمْرُ فِي جَاهِلِيَّةٍ لَبُؤْتَ بِهِ أَوْ غَصَصَ بِالْمَاءِ شَارِبُهُ ^(٥)

(١) في (ج) : (حين) .

(٢) ذكر الأزهري عن الليث نحوه ، وكذا عن الأصمعي وأبي زيد وغيرهم ، تهذيب اللغة (باء) ١/ ٢٤٦ - ٢٤٨ .

وذكر الماوردي عن أبي العباس المبرد : أن أصل ذلك المنزلة ، ومعناه : أنهم نزلوا منزلة غضب من الله ، تفسير الماوردي ١/ ٣٤٤ . انظر : الصحاح (بؤأ) ١/ ٣٧ ، واللسان (بؤأ) ١/ ٣٨٠ - ٣٨٢ .

(٣) في (ج) : (وجعلته) .

(٤) ذكر ابن فارس في مقاييس اللغة : أن (بؤأ) الباء والواو والهمزة أصلان : أحدهما : الرجوع إلى الشيء ، والثاني : تساوي الشيئين ١/ ٣١٢ .

وانظر : تفسير الطبري ١/ ٣١٦ ، والماوردي ١/ ٣٤٤ ، وتهذيب اللغة (باء) ١٥/ ٥٩٤ - ٥٩٦ .

(٥) يروى هذا البيت بروايات مختلفة ، منها (شئت) بدل (لبؤت) ، وعليها فلا شاهد فيه هنا ، ورواية الديوان :

وَلَوْ كَانَ هَذَا الْأَمْرُ فِي غَيْرِ مُلْكِكُمْ لَأَدَيْتَهُ أَوْ غَصَصَ بِالْمَاءِ شَارِبُهُ

انظر : الكامل ٢/ ٢٣٢ ، والتهذيب (شئاً) ٢/ ١٩٤١ ، ومجمل اللغة (شئو) ٢/ ٥١٣ ، واللسان (شئاً) ٤/ ٢٣٣٦ ، وديوان الفرزدق ١/ ٥٣ .

أي لأقررت^(١) به ، كأنه قال : حللت محل المقر به^(٢) ، وقال لبيد :
 أَنْكَرْتُ بِاطِلَها وَبُؤْتُ بِحَقِّها عِنْدِي وَلَمْ تَفْخَرْ عَلَيَّ كِرَامُها^(٣)
 وقوله تعالى : ﴿ تَبَوَّأُوا بُيُوتَكُمْ ﴾ [المائدة: ٢٩] تأويله : تحل محل من اجتمعت
 عليه العقوبتان بأن لم يتقبل قربانك وقتلتني^(٤) .

وعند الزَّجَّاج أن أصل هذا الحرف من التسوية^(٥) . تقول العرب : هم في
 هذا الأمر بواء ، أي سواء . وبوأت الرمح نحو الفارس : سويته ، وبوأت فلاناً
 منزلاً^(٦) ، أي سويته^(٧) له ، وقد باءت دماء القوم : إذا استوت ، وباء فلان
 بالذنوب : إذا احتمله واستوى عليه .

-
- (١) (به) ساقط من (ب) .
 (٢) انظر : الكامل ٢/ ٢٣٢ .
 (٣) البيت متعلق ببيت قبله ، وقوله : (أنكرت باطلها) ، أي رددته ، و(بؤت بحقها) : رجعت أو اعترفت
 وأقررت . انظر : شرح ديوان لبيد ٣١٨ ، وشرح القصائد المشهورات ١٧٠ ، والصحاح (بوأ)
 ٣٨/ ١ ، واللسان (بوأ) ٣٧/ ١ ، والخزانة ٥/ ٥١٨ ، ٩/ ١٦ ، والدر المصون ١/ ٣٩٨ .
 (٤) قال الزَّجَّاج : ترجع إلى الله بإثمى وإثمك ، معاني القرآن ٢/ ١٨٢ ، وانظر : تفسير الطبري
 ١٩٢/ ٦ ، ١٩٣ .
 (٥) لم أجده عند الزَّجَّاج في ما اطلعت عليه ، والله أعلم ، والذي قاله الزَّجَّاج في المعاني عند تفسير قوله
 تعالى : ﴿ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ ﴾ [البقرة: ٩٠] . قال : «معنى بءاءوا في اللغة : احتملوا ، يقال :
 قد بؤت بهذا الذنب : أي تحملته» ، معاني القرآن ١/ ١٤٨ ، وعند تفسير قوله تعالى : ﴿ تَبَوَّأُوا بُيُوتَكُمْ ﴾
 وَإِثْمَكُمْ [المائدة: ٢٩] ، قال : أي ترجع إلى الله بإثمى وإثمك ، معاني القرآن ١/ ١٨٢ ، و(بواء)
 بمعنى : سواء ذكره الماوردي ١/ ٣٤٥ ، وذكره الأزهرى عن أبي العباس وأبي عبيدة والأخفش ،
 انظر : تهذيب اللغة (باء) ١/ ٢٤٦-٢٤٨ ، وانظر : البحر المحيط ١/ ٢٢٠ .
 (٦) في (ب) : (منزل) .
 (٧) في الصحاح : «بَوَّأت للرجل منزلاً ، وبَوَّأته منزلاً ، أي هيأته ومكنت له فيه» ، الصحاح (بوأ)
 ٣٧/ ١ ، وانظر : تهذيب اللغة (باء) ١/ ٢٤٧ .

وفي حديث عبادة بن الصامت قال : «جعل الله الأنفال إلى نبيه ﷺ ، فقسمها بينهم عن بواء»^(١) أي^(٢) : عن سواء بينهم في القسم .

فمعنى ﴿وَبَاءُ وَيَغْضَبُ مِنَ اللَّهِ﴾ كأنهم استوى عليهم الغضب من الله^(٣) . ومعنى غضب الله : ذمه إياهم وإنزال العقوبة بهم ، لا كعارض يحل بالمخلوقين^(٤) .

وقوله تعالى : ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ﴾ . (ذلك) إشارة إلى ضرب الذلة^(٥) والمسكنة والغضب^(٦) ، ومعنى ﴿يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ قال ابن عباس : يريد الحكمة التي أنزلت على محمد ﷺ^(٧) . وقال غيره : أي بصفة محمد ﷺ وآية الرجم^(٨) .

وقوله تعالى : ﴿وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ ، قال الفرّاء : إنما ألزمهم الله القتل ولم يقتلوا ؛ لأن الذين كانوا في زمن النبي ﷺ من اليهود تولوا أولئك الذين قتلوا ، فسماهم الله قتلته^(٩) ، وقد قال الله تعالى : ﴿وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ [المائدة : ٨١] ، فألزمهم الكفر بتوليهم الكفار .

(١) الحديث أخرجه أحمد ٣٢٢ / ٥ ، وابن ماجه : (٢٨٥٢) ، وذكره الماوردي في تفسيره ٣٤٥ / ١ .

(٢) (أي) ساقط من (ب) .

(٣) انظر : تفسير الماوردي ٣٤٥ / ١ ، والبحر المحيط ٢٢٠ / ١ ، ٢٣٦ .

(٤) هذا تأويل لصفة الغضب التي أثبتها الله لنفسه ، فيجب أن نشبتها له كما أثبتها لنفسه ، ولا يلزم لها أي لازم باطل كأن تكون كالعارض الذي يحل بالمخلوقين .

(٥) في (ج) : (الذل) .

(٦) انظر : تفسير الطبري ٣١٦ / ١ ، وانظر : تفسير ابن عطية ٣٢٠ / ١ .

(٧) ذكر المؤلف في الوسيط ١ / ١١٩ ، ولم أجده عند غيره في ما اطلعت عليه ، والله أعلم .

(٨) ذكره الثعلبي ١ / ٧٨ أ ، والبلغوي ١ / ٧٨ ، وأبو حيان في البحر ١ / ٢٣٦ . والأولى عموم الآية لأن كفر اليهود إنما جاء من كفرهم بالتوراة وتحريفها ، ومن ثم كفرهم بمحمد وما جاء به فهو عام . انظر : تفسير الطبري ٣١٦ / ١ ، ٣١٧ ، تفسير أبي الليث ١ / ٣٧٠ ، والبحر المحيط ١ / ٢٣٦ ، وتفسير ابن كثير ١ / ١٠٩ .

(٩) انتهى ما نقله من كلام الفرّاء ، انظر : المعاني ١ / ١٦ .

ويعني بالنبيين مَنْ قتلهم اليهود مثل : زكريا ويحيى وشعيب ، وسائر من قتلوا من الأنبياء^(١) .

وقوله تعالى : ﴿بَغْيًا الْحَقِّ﴾ هو صفة للقتل ، كأنه قيل : قتلاً بغير حق ، يعني بالظلم^(٢) . قال ابن الأنباري : معناه : ويقتلون النبيين من غير جرم وذنوب أتوها توجب دماءهم ، وتلزمهم أن يمحوا من ديوان النبوة لأجلها ، ولا يجوز أن يقتل نبي بحق أبداً^(٣) .

وقيل : قوله : ﴿بَغْيًا الْحَقِّ﴾ تأكيد ، لأن قتل النبي لا يكون إلا بغير حق ، فهو كقوله : ﴿الْقُلُوبُ لَئِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج : ٤٦] ﴿وَلَا ظَلَمَ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾ وأمثاله^(٤) .

وقوله تعالى : ﴿ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا﴾ . قال الأخفش : (ما) و(الفعل) بمنزلة المصدر ، أي ذلك الكفر والقتل بعصيانهم^(٥) . يعني أن الكفر والقتل حصلا منهم بعصيانهم ما أمروا به وتركهم الطاعة^(٦) ، لأن نفس الكفر والقتل هو العصيان ، فالعصيان هو الكفر ، والكفر هو العصيان ، وكل واحد منهما موجب للآخر في هذا الموضع ، وإن لم يكن العصيان كفراً في مواضع . ويجوز أن يكون المعنى : ذلك حصل بشؤم عصيانهم ، فحذف المضاف^(٧) .

(١) انظر : الثعلبي في تفسيره ٧٨/١ ب .

(٢) انظر : تفسير الماوردي ٣٤٧/١ ، وتفسير البغوي ٧٨/١ ، وزاد المسير ٩٠/١ ، والبحر المحيط ٢٣٧/١ .

(٣) انظر : تفسير ابن عطية ٣٢٢/١ ، وتفسير البغوي ٧٨/١ ، وزاد المسير ٩٠/١ ، والكشاف ٢٨٥/١ ، وتفسير القرطبي ٣٦٨/١ ، والبحر المحيط ٢٣٧/١ ، وروح المعاني ٢٧٦/١ .

(٤) انظر : زاد المسير ٩٠/١ ، والبحر المحيط ٢٣٧/١ .

(٥) انظر : معاني القرآن للأخفش ٢٧٦/١ ، ونقل قوله بمعناه . وانظر : إعراب القرآن للنحاس ١٨٢/١ ، وتفسير القرطبي ٣٦٨/١ .

(٦) انظر : تفسير الطبري ٣١٧/١ .

(٧) أو يكون العصيان والتهادي فيه جرهم إلى القتل والكفر ، فإن صغار الذنوب سبب يؤدي إلى الكبائر ، ذكره البيضاوي في تفسيره ٢٧/١ ، والنسفي في تفسيره ١٣٤/١ ، وأبو حيان في البحر ٢٣٧/١ .

وعلى هذا التأويل يتوجه قول من خص العصيان والاعتداء بعصيانهم الله في السبت ، واعتدائهم فيه ، فإن كثيراً من المفسرين ذهبوا إلى هذا^(١) ، ومنهم من لم يخص ، وقال : ذلك^(٢) بركوبهم المعاصي ، وتجاوزهم أمري ، وارتكابهم محارمي^(٣) .

قلت : وهذه^(٤) الأخبار التي أخبر الله^(٥) عن اليهود ووصفهم بها ليست تشملهم كلهم مذ كانوا إلى عصر النبي ﷺ ، بل بعضهم انقرضوا قبل هذه الأحداث ، وبعضهم اتصف ببعض هذه الأوصاف من دون بعض ، وبعضهم رضي بما أتى به الآخرون من هذه الجرائم ، فكانوا^(٦) شركاءهم^(٧) في الإثم ، ولكن الله تعالى أضاف هذه الأوصاف إلى اليهود ، وهو يريد الجانين والذين تولوهم ، كقوله تعالى : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ ﴾ [التوبة : ٣٠] وكلهم لم يقل ذلك .

(١) بل هو قول بعضهم ، انظر : الكشف ٢٨٥ / ١ ، والنسفي في تفسيره ١٣٤ / ١ ، والبحر المحيط ٢٣٧ / ١ .

(٢) (ذلك) ساقط من (ب) .

(٣) وعليه أكثر المفسرين ، انظر : تفسير الثعلبي ٧٨ / ١ ب ، وتفسير الطبري ٣١٧ / ١ ، وتفسير أبي الليث ٣٧٢ / ١ ، والكشاف ٢٨٥ / ١ ، وتفسير البغوي ٧٨ / ١ ، وتفسير ابن كثير ١٠٩ / ١ .

(٤) في (أ) و(ج) : (وهذا) ، وأثبت ما في (ب) لأنه أنسب للسياق .

(٥) في (ب) : (أخبر الله به) .

(٦) في (ب) : (وكانوا) .

(٧) في (ب) : (شركاؤهم) .

فأما (النبي) فأكثر العرب على ترك همزه^(١). قال^(٢) أبو عبيدة : اجتمعت العرب على حذف الهمزة من أربعة أحرف من النبي والذرية والخاية والبرية وأصلها^(٣) الهمزة^(٤).

وأما اشتقاقه فقال الزَّجَّاج وعدة معه : اشتقاقه^(٥) من نَبَأَ وأنْبَأَ ، أي أخبر ، فترك همزه لكثرة الاستعمال . ويجوز أن يكون من نَبَأَ يَنْبُو ، إذا ارتفع ، فيكون فعلاً من الرفع^(٦).

(١) أكثر علماء اللغة على أن أصل (النبي) مهموز من أنبأ عن الله ، فتركت العرب همزه على طريق البدل لا على طريق التخفيف . ومنهم من يرى أنه غير مهموز الأصل ، وإنما هو من النبوة ، وهي الرفع ، الأول قول سيبويه ، انظر : الكتاب ٣ / ٥٥٥ ، وإصلاح المنطق ١٥٨ ، ومعاني القرآن للأخفش ١ / ٢٧٤ ، ومعاني القرآن للزَّجَّاج ١ / ١١٧ ، والحجة لأبي علي ١ / ٨٨ ، والإغفال ٢٠٤ ، واشتقاق أسماء الله ٢٩٣ ، وتهذيب اللغة (نبا) ٤ / ٣٤٩٠ ، وتفسير الطبري ١ / ٣١٧ ، الزاهر ٢ / ١١٩ ، وفيه اختار ابن الأثير أن أصله غير مهموز .

(٢) في (ب) : (وقال) .

(٣) في (ب) : (أصلها) بحذف الواو .

(٤) في (ج) : (الهمز) . وكلام أبي عبيدة أورده ابن السكيت في إصلاح المنطق عنه عن يونس ، إصلاح المنطق ١٥٩ ، وانظر : اشتقاق أسماء الله ٢٩٥ .

(٥) في (ب) : (مشتق) .

(٦) معاني القرآن للزَّجَّاج ١ / ١١٧ ، وانظر : تهذيب اللغة (نبا) ٤ / ٣٤٩٠ ، وقال أبو القاسم الزَّجَّاجي : «اعلم أن للعلماء في اشتقاق (النبي) قولين : أما سيبويه في حكايته عن الخليل فيذهب إلى أنه مهموز الأصل من أنبأ عن الله ، أي أخبر ، وهو مذهب أكثر أهل اللغة ، فتركت العرب همزه لا على طريق التخفيف ، لكن على طريق الإبدال . . . » ، ثم ذكر الفرق بين التخفيف والإبدال ، ويبيّن أن ما ترك عن طريق الإبدال لا يجوز همزه إلا عند من لا يرى البدل . قال : «والقول الآخر مذهب جماعة من أهل اللغة ، وهو رأي أبي عمرو بن العلاء ، قالوا : ليس بمهموز الأصل ، وإنما هو من النبوة وهي الرفع» ، اشتقاق أسماء الله للزَّجَّاجي ٢٩٣ ، ٢٩٤ .

وقال ابن السكيت : النبي هو من أنبأ عن الله ، فترك همزه ، قال : وإن أخذته من النبوة والنبوة ، وهي الارتفاع من الأرض ، أي أنه شرف^(١) سائر الخلق ، فأصله غير الهمز^(٢) ، وأنشد قول أوس بن حجر :

لَأَصْبَحَ رَتْمًا^(٣) دُقَاقَ الْحَصَى مَكَانَ النَّبِيِّ مِنَ الْكَاتِبِ^(٤)

قال : النبي : المكان المرتفع .

قال أبو علي في ما استدرك على أبي إسحاق^(٥) : النبي اشتقاقه من النبأ الذي هو الخبر ، كأنه المخبر عن الله سبحانه ، وهذا مذهب سيبويه^(٦) .

- (١) في إصلاح المنطق : (أي شرف على سائر الخلق) ، ١٥٨ ، وانظر : تهذيب اللغة ٤ / ٣٤٩٠ .
- (٢) الكلام بهذا النص في تهذيب اللغة (نبا) ٣٤٩٠ ، وورد في إصلاح المنطق عن الفراء ، وقال ابن السكيت بعده : وأنشد هو أي الفراء وأبو عمرو ثم ذكر بيتاً غير بيت أوس ، إصلاح المنطق ١٥٨ .
- (٣) في (أ) و(ج) : (رقها) ، وما في (ب) موافق للمصادر التي ورد بها البيت .
- (٤) في النسخ جميعها : (الكاتب) بالياء ، وهذا مخالف للمصادر جميعها . و(الرتم) : الدق والكسر ، (دُقَاقَ الحصى) : دقيق الحصى ، و(النبي) : المكان المرتفع ، و(الكاتب) : الرمل المجتمع . ورد البيت في إصلاح المنطق ٥٨ ، وجهرة أمثال العرب ١٣ / ٢ ، والزاهر ١١٩ / ٢ ، وتهذيب اللغة (كتب) ٤ / ٣١٠٣ ، و(رتم) ١٣٥٨ / ٢ ، و(ثرم) ١٣٦٠ / ٢ ، و(نبا) ٤ / ٣٤٩٠ ، والصحاح (نبا) ٦ / ٢٥٠١ ، ومجمل اللغة (رتم) ٢ / ٤٩٨ ، و(كتب) ٧ / ٣٨٢٦ ، ومقاييس اللغة (كتب) ٥ / ١٦٣ ، و(نبو) ٥ / ٣٨٥ ، واللسان (كتب) ٧ / ٣٨٢٦ ، و(رتم) ٣ / ١٥٧٨ ، و(نبا) ١٥ / ٣٠٢ ، وتفسير القرطبي ١ / ٣٦٧ ، والدر المصون ١ / ٤٠٢ .
- (٥) وذلك في كتاب الإغفال في ما أغفله الزجاج من المعاني ٢٠٥ ، ونقل عنه الواحدي بتصرف ، وداخل بين كلام أبي علي في الإغفال وكلامه في الحجة . وكلام أبي علي بنصه في المخصص ١٢ / ٣٢١ .
- (٦) نص كلام أبي علي في الإغفال : « لا يخلو قولهم : (النبي) من أن يكون مأخوذاً من (النبأ) أو من النبوة التي هي ارتفاع أو يكون مأخوذاً منها . فحمل (اللام) مرة على أنه ياء منقلبة عن الواو ، ومرة على أنها همزة كسنة وعضا ، فلا يجوز أن يكون مأخوذاً من النبوة ، لأن سيبويه حكى أن جميع العرب يقولون : تنبأ مسيلمة . . . » . الإغفال ٢٠٥ . وانظر : كلام سيبويه في الكتاب ٣ / ٤٦٠ ، ٥٥٥ .

ولا يجوز أن يكون مشتقاً من النبأ الذي هو الخبر ، والنبأوة التي هي الرفعة بأن يحتمل الأمرين^(١) ؛ وذلك لأن العرب كلهم يقولون^(٢) : تَبَّأُ مُسَيْلَمَةُ بِالْهَمْزِ ، ويقولون في تحقير النبوة : كان مسيلمة نُبُوَّتُهُ نُبِيَّةً سَوْءً^(٣) ، فلو كان يحتمل الأمرين جميعاً ما أجمعوا على الهمز في فعله وتحقيره .

فإن قيل^(٤) : فإن المازني أنشد على أن (النبي) من النبأوة قول بعضهم :

مَحْضُ الضَّرِيَّةِ فِي النَّبِيِّ الَّذِي وُضِعَتْ
فِيهِ النَّبَأُوهُ حُلُوا غَيْرَ مَمْدُوقٍ^(٥)

قيل : أراد : في البيت الذي وضعت فيه الرفعة ، وليس كل رفعة [نبوة]^(٦) ، وقد يكون في البيت رفعة ليست^(٧) [بنبوة]^(٨) ، والمخبر عن الله المبلغ عنه إذا

(١) قال أبو علي : « . . . ولا يجوز أيضاً أن تكون لامه على وجهين : مرة ياء منقلبة عن الواو ، ومرة همزة . . . » ، الإغفال ٢٠٦ .

(٢) يقولون) ساقط من (ب) .

(٣) السياق أقرب إلى كلام أبي علي في الحجة ٨٩/٢ ، وانظر : الإغفال ٢٠٦ ، ٢٠٩ ، الخصائص ٣٢٢/١٢ ، والكتاب ٤٦٠/٣ .

(٤) قوله : (فإن قيل فإن المازني . . . إلخ) لم يرد في الإغفال ، وإنما ورد في الحجة ٨٨/٢ .

(٥) ورد البيت في الحجة لأبي علي من دون نسبة ٨٨/٢ ، وأورده ابن سيده في المخصص ، ونسبه إلى ابن همام ٣٢٣/١٢ . وقوله : (محض الضريبة) المحض من كل شيء : الخالص . و(الضريبة) : الطبيعة والسجية . انظر : الصحاح (ضرب) ١/١٦٩ ، واللسان (محض) ٦/٤١٤ .

(٦) في (أ) و(ب) : (نبوة) ، وفي (ج) : (نبوه) ، والتصحيح من الحجة ٩٠/٢ .

(٧) في (ب) : (ليس) .

(٨) في (أ) و(ب) : (بنبوة) ، وفي (ج) : (بنبوة) ، والتصحيح من الحجة ٩٠/٢ .

أخذ اسمه من النبأ^(١) كان أخص به وأشد مطابقة للمعنى المقصود ، ولأن النبوة ليس من الارتفاع المحمود ، ألا ترى أنه لا يمدح به^(٢) كما يمدح بالرفعة^(٣) .

فإن^(٤) قلت : فلم لا يستدل بقولهم : أنبياء^(٥) على جواز الأمرين^(٦) . لأنهم جمعوا ما كان أصله غير^(٧) الهمز على أفعلاء نحو : غني وأغنياء وتقي وأتقياء ، فيحتمل^(٨) على هذا أن النبي أصله غير الهمز ، [ويحتمل أن أصله الهمز]^(٩) فترك همزه ، وجمع^(١٠) على أفعلاء ، تشبيهاً بما أصله غير الهمز .

قليل : ما ذكرته لا يدل على تجويز الأمرين ؛ لأن (أنبياء) إنما جاء لأن البدل من الهمز لزم في (نبي) فصار في لزوم البدل له كقولهم : عيد وأعياد ، فكما أن أعياداً لا يدل على أن عيداً من الياء ، لكونه من عود الشيء ، كذلك لا يدل (أنبياء) على أنه من النبوة ، ولكن لما لزم البدل جعل بمنزلة : تقي وأتقياء وصفي وأصفياء ونحو ذلك ، وصار^(١١) كالبرية والخابية ، ونحو ذلك مما لزم الهمزة فيه حرف اللين بدلاً من الهمزة ، وما دل على أنه من الهمز قائم لم يعترض عليه^(١٢) شيء .

(١) في النسخ جميعها : (النبأ) من دون همز ، والتصحيح من الحجة ٩٠ / ٢ .

(٢) (به) ساقط من (ب) .

(٣) من قوله : (ولأن النبوة . . .) إلى قوله : (كما يمدح بالرفعة) ليس في الحجة ولا في الإغفال .

(٤) في (ب) : (قال قلت) .

(٥) أي بالجمع . انظر : الإغفال ٢٠٧ ، والحجة ٩٠ / ٢ .

(٦) الأمران هما : كون اللام همزة ، أو حرف لين ، انظر : الإغفال ٢٠٧ .

(٧) أي أن أفعلاء جمع في أكثر الأمر لمعتل اللام ، انظر : الإغفال ٢٠٧ .

(٨) في (ب) : (فيحتمل) .

(٩) ما بين المعقوفين ساقط من (ج) .

(١٠) قوله : (ويحتمل . . .) إلى (فترك همزه وجمع) ، مكرر في (ب) بعد قوله : (بما أصله غير الهمز) .

(١١) في (ب) : (فصار) .

(١٢) في الحجة : «لم يعترض فيه شيء» ، وبعده : «فصار قول من حقق الهمزة في النبي كرد الشيء إلى الأصل المرفوض استعماله . . .» ، ٩٠ / ٢ .

وقد جمعه أيضاً نبأ^(١) على فعلاء^(٢)، مثل ظريف وظرفاء. قال العباس بن مرداس^(٣):

يَا خَاتَمَ النَّبَاءِ^(٤) إِنَّكَ مُرْسَلٌ بِالْحَقِّ خَيْرٌ هُدَى إِلَهٍ هَذَاكَ^(٥)

وكأنه جمعه على أصل اللغة، ولما لزم البدل في نبي صار قول من حقق الهمز كرد الشيء إلى الأصل المرفوض استعماله نحو: وَذَرَّ وَوَدَّعَ، فَمِنْ ثَمَّ كَانَ الْأَكْثَرُ فِيهِ التَّخْفِيفُ. واسترداً سيويه تحقيق: النبيء والبرية^(٦)، لأن الغالب في استعمالهما التخفيف على وجه البدل. ومن زعم أن البرية من البرا^(٧) كان غلطاً؛ لأنه لو كان كذلك لم يجز همزه بحال، وهي مهموزة في لغة أهل الحجاز، فتحقيقهم لها يدل على أنها من برا الله الخلق.

(١) في (أ) و(ج): (نبأ)، وفي (ب): (نبا)، وما أثبتته يوافق ما في الحجة ٢/ ٩٠.

(٢) في (ج): (أفعلاء).

(٣) هو العباس بن مرداس بن أبي عامر بن سليم، وأمه الخنساء، الصحابية الشاعرة المشهورة، أسلم العباس قبل فتح مكة ببسير، وكان من المؤلفات قلوبهم. انظر: ترجمته في الشعر والشعراء ٥٠١، والخزانة ١/ ١٥٢.

(٤) في (أ) و(ج): (النبأ)، وفي (ب): (البنأ).

(٥) رواية شطره الثاني في أكثر المصادر:

بِالْخَيْرِ كُلِّ هُدَى السَّبِيلِ هَذَاكَ

ورد البيت في الكتاب ٣/ ٤٦٠، وسيرة ابن هشام ٤/ ٩٥، والمقتضب ١/ ١٦٢، ٢/ ٢١٠، وجمهرة اللغة ٣/ ٢١٢، والصحاح (نبأ) ١/ ٧٥، والحجة لابن زنجلة ٩٩، والحجة لأبي علي ٢/ ٩٠، وتفسير الطبري ١/ ٣١٧، واللسان (نبأ) ٤/ ٤٣١٥، وتفسير القرطبي ١/ ٣٦٧.

(٦) انظر: الكتاب ٣/ ٥٥٥، وقوله: (البرية) هكذا في النسخ جميعها، ولو قال: (البريئة) كان أولى، انظر: الحجة ٢/ ٩١.

(٧) (البرا): التراب، انظر: الحجة ٢/ ٩١.

فأما حجة من همز (النبي) أن يقول : هو أصل الكلمة ، وليس مثل (عيد) الذي قد ألزم البدل ، ألا ترى أن ناساً من أهل الحجاز قد حققوا الهمز في الكلام ، ولم يبدلوه ، فإذا كان الهمز أصل الكلمة وأتى به قوم في كلامهم على أصله لم يكن مثل : وَذَرَّ وَوَدَعَ ونحوهما مما رفض في استعمالهم^(١) واطرح .

وأما ما روي في الحديث من أن بعضهم قال : يا نبيء الله ، فقال : لست بنبيء الله ، ولكن نبيي الله ، فإن أهل النقل ضعفوا إسناد الحديث^(٢) . ومما يقوي^(٣) تضعيفه أن^(٤) من مدح النبي - عليه السلام - بقوله^(٥) :

يَا خَاتَمَ النَّبَاءِ^(٦) . . .

لم يؤثر فيه إنكار عليه ، ولو كان في واحده نكير لكان الجمع كالواحد ، وأيضاً فلم نعلم^(٧) أنه - عليه السلام - أنكر على الناس أن يتكلموا بلغاتهم .

(١) في الحجة : «لم يكن كماضي (يدع) ونحوه مما رفض استعماله واطرح» ، ٩١ / ٢ .

(٢) في الحجة : «فأظن أن من أهل النقل من ضعف إسناد الحديث . . .» ، ٩٢ / ٢ . والحديث أخرجه الحاكم في المستدرک عن أبي ذر ، وقال هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه ، وتعقبه الذهبي ، فقال : بل منكر لم يصح . قال النسائي : حمران ليس بثقة ، وقال أبو داود : رافضي ، روى عن موسى بن عبيدة ، وهو واه ، ولم يثبت أيضاً عنه عن نافع ، عن ابن عمر قال : ما همز رسول الله ﷺ ولا أبو بكر ولا عمر ولا الخلفاء ، وإنما الهمز بدعة ابتدعوها من بعدهم . المستدرک ، كتاب التفسير ٢ / ٢٣١ ، وذكره ابن الأثير في الزاهر ٢ / ١٢٠ ، وأبو القاسم الزجاجي في اشتقاق أسماء الله ٢٩٤ ، وأعله بالإرسال ، وانظر : البيان ١ / ٨٨ ، والنهاية ٥ / ٣ .

(٣) في (ج) : (ومما يقوى هذا الحديث تضعيفه) .

(٤) في (ب) : (من أن) .

(٥) (بقوله) ساقط من (ب) .

(٦) البيت للعباس بن مرداس وقد مرّ قريباً .

(٧) في (ب) : (يعلم) .

وأما من أبدل ولم يحقق فإنه يقول : مجيء الجمع في التنزيل على أنبياء يدل على أن الواحد قد ألزم فيه البدل^(١) ، وإذا لزم البدل ضعف التحقيق^(٢) .

وقال الكسائي : النبي بغير همز ، معناه في اللغة : الطريق ، والأنبياء طرق الهدى^(٣) . وعلى هذا سمي الرسول نبياً لاهتداء الخلق به . واختار ابن الأنباري هذا القول ، وقال^(٤) : سمي النبي نبياً لبيان أمره ووضوح خبره ، أخذ من النبي وهو عندهم الطريق^(٥) .

وأنشد للقطامي^(٦) :

لَمَّا وَرَدَنَ نَبِيًّا وَاسْتَتَبَ بِنَا
مُسْحَنَفَرٍ كَخُطُوطِ السَّيْحِ مُنْسَحِلٍ^(٧)

-
- (١) (البدل) ساقط من (ب) .
- (٢) انتهى ما نقله عن الحجة لأبي علي الفارسي ٩٢-٨٨/٢ ، وانظر : الإغفال ٢٠٤ ، ٢١٠ ، واشتقاق أسماء الله للزجاجي ٢٩٤ ، ٢٩٥ ، المخصص ٣٢١-٣٢٣ .
- (٣) تهذيب اللغة (نبا) ١٤٨٩/٤ ، وانظر : تفسير الثعلبي ٧٨/١ ب ، تفسير الطبري ٣١٧/١ ، والبحر المحيط ٢٢٠/١ .
- (٤) الزاهر ١١٩/٢ ، وظاهر كلامه أنه يرجح غيره ، فقد قال : « النبي معناه في كلام العرب الرفيع الشأن . . . ، ثم قال : ويجوز أن يكون النبي سمي نبياً لبيان أمره . . . إلخ » .
- (٥) رد أبو القاسم الزجاجي على ابن الأنباري قوله : إن النبي من أسماء الطريق ، كما نقل ذلك ياقوت في معجم البلدان ، قال ياقوت : « وقال أبو بكر بن الأنباري في الزاهر في قول القطامي : لَمَّا وَرَدَنَ نَبِيًّا . . . البيت إن النبي في هذا البيت هو الطريق ، وقد رد عليه ذلك أبو القاسم الزجاجي فقال : كيف يكون ذلك من أسماء الطريق وهو يقول : لَمَّا وَرَدَنَ نَبِيًّا ، وقد كانت قبل وروده على طريق ، فكأنه قال : لَمَّا وَرَدَنَ طريقاً ، وهذا لا معنى له إلا أن يكون أراد طريقاً بعينه في مكان مخصوص ، فيرجع إلى أنه اسم مكان بعينه . . . » . معجم البلدان ٥/٢٥٩ .
- (٦) القطامي : هو عمير بن شبيب التغلبي ، كان نصرانياً فأسلم ، وعده الجمع في الطبقة الثانية من شعراء الإسلام ، انظر : طبقات الشعراء للجمحي ١٧٩ ، والشعر والشعراء ٤٨٣ ، والخزانة ٣٧٠/٢ .
- (٧) قوله : (استتب) : استقام وتبين واطرد ، و(نبي) : مكان معين في ديار تغلب ، (مُسْحَنَفَرٍ) : صفة لطريق واسع ممتد (السيح) : ضرب من البرود أو العباء مخطط . (مُنْسَحِل) : مكشوط ، وصف الطريق بذلك وأنه لكثرة المرور به صار واضحاً . ورد البيت في الزاهر ١١٩/٢ ، وتفسير الطبري ١٤١/٢ ، وتفسير =

٦٢. قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا﴾ الآية. ^(١) قال الليث: الهُود: التوبة، وقوله عز وجل: ﴿إِنَّا هُذَنَّا﴾ [الأعراف: ١٥٦] أي بُنينا ^(٢). وقال غيره: هاد في اللغة معناه: مال. يقال: هَادَ يَهُودُ هِيَادَةً وَهُوداً ^(٣).

قال امرؤ القيس:

قَدْ عَلِمْتُ سَلَمَى وَجَارَاتِهَا أَنِّي مِنَ النَّاسِ لَهَا هَائِدٌ ^(٤)
أَي إِلَيْهَا مَائِلٌ.

وقال المبرّد في قوله: ﴿إِنَّا هُذَنَّا إِلَيْكَ﴾ أي ملنا إليك، ويقال لمن تاب: هاد؛ لأن من تاب عن شيء مال عنه، فأما اليهود، فقال الليث: سُموا يهوداً اشتقاقاً من هادوا، أي تابوا من ^(٥) عبادة العجل ^(٦). فعلى هذا القول لزمهم الاسم في

= ابن عطية ١/ ٢٤١، ومعجم البلدان ٥/ ٢٥٩، واللسان (نبا) ٧/ ٤٣٣٣، والبحر المحيط ١/ ٢٢٠، والدر المصون ١/ ٤٠٢.

(١) في هامش نسخة (أ) تعليق صدره الكاتب برمز (ش ك)، أي شرح من الكاتب، والكلام بنصه منقول عن الكشف ١/ ٢٨٥، وأثبتته هنا للفائدة: «ش ك» ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾: بالسنتهم من غير مواطأة القلوب، وهم المنافقون، ﴿وَالَّذِينَ هَادُوا﴾: والذين تهودوا، يقال: هاد يهود، وتهود إذا دخل في اليهودية وهو هائد، والجمع هود، ﴿وَالنَّصْرَيْنِ﴾: وهم جمع نصران، يقال: رجل نصران وامرأة نصرانة، قال: كَمَا سَجَدْتُ نَصْرَانَةً لَمْ تَخْشَفِ. و(الياء) في نصراني للمبالغة كالتي في أحمرى، سموا بذلك لأنهم نصروا المسيح عليه السلام. ﴿وَالصَّٰدِقَيْنِ﴾: وهو من صبا، إذا خرج من الدين، وهم قوم عدلوا عن دين اليهودية والنصرانية وعبدوا الملائكة. ﴿مَنْ ءَامَنَ﴾: من هؤلاء الكفرة إيماناً خالصاً ودخل في ملة الإسلام دخولاً أصيلاً، ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾: الذي يستوجبونه بإيمانهم وعملهم.

(٢) تهذيب اللغة (هاد) ٤/ ٣٦٨٩.

(٣) ذكره الثعلبي في تفسيره ١/ ٧٨ب، وليس فيه (هيادة)، ونحوه عند الماوردي، وفيه: (هيدا)، تفسير الماوردي ١/ ٣٧٣، ١/ ٣٤٩، وانظر: تفسير أبي الليث ٣/ ٣٧٣، وتفسير البغوي ١/ ٧٩.

(٤) ذكره الثعلبي في تفسيره ١/ ٧٨ب، ولم أجده في ديوانه.

(٥) في (ب): (عن).

(٦) انظر: تهذيب اللغة (هاد) ٤/ ٣٦٨٩، وذكر هذا المعنى أبو عبيدة في المجاز ١/ ٤٢، والطبري في تفسيره ١/ ٣١٧، ومعاني الزجاج ١/ ١١٨، وتفسير الثعلبي ١/ ٧٨ب.

ذلك الوقت . وقال غيره : سموا بذلك لأنهم مالوا عن دين الإسلام وعن دين موسى^(١) . وعلى هذا إنما سموا يهوداً بعد أنبيائهم .

وقال ابن الأعرابي : يقال : هاد إذا رجع من خير إلى شر أو^(٢) من شر إلى خير^(٣) . سمّي اليهود بذلك لتخليطهم ، وكثرة انتقائهم من مذاهبهم .

وحكي عن أبي^(٤) عمرو بن العلاء أنه قال : سميت اليهود لأنهم يتهودون ، أي يتحركون عند قراءة التوراة^(٥) ويقولون : إن السماوات والأرض تحركت حين أتى الله موسى التوراة .

(١) ذكر هذا المعنى الثعلبي في تفسيره ٧٨/١ ب ، والبغوي في تفسيره ٨٩/١ ، ونحوه عند أبي الليث ٣٧٣/١ .

(٢) في (ب) : (ومن) بالواو .

(٣) ذكره الأزهري عن ثعلب عن ابن الأعرابي ، تهذيب اللغة (هاد) ٤/٣٦٩٠ ، وانظر : اللسان (هود) ٤٧١٨/٨ .

(٤) في (ج) : (ابن) .

(٥) ذكره الثعلبي في تفسيره ٧٩/١ أ ، والبغوي في تفسيره ٧٩/١ .

وعلى هذا ، التَّهَوُّدُ^(١) تفَعَّل من الهيد بمعنى الحركة ، يقال : هَدْتُهُ هَيْدًا ، كأنك تحركه ثم تصلحه^(٢) ، ومنه الحديث : أنه قيل للنبي ﷺ في المسجد : يا رسول الله : هِدْهُ ، فقال : «عرش كعرش موسى»^(٣) ، أي حركه بالهدم^(٤) .

وقيل : اليهود^(٥) معرب من يهوذا بن يعقوب ، عُرِّب يهوذا إلى يهود^(٦) ثم نسب الواحد إليه ، فقيل : يهودي ، ثم حذف الياء في الجمع فقيل : يهود ، وكل جمع منسوب إلى جنس فهو بإسقاط ياء النسبة ، كقولهم : زنجي وزنج ورومي وروم^(٧) . هذا هو الكلام في أصل هذا الحرف . ثم يقال : هاد إذا دخل في اليهودية ، كقوله : ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَمًا﴾^(٨) [الأنعام: ١٤٦] ، أي دخلوا

(١) في (ب) : (اليهود) .

(٢) ذكره الأزهري عن الليث ، تهذيب اللغة (هاد) ٣٦٨٩ / ٤ ، وانظر : الصحاح (هيد) ٥٥٨ / ٢ ، ومقاييس اللغة (هيد) ٢٣ / ٦ ، واللسان (هيد) ٤٧٣٤ / ٨ .

(٣) بهذا النص ذكره أبو عبيد في غريب الحديث ١٧١ / ٣ ، ٤٥٢ / ٤ ، وكذا الأزهري في تهذيب اللغة (هاد) ٣٦٩١ / ٤ .

وقد أخرج البيهقي بسنده عن سالم بن عطية ، قال : قال رسول الله ﷺ : «عرش الناس كعرش موسى» . يعني أنه يكره الطاق حوالي المسجد . (السنن الكبرى) ، كتاب : (الصلاة) ، باب : (كيفية بناء المسجد) ، ٤٣٩ / ٢ ، وقد أورده صاحب كنز العمال عن البيهقي ، وقال : مرسل ، كنز العمال ٣ / ٣٩٣ ، وأورده السيوطي في الجامع الصغير بلفظ : «ليس بي رغبة عن أخي موسى ، عريش كعريش موسى» ، ورمز له بالتضعيف ، فيض القدير شرح الجامع الصغير ٣٦٥ / ٥ . وهو في الفائق ٤ / ١٢٢ ، واللسان (هيد) ٤٨٣٤ / ٨ .

(٤) قال أبو عبيد : «كان سفيان بن عيينة في ما بلغني عنه يقول : معنى هذه : أصلحه ، وهذا معنى الحديث الآخر كما قال سفيان ، ولكنه إصلاح بعد هدم الأول» . غريب الحديث ٤٥٢ / ٤ .

(٥) في (ج) : (يهود) .

(٦) انظر : العين ٧٦ / ٤ ، وتفسير الماوردي ٣٤٩ / ١ ، ومعرفة أسماء نطق بها القرآن لابن السجستاني ، وقال : ليس بشيء ٣٨٥ / ١ ، والمحكم ٢٩٧ / ٤ ، وقال : ليس هذا بقوي .

(٧) انظر : الصحاح (هود) ٥٥٧ / ٢ .

(٨) (حرمانا) ساقط من (ب) .

في دين اليهودية^(١)، والذي في هذه الآية بهذا المعنى، ويقال أيضاً: (تهوّد) إذا تشبه بهم ودخل في دينهم، كما يقال: تقيّس وتمصّر وتمزّر، و(هوّد) إذا^(٢) دعا إلى اليهودية^(٣)، ومنه الحديث: حتى يكون أبواه يهودانه^(٤).

قوله تعالى: ﴿الْأَنْصَارِيُّ﴾ اختلفوا في تسميتهم بهذا الاسم، فقال الزهري^(٥): سموا نصارى، لأن الحواريين^(٦) قالوا: ﴿مَنْ أَنْصَارُ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ٥٢، والصف: ١٤]^(٧)، حين قال لهم عيسى: ﴿مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾، واختار ابن الأنباري هذا القول، وقال: إنهم كانوا نصّار عيسى^(٨). فعلى هذا، هذا الاسم مشتق من النصر والنصرة، وواحداهم:

- (١) انظر: تهذيب اللغة (هاد) ٣٦٨٩/٤.
- (٢) في (ب): (ادعا).
- (٣) في المحكم: (هوّد الرجل) حوّله إلى ملة اليهودية ٢٩٧/٤. وفي تهذيب اللغة: ذكر الحديث: «فأبواه يهودانه...» وقال: معناه: أنهما يعلمانه دين اليهودية ويدخلانه فيه، (هاد) ٣٦٨٩/٤.
- (٤) الحديث في الصحيحين وغيرهما عن أبي هريرة ولفظه: (... فأبواه يهودانه... الحديث)، أخرجه البخاري، ١٣٥٨، ١٣٥٩، كتاب: (الجنائز)، باب: (إذا أسلم الصبي فسات هل يصل عليه، وهل يعرض على الصبي الإسلام؟) الفتح ١٣٨٥، وباب: (ما قيل في أولاد المشركين)، ٤٧٧٥، وكتاب (التفسير)، تفسير سورة (الروم)، باب: (لا تبدل خلق الله) لدين الله، ٦٥٩٩، وفي كتاب (القدر)، باب: (الله أعلم بما كانوا عاملين)، ومسلم، ٢٦٥٨، وكتاب: (القدر) كل مولود يولد على الفطرة، مسلم بشرح النووي، وأبو داود، ٢٤١٤١ في كتاب: السنة، باب: (في ذراري المشركين)، ح ٢١٣٨، والترمذي، كتاب: أبواب القدر، باب: (ما جاء كل مولود يولد على الفطرة) وأحمد في مواضع من المسند، منها ٢٣٣/٢.
- (٥) هو أبو بكر محمد بن مسلم الزهري، أحد أعلام التابعين، فقيه محدث، رأى عشرة من الصحابة، وروى عنه جمع من الأئمة، توفي سنة أربع وعشرين ومائة. انظر: ترجمته في حلية الأولياء ٣/٣٦٠، ووفيات الأعيان ٤/١٧٧، وتهذيب التهذيب ٣/٦٩٦.
- (٦) في (ب): (الحواريون).
- (٧) قول الزهري ذكره الثعلبي في تفسيره ١/١٧٩، وانظر: تفسير الطبري ١/٣١٨، وتفسير أبي الليث ١/٣٧٣، وتفسير الماوردي ١/٣٥١، وانظر: تفسير ابن عطية ١/٣٢٧، والكشاف ١/٢٨٥.
- (٨) الزاهر ٢/٢٢٥.

نَصْرَانُ كَقَوْلِهِمْ : ندمان وندامی ، ونصران وناصر بمعنى ، كما يقال : صديان وصادٍ للعطشان^(١) ، قال الشاعر يصف الحرباء :

تَرَاهُ إِذَا دَارَ الْعَشِيُّ مُحْنَفًا

وَيُضْحِي لَدَيْهِ وَهُوَ نَصْرَانُ شَامِسٌ^(٢)

وقال آخر^(٣) :

كَمَا سَجَدْتُ نَصْرَانَةً لَمْ تَحْنَفِ^(٤)

ثم زيدت ياء النسبة فقليل : نصراني . وقد جاء في كلام العرب النصارى ، وأرادوا به الأنصار ، لا هؤلاء الذين يعرفون بهذا الاسم^(٥) ، أنشد الفراء :

لَمَّا رَأَيْتُ نَبَطًا أَنْصَارًا شَمَّرْتُ عَنْ رُكْبَتِي الْإِزَارَا

(١) انظر : تفسير الطبري ٣١٧/١ ، والزاهر ٢/٢٢٥ ، وتفسير الثعلبي ١٧٩/١ ، وتفسير الماوردي ٣٥٠/١ ، وانظر : تفسير ابن عطية ١/٣٢٧ ، والكشاف ١/٢٨٥ .

(٢) لم أعثر على قائله ، ويروى : (زار) بدل (دار) ، وفي الزاهر : (تراه ويضحى وهو . . .) . قوله : (مُحْنَفًا) : تحنف : صار إلى الخيفية ، والمراد أنه مستقبل القبلة ، (شامس) مستقبل الشمس كما يستقبلها نصراني ، فحذف الياء . ورد البيت في الطبري في تفسيره ١/٣١٨ ، والزاهر ٢/٢٢٥ ، والأضداد لابن الأنباري ١٨١ ، وتفسير الثعلبي ١/١٧٩ ، تفسير الماوردي ١/٣٥٠ ، وانظر : تفسير ابن عطية ١/٣٢٧ ، وتفسير القرطبي ١/٣٦٩ ، والبحر المحيط ١/٢٣٨ ، والدر المصون ١/٤٠٦ ، وفتح القدير ١/١٤٨ .

(٣) هو أبو الأخضر الحماني .

(٤) عجز بيت ، وصدرة :

فَكَلَّمْتَاهُمَا خَرَّتْ وَأَسْجَدَ رَأْسُهَا

يصف ناقتين أصابها الإعياء ، وأنحتا فطأطأتا رأسيهما ، فشبه إسجادهما بسجود النصرانية فحذف الياء . البيت من شواهد سيبويه ٣/٢٥٦ ، ٤١١ ، وانظر : شرح شواهد للنحاس ١٧٨ ، وتفسير الطبري ١/٣١٨ ، والزاهر ١/١٤١ ، ٢/٢٢٥ ، والإنصاف ٣٥٧ ، والمخصص ١٧/٤٤ ، وتهذيب اللغة (نصر) ٤/٣٥٨٤ ، واللسان (نصر) ٥/٢١١ ، وتفسير ابن عطية ١/٢٤٥ ، وتفسير القرطبي ١/٤٣٣ ، والبحر المحيط ١/٢٣٨ ، والدر المصون ١/٤٠٦ ، وفتح القدير ١/١٤٨ .

(٥) انظر : الزاهر ٢/٢٢٥ ، وتفسير الطبري ١/٣١٨ .

كُنْتُ لَهَا^(١) مِنَ النَّصَارَى جَارًا^(٢)

فجمع بين الأنصار والنصارى على التوفيق بين معنيهم .

وقال الزَّجَّاج : ويجوز أن يكون واحد النصارى نَصْرِيٌّ ، مثل بَعِيرٌ مَهْرِي وإِبِلٌ مَهَارِي^(٣) . وهذا قول مقاتل^(٤) ، وزعم أنهم سموا نصارى لاعترائهم إلى قرية يقال لها : نصره^(٥) .

وقوله تعالى : ﴿وَالصَّاعِيْنَ﴾ ، قال أبو زيد : صبأ الرجل في دينه يَصْبَأُ صُبُوءًا . [إذا كان صابئًا]^(٦) . وهو الخارج من دين إلى دين ، ومنه صبا النجم وأصبأ^(٧) إذا ظهر كأنه خرج من بين التي لم تطلع^(٨) ، قال الشاعر ، أنشده ابن السكيت :
وَأَصْبَأَ النَّجْمُ فِي غَبَاءٍ كَأَسْفَةٍ كَأَنَّهُ بَائِسٌ^(٩) مُجْتَابٌ أَخْلَاقٍ^(١٠)
وَصَبَأَ نَابَهُ إِذَا خَرَجَ ، يَصْبَأُ صُبُوءًا^(١١) .

(١) يروى (لهم) .

(٢) سبق تخريج الأبيات ٣٢٤ .

(٣) معاني القرآن للزَّجَّاج ١/١١٩ ، وانظر : الزاهر ٢/٢٢٥ ، وتفسير الماوردي ١/٣٥٠ ، وتفسير الثعلبي ١/١٧٩ ، وتفسير ابن عطية ١/٢٤٥ .

(٤) الثعلبي في تفسيره ١/١٧٩ .

(٥) في الطبري وغيره (ناصره) ، وأخرجه عن ابن عباس وقتادة ١/٣١٨ ، وانظر : الزاهر ٢/٢٢٥ ، وتفسير أبي الليث ١/٣٧٣ ، وتفسير الماوردي ١/٣٥١ . قال ياقوت : (الناصره) فاعلة من النصر ، قرية بينها وبين طبرية ثلاثة عشر ميلاً ، فيها كان مولد المسيح عليه السلام ، ومنها اشتق اسم النصارى ، معجم البلدان ٥/٢٥١ .

(٦) ذكره الأزهرى في تهذيب اللغة (صبا) ٢/١٩٦٦ ، وأبو علي في الحجة ٢/٩٤ .

(٧) ما بين المعقوفين ساقط من (ب) .

(٨) إصلاح المنطق ١٥٧ ، ومعاني القرآن للزَّجَّاج ١/١١٩ ، وتهذيب اللغة (صبا) ٢/١٩٦٦ ، والحجة ٢/٩٤ .

(٩) في (ب) و(ج) : (ياسر) ، وكذا في (أ) ، وصحح في الهامش .

(١٠) ورد البيت في إصلاح المنطق ١٥٧ ، والمخصص ٩/٣٤ ، واللسان (صبا) ٤/٢٣٨٥ .

وقوله : (غبراء) . الغبراء : الأرض ، و(مجتاب أخلاق) : لابس ثياب خلقة بالية .

(١١) معاني القرآن للزَّجَّاج ١/١١٩ ، وتهذيب اللغة (صبا) ٢/١٩٦٦ .

وقال ^(١) أبو زيد ^(٢) : صَبَأَتْ عَلَيْهِمْ تَصْبَأً صَبْأً وَصُبُوءاً ، إِذَا طَلَعَتْ عَلَيْهِمْ ^(٣) .
 [وكان] ^(٤) معنى الصابئ التارك دينه الذي شرع له إلى دين غيره ، كما أن الصابئ
 على القوم تارك لأرضه منتقل إلى سواها ، والدين الذي فارقه هو ^(٥) تركهم
 التوحيد إلى عبادة النجوم وتعظيمها ^(٦) .

وقال أبو إسحاق في قوله : ﴿وَالصَّاعِيْنَ﴾ معناه : الخارجين من دين إلى ^(٧)
 دين ، يقال : صَبَأَ فلان يَصْبَأُ ، إِذَا خَرَجَ مِنْ دِينِهِ ^(٨) . قال الليث : وكان يقال
 للرجل إِذَا أَسْلَمَ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ : قد صَبَأَ ، عَنَّا : أَنَّهُ خَرَجَ مِنْ دِينٍ إِلَى دِينٍ ^(٩) .
 وفي قوله : ﴿وَالصَّاعِيْنَ﴾ قراءتان ^(١٠) : التحقيق والتخفيف ^(١١) ، فمن حقق
 فهو الأصل ^(١٢) . ومن خفف ولم يهمز لم يخل من أحد أمرين : إما أَنْ يَجْعَلَهُ مِنْ
 صبا يصبو إِذَا مال ، ومنه قول الشاعر :

صَبَوْتُ أَبَا ذَنْبٍ ^(١٣) وَأَنْتَ كَبِيرٌ ^(١٤)

(١) (الواو) ساقط من (ج) .

(٢) في (ب) : (ابن) .

(٣) الحجة ٩٤ / ٢ .

(٤) في النسخ جميعها : (وكان) ، والتصحيح من الحجة ٩٤ / ٢ .

(٥) في (ب) : (وهو) .

(٦) الحجة ٩٤ / ٢ .

(٧) (إلى دين) ساقط من (ب) .

(٨) معاني القرآن للزجاج ١ / ١١٩ ، وتهذيب اللغة (صبا) ١٩٦٦ / ٢ ، والنص منه .

(٩) تهذيب اللغة (صبا) ٢ / ٢٩٦٦ .

(١٠) (قراءتان) ساقط من (ج) .

(١١) قرأ نافع بغير همز ، وبقية السبعة بالهمز . انظر : السبعة ١٥٨ ، والحجة لأبي علي ٩٤ / ٢ ، والتيسير ٧٤ .

(١٢) انظر : الحجة لأبي علي ٩٥ / ٢ ، وعلى هذا تكون لام الكلمة همزة من (صبا) إِذَا خَرَجَ عَنْ دِينِهِ ، انظر :
 الحجة لابن زنجلة ١٠٠ ، ولابن خالويه ٨١ ، وتفسير الثعلبي ١٧٩ / ١ .

(١٣) في (ب) : (تأديب) .

(١٤) عمجز بيت لأبي ذؤيب الهذلي ، صدره :

وقال آخر :

إِلَى هِنْدٍ صَبَا قَلْبِي وَهِنْدٌ مِثْلَهَا يُضْبِي^(١)
أو^(٢) يجعله على ترك الهمزة من صبا^(٣) .

قال أبو علي : فلا يسهل أن يأخذه^(٤) من صبا إلى كذا ، لأنه يصبو الإنسان إلى الدين ، ولا يكون منه تدين مع صبوّه إليه ، فإذا بعد هذا ، وكان الصابئون منتقلين من دينهم الذي أخذ عليهم إلى سواء ومتدينين به ، لم يستقم أن يكون إلا من صبا الذي معناه : انتقال من دينهم الذي شرع لهم [إلى آخر لم يشرع لهم]^(٥) فيكون الصابئون^(٦) إذاً على ترك الهمز ، وترك الهمز على هذا الحد^(٧) لا يجيزه سيبويه إلا في الشعر ، ويجيزه غيره ، فهو على قول من أجاز ذلك ، وأبو زيد ممن أجازوه ، فقال : من^(٨) قرأ (الصابون) قلب الهمزة التي هي لأم ياءً ، ونقل الضمة التي كانت تلزم

دِيَارُ الَّتِي قَالَتْ غَدَاةً لَقَيْتَهَا

ورد في شرح أشعار الهذليين للسكري ٦٥ / ١ ، والحجة لأبي علي ٦٩ / ٢ .

(١) ورد في العقد الفريد ٥ / ٨٤ ، واللسان (صبا) ٤ / ٢٣٨٥ ، ونسبه إلى زيد بن ضبة .

(٢) في (ب) : (إذا) .

(٣) أي إن أصله الهمز فترك الهمز ، الحجة لأبي علي ٩٥ / ٢ ، ٩٦ ، والحجة لابن زنجلة ١٠٠ ، والحجة لابن خالويه ٨١ .

(٤) قال أبو علي : « ... أو تجعله على قلب الهمزة ، فلا يسهل أن تأخذه من صبا إلى كذا ... » ، ٩٦ / ٢ .

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من (ب) .

(٦) في (ب) : (الصابيون) ، وفي (ج) : (الصابون) .

(٧) في الحجة : « ... فيكون (الصابون) إذاً على قلب الهمزة ، وقلب الهمز على هذا الحد لا يجيزه سيبويه ... » ، ٩٦ / ٢ .

(٨) نسب الواحدي الكلام إلى أبي زيد ، وظاهر كلام أبي علي في الحجة غير ذلك ، فقد قال في الحجة :

« ... ومن أجازوه أبو زيد ... » ، ثم ذكر كلاماً لأبي زيد ، ولسيبويه والخليل ولأبي الحسن ، ثم قال :

« ... ومن قلب الهمزة التي هي (لأم ، ياءً) ، فقال : (الصابون) نقل الضمة التي كانت تلزم ... » .

فالكلام لأبي علي ، والله أعلم ، انظر : الحجة ٩٦ / ٢ ، ٩٧ .

أن تكون على اللام إلى العين فسكنت الياء فحذفها لالتقاء الساكنين ، هي والواو التي للجمع ، وحذف كسرة عين فاعل فحركها بالضممة المنقولة^(١) إليها كقولهم : [خَفْتُ]^(٢) و :

حُبَّ بِهَا^(٣) ...

و ... حُسْنٌ ذَا أَدَبًا^(٤)

فنقلوا الحركة من العين إلى الفاء ، وحذفوا الحركة التي كانت للفاء في الأصل وحركوها بالحركة المنقولة ، هذا في الصابون^(٥) .

(١) في (ب) : (المنقول) .

(٢) في (أ) : (خفت) ، ثم طمست وكتب فوقها (حسب) ، وفي (ب) : (خفت) ، وفي (ج) : (حسب حفت وحسب ...) وما أثبت هنا موافق للحجة ٩٧/٢ ، والكلام عنه بنصه .

(٣) جزء من بيت للأخطل في وصف الخمرة ، وتماهه :
فَقُلْتُ اقْتُلُوهَا عَنْكُمْ بِمَزَاجِهَا وَحُبَّ بِهَا مَقْتُولَةً حِينَ تُقْتَلُ
قتل الخمر : مزجها بالماء حتى تذهب حدتها . ورد البيت في إصلاح المنطق ٣٥ ، والحجة لأبي علي ٩٧/٢ ، المشوف المعلم ٧٤٣/٢ ، وشرح المفصل ١٢٩/٧ ، ١٤١ ، الخزانة ٤٢٩/٩ ، ٤٣٠ ، اللسان (قتل) ٦/٣٥٣٠ . والشاهد (حب بها) يروى بالفتح والضم ، فإذا نقلت حركة العين إلى الفاء بعد حرف حركتها صار (حب) بالضم ، وإن حذفت حركة العين صار بالفتح .

(٤) جزء من بيت لسهم بن حنظلة الغنوي ، وتماهه :
لَمْ يَمْنَعْ النَّاسُ مِنِّي مَا أَرَدْتُ وَمَا أُعْطِيَهُمْ مَا أَرَادُوا حُسْنًا ذَا أَدَبًا
يقول : إنه يمنع الناس مما يري منه ويقهرهم ، يأخذ هو ما أراد منهم ، وجعله أدباً حسناً ، وقيل : ينكر على نفسه أن يعطيه الناس وهو يمنعه . ورد البيت في إصلاح المنطق ٣٥ ، والحجة ٩٧/٢ ، ٩٨ ، الخصائص ٣/٤٠ ، والأصمعيات ٥٦ ، والتكملة ٢٥١ ، والمشوف المعلم ٧٤٢/٢ ، واللسان (حسن) ٢/٨٧٧ ، والخزانة ٩/٤٣١ ، والشاهد (حُسْن) فإنه منقول من (حُسْن) .

(٥) في (ب) : (الصابيون) . وهي جزء من آية : [المائدة: ٩٦] على قراءة نافع .

فأما (الصابين)^(١) فقياس نقل الحركة أن تحذف^(٢) كسرة عين فاعل وتنقل إليها الكسرة التي كانت تكون للام ، ألا ترى أن الضمة منقولة إليها بلا إشكال ، وإن شئت قلت : لا أنقل حركة اللام التي هي الكسرة كما نقلت حركتها التي هي الضمة ؛ لأنني لو لم أنقل الحركة التي هي الضمة ، وقررت^(٣) الكسرة لم تصح واو الجميع ، فليس الكسرة مع الياء كالكسرة مع الواو ، فإذا كان كذلك ألقيت^(٤) الحركة^(٥) التي كانت تستحقها اللام^(٦) ، ولم أنقلها^(٧) ، كما ألقيت^(٨) حركة المدغم ولم أنقلها في قول من قال : ﴿يَهْدَى﴾ [يونس : ٣٥] ، فحرك الهاء بالكسرة لالتقاء الساكنين ، ولم ينقلها كما نقلها من قال : ﴿يَهْدَى﴾ . ومثل ذلك في أنك تنقل الحركة مرة ولا تنقلها أخرى ، مثل قولك : وَحَبَّ بِهَا مَقْتُولَةٌ

وَحَبَّ بِهَا مَقْتُولَةٌ^(٩)

و : حَسَنَ ذَا أَدَبًا

و : حُسْنَ ذَا أَدَبًا^(١٠)

-
- (١) كلام أبي علي في الحجة : « . . . وحركها بالحركة المنقولة ، كما حرك العين من فاعل بالحركة المنقولة ، وقياس نقل الحركة التي هي ضمة إلى العين أن تحذف كسرة عين فاعل . . . » ، ٩٧ / ٢ .
- (٢) في (ج) : (يحذف) .
- (٣) في (ج) : (قدرت) ، وفي (أ) محتملة ، وما في (ب) موافق لما في الحجة ٩٧ / ٢ .
- (٤) كذا في النسخ جميعها ، وفي الحجة في الموضعين : (أبقيت) ، ٩٧ / ٢ ، وهو الصواب .
- (٥) (الحركة) ساقط من (ب) .
- (٦) في (ج) : (للام) .
- (٧) في (ب) : (أدغمها) .
- (٨) في الحجة : (أبقيت) ، وانظر : التعليق السابق على (ألقيت) .
- (٩) جزء من بيت للأخطل ، يروي بفتح الحاء وضمها ، مرّ تخريجه قريباً .
- (١٠) جزء من بيت لسهم بن حنظلة ، مرّ تخريجه قريباً .
- وبهذا انتهى ما نقله عن الحجة لأبي علي ٩٥ / ٢ ، ٩٨ .

فأما مذهب الصابئين^(١) فقد ذكرنا أنهم يعبدون النجوم ، وقال قتادة : هم قوم يعبدون الملائكة^(٢) . وقال مجاهد : قبيلة نحو الشام بين^(٣) اليهود والمجوس ، لا دين لهم^(٤) .

وقال الليث : هم قوم يشبه دينهم دين النصاري إلا أن^(٥) قبلتهم نحو مهب الجنوب ، يزعمون أنهم على دين نوح ، وهم كاذبون^(٦) . قال عبدالعزيز بن يحيى : هم قوم درجوا وانقرضوا^(٧) .

(١) في (ب) : (الصابين) .

(٢) أخرجه الطبري ، ونصه : «الصابئون قوم يعبدون الملائكة ويصلون إلى القبلة ويقرؤون الزبور» ، ٣١٩ / ١ ، وذكره الثعلبي في تفسيره ٩٧ / ١ ب ، وتفسير الماوردي ٣٥٢ / ١ .

(٣) في (ب) : (من) .

(٤) أخرجه الطبري عن مجاهد من طرق ٣١٩ / ١ ، وابن أبي حاتم في تفسيره ٣٩١ / ١ ، وذكره الثعلبي في تفسيره ٩٧ / ١ أ ، وانظر : تفسير الماوردي ٣٥٢ / ١ .

(٥) في (ب) : (أنهم) .

(٦) تهذيب اللغة (صبا) ١٩٦٦ / ٢ .

(٧) ذكره الثعلبي في تفسيره ٩٧ / ١ ب ، وانظر : البحر المحيط ٢٣٩ / ١ .

واختلف المفسرون في معنى هذه الآية على طريقين^(١) : أحدهما : أن الذين آمنوا ، أي^(٢) : بالأنبياء الماضين^(٣) ولم يؤمنوا بك ، وقيل : أراد المنافقين الذين آمنوا بألسنتهم ولم يؤمنوا بقلوبهم . من آمن بالله من جملة الأصناف المذكورة في هذه الآية إيماناً حقيقياً^(٤) ولا يتم إيمانهم بالله إلا بإيمانهم بمحمد ﷺ . فإذا آمنوا بالله ورسوله محمد ، فلهم أجرهم عند ربهم ، والدليل على أنه أراد مع^(٥) الإيمان بالله الإيمان بمحمد أنه قال : ﴿ وَعَمِلَ صَالِحًا ﴾ ، وقد قام الدليل على أن من لا يؤمن بالنبي ﷺ لا يكون عمله صالحاً .

(١) سلك الواحدي طريقة الثعلبي في إيضاح الآية ، وخلاصة ما ذكره الثعلبي أن في الآية طريقين : الأول : أن الإيمان في قوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ على طريق المجاز ، ثم اختلفوا فيهم ف قيل : من آمن بالأنبياء الماضين ولم يؤمن بك ، وقيل : المنافقون .

الثاني : أن الإيمان على الحقيقة ، ف قيل : المراد المؤمنون من هذه الأمة ، وقيل : الذين آمنوا بالنبي قبل المبعث ، وقيل : المؤمنون من الأمم الماضية .

وسبب هذا الخلاف هو كيف يتم الجمع بين قوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ ثم قال : ﴿ مَن ءَامَنَ بِاللَّهِ ﴾ ؟ انظر : تفسير الثعلبي ٩٧/١ ب ، وتفسير البغوي ٩٧/١ ، وأما ابن جرير فقال : « فإن قال : وكيف يؤمن المؤمن ؟ قيل : ليس المعنى في المؤمن المعنى الذي ظنته ، من انتقال من دين إلى دين كانتقال اليهودي والنصراني إلى الإيمان - وإن كان قد قيل إن الذين عُتُوا بذلك ، من كان من أهل الكتاب على إيمانه ب عيسى وبما جاء به ، حتى أدرك محمداً ﷺ فأمن به وصدق فقيل لأولئك ... آمنوا بمحمد وبما جاء به - ولكن معنى إيمان المؤمن في هذا الموضع ، ثباته على إيمانه وتركه تبديله . وأما إيمان اليهود والنصارى والصابئين فالصديق بمحمد ﷺ وبما جاء به ... » ، الطبري ٣٢٠/١ ، وانظر : تفسير ابن كثير ١١١/١ .

(٢) (أي) ساقط من (ب) .

(٣) في (أ) : (الماضيين) ، وما في (ب) و(ج) موافق لما في الثعلبي .

(٤) في (ب) : (وحقيقاً) . وقوله : (حقيقاً) يفيد أن الإيمان المذكور في أول الآية مجازي كما مر في كلام الثعلبي .

(٥) (مع) ساقط من (ب) .

وقال ابن جرير: في قوله: ﴿مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ﴾ إضمار واختصار، تقديره^(١) من آمن منهم بالله^(٢)، لأن قوله: ﴿مَنْ آمَنَ﴾ في موضع خبر إن^(٣) ولا بد من عائد إلى اسم إن، والعائد هاهنا محذوف، كأنه قيل: من آمن منهم بالله^(٤)، وهذا مصرح به في سورة المائدة^(٥). وهذا معنى قول ابن عباس في رواية الكلبي^(٦).

الطريقة الثانية: أن المراد بقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أصحاب النبي ﷺ ومؤمنو هذه الأمة، ﴿وَالَّذِينَ هَادُوا﴾، أي الذين آمنوا بموسى والتوراة ولم يبدلوا ولم يغيروا، ﴿وَالنَّصَارَى﴾ يعني نصّار^(٨) عيسى على غير تبديل ولا تحريف لما في الإنجيل، ﴿وَالصَّبِيَّاتِ﴾ يعني الخارجين من الكفر إلى الإسلام، ﴿مَنْ آمَنَ﴾

(١) في (ب): (وتقديره).

(٢) تفسير الطبري ٣٢٠/١، وذكر كلامه بمعناه، وانظر: تفسير الثعلبي ١/٨٠ أ.

(٣) (أن) ساقط من (ب). وفي نسخة (أ) تعليق من الكاتب صدره بقوله: ش. ك.، ونصه: «محل (من) آمن) الرفع إن جعلته مبتدأ، خبره (فلهم أجرهم). والنصب إن جعلته بدلاً من اسم (إن) والمعطوف عليه، فخير (إن) في الوجه الأول الجملة كما هي، وفي الثاني: (فلهم) و(الفاء) لتضمن (من) معنى الشرط»، وهو منقول من الكشف بنصه ٢٨٦/١.

(٤) هذا على إعراب (من) في محل رفع مبتدأ، وقيل: في محل نصب بدل من الذين، ويكون الخبر: (فلهم) والأول أحسن. انظر: إعراب القرآن للنحاس ١/١٨٢، والمشكل لمكي ١/٥١، والبيان ١/٨٨، وتفسير القرطبي ١/٣٧٠، وذكر أبو حيان: أن هذين الوجهين لا يصحان إلا على تغيير الإيانيين، الإيمان الذي هو صلة (الذين)، والإيمان الذي هو صلة (من)، البحر ١/٢٤١.

(٥) في سورة المائدة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّبِيَّاتِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٦٢]. ولم يرد فيها ذكر العائد، ولعل الذي أوقعه في هذا الوهم قول الثعلبي: «... وفيه اختصار وإضمار تقديره: من آمن منهم بالله واليوم الآخر نظيره في سورة المائدة...»، تفسير الثعلبي ١/٨٠ أ.

(٦) ورد هذا في التفسير المنسوب إلى ابن عباس من رواية الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، والمسمى تنوير المقباس ١/٢٨، وعلى هامش الدر.

(٧) (ولم يبدلوا) ساقط من (ب).

(٨) في (ب): (نصارى).

أي من مات منهم على دين الإسلام ؛ لأن حقيقة الإيمان تكون ^(١) بالعاقبة ^(٢) ، ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ . وهذا معنى قول ابن عباس في رواية عطاء ^(٣) .

قالوا : ويجوز أن يقدر فيه (واو) ، أي ومن آمن بعدك يا محمد إلى يوم القيامة ^(٤) .
ووحده الفعل في قوله : آمن ^(٥) ، ثم جمع الكناية في قوله : ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ ؛ لأن (من) تصلح للواحد والجميع ^(٦) والمذكر والمؤنث ، فالفعل يعود إلى لفظ (مَنْ) وهو واحد مذكر ، والكناية تعود إلى معنى (من) ومثله في القرآن كثير ^(٧) . قال الله تعالى : ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾ [الأنعام: ٢٥ ، وعهد: ١٦] ، وفي موضع آخر : ﴿يَسْتَمِعُونَ﴾ [يونس: ٤٢] ، وقال : ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ﴾ [النساء: ١٣] ، ثم قال : ﴿خَالِدِينَ﴾ فجمع ، وقال : ﴿وَمِنَ الشَّيْطَانِ مَنْ يَغْوِي﴾ [الأنبياء: ٨٢] وأنشد الكسائي :

أَلْمَا بَسَلَمِي أَنْتَا إِنْ عَرَضْتُمَا وَقُولَا لَهَا عُوجِي عَلَى مَنْ تَخَلَّفُوا ^(٨)

- (١) في (أ) و(ج) : (يكون) ، وأثبت ما في (ب) لمناسبته للسياق .
- (٢) تفسير الثعلبي ٧٩/١ ب . وفيه (لأن حقيقة الإيمان بالموافاة) ، وانظر : تفسير البغوي ٧٩/١ .
- (٣) لم أجده عند ابن عباس من طريق عطاء ، وهذا المعنى ذكره الطبري عن مجاهد والسدي ، وأخرج عن ابن أبي طلحة عن ابن عباس قوله : ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّادِقِينَ وَالصَّابِرِينَ﴾ إلى قوله : ﴿وَلَهُمْ يَجْزُؤُهُمْ﴾ . فأنزل الله تعالى بعد هذا : ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ عِزَّ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَيْرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥] . قال الطبري : «وهذا الخبر يدل على أن ابن عباس كان يرى أن الله - جل ثناؤه - كان قد وعد من عمل صالحاً من اليهود والنصارى والصابئين على عمله ، في الآخرة الجنة ، ثم نسخ ذلك . . . » ، الطبري ٣٢٣/١ ، وانظر : تفسير ابن أبي حاتم ٣٧٩/١ .
- (٤) الثعلبي في تفسيره ٧٩/١ ب ، وانظر : تفسير البغوي ٧٩/١ .
- (٥) (أمن) مكرر في (ب) .
- (٦) في (ب) : (والجمع) .
- (٧) انظر : تفسير الطبري ٣٢١/١ ، ومعاني القرآن للزجاج ١١٨/١ ، وتفسير الثعلبي ٨٠/١ ، وتفسير الماوردي ٣٥٢/١ ، وتفسير ابن عطية ٣٢٩/١ .
- (٨) البيت لامرئ القيس ، وقيل : لرجل من كندة ، وقوله : (ألمأ) ، أي زورها ، (إن عرضتما) : بلغتما إليها ، (عوجي) : اعطفي وقفي ، والرواية للبيت (عنكما) بدل (أنتما) ، ورد في تفسير الطبري ٣٢١/١ ، =

فَجَعَلَ (مَنْ) بِمَنْزِلَةِ (الَّذِينَ) . وقال الفرزدق :

تَعَالَ فَإِنْ عَاهَدْتَنِي لَا تَخُونَنِي نَكُنْ مِثْلَ مَنْ يَا ذُبُّ يَصْطَحِبَانِ^(١)

وإنما جاز ذلك في (من) ؛ لأنه مبهم جامد لا يتصرف ولا يتبين فيه الإعراب ولا العدد ، وكذلك (ما) ، إلا أن (من) لبني آدم والموصوفين بالعقل ، و(ما) لغيرهم . وعلى هذا^(٢) يحكى أن جريراً أنشد قوله :

يَا حَبَّذَا جَبَلُ الرِّيَانِ مِنْ جَبَلٍ وَحَبَّذَا سَاكِنُ الرِّيَانِ مَنْ كَانَا^(٣)

فقليل له : وإن كان ساكنه^(٤) قروداً ؟ فقال : إنما يلزم مني هذا لو قلت : ما كانا ، وربما عاقب (ما) مَنْ عَلَى السَّعَةِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿وَالسَّمَاءَ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ [الشمس : ٥] عَلَى تَأْوِيلٍ : وَمَنْ بَنَاهَا^(٥) وإنما ترخصوا في ذلك لأنهم قد يبدلون النون الخفيفة ألفاً ،

= وتفسير الماوردي ١/ ٣٥٣ ، وتفسير القرطبي ١/ ٣٧١ ، والدر المصون ١/ ٤٠٨ ، وديوان امرئ القيس ٣٢٤ ، وفي أضداد ابن الأنباري ، ورواية شطره : أَلَا بَسْلَمَى لَمَّا إِذْ وَقَفْتَا ، ٣٣٠ .
(١) البيت من الشواهد النحوية المشهورة ، ورد في الكتاب ٢/ ٤١٦ ، والمقتضب ٢/ ٤٩٤ ، ٣/ ٢٥٣ ، والأصول في النحو ٢/ ٢٩٧ ، وشرح أبيات سيبويه للسيرافي ٢/ ٨٤ ، ومغني اللبيب ٢/ ٤٠٤ ، والكمال ١/ ٣٦٨ ، وطبقات فحول الشعراء ١/ ٣٦٦ ، والأضداد لابن الأنباري ٣٣٠ ، والمخصص ١٧/ ٥٥ ، وتفسير الطبري ١/ ٣٧١ ، وتفسير الثعلبي ١/ ٨٠ ، وتفسير ابن عطية ١/ ٣٢٩ ، وتفسير القرطبي ١/ ٣٧١ ، والهمع ١/ ٣٠٠ ، وديوان الفرزدق ٢/ ٣٢٩ ، وفي بعض المصادر (تعش) بدل (تعال) . والشاهد : أنه ثنى (يصطحبان) لمعنى (من) .

(٢) (على هذا) ساقط من (ب) .

(٣) قوله : (الريان) : اسم جبل أسود عظيم في بلاد طيء ، انظر : معجم ما استعجم ٢/ ٦٩٠ ، ومعجم البلدان ٢/ ١١١ ، وقد ورد البيت أيضاً في جمل الزَّجَّاجي ١١٠ ، وشرح الجمل لابن عصفور ١/ ٦١١ ، واللسان (حب) ١/ ٧٤٤ ، وشرح المفصل ٧/ ١٤٠ ، والهمع ٥/ ٤٥ ، وديوان جرير ٤٩٠ .

(٤) (ساكنه) ساقط من (ب) .

(٥) انظر : تفسير الطبري ٣/ ٢٠٩ . (ط/ الحلبي) .

كما قالوا : رأيت رجلاً ، في الوقف ، فالألف فيه بدل من التنوين ، ومثله قوله :
﴿لَنْسَقَا﴾ [العلق: ١٥] ، وقول الشاعر :

... والله فاعبدا^(١)

وقد جاء في (من) بعض التصريف في بعض اللغات ، كقول الشاعر :

أَتَوْنَا نَارِي فَقُلْتُ مَنْوَنَ أَنْتُمْ فَقَالُوا^(٢) الْجِنُّ قُلْتُ عُمُوا ظَلَامًا^(٣)

(١) في (ب) : (فاعبدوا) . جزء من بيت للأعشى من قصيدة قالها لما قدم مكة يريد الإسلام ، ثم صدته

قريش عن ذلك ، وقد روى سيبويه البيت :

فَإِيَّاكَ وَالْمَيْتَاتِ لَا تَقْرَبَنَّهَا وَلَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ وَاللَّهَ فَاعْبُدَا

وتبعه على ذلك جمهور النحاة ، وقال بعض المحققين : إنه بهذه الرواية ملفق من بيتين كما في ديوان الأعشى :

فَإِيَّاكَ وَالْمَيْتَاتِ لَا تَأْكُلْنَهَا وَلَا تَأْخُذْنَ سَهْمًا حَدِيدًا لَتَقْصِدَا

وَذَا النُّصْبِ الْمَنْصُوبِ لَا تَنْسُكَنَّهُ وَلَا تَعْبُدِ الْأَوْثَانَ وَاللَّهَ فَاعْبُدَا

انظر : ديوان الأعشى ١٣٧ ، والكتاب ٥١٠ / ٣ ، وشرح أبيات سيبويه للسرياني ٢ / ٢٤٤ ،

والمخصص ١٣ / ١٠٤ ، وتهذيب اللغة (نصب) ٤ / ٣٥٨١ ، واللسان (سبح) ٤ / ١٩١٦ ، و(نون)

٨ / ٤٥٨٧ ، والأزهري ٢٧٥ ، وشرح الكافية لابن مالك ٣ / ١٤٠٠ ، ومغني اللبيب ٢ / ٣٧٢ ،

والهمع ٤ / ٣٩٧ ، والمقتضب ٥٢٨ ، والإنصاف ٢ / ١٥٧ ، وشرح المفصل ٩ / ٣٩ ، ٨٨ ، ١٠ / ٢٠ .

(٢) في (أ) و(ج) : (قالوا) .

(٣) البيت لشمير بن الحارث ، وروي البيت في قصيدة حائية (عما صباحاً) منسوباً إلى جذع بن سنان .

يخاطب الجن ، وقوله : (عموا ظلاماً) خاطب به الجن ، كما كانوا يقولون لبني آدم : عموا صباحاً . ورد

في الكتاب ٢ / ٤١١ ، وشرح أبياته لابن السرياني ٢ / ١٨٣ ، والمقتضب ٢ / ٣٦٠ ، ونوادر أبي زيد ٣٨٠ ،

والخصائص ١ / ١٢٩ ، والصاح (منن) ٦ / ٢٢٠٨ ، والهمع ٥ / ٣٤٦ . ٦ / ٢٢١ ، وشرح ابن عقيل

٣ / ٨٨ ، والجمل للزجاجي ٣٣٦ ، والخزانة ٦ / ١٦٧ ، ٧ / ١٠٥ ، وشرح المفصل ٤ / ١٦ ، واللسان

(حسد) ٢ / ٨٦٨ ، وفي مواضع عدة . والشاهد فيه (منون أنتم) ، فقد جمع (من) مع الوصل وهذا من

الضرورة . قال سيبويه : وهذا بعيد ، وإنما يجوز هذا على قول شاعر قاله مرة في شعر ثم لم يسمع بعد ،

٤١٠ / ٢ .

وقد يلزمها الإعراب في مثل قولهم : رأيت فلاناً ، فتقول على الحكاية : منا بالنصب^(١) ، ومثله : منو ومني إذا قال : جاءني فلان ومررت بفلان ، وقد يؤنثون فيقولون : منة ، فلما جاز هذا التصرف في (من) جاز إبدال نونها بالالف .

وقوله تعالى : ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ، يقال : كيف قال هذا مع^(٢) ما يمر بهم من أهوال القيامة ؟ قيل : لأنه لا يُعتد بذلك ، من أجل أنه عارض ثم يصيرون^(٣) إلى النعيم الدائم ، لقوله : ﴿لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ﴾ [الأنبياء: ١٠٣] ، وهو كما تقول^(٤) للمريض : لا بأس عليك . وقيل : إن أهوال القيامة إنما تنال^(٥) الضالين من دون المؤمنين ، والأول هو الوجه لعموم قوله : ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ﴾ الآية [الحج: ٢] . وكذلك ما ورد من الأخبار في هذا^(٦) .

(١) هذه الحروف التي تلحق (من) ليست للإعراب ، إنما هي من باب الحكاية إذا كانت مستفهاً بـ (من) عن نكرة ، فإذا قال : رأيت رجلاً ، فالجواب أن تقول : منا ؟ ، وإذا قال : جاءني رجل ، تقول : منو ؟ ، أو مني إذا قال : مررت برجل ، وليست الواو والياء والألف التي لحقت (من) إعراباً ، إنما يلحقن في الوقف فقط ، فهن دليل ولسن بإعراب ، ومثله في التثنية والجمع ، فإذا قال : جاءتني امرأتان ، تقول : منتان ؟ وإذا قال : جاءني رجال ، قلت : منون ؟ . فإذا وصلت قلت : من يا فتى في كل ما سبق لأن هذا هو الأصل . وجعل سيبويه والمبرد وغيرهما من النحاة البيت الذي استشهد به الواحدي من ضرورة الشعر ، ولا يقاس عليه ، خلافاً لليونس ، انظر : الكتاب ٢/ ٤٠٩ ، والمقتضب ٢/ ٣٠٦ ، والصحاح (من) ٦/ ٢٢٠٨ ، وأوضح المسالك ٢٥٥ .

(٢) في (ج) : (معما يجبر بهم) .

(٣) في (ب) : (يسير) .

(٤) في (ب) : (يقول) .

(٥) في (ب) : (ينال) .

(٦) قال ابن جرير : «لا خوف عليهم في ما قدموا عليه من أهوال القيامة» . ١٥٠ / ٢ . وقال القرطبي عند تفسير قوله تعالى : ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٣٨] . قال : «قيل : ليس فيه دليل على نفي أهوال القيامة وخوفها على المطيعين ، لما وصفه الله تعالى ورسوله من شدائد القيامة ، إلا أنه يخفف عن المطيعين ، وإذا صاروا إلى رحمة فكأنهم لم يخافوا» ، ٣٢٩ / ١ . وذكر أبو حيان في تفسير هذه الآية أقوالاً كثيرة ، ثم قال : «وظاهر الآية عموم نفي الخوف والحزن عنهم ، لكن يخص بها بعد الدنيا . . . » ، البحر ١ / ١٧٠ .

٦٣. قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ﴾ الآية . (الأخذ) يستعمل في معان كثيرة ، ويتصرف على ضروب^(١) ، منها : أن يدل على العقاب كقوله : ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرْآنَ﴾ [هود: ١٠٢] ، وقوله : ﴿فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْأَسَلِ﴾ [الأنعام: ٤٢] ، ﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ﴾ [هود: ٦٧] ، ﴿وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ﴾^(٢) [الأعراف: ١٦٥] ، ﴿فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْنَدٍ﴾ [القمر: ٤٢] .

ومنها : أن يستعمل للمقاربة ، تقول العرب : أخذ يقول كذا ، كما قالوا : جعل يقول ، وطفق يقول . ومنها : أن يتلقى بما يتلقى به القسم ، كقوله : ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ [آل عمران: ١٨٧] . ألا ترى أنه قال : ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُ﴾ فأخذ^(٣) الميثاق هاهنا بمعنى الاستحلاف وتوكيد العهد ، وكذلك في هذه الآية .

ومثل أخذ في معنى العقاب : أخذ^(٤) ، قال الله تعالى : ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا﴾ [فاطر: ٤٥] ، وقال : ﴿لَا تُؤَاخِذُنَا إِنْ كُنَّا مُسِيئِينَ﴾ [البقرة: ٢٨٦] ، وقال : ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ﴾ [البقرة: ٢٢٥] .

(١) الكلام عن (الأخذ) نقله الواحدي عن أبي علي الفارسي من كتاب الحجة ٧٢/٢ . انظر : مادة (أخذ) في تهذيب اللغة ١/١٢٩ ، والصحاح ٢/٥٥٩ ، ومقاييس اللغة ١/٦٨ ، والغريين ١/٢٣ ، ومفردات الراغب ١٢ ، وإصلاح الوجوه والنظائر ٢٠ ، ونزهة الأعين النواظر ١٣٣ .

(٢) في (ج) : (فأخذنا) تصحيف .

(٣) في (ب) و(ج) : (واخذ) .

(٤) الحجة لأبي علي ١/٧٣ ، وانظر : الصحاح (أخذ) ٢/٥٥٩ ، ومفردات الراغب ١٢ ، ١٣ .

ويستعمل من الأخذ التفعيل والاستفعال ، قالوا : رجلٌ مُؤَخِّذٌ عن امرأته ^(١) ، وقال الفقهاء في الرجل المؤخذ عن امرأته : يؤجل كما يؤجل العنين ^(٢) . وأما اسْتَفْعَلَ فقال الأصمعي ^(٣) : الاستئخاذ : أشد الرمد ، قال الهذلي ^(٤) :

يَرْمِي الْغُيُوبَ ^(٥) بَعَيْنِيهِ وَمَطْرَفُهُ مُغْضٍ كَمَا كَسَفَ الْمُسْتَأْخَذَ الرَّمْدُ ^(٦)

أي عين المستأخذ ، فحذف المضاف ، والرمد الفاعل ^(٧) . وهذه الآية خطاب لليهود وإن كان آباؤهم أخذ الميثاق عليهم . روى أبو صالح ، عن ابن عباس أنه قال : هما ميثاقان ^(٨) : الأول ^(٩) : حين أخرجهم من صلب آدم وأشهدهم على أنفسهم . والثاني : أن كل نبي بعث إلى قومه أخذ عليهم الميثاق بالطاعة لله والإيمان بمحمد ﷺ ^(١٠) .

(١) قال أبو علي : «وأما (فَعَلَ) فقالوا : رجلٌ مُؤَخِّذٌ عن امرأته» . الحجة ٧٤ / ٢ ، وانظر : تهذيب اللغة (أخذ) ٥٢٦ / ٧ ، والغريين ٢٤ / ١ .

(٢) ذكره أبو علي عن أبي حنيفة رحمه الله ، الحجة ٧٤ / ٢ ، وانظر : بدائع الصنائع ٣٢٢ / ٢ ، ٣٢٣ ، المغني ٦٠٢ / ٧ .

(٣) في الحجة : (فقال الأصمعي في ما روى عنه الزبيري . . .) ، الحجة ٧٤ / ٢ ، وانظر : تهذيب اللغة (أخذ) ١٢٩ / ١ .

(٤) هو أبو ذؤيب الهذلي .

(٥) في (ج) : (الغيوب) .

(٦) في هذا البيت يصف حماراً وحشياً ، وقوله : (يرمي الغيوب) ، أي ينظر ما غاب عنه خشية الصائد يرميه بطرفه حذراً ، و(المغضي) : الذي كف من بصره وهو مع ذلك ينظر ، و(كسف) : نكس رأسه لما أخذ الرمد فيه . انظر : شرح أشعار الهذليين ٥٨ / ١ ، وجهرة اللغة ٢٣٧ / ٣ ، والحجة ٧٥ / ٢ ، والمخلص ١١٠ / ١ ، وتهذيب اللغة (أخذ) ١٢٩ / ١ ، و(غاب) ٢٦١٦ ، و(كسف) ٣١٤٤ / ٤ ، ومقاييس اللغة ٦٩ / ١ ، واللسان (غيب) ٣٣٢٢ / ٦ ، و(أخذ) ٣٨١١ ، و(كسف) ٣٨٧٧ / ٧ .

(٧) هذا آخر ما نقله عن الحجة ٧٥ / ٢ .

(٨) في (ج) : (ميثاق) .

(٩) في (ب) : (أول) .

(١٠) ذكره أبو الليث عن ابن عباس ٣٧٦ / ١ . وذكر ابن جرير أن المراد به الميثاق الذي أخذه منهم في قوله :

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ ۖ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۖ﴾ [البقرة : ٨٣-٨٥] ، وأخرجه =

وقوله تعالى : ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ﴾ . الواو ﴿وَرَفَعْنَا﴾ واو الحال ، المعنى إذ أخذنا ميثاقكم في حال رفع الطور^(١) ، ويضمّر معه قد لتصلح الحال كما ذكرنا في قوله : ﴿وَكُنْتُمْ آمُونًا﴾^(٢) [البقرة: ٢٨] . ونذكر كيف أخذ الميثاق في حال رفع الطور ، وأما الطور فقيل : إنه الجبل^(٣) بالسريانية^(٤) ، فإن صح ذلك فهو وفاق وقع^(٥) بين لغتهم ولغة العرب ؛ لأنه لا يجوز أن يوجد في القرآن إلا ما تكلمت به العرب^(٦) ، وهذا مما تكلم به العرب ، قال العجاج :
دَانِي جَنَاحِيهِ مِنَ الطُّورِ فَمَرَّ^(٧) .

- = بسنده عن ابن زيد . الطبري ١٥٦/٢ ، وذكر الرَّجَّاج قولين فيه : الأول : حين أخرج الناس كالذر ، ورجحه ، والثاني : ما أخذه على الرسل ومن تبعهم ، معاني القرآن ١١٩/١ .
- (١) ذكر أبو حيان : أن هذه الواو تحتمل أن تكون للعطف إذا كان أخذ الميثاق متقدماً ، وإن كان أخذ الميثاق في حال رفع الطور فهي للحال . انظر : البحر ٢٤٣/١ .
- (٢) وقد ذكر هناك القاعدة عند الجمهور : وهي أن الجملة الفعلية الماضية ، إذا وقعت حالاً فلا بد من تقدير (قد) وقيل : لا يلزم ذلك ، انظر : ٦٦٧ .
- (٣) في (ب) : (جبل) .
- (٤) انظر : تفسير الطبري ٣٢٥/١ ، وتفسير الثعلبي ٨٠/١ .
- (٥) (وقع) ساقط من (ب) .
- (٦) قال القرطبي : «لا خلاف بين الأئمة أنه ليس في القرآن كلام مركب على أساليب غير العرب ، وأن فيه أسماء أعلاماً . . . مثل إسرائيل ونوح ولوط ، واختلفوا هل وقع فيه ألفاظ غير أعلام مفردة من غير كلام العرب» ، ٦٨/١ . فذهب الطبري في تفسيره إلى أن ذلك غير موجود ، وكذا الثعلبي ٨٠/١ ، وذهب ابن عطية إلى أنه موجود لكن العرب استعملتها قبل وغيرت فيها ، فدخلت في لغتها .
- (٧) الرجز من قصيدة يذكر فيها مآثر عمر بن عبد الله بن معمر التميمي ، وبعده :
تَقَضَّى الْبَازِي إِذَا الْبَازِي كَسَّرَ
ضم جناحيه للانقضاض ، و(تقضي) : أصلها (تقضض) ثلاث ضادات ، فقلبت الثالثة ياء طلباً للخفة ، و(البازي) : الشديد من الصقور ، ورد البيت في ديوان العجاج ٢٨ ، وتفسير الطبري ٣٢٤/١ ، وتهذيب اللغة (طراً) ٢/٣ ، ١٧٣ ، وانظر : تفسير ابن عطية ٣٣٠/١ ، والكشاف ٤/٢٦ ، واللسان (طراً) ٥/٢٦٤٩ ، والبحر المحيط ١/٢٣٩ ، والدر المصون ١/٤٠٩ .

وقيل : إنه اسم جبل بعينه ، وهو جبل بالشام ^(١) ، قال ذو الرمة :

أَعَارِبُ طُورِيُونٍ عَنْ كُلِّ بَلَدَةٍ يَحِيدُونَ ^(٢) عَنْهَا مِنْ حِذَارِ الْمَقَادِرِ ^(٣)

طوريون أي وحشيون ، يحيدون عن القرى حذار الوباء والتلف ، كأنهم نسبوا إلى الطور وهو جبل بالشام . وقال الفرّاء في قوله تعالى : ﴿ وَالطُّورِ ﴾ [الطور : ١] ، قال : هو الجبل الذي بمدين ، كلم الله عليه موسى ^(٤) .

قال المفسرون : إن موسى لما آتاهم بالتوراة فرأوها وما فيها من التغليظ كبر ذلك عليهم وأبوا أن يقبلوا ذلك ، فأمر الله جبلاً من جبال فلسطين فانقلع من أصله حتى قام على رؤوسهم مثل الظلة ، وكان العسكر فرسخاً في فرسخ والجبل كذلك ، وأوحى الله إلى موسى أن اقبلوا التوراة وإلا رضختهم بهذا الجبل ، فلما رأوا ذلك وأن لا مهرب لهم ، قبلوا ما فيها وسجدوا من الفرع ، وجعلوا يلاحظون الجبل وهم سجدود ، فمن أجل ذلك يسجد اليهود على أنصاف وجوههم ، فهذا معنى أخذ الميثاق في حال رفع الجبل فوقهم ^(٥) ، لأن في هذه الحالة قيل لهم : ﴿ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ ﴾ [وكان في ما آتاهم الله تعالى الإيمان بمحمد ﷺ ^(٦) .

(١) انظر : تفسير الطبري ١/ ٣٢٥ ، وتفسير الماوردي ١/ ٣٥٣ ، وتفسير ابن عطية ١/ ٣٣٠ ، ١٥/ ٥٠٢ .

(٢) في (ب) : (يحيدون) .

(٣) ورد البيت في التهذيب (طور) ٣/ ٢٢٢٩ ، واللسان (طراً) ٥/ ٢٦٤٩ ، و(طور) ٥/ ٢٧١٨ ، والخزانة ٧/ ٣٥٥ ، وديوان ذي الرمة ٣/ ١٦٩٨ ، وفي بعضها (قرية) بدل (بلدة) .

(٤) في (ب) : (موسى عليه) . كلام الفرّاء في معاني القرآن ٣/ ٩١ .

(٥) تفسير الثعلبي ١/ ٨٠ ، وتفسير أبي الليث ١/ ٣٧٧ ، وانظر : الطبري ١/ ٣٢٤ ، وابن عطية ١/ ٢٤٨ ، والقرطبي ١/ ٣٧٢ ، والبحر المحيط ١/ ٢٤٣ .

(٦) في (ب) : (لمحمد) .

وقوله: ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَكُمْ بِقُوَّةٍ﴾ ^(١) أي وقلنا لكم: خذوا ^(٢)، وتأويل ^(٣)].
﴿خُذُوا مَا آتَيْنَكُمْ﴾ اعملوا بما أمرتم فيه وانتهوا عما نهيتم عنه.

وقوله: ﴿بِقُوَّةٍ﴾، قال ابن عباس والحسن وقتادة: بجِدٍّ ومواظبة على طاعة الله واجتهاد ^(٤)، وتأويله: خذوا ما آتيناكم بعزيمة على طاعة الله واتباع رسله.

وقال الزَّجَّاج: أي بقوة قلب ويقين ينتفي عنده الريب ^(٥) والشك، لما كان ^(٦) لكم من عظيم الآيات، وأصل القوة: الشدة، ومنه قوة الحبل؛ لأنها تقوي الحبل وتشد فتله ^(٧).

وقوله تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ﴾ الكناية تعود إلى ما في قوله: ﴿مَا آتَيْنَكُمْ﴾ ^(٨). والمعنى: احفظوا ما في التوراة من الحلال والحرام، واعملوا بما فيه ^(٩)، وقيل: اذكروا ما فيه من الثواب والعقاب لعلكم تتقون ^(١٠)، ويجوز أن

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ج).

(٢) نسب الطبري هذا القول إلى بعض نحويي أهل البصرة، قال: وقال بعض نحويي أهل الكوفة: أخذ الميثاق قول، فلا حاجة إلى إضمار قول، ورَّجَّح هذا في تفسيره ١/ ٣٢٦، وانظر: البحر المحيط ١/ ٢٤٣.

(٣) من قوله (وقوله: خذو...) إلى هنا ساقط من (ب).

(٤) ذكر الطبري في تفسيره نحوه عن مجاهد، وأبي العالية، وقتادة، وابن زيد ١/ ٣٢٦، وكذا عند ابن أبي حاتم ١/ ٣٩٨، وذكره الماوردي عن ابن عباس، وقتادة والسدي. وانظر: تفسير الماوردي ١/ ٣٥٤، وكذا القرطبي في تفسيره ١/ ٣٧٢، وانظر: تفسير أبي الليث ١/ ٣٧٧، وتفسير الثعلبي ١/ ٨٠ ب.

(٥) في (ب): (الرتب).

(٦) في معاني القرآن (بان) ١/ ١٢٠.

(٧) في تهذيب اللغة: (القوة) الخُصْلَةُ الواحدة من قوى الحبل، وقيل: هي الطاقة الواحدة من طاقات الحبل. (قوى) ٣/ ٣٠٧٠.

(٨) انظر: تفسير ابن عطية ١/ ٣٣٢، والبحر المحيط ١/ ٢٤٤، والدر المصون ١/ ٤٠٩.

(٩) انظر: تفسير الطبري ١/ ٣٢٦، ومعاني القرآن للزَّجَّاج ١/ ١٢٠، وتفسير الثعلبي ١/ ٨٠ ب.

(١٠) انظر: تفسير الطبري ١/ ٣٢٦، وتفسير أبي الليث ١/ ٣٧٧.

ترجع الكناية إلى الميثاق ، ويكون المعنى على حذف المضاف ، كأنه قيل : واذكروا ما في نقض الميثاق من العقوبة لعلكم تتقون .

٦٤ . قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ ﴾ ، التولي في اللغة يستعمل على ثلاثة معان^(١) :
يكون بمعنى الإعراض كالذي في هذه الآية ، ومعناه : أعرضتم وعصيت^(٢) ، ومثله : ﴿ وَإِنْ تَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ﴾ [محمد : ٣٨] ، أي تعرضوا عن الإسلام .

ويكون^(٣) بمعنى الاتباع ، قال الله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ﴾ [المائدة : ٥١] ، معناه : من يتبعهم وينصرهم . ويقال : توليت الأمر تولياً ، إذا وليته بنفسك^(٤) ، قال الله تعالى : ﴿ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ ﴾ [النور : ١١] ، أي ولي وزر الإفك وإشاعته^(٥) . ومعنى توليتهم هاهنا ، أي أعرضتم عن أمر الله وطاعته .

وقوله تعالى : ﴿ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ ﴾ قيل من بعد^(٦) أخذ الميثاق . ﴿ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾ بتأخير العذاب عنكم^(٧) . وقيل : بمحمد ﷺ والقرآن^(٨)

(١) أخذه عن تهذيب اللغة (ولى) ١ / ٣٩٥٧ ، وانظر : إصلاح الوجوه والنظائر ٤٩٩ ، ونزهة الأعين النواظر ٢١٥ ، ومفردات الراغب ٥٣٤ .

(٢) في (ب) : (نسيتم) .

(٣) في (ب) : (وتكون) .

(٤) لعل هذا المعنى هو الثالث عند المؤلف حسب تقسيمه ، وانظر : نزهة الأعين النواظر ٢١٦ .

(٥) انتهى ما نقله عنه تهذيب اللغة (ولى) ١ / ٣٩٥٧ .

(٦) (بعد) ساقط من (ب) .

(٧) ذكره الثعلبي في تفسيره ١ / ٨٠ ب ، وانظر : تفسير الطبري ١ / ٣٢٨ ، وقال الزجاج من بعد ذلك : أي بعد الآيات العظام ، معاني القرآن ١ / ١٢٠ ، وقال الماوردي : من بعد خروج موسى من بين أظهركم ، تفسير الماوردي ١ / ٣٥٥ .

(٨) (والقرآن) ساقط من (ج) . وقد ذكر الطبري عن أبي العالية : فضل الله : الإسلام ، و(رحمته) : القرآن ، تفسير الطبري ١ / ٣٢٨ ، ونحوه عند تفسير الماوردي ١ / ٣٥٥ ، وذكره ابن عطية في تفسيره عن قتادة ١ / ٣٣٢ ، ٣٣٣ ، وانظر : البحر المحيط ١ / ٢٤٤ .

﴿لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ . فمن آمن بمحمد بعد ما كان في الضلالة لم يكن من الخاسرين ، وذكرنا معنى الخسران في ما تقدم^(١) ، ومعناه ذهاب رأس المال ، وهو هاهنا هلاك النفس لأنها بمنزلة رأس المال^(٢) .

٦٥ . قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ عَلَّمْتُمُ الْعِلْمَ﴾^(٣) هاهنا بمعنى المعرفة كقوله : ﴿لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ [الأنفال : ٦٠] ، ولولاه لاقتضى مفعولاً ثانياً ، ألا ترى أنك إذا قلت : علمت زيدا قائماً [كان قائماً]^(٤) مفعولاً ثانياً ، وإذا قلت : عرفت زيدا قائماً ، [كان قائماً]^(٥) حالاً ولم يكن مفعولاً ثانياً ، وإذا كان العلم بمعنى المعرفة جاز الاختصار على أحد المفعولين^(٦) ؟

وقوله تعالى : ﴿الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ﴾ ، أي جاوزوا^(٧) ما حُدَّ لهم ، كانوا أمروا ألا يصيدوا في السبت ، فحبسوها في السبت وأخذوها في الأحد ، فعدوا في السبت ؛ لأن صيدها منعها من التصرف^(٨) .

(١) عند تفسير قوله تعالى : ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ .

(٢) رأس المال) ساقط من (ب) .

(٣) في (ب) : (علمتم) .

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) و(ج) .

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) و(ج) .

(٦) انظر : تفسير الطبري ١/ ٣٢٩ ، ومعاني القرآن للأخفش ١/ ٢٧٧ ، ومعاني القرآن للزجاج ١/ ١٢٠ ، وتفسير الماوردي ١/ ٣٥٥ ، وتفسير ابن عطية ١/ ٣٣٣ ، ٣٣٤ ، البحر المحيط ١/ ٢٤٥ .

(٧) في (ب) : (جاوزا) .

(٨) ذكره الزجاج في المعاني ١/ ١٢٠ ، وفيه (لأن صيدهم منعها . . .) ؛ أي إن حبس الحيتان ومنعها من التصرف صيد . وانظر : تفسير الطبري ١/ ٣٢٩ ، وتفسير الثعلبي ١/ ٨١ .

والسبت في كلام العرب معناه : القطع ، يقال للحلق : السبت ؛ لأنه قطع للشعر^(١) ، والسبت : السير السريع^(٢) ، وتأويله قطع للطريق^(٣) .

ومنه قول حميد^(٤) :

... أَمَّا نَهَارُهَا فَسَبْتُ^(٥) ...

والسبت : السَّبَاتُ . قال الزَّجَّاج : تأويله أنه يقطع الحركة^(٦) . والسبت : قطعة من الدهر ، كأنه بمعنى المسبوت^(٧) ، أي المقطوع ، وهو في شعر لييد :

وَعَنَيْتُ سَبْتًا^(٨) ... البيت

(١) في (ب) : (الشعر) .

(٢) تهذيب اللغة (سبت) ١٦٠٧ / ٢ .

(٣) في (ب) : (الطريق) .

(٤) هو حميد بن ثور بن عبدالله الهلالي ، أحد المخضرمين من الشعراء ، أدرك الجاهلية والإسلام ، وقيل إنه رأى النبي ﷺ ، مات في خلافة عثمان رضي الله عنهما ، انظر : ترجمته في الشعر والشعراء ٢٤٧ ، ومعجم الأدباء ٨ / ١١ .

(٥) وتام البيت :

وَمَطْوِيَّةُ الْأَقْرَابِ أَمَّا نَهَارُهَا فَسَبْتُ وَأَمَّا لَيْلُهَا فذَمِيلُ

قوله : (الأقرب) : جمع قرب ، وهو الخاصرة ، و(السبت) : السير السريع ، و(الذمِيل) : السير البطيء . ويروى شطره الأول : بمقورة الألياط أما نهارها

والاقورار هنا : الضمور ، و(الألياط) جمع ليط وهو الجلد ، ورد البيت في تهذيب اللغة (سبت) ١٦٠٧ / ٢ ، وجمهرة أمثال العرب (سبت) ١٩٥ / ١ ، ومقاييس اللغة ٣ / ١٢٤ ، وكذا في الصحاح ١ / ٢٥١ ، واللسان ٤ / ١٩١٢ ، والمخصص ٧ / ١٠٧ ، والبحر المحيط ١ / ٢٤٠ ، وديوان حميد بن ثور ١١٦ .

(٦) في تهذيب اللغة : « وقال الزَّجَّاج : السبات : أن ينقطع عن الحركة والروح في بدنه . . . » . (سبت) ١٦٠٧ / ٢ .

(٧) في (ب) : (السبوت) .

(٨) تمام البيت :

وَعَنَيْتُ سَبْتًا قَبْلَ مَجْرَى دَاحِسٍ لَوْ كَانَ لِلنَّفْسِ اللَّجُوجِ خُلُودٌ =

قال أبو بكر بن الأنباري : السبت : القطع ، وسمي السبت من الأيام سبتاً ؛ لأن الله ابتداء الخلق فيه ، وقطع بعض الخلق ، وخلق^(١) الأرض . [ويقال : أمر فيه بنو إسرائيل بقطع الأعمال وتركها .

قال : وأخطأ من قال : سمي السبت لأن الله أمر فيه بني إسرائيل بالاستراحة ، وخلق هو - عز وجل - السماوات والأرض في ستة أيام آخرها يوم الجمعة ، ثم استراح في يوم السبت .

قال : وهذا خطأ ؛ لأنه لا يعلم في كلام العرب (سَبَتَ) بمعنى استراح ، وإنما معنى سَبَتَ : قطع ، ولا يوصف الله تعالى بالاستراحة لأنه لا يتعب^(٢) . قال : واتفق أهل العلم على أن الله ابتداء الخلق يوم السبت ، ولم يخلق يوم الجمعة سماءً ولا أرضاً^(٣) .

وقوله تعالى : ﴿كُونُوا قِرَدَةً﴾ ، أي كونوا بتكويننا إياكم وتغييرنا خلقكم قردة^(٤) . قال ابن الأنباري : كن^(٥) ينقسم في كلام العرب على معانٍ منها : أن

ويروى : (بعد مجرى) ، وعَمَرْتُ كُرْساً . غنيت : عشت (سبتاً) : دهرأ ، (داحس) : اسم فرس . ورد البيت في تهذيب اللغة (سبت) ١٦٠٧/٢ ، واللسان (سبت) ١٩١٢/٤ ، و(عمر) ٣١٠/٥ ، وحامسة البحري ١٠٠ ، والمخصص ٦٤/٢ ، والخزانة ٢٥١/٢ ، والبحر المحيط ٢٤٠/١ ، وديوان لبيد مع شرحه ٣٥ .

(١) كذا العبارة في النسخ جميعها ، وفي الزاهر : (وقطع فيه بعض خلق الأرض ...) ، ١٤٥/٢ ، ومثله في تهذيب اللغة (سبت) ١٦٠٧/٢ ، والنص منه .

(٢) منهج السلف في باب الصفات التزام النص ، فيثبتون لله ما أثبتته لنفسه ، أو أثبتته له رسوله ﷺ ، وينفون عنه ما نفاه عن نفسه أو نفاه عنه رسوله ، وما لم يرد فيه نص فيلتزمون فيه النفي المجمل من دون تفصيل في النفي . ولم ترد الاستراحة في نص .

(٣) الزاهر لابن الأنباري ١٤٥/٢ ، وتهذيب اللغة (سبت) ١٦٠٧/٢ .

(٤) انظر : تفسير الطبري ٣٢٩/١ ، وتفسير البغوي ٨١/١ ، والبيان ٩٠/١ ، وتفسير ابن عطية ٣٣٦/١ .

(٥) في (ج) : (كمن في) .

يقول الرجل للرجل : كن جبلاً فإني أهدُّك ، وكن حديداً فإني أغلبك ، يريد : لو كنت بهذا الوصف لم تفتني^(١) ، قال الله تعالى : ﴿ قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴾ [الاسراء : ٥٠] ، يريد : لو كنتم حجارة أو حديداً لنزل بكم الموت ووصل إليكم ألمه ، ويقول الرجل للرجل إذا لم يتعلم^(٢) العلم : فكن من البهائم ، أي عُدَّ نفسك مُشَبَّهاً لها . قال الأخوص :

إِذَا كُنْتَ عِزْهَاءَ عَنِ اللَّهْوِ وَالصَّبَا
فَكُنْ حَجَرًا مِنْ يَابِسِ الصَّخْرِ جَلَمَدًا^(٣)

أي فعدَّ نفسك من الحجارة .

فقال الله تعالى : ﴿ كُونُوا قِرَدَةً ﴾^(٤) ، أي بتغييرنا^(٥) خلقكم وتبديلنا صوركم ، وهذا أمر^(٦) حتم ليس للمأثور فيه اكتساب ، ولا يقدر على دفعه عن نفسه^(٧) .

(١) في (ب) : (تنتني) .

(٢) كذا في (أ) و(ج) ، وفي (ب) غير واضحة ، ولعل الصواب (تتعلم) .

(٣) ويروى شطره الأول كما في شعر الأخوص :
إِذَا أَنْتَ لَمْ تَعَشَقْ وَلَمْ تَدْرِ مَا الْهَوَى

وفي كتاب الزينة :

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَطْرُبْ وَلَمْ تَشْهَدْ الْخَنَا

و(العِزْهَاءُ) : الذي لا يحب اللهو ولا يطرب ، ورد البيت في الزينة ١ / ١٢٤ ، والمخصص ١٦ / ١٧٥ ، والخصائص ١ / ٢٢٩ ، والشعر والشعراء ٣٤٦ ، وأمالى الزَّجَاجي ٧٥ ، وأساس البلاغة (عزه) ٢ / ١١٥ ، واللسان (عزه) ٥ / ٢٩٣٣ ، وشعر الأخوص ٩٨ .

(٤) ما بين المعقوفين غير مقروء في (ب) .

(٥) في (ب) : (بتغيير) ، وفي (ج) : (بتغييرنا) .

(٦) في (ج) : (امرتكم) .

(٧) انظر : تفسير ابن عطية ١ / ٣٦٦ ، ٣٧٧ ، والبيان ١ / ٩٠ ، والبحر ١ / ٢٤٦ .

وقال^(١) بعض النحاة: الأمر يجيء على معان: على الفرض، والنفل، والإذن، والتهديد والتحدي، وعلى معنى الخبر. فالفرض مثل: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾^(٢) وأشباهه، والنفل مثل قوله: ﴿وَالَّذِينَ تَخَافُونَ ذُنُوبَهُمْ فَعِظُواهُمْ﴾ [النساء: ٣٤]، والإذن: ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا﴾ [المائدة: ٢٠]، والتهديد: ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾^(٣) [فصلت: ٤٠] وكقوله: ﴿وَأَسْتَفِزْ مِنْ أَسْطَعَتْ﴾ الآية [الإسراء: ٦٤]، والتحدي: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا﴾ [البقرة: ٢٣]، وفيه معنى الإلزام، إلا أن من الإلزام ما لا يكون في المقدور أصلاً، كقوله: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾^(٤)، وليس يصح برهان على صدقهم. وأمّا بمعنى الخبر فقوله: ﴿كُونُوا قِرَدَةً﴾ [البقرة: ٦٥]، و[الأعراف: ١٦٦] أي جعلناهم قردة^(٥)، إلا أنه جاء بلفظ الأمر على طريق البلاغة. وقد يجيء الأمر والمراد منه التسوية، مثل قوله: ﴿أَسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٨٠]، أي قد استوى الحالان في أنه لا يغفر.

والقردة جمع قرد، يقال: قرد، وثلاثة أقردة^(٦) وقُرود وقردة كثيرة، والأنثى قردة. وأصل الحرف من اللصوق، ومنه القرد، وهو ما تلاصق من الوبر ويعقد، والقُرَادُ سمي قُرَاداً للصوصه بالموضع الذي يعلق، والقُرود تتلاصق إذا اجتمعت وتتداخل خوفاً من عدوها، فإنها أجبن شيء^(٧).

(١) (الواو) ساقطة من (ب).

(٢) البقرة: [٤٣، ٨٣، ١١٠]، والنساء: [٧٧]، والنور: [٥٦]، والمزمل: [٢٠].

(٣) في (أ) و(ج): (اعملوا) تصحيف.

(٤) البقرة: [١١١] والأنبياء: [٢٤]، والنمل: [٦٤].

(٥) ذكر الغزالي في المستصفى الوجوه التي يأتي عليها الأمر، ومنها الوجوه التي وردت عند المؤلف هنا، وما ذكر: التسخير كقوله: ﴿كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾، المستصفى ٢٩٣.

(٦) في (ب): (أقرد)، وكلها وردت في تهذيب اللغة عن الليث (قرد) ٢٩٢١/٣.

(٧) انظر: مقاييس اللغة (قرد) ٨٣/٥، ٨٤، الصحاح (قرد) ٥٢٣/٢، واللسان (قرد) ٣٥٧٦/٦.

و^(١) قوله تعالى : ﴿خَسِيسَينَ﴾ الخَسْءُ : الطرد والإبعاد ، يقال : خَسَأْتُهُ خَسْأً فَخَسَأَ [وأنخَسَأَ]^(٢) ، فهو واقع ومطأوع^(٣) . قال الفرّاء والكسائي : يقال : خَسَأْتُهُ خَسْأً فَخَسَأَ^(٤) خُسُوءاً^(٥) مثل رَجَعْتُهُ رَجْعاً فَرَجَعْتُ رُجُوعاً^(٦) ، ويقال للكلب عند الزجر والإبعاد : اخسأ ، وأنشد الفرّاء :

وَإِذَا زَجَرْتُ الْكَلْبَ قُلْتُ اخْسَأْ لَهُ

وَالْكَلْبُ مِثْلُكَ يَاخْرِيمُ سَوَاءً^(٧)

وأنشد ابن الأنباري لعمران بن^(٨) حطان :

لَا تَجْعَلَنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنَزِلِي

يَا رَبِّ^(٩) مَنَزِلَ خَاسِيٍّ مَدْحُورٍ^(١٠)

(١) (الواو) ساقطة من (ج) .

(٢) في (ج) : (الخسأ) .

(٣) انظر : تفسير الطبري ١/ ٣٢٩ ، وتهذيب اللغة (خسأ) ١/ ١٠٢٨ ، وجمهرة أمثال العرب ٣/ ٢٣٧ ،
والصاحح (خسأ) ١/ ٤٧ .

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (ب) .

(٥) في (ج) : قال الفرّاء والكسائي : «خَسَأْتُهُ خَسْأً فَخَسَأَ خَسْأً فَخَسَأَ خُسُوءاً» .

(٦) انظر : الزاهر ٢/ ٤٨ ، والوسيط ١/ ١٢٥ ، وتفسير القرطبي ١/ ٤٤٣ .

(٧) لم أعر على هذا البيت في ما اطلعت عليه ، والله أعلم .

(٨) في (ج) : (عمر بن الخطاب) . وابن حطان : هو عمران بن حطان من بني عمرو بن سبيان بن ذهل ،
كان رأس القعدة من الصُّفْرية إحدى فرق الخوارج ، وكان خطيباً شاعراً ، توفي سنة أربع وثمانين ،
ذكر الجاحظ أخباره في البيان والتبيين ١/ ٤٧ ، والمبرد في الكامل ٣/ ١٦٧ ، وانظر : تهذيب التهذيب
٣/ ٣١٧ .

(٩) في (ج) : (يارب منزلي) .

(١٠) لم أجد هذا البيت في ما اطلعت عليه من شعر عمران بن حطان ضمن ديوان الخوارج ، جُمع نايف
محمود معروف ، ولا في شعر الخوارج لإحسان عباس .

وتقدير الآية : كونوا خاسئين قرده ؛ لأنه لولا التقديم والتأخير لكان : قرده خاسئة^(١) .

٦٦ . قوله تعالى : ﴿ جَعَلْنَاهَا نَكَالًا ﴾ الآية ، اختلفوا في الكناية ، فقيل : إنها راجعة إلى القرده^(٢) . وقال الفرّاء : الكناية تعود إلى المسخة^(٣) ؛ لأن معنى : ﴿ كُونُوا قِرْدَةً ﴾ مسخناهم قرده ، فوقعت الكناية عن الكلام المتقدم^(٤) .

وقال ابن عباس : فجعلنا تلك^(٥) العقوبة لهؤلاء القوم الذين مسخوا قرده وخنازير ، وعلى هذا الكناية تعود إلى العقوبة^(٦) ، وهي مدلول عليها بقوله : ﴿ كُونُوا قِرْدَةً ﴾ ؛ لأن ذلك يدل على المسخ ، والمسخ عقوبة ، ويقال : الهاء عائدة على الأمة^(٧) الذين اعتدوا ؛ لأن قوله : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ ﴾^(٨) يدل على أنهم كانوا أمة وفرقة من الناس ، فرجع العائد على المعنى^(٩) .

(١) أي لو كان (خاسئين) صفة لقرده لقال : (خاسئة) ، انظر : الوسيط ١ / ١٢٥ ، وللعلماء في إعرابه وجوه : الأول : أنه خبر ثانٍ لـ (كان) ، أو حال من (السواو) في كونوا ، أو نعت لقرده ، وهذا الوجه رده المؤلف ، انظر : إعراب القرآن للنحاس ١ / ١٨٤ ، والمشكل لمكي ١ / ٥٢ ، وتفسير ابن عطية ١ / ٣٣٦ ، والبيان ١ / ٩٠ ، والإملاء ١ / ٤١ ، والدر المصون ١ / ٤١٤ .

(٢) انظر : تفسير الطبري ٢ / ١٧٦ ، وتفسير الثعلبي ١ / ٨١ أ ، تفسير الماوردي ١ / ٣٧٥ .

(٣) معاني القرآن للفرّاء ١ / ٤٣ .

(٤) انظر : تفسير الطبري ١ / ٣٣٣ ، وزاد المسير ١ / ٩٥ .

(٥) (تلك) ساقط من (ج) .

(٦) أخرجه الطبري عن الضحاك عن ابن عباس ، الطبري ١ / ٣٣٣ ، وانظر : الماوردي ١ / ٣٥٧ ، وزاد المسير ١ / ٩٥ .

(٧) (الأمة) ساقط من (ب) .

(٨) في (ب) : (الذين اعتدوا) .

(٩) ذكره الزّجاج في معاني القرآن ١ / ١٢١ ، وتفسير الطبري ١ / ٣٣٣ ، وأورد أقوالاً أخرى منها : أنها تعود على قرية القوم الذين مسخوا ، أو تعود على الحيتان ، وهي وإن لم يجر لها ذكر ففي الخبر دلالة عليها ، تفسير الطبري ٢ / ١٧٦ ، وانظر : تفسير الثعلبي ١ / ٨١ ب ، تفسير الماوردي ١ / ٣٥٧ ، وغريب القرآن لابن قتيبة ٤٤ .

وقال الرَّجَّاجُ : وجعلنا هذه الفعلة عبرة^(١) . والنَّكَالُ^(٢) اسم لما جعلته نكالاً لغيره إذا رآه خاف أن يعمل عمله^(٣) . وأصل هذا من قولهم : نكل عن الأمر ينكل نُكولاً ، إذا جبن عنه ، يقال : نَكَلْتُ بفلان ، إذا عاقبته في شيء أناه عقوبةً تُنكل غيره عن ارتكاب مثله ، أي تمنع وتردد . والنُّكْلُ : القيد ؛ لأنه يمنع الجري ، والنُّكْلُ : حديد اللجام^(٤) .

وقوله تعالى : ﴿لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا﴾ ، قال أبو إسحاق : ﴿لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا﴾ الأُمم التي تراها ، ﴿وَمَا خَلْفَهَا﴾ ما يكون بعدها^(٥) . فما في هذا القول عبارة عن الأُمم .

وقال الفرَّاء : جعلت نكالاً لما مضى من الذنوب ، ولما^(٦) يعمل بعدها ، ليخافوا^(٧) أن يعملوا بما عمل الذين مسخوا فيمسخوا^(٨) . فعلى هذا القول (ما) عبارة عن الذنوب ، والهاء في (يديها) يعود^(٩) على الفرقة الممسوخة وكذلك الهاء في ﴿خَلْفَهَا﴾^(١٠) .

(١) معاني القرآن ١/ ١٢١ ، والنص من تهذيب اللغة (نكل) ١٠/ ٢٤٧ .

(٢) في (ب) : (النكل) .

(٣) ذكره الأزهري عن الليث . تهذيب اللغة ٤/ ٣٦٥ ، وانظر : اللسان (نكل) ٨/ ٤٥٤٤ .

(٤) ذكره الأزهري عن شمر ، تهذيب اللغة ٤/ ٣٦٥ ، وانظر : اللسان ٨/ ٤٥٤٤ .

(٥) ما ذكره أحد قولين أوردهما الرَّجَّاجُ في المعاني ١/ ١٢١ ، وانظر : تفسير الطبري ١/ ٣٣٣ .

(٦) في (ج) : (يعملوا) .

(٧) في (ب) : (ليخافون) .

(٨) معاني القرآن للفرَّاء ١/ ٤٣ ، وهو قول للرَّجَّاجُ ، انظر : المعاني ١/ ١٢١ ، وانظر : تفسير الطبري ١/ ٣٣٣ ، ٣٣٤ .

(٩) في (ج) : (تعود) .

(١٠) رجح الطبري في تفسيره أنها تعود على (العقوبة) ١/ ٣٣٥ ، وذكر مكي ثلاثة أقوال ، وهي : أنها تعود على القردة ، أو المسخة ، أو العقوبة ، المشكل ١/ ٥٢ ، وانظر : البيان ١/ ٩١ .

وقيل : هذا على ^(١) التقديم والتأخير ، تقديره : فجعلناها وما خلفها مما أعد لهم من العذاب في الآخرة عقوبةً ونكالاً لما بين يديها ، أي لما ^(٢) تقدم من ذنوبهم في اعتدائهم يوم السبت ^(٣) .

* * *

(١) (على) ساقط من (ب) .

(٢) في (ب) : (أي التقديم) .

(٣) ذكره الثعلبي في تفسيره ١ / ٨١ ب ، وانظر : تفسير البغوي ١ / ٨١ .